بحوث ونصوص محققة

مُهداة للشيخ

أبي إسحاق الحويني

اعتنى به

عمرو عبد العظيم الحويني

السِّفْرُ الثَّاني

المكتبة العمرية

دار الذخائر

بحوث ونصوص محققة

مهداة للشيخ

أبي إسحاق الحويني

اعتنى به

عمرو عبد العظيم الحويني

السفر الثاني

المكتبة العمرية

دار الذخائر

ⓒ **الحويني- عمرو عبد العظيم ، ١٤٤١ هـ**
دار الكتب المصرية فهرسة أثناء النشر
الحويني ، عمرو عبد العظيم
بحوث ونصوص محققة مهداة للشيخ أبى إسحاق الحويني
/عمرو عبد العظيم الحويني ،١٤٤١هـ
١١٠٤ ص، ..سم
ردمك :٧-١٦١-٨٥٥-٩٧٧-٩٧٨
١- الحديث - بحوث ٢- أبواسحاق الحويني ،حجازي
محمد يوسف شريف أ- الحويني،عمرو عبد العظيم
الحويني (معتني به) ٢٣٠،٠٧٢
رقم الإيداع : ٢٠١٩/١٤٧٤٨
ردمك :٧-١٦١-٨٥٥-٩٧٧-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

المكتبة العمرية — دار الذخائر

٣٣ شارع الإمام محمد عبده خلف الجامع الأزهر
هاتف محمول: 00201008543160
00201060908845
هاتف الإدارة: 00201220275629
هاتف أرضى: 002025117994
dar.alzakhair@gmail.com

مهذب صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه

إعداد

د. أبو قدامة أشرف محمود عقلة الكناني

أستاذ مشارك/قسم الشريعة

كلية الشريعة/جامعة أم القرى

والمجاز بالقراءات العشر المتواترة

والمشارك في برنامج الإقراء والإجازة في الحرم المكي

جوال: ٠٠٩٦٦٥٤٢٨٠١٨٩٠

جوال: ٠٠٩٦٢٧٩٩٨٣٥٢١٤

إيميل: ashrafalkinane@yahoo.com

أو: amkinane@uqu.edu.sa

الإهداء

إلى ناصر السنة، وقامع البدعة، الجبل الشامخ، والسيل الهادر، من آل حوين.

إلى صاحب الهمة العالية، والكلمة المسموعة، وداخل القوب بلا استئذان؛ أكرم بأبيه شريف.

إلى من له من اسمه نصيب؛ فحجز بين الحق والباطل.

إلى شيخنا العلامة المحدث أبي إسحاق الحويني.

إلى كتاب: (بحوث مهداة لفضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني).

إلى كل صاحب سنة؛ يرى القراءة سنة متبعة، في سائر بلدان المسلمين.

إلى كل متبع للآثار يعمل بما صحَّ عن علي رضي الله عنه: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ».

إلى قراء القرآن الكريم ومقرئيه بحق، في العالم الإسلامي.

إلى كل من سبق أُهدي هذا الجهد المتواضع؛ عسى الله تعالى ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ:

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنعوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ- وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد،

فهذا مهذب كتابي: (**صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه الصغير، الأنموذج الأول للإجازة القرآنية**)، والصغير هذا مختصر -أيضًا من أصله الذي سميته: (**صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه الكبير، الأنموذج الأول للإجازة القرآنية**)، وقد اختصرت (**الكبير**) لما رأيته طال جدًا لكثرة الأحاديث في صفة القراءة والإقراء، ولتشعب الكلام في التعليق على

الأحاديث، فعمدت إلى اختصاره في (**الصغير**) آنف الذكر، فاقتصرت على الأحاديث الصحيحة، وتخففت من التعليقات، ليعم به النفع.

وقد رأيت أن أهذب (**الصغير**) أيضًا، لتوسيع دائرة المستفيدين منه، فحذفت بعض مباحثه، واختصرت مقدماته ومبحثه الأول، واختصرت تخريج أحاديثه، وسميته: (**مهذب صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه**).

ويهدف البحث إلى بيان الصفة التي كان يقرأ بها النبي ﷺ، ويُقرئ بها أمته، وإلى بيان هديه ﷺ في ذلك مما ثبت في السنة النبويَّة، ومما نقله عنه الصحابة ﷺ، من كيفية القراءة وصفتها، مما وصفوه لنا وصفًا دقيقًا محكمًا، يبين الأنموذج الأول الذي يجب أن يُحتذى فيما أصبح يُسمى بعدُ بالإجازة القرآنيَّة.

وتنبع أهميَّة هذا البحث اليوم في المحافظة على هيئة الإجازة القرآنيَّة وهيبتها، ثم صونها عن الابتذال والإهانة التي نشأت نتيجة التساهل في بذل الإجازة القرآنيَّة وإعطائها من غير الأهل ولغير الأهل، حتى كثر أولئك المجازون بالقراءات -فضلًا عن المجازين بقراءة مفردة- وهم لا يُعدُّون في عداد المتقنين ولا القارئين، وانتقلت هذه القضية من انحصارها في أيدي المتخصصين إلى كل طالب يطلبُها، مما أدى إلى امتهان الإجازة وعدم التفريق بينها وبين الشهادة بالقراءة لمن قرأ، ثم نشأ التفريق بين الإجازة وبين الإسناد بعد أن كانا شيئًا واحدًا، بأن تعطى الأولى للقارئ نظراً من المصحف، والأخرى للقارئ غيباً.

ثم ظهرت بعدُ حوادث جديدة بين صفوف الناشئة، كالقراءة بالألحان وما يتبعها من القول بوجوب تعلم المقامات حتى يُتقَن التجويد ويَتَحَسَّن الصوت به، حتى أصبح

من المسلمات عند كثير من المبتدئين، تعلم المقامات قبل معرفة التجويد من أهل الاختصاص، وقبل أن يُبصروا نور القرآن علمًا وعملًا، ثم حلا لبعضهم أن يذهب لأهل الغناء والموسيقى والإيقاع، ليتعلم المقامات بحجة أن هؤلاء هم أهل الاختصاص في ذلك، ويجب الرجوع إليهم.

كل ذلك حدث ويحدث مع تجدد الزمان، وتعاقب الأجيال، دون الانضباط بضوابط وشروط أهل الاختصاص والصنعة في هذا العلم الأصيل، ولعل هذا البحث يوقف المعتنِي بتعلُّم وتعليم القرآن والقراءات على ضرورة العَوْد للشَّرْب الأول والأنموذج الأصيل في منح الإجازة القرآنيَّة والحصول عليها، تصحيحًا للمسار، وضبطًا لفوضى منح الإجازة القرآنيَّة كيفما اتفق، وهو ما فطن له بعض القائمين على قراءة القرآن وإقرائه أفرادًا وجماعات ومؤسسات وهيئات في وقتنا الحالي. والله ولي التوفيق.

منهجي في البحث:

البحث قائم في مجمله على جمع الأحاديث النبويَّة في صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه، مما قاله ﷺ أو عمله أو وصفه به أصحابه الكرام رضي الله عنهم، ثم تخريج هذه الأحاديث ثم تصنيفها تحت أبوابها وعناوينها المناسبة المتعلقة بصفة القراءة والإقراء، والربط بين هذه الأحاديث بما يستخرج فقهها ومعناها، مع التعليق عليها ما أمكن عند الحاجة، ويمكن لي بيان منهجي في الآتي:

١- تتبعت الأحاديث واستقرأتها في صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه من الكتب الستة والموطأ ومسند أحمد.

٢- تتبعت الأحاديث في غير الكتب السابقة مما لم يرد فيها أو ورد فيها بألفاظ أخرى؛ ككتب فضائل القرآن، وبعض السنن والمسانيد والمصنفات والمعاجم والمستخرجات.

٣- خرجت الأحاديث تخريجًا موسعًا من الكتب السابقة ومن غيرها، وكان منهجي في إيراد هذه الأحاديث في البحث على النحو الآتي:

أ- إذا كانت ألفاظ الحديث متقاربة دمجت ألفاظه بين معقوفين في سياق حديث واحد، ورمزت داخل المعقوفين لمن خرجه؛ وكانت معاني الرموز المستخدمة على النحو الآتي: (خ: البخاري. م: مسلم. ت: الترمذي. ن: النسائي في الصغرى. **جه:** ابن ماجه. **خع:** البخاري في خلق أفعال العباد. **طب:** الطبراني في المعجم الكبير. **طس:** الطبراني في الأوسط. **عو:** أبو عوانة في مستخرجه. **هم:** الهيثمي في موارد الظمآن. **نم:** أبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم. **عب:** عبد الرزاق في المصنف. **ل:** الحاكم في المستدرك. **هك:** البيهقي في السنن الكبرى. **هس:** البيهقي في معرفة السنن والآثار. **هش:** البيهقي في شعب الإيمان. **هص:** البيهقي في السنن الصغير. **آج:** الآجري في الشريعة).

ب- إذا كانت ألفاظ الأحاديث غير متقاربة كررت الحديث برمته في نفس الباب طلبًا للتأكيد أو زيادة الاستدلال.

٤- كررت الحديث في غير الموطن الأول إذا دخل في أكثر من باب من أبواب صفة القراءة أو الإقراء، وربما اقتصرت على موطن الشاهد منه عند تكراره.

٥- ربما أقطّع الحديث وأقتصر على موطن الشاهد منه إذا تم لي مرادي من

الاستدلال به، وربما أورد الحديث بأكمله إذا كان سياقه يعطي فائدة جديدة في الاستدلال المطلوب.

٦- اعتمدت الأحاديث الصحيحة فقط واستبعدت الأحاديث الضعيفة، واعتنيت بأحكام بعض المعاصرين على هذه الأحاديث ريثما يتسنى لي الحكم عليها بنفسي عند الحاجة لذلك، وكان منهجي في ذلك:

أ- إذا كان الحديث في البخاري ومسلم أو في كليهما خرجت الحديث منهما مكتفيًا بتصحيحهما ومكتفيًا بتخريجه منهما لئلا أتوسع في التخريج إلا إذا جاءت لفظة عند غيرهما فيها فائدة استدلالية لموضوعنا، وربما خرجت الحديث نفسه -غالبًا- إن وجد عند غيرهما، واكتفيت بتصحيح البخاري ومسلم أو أحدهما لأصل الحديث غالبًا.

ب- إذا كان الحديث في غير البخاري ومسلم ذكرت الحكم عليه عند أهل الاختصاص غالبًا، فاعتمدت أحكام الترمذي، والحاكم، والضياء، المقدسي في الأحاديث المختارة، والهيثمي، وابن حجر، والعيني، من القدماء. وبأحكام أحمد شاكر، والألباني، وشعيب ومن معه، ومحققي بعض كتب السنة المشهورين بذكر الأحكام على الأحاديث، كالحميد في تحقيقه على التفسير من سنن سعيد بن منصور، وحسين سليم أسد في تحقيقه على سنن الدارمي، والعدوي في تحقيقه على المنتخب من مسند عبد بن حمد. وغالبًا لم أجد اختلافًا بين المذكورين في الحكم على حديث ما، فإن وجد رجحت ما أراه صوابًا من أقوال المختلفين ريثما يتسنى لي دراسة الحديث بنفسي.

ج- إذا كان الحديث في الموطأ ولم يُتكلم فيه، اكتفيت بتخريجه من الموطأ معتمدًا صحته، وإن وجدت من تكلم فيه ذكرت كلامه.

وقد خرج البحث بهذه الحلة التي أسأل الله تعالى أن تكون واضحة سهلة مفيدة بين يدي عموم الناس ممن أراد أن يعرف صفة قراءة النبي وإقرائه.

وقد جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: مفهوم قراءة النبي ﷺ وأنماطها وأوصافها:

المبحث الثاني: معالم صفة قراءة النبي ﷺ؛ (القراءة النبوية):

المطلب الأول: بين تعليم جبريل القراءة للنبي ﷺ وتعليم النبي ﷺ القراءة لصحابته.

المطلب الثاني: أشهر الروايات وأصحها في صفة القراءة النبويَّة:

أولًا: وصف الصحابة رضي الله عنهم لقراءته ﷺ.

ثانيًا: أوامره ﷺ ونواهيه المتعلقة بكيفية تعلم وتعليم القراءة.

ثالثًا: عرض النبي ﷺ القرآن على بعض الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: معالم صفة إقراء النبي ﷺ؛ (الإقراء النبوي):

المطلب الأول: صفة إقراء النبي ﷺ.

المطلب الثاني: انتقاء النبي ﷺ مراجع للإقراء.

المطلب الثالث: ترغيب النبي ﷺ بالتعلم والتعليم.

راجيًا من الله التوفيق والسداد إنه سميع قريب مجيب.

وكتب

أبو قدامة أشرف بن محمود بن عقلة الكناني

مكة المكرمة

الثلاثاء: ١٣/رمضان/١٤٣٦هـ

يوافقه: ٢٠١٥/٦/٣٠م

المبحث الأول
مفهوم قراءة النبي ﷺ وأنماطها وأوصافها

المطلب الأول: مفهوم قراءة النبي ﷺ:

القِرَاءَةُ: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل. يقال: قرأتُ وتَقَرَّأْتُ، أي: تَفَهَّمت. ويقال: قَارَأْتُهُ، أي: دارستُهُ(١).

وقد جاءت قراءة النبي ﷺ عند العلماء على أكثر من معنى؛ حيث كانوا يعبرون بهذا المصطلح عن عدة معانٍ مختلفة؛ فتارة يقولون قراءة النبي ﷺ، وتارة يقولون قراءات النبي ﷺ هكذا بالجمع، وقد حصرت المعاني الواردة لهذه الجملة بالمعاني الثلاثة الآتية:

المعنى الأول: القراءات التي كان يقرأ بها النبي ﷺ بألفاظ لها كيفيات مختلفة من أصول وفروش، ومن هذا المعنى ما جاء في كتب السنة مثلًا في **صحيح البخاري**، من الأحاديث في كتاب: تفسير القرآن، بَابُ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، ومثل ما جاء في كتاب: (جزء فيه قراءات النبي ﷺ)(٢)، للإمام المقرئ أبي حفص الدوري (ت: ٢٤٦هـ).

المعنى الثاني: وصف قراءة النبي ﷺ في الصلاة من حيث الطول والقصر، والقراءة

(١) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٦٦٨- ٦٦٩.

(٢) وقد طُبع هذا الكتاب بتحقيق حكمت بشير ياسين، ونشرته مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط (١)، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م. وطبع أيضًا بتحقيق د. أحمد عيسى المعصراوي، ونشرته دار السلام بالقاهرة، ط (٢)، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

بالمتناظرات، وقراءته لسور معينة في بعض الصلوات كصلاة الجمعة والعيدين، وقراءته من المفصل وغيره في بعض الصلوات، أو قصار السور في صلاة المغرب، ونحو هذا مما ورد في السنة وهو كثير جدًا، وسوف تأتِ نماذج منه في هذا البحث.

المعنى الثالث: صفة قراءة النبي ﷺ من حيث كيفيتها وتجويد الحروف وإخراجها من مخارجها، والوقوف التي كان يقفها، ونحو هذا من كيفية تجويده ﷺ للقرآن الكريم. ومن هذا المعنى مثلًا: ما في **صحيح مسلم**، من الأحاديث في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما جاء في كيف كانت قراءة النبي ﷺ. ومثل ما جاء في **سنن الترمذي** من الأحاديث في كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة؛ كما ستأتِ أمثلته مفصلة مجموعة في هذا البحث.

ولا شك أن هناك تداخلًا بالضرورة بين هذه المعاني الثلاثة، ولا ينفك بعضها عن بعض؛ حيث إن قراءات النبي ﷺ؛ كما في المعنى الأول، وقراءته ﷺ في الصلاة كما في المعنى الثاني، لا بد أن يكونا جاريين على أصول القراءة الصحيحة من حيث تجويد الحروف وأصول التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم؛ كما هو المعنى الثالث، ولهذا عني بحثي ببيان هذا الأخير وهو المعنى الثالث، ولم يُعن بالمعنيين الأول والثاني من جمع القراءات الواردة عن النبي ﷺ أصولًا وفروشًا، وقراءته في الصلاة؛ وإن كنت قد استعنت بهما لتحقيق شيء مراد في المعنى الثالث، هذا المعنى الذي جاء التركيز عليه وبيانه تفصيلًا لمعرفة كيف كان النبي ﷺ يجود القرآن الكريم بطريقة عمليَّة موصوفة بدقة في السنة النبويَّة؛ حيث قصدت أن أجمع ما وصفه الصحابة رضي الله عنهم، من قراءة النبي ﷺ، وما يتبع ذلك من طريقة تعلمه وتعليمه ﷺ للقرآن الكريم؛ ليُتلى بطريقة صحيحة سليمة كما أُنزل على مراد الله تعالى.

وقد عرَّفتُ قراءة النبي ﷺ على هذا المراد بأنها: (كيفية نطق النبي ﷺ بالحروف والكلمات القرآنيَّة وترتيلها، والتزامه أداءها على وجه مخصوص).

ومعنى التعريف: أن قراءة النبي ﷺ، هي: الصفة التي كان يتلوا بها القرآن الكريم، والطريقة التي كان يلفظ بها حروف وكلمات وآيات القرآن، مما لا خلاف في نطقه، أو مما كان فيه الخلاف، فيشمل ذلك نطق النبي ﷺ بالحروف مخرجًا وصفة، ونطقه بالكلمات اتفاقًا واختلافًا، سواء كانت من الأصول أو من الفروش، مع التؤدة والتدبر والخشية اتباعًا لما أمره الله تعالى بقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، وما يشمله الترتيل من التلاوة والتجويد والتحسين والتغني والتحبير والترجيع مما يسمى تلاوة وقراءة، والتزام النبي ﷺ بذلك كله على طريقة يعرفها أهل الاختصاص الذين تلقَّو القرآن كما أنزل.

وكيفية نطق النبي ﷺ بالحروف والكلمات القرآنية وترتيلها، هو موضوع هذا البحث ومضمونه، مما سترد تفاصيله كما نقله الجيل الفريد الأول عنه ﷺ، جيل الصحابة رضي الله عنهم، نقلًا واضحًا مفصلًا سالمًا من الإبهام واللبس.

المطلب الثاني: أنماط القراءة النبويَّة وأوصافها:

أولاً: الترتيل:

الترتيل لغة: مصدر من رتَّل. **والرَّتَلُ:** حُسْنُ تَناسُقِ الشَّيْءِ، وانْتِظامِهِ على اسْتِقامَةٍ، والْحَسَنُ من الكَلامِ، والطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. **يُقال:** كلامٌ رَتَلٌ، ورَتِلٌ، أَي: مُرَتَّلٌ حسَنٌ عَلَى تُؤَدَةٍ. ويقال: رَتَّلَ الْكَلامَ، تَرْتِيلًا: أَحْسَنَ تَأْلِيفَهُ، وأَبانَه وتَمَهَّلَ فِيه، أَو بيَّنَهُ تَبْييناً بغيرِ بَغْيٍ. ومنه قولُه تَعَالَى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾، أَي: أَنْزَلْناه مُرَتَّلًا، وَهُوَ ضِدُّ الْمُعَجَّلِ. وتَرَتَّلَ فِيهِ: إذا تَرَسَّلَ. **والتَّرْتِيلُ:** إرسالُ الكلمةِ من الْفَمِ بِسُهُولَةٍ

واسْتِقامَةٍ(١). **والترتيل**: التمكُّث، وهو: ضدّ العجلة(٢). **وَرَتَّلْتُ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**: تَمَهَّلْتُ فِي الْقِرَاءَةِ وَلَمْ أَعْجَلْ(٣). **والترتيل في القراءة**: التَّرَسُّلُ فِيهَا وَالتَّبْيِينُ مِنْ غَيْرِ بَغْيٍ. وهو -أيضًا-: التَّحْقِيق وَالتَّبْيِين وَالتَّمْكِين(٤)، كَأَنَّهُ تَفْصِيل بَين الْحَرْف والحرف(٥).

والترتيل اصطلاحًا: عُرِّف الترتيل بعدة تعريفات تدور كلها حول معنى الترسل والتبيين والتؤدة في قراءة القرآن، منها:

التعريف الأول: «تجويد الحروف ومعرفة الوقوف»، وهو منقول عن علي رضي الله عنه(٦).

التعريف الثاني: «تَرْكُ الْعَجَلَةِ فِي الْقُرْآنِ عَنْ الْإِبَانَةِ». وهذا تعريف الشَّافِعِيُّ(٧).

التعريف الثالث: «الترسل فِي الْقِرَاءَة وإلقاء الْحُرُوف حَقّهَا من الإشباع بِلَا عجل وَلَا هذرمة». وهذا تعريف السمعاني(٨).

والقراءة بالترتيل هي قراءة النبي ﷺ، ولها أوصاف كثيرة ذكرها الصحابة رضي الله عنهم؛ فقد وصف الصحابة قراءة النبي ﷺ بأنها كانت: «مدًا». وبأنها كانت: «حرفًا قراءة

---

(١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١ ص٢٦٥، والزبيدي، **تاج العروس**، ج٢٩ ص٣٢-٣٣، مادة: (رتل).

(٢) انظر: النحاس، **إعراب القرآن**، ص٢٤٢. ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١ ص٢٦٥، مادة: (رتل).

(٣) انظر: الفيومي، **المصباح المنير**، ج١ ص٢١٨.

(٤) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١ ص٢٦٥، مادة: (رتل).

(٥) انظر: السجستاني، **غريب القرآن**، ص٢٤٢.

(٦) لم أجده عن علي رضي الله عنه مسندًا، وقد تظافرت كتب القراءات على نقله. انظر: الهذلي، **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**، ص٩٣، وابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١ ص٢٢٥، والنويري، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ج١ ص٢٦١.

(٧) انظر: الشافعي، **أحكام القرآن**، ج١ ص٦٤، وأخرجه عنه: البيهقي، **معرفة السنن والآثار**، ج٢ ص٢٨٦، رقم: (٣١٤٧). وانظر: الشافعي، **تفسير الإمام الشافعي**، (جمع أحمد الفرَّان)، ج٣ ص١٤٠٧.

(٨) السمعاني، **تفسير القرآن**، ج٦ ص٧٧.

مفسرة». وبأنه ﷺ كان: «يقطع القرآن آية آية». وبأنه ﷺ كان يرتل السورة: «حتى تكون أطول من أطول منها». -كما سيأتي بيانه مفصلًا-، وقد أمر الله ﷻ نبيه بالترتيل في غير ما موضع من القرآن الكريم؛ منها: أنه جل وعلا أمره به في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]: قال ابن عباس رضي الله عنه: «بيِّنه بيانًا»[١]. قال مقاتل: «ترسل به ترسلًا على هينتك رويدًا، يعني ﷻ: بينه تبيينًا»[٢]. وبنحو ذلك قال: الحسن، ومجاهد، وعطاء، وقتادة[٣]، والطبري[٤]. وقال الزجَّاج: «بينه تبيينا، والتبيين لا يتم بأن يعجل في القرآن، إنما يتم بأن يتبين جميع الحروف، ويوفي حقها من الإشباع»[٥]. وقال الضحاك: «انبِذْه حَرْفًا حَرْفًا»[٦].

وقد فُسِّرَ الترتيل في الآية السابقة، بقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]. قال ابن جريج: «في ترتيل». وقال ابن زيد في قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قال: «التفسير الذي قال الله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾: تفسيره». وقال مجاهد: «قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على تؤدة»[٧].

فنتج مما سبق أن قراءة النبي ﷺ كانت هي الترتيل، -كما سيأتي بيان نصوصه من السنة- وبها أمره الله تعالى، وبها أقرأ النبي ﷺ أصحابه، وعلى ذلك يكون ترتيل القرآن الكريم ثابتًا بأمر الله تعالى، وهو أصل في قراءة القرآن لا تنفك القراءة عنه،

---

(١) أخرجه عنه: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٣ ص٦٨١.

(٢) مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج٤ ص٤٧٥.

(٣) أخرجه عنهم جميعًا: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٣ ص٦٨٠-٦٨١.

(٤) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٣ ص٦٨٠.

(٥) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١ ص٦٩.

(٦) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١ ص٢٦٥، مادة: (رتل).

(٧) أخرجه عنهم: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٧ ص٥٧٦.

وليس هو مجرد تزيين وتحسين للتلاوة؛ فالتزيين والتحسين داخلين في الترتيل، والترتيل: مجموع ما يؤدي إلى قراءة القرآن قراءة سليمة من تجويد الحروف ومعرفة المعاني وتدبرها، وتحسين الصوت وتزيينه.

وفائدة الترتيل -على ما سبق-: استبانة المعاني من الألفاظ، وتدبرها للقارئ وللسامع، وعلوقه بأذهان السامعين على الوجه الذي سمعوه؛ فهمًا وتلاوة وحفظًا، وترسيخ الحفظ في نفس القارئ والسامع. والقراءة بسرعة تذهب بكل تلك الفوائد[(١)].

والترتيل هو الحال الذي نزل عليه القرآن، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان:٣٢]، أي: «تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء؛ ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ نزلنا»[(٢)]. «شيئًا بعد شيء علمناكه حتى تحفظنه»[(٣)]. قال ابن عباس: «بيَّناه بيانًا». وقال إبراهيم: «فرَّقناه في التنزيل». وقال: «نزل متفرّقًا». وهو معنى قول الحسن. وقال السدي: «فصَّلناه تفصيلًا». وقال الزجاج: «أنزلناه على الترتيل؛ وهو: ضد العجلة». وقال ابن زيد: «فسرناه تفسيرًا»[(٤)].

وأحد معاني الترتيل هو التلاوة، وهي: مأخوذة من الاتباع؛ وتلا إذا اتبع، فهو تال؛ أي: تابع. وتتلى: تتبع. وتلوته تلوا: تبعته. يقال: تتالت الأمور؛ أي: تلا بعضها بعضًا. وأتليته إياه: أتبعته. واستتلاك الشيء: دعاك إلى تلوه. واستتليته: جعلته يتلوني.

---

(١) انظر: ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج٢ ص١٨١، **والتمهيد**، ج٦ ص٢٢٢-٢٢٣، والرازي، **التفسير الكبير**، ج١ ص٦٩، ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩ ص٨٩، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩ ص٢٦٠.

(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٩ ص٢٦٥.

(٣) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٩ ص٢٦٦.

(٤) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٧ ص٥٧٦-٢٦٦، والواحدي، **التفسير البسيط**، ج١٦ ص٤٩٢-٤٩٣.

وتلى الرجل صلاته: أَتْبَعَ المكتوبةَ التطوع. ويقال: تلى فلان صلاته المكتوبة بالتطوع: أي: أتبعها. وفلان يتلو فلانًا، أي: يحكيه ويتبع فعله. وتلوت القرآن تلاوة: قرأته(١). والتلاوة: تحسين القراءة، يقَالُ: (يتْلَى)، أي: يقْرأُ. ويقال: حَسَنُ التِّلاوَةِ، أي: حَسَنُ القِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ(٢). فمن تلا القرآن تلاوة صحيحة، فقد اتَّبع المعلِّم الأول نبي الله محمد ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن، وفعل ما أمره به من تلاوته كما انزل.

والتلاوة على ذلك، هي: حُسْنُ القِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، وهي وصف من أوصاف الترتيل.

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يتلو القرآن على الناس، ليفهموه ويعملوا به، في غير ما آية، وهي قوله الله تبارك وتعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]. وقوله: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١]. وقوله: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧]. وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل:٩٢]. وقوله: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت:٤٥]. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]. وقوله: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق:١١]. وقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة:٢].

والتلاوة هي ديدن الأنبياء، قال الله تعالى: قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]: والتمني: التلاوة. وتمنى إذا

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤ ص١٠٢ -١٠٤، مادة: (تلا).

(٢) انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، قبل حديث رقم: (٧٥٣٣).

تلا القرآن(١). والأماني: جمع أمنية، وهي: التلاوة(٢). والمعنى: «إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته»(٣).

وقد أثنى الله ﷻ على أهل الكتاب مخبرًا عمن آمن منهم؛ لحسن تلاوتهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١]. قال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة وعطاء وأبو زيد، ومجاهد: «يتبعونه حق اتباعه»(٤). وقال ابن عباس وابن مسعود: «يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه»(٥). قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته: أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله»(٦). وقال مجاهد: عملًا به»(٧). وقال: «يعملون به حق عمله»(٨). وَقَال أَبو رَزِين: «يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»(٩).

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥ ص٢٩٤، مادة: (مني).

(٢) انظر: السجستاني، **غريب القرآن**، ص٤٧.

(٣) انظر: ابن قتيبة، **غريب القرآن**، ص٥٥.

(٤) أخرجه عنهم: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢ ص٥٦٦. رقم: (١٨٨٠) وعن عكرمة: (١٨٨١ و١٨٨٢)، وعن عطاء: (١٨٨٨ و١٨٨٩)، وعن أبي زيد: (١٨٩٠ و١٨٩١)، وعن مجاهد: (١٨٩٥-١٨٩٩).

(٥) أخرجه عنهما: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢ ص٥٦٦، عن ابن عباس رضي الله عنه، رقم: (١٨٨٣ و١٨٨٤)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، رقم: (١٨٨٧).

(٦) أخرجه عنه: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢ ص٥٦٧، عن ابن عباس رضي الله عنه، رقم: (١٨٨٦).

(٧) أخرجه عنه: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢ ص٥٦٧. رقم: (١٨٩٢).

(٨) أخرجه عنهما: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢ ص٥٦٧. رقم: (١٨٩٤).

(٩) أخرجه عنه معلقًا: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: التوحيد، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ [آل عمران:٩٣]، قبل حديث رقم: (٧٥٣٣).

ثانيًا: التغني:

التغني لغة: التغني لغة له معانٍ كثيرة، أهمها مما يتعلق بموضوعنا، تحسين الصوت. رفع الصوت. الاستغناء.

أما التغني بمعنى تحسين الصوت، فهو من: غنَّى فلان يُغني أغنيةً، وتغنى بأغنية حسنة، وجمعها الأغاني. والغناء من الصوت: ما أطرب سامعه وقائله، وهو التطريب(١).

أما التغني بمعنى رفع الصوت: فالعرب تعتبر كل من رفع صوته، فصوته غِناء(٢).

واستعمال التغني بمعنى الاستغناء فاشٍ في كلام العرب، وهو من استغنى عن الشيء، فلم يلتفت إليه، يقال: غني به عنه غنية وأغناه الله. وقد غَنِيَ غِنىً واسْتَغْنَى واغْتَنَى وتَغَانَى وتَغَنَّى، فَهُوَ غَنِيٌّ. ويقال: تَغَنَّيْت، تَغَنِّيًا، وتَغَانَيْتُ، تَغانِيًا، بمعنى: استغنيت. وغنَّاه الله تعالى وأغناه حتى غني: صار ذا مال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم:٤٨](٣).

والتغني بالقرآن اصطلاحًا: عُرِّف التغني بالقرآن بعدَّة تعريفات، منها(٤):

التعريف الأول: تحزين القراءة وترجيع الصوت بها.

التعريف الثاني: الجهر به، أي رفع الصوت به.

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥ ص١٣٦، مادة: (غَنِيَ).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥ ص١٣٦، مادة: (غَنِيَ).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥ ص١٣٦، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٩ ص١٨٩، مادة: (غَنِيَ).

(٤) نقل هذه التعريفات أو بعضها عدد من العلماء، منهم: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٢٥٨-٢٦٣، ابن قرقول، **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، ج٢ ص١٧١، وج٥ ص١٥٩، ابن الملقن، **التوضيح شرح الجامع الصحيح**، ج٢٤ ص١٠٥-١٠٦، الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، ج٥ ص١٦٨٢.

التعريف الثالث: أن يحسن به صوته. وهو منقول عن الشافعي.

التعريف الرابع: معناه تحزين القراءة وترقيقها. وهو قول آخر منقول عن الشافعي(١).

ومرد هذه التعريفات كلها إلى تحسين الصوت بالقرآن، وقد أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، بشرط عدم الخروج عن قواعد الترتيل والتجويد المعروفة عند أهل الاختصاص؛ فإذا مطط القارئ وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود وإدغام ما لا يجوز إدغامه ونحو ذلك؛ فقد خالف القراءة الصحيحة حتى لو كان صوته حسناً(٢).

وقد أمر النبي ﷺ أن يُقرأ القرآن بالتغني، جاعلًا من لم يتغن بالقرآن لا يسير على هديه ﷺ في تلاوة القرآن، وقد تعددت الروايات التي تأمر بالتغني عن النبي ﷺ، منها: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**». ومنها: «**لَيسَ منَّا مَنْ لم يتَغن بالقرآن**»(٣).-وكلها كما ستأتي مفصلة مع بيان معناها، كل رواية في موضعها-.

هذا وقد اختلف في معنى التغني الوارد في الحديث على أربعة أقوال(٤):

---

(١) انظر: ابن الملقن، **التوضيح شرح الجامع الصحيح**، ج٢٤ ص١٠٥-١٠٦، الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، ج٥ ص١٦٨٢.

(٢) انظر: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج٦ ص٨٠.

(٣) سيأتي تخريج هذه الأحاديث تخريجها مفصلاً.

(٤) انظر هذه الأقوال ومناقشتها في: الخطابي، **معالم السنن**، ص٢٩١-٢٩٢، ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٢٥٨-٢٦٣، ابن الملقن، **التوضيح شرح الجامع الصحيح**، ج٢٤ ص١٠٦، الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، ج٥ ص١٦٨٢.

الأول: تحسين الصوت بالقرآن. وبهذا المعنى قال أكثر العلماء، ونص عليه الشافعي(١).

والثاني: الاستغناء بالقرآن عن غيره.

وقد أورد العلماء معنيان للاستغناء بالقرآن: **الأول:** الاستغناء الذى هو ضد الافتقار، أي: ينشغل بالقرآن عما سواه من الأحاديث. يقال: تغنَّى الرجل، بمعنى: استغنى. وهذا القول قول: وَكيعٌ بن الجراح، وسفيان بنُ عُيينة، فقد قالا: «**يتغني: يستغني**»(٢). وقد رد الإمام الشافعي هذا المعنى، حيث سُئل عن تأويل ابن عيينة، فقال: (نحن أعلم بهذا، لو أراد ﷺ الاستغناء، لقال: من لم يستغن بالقرآن، ولكن لما قال ﷺ: «يتغن بالقرآن»، علمنا أنه أراد به التغني)(٣). ونقل عنه أنه قال: لو كان معنى: «يتغنى بالقرآن»: على الاستغناء، لكان (يتغانى)، وتحسين الصوت هو (يتغنى)، ولكنه يراد به تحسين الصوت(٤). **والآخر:** الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم، ويدل عليه ما ذكره أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]: أن هذه الآية نزلت في قوم أتوا النبي بكتاب فيه خبر من أخبار الأمم. فالمراد بالآية: الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم على ما ذكره إسحاق بن راهويه عن ابن عيينة، وليس المراد بالآية الاستغناء، الذى هو

---

(١) انظر: ابن الملقن، **التوضيح شرح الجامع الصحيح**، ج٢٤ ص١٠٥-١٠٦، الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، ج٥ ص١٦٨٢.

(٢) أخرجه: أحمد، **المسند**، حديث رقم: (١٤٧٦)، أبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٧٢). قال الألباني: «قلت: إسناده صحيح. وأخرجه البخاري في (صحيحه)»، **صحيح سنن أبي داود (الأم)**، ج٥ ص٢١٣، رقم: (١٣٢٣).

(٣) انظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٢٥٨-٢٦٣.

(٤) انظر: المزني، **مختصر المزني**، ج٨ ص٤٢٠، الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، ج٥ ص١٦٨٢.

ضد الفقر، ولذلك أتبع البخاري الترجمة: (باب: من لم يتغن بالقرآن)[١]، بهذه الآية، مما يدل على أن هذا هو مذهبه في الحديث[٢].

والثالث: استبدال ما كان معروفًا عند العرب من التغني بالقرآن.

قال ابن الأعرابي[٣]: «إن العرب كانت تتغنى بالركبان إذا ركبت الإبل، وإذا جلست في الأفنية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون القرآن هجيراهم مكان التغني بالركبان».

والرابع: الجهر بالقرآن، فكل من رفع صوته بشيء معلنا به، فقد تغنى به.

قلت: وليس بين هذه المعاني الأربع تضاد أو تعارض، فالمعنى الأول والرابع متوافقان بنص رسول الله ﷺ، فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**»[٤]، فقد فسر التغني بأنه الجهر بالقرآن، فتحسين الصوت بالقرآن والجهر به بمعنى واحد.

والعرب تقول: فلان يغني بهذا الحديث، أي: يجهر به ويصرح ولا يكني[٥].

وأما المعنى الثاني، فإن صح إطلاق التغني لغة على الاستغناء، فإن الاستغناء بالقرآن عن أخبار الأمم معنى صحيح مطلوب شرعًا، لكنه هنا بعيد عن موضوعنا من تحسين الصوت بالقرآن.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، قبل حديث رقم: (٥٠٢٣)، حيث أورد الآية بعد هذه الترجمة.

(٢) انظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٢٥٨-٢٦٣.

(٣) نقله عنه: الخطابي، **معالم السنن**، ص٢٩١، وابن منظور، **لسان العرب**، ج١٥ ص١٣٦، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٩ ص١٩٤، مادة: (غَنِيَ).

(٤) انظر: الخطابي، **معالم السنن**، ص٢٩١، ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٢٥٨.

(٥) انظر: الخطابي، **معالم السنن**، ص٢٩١، ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٢٥٨.

وأما المعنى الثالث: استبدال التغني الذي كان معروفًا عند العرب بالقرآن؛ فهو لا ينافي التغني بالقرآن بمعنى تحسين الصوت، بل هو المتبادر إلى الذهن؛ حيث أمرهم النبي ﷺ باستبدال التغني بتغني أفضل منه. والله أعلم.

ثالثًا: التحبير:

التحبير لغة: من حبرت الشعر والكلام؛ أي: حسنته، وكل ما حسن من خط أو كلام أو شعر أو غير ذلك؛ فقد حبر حبرًا وحبر. وفي حديث أبي موسى: «**لَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا**»[1]، يريد تحسين الصوت. وحبرت الشيء تحبيرا إذا حسنته. ومنه: الحَبر؛ وهو: العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه[2].

والتحبير اصطلاحًا: لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ فهو: التحسين والتزيين. وهو بالنسبة للصوت: تحسين الصوت وتزيينه. وبالنسبة لقراءة القرآن: تحسين الصوت بقراءة القرآن وتزيينه؛ وهو على ذلك نوع من التغني، لكن فيه زيادة في التحسين والتزيين على التغني؛ فالصوت المحبَّر هو الصوت الجميل جدًا.

وقد أشار إلى ذلك ابن الجوزي في شرحه لحديث أبي موسى رضي الله عنه حينما قال: «وَلَا يُقَال إِن زِيَادَة التجويد فِي ذَلِك رِيَاء؛ لأجل الْخلق، إِذا كَانَ الْمَقْصُود اجتذاب نفعهم»[3].

وكذلك القسطلاني حينما قال: «وهذا يدل على أن أبا موسى كان يستطيع أن يتلو

---

(١) سياتي تخريجه في موضعه.

(٢) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤ ص١٥٧، الزبيدي، **تاج العروس**، ج١٠ ص٥٠٢ و٥٠٤، مادة: (حبر)، وأبو عبيد، **غريب الحديث**، ج١ ص٨٦، الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ج٢ ص١٢٣.

(٣) ابن الجوزي، **كشف المشكل من أحاديث الصحيحين**، ج١ ص٤١٥، رقم: (٤٧٣/٣٩٠).

أشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير، لأنه قد تلا مثلها وما بلغ حدّ استطاعته»(١).

وقد ورد عن أبي عثمان النهدي ما يفهم منه أن التحبير من أبي موسى رضي الله عنه، هو زيادة تحسين الصوت وتزيينه: فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيّ قَالَ: «**صَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، فَمَا سَمِعْتُ صَوْتَ صَنْجٍ، وَلَا بَرْبَطٍ، وَلَانَايٍ**(٢) **أَحْسَنَ مِنْ صَوْتِهِ**»(٣). وفي لفظ: «**صَلَّى بِنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَمَا سَمِعْتُ صَوْتَ صَنْجٍ وَلَا بَرْبَطٍ كَانَ أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ**»(٤).

هذا ولم يرد وصف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالتحبير، لكن الذي ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال أبو موسى: «**لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا**». وفي لفظ: «قَالَ قُلْتُ: **أَمْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا**». وفي لفظ: قُلْتُ: **أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولِ اللهِ، إِنْ أَعْلَمْ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لحبرته لَكَ تَحْبِيْرًا**». وفي لفظ: «قُلْتُ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ لو علمتُ مكانكَ لَحَبرتُ لكَ تَحبِيرًا**». وفي لفظ: «**لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُ لَكَ تَحْبِيرًا، ولشوقت لَك تشويقًا**». -كما سيأتي تخريجه مفصلًا في إقراره صلى الله عليه وسلم التحبير-، فإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لقول أبي موسى رضي الله عنه يدل على جواز التحبير، وأنه نمط من أنماط القراءة التي ارتضاها النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ج٧ ص٤٨٢.

(٢) الصَّنج: آلة تتخذ من نحاس كالطبقين يضرب بأحدهما على الآخر. والبربط: آلة تشبه العود، وهي كلمة فارسية معربة. والناي: المزمار. انظر في معانيها: القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ج٧ ص٤٨٢، وابن حجر، **فتح الباري**، ج٩ ص٩٣.

(٣) أخرجه: أبو عوانة، **مستخرج أبي عوانة**، ج٢ ص٤٨٣، (٣٩١٩)، وهو صحيح كما سيأتي.

(٤) أخرجه: أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج١ ص٢٥٨، وصحح إسناده، القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ج٧ ص٤٨٢، وابن حجر، **فتح الباري**، ج٩ ص٩٣.

أجمل صوتًا من أبي موسى رضي الله عنه، وقراءته محبرةً أكثر من تحبير أبي موسى رضي الله عنه؛ لِمَا وصف الصحابة رضي الله عنهم صوت النبي ﷺ أنه أجمل الأصوات التي سمعوها على الإطلاق؛ ومن ذلك قوله البراء رضي الله عنه -كما سيأتي مخرجًا مفصَّلًا في حسن صوته ﷺ بالقراءة-: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي الْعِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ [إِذَا قَرَأَ ﷺ] [وَقِرَاءَةً] أَوْ قِرَاءَةً [مِنْهُ]». وفي لفظ: «فَلَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ صَوْتًا، وَلَا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ». وفي لفظ: «وَمَا سَمِعْتُ إِنْسَانًا أَحْسَنَ قِرَاءَةً مِنْهُ». وفي لفظ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ، فَمَا سَمِعْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ قِرَاءَةً مِنْهُ»(١).

* * *

(١) وكل هذه الأحاديث سيأتي تخريجها مفصلًا.

المبحث الثاني
معالم صفة قراءة النبي ﷺ
(القراءة النبوية)

المطلب الأول: بين تعليم جبريل القراءة للنبي ﷺ وتعليم النبي ﷺ القراءة لصحابته:

كان النبي ﷺ في أكثر أحيانه يستمع القرآن من جبريل، ثم إذا انطلق جبريل، علم النبي ﷺ الناس كما تعلم تمامًا من غير زيادة أو نقصان.

أولًا: تعلم النبي ﷺ القرآن على قدر الطاقة والحاجة:

تعلم النبي ﷺ القرآن على قدر استطاعته، وقد مكث عشرين سنة يتعلم القرآن: فَعَنْ عَائِشَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، قَالاَ: **«لَبِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ»**(١).

قال قتادة: «كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك»(٢).

قلت: وفيه عدم العجلة في التعلم، وأن التعلم يكون على قدر الطاقة وعلى حسب الحاجة؛ لأن المقصود العمل بالقرآن الكريم، والعمل به لا يتأتى مع العجلة.

ثانيًا: الاستمرار والمداومة في تعلُّم النبي ﷺ القرآن كل ليلة بطريقة العرض والسماع:

وكان النبي ﷺ يستمر كلَّ ليلة من ليالي رمضان على مدارسة القرآن مع جبريل عليه السلام ومعارضته، فكان جبريل عليه السلام يلقى النبي ﷺ كل ليلة من ليالي رمضان،

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٤٩٧٨)، وأحمد، المسند، (٢٦٩٦).

(٢) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٧ ص٥٧٦.

فيعرض عليه القرآن والنبي ﷺ يسمع: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ...»(1). وفي رواية: «كَانَ يُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ»(2).

وكان النبي ﷺ أحيانًا يعرض القرآن على جبريل عليه السلام، وجبريل عليه السلام يسمع: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»(3).

وعَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ: أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ كَانَتْ أَخِيرًا [ك:تَرَوْنَ كَانَ آخِرَ الْقِرَاءَةِ؟]: قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ، أَوْ قِرَاءَةُ زَيْدٍ؟. قَالَ: قُلْنَا [ك:قَالُوا]: قِرَاءَةُ زَيْدٍ، قَالَ: لَا. «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ [ك: كُلَّ سَنَةٍ] عَلَى جَبْرِيلَ [ك: عليه السلام] كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ [ك: كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي] الَّذِي قُبِضَ فِيهِ [ك: فِيهَا] عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ [ك: عَرْضَتَيْنِ، فَكَانَتْ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ آخِرَهُنَّ]، وَكَانَتْ آخِرَ الْقِرَاءَةِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ»(4).

---

(1) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (4998).

(2) أخرجه: أحمد، المسند، (9190)، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (1769)، وصحح إسناده شعيب ومن معه، تحقيقه على المسند، ج15 ص102، وقال: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(3) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (4997)، ومسلم، صحيح مسلم، (50/2308).

(4) أخرجه: أحمد، المسند، (2494)، والحاكم، المستدرك، (2903)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ»، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر، تحقيقه على المسند، ج3 ص134، وكذلك شعيب ومن معه، تحقيقه على المسند، ج4 ص296.

والمعارضة والمدارسة بمعنى واحد: فالمعارضة: من العَرْض، وهو القراءة والمقابلة[١]. والمدارسة: من الدَّرس. وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء[٢]. والمراد: أن جبريل عليه السلام كان يستعرضه ما أقرأه إياه. والمعارضة: مفاعلة من الجانبين، كأن كلًّا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع[٣].

وعليه تُحمَل الروايات التي جاءت فيها المدارسة والمعارضة مطلقة دون نسبتها إلى جبريل عليه السلام، أو إلى النبي ﷺ، ومنها: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «...**وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**»[٤]. وفي لفظ عند أحمد: «...**وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ...**»[٥].

وقال مسروق، عن عائشة، عن فاطمة -عليها السلام-: أَسَرَّ إليَّ ﷺ: «**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي**»[٦].

ومعنى: (**يعارضني**)، أي: يدارسني.

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٩ ص٤٣.

(٢) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣ ص٢١٢، وابن منظور، لسان العرب، ج٧ ص١٦٧.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٩ ص٤٣.

(٤) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٦)، و(١٩٠٢)، و(٣٢٢٠)، و(٣٥٥٤).

(٥) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٦١٦). وصحح إسناده أحمد شكر، تحقيقه على المسند، ج٣ ص١٧٧، وكذلك شعيب ومن معه، تحقيقه على المسند، ج٤ ص٣٧٥.

(٦) أخرجه: البخاري معلقًا عن مسروق بصيغة الجزم، صحيح البخاري، قبل حديث رقم: (٤٩٩٧) واللفظ له، وقد وصله في حديث رقم: (٣٦٢٣ و٣٦٢٤)، ومسلم، صحيح مسلم، (٩٨ و٩٩/٢٤٥٠).

والاستمرار على مدارسة القرآن كل ليلة سماعًا وعرضًا من النبي ﷺ، أدعى لتعلمه بطريقة صحيحة، وأثبت في القلب، وفيه دلالة على حرص النبي ﷺ على التعلم والمداومة على ذلك؛ ليبلغ غاية الإتقان، بكافة الوسائل والطرق.

وهذه الأحاديث تدل على أن النبي ﷺ استمر يسمع القرآن ويعرضه في رمضان في كل ليلة من لياليه منذ نزول الوحي، وحتى العرضة الأخيرة، التي سمع وعرض فيها القرآن في رمضان مرتين، وسيأتي أن هذا السماع والعرض كان مرة كل عام، ولم يكن على مدار العام.

ثالثًا: تعلم النبي ﷺ القرآن مشافهة رغم الشدة والتعب، فكانت النتيجة الإتقان:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٧]. قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ** [خ، م، ن، حب: **وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ**]»، -فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ-، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٧]. قَالَ: «**جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ، وَتَقْرَأَهُ** [ن: **ثُمَّ تَقْرَؤُهُ**]». ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٨] قَالَ: «**فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ**». ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩]. «**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ**». «**فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ، قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ** [خ، م، ن، حب: **أَقْرَأَهُ**]»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥)، و(٧٥٢٤) وبهذا الرقم أخرجه في الموضع المشار إليه بين المعقوفين، ومسلم، **صحيح مسلم**، (١٤٨/٤٤٨)، والنسائي باختصار، **سنن النسائي**، (٩٣٥)، وابن حبان باختصار يسير، **صحيح ابن حبان**، (٣٩).

وفي لفظ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١]: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [القيامة:١٧]». «فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ» ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧]. «فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ، فَاسْتَمِعْ». ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩]. قَالَ: «إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ»، قَالَ: «وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ»(١).

وسبب تحريك النبي ﷺ لسانه وشفتيه بالقرآن مع جبريل عليه السلام جاء في روايتين عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو: إرادته أن يحفظ القرآن ومخافة أن يتفلت منه، فعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ -وَوَصَفَ سُفْيَانُ-(٢) يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦]»(٣).

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة:١٦]. قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة:١٦]: «يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ». ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [القيامة:١٧]: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: «أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ. وَقُرْآنَهُ: أَنْ تَقْرَأَهُ». ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ [القيامة:١٨]. يَقُولُ: «أُنْزِلَ عَلَيْهِ»، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩]: «أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ»(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٩٢٩)، و(٥٠٤٤)، ومسلم، صحيح مسلم، (١٤٧/٤٤٨).

(٢) أي: وصف سفيان كيفية تحريك النبي ﷺ لسانه بالقرآن.

(٣) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٩٢٧).

(٤) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٩٢٨).

فقوله:: «**يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ [بِهِ لِسَانَهُ وَ] شَفَتَيْهِ**»: فيه دلالة على محاولة تعلمه ﷺ القرآن كما علمه المعلم، وتحريك اللسان والشفتين -وهما من آلة النطق-؛ ليتلفظ به كما أنزل، وليتثبت في قلبه؛ نظراً للمشقة التي كانت تعتريه ﷺ أثناء نزول الوحي.

وكانت الشدة والمشقة تحصل عند نزول الوحي لثقل القول؛ فكان النبي ﷺ يتعجَّل بأخذ القرآن فيحرك لسانه وشفتيه به متكلماً به حباً له؛ لتزول عنه المشقة سريعاً وليتذكر القرآن؛ لأنه كان يخشى أن ينسى القرآن وأن يتفلت منه؛ فأُمر أن يتأنى إلى أن ينقضي النزول[1]؛ لأنه ليس المقصود هنا الحفظ فقط، وإنما تلقي القراءة، وتعلُّم صفتها وهيئة أدائها[2].

وقوله: «**فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ**»: فيه بيان أن تعلم القراءة يكون بالاستماع ثم الإنصات أولًا قبل قراءته.

والاستماع أخص من الإنصات؛ لأن الاستماع يفيد معنى: الإصغاء، والإنصات يفيد معنى: السكوت، ولا يلزم من السكوت الإصغاء؛ يؤيده قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الأعراف:٢٠٤][3].

وقوله: «**فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ، قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ [أَقْرَأَهُ]**» و«**وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ**»: فيه دلالة على حسن تعلم الترتيل كما عُلِّم رغم الشدة التي كانت تعتريه،

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٨ ص٦٨٢.

(٢) انظر: القارئ، سنن القراء، ص٢٤.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٨ ص٦٨٣.

وأنه بدأ بالاستماع للمعلم أولًا، ثم بالإنصات؛ ليعي الكلام، ثم لما وعاه بعد أن انطلق جبريل عليه السلام، بادر مسرعًا، فقرأه قراءة سليمة كما أقرأه جبريل عليه السلام؛ لئلا يتفلت منه ما تعلمه.

قال ابن حجر: «فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: لِجِبْرِيلَ. وَالتَّقْدِيرُ: فَإِذَا انْتَهَتْ قِرَاءَةُ جِبْرِيلَ؛ فَاقْرَأْ أَنْتَ»(١).

وقال ابن حجر: «وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ إِذَا لُقِّنَ الْقُرْآنَ نَازَعَ جِبْرِيلَ الْقِرَاءَةَ، وَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يُتِمَّهَا مُسَارَعَةً إِلَى الْحِفْظِ؛ لِئَلَّا يَنْفَلِتَ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ لِلتِّرْمِذِيِّ: «**يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ**». وَلِلنَّسَائِيِّ: «**يَعْجَلُ بِقِرَاءَتِهِ لِيَحْفَظَهُ**». وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: «**يَتَلَقَّى أَوَّلَهُ وَيُحَرِّكُ بِهِ شَفَتَيْهِ خَشْيَةَ أَنْ يَنْسَى أَوَّلَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ آخِرِهِ**». وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرِيِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ: «**عَجِلَ يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ حُبِّهِ إِيَّاهُ**». وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مُرَادٌ، وَلَا تَنَافِي بَيْنَ مَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ وَالشِّدَّةِ الَّتِي تَلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ، فَأُمِرَ بِأَنْ يُنْصِتَ حَتَّى يُقْضَى إِلَيْهِ وَحْيُهُ، وَوُعِدَ بِأَنَّهُ آمِنٌ مِنْ تَفَلُّتِهِ مِنْهُ بِالنِّسْيَانِ أَوْ غَيْرِهِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾، أَيْ: بِالْقِرَاءَةِ»(٢).

وقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم صَراحةً أنه كان يجد من شدة الوحي ما يجد؛ فعن مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ -وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ-؛ فَيَفْصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ**.

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٨ ص٦٨٣.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١ ص٢٩-٣٠.

وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا[1].

فقوله: «-وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ-، فَيَفْصِمُ عَنِّي». وقول عائشة: «**فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**»: دليل على ما كان يلاقيه ﷺ من شدة التعلم، ومعنى يفصم عني: ينفرج عني ويذهب عني[2].

وقوله: «**وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ**». و: «**فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ**»: دليل على حسن تعلمه ﷺ وعلى فهمه للمراد وحفظه بعد الشدة التي كان يلاقيها.

رابعًا: بَلَغَ النبي ﷺ باستطاعته قراءة القرآن على حرف، الغاية في الإتقان:

إتقان النبي ﷺ أشد أنواع الإتقان على الإطلاق؛ لأنه أطاق ما لا يمكن أن تطيقه الأمة، فقرأ القرآن على حرف واحد، ثم اعتذر لأمته بأنها لا تستطيع قراءة القرآن كذلك، فطلب الزيادة حتى زِيدَ إلى سبعة أحرف تطيقها الأمة؛ لتعي القرآن نطقًا وفهمًا: قال رسول الله ﷺ: «**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»[3].

وهذا الحديث فيه إثبات أن النبي ﷺ تعلم القراءة على يد جبريل، وأن هذا التعلم كان بطريقة الإقراء، حيث قال: (**أقرأني**)، أي: علمني.

وفيه أن النبي ﷺ استنفد كل طاقاته في التعلم والاستزاده من معلمه، وحرصه

(١) أخرجه: مالك، الموطأ، (٧).

(٢) انظر: ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج٢ ص٤٩٣.

(٣) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٤٩٩١)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٨١٩/٢٧٢). زاد مسلم عقبه: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الْأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا، لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ».

الشديد على أن يأخذ كل شيء وأن يطلب المزيد، حتى حصل على أقصى ما يمكن أن يأخذه متعلم من معلمه، وهذا فيه دلالة على الحرص على الضبط والإتقان حتى بلوغ الغاية في ذلك.

ومن رحمته ﷺ بأمته أن طلب من جبريل عليه السلام التخفيف على أمته، وأخذ يُفصّل بعضًا من أحوال أمته ليخفف عنهم؛ وقد جاء ذلك صراحة في حديث: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: «**يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ: مِنْهُمُ العَجُوزُ، وَالشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالغُلَامُ، وَالجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ**»، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ(١).

خامسًا: بيانه ﷺ لأمته أن القرآن ليس من عنده، وأمانته في التبليغ كما بلّغ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

وعندما منعته قريش من تبليغ القرآن بعدما قام بتبليغه في مكة، كان حريصًا جدًا على تبليغ القرآن؛ فكان يعرض نفسه على الناس في الحج وفي مجامعهم ليذهبوا به إلى أقوامهم ممن تتوفر عندهم المنعة والقوة ليحموه حتى يبلغ كلام الله تعالى(٣)؛ فعن جابر ابن عبد الله، قال: كان رسولُ الله ﷺ [ت: قَدْ] يَعرِضُ نفسَه على الناس بالموقف،

---

(١) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٤٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ».

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٩٨١)، ومسلم، صحيح مسلم، (١٥٢/٢٣٩).

(٣) انظر: العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١٣ ص٤٣، العباد، شرح سنن أبي داود، درس رقم: (٥٣٦).

فقال: «**أَلاَ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلاَمَ رَبِّي** ﷻ»(١).

سادسًا: تتابع التعليم للنبي ﷺ كل سنة، ليتثبت القرآن في قلبه وليبلغ غاية الإتقان:

وكان النبي ﷺ يتعلَّم القرآن كل سنة مرة على جبريل عليه السلام، فكان يعرض القرآن منذ ابتداء نزول الوحي، وحتى وفاته ﷺ، وفي العام الأخير عرضه مرتين: فعَنِ أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «**أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَابَعَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ الوَحْيَ قَبْلَ وَفَاتِهِ، حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ**»(٢).

وعن عائشة، عن فاطمة -عليها السلام-: أَسَرَّ إِلَيَّ ﷺ: «**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي**»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «**كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ...**»(٤). وفي رواية: «**كَانَ يُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ**»(٥).

وسميت آخر مرة عرض فيها القرآن على جبريل عليه السلام بـ: (العرضة الأخيرة)، وإليها

---

(١) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (٤٧٣٤)، والترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٢٥)، دون قوله: «على الناس» و«ﷻ»، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٤٧).

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (١٣٤٧٩)، والبخاري، صحيح البخاري، (٤٩٨٢) واللفظ له، ومسلم، صحيح مسلم، (٣٠١٦/٢)، والنسائي، السنن الكبرى، (٧٩٢٩)، والبيهقي، دلائل النبوة، ج٧ ص١٣٣.

(٣) أخرجه: البخاري معلقًا عن مسروق بصيغة الجزم، صحيح البخاري، قبل حديث رقم: (٤٩٩٧) واللفظ له، وقد وصله في حديث رقم: (٣٦٢٣ و٣٦٢٤)، ومسلم، صحيح مسلم، (٩٨ و٩٩/٢٤٥٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

جاءت الإشارة فيما رواه: مُجَاهِد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ: أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ كَانَتْ أَخِيرًا [ك: تَرَوْنَ كَانَ آخِرَ الْقِرَاءَةِ؟]: قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ، أَوْ قِرَاءَةُ زَيْدٍ؟. قَالَ: قُلْنَا [ك: قَالُوا]: قِرَاءَةُ زَيْدٍ، قَالَ: لَا. **«إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ [ك: كُلَّ سَنَةٍ] عَلَى جِبْرِيلَ [ك: عليه السلام] كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ [ك: كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي] الَّذِي قُبِضَ فِيهِ [ك: فِيهَا] عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ [ك: عَرْضَتَيْنِ، فَكَانَتْ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ آخِرَهُنَّ]، وَكَانَتْ آخِرَ الْقِرَاءَةِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ»**(١).

وتدل هذه الأحاديث على بلوغ النبي ﷺ الغاية في الإتقان والحرص على المراجعة والتثبت، وأن جبريل عليه السلام كان يدارسه القرآن عند اقتراب أجله أكثر من ذي قبل؛ لتتحقق هذه الغاية.

* * *

المطلب الثاني: أشهر الروايات وأصحها في صفة القراءة النبويَّة:

أولًا: وصف الصحابة -رضوان الله عليهم- لقراءته ﷺ:

١- القراءة حرفًا حرفًا قراءة مفسَّرة:

وقد وصفت أم سلمة رضي الله عنها كيفية ترتيله وترسله ﷺ في القراءة؛ فعن يَعلَى بن مَملَك، أنه سأل أمَّ سلمة عن قراءةِ رسولِ الله ﷺ وصلاته؛ فجاء فيه: **«ونعتت [ت: ثُمَّ نَعَتَتْ] قراءته، فإذا هي تَنْعَتُ قراءته [ت: قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً] حَرْفًا حَرْفًا»**(٢). وفي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٦٦)، وما بين المعقوفين أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٢٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلَكٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ»، وصححه الألباني، تحقيقه على مشكاة المصابيح، ج١ ص٣٧٩، (١٢١٠/٢٣).

لفظ: «...ثُمَّ نَعَتَتْ قِرَاءَتَهُ، فَإِذَا هِيَ تَنْعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا»(١).

ومعنى قولها: «تَنْعَتُ»، أي: تصف. وقولها: «قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً»، أَيْ: مُبَيَّنَةً. وقولها: «حَرْفًا حَرْفًا»، أَيْ: «مُرَتَّلَةً وَمُجَوَّدَةً وَمُمَيَّزَةً غَيْرَ مُخَالَطَةٍ، أَوِ الْمُرَادُ بِالْحَرْفِ: الْجُمْلَةُ الْمُفِيدَةُ، فَتُفِيدُ مُرَاعَاةَ الْوُقُوفِ بَعْدَ تَبْيِينِ الْحُرُوفِ»(٢).

وقد كانت صفة كلام النبي ﷺ في غير قراءة القرآن على النحو السابق مفسرة حرفًا حرفًا، سواء في خطبه أو مخاطباته أو في حديثه كله، وهذا يدل على أن تلك صفة قراءته للقرآن من باب أولى، فإذا كان ﷺ يرتل الكلام العادي، فكيف بالقرآن الذي جاء الأمر بترتيله من الله ﷻ، وقد وصف الصحابة ﷺ طريقة كلامه ﷺ وصفًا بينًا واضحًا، فمن ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ»(٣).

وعن عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «...إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»(٤). وفي زيادة للبيهقي: «... كَسَرْدِكُمْ هَذَا، كَانَ كَلَامُهُ فَصْلًا بَيِّنًا [هس: بَيْنَهُ فَصْلٌ]، يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ»(٥).

---

(١) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (١٠٢٢).

(٢) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج٣ ص٩١٤. وانظر: السيوطي، قوت المغتذي على جامع الترمذي، ج٢ ص٧٣٩.

(٣) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٣٥٦٧)، ومسلم، صحيح مسلم، (٢٤٩٣/٧١).

(٤) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٤٨٦٥) و(٢٥٢٤٠)، والبخاري، صحيح البخاري، (٣٥٦٧)، ومسلم، صحيح مسلم، (٢٤٩٣/١٦٠)، وابن حبان، صحيح ابن حبان، (١٠٠) و(٧١٥٣)، والبيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى، (٥٩٣).

(٥) أخرجه: البيهقي، السنن الكبرى، (٥٧٥٧) و(٣١١)، من طريق القاسم بن محمد، ومعرفة السنن والآثار، له، كتاب: الجمعة، باب: ما يكون من الكلام في الخطبة، حديث رقم: (٦٥١٢).

وفي لفظ: «**فصلًا يُبينهُ**»(١). وفي لفظ: «**يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبينهُ فَصْلًا، يَحْفَظُهُ مَنْ سَمِعَهُ**»(٢). وفي لفظ: «**وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبينهُ، فَصْلٌ، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ**»(٣). وفي لفظ: «**كان كلامُ رسولِ الله ﷺ كلامًا فَصْلًا، يفْهَمُهُ كلُّ مَنْ سَمِعهُ**»(٤). وفي لفظ بعد قولها: (كسردكم): «**إِنَّمَا كَانَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصْلًا تَفْقَهُهُ الْقُلُوبُ**»(٥).

٢- تقطيع القرآن آية آية:

وكان من صفة قراءة النبي ﷺ أنه يقف عند رأس كل آية، تحقيقًا للترتيل الذي أُمر به: فعن عبدِ الله بن أبي مُلَيكَةَ، عن أُمِّ سلمة ذكرت -أو كلمةً غيرَها- قراءةَ رسولِ الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. «**يُقَطِّع قراءته آيةً آيةً**». قال أبو داود: سمعت أحمدُ يقولُ: القراءة القديمة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٦).

---

(١) أخرجه: النسائي، **عمل اليوم والليلة**، (٢١٢)، وفي **السنن الكبرى**، (١٠١٧٣)، من طريق القاسم بن محمد، والبيهقي، **السنن الكبرى**، (٥٧٥٨) و(٥٧٥٩) من طريق عروة بن الزبير.

(٢) أخرجه: أخرجه: أحمد، **المسند**، (٢٦٢٠٩)، وحسن إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج٤٣ ص٢٧٥.

(٣) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، (٣٦٣٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ».

(٤) أخرجه: أبو داود، **سنن أبي داود**، (٤٨٣٩)، وحسنه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٥ ص١٣١، (٢٠٩٧)، **وصحيح الجامع**، ج٢ ص٨٧٤، (٤٨٢٦).

(٥) أخرجه: أبو يعلى، **مسند أبي يعلى**، (٤٣٩٣)، البيهقي، **المدخل إلى السنن الكبرى**، (٥٩٤)، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٦) أخرجه: أبو داود، **سنن أبي داود**، (٤٠٠١)، وصححه الألباني، **إرواء الغليل**، ج٢ ص٦١، تحت حديث رقم: (٣٤٣). وهو نفس حديث أم سلمة السابقة -على الراجح- الذي قالت فيه: «قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا».

قال الترمذي: «وَقَدْ رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ، هَذَا الحَدِيثَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ**»، وَحَدِيثُ اللَّيْثِ أَصَحُّ»(١).

٣- مد الصوت بالقرآن مدًا:

ومن صفة قراءته ﷺ أنه كان يقرأ بتؤده مادًا الحروف التي تصلح للمد يرتلها يتدبرها: فعن قَتَادَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**كَانَ يَمُدُّ** [خع، حم، ن، جه: **صَوْتَهُ**] **مَدًّا**»(٢). وفي لفظ: «**كَانَ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ مَدًّا**»(٣). وفي لفظ: «**كَانَتْ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَدًّا يَمُدُّ بِهَا مَدًّا**»(٤). وفي لفظ: «**أَنَّ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ مَدًّا**»(٥).

وعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: «**كَانَتْ مَدًّا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ(٦).

---

(١) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، بعد حديث رقم: (٢٩٢٣).

(٢) أخرجه: أحمد، **المسند**، (١٢٣٤١) و(١٣٠٠٢) و(١٤٠٧٦)، البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٤٥)، وفي **خلق أفعال العباد**، له، بَاب: التَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، ص٧٣، وأبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٦٥)، والنسائي، **سنن النسائي**، (١٠١٤)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (١٣٥٣)، وابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٦٣١٦).

(٣) أخرجه: أحمد، **المسند**، (١٢١٩٨)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال شعيب ومن معه في، **تحقيقه على المسند**، ج١٩ ص٢٣٢.

(٤) أخرجه: أحمد، **المسند**، (١٢٢٨٣)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال شعيب ومن معه في، **تحقيقه على المسند**، ج١٩ ص٣٠٠.

(٥) أخرجه: أحمد، **المسند**، (١٣٠٥٠)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، كما قال شعيب ومن معه في، **تحقيقه على المسند**، ج٢٠ ص٣٤٥.

(٦) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٤٦)، وفي **خلق أفعال العباد**، له، بَاب: التَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، ص٧٣، وابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٦٣١٧).

وعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِك ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْفَجْرِ:** ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:١٠]؛ **يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ**»(١).

وعَنْ مُوسَى بْنِ يَزِيدَ الكِنْدِي، قَالَ: كَانَ ابن مسعود يقرئ رجلًا، فقرأ [طب: الرَّجُلُ]: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠] **مُرْسَلَةً**، **فَقَالَ** ابْنُ مَسْعُودٍ: «**مَا هَكَذَا أَقْرَأَنِيهَا النَّبِيُّ** ﷺ»، فَقَالَ: وَكَيْفَ أَقْرَأَكَها يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «**أَقْرَأَنِيهَا:** ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠]؛ **فمدَّها** [طب: **فَمَدَّدَها**]»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري، **خلق أفعال العباد**، بَاب: التَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، ص٧٤. وقد أخرجه غيره، بدون الجملة الأخيرة. وأصله بدون هذه الجملة في مسلم، **صحيح مسلم**، (١٦٦ و١٦٧/٤٥٧).

(٢) أخرجه: سعيد بن منصور، **التفسير من سنن سعيد بن منصور**، ج٥ ص٢٥٧-٢٥٨، حديث رقم: (١٠٢٣)، ومن طريقه: الطبراني، **المعجم الكبير**، ج٩ ص١٣٧، حديث رقم: (٨٦٧٧)، دون قوله: «**وَكَيْفَ أَقْرَأَكَها يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ:**»، ومن طريق الطبراني: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١ ص٣١٥-٣١٦، غير أنه قال: (عن مسعود بن يزيد) بدل (عن موسى بن يزيد)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ جَلِيلٌ حُجَّةٌ وَنَصٌّ فِي هَذَا الْبَابِ، رِجَالُ إِسْنَادِهِ ثِقَاتٌ»، وقال الهيثمي في، **مجمع الزوائد**، ج٧ ص١٥٥، حديث رقم: (١١٥٩٦): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ»، وحسنه الألباني، كما سيأتي.

وقد ضعف الحديث الحميد في **تحقيقه على سنن سعيد بن منصور**، ج٥ ص٢٥٨، فقال: «سنده ضعيف لجهالة أو جهالة حال موسى بن يزيد»، وذكر أنه لم يجد راويًا بهذا الاسم، فقال: «إلا أن يكون موسى بن يزيد ابن موهب الأملوكي، أبا عبد الرحمن الشامي، الذي يروي عن أبي أمامة ويروي عنه معاوية بن صالح، ويقال له أيضًا: موسى بن مرّة، فإن كان هو فهو مجهول الحال».

وقال الألباني في، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٥ ص٢٧٩: «قلت: وهذا إسناد رجاله موثقون غير موسى ابن يزيد الكندي، فإني لم أعرفه ولا ذكره الحافظ المزي في شيوخ ابن خراش في (التهذيب)»، ولكن الألباني رجَّح أنه مسعود بن يزيد الكندي، وأنه تحرف من (مسعود) إلى (موسى)، وأن الهيثمي في مجمع الزوائد ذكر الحديث من طريق الطبراني عن مسعود بن يزيد، وقد وثقه ابن حبان، وكذلك وقع عند ابن الجزري في النشر: (مسعود بن يزيد)، حينما أورد الحديث بإسناده إلى الطبراني، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ جَلِيلٌ حُجَّةٌ وَنَصٌّ فِي هَذَا الْبَابِ، رِجَالُ إِسْنَادِهِ ثِقَاتٌ»، فدل ذلك على أن (موسى) في الطبراني محرف من (مسعود)؛ ولذا رجَّح الألباني أن الحديث حسن. انظر: الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحية**، ج٥ ص٢٧٩-٢٨٠، حديث رقم: (٢٢٣٧).

فقوله: «يمد صَوته مدًا»، أي: «يُطِيل الْحُرُوف الصَّالِحَة للإطالة، يَسْتَعِين بهَا على التدبر والتفكر وتذكير من يتذَكَّر»[(١)].

وقوله: «كَانَتْ مَدًّا». و: «فمدَّها [فَمَدَّدَها]»، أي: كانت ذات مدٍ[(٢)]، فكان النبي ﷺ يقرأ بالمد في موضعه، كما مثل به أنس ﷺ، ويُحتمل -بالإضافة إلى ذلك- أن تكون كل قراءة حروفه بالمد، على تفسير المد بأنه الترتيل، كما قيل: إن المقصود بالمد هنا، هو: الترتيل، فيكون من باب إطلاق الخاص وإرادة العام، إذ إن المد جزء من الترتيل، ويدل عليه أن أنس ﷺ أطلق الجواب، لما سئل عن كيفية قراءة النبي ﷺ، -كما سبق في الروايات آنفة الذكر-، فذكر أنها كانت مدًا، وهذا يعود على جميع القراءة لا على جزئها فقط.

ويدل عليه -أيضًا-: ما رواه: مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]. قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ عَامَّةَ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَتِ بِالْمَدِّ»[(٣)]، فلا تكون عامَّة قراءته ﷺ بالمد إلا على معنى الترتيل، لأن حروف المد لا تُشكِّل أغلب القرآن، بل هي قليلة بالنسبة لسائر حروف القرآن.

٤- قراءة النبي ﷺ هي الترتيل:

كانت قراءة النبي ﷺ هي الترتيل، والترتيل هو الذي أمر الله تعالى نبيه أن يقرأ به، وأمر أمته أن تقرأ به كما قرأ النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، وهو الذي فسر به المكث في قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء:١٠٦]،

---

(١) السندي، **حاشية السندي على سنن النسائي**، ج٢ ص١٧٩.

(٢) انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩ ص٩١.

(٣) أخرجه: عبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، ج٣ ص٣٥٦، رقم: (٣٣٦٣).

والترتيل هو الحال الذي نزل به القرآن الكريم في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢]؛ أي: أنزلناه على الترتيل، وهو: ضد العجلة(١).

والترتيل هو الذي أقرأ به جبريل عليه السلام، النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يعجل بالقرآن عند التعلم فيسارع إلى تحريك لسانه مخافة أن يتفلت منه القرآن حفظًا وفهما وكيفية قراءة؛ فجاءه الأمر بعدم العجلة به، وتكفل الله له بتثبيته في صدره؛ فكان يستمع ثم ينصت؛ فيعي القرآن ثم إذا علمه لقومه علمه كما أُنزل من غير زيادة ولا نقصان -كما سبق بيانه-، وقد جاء توضيح ذلك في غير ما حديث؛ منها غير ما سبق:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١]، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [القيامة:١٧] فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ. ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧] فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩]. قَالَ: «**إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ**»، قَالَ: «**وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ**»(٢).

فقوله: «**فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ**»، أي ما وعده الله تعالى بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩]؛ فالقراءة كما وعده الله؛ هي: الترتيل. وقد جاء تفسير ذلك في بقية روايات الحديث التي سبقت، وهي تدل على أن ما وعده الله تعالى هي القراءة ترتيلا كما أُنزل، ومنها: «**فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ**

---

(١) كل هذا سبق بيانه وتوضيحه.

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٤٤). وقد سبق تخريجه مفصلًا.

جِبْرِيلُ، قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ [أَقْرَأَهُ]». ويجيء -أيضًا- تفسيره في الحديث الآتي:

عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: «**مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِه قَاعِدًا قَطُّ، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِه بِعَامٍ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ**(١) **قَاعِدًا، وَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ، فَيُرَتِّلُهَا، حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا**»(٢).

فَقَوْلُهَا: «**فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا**»: فيه دلالة على التزام النبي ﷺ القراءة بالترتيل في الصلاة وفي غيرها، رغم مرضه، ولم يمنعه مرضه من الترتيل حتى وإن طالت الصلاة، فتكون السورة التي رتلها أطول من السورة التي يقرأؤها غيره هذًّا، وهذا معنى كونها أطول من أطول منها.

قال ابن عبد البر: «يَعْنِي: إِذَا لَمْ تُرَتَّلِ الْأُخْرَى وَهُذَّ فِيهَا. وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ تَرْتِيلًا لَا هَذًّا، وَبِذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ ﷻ، فَقَالَ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾...»(٣).

وتدل سائر أوامر النبي ﷺ لأمته بالترتيل، وبيانه للإثابة عليه، على أن النبي ﷺ التزم الترتيل قبل أن يأمر الناس به، وفي ذلك نصوص كثيرة، منها: عن عبد الله ابن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرأ وَارْقَ [ت: وارتَقِ]، ورتِّل كما كُنْتَ ترتِّل في الدُنيا، فإن منزلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها [ت: تَقْرَأُ بِهَا]**»(٤).

---

(١) السُّبْحَةَ: اسْمٌ لِصَلَاةِ النَّافِلَةِ. انظر: ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج٢ ص١٨١.

(٢) أخرجه: مالك، **الموطأ**، (٢١).

(٣) ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج٢ ص١٨١. وانظر: ابن عبد البر، **التمهيد**، ج٦ ص٢٢٢-٢٢٣.

(٤) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٦٧٩٩)، أبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٦٤)، والترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩١٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصحح إسناده أحمد شاكر، **تحقيقه على المسند**، ج٦ ص٣١٣، وقال الألباني، **صحيح سنن أبي داود (الأم)**، ج٥ ص٢٠٥، (١٣١٧): «قلت: إسناده حسن صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي»، وحسن إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج١١ ص٤٠٤.

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «**كَانَ رَأْسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِ إِحْدَانَا وَهِيَ حَائِضٌ، وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ**»(١). والتلاوة، هي: حُسْنُ القِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، وهي وصف من أوصاف الترتيل.

وقد نهى ابن عباس ﵁، وابن مسعود ﵁، عن القراءة بسرعة من غير ترتيل، ووصفا أن قراءة النبي ﷺ هي الترتيل، وأن الإسراع بالقراءة يؤدي إلى عدم التأمل والتدبر، وهو ضد الترتيل بها، ويسمّى الإسراع بالقراءة بـ: (الهذّ)(٢).

وقد بوَّب البخاري قبل حديث ابن عباس ﵁ في كتاب فضائل القرآن بابًا لترتيل القرآن الكريم، وأطال في الباب، فقال: (بَابُ: التَّرْتِيلِ فِي القِرَاءَةِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤] وَقَوْلِهِ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء:١٠٦]، «وَمَا يُكْرَهُ أَنْ يُهَذَّ كَهَذِّ الشِّعْرِ فِيهَا»، ﴿يُفْرَقُ﴾ [الدخان:٤]: «يُفَصَّلُ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء:١٠٦]: «فَصَّلْنَاهُ»)(٣).

---

(١) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، (٢٧٤) و(٣٨١) غير أنه قال هنا: «وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ» بدل قوله: «وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ»، وحسنه الألباني، **صحيح سنن النسائي**، ج١ ص٤١٨، رقم الحديث: (٢٧٤)، **وفي إرواء الغليل**، ج١ ص٢١٣، تحت حديث رقم: (١٩٤).

(٢) **الهذّ لغة**، هو: سرعة القطع، وسرعة القراءة. يقال: هذَّ القرآن يهذه هذًّا، أي: يسرده. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣ ص٥١٧، الزبيدي، **تاج العروس**، ج٩ ص٤٩٨، مادة: (هذذ).

والهذّ اصطلاحًا: الإسراع بالقراءة من غير تأمل كالذي ينشد الشعر. فقد عرفه **الخطابي**: سرد القراءة ومداركتها في سرعة واستعجال. وعرفه **العيني**: سرعَة الْقطع والمرور فِيهِ من غير تأمل للمعنى، كَمَا ينشد الشّعْر. **وخالف النووي** فخصَّه بالعجلة المفرطة فقط دون الإنشاد، فعرفه بأنه: شدة الإسراع، والإفراط في العجلة في تحفظه وروايته لا في إسناده وترنمه، لأنه يُرتل في الإنشاد والترنم في العادة. انظر: الخطابي، **معالم السنن**، ج١ ص٢٠٥، النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج٦ ص١٠٥، العيني، **عمدة القاري**، ج٢٠ ص٥٣.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٤٣).

وحديث ابن عباس ﷺ، هو: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عباس، قَالَ: غَدَوْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَرَأْتُ المُفَصَّلَ البَارِحَةَ، فَقَالَ: «**هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا القِرَاءَةَ [م: الْقَرَائِنَ]، وَإِنِّي لَأَحْفَظُ القُرَنَاءَ [م: الْقَرَائِنَ] الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ بِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ [م: يَقْرَؤُهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ]، ثَمَانِيَ عَشْرَةَ [م: ثَمَانِيَةَ عَشَرَ] سُورَةً مِنَ المُفَصَّلِ، وَسُورَتَيْنِ مِنْ آلِ حم**»[١]. وفي رواية: «**هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، لَقَدْ عَلِمْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهِنَّ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ**»[٢]. وفي رواية: جَاءَ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «**هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ**»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «**لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ**»، قَالَ: فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ سُورَتَيْنِ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ[٣].

وفي رواية عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ؟ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾، أَوْ «مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ»؟ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا، قَالَ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «**هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ، إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ**»...[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٤٣)، ومسلم، صحيح مسلم، (٨٢٢/٢٧٨)، دون قوله: «سُورَةً».

(٢) أخرجها: مسلم، صحيح مسلم، (٨٢٢/٢٧٩).

(٣) أخرجها: مسلم، صحيح مسلم، (٨٢٢/٢٧٩).

(٤) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨٢٢/٢٧٥).

وفي رواية قال: «إِنَّمَا فُصِّل لتفصِّلوه، هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَنَثْرًا كَنَثْرِ الدَّقَل؟ لَقَدْ علمتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرِنُ بَيْنَهُنَّ، بِسُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، بِسُورَتَيْنِ فِي كل ركعة»(١).

وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فهو: عن علقمةَ والأسود، قالا: أتى ابنَ مسعودٍ رجلٌ، فقال: إني أقرأ المُفَصَّل في رَكعة، فقال: «أهذًّا كهذِّ الشِّعرِ ونثرًا كنثر الدَّقَل؟ لكنَّ النبي ﷺ كان يقرأ النَّظائرَ السُورتين في رَكْعةٍ: (الرحمن، والنجم) في ركعة، و(اقتربت، والحاقة) في ركعة، و(الطور، والذاريات) في ركعة، و(إذا وقَعَت، ونون) في ركعة، و(سأل سائل، والنازعات) في ركعة، و(وَيْلٌ للمطففين، وعبس) في ركعة، و(المدَّثر، والمزمِّل) في ركعة، و(هل أتى، ولا أقسمُ بيوم القيامة) في ركعة، و(عمَّ يتساءلون، والمرسلات) في ركعة، و(الدخان، وإذا الشمسُ كورت) في ركعة»(٢).

فقد أنكر ابن عباس رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه، على الرجل أن يقرأ القرآن هذًّا؛ لما فيه من ذهاب المعاني، وأخبره أن القراءة تكون بالترتيل كما سمعها من النبي ﷺ.

فقول ابن عباس رضي الله عنه: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ». وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «أهذًّا كهذِّ الشِّعرِ ونثرًا كنثر الدَّقَل؟»: فيه إنكار على من قرأ المفصل(٣) في ليلة أو في ركعة؛

(١) أخرجه: سعيد ين منصور، التفسير من سنن سعيد بن منصور، ج٢ ص٤٥٩، حديث رقم: (١٥٩)، وصحح إسناده محقق الكتاب، وقال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجاه»، ج٢ ص٤٦١.

(٢) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٩٦). وقال أبو داود: «هذا تأليف ابن مسعود -رحمه الله-»، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (الأم)، وقال: «قلت: حديث صحيح، وقد صححه ابن خزيمة، وأحرجه الشيخان في «صحيحيهما» من طريق أخرى عن ابن مسعود-دون سَردِ السور-»، ج٥ ص١٤٠، حديث رقم: (١٢٦٢).

(٣) المفصَّل من القرآن يبدأ من بداية سورة (ق) على الراجح، وينتهي بانتهاء القرآن الكريم؛ وسمي مفصلًا؛ لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة. انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١ ص٢٥٠، ابن حجر، فتح الباري، ج٢ ص١٩٥ و٢٤٩-٢٥٠، و٢٥٩.

نظرًا لسرعته في القراءة من غير تدبر ولا تأمل؛ وقد سَمَّيَا تلك القراءة بالهذّ، ووصف الشعر بأنه يُهَذّ؛ لأن تلك الصفة كانت عادتهم في إنشاد الشعر(١). والدقل؛ هو: أردأ أنواع التمر(٢)، وفيه يبوسة. والمعنى: أن ثمر الدقل إذا انتثر تفرق سريعًا، ولم يلصق بعضه ببعض(٣)؛ فشبَّه الذي يقرأ القرآن بسرعة هذًّا؛ بتساقط التمر اليابس من العذق إذا هُزَّ(٤).

وقوله: «إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ»: فيه إشارة إلى الخوارج الذين يقرأوون القرآن ولا تعيه قلوبهم فلا يجاوز تراقيهم إلى قلوبهم، وأن أحسن القراءة وأنفعها ما وقعت في القلب، وهي لا تقع في القلب إلا بالترتيل.

وقول ابن عباس رضي الله عنه: «إِنَّمَا فُصِّل لتفصِّلوه»: فيه تفسير لقول الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢].

قال ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد كراهة الإفراط في سرعة التلاوة؛ لأنه ينافي المطلوب من التدبر والتفكر في معاني القرآن، ولا خلاف في جواز السرد بدون تدبر لكن القراءة بالتدبر أعظم أجرًا»(٥).

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٢ ص٢٥٩.

(٢) انظر: الفيومي، المصباح المنير، ج١ ص١٩٧، مادة: (دقل).

(٣) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج١٠ ص٦٨٤١، مادة: (هذّ).

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥ ص١٩١، مادة: (نثر).

(٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٢ ص٢٦٠.

٥- قراءته ﷺ القرآن على الدابة:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى رَاحِلَتِهِ سُورَةَ الفَتْحِ**»(١).

فيه دلالة على جواز القراءة على الدابة، وفيه دلالة على رفع الصوت بالقرآن؛ لأنه لو لم يكن النبي ﷺ رافعًا صوته لما سمعوه وهو يقرأ على الدابة، وفي الحديث دلالة على الترجيع، كما سيأتي في رفع صوته ﷺ بالقرآن وفي الترجيع في طرق الحديث ورواياته.

٦- قراءته ﷺ بالترجيع:

عن أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ، قَالَ: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ -أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ- قِرَاءَةً لَيِّنَةً، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ**»(٢). وفي رواية: عَنْ شُعْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِيَاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ**»، فَقَرَأَ فَرَجَّعَ أَبُو إِيَاسٍ فِي قِرَاءَتِهِ، فَذَكَرَ عَنِ ابْنِ مُغَفَّلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**رَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ**»(٣).

وفي رواية عنه، عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ، يَقُولُ: «**قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ**» قَالَ مُعَاوِيَةُ: «**لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيَّ النَّاسُ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٣٤).

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٤٧)، وأبو داود، سنن أبي داود، (١٤٦٧)، بدون قوله: «وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ»، «قِرَاءَةً لَيِّنَةً».

(٣) أخرجه: النسائي، السنن الكبرى، (٨٠٠٠).

(٤) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٣٧/٧٩٤).

وفي رواية: عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يوم فَتْح مَكَّةَ على نَاقَتِه، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ**»، قَالَ: فَقَرَأَ ابْنُ مُغَفَّلٍ وَرَجَّعَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «**لَوْلَا النَّاس لَأَخَذْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ مُغَفَّلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**»[(١)]. وَفِي لفظ من حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: «**عَلَى رَاحِلَةٍ يَسِيرُ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ**»[(٢)].

وهذه الروايات السابقة تثبت ترجيعه ﷺ في القراءة، والترجيع؛ هو: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة وأصله الترديد، وترجيع الصوت ترديده في الحلق. وقيل إن الترجيع: تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة[(٣)]. وقيل: إن الترجيع هو التغني الوارد في الحديث؛ لذا قال ابن بطال: «والمعروف في كلام العرب: أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع»[(٤)].

وقد اختلف العلماء في سبب ترجيعه ﷺ؛ فذهب بعضهم إلى أن سبب ترجيعه ﷺ كان بسبب اهتزاز الناقة التي كان يركبها. وذهب بعضهم إلى أنه سبب ترجيعه ﷺ هو تحسين الصوت بالقرآن وهو ضرب من التلاوة أرفع من الترتيل، وعليه يكون الترجيع نوعًا من التغني بالقرآن وهو مأمور به[(٥)]، والصواب أن سبب ترجيعه ﷺ؛ هو: تحسين صوته بالقراءة، وأنه صدر منه عمدًا لا بسبب اهتزاز الناقة.

---

(١) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٤/٢٣٨).

(٢) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٤/٢٣٩). من طريق خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ.

(٣) انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩ ص٩٢.

(٤) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٢٦١.

(٥) انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩ ص٩٢، العيني، **عمدة القاري**، ج٢٠ ص٥٥.

يدل على ذلك قول عبد الله بن مغفل ﷺ في الأحاديث السابقة: «قِرَاءَةً لَيِّنَةً، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ». وقوله: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيَّ النَّاسُ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَه». وقول معاوية عنه: فَقَرَأَ ابْنُ مُغَفَّلٍ وَرَجَّعَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «لَوْلَا النَّاسُ لَأَخَذْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ مُغَفَّلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ». فما كان عبد الله بن مفغل ليصف قراءته بالليونة في موضع الثناء عليها، والحال أنها صدرت عن غير عمد بسبب اهتزاز الناقة، وما كان له أن يقرأ ويرجع كما كان يرجع النبي ﷺ، وهو ترجيع غير مقصود.

ويؤكد هذا المعنى ما جاء في حديث أم هانئ: فعَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ هَانِئٍ، قَالَتْ: «كُنْتُ أَسْمَعُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَنَا نَائِمَةٌ عَلَى عَرِيشِي وَهُوَ يُصَلِّي يُرَجِّعُ بِالْقُرْآنِ»(١).

وفي رواية: عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ، قَالَتْ: «كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُرَاجِعُ بِهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَنَا مُتَّكِئَةٌ عَلَى عَرِيشِي»(٢).

وأصل حديث أم هانئ: أخرجه ابن أبي شيبة(٣)، وأحمد(٤)، والنسائي(٥)، وابن ماجه(٦)، والطحاوي(٧)، والطبراني(٨)، وحسنه الألباني(٩)؛ بلفظ: عَنْ يَحْيَى بْنِ

(١) أخرجه: الطحاوي، شرح معاني الآثار، (٢٠٢٤).

(٢) أخرجه: الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٤ ص٤١١، حديث رقم: (٩٩٩).

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، (٣٦٧٢)، دون قولها: «بِاللَّيْلِ».

(٤) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٦٨٩٤) و(٢٦٩٠٥) و(٢٧٣٨٢). وصحح إسناده شعيب ومن معه، تحقيقه على المسند، ج٤٤ ص٤٦٥ و٤٧٥. وج٥ ص٣٨٠.

(٥) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (١٠١٣)، وفي السنن الكبرى، له، (١٠٨٧)، دون قولها: «بِاللَّيْلِ».

(٦) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٤٩).

(٧) أخرجه: الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج١ ص٣٤٤، حديث رقم: (٢٠٢٥).

(٨) أخرجه: الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٤ ص٤١١، حديث رقم: (٩٩٨).

(٩) الألباني، أصل صفة صلاة النبي ﷺ، ج٢ ص٤٢٢، ومختصر الشمائل المحمدية، له، ص١٦٧.

جَعْدَةَ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَتْ: «**كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ [حم: فِي جَوْفِ اللَّيْلِ] وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي [حم: هَذَا، وَهُوَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ]**».

ومنه يظهر معنى الترجيع الحاصل منه ﷺ، وهو: لا يخرج عن ثلاثة معانٍ: **الأول:** تحسين الصوت بالقراءة والتغني بها. **والثاني:** إشباع المد في موضعه. **والثالث:** تكرير الآية أو بعضها[1]. وكلها معانٍ محمودة للترجيع يحتملها حديث الترجيع، ولا منافاة بينها وبين أصول التجويد والقراءة الصحيحة، غير أن المعنيان الأول والثاني أظهر فيما نحن بصدده، والمعنى الثالث صحيح لكن في غير هذا الموطن؛ لأنه من معاني الترجيع في اللغة، وقد ثبت عنه ﷺ ترديد بعض الآيات.

ويدل على المعنى الأول: قول عبد الله بن مغفل رضي الله عنه في الأحاديث السابقة: «**قِرَاءَةً لَيِّنَةً، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ**». وفي رواية عَنْ أَبِي إِيَاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: «**قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ بِسُورَةِ الْفَتْحِ، فَمَا سَمِعْتُ قِرَاءَةً أَحْسَنَ مِنْهَا يُرَجِّعُ**»[2].

ويدل على المعنى الثاني: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ -أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ-**». قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ: يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغَفَّلٍ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ، يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ قَالَ: «**آآآ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[3]. وفي رواية: قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ

---

(١) انظر: القثامي، **الترجيع في القراءة مفهومه وأحكامه**، ص٣٥.

(٢) أخرجه: النسائي، **السنن الكبرى**، (٨٠٠١).

(٣) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٧٥٤٠)، والروياني، **مسند الروياني**، (٨٧٩)، غير أنه ذكر «آآ» بدل قول: «آآآ ثلاثَ مرَّاتٍ».

قُرَّةَ: كَيفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ قَالَ: «آآآآآآآ»(١).

وعن شُعْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ افْتَتَحَ بِسُورَةِ الْفَتْحِ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، فَرَجَّعَ فِيهَا آآآ، يَهْمِزُ وَيَتَرَسَّلُ»(٢). وفي رواية: قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ قَالَ: «آهٍ آهٍ آهٍ»(٣). وهذه الأحاديث حسنة بمجموع طرقها، يؤيد بعضها بعضًا(٤).

قال ابن بطال: «ومعنى حديث ابن مغفل في هذا الباب التنبيه على أن القرآن، بالترجيع، والألحان الملذة للقلوب بحسن الصوت المنشود، لا المكفوف عن مداه الخارج عن مساق المحادثة، ألا ترى أن النبي ﷺ أراد أن يبالغ في تزيين قراءته لسورة الفتح التي كان وعده الله فيها بفتح مكة، فأنجزه له ليستمل قلوب المشركين العتاة على الله، بفهم ما يتلوه من إنجاز وعد الله له فيهم، بإلذاذ أسماعهم بحسن الصوت المرجَّع فيه بنغم،...»(٥).

وقال ابن حجر: «وقول معاوية: «لولا أن يجتمع الناس»: يشير إلى أن القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء وتستميلها بذلك، حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع المشوب بلذة الحكمة المهيمة»(٦).

---

(١) أخرجه: أبو عوانة، **مستخرج أبي عوانة**، (٣٨٨٤).

(٢) أخرجه: ابن الجعد، **مسند ابن الجعد**، (١١١٢) و(١١١٣).

(٣) أخرجه: ابن الجعد، **مسند ابن الجعد**، (١١١٤).

(٤) وهي أحاديث حسنة يشد بعضها من بعض، وقد أشار إلى حسن بعضها: ابن حجر في **فتح الباري**، ج٩ ص٩٢ وج١٣ ص٥١٥، والألباني في، **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، ج٢ ص٥٦٧-٥٦٩.

(٥) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٥٣٨.

(٦) ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٣ ص٥١٥.

وهنا يُشبع القارئ المد في موضعه على المقدار الوارد في صفة القراءة، وهو بمقدار ثلاثة ألفات، كما ورد في الحديث، وليس فوق ذلك قدر زائد، والزيادة تعتبر خروجًا عن القراءة الصحيحة، ولذ قال ابن بطال: «آ آ آ ثلاثًا، وهذا غاية الترجيع»(١).

ويدل على المعنى الثالث: عَنْ جَسْرَةَ الْعَامِرِيَّةِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يُرَدِّدُ آيَةً حَتَّى أَصْبَحَ يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا زِلْتَ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى صَبَّحْتَ؟ قَالَ: «**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي وَهِيَ نَائِلَةٌ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**»(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَدَّدَ آيَةً حَتَّى أَصْبَحَ**»(٣).

وهذا الترجيع بمعنى الترديد والتكرير للآية ثابت في السنة عن النبي ﷺ، لكنه غير الترجيع الذي نحن بصدد الحديث عنه.

---

(١) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٣٧٥.

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة، **مصنف ابن أبي شيبة**، (٣١٧٦٧)، وأحمد، **المسند**، (٢١٣٢٨)، والخلال، **السنة**، (١١٨١)، والبيهقي، **السنن الكبرى**، (٤٧١٧)، والبيهقي، **شعب الإيمان**، (١٨٨٠)، واللفظ لهم، وحسن إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج٣٥ ص٢٧٥.

وأخرجه مختصرًا بدون الجملة الأخيرة: ابن أبي شيبة، **مصنف ابن أبي شيبة**، (٨٣٦٨)، وأحمد، **المسند**، (٢١٣٨٨)، والنسائي، **سنن النسائي**، (١٠١٠)، **والسنن الكبرى**، له، (١٠٨٤) و(١١٠٩٦)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (١٣٥٠)، وابن خزيمة معلقًا، **صحيح ابن خزيمة**، بعد حديث رقم: (٥٣٩)، والطحاوي، **شرح معاني الآثار**، (٢٠٤٣)، والحاكم، **المستدرك**، (٨٧٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده البوصيري، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، ج١ ص١٥٩، وصححه الألباني، **تحقيقه على مشكاة المصابيح**، ج١ ص٣٧٨، حديث رقم: (١٢٠٥/١٨)، وفي: **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، ج٢ ص٥٣٤-٥٣٨، وحسن إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج٣٥ ص٣١٠.

وأخرجه مطولًا: البزار، **مسند البزار**، ج٩ ص٤٤٩، حديث رقم: (٤٠٦٢).

(٣) أخرجه: أحمد، **المسند**، (١١٥٩٣)، وحسن إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج١٨ ص١٣٧.

٧- قراءته ﷺ بدون تكلف:

عن أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ، قَالَ: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ -أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ- قِرَاءَةً لَيِّنَةً، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ**»[١].

قلت: وقوله: «قِرَاءَةً لَيِّنَةً»، أي: سهلة من غير تكلف، وفيه دلالة على السهولة واليسر وعدم التكلف الذي عليه سنن القراء، وهو الموافق لما نص عليه علماء التجويد بدون تكلف أو تعسف.

٨- بكاء النبي ﷺ أثناء القراءة وعند سماعها:

وكان النبي ﷺ يبكي أثناء قراءته القرآن: فعَنْ عطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: «**قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا**». فقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: (زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا). قَالَ فَقَالَتْ: «**دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ**». قَالَ ابن عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله ﷺ. قال: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، ذَرِينِي أَتعبدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**». قُلْتُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ**». قَالَتْ: فَقَامَ فَتطَهرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَتْ: «**فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ**». قَالَتْ: «**ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحيَتَهُ**». قَالَتْ: «**ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ**»، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

---

(١) سبق تخريجه.

وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمران:١٩٠]». **الآية كلّها**(١).

قال الألباني عقب تخريجه للحديث: «فيه فضل النبي ﷺ، وكثرة خشيته، وخوفه من ربه، وإكثاره من عبادته، مع أنه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فهو المنتهى في الكمال البشري. ولا جرم في ذلك فهو سيد البشر ﷺ»(٢).

وكان النبي ﷺ إذا استمع لقراءة أحدهم خشع حتى تذرف عيناه وتسيل دموعه: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ [م: وهو على المنبر]: «**اقْرَأْ عَلَيَّ** [م: **القرآن**]»، قُلْتُ [م: قال: فقلت]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: «**نَعَمْ**» [«**إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمعهُ مِنْ غَيْرِي**»]؛ [قال:] فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ [م: بلغتُ] إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء:٤١]، قَالَ [لي]: «**حَسْبُكَ الآنَ**» [«**كُفَّ -أَوْ أَمْسِكْ-**»،فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ]؛ فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ [م: رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي؛ فَرَفَعْتُ رَأْسِي؛ فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ](٣).

٩- قراءته ﷺ جهراً وسراً:

وكان النبي ﷺ ربما جهر في قراءة القرآن، وربما أسرَّ، سواء كان ذلك في الصلاة أو في خارج الصلاة: فعَنْ غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ:

---

(١) أخرجه: ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٦٢٠)، وحسنه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج١ ص١٤٧-١٤٨، حديث رقم: (٦٨)، **والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**، ج٢ ص٨٣، حديث رقم: (٦١٩).

(٢) الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها**، ج١ ص١٤٨.

(٣) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٥٠). وما بين المعقوفين أخرجه في (٥٠٥٥)، وما بين المعقوفين بعد رمز: [م:...] أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٨٠٠/٢٤٧)، وأخرجه بألفاظ قريبة برقم: (٨٠٠/٢٤٨)؛ غير أنه قال: (فبكى)، بعد الآية مباشرة، وأخرجه بنحوه: أحمد، **المسند**، (٣٦٠٦).

أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ أَوْ يُخَافِتُ بِهِ؟ قَالَتْ: «رُبَّمَا جَهَرَ وَرُبَّمَا خَافَتَ»، قُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ سَعَةً(١). وفي رواية: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ يَجْهَرُ بِصَلَاتِهِ، أَوْ [أَمْ] يُخَافِتُ بِهَا؟ قَالَتْ: «رُبَّمَا جَهَرَ بِصَلَاتِهِ، وَرُبَّمَا خَافَتَ بِهَا»، قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ:... كَيْفَ كَانَتْ [قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ] قِرَاءَتُهُ يُسِرُّ أَوْ [أَمْ] يَجْهَرُ؟ قَالَتْ: «كُلُّ ذَلِكَ [قَدْ] كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا أَسَرَّ، وَرُبَّمَا جَهَرَ [رُبَّمَا جَهَرَ، وَرُبَّمَا أَسَرَّ]». قَالَ: قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً»(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ يَرْفَعُ طَوْرًا، وَيَخْفِضُ طَوْرًا»(٤).

---

(١) أخرجه: أحمد مطولًا، **المسند**، (٢٤٢٠٢)، واللفظ لمن يأتي: ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (١٣٥٤)، والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج٣ ص٦٠-٦١، حديث رقم: (٢٤٧٩)، وفي **مسند الشاميين**، له، ج١ ص٢١٩، حديث رقم: (٣٩١)، وج١ ص٤٢٧، حديث رقم: (٧٥٠)، وج٣ ص٢٧١، حديث رقم: (٢٢٣٩)، وقال الألباني: «حسن صحيح»، في **صحيح سنن ابن ماجه**، ج٣ ص٣٥٤، وفي **صحيح سنن أبي داود**، ج١ ص٤٠٧-٤٠٨، حديث رقم: (٢٢٢)، وفي **صحيح سنن أبي داود (الأم)**، ج١ ص٤٠٧، حديث رقم: (٢٢٣)، وفي **تحقيقه على مشكاة المصابيح**، ج١ ص٣٣٦، حديث رقم: (١٢٦٣/١٠)، وصحح إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على سنن ابن ماجه**، ج٢ ص٣٧٤، وفي **تحقيقه على المسند**، ج٤٠ ص٣٣٩.

(٢) أخرجه: ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٢٤٤٧) وله هنا ما بين المعقوفين، ورقم (٢٥٨٢)، وصحح إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على صحيح ابن حبان**، ج٦ ص٢٠٠ و٣١٩.

(٣) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٢٤٤٥٣) وما بين المعقوفين برقم: (٢٥١٦٠)، وصححه الألباني، في **مختصر الشمائل المحمدية**، ص١٦٧، وصحح إسناده شعيب ومن معه، وقال: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، **تحقيقه على المسند**، ج٤- ص٥٠٩ وج٤٢ ص٨٢.

(٤) أخرجه: أبو داود، **سنن أبي داود**، (١٣٢٨) وما بين المعقوفين برقم: (٢٥١٦٠)، وصححه الألباني، **صحيح سنن أبي داود**، ج٥ ص٧٣، (١١٩٩).

وعَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ، أَنَّ كُرَيْبًا أَخْبَرَهُ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ: مَا صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ قَالَ: «**كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي بَعْضِ حُجَرِهِ، فَيَسْمَعُ مَنْ كَانَ خَارِجًا**»(١).

وكان ﷺ ينهى أصحابه عن رفع الصوت جدًا، لئلا يؤدي إلى إيذاء الآخرين: فعَنْ أَبِي حَازِمٍ التَّمَّارِ، عَنْ الْبَيَاضِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ**»(٢).

وربما أمر بالتوسط في رفع الصوت -كما أمره الله تعالى وسيأتي ذكره في العنوان بعد هذا-: فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه يُصَلِّي يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ، قَالَ: وَمَرَّ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ**»، قَالَ: قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَقَالَ لِعُمَرَ: «**مَرَرْتُ بِكَ، وَأَنْتَ تُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَكَ**»، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ -زَادَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ:- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا**»، وَقَالَ لِعُمَرَ: «**اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا**»(٣).

---

(١) أخرجه: ابن حبان، صحيح ابن حبان، (٢٥٨١)، وقوى إسناده شعيب ومن معه، تحقيقه على صحيح ابن حبان، ج٦ ص٣١٩.

(٢) أخرجه: مالك، الموطأ، (٢٩).

(٣) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٣٢٩)، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج٥ ص٧٤، حديث رقم: (١٢٠٠)، وقال: «قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا قال الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان أيضًا».

١٠- رفع النبي ﷺ صوته بالقراءة:

وكان النبي ﷺ يرفعُ صوته بالقرآن فلما آذاه المشركين خفض صوته فلم يعد يسمعه أصحابه، فأمره الله ﷻ بالتوسط بين ذلك: فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوا صَوْتَهُ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْفِضُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ مَا كَانَ يَسْمَعُهُ أَصْحَابُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ** ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]»(١).

وعَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﷻ: «﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠]. **قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ [حم، م: مُتَوَارٍ] بِمَكَّةَ، فَكَانَ [حم: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ] إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ [حم، م: بِالْقُرْآنِ]**». -وَقَالَ ابْنُ مَنِيعٍ: يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ-، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوا صَوْتَهُ [م: فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ] سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء:١١٠]، أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ [م: قِرَاءَتَكَ]، فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠]: عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلَا يَسْمَعُوا [حم: فلا تسمعهم القرآن حتي أخذوه عنك] [م: عَنْ أَصْحَابِكَ أَسْمِعْهُمُ الْقُرْآنَ وَلَا تَجْهَرْ ذَلِكَ الْجَهْرَ] ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠] [م: يَقُولُ: بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمُخَافَتَةِ](٢).

---

(١) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (١٠١٢)، وصححه الألباني، **صحيح سنن النسائي**، ج٣ ص١٥٦.

(٢) أخرجه: أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٤٤٦/١٤٥)، وأحمد، المسند، حديث رقم: (١٥٥) و(١٨٥٣)، وصححه إسناد أحمد: أحمد شاكر، **تحقيقه على المسند**، ج١ ص٢٣١ وج٢ ص٤٢٨، وصحح إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، وقال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، ج١ ص٢٩٥ وج٣ ص٣٥٢، والنسائي، **سنن النسائي**، (١٠١١)، والسياق السابق له، وصححه إسناد النسائي: الألباني، **صحيح سنن النسائي**، ج٣ ص١٥٥.

وكان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن حتى يسمعه الصحابة من بعيد، وذلك لما أمن من إيذاء المشركين: فعَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالَتْ: «**كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ [جه: بالليل] وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي**»(١).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى رَاحِلَتِهِ سُورَةَ الفَتْحِ**»(٢).

وعن أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِه أَوْ جَمَلِه، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ -أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ- قِرَاءَةً لَيِّنَةً، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ**»(٣).

فسماع الصحابة له ﷺ وهو يقرأ على الدابة، دليل على أنه كان رافعًا صوته بالقرآن حتى يسمعه المرء من بعيد، وكان ذلك في حال الأمن وذهاب الخوف من المشركين.

١١- حسن صوته ﷺ بالقراءة:

وكان النبي ﷺ حسن الصوت جدًا: فعن عَدِيِّ بْنُ ثَابِتٍ، سَمِعَ البَرَاءَ رضي الله عنه، قَالَ: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي العِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ [حم: إِذَا قَرَأَ ﷺ] [هك: وَقِرَاءَةً] أَوْ قِرَاءَةً [خ: مِنْهُ]**»(٤). وفي لفظ: «**فَلَمْ أَسْمَعْ**

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه: أحمد، المسند، (١٨٦٨١) بدون قوله: «أَوْ قِرَاءَةً»، والبخاري، صحيح البخاري، (٧٦٩)، وأخرج ما بين المعقوفين في (٧٥٤٦)، ومسلم، صحيح مسلم، (٧٩٢/٢٣٢)، بدون قوله: «أَوْ قِرَاءَةً»، والبيهقي، السنن الكبرى، (٣٠٦٦).

أَحْسَنَ صوتًا، وَلَا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ»(١). وفي لفظ: «وَمَا سَمِعْتُ إِنْسَانًا أَحْسَنَ قِرَاءَةً مِنْهُ»(٢). وفي لفظ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ، فَمَا سَمِعْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ قِرَاءَةً مِنْهُ»(٣).

١٢- قراءته ﷺ القرآن في ثلاثة أيام فصاعدًا:

وكان النبي ﷺ لا يقرأ القرآن كله في ليلة؛ وينهى عن قراءته في أقل من ثلاثة أيام؛ ليتدبره المرء: فعَنْ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، لما سال عَائِشَةَ رضي الله عنها عن وتر النبي ﷺ أجابته وكان فيما قالت له: «وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ»(٤). وفي لفظ: «لَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ حَتَّى الصَّبَاحِ»(٥).

وعن أبي العلاء يزيدَ بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عبد الله -يعني ابن عمرو- قال: قال رسولُ الله ﷺ: «[جه: لم] لا يَفْقَهُ من قَرَأَ القرآنَ في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ»(٦).

* * *

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (١٨٦٣٩)، وصحح إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، وقال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، ج٣٠ ص٥٩٦.

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (١٨٥٦٦)، وأخرجه مختصرًا برقم: (١٨٥٠٣)، وصحح إسناده شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، وقال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، ج٣٠ ص٥٣٤.

(٣) أخرجه: ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٦٣١٨).

(٤) أخرجه: مسلم مطولًا، **صحيح مسلم**، (٧٤٦/١٣٩).

(٥) أخرجه: ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (١٣٤٨)، وأصله في مسلم مطولًا -كما سبق-.

(٦) أخرجه: ابن داود، **سنن أبي داود**، (١٣٩٤)، الترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٤٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (١٣٤٧).

ثانيًا: أوامره ﷺ ونواهيه المتعلقة بكيفية تعلُّم وتعلِيم القراءة:

١- أمره ﷺ بأن يُقرأ القرآن كما علمهم:

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بأن يقرأوا القرآن كما علمهم، وكان يغضب إذا خالفوا ذلك، أو تنازعوا في القرآن: فعَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُود: تَمَارَيْنَا فِي سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْنَا: خَمْسٌ وَثَلاثُونَ آيَةً، سِتٌّ وَثَلاثُونَ آيَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدْنَا عَلِيًّا يُنَاجِيهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْقِرَاءَةِ. فَاحْمَرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ**»(١).

ولفظ هذا الحديث عام يدل على أن القراءة سنة متَّبعة لا يجوز مخالفتها، ويجب أن يقرأ المرء القرآن كما أنزل مما تعلمه عن شيوخه.

قد جاء معنى ذلك في رواية: **خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ»**(٢). زَادَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ: «**لَا تُخَالِفُ النَّاسَ بِرَأْيِكَ**»(٣).

قال الشافعي: «وإنما أراد قراءة القرآن على الحروف، التي أثبتت في المصحف، الذي هو إمام سنة متبعة، لا يجوز مخالفتها، وإن كان غيرها سائغًا في اللغة»(٤). زاد

---

(١) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٨٣٢)، وصحح إسناده أحمد شاكر في **تحقيقه على المسند**، ج١ ص٥٢٦.

(٢) أخرجه: سعيد بن منصور، **التفسير من سنن سعيد بن منصور**، ج٢ ص٢٦٠، أثر رقم: (٦٧)، البيهقي، **معرفة السنن والآثار**، ج٣ ص٣٢٩، أثر رقم: (٤٧٩٩)، و**السنن الكبرى**، له، (٣٩٩٥)، و**شعب الإيمان**، له، أثر رقم: (٢٤٢٥)، وحسن إسناده محقق سنن سعيد بن منصور، ج٢ ص٢٦٢.

(٣) أخرجه: الطبراني، **المعجم الكبير**، ج٥ ص١٣٣، حديث رقم: (٤٨٥٥). وأخرج مثله البيهقي في، **شعب الإيمان**، عن سليمان بن داود الهاشمي، ج٤ ص٢٢٠، أثر رقم: (٢٤٢٥)،

(٤) أخرجه: البيهقي، **معرفة السنن والآثار**، ج٣ ص٣٢٩، (٤٨٠٠). وانظر: البيهقي، **السنن الكبرى**، ج٢ ص٥٣٩، بعد حديث رقم: (٣٩٩٥).

البغوي: «أجمعت الصحابة والتابعون فمن بعدهم على هذا أن القراءة سنة؛ فليس لأحد أن يقرأ حرفًا إلا بأثر صحيح عن رسول الله ﷺ موافق لخط المصحف أخذه لفظًا وتلقينًا»(١).

٢- أمره ﷺ بتحسين الصوت وتزيينه:

وكان النبي ﷺ يأمر بتحسين الصوت بالقرآن: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، كَإِذَنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**»(٢).

فقوله: «**كَإِذَنِهِ**» بكسر الهمزة؛ أي: بمعنى الحث على تحسين الصوت عن طريق التغني بالقرآن، والأمر به(٣).

وكان ﷺ يُنفِّر من عدم تحسين الصوت بالقرآن، جاعلًا ذلك ليس من سنته ولا من هديه: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**»، وَزَادَ غَيْرُهُ: «**يَجْهَرُ بِهِ**»(٤).

فقوله: «**لَيْسَ مِنَّا**»؛ أي: ليس على هدينا، وليس مثلنا في استعمال هذا الفعل؛ لأنا لا نفعله، فمن فعل ذلك فليس مثلنا(٥).

---

(١) البغوي، **شرح السنة**، ج٤ ص٥١٢.

(٢) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٣/٢٣٤). من طريق يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁. فرواه ابن أيوب: (كإذنه) بكسر الهمزة، وسيأتي من طريق يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: (بأذنه). لذا قال مسلم عقب حديث ابن أيوب: (مِثْلَ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ أَيُّوبَ قَالَ فِي رِوَايَتِهِ: كَإِذْنِهِ).

(٣) انظر: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج٦ ص٨٠.

(٤) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٧٥٢٧)، وأخرجه غيره كثير جدًا.

(٥) انظر: الألباني، **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**، ج١ ص٢٢٢.

قال الكلاباذي: «أَيْ: لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِنَا، وَلَا تَشَبَّهَ بِنَا طَرِيقَةً وَصِفَةً، وَإِنْ كَانَ مِنَّا نِحْلَةً وَمِلَّةً»(١).

٣- محبته ﷺ تحسين الصوت بالقرآن:

وكان النبي ﷺ يحب تحسين الصوت، ويفرح لسماع الصوت الحسن: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ**»(٢). وفي رواية بنفس اللفظ مع زيادة في آخره: «**....، يَجْهَرُ بِهِ**»(٣). وفي لفظ: «**....، كَمَا يَأْذَنُ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ**»(٤). وفي لفظ: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ ﷻ لِشَيْءٍ، يَعْنِي أَذَنَهُ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ**»(٥).

وعنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**»(٦).

وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، كَأَذَنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**»(٧).

فقوله: «**أَذِنَ**»، معنى الإذن في اللغة الاستماع، وهو كناية عن تقريب الله تعالى القارئ وإجزال ثوابه(٨).

---

(١) الكلاباذي، **بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار**، ص٢١٠.

(٢) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٢/٢٣٢).

(٣) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٢/٢٣٣).

(٤) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٢/٢٣٢).

(٥) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، (١٠١٨).

(٦) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٢/٢٣٣)، وأبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٧٣). والنسائي، **سنن النسائي**، (١٠١٧).

(٧) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٣/٢٣٤). من طريق يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٨) انظر: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج٦ ص٧٨.

فقوله: «**كَأَذَنِه**» بفتح الهمزة، وهو مَصْدَرُ أَذِنَ يَأْذَنُ أَذَنًا كَفَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا، أي: يفرح بتحسين تحسين الصوت بالقرآن(١).

وقوله: «**يَجْهَرُ بِهِ**»: تفسير لمعنى التغني، الذي هو تحسين الصوت(٢)، وقد سبق معنى التغني والمراد به.

والمعنى: ما استمع الله لشيء ورضي كرضاه واستماعه لنبي يتغنَّى بالقرآن بصوته الحسن، فيتلوه ويجهر به، حيث إن قوله: «يجهر به» جملة مبينة لقوله: «يتغنى بالقرآن»، والمبين لا يكون على خلاف البيان. وقوله: «يتغنى بالقرآن». بيان لقوله: «ما أذن لنبي»، أي: لصوته، وهو لا يمكن حمله على غير حسن الصوت، ويؤيد ذلك قوله: «ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»(٣).

قال الكلاباذي: «فَقَوْلُهُ ﷺ: «**حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ**»، يُرِيدُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ: قِرَاءَتَهُ عَلَى خَشْيَتِهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَخُشُوعٍ فِي نَفْسِهِ، وَرِقَّةٍ مِنْ فُؤَادِهِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، وَأَفَاضِلِ الْأَوْلِيَاءِ،...، فَذَلِكَ الْكَامِلُ الَّذِي أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»(٤).

وكان النبي ﷺ ربما تحرى سماع قراءة القارئ وهو لا يشعر: فَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «**لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(٥).

---

(١) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٦ ص٧٩.

(٢) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٦ ص٧٩.

(٣) انظر: الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، ج٥ ص١٦٨٢، والكلاباذي، **بحر الفوائد**، ص٢١٠.

(٤) الكلاباذي، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص٢١٠.

(٥) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٣٦/٧٩٣).

وعنه أن النَّبِيّ ﷺ، قَالَ لَهُ: «**يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(١).

وربما حدَّث النبي ﷺ الناس بجمال صوت القارئ فرحًا به ومثنيًا عليه: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَوِ الْأَشْعَرِيَّ، أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(٢).

فقوله: «**مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»: أراد أن صوته حسنًا، وفيه تشبيه حسن الصوت وحلاوة نغمته بصوت المزمار، التي هي آلة من آلات الغناء، وقد أطلقت على الصوت الحسن لما بينهما من المشابهة، وداود عليه السلام كان حسن الصوت جدًا، بل كان إليه المنتهى في حسن الصوت، وقد أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها(٣).

وقد أقر النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها على تحريها سماع صوت القارئ الحسن، وسمع معها وحمد الله تعالى على وجود أمثاله في أمته: فَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: أَبْطَأْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ جِئْتُ، فَقَالَ: «**أَيْنَ كُنْتِ؟**». قُلْتُ: كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ وَصَوْتِهِ مِنْ أَحَدٍ، قَالَتْ: فَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ حَتَّى اسْتَمَعَ لَهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «**هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا**»(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٤٨).

(٢) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٣٥/٧٩٣).

(٣) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٦ ص٨٠.

(٤) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٣٨).

وقد كان النبي ﷺ يطلب تزيين القرآن بالصوت حتى تلتذّه النفس وأنفس السامعين: فعن البراء بن عازب قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم**»(١). وروي مقلوبًا من طريق معمر، وغيره: «**زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ**»(٢).

وذكر الخطابي أن معنى: «**زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم**»؛ أي: زينوا أصواتكم بالقرآن، وهو من المقلوب على عادة العرب في قلب الكلام؛ والمعنى: اشغلوا أصواتكم بالقرآن والهجوا بقراءته واتخذوه شعارًا وزينة(٣)، لكن أنكر ابن بطال، وابن الملقن، والألباني، وغيرهم، ما ذكره الخطابي من أن الحديث مقلوب المعنى؛ لأنه لا حاجة للقلب لمخالفته ظاهر الحديث، ورغم أن كلام الخطابي يتأيَّد برواية معمر وغيره ممن رووا الحديث مقلوبًا، إلا أن هذه الرواية شاذَّة مخالفة لجميع روايات الثقات؛ فكلام الخطابي مرجوح(٤).

---

(١) أخرجه: عبد الرزاق، **مصنف عبد الرزاق**، (٤١٧٥)، وأبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٦٨). والنسائي، **سنن النسائي**، (١٠١٥) و(١٠١٦)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (١٣٤٢)، وابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٧٤٩).

(٢) أخرجه: عبد الرزاق، **مصنف عبد الرزاق**، (٤١٧٦) من طريق: مَعْمَرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه.

وأخرجه: ابن الأعرابي، **معجم ابن الأعرابي**، ج٢ ص٤٣٤، حديث رقم: (٨٥٩)، من طريق: أَحْمَدُ الْعُطَارِدِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه.

وأخرجه: الحاكم، **المستدرك**، (٢٠٩٩). من طريق عَبْدُ الرَّزَّاقِ. ومن طريق سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه.

وأخرجه: الطبراني، **المعجم الكبير**، ج١١ ص٨١، حديث رقم: (١١١١٣)، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأخرجه: أبو عوانة، **مستخرج أبي عوانة**، (٣٨٩٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الألباني: «منكر مقلوب»، **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، ج١١ ص٥٢١، حديث رقم: (٥٣٢٦)، وانظر له: **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، ج٢ ص٥٧٢-٥٧٣.

(٣) انظر: الخطابي، **معالم السنن**، ص٢٩٠.

(٤) انظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٥٤٤-٥٤٦، ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**،=

والصواب في رواية الحديث: «**زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم**»؛ أي: إن الزينة للقرآن، لا للصوت؛ لذلك قال أبو حاتم: «هذه اللفظة من ألفاظ الأضداد يريد بقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»، لا زينوا أصواتكم بالقرآن»[(١)]، ومما يرجّح هذا المعنى الرواية الأخرى التي لا تحتمل التأويل ولا القلب -كما قال ابن الملقن[(٢)]- عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا**»[(٣)]، فالمطلوب زيادة تزيين القرآن في أنفس السامعين بالصوت الحسن، وهذا معنى صحيح كما صرحت به الرواية الأخيرة هذه.

غير أني لا أجد كبير فرق من حيث المعنى بين اللفظين -على ترجيح أن الحديث مقلوب-، فتزيين القرآن بالصوت مطلوب، وكذلك عكسه: تزيين الصوت بالقرآن مطلوب -أيضًا-، وكأن الحاكم أومأ إلى هذا حينما أخرج الحديث باللفظين وأطال

=ج٢٤ ص١١٨، الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، ج١١ ص٥٢١ وما بعدها، حديث رقم: (٥٣٢٦)، **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، ج٢ ص٥٧٢-٥٧٣، قال الألباني في أصل صفة الصلاة: «وهو خطأ بَيِّنٌ رواية ودراية. ومن صححه؛ فهو أغرق في الخطأ؛ لمخالفته للروايات الصحيحة المفسرة في الباب؛ بل هو مثال صالح للحديث المقلوب». وقد أطال الألباني النفس في السلسلة في الرد على من صحح الحديث المقلوب بما لا مزيد عليه.

(١) انظر: ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ج٣ ص٢٦.

(٢) انظر: ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ج٢٤ ص١١٨.

(٣) أخرجه: الدارمي، **سنن الدارمي**، (٣٥٤٤)، والحاكم، **المستدرك**، (٢١٢٥)، والمروزي، **مختصر قيام الليل وقيام رمضان والوتر**، باب: تحزين الصوت بالقراءة وتحسينه، ص١٣٧، وابن الاعرابي، **معجم ابن الأعرابي**، ج٢ ص٧٨٠، (١٥٨٩)، وتمام، **الفوائد**، ج٢ ص٣٧، (١٠٧١)، والبيهقي، **شعب الإيمان**، (١٩٥٥)، وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٢ ص٤٠١، (٧٧١)، **وتحقيقه على مشكاة المصابيح**، ج١ ص٦٧٦، (٢٢/٢٢٠٨)، **وصحيح الجامع**، له، ج١ ص٦٠١ و٦٦٩، حديث رقم: (٣١٤٥) و(٣٥٨١)، **وأصل صفة صلاة النبي ﷺ**، ج٢ ص٥٧٠-٥٧٤، **وصحيح سنن أبي داود (الأم)**، ج٥ ص٢٠٩، تحت حديث رقم: (١٣٢٠)، وقال: «قلت: وإسناده صحيح على شرط مسلم»، وقال المحقق سنن الدارمي: «إسناده صحيح».

في تخريجه وتتبع رواته وطرقه بجميع أسانيده[١]، ووجَّه ابن الملقن الرواية المقلوبة: بأن قوله: «**بالقرآن**» في موضع الحال، أي: زينوا أصواتكم في حال القراءة[٢].

وقال ابن بطال في شرح الحديث: «لأن تزيينه بالصوت لا يكون إلا بصوت يطرب سامعيه ويلتذون بسماعه، وهو (التغني) الذى أشار إليه النبي، وهو الجهر الذى قيل في الحديث: (يجهر به)[٣]... ولا ينكر أن يكون القرآن يزين صوت من أدمن قراءته، وآثره على حديث الناس، غير أن جلالة موقعه من القلوب، والتذاذ السامعين به لا يكون إلا مع تحسين الصوت به»[٤].

٤- أمره ﷺ بالتغني:

وكان النبي ﷺ يأمر بالتغني بالقرآن لتزيينه ولتحسين الصوت به: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ**»، وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ: يُرِيدُ يَجْهَرُ بِهِ[٥].

وعنه أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ**». قَالَ سُفْيَانُ: تَفْسِيرُهُ يَسْتَغْنِي بِهِ[٦].

بل بيَّنَ النبي ﷺ أن من لم يتغن بالقرآن فليس على هديه: فعن سعيد بن أبي سعيد،

---

(١) انظر: الحاكم، **المستدرك**، الأحاديث بالأرقام: (٢٠٩٨-٢١٢٩).

(٢) انظر: ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ج٢٤ ص١١٨.

(٣) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٥٤٤.

(٤) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١٠ ص٥٤٦.

(٥) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٢٣).

(٦) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٢٤).

قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَيسَ منَّا مَنْ لم يتَّغن بالقرآن**»(١).

وعن ابن أبي مُليكة قال: قال عُبيد الله بنُ أبي يزيد: مرّ بنا أبو لبابة، فاتّبعناه حتى دَخَلَ بيته، فدخلنا عليه، فإذا رَجُلٌ رَثُّ البيت رَثُّ الهيئة، فسمعتُه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لَيسَ مِنا مَنْ لم يتَّغَن بالقرآن**». قال: فقلتُ لابن أبي مُليكة: يا أبا محمد، أرأيتَ إذا لم يكن حَسَنَ الصَّوت؟ قال: يُحسِّنُه ما استطاع(٢).

وقد استدل بعض العلماء بالقصة الواردة في هذه الرواية على أن المراد بالتغني: الاستغناء الذي هو ضد الافتقار؛ لأنه ذكر الحديث عند رؤيته للرجل الذي كان رث الهيئة، والمثال عند الحديث يُنبئ أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل، وليس الصوت من هذا في شيء(٣).

ولكن ينفي الاستدلال بهذه القصة على قصر معنى التغني على الاستغناء -إضافة إلى ما ذكرناه سابقًا في أول البحث-: ما جاء في آخر القصة: قال: «فقلتُ لابن أبي مُليكة: يا أبا محمد، أرأيتَ إذا لم يكن حَسَنَ الصَّوت؟ قال: **يُحسِّنُه ما استطاع**». فإنه يثبت أن المراد بالتغني الصوت وتحسينه وتزيينه.

ويؤيد ذلك ما رواه: عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ، قال: كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَلَّمُوا**

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (١٤٧٦)، أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٦٩)، وفي (١٤٧٠) مثله. قال الألباني: «(قلت: إسناده صحيح، وكذلك قال الحاكم والذهبي، وصححه ابن حبان»، **صحيح سنن أبي داود (الأم)**، ج٥ ص٢١٠، حديث رقم: (١٣٢١).

(٢) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٧١). قال الألباني: «قلت: إسناده حسن صحيح»، **صحيح سنن أبي داود (الأم)**، ج٥ ص٢١٢، حديث رقم: (١٣٢٢).

(٣) انظر: أبو عبيد، **غريب الحديث**، ج٢ ص١٧٠.

كِتَابَ اللهِ [هش، هم: الْقُرْآنَ] وَاقْتَنُوهُ -قَالَ قُبَاثٌ: وَحَسِبْتُهُ قَالَ- وَتَغَنَّوْا بِهِ [هش: وَأفشوهُ]؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا [عو، هم: تَفَصِّيًا] مِنَ الْمَخَاضِ مِنَ الْعُقُلِ»(١).

٥- إقراره ﷺ للتحبير:

وقد أقر النبي ﷺ ما فوق التغني وتحسين الصوت بالقرآن، وهو التحبير الذي هو نوع من تحسين الصوت جدًا: فعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [نم: ذَاتَ يَوْمٍ]: «لَوْ رَأَيْتَنِي [نم: يَا أَبَا مُوسَى] وَأَنَا أَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»، فَقَالَ: لَوْ عَلِمتُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا [نم: قَالَ قُلْتُ: أَمْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ عَلِمتَ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا](٢). وفي لفظ: قُلْتُ: أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولِ اللهِ، إِنْ أَعْلَمْ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا(٣).

وفي لفظ: قَالَ: اسْتَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَتِي مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «يَا أَبَا مُوسَى اسْتَمَعْتُ قِرَاءَتَكَ اللَّيْلَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ

(١) انظر: أحمد، المسند، (١٧٣٦١)، ومن طريقه ابن بطة، **الإبانة الكبرى**، ج٥ ص٣٦٢، حديث رقم: (١٧١)، وأبو عوانه، **مستخرج أبي عوانة**، (٣٩٨٣)، والبيهقي، **شعب الإيمان**، (١٨١٥)، والهيثمي، **موارد الظمآن**، (١٧٨٨)، وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٧ ص٨٤٦، حديث رقم: (٣٢٨٥)، وصححه شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج٢٨ ص٥٩١.

(٢) أخرجه: أبو نعيم، **المستخرج على صحيح مسلم**، (١٨٠٣)، والبيهقي، **السنن الكبرى**، (٤٧٠٨) و(٢١٠٥٤)، و**شعب الإيمان**، (٢٣٦٦)، وصححه الألباني، **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، ج٢ ص٥٩١-٥٩٥، وأصل الحديث في البخاري ومسلم -كما سبق تخريجه- دون قول أبي موسى الأشعري ﷺ في آخر الحديث.

وأخرجه: أبو يعلى، **مسند أبي يعلى الموصلي**، (٧٢٧٩)، من طريق: سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة، وقال محقق الكتاب، ١٣ ص٢٦٦: «إسناده ضعيف».

(٣) أخرجه: السِلفي، **الطيوريات**، ج٣ ص٨٢٣، (٧٣٥).

اللهِ لو علمتُ مكانكَ لَحَبرتُ لكَ تَحبِيرًا(١).

وفي لفظ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَرَرْتُ بِكَ يَا أَبَا مُوسَى الْبَارِحَةَ، وَأَنْتَ تَقْرَأُ فَاسْتَمَعْنَا لِقِرَاءَتِكَ**»، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: **يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ عَلِمْتُ بِمَكَانِكَ، لَحَبَّرتُ لَكَ تَحْبِيرًا**(٢).

وعَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا مُوسَى رضي الله عنه كَانَ يَقْرَأُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمَعُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قِيلَ لَهُ، قَالَ: «**لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُ لَكَ تَحْبِيرًا، ولشوقت لَك تشويقًا**»(٣).

ومعنى قوله: «**لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا**»؛ أي: حسنت صوتي وزينته تزيينًا، ولا شك أن الصوت الحسن تشتاق النفوس إليه؛ لذلك قال: «**ولشوقت لَك تشويقًا**».

قال القسطلاني: «(لحبّرتها تحبيرًا)؛ أي: حسنتها وزينتها بصوتي تزيينًا، وهذا يدل على أن أبا موسى كان يستطيع أن يتلو أشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير؛ لأنه قد تلا مثلها وما بلغ حدّ استطاعته»(٤).

٦- أمره ﷺ بالخشية والتدبر:

كان النبي ﷺ أكثر الناس تدبرًا، وأشدهم خشية لله تعالى؛ يظهر عليه ذلك أثناء قراءة القرآن، وفي كل أحواله؛ ومما ورد من تدبره وخشيته ﷺ أثناء قراءة القرآن:

---

(١) أخرجه: ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٧١٩٧)، وقال الألباني: «حسن صحيح»، **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**، ج١٠ ص٢٦٥، حديث رقم: (٧١٥٣)، وقال شعيب ومن معه، **تحقيقه على صحيح ابن حبان**، ج١٦ ص١٧٠: «إسناده على شرط مسلم».

(٢) أخرجه: الحاكم، **المستدرك**، (٥٩٦٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٣) أخرجه: الضياء المقدسي، **الأحاديث المختارة**، ج٥ ص٤١، حديث رقم: (١٦٥٠)، وقال: «إِسْنَاده صَحِيح».

(٤) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ج٧ ص٤٨٢.

عن جسرة بنت دجاجة، قالت: سمعت أبا ذر يقول: «**قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾** [المائدة:١١٨]»(١).

وقد جعل ﷺ خشية الله تعالى عند قراءة القرآن ضابطًا لحسن الصوت وجماله: فَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ، حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى اللَّهَ**»(٢).

وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، أُرِيتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ ﷻ**»(٣).

وعَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يُسْمَعُ الْقُرْآنُ مِنْ رَجُلٍ أَشْهَى مِنْهُ مِمَّنْ يَخْشَى اللَّهَ ﷻ**»(٤).

وعَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قِيلَ لَهُ: أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ قِرَاءَةً؟.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٣٩)، وقال البوصيري في، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ج١ ص١٥٨: «هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف لضعف إِبْرَاهِيم بن إِسْمَاعِيل بن مجمع وَعبد الله بن جَعْفَر»، وضعفه إسناده العراقي، المغني عن حمل الأسفار، ص٣٣٩، حديث رقم: (٣). والحديث حسن بمجموع طرقه -وسيأتي شيء من طرقه بعد هذا-؛ ولذا صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤ ص١١١، حديث رقم: (١٥٨٣)، وصحيح الجامع، ج١ ص٣٣٩، حديث رقم: (٢٢٠٢)، وقال في، أصل صفة صلاة النبي ﷺ، ج٢ ص٥٧٥: «هو حديث صحيح. جاء من وجوه مختلفة؛ مرسلًا وموصولًا». وقال شعيب ومن معه، تحقيقه على سنن ابن ماجه، ج٢ ص٣٦٤: «حسن لغيره»، وكذلك حسنه العدوي، تحقيقه على المنتخب من مسند عبد ابن حميد، ج٢ ص٣٨.

(٣) أخرجه: ابن المبارك بلاغًا، الزهد والرقاق، ص٣٧، حديث رقم: (١١٤)، والكلاباذي، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص٥٩، وإسناده صحيح إلى الزهري.

(٤) أخرجه: ابن المبارك مرسلًا، الزهد والرقاق، (١١٣)، وإسناده الدارمي إلى طاوس صحيح.

قَالَ: «**الَّذِي إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَتَهُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ** ﷻ»(١). وفي لفظ: «**الَّذِي إِذَا قَرَأَ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ**»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ؟، قَالَ: «**مَنْ إِذَا سَمِعْتَ** [ز: **سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ**] **قِرَاءَتَهُ أُرِيتَ** [ز، طس: **رَأَيْتَ**] **أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ** [طس: ﷻ]»(٣).

وَعَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ قِرَاءَةً؟ قَالَ: «**مَنْ إِذَا قَرَأَ رُئِيتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ** ﷻ»(٤).

وَعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ قِرَاءَةً**

---

(١) أخرجه: عبد بن حميد، **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، ج٢ ص٣٨، (٨٠٠)، من طريق: عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أنا مَرْزُوقٌ أَبُو بَكْرٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، وحسن إسناده العدوي، **تحقيقه على المنتخب من مسند عبد بن حميد**، ج٢ ص٣٨.

(٢) أخرجه: أبو نعيم، **أخبار أصبهان**، ج١ ص٣٥٦، من طريق: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْقَطَّانُ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنِي مَرْزُوقٌ أَبُو بَكْرٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه: البزار، **مسند البزار**، ج١٢ ص٣٠٠، (٦١٣٦)، والروياني، **مسند الروياني**، (١٤١٥)، ومن طريق البزار: الطبراني، **المعجم الأوسط**، ج٢ ص٣١١، (٢٠٧٤)، كلهم من طريق: مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، نَا حُمَيْدُ بْنُ حَمَّادٍ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه.
قال البزار: «وَهَذَا الْحَدِيثُ لا نعلَمُ أحدًا تَابَعَ حُمَيد بْنَ حَمَّادٍ عَلَى رِوَايَتِهِ، وَإِنَّمَا يَرْوِيهِ مِسْعَرٌ، عَن عَبد الْكَرِيمِ، عَن مُجَاهِدٍ مُرْسَلا وَمِسْعَرٌ لَمْ يُحَدِّثُ عَن عَبد اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ بِشَيْءٍ وَلَمْ نَسْمَعْ ذَا الْحَدِيثِ إِلاَّ مِن مُحَمد بْنِ مَعْمَر أَخْرَجَهُ لَنَا مِنْ كِتَابِه». وقال الطبراني: «لَمْ يَرْوِهِ عَنْ مِسْعَرٍ إِلَّا حُمَيْدُ بْنُ حَمَّاد، تَفَرَّدَ بِهِ: مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ». وقال الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج٧ ص١٧٠، حديث رقم: (١١٦٩٧): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ حُمَيْدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ خُوَارٍ، وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَقَالَ: رُبَّمَا أَخْطَأَ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

(٤) أخرجه: أبو نعيم، **أخبار أصبهان**، ج٢ ص٥١، من طريق: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّاءَ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ، ثنا مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الَّذِي إِذَا قَرَأَ رُئِيَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ»(١).

قال الكلاباذي: «فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنَ الْخَاشِي زِينَةٌ لِصَوْتِهِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: زَيِّنُوا قِرَاءَتَكُمْ بِالْخَشْيَةِ لِلَّهِ، وَحَسِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى خَشْيَةٍ مِنْ قُلُوبِكُمْ»(٢). وقال: «فَأَخْبَرَ أَنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ قِرَاءَتُهُ عَلَى خَشْيَةٍ مِنَ اللَّهِ»(٣).

٧- أمره ﷺ بالتعاهد وبيان منزلة القارئ عند آخر قراءته:

أولًا: جاءت أحاديث كثيرة تأمر بتجديد العهد بالقرآن وعدم الانقطاع عنه لا بالليل ولا بالنهار، منها:

فقد ضرب النبي ﷺ المثل لصاحب القرآن الذي يتعاهده، بصاحب الإبل الذي يشدها بالعقال لتبقى عنده: فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**»(٤).

وعَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، كُلُّ هَؤُلَاءِ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ مَالِكٍ(٥)، وَزَادَ فِي حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ: «**وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ، فَقَرَأَهُ**

---

(١) أخرجه: أبو نعيم، أخبار أصبهان، ج٢ ص٢٠، من طريق: أَبِيه، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَعْقُوبَ أَبُو عُثْمَانَ السَّرَّاجُ، ثَنَا ابْنُ إِشْكِيبَ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ، ثَنَا أَبِي، ثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٢) الكلاباذي، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص٥٩.

(٣) الكلاباذي، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص٢١٠.

(٤) أخرجه: مالك، الموطأ: (٦)، والبخاري، صحيح البخاري، (٥٠٣١)، مسلم، صحيح مسلم، (٧٨٩/٢٦)، والنسائي، سنن النسائي، (٩٤٢).

(٥) هو الحديث السابق.

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَه، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»(١).

ومرة ضرب النبي ﷺ المثل نفسه بالقرآن: فعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْقُرآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ تَعَاهَدَهَا صَاحِبُهَا بِعُقُلِهَا أَمْسَكَهَا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَطْلَقَ عُقُلَهَا ذَهَبَتْ»(٢). وفي لفظ: «مَثَلُ الْقُرآنِ إِذَا عَاهَدَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، فَقَرَأَهُ [عب١: يَقْرَؤُهُ] بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، [عب٢: فَدَعَا وَقَرَأَ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ]؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ إِبِلٌ، فَإِنْ عَقَلَهَا حَفِظَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَ عُقُلَهَا ذَهَبَتْ، فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْقُرآنِ»(٣).

وكان النبي ﷺ يكره أن يقول المرء: نَسيتُ آية كذا وكذا، وأمر باستذكار القرآن وبالمواظبة على تلاوته: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ [زادت: أَوْ لِأَحَدِكُمْ] أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ [م، ت، ن: هُوَ] نُسِّيَ؛ [ن: اسْتَذْكِرُوا] وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ [ت: فَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ]؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ [ن: أَسْرَعُ] تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ [م: بِعُقُلِهَا] [ت، ن: مِنْ عُقُلِهِ]»(٤).

---

(١) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٨٩/٢٢٧).

(٢) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٤٦٦٥) و(٤٧٥٩) و(٤٨٤٥)،، وعنه: أبو الشيخ، **الأمثال في الحديث النبوي**، ص٣٧٥، حديث رقم: (٣٢٣)، وأخرجه: ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (٣٧٨٣)، وأبو عوانة، **مستخرج أبي عوانة**، (٣٨١٥)، وصحح إسناده أحمد شاكر، **تحقيقه على المسند**، ج٤ ص٣٤٨ و٣٨٧ و٤١٩، وقال شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج٨ ص٢٩١ و٤٥٥: «إسناده على شرط الشيخين»، سوى الإسناد الذي برقم: (٤٧٥٩)، فإسناده ليس على شرطهما، وهو حسن.

(٣) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٤٩٢٣)، وعبد الرزاق، **مصنف عبد الرزاق**، (٥٩٧١) و(٦٠٣٢)، والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج١ ص١٠٠، (٣٠٨)، وقال شعيب ومن معه، **تحقيقه على المسند**، ج٨ ص٥٢٠: «إسناده على شرط الشيخين».

(٤) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٣٢)، مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٠/٢٢٨)، والترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٤٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والنسائي، **سنن النسائي**، (٩٤٣).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي [م: نَفْس مُحَمَّدٍ] بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا [م: تَفَلُّتًا] مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(١).

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ**»(٢).

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بن عمر: تَعَاهَدُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ -وَرُبَّمَا قَالَ: الْقُرْآنَ- فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهِ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ**»(٣).

وعن ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**بِئْسَمَا لِلرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ سُورَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، أَوْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ**»(٤).

ثانيًا: جاءت أحاديث تؤكد التعاهد السابق وتبين أن من ثمار التعاهد أن تكون منزلة القارئ عند آخر قراءته، منها:

فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرأ وارتقِ، ورتّل كما كُنْتَ ترتّل في الدنيا، فإن منزلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها**»(٥).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا**

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٣٣)، مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩١/٢٣١)، وما بين المعقوفين لمسلم.

(٢) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٣٩).

(٣) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٠/٢٢٩).

(٤) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٠/٢٣٠).

(٥) سبق تخريجه.

دَخَلَ الْجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ»(١).

٨- نهيه ﷺ عن المراءاة بالقرآن والتأكل والفخر به:

نهى النبي ﷺ أن يُقصد غير وجه الله تعالى بالقرآن؛ فتارة كان ينهى أصحابه عن المراءاة بالقرآن، وتارة كان ينهاهم عن التأكُّل به، وتارة كان ينهاهم عن الفخر به.

فمن نهيه ﷺ عن المراءاة بالقرآن:

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»(٢).

قال الزمخشري: «أراد بالنفاق هنا: الرياء؛ لأن كليهما إراءة في الظاهر غير ما في الباطن»(٣).

ومن نهيه ﷺ عن المراءاة بالقرآن وعن التأكُّل والفخر به:

قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (١١٣٦٠)، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (٣٧٨٠)، وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٥ ص٢٨١-٢٨٢، (٢٢٤٠)، **وصحيح الجامع**، ج٢ ص١٣٤٩، (٨١٢١).

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (٦٦٣٣) و(٦٦٣٤) و(٦٦٣٧)، وصحح إسناده أحمد شاكر، **تحقيقه على المسند**، ج٦ ص١٩٣-١٩٥.

(٣) الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ج٤ ص١١.

(٤) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٥٧).

وفي لفظ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ -وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَسْفَاهُ- الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ - قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ- يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «فَإِذَا لَقِيتَهُمْ فَاقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١). زاد في رواية: «قِتَالُهُمْ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَقْرَأَنَّ الْقُرْآنَ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٣).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ بِالنَّهْرَوَانِ قَامَ عَلِيٌّ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، وَهُمْ أَقْرَبُ الْعَدُوِّ إِلَيْكُمْ، وَأَنْ تَسِيرُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ أَنَا أَخَافُ أَنْ يَخْلُفَكُمْ هَؤُلَاءِ فِي أَعْقَابِكُمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تَخْرُجُ خَارِجَةٌ مِنْ أُمَّتِي، لَيْسَ صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَ لَهَا ذِرَاعٌ، عَلَيْهَا مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهَا شَعَرَاتٌ بِيضٌ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ لَاتَّكَلُوا عَلَى الْعَمَلِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ». فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ(٤).

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (١٠٨٦) واللفظ له بهذا الرقم، وأخرجه مختصرًا برقم: (١٣٠٣) و(١٣٤٦) و(١٣٨٧) ومطولًا برقم: (١٣٨٨). قال شعيب: «إسناده حسن».

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (١٣٤٦)، قال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٣١٢)، وقال شعيب: «حسن لغيره»..

(٤) أخرجه: أحمد، المسند، (٦٣٩)، وأخرجه مختصرًا بنحوه برقم: (٦٧٢)، وقال شعيب: «إسناده قوي».

وعَنْ أَبِي سَعِيد الخدْرِيّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، [ك: أَوْ] وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ [ك: أَوْ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، يَقْرَؤُونَ] الْقُرْآنَ [ك: وَ] لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ [ك: تَنْظُرُ] فِي النَّصْلِ، فَلاَ يَرَى [ك: تَرَى] شَيْئًا، وَيَنْظُرُ [ك: وَتَنْظُرُ] فِي الْقِدْحِ، فَلاَ يَرَى [ك: تَرَى] شَيْئًا، وَيَنْظُرُ [ك: وَتَنْظُرُ] فِي الرِّيشِ، فَلاَ يَرَى [ك: تَرَى] شَيْئًا، وَيَتَمَارَى [ك: وَتَتَمَارَى] فِي الْفُوقِ»(1).

وعن أبي سَعِيد الخُدْرِيَّ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ، وَمُنَافِقٌ، وَفَاجِرٌ». قَالَ بَشِيرٌ: فَقُلْتُ لِلْوَلِيدِ: مَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ، فَقَالَ: الْمُنَافِقُ كَافِرٌ بِهِ، وَالْفَاجِرُ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِهِ(2).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «[مثل] الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ [و] الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ [الفَاجِرِ] الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ [كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ]، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ [الفَاجِرِ] الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَالْحَنْظَلَةِ [كَمَثَلِ الحنظَلَةِ]، طَعْمُهَا مُرٌّ [وَلاَ رِيحَ لَهَا] -أَوْ خَبِيثٌ- وَرِيحُهَا مُرٌّ»(3).

---

(1) أخرجه: مالك، الموطأ، (١٠)، والبخاري، صحيح البخاري، (٥٠٥٨).

(2) أخرجه: أحمد، المسند، (١١٣٤٠)، وقال شعيب: «إسناده حسن».

(3) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٥٩). وما بين المعقوفين أخرجه في (٥٠٢٠)، من غير قوله: (المؤمن) في الموضعين، ومن غير (ويعمل به) في الموضعين. ومسلم، صحيح مسلم، (٧٩٧/٢٤٣)، ومرة قال: (المنافق)، ومرة قال: (الفاجر)، والنسائي، سنن النسائي، (٥٠٣٨)، مسلم والنسائي بألفاظ مختلفة قليلًا فيها تقديم وتأخير.

ومن نهيه ﷺ عن التأكُّل بالقرآن:

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَارِئٍ يَقْرَأُ، ثُمَّ سَأَلَ فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ»**(١).

وعَنْ زَاذَانَ أَبِي عُمَرَ، عَنْ عُلَيْمٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عَلَى سَطْحٍ، مَعَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، -قَالَ يَزِيدُ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَبْسًا الْغِفَارِيَّ-، وَالنَّاسُ يَخْرُجُونَ فِي الطَّاعُونِ، فَقَالَ عَبْسٌ: يَا طَاعُونُ خُذْنِي، ثَلَاثًا يَقُولُهَا، فَقَالَ لَهُ عُلَيْمٌ: لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، فَإِنَّهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَلَا يُرَدُّ فَيُسْتَعْتَبَ»**، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا»**(٢). وفي لفظ لأبي عبيد: **«إِنِّي أُبَادِرُ**

---

(١) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩١٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ». والحديث حسنه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج١ ص٥١٧، (٢٥٧)، قال الألباني في، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج١ ص٥١٨: «وإنما حسن الترمذي هذا الحديث مع ضعف إسناده لما له من الشواهد الكثيرة، وذلك اصطلاح منه نص عليه في (العلل) التي في آخر (السنن)».

(٢) أخرجه عن عابس الغفاري: أحمد، **المسند**، (١٦٠٤٠)، واللفظ له في هذا الموضع، وأخرجه في: تتمة مسند الأنصار، حديث عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري، (٢٣٩٧٠) و(٢٣٩٧٣)، وأبو عبيد، **فضائل القرآن**، بأخصر قليلًا من لفظ أحمد، ص١٦٦، وسيأتي، والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج١ ص٢١٢، (٦٨٥)، والطبراني، **المعجم الكبير**، ج١٨ ص٣٣-٣٤، (٨٥) عن عابس الغفاري، والمستغفري، **فضائل القرآن**، ج١ ص١٤٩ و١٥١، (٣٩) و(٤٠) و(٤١)، وابن عبد البر بسنده، **التمهيد**، ج١٨، ص١٤٧، وذكره عازيًا إياه إلى التمهيد في، **الاستذكار**، ج٣ ص١١٨، وأشار ابن عبد البر في التمهيد إلى تحسينه؛ فقال: «وهذا حديث مشهور روي عن عبس الغفاري من طرق قد ذكرناها في كتاب البيان عن تلاوة القرآن»، وصححه الألباني، في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٢ ص٦٧٢، حديث رقم: (٩٧٩)، وقال: «والحديث أشار إلى صحته الحافظ في ترجمة=

خِصَالًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّفُهُنَّ عَلَى أُمَّتِهِ: بَيْعَ الْحُكْمِ، وَالاسْتِخْفَافَ بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَقَوْمًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ أَحَدَهُمْ، لَيْسَ بِأَفْقَهِهِمْ وَلَا أَفْضَلِهِمْ، إِلَّا لِيُغَنِّيَهُمْ بِهِ غِنَاءً»(١). وفي لفظ عن أنس بن مالك: «...ونشأ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ أَحْسَنَهُمْ صَوتًا وَأَقَلَّهُم فِقْهًا»(٢). وفي لفظ عن الحكم الغفاري: «وَنَشْئًا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ»(٣). وعنه: «وناس يتخذون القرآن مزامير يتغنون به»(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: فِي كِيسِي هَذَا حَدِيثٌ، لَوْ حَدَّثْتُكُمُوهُ لَرَجَمْتُمُونِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا أَبْلُغَنَّ رَأْسَ السِّتِّينَ». قَالُوا: وَمَا رَأْسُ السِّتِّينَ؟ قَالَ: «إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ، وَبَيْعُ الْحُكْمِ، وَكَثْرَةُ الشُّرَطِ، وَالشَّهَادَةُ بِالْمَعْرِفَةِ، وَيَتَّخِذُونَ الْأَمَانَةَ غَنِيمَةً، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا، وَنَشْوٌ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ» قَالَ حَمَّادٌ: «وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَالتَّهَاوُنُ بِالدَّمِ»(٥).

=الحكم من «الإصابة»، وهو حري بذلك لطرقه التي ذكرنا»، وفي **صحيح الجامع**، ج١ ص١٠٣، و٥٤٣، (٢١٦)، و(٢٨١٢).

وأخرجه: والطبراني، **المعجم الكبير**، ج٣ ص٢١١، (٣١٦٢)، والمستغفري، **فضائل القرآن**، ج١ ص١٤٩ و١٥١، (٣٨)، عن الحكم الغفاري.

وأخرجه: المستغفري، **فضائل القرآن**، ج١ ص١٤٩ و١٥١، (٣٧) عن أنس بن مالك.

(١) أخرجه: أبو عبيد، **فضائل القرآن**، ص١٦٦، والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج١ ص٢١٢، حديث رقم: (٦٨٥) بنحوه، والطبراني، **المعجم الكبير**، ج١٨ ص٣٣-٣٤، حديث رقم: (٨٥) بنحوه، والمستغفري بنحوه، **فضائل القرآن**، ج١ ص١٥١، (٣٩). وانظر: ابن كثير، **فضائل القرآن**، ص١٩٧.

(٢) أخرجه: المستغفري، **فضائل القرآن**، ج١ ص١٤٩، (٣٧)، عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه: والطبراني، **المعجم الكبير**، ج٣ ص٢١١، (٣١٦٢)، عن الحكم الغفاري.

(٤) أخرجه: المستغفري، **فضائل القرآن**، ج١ ص١٥١، (٣٨)، عن الحكم الغفاري.

(٥) أخرجه: الطبراني، **المعجم الأوسط**، ج٢ ص١٠٥، (١٣٩٧)، وقال عقبه: «لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ إِلَّا حَمَّادٌ، تَفَرَّدَ بِهِ: رَوْحٌ».

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الجَاهِرُ بِالقُرْآنِ، كَالجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالمُسِرُّ بِالقُرْآنِ، كَالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ**»(١).

قال الترمذي عقبه: «ومَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ الَّذِي يُسِرُّ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَجْهَرُ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ، لأَنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ أَفْضَلُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ صَدَقَةِ العَلَانِيَةِ، وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ **لِكَيْ يَأْمَنَ الرَّجُلُ مِنَ العُجْبِ**، لأَنَّ الَّذِي يُسِرُّ العَمَلَ لاَ يُخَافُ عَلَيْهِ العُجْبُ مَا يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ عَلَانِيَتِهِ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى** [حم: **فيه**] **يَوْمَ القِيَامَةِ** [حم: **ثَلَاثَةٌ**]...». وذكر منهم: «...**وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ** [حم: **فِيكَ**]، **وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ،** [حم: **فَقَالَ**] **قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ:** [حم: **هُوَ**] **عَالِمٌ** [ح: **فَقَدْ قِيلَ**]، **وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»(٣).

٩- تحذيره ﷺ من هجر القرآن:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ، كَالبَيْتِ الخَرِبِ**»(٤).

* * *

(١) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩١٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

(٢) الترمذي، الجامع الكبير، ج٥ ص٣١.

(٣) أخرجه: أحمد، المسند، (٨٢٧٧)، ومسلم، صحيح مسلم، (١٩٠٥/١٥٢).

(٤) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩١٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

ثالثًا: عرض النبي ﷺ القرآن على بعض الصحابة رضي الله عنهم:

هذا النوع من عرض النبي ﷺ القرآن على الصحابة خصصته لقراءته ﷺ التي فيها شيء من بيان صفة القراءة؛ بخلاف ما يأتي بعد في المبحث الثالث؛ فهناك جاء الأمر فيها لبيان قراءته ﷺ التي فيها صفة إقرائه ﷺ.

فقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة رضي الله عنهم القرآن، ويعرضه عليهم، وكانوا ينقلون عن النبي ﷺ أدق التفاصيل في قراءته وكيفيتها؛ فمن ذلك: عَنِ الأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ [قرأ] كَانَ يَقْرَأُ: «﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥]»(١).

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا، سَأَلَ الأَسْوَدَ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥] أَوْ (مُذَّكِرٍ)؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَؤُهَا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥] قَالَ: وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَؤُهَا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ **دَالًا**(٢).

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الأَسْوَدِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «**أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ** ﷺ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]»؛ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: مُدَّكِرٍ أَوْ مُذَّكِرٍ؟ قَالَ: «**أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ** ﷺ: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾»(٣).

عن عُروة، أن عائشة، قالتْ: نزلَ الوحيُ على رسولِ الله ﷺ؛ فقرأ عليها: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور:١]. قال أبو داود: يعني مخفَّفةً، حتى أتى على هذه الآيات(٤).

* * *

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٨٧٠)، وأخرج ما بين المعقوفين في: (٤٨٧٢) و(٤٨٧٣).

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٨٧١).

(٣) أخرجه: أحمد، المسند، (٣٧٥٥)، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٤) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (٤٠٠٨)، وقال شعيب: «إسناده صحيح».

المبحث الثالث

معالم صفة إقراء النبي ﷺ

(الإقراء النبوي)

المطلب الأول: صفة إقراء النبي ﷺ:

أولًا: عرض النبي ﷺ القرآن على بعض الصحابة رضي الله عنهم:

كان النبي ﷺ يقرأ القرآن على بعض الصحابة رضي الله عنهم فرادى انتقاءً، وجماعات؛ ليعلمهم صفة القراءة الصحيحة، فمن قراءته على أفراد الصحابة رضي الله عنهم، قراءته على ابن مسعود، وأُبي رضي الله عنهما، فمما ورد في قراءته على ابن مسعود رضي الله عنه: عَنْ أَبِي حَيَّانَ الْأَشْجَعِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: **قَالَ لِي اقْرَأْ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ**، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: **أَلَيْسَ مِنْكَ تَعَلَّمْتُهُ، وَأَنْتَ تُقْرِئُنَا**؟ فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ عَلَيْكَ أُنْزِلَ، **وَمِنْكَ تَعَلَّمْنَاهُ**؟ قَالَ: «**بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»(١).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه قبل ذلك قد تعلم القرآن من النبي ﷺ وهو غلام: فَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «**أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً، وَلَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ**»(٢).

ومما ورد في قراءته على أُبي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لِأُبَيٍّ:

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (٣٥٥٠)، وقال شعيب: «صحيح لغيره». قلت: سيأتي مخرجًا بعدة روايات ولكن الرواية هنا جاء فيها التصريح بتعليم النبي وإقرائه للصحابة.

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (٤٣٣٠) و(٣٥٩٨) و(٣٥٩٩) و(٤٤١٢). وسيأتي مطولًا مخرجًا.

«**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ**»، قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**اللهُ سَمَّاكَ لِي**»، قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي[١]. وفي رواية: قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: قَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ[٢]. وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ**»، قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَجَعَلَ يَبْكِي[٣].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**»، قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَبَكَى[٤].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «معنى هذا الحديث عندنا أن رسول الله ﷺ إنما أراد بذلك العرض على أبيّ أن يتعلّم أبيّ منه القراءة وسنّته فيها، وليكون عرض القرآن سنّة»[٥].

وقال مكي بن أبي طالب القيسي: «معناه: أنه ﷺ، أمر أن يقرأ على أبي ليتعلم أبي منه قراءته، ويسمع ألفاظه وترتيله، لا ليتعلم النبي ﷺ منه شيئًا»[٦].

وكان النبي ﷺ ربما دعا الناس للاجتماع ولسماع قراءته، مبينًا لهم فضل القراءة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ،

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (١٢٤٠٣)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٩/٢٤٥) و(٧٩٩/١٢١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (١٣٢٨٦)، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه: أحمد، المسند، (١٣٤٤٢)، وقال شعيب: «حديث صحيح».

(٤) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٣٨٠٩)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٧٩٩/٢٤٦) و(٧٩٩/١٢١).

(٥) أخرجه عن أبي عبيد بسنده: الداني، **جامع البيان في القراءات السبع**، باب: ذكر تسمية أئمة القراء الذين نقلوا عنهم القراءة وأدّوها إليهم عن رسول الله ﷺ، ص٢٣٠، رقم: (٤٢٨).

(٦) القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، ص٩٩-١٠٠.

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَه، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١).

وفي رواية من طريق بَشِيرٍ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ حَتَّى خَتَمَهَا(٢).

فيه الدلالة على أن النبي ﷺ قرأ عليهم سورة الإخلاص للتعليم، وهذا يقتضي تعليم فضل السورة وتعليم كيفية القراءة بالمشافهة؛ مع بيان الفضل لتقبل النفوس على التعلُّم، وفيه دلالة على أفضلية حشد الناس وتجميعهم؛ ليتعلموا دفعة واحدة مما يشجع النفوس ويعطي هيبة للمعلم.

وكان النبي ﷺ يقرأ القرآن للتعليم ولغيره على كل أحيانه، وقد نقلت عائشة رضي الله عنها شيئًا من ذلك: فعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ**»(٣).

وعنها رضي الله عنها قَالَتْ: «**كَانَ رَأْسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِ إِحْدَانَا وَهِيَ حَائِضٌ، وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ**»(٤).

---

(١) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٨١٢/٢٦١)، والترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٠٠).

(٢) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٨١٢/٢٦٢)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٣) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٣٠١/١٥).

(٤) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، كتاب: (٢٧٤) و(٣٨١) غير أنه قال هنا: «وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ» بدل قوله: «وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ»، وحسنه الألباني، **إرواء الغليل**، ج١ ص٢١٣.

وكان النبي ﷺ ربما قرأ على بعض الصحابة ﵃ معلمًا لهم كيفية القراءة، ومفسرًا لهم الآيات: فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

* * *

ثانيًا: سماع النبي ﷺ القرآن من بعض الصحابة ﵃:

وكان النبي ﷺ يحب أن يسمع القرآن من غيره، متدبرًا للقرآن، ومعلمًا لكيفية القراءة، وقاصدًا السماع منهم تحديدًا، وقد خصَّ ابن مسعود ﵁ بذلك أكثر من مرة، فسمعه منه بعلمه وبغير علمه، وخصَّ أبا موسى الأشعري ﵁ بذلك مرة بغير علمه، فمن سماعه لابن مسعود ﵁ بعلمه: ما رواه عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ**»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»(٢).

وعَنْ أَبِي حَيَّانَ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: **قَالَ لِي اقْرَأْ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ**، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: **أَلَيْسَ مِنْكَ تَعَلَّمْتُهُ، وَأَنْتَ تُقْرِئُنَا؟** فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ عَلَيْكَ أُنْزِلَ،

---

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٦٦٥/١)، والترمذي مختصرًا، الجامع الصحيح، (٢٩٩٣) و(٢٩٩٤)، وقال فيهما: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٤٩)، (٥٠٥٦).

وَمِنْكَ تَعَلَّمْنَاهُ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»(١).

وكان النبي ﷺ أثناء سماعه القرآن من بعض الصحابة تصيبه الخشية، فيبكي بشدَّة: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ [م: وهو على المنبر]: «اقْرَأْ عَلَيَّ [م: القرآن]»، قُلْتُ [م: قال: فقلت]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: «نَعَمْ» [«إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»]؛ [قال:] فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ [م: بلغتُ] إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]، قَالَ [لي]: «حَسْبُكَ الآنَ» [«كُفَّ -أَوْ أَمْسِكْ-»، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ]، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ [م: رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ](٢).

وهذا فيه نوع من أنواع التعليم، حيث يسمعه من الغير، فيرى كيفية قراءته، وهذا ما يُسمى بالعرض، ويبلغ الغاية في تدبره حينما يسمعه من غيره.

ومن سماعة ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه بغير علمه، مثنيًا على قراءته ومرشدًا الناس أن يقرأوا القرآن مثل قراءته: ما ورد عَنْ قَيْسِ بْنِ مَرْوَانَ، أَنَّهُ أَتَى عُمَرَ، فَقَالَ: جِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُوفَةِ، وَتَرَكْتُ بِهَا رَجُلًا يُمْلِي الْمَصَاحِفَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، فَغَضِبَ وَانْتَفَخَ حَتَّى كَادَ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ شُعْبَتَيِ الرَّحْلِ، فَقَالَ: وَمَنْ هُوَ وَيْحَكَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ. فَمَا زَالَ يُطْفَأُ وَيُسَرَّى عَنْهُ الْغَضَبُ، حَتَّى عَادَ إِلَى حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا.

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (٣٥٥٠). وقد سبق تخريجه مفصلًا.

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٥٠). وما بين المعقوفين أخرجه في: (٥٠٥٥)، وما بين المعقوفين بعد رمز: [م:...] أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨٠٠/٢٤٧)، وأخرجه بألفاظ قريبة برقم: (٨٠٠/٢٤٨)، غير أنه قال: (فبكى)، بعد الآية مباشرة. وقد سبق تخريجه.

ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ، **وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ هُوَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ**، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ ذَلِكَ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لا يَزَالُ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ اللَّيْلَةَ كَذَاكَ فِي الْأَمْرِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّهُ سَمَرَ عِنْدَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَأَنَا مَعَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، **فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَمِعُ قِرَاءَتَهُ**، فَلَمَّا كِدْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**». قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ الرَّجُلُ يَدْعُو، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**»، قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: وَاللهِ لَأَغْدُوَنَّ إِلَيْهِ فَلَأُبَشِّرَنَّهُ، قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ لِأُبَشِّرَهُ، فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَبَشَّرَهُ، وَلَا وَاللهِ مَا سَابَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ(١).

وقد ورد في نفس الحادثة أنه ﷺ تسمَّع قراءة ابن مسعود؛ وهي صيغة مبالغة من السماع؛ تفيد الحرص على السماع والتلذذ به وتدبر المسموع: فَعَنْ قَيْسٍ أَوِ ابْنِ قَيْسٍ -رَجُلٍ مِنْ جُعْفِيٍّ- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ، عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، **فَقَامَ فَتَسَمَّعَ قِرَاءَتَهُ**، ثُمَّ رَكَعَ عَبْدُ اللهِ، وَسَجَدَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**»، قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**». قَالَ: فَأَدْلَجْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْتُ الْبَابَ -أَوْ قَالَ: لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي -قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ: قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: إِنْ يَفْعَلْ، فَإِنَّهُ سَبَّاقٌ بِالْخَيْرَاتِ، مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ(٢).

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (١٧٥) و(٢٢٠)، وصحح إسنادهما شعيب.

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٦٥)، وصحح شعيب إسناده. وقد سبق تخريجه مختصراً.

ومن سماعه ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ بغير علمه: ما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «**لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ قِرَاءَةَ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: «**لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ** ﵇»(٢). وفي لفظ عن أبي هريرة، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَسَمِعَ قِرَاءَةَ رَجُلٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»، فَقِيلَ: هذا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: «**لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(٣). وفي لفظ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قِرَاءَةَ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: «**لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ** ﵇»(٤). وفي لفظ آخر عنها: «**لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ** ﵇»(٥).

وربما سمع النبي ﷺ قراءة رجل وهو يقرأ دون أن يقصد النبي ﷺ السماع منه تحديداً، كما سمع قراءة عبد الله بن يزيد الأنصاري، فعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «**يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً مِنْ سُورَةِ كَذَا**» حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ ابْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى، عَنْ هِشَامٍ، وَقَالَ: «**أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا**»(٦).

وعَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: «**يَرْحَمُهُ اللَّهُ**

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٧٩٣/٢٣٦).
(٢) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (١٠١٩)، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٤١)، وصححه شعيب.
(٤) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (١٠٢٠)، وصححه الألباني.
(٥) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (١٠٢١)، وصححه الألباني.
(٦) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٣٧).

لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»(١).

وعَنْها، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «**رَحِمَهُ اللهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا**»(٢).

وكما سمع النبي ﷺ قراءة عبد الله بن بشر، فعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قَارِئًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «**يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا [حم: أَسْقَطْتُهُنَّ] مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**»(٣). وَزَادَ عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، تَهَجَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَّادٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ أَصَوْتُ عَبَّادٍ هَذَا؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادًا**»(٤).

فقول عائشة ﵂ في هذه الأحاديث: «**سمع النبي ﷺ...**»: يدل على عمل النبي ﷺ بما كان يحب أن يسمع القرآن من غيره. وهذا يحتمل حب السماع للتدبر، ويحتمل حب السماع لمتابعة أصحابه، لمعرفته هل تعلموا القرآن كما أنزل؟.

وقولها: «**رجلًا يقرأ في المسجد**»، وقولها: «**رجلًا يقرأ في سورة بالليل**»: الرجل هو:

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٣٨).

(٢) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٨٨/٢٥).

(٣) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٤٢)، مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٨٨/٢٤).

(٤) أخرجه: البخاري معلقًا، **صحيح البخاري**، (٢٦٥٥). والحديث وصله أبو يعلى من طريق: محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة. وعباد بن عبد الله راوي الحديث؛ هو: عباد بن عبد الله ابن الزبير، تابعي جليل. وعباد الذي كان يصلي؛ هو: عباد ابن بشر، صحابي جليل، كان ضريرًا. وقد رجَّح ابن حجر تعدد الروايات وسماع النبي ﷺ لقراءة أكثر من رجل؛ فالَّذَيْنِ سمع قراءتهما النبي ﷺ رجلان؛ **الأول**: عبد الله بن يزيد الأنصاري، وهو الذي لم يعرفه النبي ﷺ عند سماع صوته، فسأل عنه، وهو الذي تذكر بقراءته الآية التي نسيها النبي ﷺ. **وأما الآخر**، فهو: عباد ابن بشر، وهو الذي تذكر بقراءته الآية التي أسقطها النبي ﷺ. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٥ ص٢٦٥.

عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه، وقولها يدل على اجتهاد الصحابة في تلاوة القرآن، واستغلال الوقت في ذلك. وظاهر (الليل) أنه بعد العشاء، وجاء تفسير ذلك في الحديث الثالث: «قَارِئًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي الْمَسْجِدِ»، ويدل قولها: (قَارِئًا): على أنه متقن للقراءة، ولو كان غير متقن لعلمه النبي ﷺ ولذكر ذلك في الحديث، والقارئ هنا هو: عباد بن بشر رضي الله عنه.

وقد صرَّح عدد من الصحابة رضي الله عنهم بسماع النبي ﷺ منهم، متعلمين منه وعارضين قراءتهم عليه لأكثر من سبب، منها الرقية، ومنها التعلم: فعن شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ»، قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ(١).

وعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنَّا [م: كنت] بِحِمْصَ، [فقال لي بعض القوم: اقرأ علينا] فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ [م: فقرأتُ عليهم] سُورَةَ يُوسُفَ، [قال] فَقَالَ رَجُلٌ [م: من القوم]: [م: والله] مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ، قَالَ: [م: قلت: ويحك، والله لقد قرأتها] قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ [م: لي]: «أَحْسَنْتَ». [م: فبينما أنا أكلمه إذ وجدت] وَوَجَدَ مِنْهُ رِيحَ الخَمْرِ، فَقَالَ [قال: فقلت]: «أَتَجْمَعُ أَنْ تُكَذِّبَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَشْرَبَ الخَمْرَ [م: أَتشربُ الخمرَ، وَتُكَذِّبُ بِالْكِتَابِ؟ لاتبرحُ حَتَّى أَجْلِدَكَ]»، فَضَرَبَهُ الحَدَّ [م: قَالَ: فَجَلَدْتُه الْحَدَّ](٢).

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٠٠).

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٠١)، وما بين المعقوفين أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨٠١/٢٤٩). وأخرجه بعده بنفس اللفظ -أيضًا-، وقال: وليس في حديث أبي معاوية: [فقال لي: «أحسنت»].

وهذا يدل على أن بعض الصحابة تعلموا القرآن من النبي ﷺ، وسمعوه منه مباشرة بالمشافهة، وفيه أصل أصيل في طريقة تعلم القرآن الكريم مشافهة.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»(١).

فقولها: «كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ»: يتضمن أنها كانت تقرأ كما علمها ﷺ، وفيه إقرار منه لكيفية قراءتها.

وعَنْ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةَ العَوْفِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾، فَقَالَ: «﴿مِّن ضُعْفٍ﴾»(٢).

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَأَلَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ عَنِ الْقِرَاءَةِ مَعَ الْإِمَامِ. فَقَالَ: «لَا قِرَاءَةَ مَعَ الْإِمَامِ فِي شَيْءٍ». وَزَعَمَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، فَلَمْ يَسْجُدْ(٣).

* * *

ثالثًا: اختلاف بعض الصحابة بالقراءة، وتصحيح النبي ﷺ لهم ونهيه عن الخلاف:

وكان النبي ﷺ يستمع لقراءة رجلين من الصحابة رضي الله عنهم حكمًا بينهم في كيفية القراءة الصحيحة، ومعلمًا كليهما كثرة حروف القرآن وقراءاته، وناهيًا إياهما عن الاختلاف في القرآن.

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠١٦).

(٢) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٣٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ».

(٣) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (٩٦٠)، وصححه الألباني.

وقد رد ذلك عن عدد من الصحابة اختلفا في كيفية القراءة لما سمع أحدهما قراءة الآخر، منكرًا عليه، فمن ذلك اختلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع هشام بن حكيم رضي الله عنه: فعن عروة بن الزبير، أن المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري، حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يُقْرِئْنِيهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أُسَاوِرُهُ في الصلاة، فتصبَّرت [فَانْتَظَرْتُهُ] حتى سلم، فَلَبَبْتُهُ بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن [فوالله إن] رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت [لَهُ وَأَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ، الَّتِي سَمِعْتُكَ]، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت [يا رسول الله]: إني سمعت هذا يقرأ بسورة [سورة] الفرقان على حروف لم تُقْرِئْنِيهَا، [وإنك أقرأتني سورة الفرقان]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ»**، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، [: **«يَا هِشَامُ اقْرَأْهَا»**، **فَقَرَأَهَا القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ**]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»** [: **«هَكَذَا أُنْزِلَتْ»**]، ثم قال: **«اقْرَأْ يَا عُمَرُ»** **فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي** [**أَقْرَأَنِيهَا**]، فقال [ثم قال] رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»**(١).

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٤٩٩٢)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٧٠-٢٧١/٨١٨). وما بين المعقوفين أخرجه البخاري في: (٥٠٤١)، بدون قوله: (بردائه). وبدون قوله في الجملة الأخيرة: (كذلك أنزلت).

وقد أخرج هذا الحديث عدد من المحدثين بألفاظ مختلفة متقاربة، منهم: مالك، **الموطأ**، كتاب: القرآن، باب: ما جاء في القرآن، حديث رقم: (٥)، وأحمد، **المسند**، (١٥٨) و(٢٧٧) و(٢٧٨) و(٢٩٦) و(٢٩٧)، وأبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٧٥)، والترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٤٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والنسائي، **سنن النسائي**، (٩٣٦) و(٩٣٧) و(٩٣٨).

فدل اختلاف الصحابيين عمر وهشام في القراءة، وقول هشام لعمر: (أقرأنيها رسول الله ﷺ)، وقول عمر لهشام: (فإن رسول الله ﷺ وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت)؛ وقول النبي ﷺ لهما: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»: على أنهما قرءا على النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ علَّم كل واحد منهما بخلاف ما علَّم الآخر، وأن كلًّا منهما التزم ما علمه ﷺ، وأنه لا يجوز الاختلاف في مثل هذا؛ لأن كل حرف يؤيد الحرف الآخر، وليس بينها اختلاف حقيقي في المعنى.

قال الزهريُّ: «بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الْأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا، لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ». وقال: «إنما هذه الأحرفُ في الأمرِ الواحد، ليس تختلف في حَلالٍ ولا حَرَامٍ»(١).

ومن اختلاف أُبي رضي الله عنه ورجلين من الصحابة لم يسمهما: ما ورد عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي، ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا، فَقَالَ لِي: «يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ

---

(١) أخرجه عن الزهري: مسلم بلاغًا، صحيح مسلم، عَقِبَ حديث رقم: (٨١٩/٢٧٢)، وأبو داود، سنن أبي داود، (١٤٧٦)، واللفظ لمسلم.

أَحْرُف، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ»(١).

وَعَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُبَيٍّ، قَالَ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِي مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا أَنِّي قَرَأْتُ آيَةً وَقَرَأَهَا آخَرُ غَيْرَ قِرَاءَتِي، فَقُلْتُ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهُ أَقْرَأْتَنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «**نَعَمْ**». وَقَالَ الْآخَرُ: أَلَمْ تُقْرِئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ اسْتَزِدْهُ، حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ فَكُلُّ حَرْفٍ شَافٍ كَافٍ**»(٢).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةً، فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ جَالِسٌ إِذْ سَمِعْتُ رَجُلًا يَقْرَؤُهَا يُخَالِفُ قِرَاءَتِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ عَلَّمَكَ هَذِهِ السُّورَةَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: لَا تُفَارِقْنِي حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا خَالَفَ قِرَاءَتِي فِي السُّورَةِ الَّتِي عَلَّمْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اقْرَأْ يَا أُبَيُّ**». فَقَرَأْتُهَا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَحْسَنْتَ**». ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: «**اقْرَأْ**». فَقَرَأَ فَخَالَفَ قِرَاءَتِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَحْسَنْتَ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أُبَيُّ إِنَّهُ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهُنَّ شَافٍ كَافٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٢٧٣/٨٢٠).

(٢) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، (٩٤١)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، (٩٤٠)، قال النسائي عقبه: «مَعْقِلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ لَيْسَ بِذَلِكَ الْقَوِيِّ». وصححه الألباني وقال: «حسن صحيح».

ومن اختلاف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع رجل من الصحابة لم يسمه: ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ آيَةً سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ خِلَافَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَاقْرَآ**». أَكْبَرُ عِلْمِي، قَالَ: «**فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا، فَأُهْلِكُوا**»(١).

وقد كان النبي ﷺ كلما استمع لرجلين اختلفا في القرآن، أو سمع باختلاف رجلين في القرآن، ينهاهما عن ذلك، ربما غضب غضبًا شديدًا، وبيَّن لهما حرمه الاختلاف والجدال في القرآن، وأنه يجب على كل إنسان أن يقرأ كما تعلَّم، مبينًا أن الأمر فيه سعة، لأن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فمما جاء في ذلك:

عن أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يومًا، قَالَ: فَسمعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ**»(٢).

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: «**أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ**»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ**»، فَقَالَ: «**أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ**»، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: «**أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ**»، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٦٢).

(٢) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢/٢٦٦٦).

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ، فَقَدْ أَصَابُوا(١).

وعن سُليمانَ بن صُرَدٍ الخزاعي عن أبي بن كعب، قال: قال النبي ﷺ: «يا أُبيُّ، إني أُقرئتُ القرآن فقيل لي: على حرفٍ أو حرفين؟ فقال المَلَكُ الذي معي: قل: على حرفين، قلت: على حرفين، فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال المَلَكُ الذي معي: قل: على ثلاثة، قلت: على ثلاثة، حتى بلغ سبعةَ أحرفٍ، ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت: سميعًا عليمًا عزيزًا حكيمًا، ما لم تَخْتِمْ آيةَ عذابٍ برحمة، أو آيةَ رحمةٍ بعذاب»(٢).

وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ [عَلَيْهِ] قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ [فِيهِ]، فَقُومُوا عَنْهُ»(٣).

وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «المِراءُ في القُرآنِ كُفْرٌ»(٤).

* * *

ثالثًا: إرشاده ﷺ أن يتعلم المرء القرآن حسب استطاعته:

أورد البخاري في صحيحه، في كتاب: فضائل القرآن ترجمة بعنوان: (في كم يقرأ القرآن؟)، وقول اللهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠](٥).

---

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨٢١/٢٧٤). وأخرجه مختصرًا: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٧٨). والنسائي، سنن النسائي، (٩٣٩)، وصححه الألباني

(٢) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٧٧)، وقال شعيب: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٦٠ و٥٠٦١)، وما بين المعقوفين أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٣-٤/ ٢٦٦٧)، غير أنه لم يقل: (عَنْهُ) في آخر الحديث في الموضعين. ولم يقل: (فِيهِ) في الموضع الثاني.

(٤) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (٤٦٠٣)، وصحح إسناده شعيب.

(٥) انظر: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٥١).

وقراءة ما تيسر من القرآن تدل على أن الأصل في قراءة القرآن أن تكون حسب الطاقة والاستطاعة.

وقد جاء تفسير الآية على لسان النبي ﷺ، فعن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**»(١).

وقد ورد ذلك في قصة اختلاف عمر وهشام في القراءة -كما سبق آنفًا-، حينما قرأ كل منهما على الحرف الذي علمه رسول الله ﷺ، فبيَّن لهما النبي ﷺ أن الواجب على المرء أن يقرأ القرآن حسب استطاعته، ولا يختلف مع غيره فيما تتعدد به وجوه القراءة، لأن القرآن نزل على سبعة أحرف.

وتعلُّم القرآن حسب الاستطاعة تشمل الاستطاعة في الإتقان، والاستطاعة في القدر المتلو، والاستطاعة في غير ذلك من الحفظ والفهم والتدبر والقيام به.

وتعلُّم القرآن حسب الاستطاعة، هو دأب السلف، وقد حدَّ بعضهم أقل الاستطاعة بثلاث آيات اجتهادًا منه في فهم النصوص، وهو اجتهاد موفق.

قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: نَظَرْتُ كَمْ يَكْفِي الرَّجُلَ مِنَ القُرْآنِ، فَلَمْ أَجِدْ سُورَةً أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ آيَاتٍ، فَقُلْتُ: لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ آيَاتٍ، قَالَ عَلِيٌّ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، أَخْبَرَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، أَخْبَرَهُ عَلْقَمَةُ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ [م: الأنصاري]-وَلَقِيتُهُ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ- فَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ [هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ] بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٤٩٩٢) و(٥٠٤١).

(٢) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٥١)، وما بين المعقوفين أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٨٠٨/٢٥٦)، وابن داود، **سنن أبي داود**، (١٣٩٥)، والترمذي، **الجامع الكبير**، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، (٢٨٨١)، غير أنه قال: «**مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ**». وسيأتي مزيد تخريج له.

قلت: فقوله ﷺ: «**كَفَتَاهُ**»: قول عام يشمل كفايتهما في الورد اليومي، وفي القيام بهما، وفي الاكتفاء بقراءتهما دون سائر القرآن تعبدًا، وفي الثواب، ومن السوء، وغير ذلك من أنواع الكفاية، فإذا وجد المرء مشقة على نفسه اكتفى بهما، فليس الأمر بالكثرة.

وكان النبي ﷺ ربما تدرج مع الصحابة في ختم القرآن حسب الطاقة بما يراه الأنسب لهم، حتى تدرج مع عبد الله بن عمرو من شهر إلى سبعة أيام، تسهيلًا عليه: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**القَنِي بِهِ**»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَصُومُ؟**» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟**»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «**صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً، وَاقْرَإِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الجُمُعَةِ**»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا**» قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً**»، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ القُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا، فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ -هو البخاري-: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلاثٍ وَفِي خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٥٢ و٥٠٥٣).

وقد جاء في بعض الروايات أنه ﷺ تدرج مع عبد الله بن عمرو إلى خمسة أيام: فعن عطاء بن السائب، عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**صُمْ مِن كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام، واقرإِ القرآنَ في شهرٍ**»، فناقَصَني وناقَصْتُه، فقال: «**صُمْ يومًا وأفطِر يومًا**». قال عطاء: واختلفنا عن أبي، فقال بعضنا: سبعة أيام، وقال بعضنا: خمسًا[١].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فِي كَمْ أَقْرَأُ القُرآنَ؟ قَالَ: «**اخْتِمْهُ فِي شَهْرٍ**». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**اخْتِمْهُ فِي عِشْرِينَ**». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**اخْتِمْهُ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ**». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**اخْتِمْهُ فِي عَشْرٍ**». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**اخْتِمْهُ فِي خَمْسٍ**». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَمَا رَخَّصَ لِي[٢].

قال الترمذي عقبه: «وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَرُوِي عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ، وَرُوِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: اقْرَأِ القُرْآنَ فِي أَرْبَعِينَ. وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: وَلاَ نُحِبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَلَمْ يَقْرَأِ القُرْآنَ لِهَذَا الحَدِيثِ.

وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: لاَ يُقْرَأُ القُرْآنُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ لِلْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ، وَرُوِي عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ

---

(١) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٨٩)، وقال شعيب: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٤٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، يُسْتَغْرَبُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو».

القُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ يُوتِرُ بِهَا، وَرُوِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَرَأَ القُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ فِي الكَعْبَةِ، وَالتَّرْتِيلُ فِي القِرَاءَةِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِ العِلْمِ»(١).

بل ورد عنه ﷺ في بعض الروايات النهي عن ختم القرآن في أقل من سبع ليالٍ، ولم يرخص في ذلك؛ خصوصًا عند مظنة المشقة والتعب: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اقْرَإِ القُرْآنَ فِي شَهْرٍ**». قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً حَتَّى قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ**»(٢).

وعن أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال له: «**اقرأ القرآنَ في شهر**». قال: إني أَجِدُ قُوةً، قال: «**اقرأ في عشرين**». قال: إني أجِدُ قُوةً، قال: «**اقرأ في خمس عشرةَ**». قال: إني أجِدُ قُوةَ، قال: «**اقرأ في عشر**». قال: إني أَجِدُ قُوةَ، قال: «**اقرأ في سَبع، ولا تزيدنَّ على ذلك**»(٣).

وورد عنه ﷺ الترخيص في ختم القرآن إلى ثلاثة أيام، عند القوة ومظنة الاستطاعة، ونهى عن الختم في أقل منها؛ مبينًا سبب النهي؛ وهو: عدم فهم القرآن وعدم تدبره: فعن يزيد ابن عبد الله، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: يا رسولَ الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: «**في شَهرٍ**». قال: إني أقوى من ذلك -رَدَّدَ الكلامَ أبو موسى وتَنَاقَصَه، حتى- قال: «**اقرأه في سَبْعٍ**». قال: إني أقوى مِنْ ذلك، قال: «**لا يَفْقَه مَنْ قرأه في أقلَّ من ثلاث**»(٤).

---

(١) الترمذي، الجامع الكبير، ج٥ ص٤٦-٤٧.

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٥٤).

(٣) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٨٨)، وقال شعيب: «إسناده صحيح».

(٤) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٩٠)، وقال شعيب: «إسناده صحيح».

وعن خيثَمَة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرإ القرآنَ في شهرٍ». قال: إن بي قُوَّةً، قال: «اقرأه في ثلاثٍ»(١).

قال ابن عبد البر: «وَأَمَّا أَحَادِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَأَكْثَرُهَا أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

بل بيَّن النبي ﷺ أن الأصل قراءة القرآن مع الفهم والتدبر، وأن من قرأ فشق عليه أو تعب، فليتوقف عن القراءة، وأن أي مانع يمنع من التدبر فالحكم هو الكف عن القراءة: فعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ»(٣).

وربما صرَح النبي ﷺ بأن من قرأ القرآن فوق طاقته بأنه سيمل ولن يطيق ذلك مع مضي الزمن، وهو سبب وجيه جدًا في المحافظة على تعاهد القرآن بطريقة صحيحة:

فعَنْ يَحْيَى بْنِ حَكِيمِ بْنِ صَفْوَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ وَأَنْ تَمَلَّ، فَاقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ»، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي عَشْرٍ». قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ». قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، فَأَبَى(٤).

---

(١) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٩١)، وصححه شعيب.

(٢) أخرجه: ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج٢ ص٤٧٧.

(٣) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٧٨٧/٢٢٣).

(٤) أخرجه: ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (١٣٤٦)، وصححه شعيب.

وقد جعل النبي ﷺ انضباط المرء بالعمل حسب الاستطاعة ليس خاصًا بالقرآن وحده؛ بل هو منهج يحتذيه المرء في كل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى: فعن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ الْحَوْلَاءَ بِنْتَ تُوَيْتِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى مَرَّتْ بِهَا وَعِنْدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: هَذِهِ الْحَوْلَاءُ بِنْتُ تُوَيْتٍ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا لَا تَنَامُ اللَّيْلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَنَامُ اللَّيْلَ خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَمُ اللهُ حَتَّى تَسْأَمُوا**»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**» فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي، قَالَ: «**عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**». وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ أَنَّهَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ(٢).

وورد عنه ﷺ التسهيل جدًا في قراءة القرآن مع عدم الاستطاعة؛ على قدر حال المرء؛ حتى إنه ﷺ اكتفى من أحد الصحابة رضي الله عنهم بسورة من قصار السور، يداوم على قراءتها دون سائر القرآن؛ لأنه لا يطيق أكثر من ذلك؛ مبينًا أن الالتزام بالوسع والطاقة في ذلك سبب للفلاح؛ ولم يشق على الرجل: فعن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ، فقال: أقرِئْني يا رسولَ الله، فقال: «**اقرأ ثلاثًا من ذوات ﴿الٓر﴾**»، فقال: كَبِرَتْ سِنِّي، واشتدَّ قلبي، وغَلُظَ لساني، قال: «**فاقرأ ثلاثًا من ذوات ﴿حمٓ﴾**»، فقال مثل مقالته، فقال: «**اقرأ ثلاثًا من المُسبِّحات**»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورةً جامعةً، فأقرأه النبي ﷺ: ﴿إِذَا

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٧٨٥/٢٢٠).
(٢) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٧٨٥/٢٢١).

زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ حتى فَرَغَ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيدُ عليها أبدًا، ثم أدْبَرَ الرجلُ، فقال النبي ﷺ: «**أفلح الرُوَيْجِلُ**». مرتين(١).

فأقرأه النبي ﷺ حسب استطاعته فقط، ولم يكلفه غير ذلك، وفيه حرص الصحابي على التعلم وعلى تعلم ما يستطيع؛ ليقدر عليه وليعمل به.

وربما أسقط النبي ﷺ تعلم القرآن عن غير المستطيع بالكلية: فعَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَعَلِّمْنِي شَيْئًا يُجْزِئُنِي مِنَ الْقُرْآنِ. فَقَالَ: «**قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»(٢).

* * *

رابعًا: إرشاده ﷺ وإقراره تحزيب القرآن:

وقد أرشد النبي ﷺ إلى تجزئة القرآن الكريم وتحزيبه، وأقر من بعض الصحابة أن يخصصوا أجزاءً من القرآن موزعة على عدد من الأيام؛ تسهيلًا لتلاوته وتيسيرًا لختمه:

فمن تسمية النبي ﷺ للقدر المعين من القرآن يقرأ في وقت معين: (حزبًا): ما جاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**»(٣). وفي لفظ: «**مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْ وِرْدِهِ**

---

(١) أخرجه: وأبو داود، سنن أبي داود، (١٣٩٩)، وحسن إسناده شعيب.

(٢) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (٩٢٤)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، (٥٨١)، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٤٣).

-أَوْ قَالَ: مِنْ حِزْبِهِ- مِنَ اللَّيْلِ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الْفَجْرِ إِلَى الظُّهْرِ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ لَيْلَتِهِ»(١).

وربما سمى القدر المعين يقرأ من القرآن: (جزءًا)، وهو يتكون من عدد من الأحزاب: جاء عن ابن الهاد، قال: سألني نافعُ بنُ جبير بن مطعم، فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أُحزِّبه، فقال لي نافع: لا تقل: ما أُحزِّبه، فإن رسولَ الله ﷺ قال: «**قرأت جُزءًا مِن القرآنِ**». قال: حَسِبتُ أنه ذكره عن المُغيرة بن شُعبة(٢).

وقد حدَّ ﷺ تحزيبه بأن لا يقل عن ثلاثة أيام حال القوة: فعن أبي العلاء يزيدَ بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عبد الله -يعني ابن عمرو- قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**[جه: لم] لا يَفْقَهُ من قَرَأَ القرآنَ في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ**»(٣).

ونهى أن يقرأ القرآن محزبًا في أقل من سبعة أيام خشية الضعف والمشقة: فعن وهب ابن مُنبِّه، عن عبد الله بن عمرو أنه سأل النبيَّ ﷺ: في كم يقرأ القرآن؟ قال: «**في أربعين يومًا**». ثم قال: «**في شهرٍ**». ثم قال: «**في عشرين**». ثم قال: «**في خمسَ عشرةَ**». ثم قال: «**في عشرٍ**». ثم قال: «**في سبعٍ**». لم ينزل مِن سبعٍ(٤).

وربما أمر ﷺ أن يُقرأ القرآن محزبًا في أربعين يومًا: فعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٢٠)، وقال شعيب: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عتاب بن زياد، فقد روى له ابن ماجه وهو ثقة».

(٢) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٩٢)، وحسنه شعيب.

(٣) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٩٤)، والترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٤٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٤٧).

(٤) أخرجه: ابن داود، سنن أبي داود، (١٣٩٥)، وقال شعيب: «حديث صحيح دون ذكر الأربعين يومًا، فحسنٌ، وهذا إسناد رجاله ثقات».

عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي أَرْبَعِينَ**»(١). وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ وَهْبِ ابْنِ مُنَبِّهٍ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَرْبَعِينَ**»(٢).

ومن تحزيب القرآن: الاكتفاء بقراءة آخر آيتين من البقرة: فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ [م: الأنصاري] -وَلَقِيتُهُ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ- فَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ [هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ] بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٣).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٤). وفي لفظ: «**الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٥).

وقد أرشد النبي ﷺ إلى جواز تحزيب القرآن والاعتداد بذلك بعدد من الآيات؛ كل امرئ حسب طاقته واستطاعته: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من قام بعَشْرِ آيات لم يكتَبْ من الغافلين، ومَنْ قامَ بمئةِ آيةٍ كُتِبَ مِن القانتين، ومَنْ قامَ بألفِ آيةٍ كُتِبَ من المُقنطِرين**»(٦).

فقوله ﷺ: «**بعشرة**». «**بمئة**». «**بألف**»، دليل على جواز التحزيب واستحبابه والاعتداد بذلك بعدد من الآيات لا الأجزاء.

---

(١) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٤٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

(٢) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٤٧).

(٣) سبق تخريجه. وسيأتي بعد هذا مزيد تخريج له.

(٤) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٠٨ و٥٠٠٩).

(٥) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٤٠)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٥٥/٨٠٧).

(٦) أخرجه: ابو داود، **سنن أبي داود**، (١٣٩٨)، وحسن إسناده شعيب.

وربما أرشد النبي ﷺ إلى الاعتداد بتحزيب القرآن ببعض السور: فعن أبي هريرة، عنِ النبي ﷺ، قال: «[ت، جه: إن] **سُورة مِن [جه: في] القرآن ثلاثون آيةً تشفعُ [ت، جه: شَفَعَتْ] لصاحبها [ت: لِرَجُلٍ] حتى يُغفرَ [ت، جه: غُفِرَ] له، [ت: وَهِيَ]** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»(١).

* * *

خامسًا: اغتنامه ﷺ مناسبات معينة ليُقرئ الصحابة ﷺ:

وكان من حكمة النبي ﷺ وخبرته في التعليم، أنه كان يغتنم مناسبات معينة ليقرئ أصحابه، ليكون ذلك أبلغ في نفوسهم قبولًا وتعلمًا وفهمًا: فعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ**» قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»(٢).

وعَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:** ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]». ثُمَّ قَالَ لِي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي،

---

(١) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٠٠). الترمذي، الجامع الكبير، (٢٨٩١)، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (٣٧٨٦).

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٠٦).

فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ**»، قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] «**هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[١]. وفي لفظ: «**هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّذِي أُوتِيتُ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**»[٢].

فقوله ﷺ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ»: يدل على أنه علمه كيفية قراءة سورة الفاتحة، وفيه: توخي المرء الوقت المناسب للتعليم، وتوخيه قبول المتعلم وتأهبه ليبلغ الغاية في التعلم.

وقد ورد مثل ذلك في تعليم النبي ﷺ لأبي رضي الله عنه: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أُبَيُّ**» -وَهُوَ يُصَلِّي- فَالْتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: «**أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾». قَالَ: بَلَى وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: «**تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟**». قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟**». قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ**»[٣]. وفي لفظ للنسائي مختصرًا: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ** عز وجل

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٤٧٤) و(٤٧٠٣)، وأبو داود، سنن أبي داود، (١٤٥٨)، بنحوه، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (٣٧٨٥)، مختصرًا.

(٢) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، (٩١٣).

(٣) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٨٧٥)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[١].

وفي لفظ أخرجه مالك مرسلًا، وفيه: «**...فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ لَحِقَهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ...قَالَ أُبَيٌّ: فَجَعَلْتُ أُبْطِئُ فِي الْمَشْيِ رَجَاءَ ذَلِكَ...**»[٢].

قال ابن عبد البر: «وَفِيهِ وَضْعُ الرَّجُلِ يَدَهُ عَلَى يَدِ صَدِيقِهِ إِذَا حَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ، وهَذَا يُسْتَحْسَنُ مِنَ الْكَبِيرِ لِلصَّغِيرِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّأْنِيسِ وَالتَّأْكِيدِ فِي الْوُدِّ.

وَفِي قَوْلِ أُبَيٍّ: يَا رَسُولَ اللهِ السُّورَةَ الَّتِي وَعَدْتَنِي -دَلِيلٌ عَلَى حِرْصِهِ عَلَى الْعِلْمِ ورَغْبَتِهِ فِيهِ، وكَذَلِكَ كَانَ إِبْطَاؤُهُ فِي مَشْيِهِ مَحَبَّةً فِي الْعِلْمِ وَحِرْصًا عَلَيْهِ»[٣].

وكان ربما أقرأهم ﷺ في السفر:

فعَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَقَرَأَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾. ورواه مختصرًا الحَكَمُ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[٤].

---

(١) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، (٩١٤). وصححه الألباني.

(٢) أخرجه: مالك، **الموطأ**، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في أم القرآن، حديث رقم: (٣٧). قال الجوهري، في مسند الموطأ، ص٤٩٢ حديث رقم: (٦٢٦): «وَهَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ»، وقد وصله ابن عبد البر، انظر: **الاستذكار**، ج١ ص٤٤٢، قال: «...قَالَ أَبُو عُمَرَ هَذَا الْحَدِيثُ مُرْسَلٌ فِي الْمُوَطَّأِ هَكَذَا عِنْدَ جَمِيعِ رُوَاتِهِ فِيمَا عَلِمْتُ. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي التَّمْهِيدِ مَنْ وَصَلَهُ عَنِ الْعَلَاءِ فَجَعَلَهُ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ...».

(٣) ابن عبد البر، انظر: **الاستذكار**، ج١ ص٤٤٤.

(٤) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٤١)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ». ثم قال: «وَهَكَذَا رَوَى الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ قَتَادَةَ، وَلَا نَعْرِفُ لِقَتَادَةَ سَمَاعًا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مِنْ أَنَسٍ وَأَبِي الطُّفَيْلِ، وَهَذَا=

وكان ربما أقرأهم في خطبة الجمعة:

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنَةِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَتْ: «**حَفِظْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ**»(١).

* * *

سادسًا: إقراؤه ﷺ الصحابة على كل أحواله:

فقد كان النبي ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه، والقرآن من ذكر الله تعالى، وقد صرَّح بعض الصحابة أنه ﷺ كان يعلمهم القرآن على كل حال ما لم يكن جنبًا:

فعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ عَلَى كُلِّ حَالٍ [ن: لَيْسَ الْجَنَابَةَ] مَا لَمْ يَكُنْ جُنُبًا**»(٢).

قال الترمذي عقبه: «وَبِهِ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّابِعِينَ. قَالُوا: يَقْرَأُ الرَّجُلُ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ، وَلَا يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ»(٣).

=عِنْدِي حَدِيثٌ مُخْتَصَرٌ إِنَّمَا يُرْوَى عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَقَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَحَدِيثُ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عِنْدِي مُخْتَصَرٌ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ». والحديث صححه الألباني في، **صحيح سنن الترمذي**، ج٦ ص٤٤٦.

(١) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، (١٤١١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٦٢٧) و(١١٢٣) دون قوله: «**عَلَى كُلِّ حَالٍ**»، والترمذي، **الجامع الكبير**، (١٤٦) واللفظ له، وقال الترمذي: «حَدِيثُ عَلِيٍّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والنسائي، **سنن النسائي**، (٢٢٦)، وحسن إسناده شعيب، في تحقيقه على المسند. والحديث ضعفه الألباني، **ضعيف سنن النسائي**، ج١ ص٤١٠.

(٣) الترمذي، **الجامع الكبير**، ج١ ص٢١٤.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِمَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي الْخَلَاءَ، فَيَقْضِي الْحَاجَةَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَأْكُلُ مَعَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَلَا يَحْجُبُهُ -وَرُبَّمَا قَالَ: وَلَا يَحْجُزُهُ- عَنْ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِلَّا الْجَنَابَةُ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِمَةَ قَالَ: أَتَيْتُ عَلِيًّا أَنَا وَرَجُلَانِ، فَقَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [ح: يَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ] يَخْرُجُ مِنَ الْخَلَاءِ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَأْكُلُ مَعَنَا اللَّحْمَ، [ح: وَلَا يَحْجُزُهُ -وَرُبَّمَا قَالَ: يَحْجُبُهُ-] وَلَمْ يَكُنْ يَحْجُبُهُ عَنِ [ح: مِنَ] الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَيْسَ الْجَنَابَةَ**»(٢).

* * *

(١) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (٥٩٤)، وحسن إسناده شعيب.

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (٦٣٩) دون قوله: «مِنَ الْخَلَاءِ»، والنسائي، سنن النسائي، (٢٦٥)، وحسن إسناده شعيب.

وأخرجه: أحمد، المسند، (٨٤٠)، من طريق محمد بن جعفر، وفيه قصة.

وأخرجه: أحمد، المسند، (١٠١١)، من طريق وكيع.

المطلب الثاني: انتقاء النبي ﷺ مراجع للإقراء:

أولًا: تفرسه ﷺ في البعض وتشجيعهم؛ ليكونوا مراجع للإقراء:

فقد تفرَّس النبي ﷺ في ابن مسعود رضي الله عنه يوم أن كان صغيرًا بأنه سيكون مرجعًا للإقراء يومًا ما، وشجَّعه على التعلم: فعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَاءَ [فَمَرَّ] النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَا [فَقَالَ]: «**يَا غُلَامُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟**»، قُلْتُ: [نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ] إِنِّي مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ [شَاةٍ] لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟**». [فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ]. قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ، وَدَعَا، فَحَفَلَ الضَّرْعُ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ [مَنْقُورَةٍ]، فَاحْتَلَبَ فِيهَا، فَشَرِبَ، وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**»، فَقَلَصَ، [قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا] فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: [يَا رَسُولَ اللهِ] عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ [الْقُرْآنِ]؟ قَالَ: «**إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**»، [قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «**يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ**]». قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً، لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ[1].

فقوله: ﷺ «**إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**»: تفرس منه ﷺ بأن ابن مسعود رضي الله عنه، سيكون موفقًا من الله تعالى للتعلم، أو سيكون معلمًا.

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «**لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ**»: دليل على أنه أصبح بهذا التعليم مرجعًا للإقراء لا يسبقه فيه أحد.

---

(1) أخرجه: أحمد، المسند، (٤٤١٢) وما بين المعقوفين زدته من الرقمين: (٣٥٩٨) و(٣٥٩٩) و(٤٣٣٠)، وحسن إسناده شعيب.

ثانيًا: إرشاده ﷺ للتعلم من أشخاص معينين ليقرأ الناس كما أنزل القرآن:

وكان النبي ﷺ يرشد بالقراءة على أناس معينين؛ أولهم وأفضلهم قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، ثم ثلاثة بعده، هم: أبي، ومعاذ، وسالم رضي الله عنهم: فعَنْ مَسْرُوقٍ، ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**»[(١)]. وفي رواية مع تقديم وتأخير فيها بين الأربعة سوى ابن مسعود رضي الله عنه، جاء في آخر الرواية: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنَ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ**». قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: **فَذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ، مُنْذُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَدَأَ بِهِ**[(٢)]. وفي رواية: «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ -فَبَدَأَ بِهِ-، وَمِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ**»[(٣)].

وقد جاء النص في رواية أخرى على القراءة مباشرة عليهم وطلبها منهم وعدم الاكتفاء بالقراءة على قراءتهم بالواسطة: فعَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**»[(٤)]. وفي رواية: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ،

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٣٨٠٨) و(٤٩٩٩)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤٦٤/١١٧). وأخرجه مسلم بنحوه، برقم: (١١٧)، وقال: «في رواية أبي بكر، عن أبي معاوية، قدم معاذًا، قبل أبي، وفي رواية أبي كريب، أبي، قبل معاذ»، وقال في الحديث الذي بعده: عن «...بشر بن خالد، أخبرنا محمد يعني ابن جعفر، كلاهما، عن شعبة، عن الأعمش، بإسنادهم واختلفا، عن شعبة في تنسيق الأربعة».

(٢) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٦٧٨٦)، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٦٧٩٠) و(٦٧٩٥)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤٦٤/١١٦).

(٤) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٦٧٦٧)، وأخرجه بنحوه رقم: (٦٥٢٣)، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

بعدَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنَ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ**»(١).

فارتضاء النبي ﷺ لهؤلاء الصحابة لِيُقرِئوا الناس دليل على شهادته لهم بحسن التلقي منه ﷺ، وكما يظهر أن أفضلهم قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وأما بقية الأربعة، فالظاهر أنهم سواء في الرتبة، لكثرة التقديم والتأخير بينهم في الروايات السابقة.

وفي بعض الروايات زيادة رجلين على الأربعة السابقين، هما: زيد بن ثابت، وأبو زيد قيس بن السكن: فعن قَتَادَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه: «**مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؟**». قَالَ: «**أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ ابْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ**»(٢). قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: «**أحد عمومتي**»(٣). وفي رواية: «**...ورجل من الأنصار يكنى أبا زيد**»(٤).

ومعنى قوله: «**جَمَعَ الْقُرْآنَ**»، أَي: اسْتَظْهَرَهُ حِفْظًا.

وقد اختُلف في المراد بأبي زيد، فقيل: اسمه أوس. وقيل: ثابت بن زيد. وقيل: سعد بن عبيد بن النعمان، وجزم به الطبراني. وقيل: قيس بن السكن بن قيس بن زعور بن حرام الأنصاري النجاري. وهذا ما رجحه ابن حجر، لقول أنس رضي الله عنه: «**أحد عمومتي**»، فإنه من قبيلة بني حرام.

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (٦٨٣٨)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤٦٤/١١٨).

(٢) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٠٣) و(٣٨١٠).

(٣) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٣٨١٠)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤٦٥/١١٩).

(٤) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤٦٥/١٢٠).

وقوله: «**كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ**»؛ أي: لم يقع جمع القرآن لأربعة من قبيلة واحدة إلا لقبيلة الأنصار[١].

ثم خَص النبي ﷺ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بمزيد تفضيل وذكْرٍ في القراءة: فعن أَبِي بَكْرٍ -يَعْنِي ابْنَ عَيَّاشٍ-، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»[٢]. وفي لفظ عن عمر رضي الله عنه مثله غير أنه قال في آخره: «**....، فَلْيَقْرَأْهُ مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»[٣]. وفي لفظ عنه: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»[٤].

وعن زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَبْدُ اللهِ يُصَلِّي، فَافْتَتَحَ النِّسَاءَ فَسَحَلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»، ثُمَّ تَقَدَّمَ يَسْأَلُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**»، فَقَالَ فِيمَا سَأَلَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ. قَالَ: فَأَتَى عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- عَبْدَ اللهِ لِيُبَشِّرَهُ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ- قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ: إِنْ فَعَلْتَ، لَقَدْ كُنْتَ سَبَّاقًا بِالْخَيْرِ[٥].

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٧ ص١٢٧-١٢٨.

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (٣٥)، وعنه: ابن حبان، صحيح ابن حبان، (٧٠٦٦)، وحسن إسناده شعيب. وأخرجه: أحمد، برقم (٣٦) عن علقمة عن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٦٥)، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين». وسيأتي لفظه كاملًا.

(٤) أخرجه: أحمد، المسند، (١٧٥)، وقال شعيب: «رجاله ثقات رجال الشيخين». وسيأتي لفظه كاملًا.

(٥) أخرجه: أحمد، المسند، (٤٢٥٥)، وقال شعيب: «صحيح بشواهده».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَرِيضًا -كَذَا قَالَ- كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»(١).

والفرق بين قوله: «**فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**». وقوله: «**فَلْيَقْرَأْهُ مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»: أن اللفظ الأول يدل على القراءة مباشرة على ابن مسعود رضي الله عنه، أو على القراءة بمثل قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالواسطة. واللفظ الثاني يدل على القراءة مباشرة من ابن مسعود رضي الله عنه، وعليه فلا يلزم من أراد أن يقرأ القرآن كما أُنزل أن يقرأه مباشرة على ابن مسعود رضي الله عنه، بل من قرأ مثل قراءته رضي الله عنه رجلًا عن رجل بالواسطة حتى يومنا هذا، فقد قرأه كما أُنزل، ومن هنا جاز للأشياخ أن يكتبوا في إجازاتهم لطلابهم: (وقد قرأ عليَّ القرآن من أَوَّلِهِ لآخره كما أُنزل)، أو نحوها من العبارات.

وقد كان النبي ﷺ يخص زيدًا أحيانًا ليكتب له الوحي: فعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَّا يَسْتَوِى﴾ [النساء:٩٥] الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩٥]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ادْعُ لِي زَيْدًا وَلْيَجِئْ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالْكَتِفِ -أَوِ الْكَتِفِ وَالدَّوَاةِ-**»، ثُمَّ قَالَ: «**اكْتُبْ** ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ [النساء:٩٥]». وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي، فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ؟، فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٩٥] ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩٥] ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥](٢).

* * *

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (٩٧٥٤)، وقال شعيب: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٩٩٠).

ثانيًا: تفضيله ﷺ الماهر بالقرآن:

وقد فضَّل النبي ﷺ الماهر بالقرآن -وهو الحاذق فيه اتقانًا وحفظًا وفهمًا وتدبرًا- على غيره من القراء: فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»**. وَقَالَ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ: **«...وَالَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرَانِ»**(١). وفي لفظ: **«...وَالَّذِي يَقْرَأُ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ اثْنَانِ»**(٢).

وفي لفظ: عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»**(٣).

وفي لفظ: عن عائشة، عن النبيِّ ﷺ قال: **«الذي يقرأُ القرآنَ وهو ماهِر به مع السَّفرَةِ الكِرامِ البرَرَةِ، والذي يقرؤه وهو يشتدُ عليه، فله أجرَان»**(٤). وفي لفظ: هِشَامٍ: **«وَهُوَ شَدِيدٌ عَلَيْهِ»**. وفي لفظ شُعْبَةَ: **«وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، فَلَهُ أَجْرَانِ»**(٥).

* * *

ثالثًا: تقديمه ﷺ الأقرأ في عدة مواطن:

كان النبي ﷺ يقدِّم الأقرأ على غيره في مواطن كثيرة؛ إكرامًا له ولما يتقنه ويحمله

---

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٤٤/٧٩٨).

(٢) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (٣٧٧٩)، وأصله في البخاري ومسلم؛ كما سبق. وصححه شعيب.

(٣) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٩٣٧).

(٤) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٥٤)، وقال الالباني، صحيح سنن أبي داود (الأم)، ج٥ ص١٩٥، (١٣٠٧): «قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجاه في (صحيحيهما)».

(٥) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٠٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

من القرآن، فربما قدمه للصلاة، وربما قدمه للجهاد، وربما قدمه في القبر، وربما قدمه في الإمارة.

فمن تقديمه ﷺ الأقرأ للصلاة: ما جاء عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا** [وقال الأشج: سِنًّا]، **وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»(١).

وفي رواية عنه قدَّم فيها النبي ﷺ الأقدم قراءة على من هو مثله في القراءة والإتقان؛ لفضل تقدمه في القراءة: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلَا تَؤُمَّنَّ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ، وَلَا فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا تَجْلِسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ، أَوْ بِإِذْنِهِ**»(٢).

بل بيَّن النبي ﷺ أن الأقرأ أحق من غيره بالإمامة، ممن هم دونه في القراءة؛ فالإمامة حق له لا يؤم غيره إلا بإذنه: فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَحَدُهُمْ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْإِمَامَةِ أَقْرَؤُهُمْ**»(٣).

ومن تقديمه ﷺ الأقراء للإمارة: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْثًا وَهُمْ ذُو عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ؛ فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَتَى

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٩٠/٦٧٣).
(٢) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٩١/٦٧٣).
(٣) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٨٩/٦٧٢).

عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فقَالَ: «**مَا مَعَكَ يَا فُلَانُ؟**». قَالَ: مَعِي كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ البَقَرَةِ. قَالَ: «**أَمَعَكَ سُورَةُ البَقَرَةِ؟**»، فقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَاذْهَبْ، فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ سُورَةَ البَقَرَةِ إِلاَّ خَشْيَةَ أَلاَّ أَقُومَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَعَلَّمُوا القُرْآنَ، فَاقْرَءُوهُ وَأَقْرِئُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ القُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ بِرِيحِهِ كُلَّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِئَ عَلَى مِسْكٍ**»(١).

* * *

(١) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٨٧٦)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

المطلب الثالث: ترغيب النبي ﷺ بالتعلم والتعليم:

أولًا: بيانه ﷺ أن معلم ومتعلم القرآن خير الناس:

وقد جعل النبي ﷺ معلم القرآن ومتعلمه خير الناس على الإطلاق: فعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا[1].

وفي رواية أخرى أكد فيها ﷺ هذه الخيرية: فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ [ت: خَيْرَكُمْ، أَوْ] أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[2]. وفي لفظ: «**إِنَّ خَيْرَكُمْ مَنْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ أَوْ تَعَلَّمَهُ**»[3]. «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، أَوْ عَلَّمَهُ**»[4]. وفي لفظ عن علي ﷺ: «**خِيَارُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[5].

ومن خيرية معلم ومتعلم القرآن على غيره، تزويجه بما معه من القرآن قلَّ أو كثر: فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، قَالَ:

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (٤١٢) و(٥٠٠)، البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٢٧)، وأبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٥٢)، والترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٠٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وأخرجه عن علي ﷺ، برقم: (٢٩٠٩).

(٢) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٢٨)، وأخرجه بدون قوله: «إن»: أحمد، **المسند**، (٤٠٥) و(٥٠٠)، والترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٠٨)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (٢١١) و(٢١٢).

(٣) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٤١٢)، وصححه شعيب.

(٤) أخرجه: أحمد، **المسند**، (٤١٣)، وصححه شعيب.

(٥) أخرجه: أحمد، **المسند**، (١٣١٨)، وصححه شعيب.

«**أَعْطِهَا ثَوْبًا**»، قَالَ: لاَ أَجِدُ، قَالَ: «**أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**»، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ: «**مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟**» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»(١).

وفي لفظ: عن أَبِي حَازِمٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، يَقُولُ: إِنِّي لَفِي الْقَوْمِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ قَامَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ، فَرَ فِيهَا رَأْيَكَ، فَلَمْ يُجِبْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ، فَرَ فِيهَا رَأْيَكَ، فَلَمْ يُجِبْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتِ الثَّالِثَةَ فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ، فَرَ فِيهَا رَأْيَكَ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْكِحْنِيهَا، قَالَ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟**». قَالَ: لاَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَاطْلُبْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**»، فَذَهَبَ فَطَلَبَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: مَا وَجَدْتُ شَيْئًا وَلاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: «**هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟**». قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، قَالَ: «**اذْهَبْ، فَقَدْ أَنْكَحْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»(٢).

* * *

ثانيًا: بيانه ﷺ الإثابة على القراءة والإقراء:

الفرع الأول: الإثابة على القراءة:

الأحاديث في الإثابة على قراءة القرآن كثيرة، وليس المقصود هنا حصرها بقدر بيان أن ذكر الإثابة على القراءة نوع من الحث على تعلم القرآن وتعليمه، ومن هذه الروايات:

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٢٩).

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥١٤٩).

بيانه ﷺ لفضل قراءة الحرف الواحد من كتاب الله تعالى: ما جاء عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

ومن بيانه لإكرام القرآن لقارئه يوم القيامة: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**»(٢).

ومن بيانه ﷺ لفضل قراءة سورة الفاتحة والإثابة عليها ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي ﷺ، فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ**» قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِر**

---

(١) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩١٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

(٢) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩١٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

(٣) سبق تخريجه.

بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»(١).

ومن بيانه ﷺ لفضل قراءة بعض آيات معلومات في القرآن، كآخر آيتين من سورة البقرة: ما جاء عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ؓ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٢). وفي لفظ: «**الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٣).

ومن بيانه ﷺ لفضل قراءة آية الكرسي: ما جاء عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»(٤). وفي لفظ: «**لِيَهْنِ لك أبا المنذرِ العلمُ**»(٥).

ومن بيانه ﷺ لفضل قراءة بعض آيات من القرآن: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟**» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ [جه: يَقْرَؤُهُنَّ] أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ [جه: سِمَانٍ عِظَامٍ]**»(٦).

---

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨٠٦/٢٥٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨١٠/٢٥٨).

(٥) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٦٠). وقال الألباني، صحيح سنن ابي داود (الأم)، ج٥ ص٢٠١، (١٣١٣): «قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقد أخرجه في (صحيحه)».

(٦) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨٠٢/٢٥٠)، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (٣٧٨٢).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ [فيأخذَ] مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَفَلَا [فلأنْ] يَغْدُو أَحَدُكُمْ [كلَّ يومٍ] إِلَى الْمَسْجِدِ [فيتعلَّم] فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، [وإن ثلاثٌ فثلاثٌ] وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، [مثل] وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**»(١).

ومن بيانه ﷺ لفضل قراءة سورة البقرة: ما جاء عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «**وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ**»(٢).

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ

---

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨٠٣/٢٥١)، وما بين المعقوفين أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٥٦)، غير أنه لم يقل: «أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ». «عز وجل». «وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ».

(٢) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠١٨).

تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ». قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ -أَيْضًا-، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ». قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**»(١).

ومن بيانه لفضل قراءة المسبحات: ما جاء عن عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ(٢) قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ**»(٣).

ومن بيانه ﷺ لفضل قراءة سورة الكهف: ما جاء عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ**»(٤).

---

(١) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤٢/٧٩٦).

(٢) **المسبحات، هي**: السور التي في أوائلها سبحان، أو سبح بالماضي، أو يسبح، أو سبح بالأمر، وهي: سبعة سبحان الذي أسرى، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى. انظر: المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، ج٨ ص١٩٨.

(٣) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، (٢٩٢١)، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

(٤) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠١١)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤٠/٧٩٥).

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، يَقُولُ: قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ دَابَّةٌ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ [تنقز]، فَنَظَرَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ غَشِيَتْهُ، قَالَ: فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**اقْرَأْ فُلَانُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**»(١). وفي لفظ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ مَعَ الْقُرْآنِ، أَوْ نَزَلَتْ عَلَى الْقُرْآنِ**»(٢).

ومن بيانه لفضل قراءة سورة الإخلاص: ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ [ك: غَدَا] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(٣). وفي لفظ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ ابْنُ النُّعْمَانِ: **أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْرَأُ مِنَ السَّحَرِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ نَحْوَهُ**(٤).

وعَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ، مَوْلَى آلِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٢]؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ**». فَسَأَلْتُهُ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الْجَنَّةُ**»(٥). زاد مالك في الموطأ:

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠١١)، ومسلم، **صحيح مسلم**، (٢٤١/٧٩٥). وما بين المعقوفين أخرجه مسلم من طريق عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَأَبُو دَاوُدَ، قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ.

(٢) أخرجه: الترمذي، **الجامع الكبير**، كتاب: (٢٨٨٥)، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، من طريق: مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ.

(٣) أخرجه: مالك، **الموطأ**، كتاب: القرآن، باب: ما جاء في قراءة قل هو الله أحد، وتبارك، حديث رقم: (١٧)، البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠١٣) واللفظ له، أبو داود، **سنن أبي داود**، (١٤٦١)، وأخرجه دون قوله: «وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا»: النسائي، سنن النسائي، (٩٩٥).

(٤) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠١٤).

(٥) أخرجه: النسائي، **سنن النسائي**، (٩٩٤). وصححه الألباني.

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ، فَأُبَشِّرَهُ. ثُمَّ فَرِقْتُ أَنْ يَفُوتَنِي الْغَدَاءُ، فَآثَرْتُ الْغَدَاءَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ ذَهَبَ(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**»(٢). وفي حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(٣). ومن طريق أَبَانُ الْعَطَّارِ، عَنْ قَتَادَةَ، عن أَبِي الدَّرْدَاءِ: «**إِنَّ اللَّهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ**»(٤).

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ [ن: فكان] يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ [ن: فعل] ذَلِكَ؟**»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ [ن: ﷻ]، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ [ن: ﷻ] يُحِبُّهُ**»(٥).

---

(١) أخرجه: مالك، **الموطأ**، كتاب: القرآن، باب: ما جاء في قراءة قل هو الله أحد، وتبارك، حديث رقم: (١٨).

(٢) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠١٥).

(٣) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٨١١/٢٥٩)، والترمذي بنحوه، **الجامع الكبير**، (٢٨٩٦) و(٢٨٩٩)، وابن ماجه مختصرًا عن ثلاثة من الصحابة؛ أبي هريرة، وأنس، وابن مسعود ﷺ، **سنن ابن ماجه**، الأحاديث بالأرقام: (٣٧٨٧) و(٣٧٨٨) و(٣٧٨٩).

(٤) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٨١١/٢٦٠).

(٥) أخرجه: مسلم، **صحيح مسلم**، (٨١٣/٢٦٣)، والنسائي، **سنن النسائي**، (٩٩٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ لَهُمْ فِي الصَّلاةِ يَقْرَأُ بِهَا، افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى أَنَّهَا تُجْزِيكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ. فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: «**يَا فُلاَنُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذه السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**». وفي لفظ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «**إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ**»(١).

ومن بيانه لفضل قراءة المعوذتان: ما جاء عن عقبة بن عامر، قال: كنت أقودُ برسولِ الله ﷺ ناقتَه في السفر، فقال لي: «**يا عُقْبَةُ، ألا أعلمكَ خير سورتَيْن قُرِئتا؟**»، فعلَّمني: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. قال: فلم يرني سُررتُ بهما جدًا، فلما نزلَ لصلاة الصبح، صلّى بهما صلاةَ الصبح للناس، فلما فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من الصلاة، التفتَ إليَّ، فقال: «**يا عُقْبَة كيف رأيتَ؟**»(٢).

وعن عُقبةَ بن عامر قال: بينا أنا أسيرُ معَ رسول الله ﷺ بين الجُحفَة والأبواء، إذ غَشِيَتْنا رِيح وظُلمة شديدة، فجعل رسولُ الله ﷺ يتعوذ بـ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾

---

(١) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٠١)، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ ثَابِتٍ البُنَانِيِّ».

(٢) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٦٢)، وقال الألباني، صحيح سنن ابي داود (الأم)، ج٥ ص٢٠٣، (١٣١٥): «قلت: حديث صحيح، وصححه ابن خزيمة والحاكم».

و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ويقول: «**يا عُقبةُ، تعوذ بهما، فما تَعَوَّذَ متعوذ بمثلهما**». قال: وسمعتُه يؤمُّنا بهما في الصلاة(١).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ آيَاتٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ **إِلَى آخِرِ السُّورَةِ،** و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ **إِلَى آخِرِ السُّورَةِ**»(٢).

الفرع الثاني: الإثابة على الإقراء:

الأحاديث في الإثابة على إقراء القرآن كثيرة، وليس المقصود هنا حصرها بقدر بيان أن ذكر الإثابة على الإقراء نوع من الحث على تعلم القرآن وتعليمه، ومن هذه الروايات:

بيانه ﷺ أن من يتعلم القرآن ويعلمه يستحق أن يُحسد حسد غبطة، ولا غبطه إلا على مثل هذا العمل العظيم: فقد جاء عَنْ سَالِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ [هَذَا الْكِتَابَ] الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ [فقَامَ بِهِ وارتقِ] بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ [فَتَصَدَّقَ بِهِ] آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**»(٣).

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ**

---

(١) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٦٣)، وقال الألباني، صحيح سنن ابي داود (الأم)، ج٥ ص٢٠٤، (١٣١٦): «قلت: حديث صحيح».

(٢) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٠٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٣) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨١٥/٢٦٦)، وما بين المعقوفين أخرجه برقم: (٨١٥/٢٦٧).

يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ**»(٢).

فقوله: «**رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ [هَذَا الْكِتَابَ] الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ [فَقَامَ بِهِ] بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**». وقوله: «**وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»: أي آتاه الكتب فتعلّمه وعلّمه، وهذا يقتضي تعلم القرآن قراءة وتجويدًا، وتعلمه فقهًا وعملًا، فمن علّم ذلك فيغبط عليه، ولا غبطة محمودة إلا على مثل هذه الخصلة العظيمة التي هي نعمة جُلَّى من الله تعالى.

وقد بيَّن ﷺ أن الله يرفع معلِّم القرآن: فعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(٣).

وبين ﷺ أن السكينة تنزل على من يتدارس القرآن: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً**

---

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨١٦/٢٦٨).

(٢) أخرجه: البخاري صحيح البخاري، (٧٢٣٢).

(٣) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٨١٧/٢٦٩).

مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

وعَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٢).

وبيَّن ﷺ أن الله تعالى يباهي الملائكة بحلقات القرآن: فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ»(٣).

---

(١) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٦٩٩/٣٨)، وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٥٥)، مختصرًا من قوله: «ما اجتمع» إلى قوله: «عنده»، وأخرجه بتمامه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٤٥).

(٢) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٧٠٠/٣٩).

(٣) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٧٠١/٤٠).

ثالثًا: بيانه ﷺ لفضل حملة القرآن:

وكان النبي ﷺ يبيِّن لأصحابه فضل حملة القرآن حفظًا وفهمًا وتعلمًا وتعليمًا، مبينًا أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته: فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**». فَقِيلَ: مَنْ أَهْلُ اللهِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»(١).

وقد شبَّه النبي ﷺ حامل القرآن وقارؤه بعدد من الثمر كلٌّ على قدر قراءته وعمله، حتى نال المنافق والفاجر الذي يقرأ القرآن جزءًا من هذا التشبيه الحسن: فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**[مثل] المُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالمُؤْمِنُ [و] الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ المُنَافِقِ [الفَاجِرِ] الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ [كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ] رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ [الفَاجِرِ] الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالحَنْظَلَةِ [كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ]، طَعْمُهَا مُرٌّ [وَلاَ رِيحَ لَهَا] -أَوْ خَبِيثٌ- وَرِيحُهَا مُرٌّ**»(٢).

وبيَّن ﷺ أن حامل القرآن يغبط على ما يحمله منه: فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**»(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ**

---

(١) أخرجه: أحمد، المسند، (١٢٢٧٩) و(١٢٢٩٢)، وحسن إسناده شعيب.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٥٠٢٥).

رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ»(١).

* * *

رابعًا: بيانه ﷺ لفضل حفظ القرآن غيبًا:

وقد بيَّن النبي ﷺ فضل حفظ القرآن غيبًا، وزوج أحد الصحابة بما معه من القرآن رغم قلة ما يحفظ: فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: **«هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟»**. فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ، فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا؟»** فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، قَالَ: **«انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»**، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي -قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ- فَلَهَا نِصْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ، إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ [ن: مِنْهُ] شَيْءٌ»**، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ ثُمَّ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: **«مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟»** قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا -عَدَّهَا [ن: عَدَّدَهَا]- قَالَ: **«[ن: هَلْ] أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»**(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٢٦).

(٢) أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، (٥٠٣٠)، والنسائي، **سنن النسائي**، (٣٣٣٩)، بدون قوله: «فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ، فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا؟**» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ». وقوله: «اذْهَبْ فَقَدْ».

وقد فرَّق النبي ﷺ بين الذي يقرأ لقرآن دون حفظ، والذي يقرأؤه وهو حافظ له؛ فجعل منزلته اعلى من الأول: فعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**»(١).

* * *

خامسًا: بيانه ﷺ أن القرآن يشفع لأصحابه ويُحاجُّ عنهم:

بيَّن النبي ﷺ أن القرآن يدافع عن صاحبه يوم القيامة؛ فلنعم الصاحب هو: فعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ(٢).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ**»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٤٩٣٧).

(٢) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٥٢/٨٠٤).

(٣) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، (٢٥٣/٨٠٥).

سادسًا: ربطه ﷺ قراءة القرآن بالعمل به:

أكَّد النبي ﷺ في أحاديث كثيرة على أهمية العمل بالقرآن، وجعل العمل به ثمرة للقراءة الصحيحة: فعَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيد، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ الرَّبُّ** ﷻ: **مَنْ شَغَلَهُ القُرآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ**»(١).

وكان ﷺ يعمل بالقرآن ويعلم أصحابه العمل به: فعن حذيفة: «**أن النبي ﷺ صلَّى، فكان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب استجار، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح**»(٢).

وعن عُقبة بن عامر قال: «**أمرني رسولُ الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دُبُرَ كلِّ صلاةٍ**»(٣).

فأمره ﷺ بالقراءة يتضمن معناه قراءة القرآن كما أنزل ترتيلًا، والأمر بالمعوذات في وقت مخصوص ربط للقراءة بالعمل بمضمونها، والسؤال والاستجارة والتسبيح أثناء القراءة بما يتناسب مع الموضع المقروء دليل على التدبر والعمل بالقرآن.

وكان عمله ﷺ بالقرآن مضرب مثل للكمال عند الصحابة ﭫ: فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﭭ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ**

---

(١) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٩٢٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

(٢) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٥١)، وصحح إسناده شعيب.

(٣) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٥٢٣)، وقال الألباني، صحيح سنن أبي داود (الأم)، ج٥ ص٢٥٤، حديث رقم: (١٣٦٣): «قلت: إسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وحسنه الترمذي».

مِنَ القُرآنِ...»(١). وفي لفظ: «كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرآنِ»(٢). وفي لفظ: «كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرآنِ»(٣).

وعَنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرآنِ(٤)، فَكَانَ يَقُولُ: «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ -قَالَ حُجَيْنٌ: سَلامٌ عَلَيْكَ- أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، سَلامٌ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»(٥).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يُعَلِّمُهُمِ الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمِ السُّورَةَ مِنَ الْقُرآنِ، يَقُولُ: قُولُوا: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»(٦).

يدل هذا الحديث على أنه ﷺ كان يعلمهم القرآن تعليمًا حسنًا، وأن تعليمه إياهم القرآن كان مضرب مثل في الكمال؛ بدليل أنهم ضربوا المثل به في الاستخارة، وفي

---

(١) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٦٣٨٢).

(٢) أخرجه: أحمد، المسند، (١٤٧٠٧)، والبخاري، صحيح البخاري، (١١٦٢)، وأبو داود، سنن أبي داود، (١٥٣٨)، والترمذي، سنن الترمذي، (٤٨٠)، والنسائي، سنن النسائي، (٣٢٥٣)، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (١٣٨٣)، وابن حبان، صحيح ابن حبان، (٨٨٧).

(٣) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، (٧٣٩٠).

(٤) أخرجه إلى هذه الجملة: النسائي، سنن النسائي، (١٢٧٨)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه: أحمد، المسند، (٢٦٦٥)، بدون قوله: «السُّورَةَ»، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير».

(٦) أخرجه: أحمد، المسند، (٢١٦٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، بنحوه، برقم: (٢٣٤٢)، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

التشهد، وشبهوا تعليمهم الاستخارة والتشهد بتعليم القرآن، ووجه الشبه في المشبه به أقوى منه في المشبه.

وقد حذَّر الصحابة رضي الله عنهم مِنْ أنْ يقرأ القرآن بسرعة مفرطة تذهب منه الفهم والعمل، مبينين أن النبي ﷺ كان يرتل القرآن الكريم ويعمل به: فعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ؟ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً ﴿مِن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾، أَوْ «مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ»؟ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا، قَالَ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «**هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ، إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ**»، ثُمَّ قَامَ عَبْدُ اللهِ، فَدَخَلَ عَلْقَمَةُ فِي إِثْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: قَدْ أَخْبَرَنِي بِهَا(١).

ومن عمل النبي ﷺ بالقرآن السجود في مواضع السجود: فعن عقبة بن عامر حدثه قال: قلتُ لرسول الله ﷺ: في سُورة الحج سجدتان؟ قال: «**نَعَمْ، ومَنْ لم يسجدهما، فلا يقرأهما**»(٢).

وأخبر ﷺ أن ثواب القرآن وخص ثواب بعض سوره بالذكر بأنه يأتِ يدافع عن صاحبه يوم القيامة: فعَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَأْتِي الْقُرْآنُ وَأَهْلُهُ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، (١٤٠٢)، قال الألباني، صحيح سنن أبي داود (الأم)، ج٥ ص١٤٥، (١٢٦٥):(قلت: إسناده حسن. وهو صحيح دون قوله: (ومن لم يسجد هما...))»، وحسنه كله شعيب بشواهده في تحقيقه على سنن ابي داود.

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ». قَالَ نَوَّاسٌ: وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ: «**تَأْتِيَانِ كَأَنَّهُمَا غَيَابَتَانِ وَبَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا ظُلَّةٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُجَادِلَانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»(١).

قال الترمذي عقبه: «ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم: أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث: أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. وفي حديث النواس عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا، إذ قال النبي ﷺ: «**وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا**»، فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ الْعَمَلِ»(٢).

وقد حذَّر النبي ﷺ أمته أشد التحذير من عدم العمل بالقرآن، وبين أن العلم يذهب بعدم العمل بالقرآن: فقد جاء عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: «**ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأُرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟!**»(٣).

* * *

(١) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، (٢٨٨٣)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(٢) الترمذي، الجامع الكبير، ج٥ ص١٠.

(٣) أخرجه: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (٤٠٤٨)، وقال شعيب: «حديث صحيح لغيره».

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولًا: أهم النتائج:

يمكن مما سبق عرضه في البحث من تتبع صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه في السنة النبويَّة، **أن نخلص إلى النتائج الآتية:**

١- أن الصحابة ﵃ وصفوا لنا قراءة النبي ﷺ وإقرائه بدقة متناهية، حتى إنهم حاكوه في حركاته ووصفوا اضطراب لحيته أثناء القراءة، مما يجعل المرء يقف عند حدود ما نقلوا دون زيادة أو نقصان أو إحداث.

٢- أن قراءة النبي ﷺ هي الترتيل، وهي قراءة متأنية بطيئة مفسَّرة يعد العاد حروفها، ولم ينقل عنه ﷺ غير ذلك في كيفية القراءة.

٣- الترتيل هو أحد معاني المد الوارد في قول الصحابة ﵃: «**كانت قراءة النبي ﷺ مدًا**»، علاوة على المعنى المتبادر من المد، وهو إطالة زمن الصوت بالحروف في المواضع المعروفة.

٤- التغني والتحبير أنواع من تحسين الصوت بالحرف، وهما داخلان تحت الترتيل، وجميع ذلك من أنماط قراءة النبي ﷺ.

٥- أنه يجب على الأمة أن تحتذي صفة قراءة النبي ﷺ، وأن تبتعد عما أحدثه الناس في صفة القراءة مما يخالف أصول القراءة النبويَّة الصحيحة.

٦- أنه يجب على الأمة أن تعود إلى الشرب الأول والمنبع الصافي في صفة القراءة والإقراء، وأن تبتعد عما أحدثه القراء وغيرهم مما يخالف سنة النبي ﷺ في ذلك.

٧- أنه يجب على الأمة أن تحتذي صفة إقراء النبي ﷺ، وأن تبتعد عما أحدثه الناس من طرق في الإقراء مؤداها التساهل والتهاون.

* * *

ثانيا: التوصيات:

١- أن تجمع كل الروايات التي تتعلق بصفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه من جميع كتب السنة وتصنف تحت عناوين وأبواب دالة على المراد منها؛ وهذا ما قمت بعمله في أصل هذا البحث؛ وهو: (صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه (الكبير) الأنموذج الأول للإجازة القرآنية)، أسأل الله تعالى أن يتمه على أحسن وجه.

٢- أن يجمع كل ما يتعلق بصفة القراءة والإقراء بعد جيل الصحابة رضي الله عنهم عبر مختلف العصور مما عمل به القراء المعتبرون حتى يومنا هذا، ويصنف كل ذلك في عناوين وأبواب دالة.

* * *

حديث الوصية بالثقلين

«دراسة حديثيَّة نقديَّة»

تأليف

د. أبي جعفر منصور بن محمود الشرايري

وفي مقدمته

طليعة

جمع المنثور في ترجمة الشرايري منصور

جمع وإعداد وصنْعَة

د. أبي قدامة أشرف بن محمود الكناني

طليعة

جمع المنثور في ترجمة الشرايري منصور

جمع وإعداد وصنْعَة

د. أبي قدامة أشرف بن محمود الكناني

أستاذ أصول الفقه في جامعة أم القرى

والمدرس في كلية الحرم المكي

مقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ- وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد،

فليس شيء أصعب على النفس من فَقْدِ صديقٍ مخلصٍ وفيٍّ، كان ردءًا لها في الحادث الجلل، ومعينًا لها ونصيرًا في تقلب صروف الدهر، وهو لها في نائبات الأيام مُؤنِسٌ، وفي تقلبات الأشخاص والأحوال مُصبِّرٌ.

وتلكم صفات في الصديق عز وجودها، وقلَّ نظيرها في هذه الأيام الحالكات، التي تُسفر في كل يوم عن جحود هذا أو ذاك، ولا تخلو من طعنِ الظهر وتبلّي ذيَّاك.

ولا أعلم زمانًا خلا من أُناس قبُحت صفاتهم؛ فكانوا أسلافًا في الشر لأهل القبح في زماننا، وكانت الأزمان السالفات لنا مُسليَّات؛ إذ شكى السلف من حال أهل زمانهم، وتأسفوا على من مات من الصلحاء من خُلَّصِ أحبابهم.

فعن عروة، قال: كانت عائشة أروى الناس للشعر، وكانت تنشد قول لبيد:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
يَتَغَايَرُونَ خِيَانَةً وَمَلَاذَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ

ثم تقول: «كَيْفَ بِلَبِيدٍ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ؟». قال عروة: «كَيْفَ بِعَائِشَةَ لَوْ أَدْرَكَتْ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ»(١).

قلتُ: فكيف بعائشة وعروة رضي الله عنهما لو أدركا زماننا، ومن نحن بين ظهرانيه.

وهذا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، حينما ورد عليه نعي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي؛ فنكس رأسه ثم استرجع وسالت دموعه على خديه، ثم قال:

إِنْ تَبْقَ تُفْجَعْ بِالأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ وَفَنَاءُ نَفْسِكَ لا أَبَا لَكَ أَفْجَعُ(٢)

ولا شك أن فقد العالم ثغرة لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار، وانكسارةً

---

(١) أخرجه: معمر بن راشد، جامع معمر بن راشد، باب: نقص الإسلام ونقص الناس، ط المكتب الإسلامي، (ج١١ص٢٤٦)، رقم (٢٠٤٤٨)، وابن أبي شيبة، الأدب، باب: مجالسة الناس ومخالطتهم، ط البشائر، (ص٣٥٤)، رقم (٣٧٨)، ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب: الأدب، باب: الرخصة في الشعر، ط الرشد، (ج٥ص٢٧٥)، رقم (٢٦٠٤٠)، وأبو داود، الزهد، باب: أخبار عائشة، ط المشكاة، (ص٢٧٧)، رقم (٣١٦)، واللفظ له، وقال البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ط المشكاة: «هَذَا إِسْنَادٌ رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ».

(٢) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، (ج٢٩ص٣١٨-٣١٩)، المزي، تهذيب الكمال، (ج١٥ص٢١٧)، الذهبي، تاريخ الإسلام، (ج٦ص١٠٤).

لا يتجرَّع غُصَّتها إلا من عرف أقدار مَنْ قضى مِن الرجال.

وفي هذه الأيام فقدنا صديقًا عزيزًا، وعالمًا ربانيًّا، -مات فجأة، وما أصعب ميتة الفجأة من ميتة-؛ ذلكم هو: الأخ الصديق، الصادق الحبيب، الوفي الأريب، أبي جعفر منصور بن محمود الشرايري؛ فقد قدَّر الله جل في علاه وقضى، مجيء أجل أعز صديق عرفته، وبالرغم من فاجعة فراقنا لحبيبنا، إلا أن عزاءنا فيه، أنه صاحب سنة، عاش للسنة، ومات على السنة، فخفف الله تعالى علينا -بِحَالِهِ تلك- ألم الفراق.

ومن هذا القبيل يقول: محمد بن عبد الله الأعلى، يقول: سمعت معتمر بن سليمان، يقول: «**دَخَلْتُ عَلَى أَبِي وَأَنَا مُنْكَسِرٌ**». فقال: «**مَا لَكَ؟**». قلت: «**مَاتَ صَدِيقٌ لِي**». قال: «**مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ؟**». قُلْتُ: «**نَعَمْ**». قَالَ: «**فَلَا تَخَفْ عَلَيْهِ**»(١).

ولولا علمنا بأن حال حبيبنا كذلك -نحسبه والله حسيبه، ولا نزكيه على الله- لما حمدناه ولا ذكرناه، والأمر كما قال مُعَافَى بْنُ عِمْرَانَ: «لَا تَحْمَدَنَّ رَجُلًا إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ، إِمَّا يَمُوتُ عَلَى السُّنَّةِ، أَوْ يَمُوتُ عَلَى بِدْعَةٍ»(٢).

ومن باب الوفاء لصديقنا الوفي، رأيتُ أن أُترجم له، ترجمة أُبيِّن فيها بعض محاسنة ومزاياه، جريًا على عادة أسلافنا في الترجمة لمن قضى من أهل الخير والعلم والفضل، وكان لهم أثر فيمن بعدهم.

وقد كان عندي مشروع أترجم فيه لأشياخنا الذين أفدنا منهم، سواء ممن أفدنا

---

(١) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط طيبة، (ج١ص٧٥)، رقم (٦١).

(٢) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط طيبة، (ج١ص٧٥)، رقم (٦٢).

منهم في دراستنا النظامية أو في خارجها، أو ممن كانت لنا معهم مجالس ولقاءات علميَّة، بدءًا بشيخنا العلامة المحدِّث الإمام الألباني، وشيخنا العلامة النُّظَّار الأصولي الفقيه محمد بن صالح العثيمين، وشيخنا المحدث العلامة أبي إسحاق الحويني، وشيخنا العلامة المحدث عبد المجيد محمود، وأستاذنا العلامة المحقق بشار عواد معروف العبيدي، وانتهاء بأبرز من درسنا عليهم في دراستنا النظامية من شيوخنا وأساتيذنا الذي نهلنا منهم العلم كالشيخ الدكتور وليد العاني -رحمه الله تعالى-، وغيرهم من أهل العلم والفضل، وكنت أُرجئ إخراج هذه التراجم إلى أن يتم بعضها، وإلى أن نضيف إليها تراجم بعض الفضلاء.

وما كان يخطر ببالي قط أن نتقدم تيكم التراجم ترجمة لثاني النفس وثالث العينين؛ أخي وزميلي وحبيبي ورفيق دربي الأخ الدكتور منصور الشرايري، الذي قضى نحبه في منتصف هذا العام الهجري ١٤٣٨هـ؛ إثر حادث مروري، رحمه الله رحمة واسعة، وقد عاجلته المنية إثر هذا الحادث هو وزوجته واثنين من أبنائه في حادث مفجع؛ قطع هادم اللذات معه آمال وحياة هذا العالم الهُمام(١)، وإنه مما يُحمد الله تعالى على تقديره وتيسيره أن هيأ للدكتور منصور المُقام في مكة المكرمة في آخر سنتين من حياته؛ فقد حج مرتين، واعتمر فيهما ما لا أحصي، وذكر الله تعالى كثيرًا.

(١) استعنت في ترجمة الدكتور منصور الشرايري؛ بسيرته الذاتية التي خطتها أنامله؛ وأودعها في موقعه الشخصي في جامعة البلقاء التطبيقية، وفي موقعه الشخصي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وكذا بما أعرفه عنه من خلال تزاملنا معه، ورحلتنا الدعوية خلال خمس وعشرين سنة ماضية لم نكد نفترق فيها، وكذا من خلال ما نقله لي بعض الإخوة والزملاء في سيرته العطرة.

وأيضًا لعله من منَّة الله عليه أن نجَّى له من الحادث المروري الولد الصالح؛ ولده الكبير جعفر، فإنا نحسبه حسنَ التربية، صالحاً كأبيه، ونرجو الله تعالى ونؤمله أن يرعى الابن الثاني الذي نجى من الحادث المروري -أيضًا- آدم ابن الأشهر الخمسة، نسأل الله تعالى أن يكلأه ويحفظه، ويجعله هو وأخيه خلفًا لأبيهما في كل خير.

هذا وقد رأيتُ أن أُترجم لزميلي الدكتور منصور الشرايري، بترجمة موسَّعة؛ لأنه يستحق كل خير، وما شهدنا إلا بما علمنا؛ فإنه نعم الأخ والصديق والزميل الوفي، فاقت صفات صداقته أكثر أقرانه، وكان قول الثعالبي الآتي، ونظم أبي العتاهية بعده، أقرب مثال لما كان عليه صديقنا الراحل في صداقته.

قال الثعالبي: «ينبغي أن يكون الصديق لصديقه: أسمع من خادم، وأطوع من خاتم»[(١)].

وقال أبو العتاهية:

أُحب من الإخوان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف من[(٢)] عثراتي

يوافقني في كل أمر أريده ... ويحفظني حيًا وبعد مماتي

ومن لي بهذا ليت إني وجدته ... فقاسمته مالي من الحسنات[(٣)]

وأسميت ترجمتي هذه لصديقنا: (**جَمْعُ الْمَنْثُورِ فِي تَرْجَمَةِ الشَّرَايْرِي مَنْصُورِ**)؛ لأجعلها في مقدمة أعماله الكاملة[(٤)] التي أقوم على جمعها وطبعها الآن، ثم بدا لي أن

---

(١) انظر: الوطواط، **غرر الخصائص الواضحة**، ط العلمية، (ص١٤٥).

(٢) في أدب الدنيا والدين منسوبة للشافعي وفيه: (عن عثراتي) وهي الأقرب للصواب.

(٣) انظر: الوطواط، **غرر الخصائص الواضحة**، ط العلمية، (ص١٤٥).

(٤) **وأعماله الكاملة**، هي: رسالته للدكتوراه: (**نظرية الاعتبار عند المحدثين**)، ورسالته للماجستير: (**منهج الزيلعي في**=

أُعجِّل بشيء من الترجمة له؛ لأجعلها في صدر بحثه: (**حديث الوصية بالثقلين دراسة حديثيَّة نقديَّة**)، الذي سننشره في البحوث المهداة لشيخنا العلامة أبي إسحاق الحويني، وقد سميت هذه الترجمة المبتسرة من الترجمة المطولة: (طَلِيْعَةُ جَمْعُ الْمَنْثُورِ فِي تَرْجَمَةِ الْشَرَايْرِي مَنْصُورِ).

نسأل الله تعالى الإعانة، والتوفيق والسداد، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وكتب

د. أبي قدامة أشرف بن محمود الكناني

أستاذ أصول الفقه في جامعة أم القرى

والمدرس في كلية الحرم المكي

السبت: ١٤٣٨/٦/١٢هـ-٢٠١٧/٣/١١م

مكة المكرمة

ashrafalkinane@yahoo.com

=نصب الراية)، وأبحاثه المحكَّمة في المجلات والمؤتمرات العلمية، ومجموعها أربعة عشر بحثًا علميًا؛ إذ لعلها تخرج في مجلدات ثلاث، يتصدرهنَّ ترجمتي له: (جَمْعُ الْمَنْثُورِ فِي تَرْجَمَةِ الْشَرَايْرِي مَنْصُورِ).

أولًا: كنيته واسمه ونسبه:

كنيته: أبو جعفر

اسمه: منصور بن محمود بن «محمد فريد» الشرايري.

نسبه: يرجع في نسبه إلى قبيلة: (بِلِي) المشهورة؛ -كما أخبرني هو بنفسه غير مرة-، وهي قبيلة قضاعية حميريَّة، وهم بنو: بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

وتعتبر هذه القبيلة من قبائل شمال وغرب شبه الجزيرة العربية، وتسكن عددًا من الدول؛ منها: السعودية، ومصر، والأردن، وسوريا، وفلسطين، وغيرها من الدول العربية، وصولًا إلى إسبانيا (الأندلس)(١).

وعشيرة الشرايري اليوم من العشائر الأردنية المرموقة، التي ترجع للأخوين (شرار) و(محمد) الذَّين ارتحلا من شمال الحجاز إلى غور النمرين في الأغوار الأردنية، ثم ارتحلا إلى الجزَّازة، والمجدل في مدينة جرش، وبعدها استقر (شرار) في إربد، بعد تنقله بين بيت يافا وكفر سمك؛ وعرف عقبه بـ(عشيرة الشرايري) أو (الشرايرة)، وعاد (محمد) إلى الأغوار وعرف عقبه بـ(عشيرة البلاونة)(٢).

---

(١) انظر: ابن عبد البر، **الإنباه على قبائل الرواة**، ط الكتّاب العربي، (ص٣١ وما بعدها)، و(ص١٣٧). السمعاني، **الأنساب**، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، (ج٢ص٣٢٣)، (البَلَوِيُ)، رقم (٥٨٠)، والموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪.A٨٪.D٩٪.٨٤٪.D٩٪.٨A_(%D٩٪.٨٢٪.D٨٪.A٨٪.D٩٪.٨A%D٩٪.٨٤٪.D٨%A٩).

(٢) انظر: فريدرك، **تاريخ شرقي الأردن وقبائلها**، ط الدار العربية، (ص٣٨٧)، كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ط الرسالة، (ج١ص١٠١ وما بعدها)، (ج٢ص٥٨٨).

وتعتبر قبيلة الشرايري إحدى الحرزات السبع في شمال الأردن، كان منها اللواء: علي خلقي الشرايري، وهو أول وزير داخلية في المملكة الأردنية الهاشمية.

ثانيًا: مولده ونشأته وأولاده:

ولد الدكتور منصور الشرايري -رحمه الله تعالى- في مدينة إربد، الواقعة شمال المملكة الأردنية الهاشمية، بتاريخ: ١٣٩٢/٥/٢١هـ- يوافقه: ١٩٧٢/٧/٢م.

ونشأ وترعرع فيها، ودرس فيها دراسته النظامية في المرحلة الابتدائية والمتوسط والثانوية، ثم مرحلة البكالوريوس، وقد تزوج وله من الولد أربعة ذكور، هم: جعفر، ومحمد، وحذيفة، وآدم.

ثالثًا: طلبه للعلم:

١- دراسته النظاميَّة:

ابتدأ الدكتور منصور الشرايري دراسته النظامية في مدارس مدينة إربد، وحصل على شهادة الثانوية العامة الأردنية، في عام: ١٩٩٠م، في الفرع الأدبي.

ثم أكمل مشواره العلمي في الجامعة، فحصل على شهادة البكالوريوس، في أصول الدين، من جامعة اليرموك، في إربد، في عام: ١٩٩٦م.

ثم حصل على درجة الماجستير، في الحديث الشريف وعلومه، من قسم أصول الدين، في الجامعة الأردنية، في عمَّان، عام: ١٩٩٩م.

ثم حصل على درجة الدكتوراه، في الحديث الشريف وعلومه، من قسم أصول الدين، في جامعة اليرموك عام: ٢٠٠٨م.

٢- شيوخه:

وقد تتلمذ في دراسته النظاميَّة السابقة على لفيف من المشايخ وأهل العلم، وكانت له تلمذة -أيضًا- على بعض المشايخ والعلماء في خارج دراسته النظاميَّة، من أبرزهم:

العلامة الفقيه الأصولي النظار **محمد بن صالح العثيمين**، وقد كان الدكتور منصور حريصًا جدًا على حضور دروس شيخنا العثيمين في الحرم المكي كلما سنحت له فرصة الذهاب لمكة المكرمة أثناء وجود شيخنا هناك.

العلامة المحدث الفقيه الأستاذ الدكتور **عبد المجيد محمود السنانيري**(١)، وذلك أثناء تتلمذه على يديه في مرحلة الدكتوراه في جامعة اليرموك، وقد درست وإياه على يدي شيخنا الدكتور عبد المجيد محمود، على مقاعد الدراسة -وكنت وقتها مدرسًا في الكلية، وكان حضوري مستمعًا- كتابه: (الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث)، وكذا درسنا على شيخنا: كتاب البيوع من فتح الباري لابن حجر العسقلاني، وذلك في بيت شيخنا في إربد على مدار سنتين ونصف.

الدكتور العالم المربي **وليد بن حسن بن ظاهر العاني**(٢)، (ت: ١٩٩٦م)، وقد

---

(١) عمل شيخنا أستاذًا للحديث النبوي في شعبة الكتاب والسنة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ومكث فيها خمسة وعشرين عامًا، ثم في جامعة اليرموك في إربد ومكث فيها خمسة أعوام، ثم جامعة القاهرة دار العلوم، ولا يزال حتى الساعة على رأس عمله، وقد تجاوز عمره الثمانين. ولي ترجمة لشيخنا ضمن مجموعة تراجم لشيوخي.

(٢) عمل شيخنا د. وليد مدرسًا للحديث النبوي في قسم أصول الدين، في جامعة اليرموك في إربد ومكث فيها قرابة خمسة أعوام، إلى أن توفي فجأة في عام ١٩٩٦م، وكان شيخنا قد أكمل الدكتوراه في الحديث الشريف في جامعة أم القرى، وكان مشرفه: شيخنا العلامة د. عبد المجيد محمود، وهو الذي وجَّهه للعمل والدعوة في الشام بعد تخرجه، فما كان من شيخنا د. وليد إلا أن استجاب لشيخه وشيخنا، وذهب للعمل بعد تخرجه في الأردن في جامعة اليرموك، إلى أن توفي -رحمه الله تعالى-، وكان شيخنا مثالًا للمدرس الجيد القدوة المتفاني، ملأ الكلية علمًا وعملًا وفضلًا، وأثَّر في زملائه الأساتذة قبل تأثيره في طلابه، وكان من أعماله تأسيس مكتبة متكاملة لكتب=

درسنا عليه معًا أنا والدكتور منصور الشرايري، مصطلح الحديث، وعلم رجال الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وأحاديث الفتن، وتخريج الحديث.

العلامة الفقيه الأستاذ الدكتور **علي محمد العمري**(١)، وقد درسنا على شيخنا معًا أنا والدكتور منصور، وكان برفقتنا شقيق الروح الثالث د. إبراهيم خليل بني سلامة(٢)، في بيته العامر في مدينة إربد: كتاب الهداية للمرغيناني في الفقه الحنفي.

العلامة المحقق الأستاذ الدكتور **بشار عواد معروف العبيدي**، ووقد درسنا على أستاذنا معًا أنا والدكتور منصور، وكان برفقتنا شقيق الروح الثالث د. إبراهيم خليل

=تخريج الحديث ولكتب السنة عمومًا، في رحاب الكلية، وكان لها شقان شق للذكور وشق للإناث، وكانت المكتبة كخلية النحل خرَّجنا فيها مئات الأحاديث وحكمنا على تلك الأحاديث بأنفسنا متدربين على يدي شيخنا، وكان يتابعنا متابعة حثيثة، ويقرأ لنا كل ما كتبنا، وكان يأتي للدوام كل يوم الساعة السابعة صباحًا ولا يرجع إلا الساعة الخامسة أو بعدها، وكانت مادة تخريج الأحاديث مادة عمليَّة تدريبيَّة للمواد التي يدرسها شيخنا في علم الرجال وعلم الجرح والتعديل وعلم المصطلح، هذه المواد التي درسناها بشغف على يديه وأثَّر فينا أيما تأثير، وقد ماتت هذه المكتبة بموته، حتى تلاشت وذهبت مع الزمن وانضمَّت إلى مكتبة الجامعة العامَّة، ومات روح علم الحديث في جامعة اليرموك بموته، ليرجع تعليم الحديث في الكلية تعليمًا أكاديميًا بحتًا، لا أثر له يُذكر في اتباع السنة، والله المستعان، وقد توفي شيخنا عن عمر يناهز الواحد والأربعين سنة، وقد حمل هموم الأمة على ظهره، وكان يبثُّ همومه في مادة حديث (٣) التي خصَّصها لتدريس أحاديث الفتن، وكان له فيها بحث خاص ونظر عالٍ، علاوة على طريقة شرحه التي تحبب إليك السنة، وكان يربط بين أحاديث الفتن والواقع، ويتفاعل مع الأحداث التي يذكرها في المادة إلى درجة البكاء والنحيب في المحاضرة كلما مر بحدث مؤثِّر، أو مرَّ بسيرة بعض السلف، أو مرَّ بذِكرِ أعداء السنة، وبمكر الرافضة بالأمة؛ فلله دره ورحمه الله رحمة واسعة، وقد دفن شيخنا في مقبرة المدينة الصناعيَّة في مدينة إربد. ولي ترجمة لشيخنا ضمن مجموعة تراجم لشيوخي.

(١) عمل شيخنا أستاذًا للفقه المقارن في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم في جامعة الملك سعود بالرياض ومكث فيها خمسة وعشرين عامًا، ثم في جامعة اليرموك، ثم تقاعد من العمل، وقد تجاوز عمره الثمانين عامًا الآن. ولي ترجمة لشيخنا ضمن مجموعة تراجم لشيوخي.

(٢) يعمل الآن زميلنا الدكتور إبراهيم بني سلامة، أستاذًا للحديث الشريف في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وكان شيخنا الأستاذ الدكتور محمد العمري يطلق عليه لقب: (الثقة الثبت في العلم).

بني سلامة، في بيته العامر في مدينة عمَّان، وقد قرأنا على أستاذنا: جميع مقدماته على كتبه الحديثية التي قام بتحقيقها، وكذا قرأنا عليه كتابه: (ضبط النص والتعليق عليه)، وأجازنا به، وقرأنا عليه -أيضًا- كتابه: (تحقيق النصوص بين أخطاء المؤلفين وإصلاح الرواة والنساخ والمحققين)، وذلك قبل نشره؛ حيث كان في مراحله النهائية، وهو في أصله رد على الدكتور ماهر الفحل في كتابه: (كشف الإيهام فيما تضمنه تحرير التقريب من الأوهام)، الذي انتقد فيه كتاب: (تحرير تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني)، للدكتور بشار عواد معروف، وللشيخ شعيب الأرنؤوط، وقد تتبعنا نقدات الفحل واحدة بعد واحدة في كشفه، مع أستاذنا الدكتور بشار كما أوردها في تحقيق النصوص؛ حيث أثبت فيه أستاذنا بطلان نقدات الفحل من النسخة الخطيَّة لتقريب التهذيب بخط ابن حجر نفسه.

العلامة المفسر الأستاذ الدكتور **فضل حسن عباس**، وقد درس عليه في الدراسة النظامية في مرحلة البكالوريوس، مواد البلاغة، ومواد إعجاز القرآن.

الأستاذ الدكتور **توفيق أسعد حمارشة**، وقد درس عليه في الدراسة النظامية في مرحلة البكالوريوس، مواد البلاغة.

العلامة الأصولي المحدث **مشهور حسن آل سلمان**، وقد كنا نحضر معًا بعض مجالس ودروس شيخنا الشيخ مشهور حسن، في عمَّان وإربد، في أوقات من سنوات متفرقة من عام ١٩٩٣م، إلى عام ٢٠١٠م.

الأستاذ الدكتور **الأحمدي أبو النور** -رحمه الله تعالى-، أستاذ الحديث الشريف، في جامعة اليرموك، وأستاذ الحديث الشريف في جامعة أم القرى، ووزير الأوقاف المصري الأسبق.

الأستاذ الدكتور **محمد قاسم العمري**، أستاذ الحديث الشريف في جامعة اليرموك، وعميد كلية الشريعة في جامعة اليرموك سابقًا، وعميدها حاليًا للمرة الثانية.

الأستاذ الدكتور **شحادة العَمْري**، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك.

رابعًا: حبه للعلماء ولقياه بهم:

لقد كان الدكتور منصور -رحمه الله تعالى- الذي ما عرفناه إلا سائرًا على منهاج السلف حالًا وعقدًا، محبًا للعلماء ولأهل العلم، ولكل داع إلى السنة، سائر على منهاج السلف الصالح في فهم نصوص الكتاب والسنة، وقد كانت له مواقف مشكورة في ذلك، تدل على الحرص والغيرة والحب؛ فمن ذلك:

حبه للإمام الألباني جدًا، وحرصه على لقياه. وقد سنحت له ذات مرة فرصة زيارة الإمام في المستشفى الإسلامي في أحد أمراضه؛ فلما أخبرته أن الشيخ بالمستشفى كاد يطير قلبه ليراه؛ فلما زاره ورآه. قلت له: «كيف وجدت الشيخ؟». قال: «والله كأن النور يخرج من وجهه».

وفي الحقيقة كانت أمراض الإمام الالباني فرصة سانحة لنراه؛ فالشيخ لضيق وقته، لا يكاد يراه أحد؛ ولكنه حينما يكون مريضًا، ويدخل المستشفى، يستقبل الناس ويأنس بهم، في أوقات الزيارة.

حبه للعلامة الفقيه النظَّار محمد بن صالح العثيمين، وحرصه على حضور دروسه في الحرم كلما سنحت له فرصة الذهاب لمكة في وقت وجود الشيخ هناك، وقد حصل له موقف في أحد دروس الشيخ قصَّهُ عليَّ عدة مرات، وقصَّه ذات مرة عليّ بحضور د. إبراهيم بني سلامة، ثم تذاكرت أنا ود. إبراهيم هذا الموقف بعد وفاته -رحمه الله تعالى-؛ والموقف؛ هو: «قال الدكتور منصور: كنا في درس الشيخ ابن

عثيمين؛ فأردتُ تقييد فائدة تكلم بها الشيخ، ولم يكن معي قلم وقتها؛ فكلمت الذي بجواري طالبًا منه القلم؛ فرآني الشيخ؛ فقال لي: «انهض». فنهضتُ، وبقيت واقفًا كما أمرني الشيخ، وتابع الشيخ درسه وكان عن صلاة الاستسقاء، وقال في درسه: «فجاءت غيمة كالترس»، فسأل الشيخ ابن عثيمين الحضور ما معنى الترس؟ فلم يجب أحد. فرفعتُ يدي. فقال الشيخ: «أتعرف معنى الترس؟» فقلتُ: نعم؛ هو آلة حربية يتقي بها المحارب ضربات الخصم. فقال الشيخ: «أحسنت، اجلس»؛ فجلستُ».

وقال لي د. منصور عقب كلامه في ذاك الموقف: «والله إن إيقاف الشيخ لي في درسه، أحب المواقف مع أهل العلم إلى قلبي».

وينقل لنا موقفًا مشابهًا أخونا علي طالب الخالدي -ولا أدري هل هو نفس الموقف أو يُحمل على حادثة أخرى-، فيقول: «في موسم حج عام: ٢٠٠١م، كنّا جلوسًا في درسٍ للشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وقد أكرمني الله أنا والشيخ د. منصور؛ **بحضور كل دروسه في الحرم**، وكنّا حريصين على التبكير لحجز مكان قريب من كرسيه، ربما من قبل صلاة العصر إلى موعد درسه الذي ينتهي بدخول وقت صلاة العشاء، وكانت دروسه في العقيدة لحاجة الناس الماسة لها؛ فكان الشيخ منصور حريصًا كل الحرص على الجلوس في الصف الذي يقابل الشيخ؛ ليكحل ناظريه برؤية الشيخ والاستفادة من دروسه، وكان الجميع يحمل ورقة وقلمًا؛ لكتابة الأسئلة؛ ليجيب عنها الشيخ رحمه الله. وفي أحد الدروس كان الشيخ د. منصور قد نسي إحضار قلم؛ فبادر إلى من يجلس بجواره بطلب قلم، وبحكم أنه قريب جدًا من الشيخ العثيمين انتبه الشيخ لذلك، وقطع الدرس، وقال للشيخ منصور وأوداجه قد انتفخت: «انهض»؛ فوقف الشيخ منصور، وكان الجميع يترقب الموقف؛ فقال الشيخ لمنصور: «اذهب إلى آخر

المجلس»، ولم يتكلم د. منصور بكلمة، وقاد نفسه وذهب كما أمره الشيخ العثيمين، ولا أحد يعلم لماذا فعل الشيخ العثيمين ذلك، سوى هو ومنصور ومن كان بجواره. ثم سكت الشيخ لدقائق قبل أن يبدأ، ثم رفع رأسه وقال عن سبب إبعاد منصور: «إنه طلب قلماً من جاره وأنا أتكلم، وهذا ليس من الأدب». ثم تحول كلامه عن أدب الجلوس في حلقات العلم والتأدب مع العلماء. وبعد انتهاء الدرس صلينا العشاء مع الشيخ وخرج والناس تشيعه وكنت بينهم؛ فالتقيت بمنصور في الساحات الخارجية، وكنت محرجًا أن أسأله؛ لكنه بادرني وتكلم عما حدث، والله إنه كان شديد الفرح بما حدث؛ لأنه تعلم درسًا عمليًا في التأدب مع العلماء. رحم الله الشيخ ابن عثيمين المؤدب، ورحم الله الشيخ د. منصور المتواضع. كتبه: أخوكم أبو همام الخالدي».

حبه للعلامة المحدّث أبي إسحاق الحويني، فقد قال لي الدكتور منصور في شيخنا الحويني حينما زارني شيخنا في بيتي في مكة بتاريخ: ١٤٣٦/٣/١٥هـ: «هذا الرجل أعجوبة، وإنني أحبه حباً جمًّا». وقد انكب الدكتور منصور طيلة الجلسة على شيخنا الحويني يسأله أسئلة حديثية جيدة، لعل الله ﷻ ييسر لي نشرها لاحقًا[1].

قوله في لقيا العلامة الشيخ مشهور حسن في بيتي في مكة، بتاريخ: ٢٠١٦/١٢/٢٦م، بوجود لفيف من أهل العلم وطلبته وأساتذة الجامعات، قال ناشرًا في موقعه في الفيس بوك عقب الجلسة: (جلسة علميَّة ماتعة في مكة المكرمة؛ بصحبة المحقق الفقيه الأصولي مشهور حسن سلمان -حفظه الله-، وأنا أجلس معه

(١) لعل الله تعال ييسر لي نشرها في سيرة صديقنا د. منصور الشرايري، تلك السيرة المطوَّلة التي أنوي نشرها فيه، بعنوان: (جمع المنثور في ترجمة الشرايري منصور)، التي جات طليعتها في هذه الأسطر، وذلك مع المجموعة الكاملة لكتبه وأبحاثه العلميَّة، عسى الله تعالى أن ييسر لي ذلك قريبًا.

أتذكر عبارة البخاري في شيخه ابن المديني: «ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني». وأنا أقول: «ما استصغرت نفسي إلا أمام هذا البحر الرائق الفائق من العلم والمعرفة».

خامسًا: حبه للسنة واتباعه لها:

كان صديقنا العزيز د. منصور محبًا للسنة متبعًا لها، وكان صاحب حديث، -رحمه الله تعالى-، وقد ظهر لي من تطبيقه للسنة منذ عرفته قبل خمس وعشرين سنة، وحتى وفاته مظاهر كثيرة؛ فنحن لم نكد نفترق منذ ذاك التاريخ، وكان تبّاعًا للسنة في ملبسه ومأكله وتربيته لأبنائه، وفي أغلب أحواله؛ ولعلي أذكر بعض المواقف التي تدل على اتِّباعه للسنة، مما أسعفت به الذاكرة، فمن ذلك:

١- قيامه الليل في مطلع شبابه:

في عام: ١٩٩٣م، ولا زلت أذكر تلك الأيام التي جمعتنا به تحت سقف واحد يوم أن كنا طلابًا في المرحلة الجامعية الأولى؛ حيث كنا نسكن في عمَّان في منطقة تلاع العلي، وكانت أعمارنا لا تتجاوز عشرين سنة، وكانت غرفتي بجوار غرفته، يفصل بينهما حاجز خشبي وغالبًا يصلني صوته؛ فكنت أستيقظ قبيل الفجر على صوت تلاوته للقرآن، وأسمع تلاوة متأنية واضحة تأخذك لتدبر كلماتها كلمة كلمة، وكان مواظبًا على ذلك لا ينقطع.

٢- مبادرته لإصلاح ما بينه وبين إخوانه:

ذات مرة في عام: ١٩٩٣م، يوم أن كنا نسكن في تلاع العلي، حصل بيني وبينه سوء تفاهم -ولا أذكر السبب الآن، لكنه أول سوء تفاهم وآخر سوء تفاهم حدث

بيننا-، فما وجدته إلا قد جاء إلى غرفتي بعد العِشاء، فلما لم يجدني في الغرفة بحث عني فوجدني في المطبخ، ولاحظ في عينيَّ العتب وعدم الرضا، فكلمني فلم أكلمه، فجاءني وضمني وبكى، وقال: لا أحب أن أبيت وبيننا شيء، فشعرت بحب عظيم له على هذا الموقف الذي ينبع من اتباع السنة، في المبادرة إلى إصلاح الخصومات مهما كانت بأسرع وقت، وكان ذلك في مقتبل شبابه.

٣- قصة لقائه بالإمام الألباني في تلاع العلي:

فقد كان سكننا الذي نسكن فيه سويًا في تلاع العلي، في عمَّان، عام: ١٩٩٣م، بقرب سكن ابنة الإمام الألباني، وكان الإمام بين الفينة والأخرى يأتي لزيارة ابنته(١)، وكنا نلتقيه كلما جاء حتى عرفنا مواعيده، وكنت في كل مرة أراه أُبلّغ أخانا د. منصور الشرايري بأنني رأيته وتكلمت معه وسألته، فيقول كيف لي أن ألقاه؟ وهل سألقى أكبر محدث في الدنيا! لست أصدق نفسي.

فلما وافق مرة والتقى به، طار من الدنيا وأخذ يحدِّث بها القاصي والداني، وما أُراه فعل ذلك إلا حبًا للسنة ولأهلها.

٤- قصة إنشائه لمصلى صغير:

فقد كان د. منصور يسكن في بيت والده الذي يقع في إربد الحي الجنوبي -كوع زبدا-، وكان الحي في عام: ١٩٩٤م، حيًا ناشئًا ليس فيه مسجد يجمع الناس، وكان

---

(١) كان شيخنا الإمام الألباني ﷺ مواظبًا على زيارة ابنته، لا يكاد يذهب أسبوعان إلا ويأتِ من بيته الذي كان في ماركا الشمالية في شمال شرق عمَّان، إلى بيت ابنته الذي كان في تلاع العلي في غرب عمَّان، وكان بين البيتين مسافة لا بأس بها، وما رأيت مثل الشيخ الإمام في المواظبة على صلة الرحم رغم كثرة أشغاله، وضيق أوقاته، حتى إننا وطّنا أنفسنا على لقيا الشيخ في زياراته تلك لابنته، وقدّرنا معرفة مواعيد زيارته، لاطِّرادها.

د. منصور في ذاك الوقت على صغر سنه متضايقًا من عدم وجود صلاة للجماعة في الحي؛ فاستشارني في فكرة إنشاء مصلى صغير يجمع الناس للجماعة فأيدته إلى ذلك، ووضع ما معه من بضعة دنانير، إلى ما جمعه من المحبين والأصدقاء؛ فأقام مصلى يتكون من أعمدة حديدية مغطاة بشراع (شادر)، وكتب عليه باللون الأحمر (مصلى)، وجمع الناس في ذاك المصلى، الذي والله العظيم لا زلت استشعر بطعم الخشوع فيه حتى هذه اللحظة؛ لبساطته وبعده عن كل مظاهر الدنيا، وبقي المصلى إلى أن أُنشئ مسجد أسعد بن زرارة الذي صُلِّي فيه صلاة الجنازة، على الشيخ منصور وعائلته.

٥- قصة زواجه، وتركه لحفل زفافه لما غُلب فيه على بعض المنكرات:

حيث أقام لزواجه حفل زفاف على السنة، ولكن في نهاية الحفل غلبه بعض أقاربه من صغار الشباب على استعمال الموسيقى والغناء، فما كان منه إلا أن ترك الحفل وخرج.

٦- قصة توسله بالعمل الصالح:

فقد كنت في عام: ١٩٩٨م، أعمل إمامًا لمسجد معاذ بن جبل في الخالدية في محافظة المفرق، فزارني هو وأربعة أصدقاء في بيتي في الخالدية، في أيام المربعانية في البرد القارس، وخرجنا لصلاة العشاء، ولما رجْعنا للبيت أبى مفتاح الباب أن يفتح واستعصى علينا بطريقة عجيبة، هكذا فجأة ومن غير سابق خراب فيه، وقد حاولنا فتحه قرابة ساعة ونصف، بكل الوسائل، فلم نستطع، فقد كان المفتاح لا يدور في الباب أبدأ وتصلَّب مكانه، حتى كدنا نموت من البرد، فقال د. منصور لماذا لا نتوسل إلى الله بالعمل الصالح؟ فاستحسنَتُ الفكرة وبدأنا من اليمين لليسار كل واحد

منا يذكر عملًا صالحًا له، وكنت أجلس في أقصى اليسار آخر واحد فيهم، وكان د. منصور يجلس قبلي، وكان كلما يذكر أحدنا عمله الصالح يقوم يحاول فتح الباب، فلا يُفلح، وبقي الأمر كذلك حتى وصل دَوْرُ د. منصور، فقال: «اللهم إنه لم يكن في حيِّنا مسجدًا، فأنشأت مصلى... -وذكر قصة المصلى السابق ذكره-، وقال: اللهم إن كان ذلك خالصًا لوجهك، فافرج عنا ما نحن فيه»، ثم قام للباب وحاول معه، فوالله الذي لا إله إلا هو بمجرد أن وضع يده في المفتاح، دار المفتاح بكل سهولة ويسر، فكان ذلكم درسًا عمليًّا في العمل بالسنة.

٧- صفاء قلبه واتساعه في إعذار الناس:

كان الدكتور منصور -فيما يرى أو يسمع من الناس- واسع القلب شديد الاعتذار لهم، وقد شهد له القاصي والداني بذلك، ووالله لقد أوذي إيذاءًا شديدًا من بعض الناس، فكان لا يتردد في مسامحتهم دون أدنى تفكير، ولم أره مهمومًا من الإيذاء لا يقدر على المسامحة إلا مرة وحيدة كانت إيذاءً له من أحد المشايخ في دينه وأمانته العلمية، وذلك في أثناء مناقشته لرسالة الدكتوراه، وها هو قد مات ويلقى الله تعالى من تجنَّى عليه دون أن يسامحه الدكتور منصور، رغم أنني قلت لذاك الدكتور مرارًا: «أبرئ ذمتك مما فعلت بمنصور»، فكان في كل مرة يعلو صوته، ولا يستجيب، فالله المستعان.

سادسًا: الإجازات والدورات الشرعية:

من الإجازات والدورات الشرعية التي حصل عليها الدكتور منصور الشرايري، ما يأتي:

إجازة في قراءة القرآن الكريم وإقرائه، من المقرئ الدكتور أشرف محمود الكناني[١]، أستاذ الفقه وأصوله في جامعة اليرموك، إربد، الأردن، وفي جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

إجازة بمرويات الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف العبيدي، أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة الإسلامية العالمية، عمَّان، الأردن.

دورة في التلاوة والتجويد، مركز الاستشارات وخدمة المجتمع، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، في الفترة من ١٥/١٠/١٩٩٤م-١٥/١/١٩٩٥م، بواقع ٤٨ ساعة تدريبية، وتقدير: (ممتاز).

سابعًا: الخبرات العمليَّة:

تولى الشيخ عدَّة أعمال في حياته، أهمها ما يأتي:

خطيب ومدرس في وزارة الأوقاف الأردنية، لسنة: ١٩٩٧م.

إمام وخطيب ومدرس في وزارة الأوقاف الأردنية في الفترة ما بين: ٢٢/١٢/١٩٩٧م-٢٠/٣/٢٠٠٠م.

محاضر متفرغ لتدريس مادة التلاوة والتجويد في جامعة اليرموك، إربد، الأردن، الفصل الدراسي الثاني، عام: ٢٠٠١م- ٢٠٠٢م.

مدرس مساعد (أ)، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، في الفترة ما بين: ١٧/٢/٢٠٠٠م-٣٠/٨/٢٠٠٧م. من عام: ٢٠٠١-٢٠٠٣م، مدرسًا في كلية عجلون

---

(١) وجدت هذا في سيرته الذاتية المنشورة -رحمه الله تعالى-؛ فأحببت الإبقاء عليه لحبه ذلك -وهو من حسن ظنه بأخيه-، وإلا فخاطري والله في حذفه.

وأذكر أن إجازتي له كانت قريباً من حصوله على درجة الماجستير؛ فقال لي بعد الإجازة: «والله إن فرحي بهذه الإجازة، أكثر من فرحي بدرجة الماجستير».

الجامعيَّة، ومن عام: ٢٠٠٣-٢٠١٤م، مدرسًا في كلية إربد الجامعية.

مدرس فئة (ب)، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، في الفترة ما بين: ٢٠٠٧/٩/١م-٢٠٠٨/٨/٢٣م.

أستاذ مساعد، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، في الفترة ما بين: ٢٠٠٨/٣/٢٤م-٢٠١٥/١٢/١م.

رئيس قسم العلوم الأساسية - كلية إربد الجامعية - جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن، في الفترة ما بين: ٢٠١١/٩/١م-٢٠١٢/٩/١م.

أستاذ مساعد، في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، في الفترة ما بين: ١٤٣٦/١١/١٧هـ- يوافقه: ٢٠١٥/٩/١م، حتى: ١٤٣٧/٢/١٩هـ- يوافقه: ٢٠١٥/١٢/١م.

أستاذ مشارك، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، في الفترة ما بين: ١٤٣٧/٢/٢٠هـ- يوافقه: ٢٠١٥/١٢/٢م، وحتى يوم وفاته في يوم الثلاثاء: ١٤٣٨/٤/٢٦هـ- يوافقه: ٢٠١٧/١/٢٤م.

أستاذ مشارك، في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، في الفترة ما بين: ١٤٣٧/٢/٢٠هـ- يوافقه: ٢٠١٥/١٢/٢م، وحتى يوم وفاته في يوم الثلاثاء: ١٤٣٨/٤/٢٦هـ- يوافقه: ٢٠١٧/١/٢٤م.

ثامنًا: المؤتمرات العلمية:

ساهم الدكتور منصور الشرايري، بعدد من المؤتمرات العلميَّة، وكتب فيها بحوثًا علميَّة نافعة، فمن هذه المؤتمرات، ما يأتي:

مؤتمر فقه التدين (الواقع والتطلعات)، الذي انعقد في رحاب جامعة اليرموك،

إربد، الأردن، في الفترة ما بين: ٢٣/٢٣ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ- يوافقه: ٢٩/٣٠ نيسان ٢٠٠٨م، وقد شارك فيه ببحث علمي؛ بعنوان: **(ظاهرة الإسلام العلماني)**.

المؤتمر القرآني الثاني (فهم القرآن - مناهج وآفاق)، الذي عقدته جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمَّان، الأردن، في الفترة ما بين: ٢/١ شعبان ١٤٢٩هـ- يوافقه: ٣/٢ آب ٢٠٠٨م، وقد شارك فيه ببحث علمي؛ بعنوان: **(وظيفة فهم القرآن الكريم في مهمة حفظه)**.

مؤتمر النصيحة (المنطلقات والأبعاد) الذي انعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، في الفترة ما بين: ٢٧-٢٨ محرم ١٤٣٤هـ- يوافقه: ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م، وقد شارك فيه ببحث علمي؛ بعنوان: **(نصيحة ولاة الأمر، مفهومها، وصورها، وضوابطها، ووسائلها)**.

تاسعًا: المؤلفات والأبحاث العلمية:

للدكتور منصور مؤلفات وأبحاث علميَّة، كتبها أثناء الإعداد لمرحلتَي الماجستير والدكتوراه، أثناء الدراسة النظاميَّة، ثم إن له أبحاثًا علميَّة محكَّمة قدَّمها للمجلات العلميَّة المحكَّمة، وهي التي ترقَّى بها في عمله الجامعي من مرتبة: (أستاذ مساعد)، إلى مرتبة: (أستاذ مشارك)، وأبحاثًا أخرى قدمها لمؤتمراتٍ علميَّة محكَّمة، لا تقل أهمية عن سابقاتها، من حيث القوة العلميَّة، ومن حيث معالجة قضاياها البحثيَّة التي كُتبت فيها بتحرير علمي جيد؛ وفيما يأتي عرض لها مع كامل بيانات نشرها وجهات تقديمها:

الإمام الزيلعي ومنهجه في نصب الراية، وأصله رسالة ماجستير -غير منشورة-، نال بها المؤلف درجة الماجستير من قسم أصول الدين، في الجامعة الأردنية، عمَّان،

الأردن، عام: ١٩٩٩م. ولم يُنشر هذا الكتاب بعد[١].

نظرية الاعتبار عند المحدثين، وأصله رسالة دكتوراه، نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من قسم أصول الدين، في جامعة اليرموك، عام: ١٩٩٩م. وقد نشر هذا الكتاب بتقديم العلامة المحقق الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف، في الدار الأثرية، عمان، الأردن، ط (١)، ١٤٣٩هـ-٢٠٠٨م[٢].

حديث العرنيين «دراسة تحليلية»، بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: (٢٢)، العدد: (الأول)، تاريخ: ٢٠٠٦م.

حديث الثقلين «دراسة حديثية نقدية»، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، العدد: (٥١)، الجزء الأول، محرم: ١٤٣٢هـ/يناير ٢٠١٠م، الصفحات من: ٦٣ - ١٣٦.

معالم الفقه وأصوله عند الإمام الدارمي في كتابه السنن، بحث منشور في مجلة معالم القرآن والسنة، كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ماليزيا، السنة السادسة، العدد السابع، عام: ٢٠١١م، الصفحات من: ٤٠-١٠٥. (وهو بحث مشترك مع كاتب هذه السطور).

مدرسة الحديث في أصبهان، بحث منشور في مجلة معالم القرآن والسنة، كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ماليزيا، السنة السادسة، العدد السابع، عام: ٢٠١١م، الصفحات من: ١٢٩-١٧١.

---

(١) أعمل -بإذن الله تعالى- حاليًا على إخراج المجموعة الكاملة لمؤلفات وأبحاث زميلنا وصديقنا المخلص الوفي ثاني النفس وثالث العينين الدكتور منصور الشرايري، مع ترجمة ضافية موسّعة له، أُصدِّرُ بها مجموعته، أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والإعانة على كل خير.

(٢) وقد ضُبط اسم العائلة للدكتور منصور الشرايري، خطأً على طرة الكتاب؛ فوضعوا: (الشرايدي)، بدل: (الشرايري).

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج «**ترجمة معلَّة**»، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، الكويت، العدد: (٩٧)، السنة: (٢٩)، شعبان ١٤٣٥هـ-يونيو ٢٠١٤م، الصفحات من: ١١١-١٦٠.

أسلوب القسم الصريح في الحديث النبوي «**دراسة حديثية بيانية**»، بحث منشور في مجلة التواصل «في اللغات والثقافة والآداب»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة سابقًا، الجزائر، الصفحات من: ١٥٣-١٧٥.

التفرد عن إمام يُجمع حديثه، بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد: (٧٤)، ٢٠١٤م، الصفحات من: ٨٥-١٢٥.

قراءة نقدية في القواعد التي وضعها الحافظ في الرد على الدارقطني، بحث مقبول للنشر في مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية محكمة تصدر عن كلية الآداب، جامعة البحرين، ٢٥/مارس/٢٠١٢م.

الأحاديث الواردة في فضل القرض بالنسبة إلى الصدقة «**جمع ودراسة**»، بحث مقبول للنشر في مجلة جامعة القصيم العلمية (العلوم الشرعية)، القصيم، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ.

ظاهرة الإسلام العلماني، بحث غير منشور/مقدم لمؤتمر فقه التدين (الواقع والتطلعات)، الذي انعقد في رحاب جامعة اليرموك، إربد، الأردن، في الفترة ما بين: ٢٣/٢٣ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ، يوافقه: ٢٩/٣٠ نيسان ٢٠٠٨م.

وظيفة فهم القرآن الكريم في مهمة حفظه، بحث منشور في كتاب المؤتمر القرآني الثاني (فهم القرآن - مناهج وآفاق)، الذي عقدته جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمَّان، الأردن، في الفترة ما بين: ٢/١ شعبان ١٤٢٩هـ يوافقه: ٣/٢ آب ٢٠٠٨م، الصفحات من: ٨-٣٤.

نصيحة ولاة الأمر «مفهومها، وصورها، وضوابطها، ووسائلها»، بحث منشور في كتاب مؤتمر النصيحة (المنطلقات والأبعاد) الذي انعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، في الفترة ما بين: ٢٧-٢٨ محرم ١٤٣٤هـ، يوافقه: ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م، المجلد الخامس، الصفحات من: ٣٣٨٣-٣٤٢٦.

هذه مؤلفاته الموجودة بين أيدينا، وهي التي وعدتُ بإخراجها في المجموعة الكاملة له بإذن الله تعالى.

غير أن له مشاركات علميَّة أخرى تستحق الجمع والنشر، عاجلته المنيَّة قبل إخراجها أو تجهيزها، منها أبحاثه التي دونها لينشرها، ومنها أبحاثه التي لم يتمها، ومنها أسئلته العلميَّة لشيخنا المحدث أبي إسحاق الحويني، ومنها مشاركاته العلميَّة في بعض مواقع التواصل الاجتماعي، ومنها أفكاره العلميَّة التي كان ينوي إعدادها، مما حدثني بها بنفسه، أو كان يستشيرني فيها ويعرضها عليَّ بين الفينة والأخرى، أو التي اتفقت وإياه على إخراجها في عمل مشترك، أو التي عرضها على بعض الأشياخ وأهل العلم أمامي، وكم من فكرة بحثيَّة تناقشتُ فيها وإياه، وسجلنا فيها نقاطًا في خطتها وفي كيفية بحثها، وفي المنهج المتبع فيها، ولعلي أخرج ذلك كله بعد تدوين ما تسعف به الذاكرة، وبعد جمعه من مظانه، وأودعه في مكانه من المجموعة الكاملة لأعماله، أو في مكانه من الترجمة المطوَّلة التي وعدتُ -إن كان في العمر بقيَّة- بإخراجها له -رحمه الله تعالى-، والله وحده هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

عاشرًا: الرسائل التي أشرف عليها وناقشها:

سأذكر بعض الرسائل التي أشرف عليها أو ناقشها، وليس عندي إحصاء كامل

لها، لكن أبرز ما وقفت عليه منها ما يأتي:

أولًا: الرسائل التي أشرف عليها:

تخريج الأحاديث والموضوعة والتي لا أصل لها في كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الجد، (ت:٥٢٠هـ)، جامعة مكة المكرمة المفتوحة، إعداد الطالب: سعيد محمد السعادي. وقد عاجلت المنية الدكتور المشرف منصور الشرايري، قبل مناقشتها.

ثانيًا: الرسائل التي ناقشها:

الواقع الثقافي الإسلامي في الأردن في العصر الحاضر «دراسة تحليلية»، إعداد الطالب: عبد المحسن بن حمود بن جابر الحارثي، إشراف د. أحمد بن عايش البدر الحسيني، وهي رسالة ماجستير، وقد نوقشت في عام: ١٤٣٦هـ- يوافقه: ٢٠١٥م، في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، شعبة الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

تقوية الحديث بالشواهد والمتابعات «دراسة تطبيقية»، إعداد الطالب والشيخ المحدِّث: طارق بن عوض الله بن محمد بن عوض الله. بإشراف: د. وليد إدريس المنيسي، رئيس الجامعة الإسلامية، وهي رسالة دكتوراه، وقد نوقشت في يوم الأربعاء: ١٨/شعبان/١٤٣٧هـ-٢٥/مايو/٢٠١٦م، في الجامعة الإسلامية/كلية الدراسات الإسلامية/بلومنتون بولاية منيوستا/أمريكا، وقد تمت المناقشة عبر الغرفة الصوتية للجامعة على شبكة الانترنت.

شيوخ البخاري الذين انفرد بهم عن الأئمة الخمسة «دراسة تطبيقية»، إعداد الطالب: محمد عبد الله محمد العجمي، بإشراف: د. جراح محمد الجراح، وهي رسالة

ماجستير، وقد نوقشت السبت ٢٣/ربيع الثاني/١٤٣٨هـ-٢١/يناير/٢٠١٧م، في الجامعة الإسلامية/ كلية الدراسات الإسلامية/بلومنتون بولاية منيوستا/أمريكا، وقد تمت المناقشة عبر الغرفة الصوتية للجامعة على شبكة الانترنت.

حادي عشر: جهوده الدعوية:

برزت جهود أخينا الدكتور منصور الشرايري الدعويَّة يوم أن أكملنا معًا المرحلة الجامعيَّة الأولى (البكالوريوس)؛ لننطلق معًا في الدعوة إلى الله تعالى، دراسة وتدريسًا وتعليمًا ووعظًا وإرشادًا، وقد ابتدأ دعوته في المسجد الذي عُين فيه إمامًا وخطيبًا وواعظًا، ثم أكمل مشواره الدعوي أثناء تدريسه الجامعي، وفي الحقيقة لم يكن فضيلة الدكتور منصور الشرايري موظفًا (أكاديميًا) في الجامعة فحسب، بل كان داعية موفقًا، له العديد من الأنشطة الدعوية، والدروس العلمية، وله المناقشات والمحاورات مع بعض المبتدعة والمنحرفين فكريًا ومنهجيًا، وكان له أثره البارز في كل ذلك على من سمعه أو التقى به، وقد سد ثغرة عظيمة في هذا المضمار، نحسبه كذلك، والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا؛ فمن هذه الجهود والأنشطة ما يأتي:

أولًا: جهوده في مناقشة ومحاورة المبتدعة:

من أبرز جهود أخينا د. منصور في هذا المضمار، الوقوف في وجه بعض الفرق المارقة التي حاولت حرف الشباب عن منهاج أهل السنة والجماعة، بفهم سلف الأمة، والوقوف في وجه من يعادي السنة، أو رجالاتها من المتقدمين والمتأخرين؛ فمما أسوقه في ذلك على عجل تاركًا التفصيل لترجمتي الموسَّعة لأخينا الدكتور -رحمه الله تعالى-؛ فمن تلكم الجهود:

جهوده في التصدي لفرقة الأحباش المارقة:

فمن ذلك مناقشته لبعض شيوخ فرقة الأحباش الذين تتلمذوا على يد شيخهم عبد الله الحبشي الهرري، وإيقاف بعضهم عند حده وقطع تأثيره على الشباب في المنطقة التي يعيش فيها الدكتور منصور في مدينة إربد.

وكذا تصديه لدروس الأحباش النسائية في البيوت والدور، التي انتشرت في المنطقة التي يسكن فيها الدكتور، وقد بقي يحاربهم حتى قطع دابرهم في تلك المنطقة.

وكذا جلوسه مع عدد من الشباب الناشئ المتدين الذين أثرت فيهم فرقة الأحباش، حتى أصبح الشاب منهم يكفر أباه وأمه، ويكفر أئمة المساجد، ويكفر أئمة العلم كالأئمة ابن تيمية، وابن القيم، وابن باز، والألباني، وابن عثيمين، وغيرهم، وقد كان له أثر كبير في رجوع فئام من الشباب عن هذا الفكر الضال، ولله الحمد.

جهوده في التصدي لجماعة التكفير والهجرة:

هذه الجماعة التي أثرت على فئام من الشباب الناشئ، الذين يلتقون بهم في المساجد، وكم تصدى لهم بطريق محو تأثيرهم في بعض الشباب الناشئ؛ حيث عقد لهم بعض الدروس في بيته، وصحح للشباب منهجهم، ورد باطل التكفيريين الذي علق في أذهانهم الشباب، وخصوصًا رده لباطل التكفيريين فيما يتعلق بالطعن في الإمام الألباني؛ فمن ذلك: نقضه لكتاب أبي بصير عبد المنعم (حليمة)، الذي سوده باسم: (الرد على من جادل عن الطواغيت)، ويقصد بذلك الإمام الألباني، وكان هذا لسفاهته وتفاهة ما يكتب، يضع اسم الإمام الألباني بخط صغير عند ورود اسمه -الشامخ- في كتابه البايخ.

فكان يبين للشباب كذب هؤلاء وافترائهم على الإمام الألباني، ويُرجعهم لكلام الإمام، ويُظهر لهم كيف حرَّف هؤلاء كلامه، وكيف تأولوه وفهموه فهمًا منكوسًا.

جهوده في التصدي لفرق أخرى:

برزت للشيخ جهود في التصدي والمناقشة لفرقة ظهرت في منطقة إربد، سماتها التهوين من شأن الإمام الألباني واتهامه بالإرجاء، وانتقاصه في الفقه، والتقليل من شأنه في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وقد بدأت تنتشر هذه الفرقة جدًا على يد بعض من يحركها وينفخ فيها، وليس له شغل ليل نهار إلا الطعن في مدرسة الإمام الألباني، وتهوينها في أعين أتباعهم، ومحاربة كل من يتبع لهذه المدرسة، أو يحبها، أو يدافع عنها، وقد نال منهم أخي د. منصور بعض الأذى، وقد أحسن التصرف جدًا إذ كان يرد بهدوء ولا يتصدى لهم مباشرة، وإنما يدرأ فتنتهم عن الشباب ما استطاع لذلك سبيلًا؛ لأن عِداء هؤلاء شديد، يصل إلى التشويه والتشهير والطعن في الدين واتهام النيات، وشرُّ الناس مِن يتَّقى لفحشه(١).

جهوده في حرب الحزبيَّة:

كانت للشيخ جهود في قطع الطريق على من حاول التأثير على شباب الدعوة السلفيَّة، في جرِّهم للحزبيَّة البغيضة؛ فقد حاول بعض من وصفتهم في النقطة السابقة تشكيل حزب سياسي باسم الدفاع عن شؤون السلفيين، واستخدموا لذلك بعض الشباب الأكاديميين، وكان المحرك لهم لا يظهر، وإنما يحركهم من وراء وراء، وقد أُبطل عملهم هذا وانكشف على أيدي المخلصين للدعوة السلفية، الذين كان من أبرزهم، وأبرز من دلَّ عليهم الدكتور منصور -رحمه الله تعالى-.

ثانيًا: جهوده في الدروس والندوات العلمية:

برزت للدكتور منصور جهود عظيمة في عقد الدروس والندوات العلمية في

(١) انظر شيئًا من ذلك في كتابي: «الرمح الرديني في بثِّ أخبار الحويني».

مختلف المناطق في الأردن، وإحصاؤها يصعب الآن، لكني أذكر منها ما سنح بالبال، وما خطر بإخطار بعض الإخوة وتذكيرهم؛ فمن ذلك:

تولي التدريس في مسجد أسعد بن زرارة في إربد، منذ تأسيسه، وقد تعرض فيه للأذى، من بعض متعصبة المذاهب؛ حينما برزت جهود الدكتور منصور الدعوية في هذا المسجد؛ حيث قدِم بعض المتعصبة من مساجد أخرى لأذية أخينا منصور، ولم يلبث أن برد ذيّاك المتعصِّب ورجع للصلاة في مسجد حيِّه؛ ليكمل الدكتور منصور مشواره الدعوي في ذلك المسجد المبارك.

تولي التدريس في مسجد خلف التل القرآني في حي إيدون، في مدينة إربد، لعدة سنوات في أوقات متفرقة، لمواد التلاوة والتجويد، ومواد الحديث الشريف.

وقد كنت مديرًا لهذا المركز، وكان الدكتور منصور، والدكتور إبراهيم بني سلامة، ردءًا لنا في جهودنا الدعوية العلمية التدريسية في هذا المركز المبارك.

شرح البيقونية في مصطلح الحديث، في لواء الكورة، التابع لمحافظة إربد.

شرح نخبة الفكر في مصطلح الحديث، في لواء الكورة، التابع لمحافظة إربد.

التعليق على هدي الساري لابن حجر العسقلاني، في لواء الكورة، التابع لمحافظة إربد.

شرح كتاب العلم من صحيح البخاري، في لواء الكورة، التابع لمحافظة إربد.

شرح كتاب الوصايا للترمذي، في لواء الكورة، التابع لمحافظة إربد.

شرح نزهة النظر، لابن حجر العسقلاني، في لواء الكورة، التابع لمحافظة إربد.

شرح باب القدر من صحيح مسلم، في لواء الكورة، التابع لمحافظة إربد.

مصطلح الحديث، في الدورة العلمية الأولى، التي أقيمت في لواء الكورة، في

مدينة دير أبي سعيد، برعاية مركز ابن عباس القرآني، في مدينة الرمثا، وقد كانت هذه الدورة تحت إشرافي.

شرح أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين، في الدورة العلمية الأولى لمركز الإمام الألباني، في مدينة إربد، مسجد الجسير، في الفترة من: ٢٣/شعبان/١٤٣٥هـ إلى ٢٨/شعبان/١٤٣٥هـ.

شرح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح الإمام البخاري، في لواء الطيبة، التابع لمحافظة إربد.

شرح كتاب الفتن من صحيح الإمام مسلم، في لواء الطيبة، التابع لمحافظة إربد، وقد مكث فيه سنة ونصف وأنهاه قبيل سفره للعمل في مكة.

طالب العلم والسنة النبوية، في أحد دورات مركز الإمام الألباني في مقر المركز عمَّان، تقريبًا في شهر ٧/٢٠١٤م.

ثاني عشر: أخلاقه وثناء العلماء وسائر الناس عليه:

أولًا: اخلاقه:

لقد أطبق كل من عرف الأخ الحبيب الدكتور منصور على توفر خصلة عظيمة فيه، ألا وهي: **صفاء النفس، وحسن الظن بالآخرين.**

قال د. إبراهيم بني سلامة في موقعه على «تويتر» حول ذلك: «من خصال د. منصور الحميدة: طيبة قلبٍ فريدة، إلى درجة أنني لا أظنه يحمل غلًا أو حقدًا لأحد، ولقد قال لي: «أنا أسامح كل أحد، إلا من رماني بديني»، رحمه الله».

وكان رحمه الله **حريصًا على أولاده جدًا**، فقد كان يعلمهم السنة كلما سنحت الفرصة، وكان يتوخَّى أن يجالسهم مع أهل العلم وطلبته، ويصطحبهم للمسجد.

قال إبراهيم نظمي المنسي -وهو أحد أصدقاء منصور، وأحد رواد المسجد الذي كان يصلي فيه-: «كان الدكتور منصور الشرايري ﷺ حريصًا على كل صلاة في المسجد، وحريصًا على إحضار أولاده الثلاثة بمعيته... تنظر له ولأبنائه، ولا تملك إلا أن تقول: «باسم الله ما شاء الله، نعم المربي، ونعمت التربية». رحم الله الدكتور وزوجته وولديه، وشافى الله ولديه، وجعلهما من أثره الطيب المبارك، بإذن الله تعالى».

ومن أخلاقه حرصه السنة، وعلى مسامحته لكل من أساء إليه، ومن حرصة على السنة أنه استدان قبل وفاته بيوم أو يومين مبلغًا من المال، لمدة أسبوع من اثنين زملائه وزملائنا، يردها يوم يرجع من إجازته؛ حيث يكون وقتها قد نزل راتبه في حسابه، وكانت مدة الإجازة أسبوع واحد؛ فأخرج ورقة وقلمًا وكتب لأصحاب الدين كتّابًا بدينهم؛ فقال له أحد الدائنين: «لا داعي للكتّابة، المدة كلها أسبوع». فقال له الدكتور منصور: «إنها السنة. وأنا على سفر، وأولادي قُصَّر».

قال د. إبراهيم بني سلامة في موقعه على «تويتر» حول ذلك: «ومن خصال د. منصور: أنه كان حسن الأداء؛ فلقد كان يحمل همَّ الدَّين؛ فإذا جاء أجله، يتصل بصاحبه مذكرًا مؤديًا، بل أحيانًا يكون المبلغ بسيطًا؛ فيؤديه».

ومن أخلاقه وحرصه على السنة، فعل كان يفعله كثير من السلف، وأُثِرَ فعله عن شيخنا الإمام الألباني، **ألا وهو استفتاؤه لغيره في خاصَّة نفسه**؛ فلا أحصي كم كان يستفتيني، وكثير من الفتاوى التي كان يستفتيني فيها، كان لو سئل عنها هو لأجاب، لكنه لورعه كان يستفتي غيره فيما يخُصُّه من مسائل أهل العلم.

ونحو هذا يخبر الدكتور إبراهيم؛ فيقول: «بل من أدب د. منصور مع أهل العلم، أنه كان يطلب مني الفتيا في مسألة ما؛ فأفتيه على الخاص، فإذا به ينشرها على [الملأ]، ويقول: (استفدت أنا يستفيد غيري)».

ومن **أخلاقه أنه كان متبسطًا مع طلابه**، يخرج معهم الرحلات، ويعمل في الرحلة كأنه من أقرانهم، وربما زاد تبسطه معهم عن حده؛ فكنتُ أنهاه عن ذلك؛ لئلا يستهين الطلاب به؛ فكان يقول: «هذا التبسط معهم أحب إلى نفسي، ولا أستطيع منع نفسي منه».

قال د. إبراهيم بني سلامة في موقعه على «تويتر» حول ذلك: «ومن خصال صديقي: أنه كان مع طلابه كأنه منهم، مع أنه آية في العطاء. أحيانًا يقف عند مسألة مستشيرًا طلابه، كأنه يريد الفائدة. رحمك الله يا أعز صديق».

ثانيًا: ثناء العلماء وسائر الناس عليه:

لا تُعرف قيمة المرء إلا بعد فقده؛ وقد انهالت ثناءات الناس عليه بعد موته في مواقع التواصل الاجتماعي، بشكل لافت للنظر، وبكاه القاصي والداني، وعزاني في وفاته ما لا أحصي عددًا، من دول عربية وغير عربية كثيرة، وقد اعتمر عنه وعن عائلته العشرات، بعضهم كان وقت وفاته في مكة فنوى عمرته عنه، وبعض الزملاء في مكة اعتمروا هم وعوائلهم عن الدكتور منصور وعن أهله.

وقد قال الدكتور منصور الشرايري في موقعه في «الفيس بوك» بتاريخ: ٢٠١٦/١٠/٢٧م، في إثر وفاة المحدِّث شعيب الأرناؤوط، مقالة جميلة وكأنه يصف بها نفسه؛ فقال: « كلما توفي عالم من علماء أهل السنة، تضجُّ صفحات

التواصل الاجتماعي في «الفيس» و«الواتس» و«التويتر» بالدعاء له والترحم عليه، وهذا والله هو الفوز، فالمؤمنون شهداء الله في الأرض، فلا أحصي اليوم كم من داعٍ للشيخ شعيب الأرنؤوط رحمه الله فما فتحتُ «الفيس» ولا «الواتس»، إلا كانت منشورات ورسائل الترحم عليه أول ما يظهر لي».

قال -أيضًا- في موقعه في «الفيس بوك» بتاريخ: ٢٠/١٠/٢٠١٦م: «(توفي اليوم): ما إن أفتح صفحة الأخبار الرئيسة، حتى يطالعني عشرات من مثل هذا الخبر، فأمر عليها سريعًا داعيًا بالرحمة... غير أني أتوقف أحيانًا متأملًا... دور من غدًا؟».

فمن عزاء العلماء به:

عزاء العلامة المحدث الشيخ أبي إسحاق الحويني، في فضيلة الشيخ الدكتور منصور الشرايري، وكان الشيخ الحويني قد زارني في بيتي في مكة بتاريخ: ١٥/٣/١٤٣٦هـ، وجلسنا جلسة طويلة وكان د. منصور يسأل العلامة الحويني أسئلة حديثية، وهي مصورة عندي فيديو.

فأرسل لي العلامة الحويني هذه الكلمات في عزائه: (والله لقد انصدع قلبي لوفاة أخينا في الله الدكتور منصور الشرايري مع زوجته وولديه، فلو عندك له فيديو أرسله إلي. وإنا لله وإنا إليه راجعون).

وعزاء الأستاذ الدكتور غازي مرشد العتيبي، عميد كلية الشريعة في جامعة أم القرى، والمدرس في المسجد الحرام، وهو الذي تعاقد مع د. منصور الشرايري، للعمل في مكة وقابله في الأردن، وأعجب به، وكان د. منصور قد أحب د. غازي أيضًا، أرسل لي د. غازي لما علم بوفاة د. منصور، الرسالة الآتية، بعدما جرت بيني

وبينه مراسلة لأبلغه بوفاة د. منصور، فقال: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. بلغني ذلك وحزنت عليه حزنًا شديدًا. لقيته ثلاث مرات فقط، وأحببته في الله، لتواضعه ودماثة خلقه وتميزه العلمي، أسأل الله أن يدخله في الصالحين، ويورثه الفردوس الأعلى إنه سميع مجيب).

ومن ثناء العلماء على مؤلفاته:

قال العلامة المحقق د. بشار عواد معروف في مقدمته لكتاب نظرية الاعتبار للدكتور منصور الشرايري: «وكنتُ أبدًا حريصًا على مثل هذه الدراسات الجادَّة، التي تناقش مشكلة معينة، فتغوص بها عُمقًا، تسبر أمرها، وتعرف غورها، حتى تظهر مجلوَّة، تعم فوائدها، وترتجى عوائدها،... ومثل هذا الدراسات الجادة، لا تصلح إلا لمن آتاه الله بسطةً في العلم، وذخيرة منه، وكان ممن شَحَذَ الهمَّة، وقوَّى العزم، وصحَّح الرأي، وثبَّت النيَّة»(١).

وقال -أيضًا-: «وحين تقدَّم الأخ الدكتور منصور إلى هذا العمل الجليل، تقدَّم إليه وهو واثق القلب، هادئ الروع، إذ وطَّن على الأمر نفسه، وذد له أزره، فقام به لأتمَّ قيام حين اضطلع به، وتصدَّى له، فنهض بأعبائه على ثقلها أتمَّ نهوض، ولم يدع له خَلَّةً إلا سدَّها، فجاء بحثه -بحمد الله ومَنِّه- مستقيمًا مُتَّسِقًا، لا يشوبه كبير خلل، ولا يُمازجه فساد»(٢).

ومن ثناءات أقرانه عليه:

قال د. إبراهيم بني سلامة: «رحم الله تلك الروح التي -والله- ما عرفنا عنها إلا

(١) مقدمة أ. د. بشار عواد معروف على، **نظرية الاعتبار عند المحدثين**، للدكتور منصور الشرايري رحمه الله، (ص١٠).

(٢) مقدمة أ. د. بشار عواد معروف على، **نظرية الاعتبار عند المحدثين**، للدكتور منصور الشرايري رحمه الله، (ص١١).

التميز في كل مجال، علمًا وعملًا دينًا ودنيًا، لا أكاد أنسى ابتسامته الرائعة ونكاته الجميلة، اللهم اجبر كسرنا وارحم فقيدنا».

ويقول -أيضًا-: «أبو جعفر وردت على رب كريم جليل، عرفناك نعم الأخ والصديق؛ فوالله لأنت الصديق الصدوق، الخل الوفي المتواضع الأديب، رحمك الله يا شقيق الروح».

ويقول -أيضًا-: «د. منصور عاش على السنة ولها، ومات عليها وبها؛ خرج متوكلًا ليبرَّ أمه، التي عنده كما وصفها: «حيث تلتقي الروح بالجسد». اللهم ارحمه واغفر له».

وأرسل إليَّ صاحب الفضيلة الصديق العزيز الدكتور د. وليد بن إدريس المنيسي -رئيس الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، الولايات المتحدة، وشيخ قراء أمريكا-، قائلًا: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فقد عرفت صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور منصور الشرايري -رحمه الله تعالى- خلال آخر سنتين من عمره المبارك، وكانت بداية معرفتي بفضيلته حين قبل مشكورًا الطلب المقدم من إدارة الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا بأمريكا، والتي أتشرف برئاستها للإشراف على بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه، وأصر فضيلته على أن يكون إشرافه ومناقشته للرسائل مجانًا بدون أي مقابل مادي؛ خاصة حين علم أن الطلاب حاصلون على منح للدراسة المجانية في الجامعة، وشارك فضيلته بإفادة طلاب الجامعة والإجابة عن أسئلتهم الحديثية بسماحة صدر ورحابة نفس، وكل من راسله من الطلاب ذكروا عظيم استفادتهم من علمه ورفقه وحسن خلقه ﷺ، كما أن فضيلته حين علم بقدومي للعمرة قبل وفاته بسنة ﷺ دعاني لزيارته في بيته بمكة المكرمة، وتشرفت بزيارته في بيته حيث بالغ في إكرامنا والإحسان إلينا مع

تواضعه الجم وابتسامته المشرقة وحديثه الماتع، وأهدى إليَّ بعض مؤلفاته من الأبحاث الحديثية النافعة، كما كانت لي مع فضيلته مراسلات للسلام والسؤال عن الأحوال، وكانت آخر رسالة وصلتني من فضيلته قبل وفاته بيومين يشفع فيها لأحد الإخوة الباحثين عن عمل في أمريكا يريد مساعدته، كما أنه قبل وفاته بيوم كان مناقشًا لرسالة دكتوراه في الحديث مقدمة لجامعتنا، شارك في مناقشتها عن بعد، مما يبشر إن شاء الله بحسن خاتمته وحرصه على الخير ونفع الناس بعلمه وجاهه إلى آخر أيامه في هذه الدنيا -رحمه الله تعالى-، وأحسن إليه وجعله من أهل الفردوس الأعلى».

وقد قلت يوم دفنه معزيًا نفسي ومعزيًا أهله: «وداعًا صديقي الحميم ثاني النفس وثالث العينين: د. منصور الشرايري. إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها، أشهد بالله أنك رجل صالح، عابد عالم محب للسنة سائر على خطى السلف حالًا وعقدًا، وقد رزقك الله تعالى محبة خلقه؛ فقد عزاني فيك ما لا أكاد أحصي عددًا من دول شتى السعودية والأردن والجزائر ومصر وقطر وعُمان والإمارات وماليزيا، وإندونيسيا، ورأيت حتى من لا يعرفك بشخصك قد تأثر بموتك وأحبك...

وفي الحقيقة رأينا من تربية د. منصور لأبنائه خيرًا عظيمًا، فأبناؤه كلهم على شاكلة أبيهم من صفاء النفس والطيبة، وقد كان يصطحبهم معه إلى المسجد في الصلوات الخمس، واليوم الخميس اتصلت قبيل المغرب بجعفر بن منصور في مستشفى الملك خالد بتبوك، فأول سؤال سألنيه بعد أن اطمأننت على صحته، أن قال لي: عمي أشرف كيف أصلي؟ قلت له: هل تستطيع التيمم؟ قال لي: لا؛ لأني نائم على ظهري

وممنوع من الحركة. فقلت له: صلِّ على حالك: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

فسبحان الله، ابن خمسة عشر عامًا يسأل عن الصلاة متناسيًا آلامه نتيجة الكسور التي في ظهره وحوضه، فالحمد الله تعالى الذي أنبته نباتًا حسنًا، وألهمه حسن المنطق والانشغال بما ينفعه في أخراه، نعمت التربية يا حبيبي يا منصور(١)، نسأل الله تعالى أن يسير على خطاك في علم الحديث وفي حب السنة، وأن يجعله خير ولد صالح يدعوا لك، إنه سميع قريب مجيب. وكتب أبو قدامة أشرف الكناني».

وقال الأستاذ الدكتور صالح سعيد عومار أستاذ الحديث الشريف في جامعة قسنطينة/الجزائر -وهو صديق عزيز لنا وللدكتور منصور، كان بيننا لقاءات علمية كثيرة- كلمةً ماتعة أرسلها إليَّ بعد وفاة الدكتور منصور، فيقول: «أخونا الدكتور أبو

---

(١) وقد جرت بيني وبين جعفر مكالمات هاتفيَّة عدة، وقد لمست فيه في تلك المكالمات -كما عهدناه من قبل- الصدق والطيبة والتدين والاستقامة، فكان مما جرى بيني وبينه في المكالمات:

أن قال لي جعفر: أبي أوصى بمكتبته لك وللدكتور إبراهيم.

فقلت له: بل هي لك يا حبيبي. أنت خير طالب علم ترث مكتبة أبيك، ونريدك على خطى أبيك، ونريد أن تفرحه بطلبك للعلم الشرعي، وأن تكون ثمرة من ثماره اليانعة، ونحن نعرف أفكار ومشاريع أبيك، وسنعطيها لك شيئًا فشيئًا لتكملها عنه.

والمكتبة منا لك، يا حبيبي يا جعفر: سنكوِّن لك مكتبة علمية كبيرة، تضمها إلى كتب أبيك، لتكون عونًا لك في مشوار العلم الشرعي.

فقال لي: أنا أحب أن تكون الكتب وقفًا لطلاب العلم.

فقلت له: بل هي لك.

ثم قال له د. إبراهيم بني سلامة: أنت طالب علم يا جعفر، فلتكن متممًا لمسيرة أبيك.

فقال: إن شاء الله.

و-أيضًا- مما جرى بيني وبينه في إحدى المكالمات أن سألته عن بعض أغراض وأمتعة بيتهم الذي في مكة: ما تريد منها وما لا تريد؟ فقال: عمي أشرف تصدق بها كلها.

كان هذا الكلام في يوم الثلاثاء: ١٤٣٨/٥/١٥هـ-٢٠١٧/٢/١٢م.

جعفر منصور بن محمود الشرايري ﷺ، قدَّر الله أن يلتقي مغربيٌّ جزائري، بمشرقيٍّ أردني على أرض الشام، في ربوع الأردن الطيبة، بمدينة إربد، وتحت سقف بيت أخينا الدكتور أبي قدامة أشرف بني كنانة، في ربيع سنة ١٤٣٠هـ/مارس ٢٠٠٩م.

جمعت بيننا مجالسُ أهل العلم والفضل، عند الأستاذ المحقق الكبير بشَّار عواد معروف، والشيخ الكبير شعيب الأرناؤوط، والعلامة أبي عُبيدة مشهور حسن، والعلامة علي حسن عبد الحميد الحلبي،... وغيرهم حيث لا نَسب بيننا ولا رحم ولا وطن، إنما هي أخوة الإيمان، ورابطة الدين والسنة، وَزَمالة العلم، وعلوم المحدِّثين.

الشيخ أبو جعفر، عرفتُه رجلًا فاضلًا، صاحب خلق وابتسامة، طيبًا مضيافًا، سُنيًّا مُتَّبعًا،... قدَّر الله تعالى أن توافيه المنيَّة في مقتبل عمره، وإلا لرأينا منه عالمًا من علماء الإسلام، وواحدًا من محدِّثيها.

استضافني -بمعيَّة بعض طلبة العلم- في بيته بمكة المكرمة أيَّامًا قبل وفاته، فكان كعادته في كرمه وطيبته، ومُباحثاته العلميَّة الحديثيَّة... لكنه اللقاء الأخير. وتفجعنا الأيَّامُ بانتقال روحه إلى بارئها ﷻ، فنفقد رجلًا عالمًا من علماء الإسلام والسنة.

إنا لله وإنا إليه راجعون، هكذا يذهب الصالحون، وتشتد غربة السنة وأهلها، أسأل الله تعالى أن يرحمه، وأن يجمعنا في مستقر رحمته، مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين. وكتبه أخوه وزميله: أ. د. أبو أيوب صلح بن سعيد عومار الجزائري، بمدينة قسنطينة يوم ١٤ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ- الموافق لـ: ٢٠١٧/٣/١٣م».

وقال الشيخ وسام الطيطي -وهو أحد زملائنا وزملاء د. منصور في الدراسة-:

«فإن غبت عنا بجسدك؛ فروحك وعلمك وخلقك، فما زال أثرك الطيب بيننا وبين من أحبك؛ فكم كنتُ أغبطك على صفتين قد أجمع من عرفك عليهما: صفاء النفس، وحسن الظن بالآخرين؛ فكم تعاملت مع أناس، وعاشرت آخرين؛ فلم ألمس تلكم الصفات إلا فيك... عزاؤنا فيك: علمك وخلقك ودفاعك عن سنة نبينا؛ فقد كنتَ جنديًا مخلصًا لسنة حبيبك المصطفى، أسأل الله تعالى أن يكون لك شفيعًا».

ومن أقوال أساتذة الحديث الشريف في الأردن:

جاء في مطلع الحلقة التي خصصها ملتقى جمعية أهل الحديث بالأردن، عبر «الواتس آب»، تخصيص حلقة عن الدكتور منصور الشرايري، بطلب من الدكتور علي عجين أستاذ الحديث الشريف في جامعة آل البيت، وكانت هذه الحلقة عنه؛ هي الحلقة الثامنة في سلسلة: (**أساتذة علم الحديث النبوي الشريف المعاصرون في الأردن**)، وقد جاء في مطلع الحلقة قول المقدِّم **د. ثامر حتاملة**: «حيث نقف مع أستاذ شهد له القاصي والداني بكريم أخلاقه، وسعيه لطلب العلم، مع انصياع للحق، واحترام العلم وأهله، كان طيب المعشر، لين العريكة، هادئ النفس، بشوشًا، معطاءً، متواضعًا، يحبُّه مَنْ عاشَره عن قُربٍ، ومَن عرفه عن طريق مواقع التواصل، نقف مع الدكتور منصور الشرايري رحمه الله تعالى».

وقد تتابعت أقوال أساتذة علم الحديث في الأردن خلال الحلقة في الثناء على الدكتور منصور الشرايري، التي كانت بتاريخ: ٢٠١٧/٢/٣م؛ فمن ذلك:

قال فضيلة **الأستاذ الدكتور باسم الجوابرة** -حفظه الله- في حق د. منصور رحمه الله-: «عرفته عالمًا متواضعًا محبا لإخوانه طلبة العلم، حريصًا عليهم، وفيًّا لمشايخه، معترفًا بفضلهم ومكانتهم، دمث الأخلاق، صافي السريرة، محبًا للسنة النبوية، عاملًا بها،

مدافعًا عنها، نشيطًا في المنتديات والمجموعات المتخصصة في السنة النبوية، كان له صوت وأثر عظيم في هذه المنتديات، جريء في الحق، يشهد له بذلك كل من عرفه. وبفقده فقدنا أخًا عزيزًا عالمًا بالسنة النبوية وخادمًا لها، مدافعا عنها. والكلمات لا تفي هذه القامات حقها... رحمه الله رحمة واسعة.. وجعل جهوده في ميزان حسناته..».

وقال **الأستاذ الدكتور محمد العمري** عميد كلية الشريعة في جامعة اليرموك -حفظه الله-: «أما أخونا الدكتور منصور -رحمه الله تعالى وغفر له-؛ فلا أدري إن كنت درسته مَساقًا أو مساقين؛ ومن زمن بعيد، لكن الذي أعرفه عن الرجل أنه كان من خيار الطلبة، وأكثرهم جِدِّيَّة، مع مَلَاحة وطَرَافة؛ حيث كان -رحمه الله تعالى- ضَحُوكًا، قلَّ أن تراه إلا مُبتسمًا بَاشًّا.

له علاقات طيبة بإخوته، مع حرص واضح على التحصيل والطلب، كتب رسالته في الدكتوراه عن **نظرية الاعتبار عند المحدثين، أتى فيها على فرائد؛ بحيث ما كتب على علمي في موضوعه أحسن منه؛ فكانت مرجعًا للباحثين،** فجمع بين العلم، وجديته والظرافة وحسن الفكاهة، مع أدب في الحوار واحترام الرأي الآخر، دون حِرص على حظٍّ النفس في النقاش وما يدور بين الزملاء من نقاش ورُجوع إلى الحق إنْ بان له، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة».

وقال **الدكتور عبد الرزاق أبو البصل** -حفظه الله- أستاذ علم الحديث النبوي الشريف في جامعة أمِّ القرى سابقًا، والأستاذ في جامعة اليرموك حاليًا؛ وكان ممن تأثَّر كثيرًا بوفاة الدكتور منصور؛ حيث قال وقت الحادثة: «ما بكيت واحِدًا ممن مات من أصحابنا كما بكيته».

وتابع الدكتور عبد الرزاق قائلًا: «أسأل الله تعالى أن يغفر لأخي وتلميذي الشيخ منصور، وأن يُعلي درجته في الصالحين من عباده، وأن يجعله ممن يَرِدُ حوض نبيه، الذي أحبَّ سنته واختص فيها، وأن يرفع درجته في الصالحين.

الشيخ منصور أقول شيئًا من حقه: لقد كان على خلقٍ عالٍ وأدبٍ جَمٍّ، ومحبَّةٍ لأشياخه، وفيه صفتان أنا من أعرف الناس فيها، وهي: أنه رجَّاع للحق، والشيء الثاني أنه غير مكابر في العلم.

فإن هذه الصفات من أحسن الصفات التي تدلُّ على نُبْلٍ في النفس من جهة، وتدلُّ على ما كان يتمتع به من دين ولله الحمد، ولا نزكي على الله أحدًا.

وهذا الموقف أقوله من تجربتي معه: لمَّا كان في مراجعة الرسالة بعد المناقشة، وكان يراجعني حتى أُوقِّع له بعد التعديلات، فقلت له: لا. لا أُوقِّع لك حتى تُعدِّل الأخطاء التي في الرسالة، وهذه الأخطاء تعديلها سيكون لك وليس لي، وأنا لا أقبل أن تخرج الرسالة بهذه الأخطاء العلمية بهذا الشكل(١).

والحقيقة كان مسرورًا بذلك ورحب الصدر(٢)، فكان يراجعني في كثير منها -

---

(١) في الحقيقة فلم نسمع بهذه الأخطاء ولم نرها، لا في وقت المناقشة ولا بعدها، فالله المستعان.
وكان جل ما قيل إنه خطأ علمي مما تتفاوت فيه وجهات النظر، وكان المناقشون للرسالة مغتبطون بها، وعلى رأسهم العلامة المحقق بشار عواد معروف -وقد تقدم آنفًا ذكر ثنائه على الرسالة في تقدمته لها-، وقد سبق آنفًا -أيضًا- في الأعلى ثناء عميد كلية الشريعة الأستاذ الدكتور محمد العمري عليها، وكذا لا زالت الثناءات تترا منذ أن طُبعت الرسالة، وحتى وقتنا هذه؛ فلله در كاتبها، وأحسن الله إليه.

(٢) الذي أعلمني إياه د. منصور أنه كان مجاملًا صابرًا محتسبًا، يريد الخلاص من التجني والظلم الكبيرين الذَّين وقعا عليه، وكان لا يفهم ما يريد منه الدكتور؛ لأنه لم يبيِّن مراده، لا بشرح ولا بكتابة ولا بغيره، بل الانفعال وارتفاع الصوت كانا رفيقين له؛ فالله المستعان.

وقد كنت **أكتب إشارات تعجب أو إشارات استفهام** وهذا كان من عادتي في القديم، أنني أكتب إشارات تعجب واستفهام في متن الرسالة، ويوم المناقشة أقول للطالب ملحوظاتي أثناء المناقشة-، فكان يسألني ما هذا؟، فأقول له: كذا، فيقول: تمام فهمت، وهذا يدل على نبل، بخلاف كثير من طلبة العلم، فإذا قلتَ للبعض شيئًا فيقول لك: «هذا معروف»، فلا أدري كيف يكون معروفًا، ولم يأتِ به، فهذه مُكابرة في العلم.

ولكنَّ الشيخ منصور بالحقيقة لم تكن عنده هذه الصفة، بل كان متواضعًا، وهذا يدلُّ على ثقته بنفسه وعلمه.

كذلك شيء آخر أقوله في حقه -رحمه الله رحمة واسعة-، لما كنت ألتقيه كان غاية في الأدب والإجلال لمشايخه **على الرغم أنني في الحقيقة قسوت عليه في المناقشة**[1]، ولكنه رحمه الله كأنَّ شيئًا لم يكن.

وهذا في الحقيقة نُبل في الأخلاق، فبعض طلبة العلم لو أنك قسوت عليه عشر معشار المطلوب لما سَلَّم عليك.

وهنا أذكر مثالًا: طالب ما لما أنقصته اللجنة درجتين عمَّا كان يأمل، فكان لا يُسَلم

(١) الأحق من هذه الحقيقة؛ أنها لم تكن قسوة، بل كانت انتقامًا وانتقاصًا وازدراءً وتشويهًا للسمعة بغير حق، وقد لاك في عرض حبيبنا الدكتور منصور اللائكون سنوات عدَّة، بسبب هذه القسوة المصطنعة، وقد فارق أخانا منصور الحياة وأفضى إلى ما قدَّم، ولم يُسامح بحقه، ولطالما قلت لأخينا وزميلنا د. عبد الرزاق: «أبرئ ذمتك مما فعلت بمنصور»، ولكنه كان يأبى، ويفتحُ كلامًا جديدًا، فعند الله تجتمع الخصوم، ولو أن زميلنا الدكتور عبد الرزاق فيما قال أعلاه، وقف عند ثنائه على الدكتور منصور، وطوى ما طويناه وطواه منصور -طواه منصور بسبب كثرة إلحاحي عليه-، لما بيَّنت هذا البيان، الذي قد يَعقُبه بيان إن اقتضت الظروف، كيف لا وقد انتشر في مواقع التواصل الاجتماعي.

على المناقشين، وهذا يدل على ما في النفس، نسأل الله السلامة.

وبقيت علاقتنا قوية ومتينة ونحن في الجامعة -أمُّ القرى-(١) وقلت وقت وفاته: إنَّه قد عزَّاني فيه كثير من الزملاء في السعودية وقت العزاء، وقد كان يطلب أن ينتقل إلى قسم الكتاب والسنة بعد أن قلت له إنني سأرجع إلى الأردن وأترك جامعة أمِّ القرى، حيث كان يعمل هناك، والحقيقة أنني كنت قد بادرت لإيصاله إلى مطلوبه، ولكن المنية قد اخترمته رحمه الله رحمة واسعة».

قال د. **عبد الكريم وريكات**: «شارك معنا د. منصور الشرايري في جمعية الحديث الملتقى العلمي الخاص بترقية الحديث الضعيف. وقد كان مناقشة كتابه «**نظرية الاعتبار عند المحدثين**». أحد محاور الملتقى، **وقد أثنى الجميع على هذا الكتاب**، وتقبل رحمه الله ملحوظات الأساتذة ونقداتهم بروح علمية طيبة، تدل على خلق جم، وأدب عال».

قال أ. د. **أمين القضاة** -حفظه الله-، عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية سابقًا، وأستاذ علم الحديث الشريف حاليًا؛ وكان هو المشرف على رسالة نظرية الاعتبار للدكتور منصور: «رحم الله الأخ الحبيب، وطالب العلم النجيب الدكتور منصور الشراري.. لقد كنت ألمس منه صدقه وجديته، وحبه لطلب العلم. وكان بشوشًا مبتسمًا دائمًا؛ فإن ناقش زملاءه ناقشهم بأدب، وإن سمع نقدهم تقبله بصدر رحب.. عرفته من خلال رسالته في الدكتوراه، وفي قاعات المحاضرات.. أسأل الله أن يتقبله عنده، وأن يحشره مع الأنبياء والصديقين والشهداء، ومع زمرة علماء

---

(١) وأنا أشهد؛ وذلك لقوة صبر منصور، ولشدة تحمله، ولمثابرتي عليه لينسى مرارة الألم.
والحمد لله أنا كنت -ولا زلت دومًا- حريصًا على حسن العلاقة بين طلبة العلم، مهما شرَّقت التيارات وغرَّبت، ولكن هذا لا يمنعنا أبدًا من ذكر الحق والحقيقة أينما دارت واتجهت وتوجهت.

الحديث.. لقد فقدنا عالمًا من علماء الحديث.. ولكن عزاءنا بزملائه الذين يسيرون على طريق العلماء.. فهم حملة سنة المصطفى ﷺ».

قال د. رامز أبو السعود: «د. منصور أخ حبيب وزميل وصديق مخلص، تشرفت بالتعرف عليه ومزاملته في الماجستير. وللحق أقول: إن أتكلم عن أخلاقه وأدبه، فقد سبقني مشايخنا وإخواننا في ذلك،... **ولكن من أكثر ما يميزه حسن كتابته وأبحاثه الرصينة وصياغته السهلة السلسة في الكتابة**، حتى كان شيخنا د. حمزة المليباري يُقدِّمه على جميع الطلاب في ذلك.

وأذكر قصة -الشيء بالشيء يذكر- كنت في زيارة لأحد زملائنا في الدكتوراه، فقال لي: «هل قرأت كتاب نظرية الاعتبار؟». فأجبته: أني قلبته، ولم أقرأه كاملًا. فقال لي: «أجزم أن د. منصور لم يكتبه، بل كتبه غيره[1]، فصياغته وتقسيماته وترتيبه ماتع جدًا، ولا إخاله كتبه».

حينها تبسمت، فقال لي: «ما سبب هذه الابتسامة؟».

قلت له: **أكدتَّ لي ما كان يقوله مشايخنا -حفظهم الله- في أبحاثه، وأن أكثرهم كان يقدمه علينا جميعًا في كتابة الأبحاث.**

ثم رمقته بناظري وقلت له: ثق تمام الثقة أنه هو مَنْ كتبه[2].

---

(١) نعوذ بالله من سوء الظن، ونبرأ إلى الله تعالى من حال أصحاب ردغة الخبال، ونستعين به على كل حاقد أو حاسد أو متعالم.

ولا أعلم من أين جاء الجزم لهذا القائل! أم هو (جزم بدون علم)، و(قول بدون حلم)، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) ووالله وتالله وبالله إن أخانا منصور الشرايري، ممن يأنفون أن يكتبوا ما ليس من مقالهم، أو استنتاجهم وبحثهم، كيف لا، وقد أتاه الله تعالى قلمًا سيّالًا، ومقدرة عالية على الكتابة، لا يُحسنها أكثر أقرانه.

فإن كان في هذه القصة من ثمرة أو خلاصة، فهي أني أهيب بنفسي وبجميع إخواني أن **نحرص على قراءة ما كتبه**[١] -رحمه الله رحمة واسعة-، وأسبل عليه شآبيب الرحمة والمغفرة».

وكانت لكاتب هذا السطور مشاركة طويلة في هذه الحلقة، وقد بثثتها في مكانها المناسب في هذه الترجمة المباركة.

ومن ثناءات زملائه وتلامذته وأصحابه عليه:

تلك المشاركة التي نُشرت في الحلقة آنفة الذكر، وهي مشاركة صديقنا، وصديق الدكتور منصور، الأخ علاء نصيرات -وكانت مشاركته هذه قبل وفاة د. منصور بمدة، لعلها يوم أن غادر الأردن إلى مكة-، فقال: «رافقته منذ عام: ١٩٩٧م، في بيوت الله... كان نعم الأخ والصديق والقريب... نشأ في بيت عز وكرم.. كان والده من أشراف الناس وكبارهم... تسلح بالعلم الشرعي على نور وبصيرة... تمتع بالحكمة منذ بكور شبابه... كان يُعلِّم ببعدِ بصرٍ، مُقدِّرًا عواقب الأمور... يضع الأمور في نصابها الصحيح... ترافقنا أيامًا وشهورًا وسنوات... استفدت من خبرته وحكمته وسعة بصيرته وعلمه الكثير الكثير... شاء الله أن تكون زوجته الكريمة من بنات العمومة، فتعمقت العلاقة... حصل على الدكتوراه في التخصص الذي أحبَّ: «الحديث الشريف»... أكرمه الله بجوار بيته الحرام مدرسًا في جامعات مكة المكرمة... جلساته ماتعة لا تمل... بسيط يكره التكلف.. قريب من القلب...

---

(١) أحسنت يا دكتور رامز، فكم من شخص يحكم على الناس بهواه دون أن يقرأ لهم، بل ويجزم مع هواه بحكمه، نعوذ بالله من الخذلان.

ابتسامته لا تفارق محياه الطيب... بشاشة وجهه تقربه من القلب... وفيٌّ لأصدقائه وخلانه... لم يزده العلم إلا تواضعًا وقربًا من الجميع... عبر هذا الفضاء أرسل لك أخي الحبيب د. منصور الشرايري رسالة حب ووفاء واحترام وتقدير وشوق كبير لرؤياك... دمت بخير ورفع الله قدرك وزادك الله من فضله».

قال د. محمد الأسود -وهو زميل دراسة معنا ومع د. منصور-: «حبة الفؤاد ومسك الروح الأخ المتواضع الذي يسكن بجوار ربه الآن الأخ الدكتور منصور الشرايري».

قال د. خالد عبد الله القرشي -وهو أحد زملاء د. منصور في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، في جامعة أم القرى-: «شرفتُ بمعرفة أخي في الله فضيلة د. منصور الشرايري؛ لمَّا التحق بقسمنا عضوًا؛ فعرفت فيه دماثة الخلق، وطيبة النفس مع الابتسامة التي تعلو محيَّاه، وكان متعاونًا مع الزملاء، رحمه الله وغفر له».

قال د. عبد الرحمن قصَّاص -وهو أحد زملاء د. منصور في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، في جامعة أم القرى-: «كان رحمه الله وغفر له مثالًا للخلق الرفيع، ومحتسبًا لله تعالى، وأخًا نصوحًا».

قال زميلنا في قسم الشريعة في جامعة أم القرى الدكتور منصور مقدادي -وهو الجار الملاصق للدكتور منصور الشرايري في مكة-: «مات الأخ والصديق والجار الملاصق في أرض الحرم؛ كريم النفس، صادق اللسان، تقي القلب، طاهر السريرة، نحسبه ولا نزكيه على ربه، اللهم نزل الضعيف بالقوي، وحل الفقير بالغني، ووصل الفاني إلى الباقي؛ اللهم فاكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد، وباعد بينهم وبين خطاياهم كما باعدت بين المشرق والمغرب».

ويقول قاسم الرمضان -وهو أحد تلامذتنا وتلامذة أبي جعفر-: «ماذا كان بينه وبين ربه حتى بكاه القاصي والداني.. وشهد له بالخير القريب والبعيد؟! رجل قل أمثاله، وندر نظراؤه.. كان فيما نحسبه والله حسيبه أمة وحده، في الخير والخلق والدين، رحم الله أبا جعفر، وجمعه بمحمد ﷺ، وخلفائه الراشدين، وآل بيته الطاهرين، وسائر الصحب والتابعين، بإحسان إلى يوم الدين. على مثله فلتبكِ البواكي».

ويقول أبو معاوية العلاونة: «كان رجلًا فاضلًا، يبتسم للصغير قبل الكبير، وكان متواضعًا، أحببناه في الله، ولله، وتالله لقد افتقدناه ولكنه أمر الله».

ويقول فادي القيشاوي: «رغم عدم معرفتي بالشيخ، إلا أنني منذ سمعت الخبر، وقد أصابني الحزن، خاصَّة بعد أن قرأت بعضًا من ثناء الناس عليه، رحمه الله، وغفر له، ولأسرته، وجمعهم في الفردوس الأعلى».

ومن ثناءات المعلِّقين على خبر موته:

عَلَّق بعضهم في «الفيس بوك» و«الواتس آب» على خبر وفاته: «عرفت د. منصور الشرايري، بعد موته وأحببته وربما غبطته».

وأيضًا: «هنيئًا له: شهد له أهل العلم والفضيلة؛ فبشرى له ونسأل الله أنها وجبت له الجنة».

وأيضًا: «هنيئًا له، مات في غير موطنه، والنبي عليه السلام؛ يقول: فيما حسنه الألباني وأحمد شاكر -رحمهم الله-: (إن الرجل إذا مات بغير مولده، قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة)».

وأيضًا: «هذا الرجل -رحمه الله تعالى- لا أعرفه، ولم ألتقِ به، ولم أسمع به إلا عند وفاته، لكن عندما رأيت الكم الهائل من المحبين، أحببته في الله، وأحسست أنني افتقدته، وفاتتني فرصة عظيمة لعدم التعرف عليه، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له، وتجاوز عنه».

وقد أنشأ له بعض طلابه ومحبيه صفحة على «الفيس بوك»، باسم: د. منصور محمود الشرايري، وهذا رابطها:

https://mobile.facebook.com/Our.Islam.Our.Lives/manager/?_rd/r#!/Mansour.alshrairi

ثالث عشر: وفاته:

ما كادت إجازة منتصف العام الدراسي: ١٤٣٨هـ، في جامعة أم القرى تبدأ، وبعد أن أدى الدكتور منصور وعائلته مناسك العمرة، إلا وقد عجَّل الدكتور منصور الشرايري، بالسفر إلى أهله في الأردن؛ فقلت له: «هلّا جلست في مكة؛ فالإجازة قصيرة لا تستحق الذهاب». فقال لي: «لقد اشتقت لأمي، ولولاها لما سافرت، ولعلي أقضي بعض أشغالي».

ثم بعدها أنزل في موقعه الشخصي في «الفيس بوك» ليلة الثلاثاء الساعة الحادية عشرة وإحدى وأربعين دقيقة مساءً، ١٤٣٨/٤/٢٥هـ- يوافقه: ٢٠١٧/١/٢٣م، قوله: «أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه. إلى حيث تلتقي الروح بالجسد. اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بعده، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد».

ثم انطلق من ليلته بعد مقولته تلك بساعة ونصف تقريبًا، مسافرًا إلى الأردن عبر طريق الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية، وبقي مستمرًا في سيره إلى الساعة العاشرة قبيل الظهر من يوم الثلاثاء، واستراح في طريقه على الساحل إلى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرًا، ثم سار متوجهًا إلى الأردن، وبعد تجاوزه «محافظة البدع» التابعة لأمارة منطقة تبوك، بخمسة عشر كيلو متر تقريبًا، باتجاه «الشرف» عند الساعة الثانية والثلث ظهرًا، انحرفت به سيارته إلى الطريق المقابل، وعكست اتجاهها من الشمال إلى الجنوب، وانقلبت؛ فتطاير منها جميع من فيها، واستقرت السيارة على جنبها الأيسر(١)، وقذفتهم السيارة إلى مسافة قريبة منها في الشارع؛ باستثناء الدكتور منصور فقذفته بعيدًا قرابة خمسين مترًا، كل هذا على حد قول أول الواصلين إليهم، الأخ بسام العقبي -وكان برفقته اثنان أحدهما يعمل في التمريض-، الذي هاتفته لاحقًا، وأكمل الأخ بسام قائلًا: كان برفقتي صديقي الذي يعمل ممرضًا؛ حيث وجدنا الطفل «آدم» وعمره خمسة أشهر بقرب السيارة، وهو حي سليم كما يقول الممرض، ثم بحثوا عن البقية؛ فوجدوا الطفل «محمد» وعمره أربعة عشر عامًا، والطفل «حذيفة» وعمره أحد عشر عامًا، وقد توفيا، ثم بحثوا عن البقية؛ فوجدوا الأم «أم جعفر» متوفية، وقد سترها الله تعالى بين الحقائب التي كانت فوق السيارة، ثم وجدوا «جعفر» وعمره خمسة عشر عامًا، وهو حي يرزق، لكن عنده إصابات بالغة -تبين فيما بعد أنها في العمود الفقري(٢)-، ثم وجدوا «أبا جعفر»، وقد توفي،

---

(١) وبعد ذلك شَبَّ في السيارة حريق؛ فأزاحها الناس إلى تحت الطريق.

(٢) وجعفر الآن -وقت كتابة هذه الأسطر- يتماثل للشفاء ولله الحمد، بعد أن نقل بطائرة من مستشفى الملك فهد بتبوك، إلى مستشفى المدينة الطبيَّة بعمَّان؛ حيث أُجريت له عملية في العمود الفقري، في يوم الأربعاء: ١٤٣٨/٥/٤هـ يوافقه: ٢٠١٧/٢/١م، وقد مكث في العملية قرابة ست ساعات؛ ركَّبوا له على إثرها عشرة=

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وهكذا قضى صديقنا المخلص نحبه، هو ومن مات معه من عائلته[1]، بعد ظهر يوم الثلاثاء: ١٤٣٨/٤/٢٦هـ- يوافقه: ٢٠١٧/١/٢٤م، في محافظة البدع التابعة لأمارة تبوك، في حادث مروري، أثناء سفره لقضاء الإجازة في الأردن.

ثم نقل إلى الأردن صديقنا المخلص الودود، هو وزوجته وابناه محمد وحذيفة، وصلي عليهم صلاة الظهر في مسجده مسجد أسعد بن زرارة، ودفن في يوم الخميس:

=براغٍ في ظهره لتثبيت الفقرات، وكان صابرًا محتسبًا، مستغربًا من عدم وجود أهله معه؛ حيث لم يكن يعلم بوفاة والده وأمه وأخويه، إلا بعد إجراء العملية له وذلك في يوم الجمعة: ١٤٣٨/٥/١٣هـ يوافقه: ٢٠١٧/٢/١٠م، وقد استقبل الأمر بالصبر والاحتساب والاسترجاع؛ فلله درك يا أبا جعفر ما أحسن تربيتك.

وقد قلت يومها تحت عنوان: (**يربط الله على قلب المؤمن بالإيمان حال وقوع البلوى:**

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:١٠]، قال قتادة في معنى: (ربطنا على قلبها)؛ أي: بالإيمان.

وقد قالوا في المثل الشعبي: «ربنا يضع السلوى مع البلوى».

رب لك الحمد، هذا من عاجل بشرى المؤمن، ربط الله على قلب هذا الفتى ورزقه السلوى مع عظم البلوى؛ جعفر بن د. منصور الشرايري صابرًا محتسبًا.

وفيما يأتي كلام شقيق د. منصور: منتصر الشرايري اليوم الجمعة: ٢٠١٧/٢/١٠م، في تبليغ جعفر ابن أخيه= =بوفاة أفراد عائلته الأربع)، قال منتصر: «الحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله الذي أعطاني القوة لأخبر ابن أخي جعفر بوفاة أبيه وأمه وأخويه.

الحمد لله الذي ربط على قلبه وصبره؛ فوالله وجدت لديه إيمانًا شديدًا، وكان هو يصبرنا ويتكلم كلامًا لا يتكلمه إلا الرجال؛ فهذه هي تربية أخي وحبيبي الدكتور العالم منصور غفر الله له ورزقه الفردوس الأعلى مع زوجه وأولاده وأبدلهم قصورًا في الجنة، ودارًا خير من دارهم، اللهم اربط على قلب جعفر وثبته وشافه وعافه واجعله من الصابرين، واجعله خير خلف لخير سلف.

والحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه ملئ السموات، وملئ الأرض، وملئ ما شاء ربي من شيء بعد».

(١) جاء في شهادات الوفاة لهم -حسب تقرير الهلال الأحمر السعودي- أن ساعة الوفاة لأبي جعفر وولداه كانت الساعة الرابعة عصرًا، وساعة وفاة أم جعفر كانت الساعة الثالثة وعشرين دقيقة قبيل العصر.

١٤٣٨/٤/٢٨هـ- يوافقه: ٢٠١٧/١/٢٦م، في مقبرة صناعية إربد في شمال المملكة الأردنية؛ فرحمهم الله رحمة واسعة، ووسع لهم في قبورهم مد بصرهم، وجعل قبورهم روضة من رياض الجنة، ونقلهم من ضيق اللحود ومراتع الدود إلى جناته جنات الخلود، اللهم أنزل على قبورهم شآبيب الرحمات، اللهم اخلف منصور في عقبه في الغابرين، اللهم أكرم نزلهم، ووسع مدخلهم، وأمنهم يوم الفزع الأكبر، وأدخلهم الفردوس الأعلى. ونسأل الله تعالى أن يبارك فيمن بقي من ذرية حبيبنا منصور ابنه الأكبر «جعفر»، وابنه الأصغر «آدم» ذي الأشهر الخمسة، ونسأل الله تعالى أن يكونا ذرية طيبة، ونبتة مباركة، وارزقهما يا رب صلاحًا وعلمًا وعملًا.

وقد وجدنا له في موقعة في الفيس بوك يوم الأحد: ١٤٣٨/٤/١٧هـ- يوافقه: ٢٠١٧/١/١٥م، قوله تعليقًا على أحد المقاطع: «اللهم لا تفجعني بولد من أولادي ما دمتُ حيًا، واجعل أجلي قبل آجالهم». ولعل الله تعالى استجاب دعاءه.

وأخيرًا: نرجو لأخينا منصور الشهادة، والتوسعة في القبر، وقد رأيت فيه رؤيا -نسأل الله صدقها- بعد أسبوعين -تقريبًا- من وفاته؛ حيث رأيت أنني أجلس وإياه كعادتنا، وتكلمنا كثيرًا كعادتنا، ثم سألته في آخر الجلسة قائلًا: «هل فسح لك في قبرك؟». فقال: نعم، وأرجو المزيد.

وأبلغني الأخ فرج الإدريسي -وهو أحد جيران د. منصور في مكة-: أنه رأى د. منصور بعد أسبوع من وفاته، رآه متمددًا في المسجد كعادته؛ فسلم عليه وقال له: «هل أنت مِتَّ؟». فقال: «لا، بل أنا حي».

وهذه بشرى -نسأل الله صدق هذه الرؤيا- بأن د. منصور من الشهداء بإذن الله تعالى، ولا نحسبه إلا كان دينًا خيرًا، والله حسيبه، ولا نزكيه على الله.

وقد ذكر شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله: «أن الميت بسبب حادث السيارة، يدخل في حكم الشهيد؛ لأنه كمن مات بالهدم»(١).

وسئلت اللجنة الدائمة للإفتاء السؤال الآتي: بعض الناس يقولون: «إن من يموت بسبب حادث سيارة، إنه شهيد، وله مثل أجر الشهيد؛ فهل هذا صحيح أم لا؟». فأجابت اللجنة الدائمة: «نرجو أن يكون شهيدًا؛ لأنه يشبه المسلم الذي يموت بالهدم، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه شهيد»(٢).

كتب الله تعالى لأخينا منصور الشهادة، هو وعائلته، إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: ابن باز، **فتاوى نور على الدرب**، (ج٤ ص٣٣٨).

(٢) انظر: اللجنة الدائمة، **فتاوى اللجنة الدائمة**، (ج٨ص٣٧). وهم يُشيرون إلى حديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». أخرجه: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الجهاد والسير، باب: الشهادة سبع سوى القتل، حديث رقم (٢٨٢٩).

حديث الوصية بالثقلين

دراسة حديثيَّة نقديَّة

إعداد الدكتور

أبي جعفر منصور بن محمود الشرايري

أستاذ الحديث المشارك في جامعة أم القرى

مكة المكرمة

رحمه الله تعالى ووسَّع مُدخله

الملخص

حديث الوصية بالثقلين دراسة حديثيَّة نقديَّة(١)

إعداد الدكتور: منصور محمود محمد الشرايري

تتلخص فكرة هذا البحث، بدراسة الأحاديث التي وردت في الوصية بالثقلين -كتاب الله والعترة الطاهرة-، حيث وردت في تسعة أحاديث، اشتمل بعضها على جملة: «**ما إن تمسكتم به لن تضلوا**»، وخلا بعضها من هذه الجملة، ولمَّا كان يترتب على ثبوت هذه الجملة خلاف عقدي بين أهل السنة والروافض، صار تحرير الصواب من هذه الروايات أمرًا مُلحًّا، فدرس الباحث هذه الأحاديث، وخلص إلى أن هذه الجملة أُدخلت على سبيل الإدراج -خطأً أو عمدًا- في حديث الثقلين، وأنها لا تثبت إلا في حديث حجة الوداع، حيث كانت الوصيَّة بكتاب الله تعالى فقط، مما يثبت أن

(١) نُشر هذا البحث في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥١)، الجزء الأول، محرم ١٤٣٢هـ-يناير ٢٠١٠م، بدون كلمة: (نقديَّة)، في عنوانه، ولكني أثبتُّها؛ لأني وجدتُّها في أصل في المسودات النهائيَّة لبحثه هذا، وكانت هذه المسودات بعد نشر البحث.

وقد اخترت هذا البحث من بين أبحاث صديقنا الدكتور منصور الشرايري -رحمه الله تعالى-، لينشر في هذا السفر المبارك؛ لأنه أحبُّ بحوثه إليه بعد كتابه: (نظريَّة الاعتبار)، وكذا لتعلقه بحديث النبي ﷺ، حيث إن الدكتور منصور كان من المحبين لشيخنا المحدِّث أبي إسحاق الحويني، وكانت له عناية بكتب شيخنا وآرائه الحديثية، وكان يُلقِّبه بـ: (أعجوبة هذا الزمان).

وبما أن اختيار هذا البحث جاء بعد وفاة الدكتور منصور؛ وضعت في مقدمته طليعة ترجمتي له، وهي التي سبق عرضها، وتركت الترجمة الموسَّعة الموسومة بـ: (**جمع المنثور في ترجمة الشرايري منصور**)، إلى أن ييسر الله تعالى إخراجها في مقدمة أعماله الكاملة التي سأخرجها إن شاء الله تعالى؛ وهي كتابه: (نظرية الاعتبار عند المحدثين)، وكتابه: (منهج الزيلعي في نصب الراية)، ومجموعة أبحاثة العلمية المحكَّمة؛ وهي أربعة عشر بحثًا علمياً، من بينها هذا البحث. وكتب: د. أشرف الكناني.

لا دليل للروافض في حديث الثقلين على التمسك بمذهب آل البيت، وغاية ما في حديث الثقلين: الوصية خيرًا بآل البيت، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وبعد:

فطالما أشكل على طلاب العلم التعارض الواقع بين الأحاديث والروايات حول الوصية بالثقلين **«كتاب الله والعترة الطاهرة»** حيث ورد في بعض الأحاديث والروايات أنه ﷺ أوصى بالتمسك بكتاب الله تعالى، والاعتصام به، وأوصى أمته بأهل بيته خيرًا، وفي أخرى أنه ﷺ أوصى بالتمسك بكتاب الله تعالى وأهل بيته، والاعتصام بهما كي لا تضل الأمة.

وقد يبدو للناظر لأول وهلة أنه لا فرق بين الأمرين(١)، مع أنه بالتأمل يوجد بينهما فرق كبير، فاللفظ الأول حجة لأهل السنة في أن العصمة إنما هي بكتاب الله تعالى فقط، ووجوب رعاية حرمة أهل البيت، وأما اللفظ الثاني فهو حجة للروافض في أن العصمة بكتاب الله تعالى وعترة النبي ﷺ معًا.

فدفعني هذا الاختلاف إلى تحري الحق في هذا الباب، وذلك على طريقة أهل الحديث، التي تتميز بالموضوعية والإنصاف، وعدم التحيز، التي تقوم على مرحلتين:

---

(١) وهذا ما أوقع كثيرا من الرواة قديما في الخطأ -كما سأبينه فيما بعد- حيث إن تحمله لكلا الحديثين جعله يدخل أحد الحديثين على الآخر، ظنا منه أن لا فرق بين الروايتين-، أو وهما. وكذا أوقع هذا بعض المحققين في الخطأ حينما صححوا الحديثين بالاستشهاد على لفظ أحدهما بالآخر.

الأولى: التأكد من صحة الحديث أولًا، إذ من العبث الاشتغال بدفع التعارض بين روايتين لا تثبت إحداهما.

الثانية: النظر في دلالات الألفاظ على مقتضى ما ورد في خطاب الشرع الحنيف، واللغة العربية.

أهداف الدراسة:

يمكن تلخيص أهداف الدراسة بالآتي:

أولًا: تحرير سياق الوصية بالثقلين، كما ورد على لسان رسول الله ﷺ، دون زيادة أو تحريف.

ثانيًا: بيان بطلان تمسك الروافض بهذا الحديث على وجوب اتباع آل البيت.

ثالثًا: تقديم حجّة واضحة لمن لبَّس عليه الروافض أمر دينه من الشباب السني.

رابعًا: سياق جميع الروايات في موضع واحد يُسهِّل دراسة الحديث على طلابه.

منهج الدراسة:

أولًا: دراسة روايات كل حديث على حده، على طريقة أهل الحديث، ومقارنة الروايات بعضها ببعض؛ لتمييز الصحيح من السقيم من الألفاظ، وجعلت كل حديث منها في مبحث مستقل، يشتمل على مطلبين، الأول في تخريج الروايات، والثاني في دراسة الروايات.

ثانيًا: وحيث إن موضوع البحث ينحصر حول جملة الوصية بالثقلين؛ فقد خرجت كل حديث وردت فيه هذه الجملة، واختصرت المتون على القدر المطلوب، دون ذكر

باقي المتن، إلا حيث يكون المتن قصيرًا، فأذكره كله.

ثالثًا: وإتمامًا للفائدة، فقد ذكرت في مبحث مستقل أحاديث الباب التي يمكن التعبير عنها بالشواهد الحديثية على أحاديث الدراسة، وهي الأحاديث التي ورد فيها الوصية بالاعتصام بكتاب الله تعالى فقط، أو الأحاديث التي ورد فيها الاعتصام بالعترة الطاهرة فقط، أو الأحاديث التي ورد فيها الاعتصام بالكتاب والسنة بلا خلاف في رواياتها جميعًا.

رابعًا: النظر في دلالات الألفاظ على مقتضى ما ورد في خطاب الشرع الحنيف، واللغة العربية.

الدراسات السابقة:

هناك جملة من الدراسات السابقة تتعلق بحديث الوصية بالثقلين، منها:

أولًا: طرق حديث: «إني تارك فيكم الثقلين»، للإمام محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، أبو الفضل ابن القيسراني الشيباني، المقدسي الأثري، الظاهري (٤٤٨-٥٠٧هـ)، ولم أقف عليه، وهو كما يظهر من عنوانه جمع لطرق الحديث.

ثانيًا: حديث الثقلين وفقهه، للدكتور علي السالوس، وهو بحث لطيف، رد فيه مؤلفه على كاتب رافضي، كتب بحثًا حول حديث الثقلين، وقد أجاد السالوس في رده، غير أن البحث جاء على صورة الرد، ولذلك لم تجمع الروايات على طريقة أهل الحديث، كما تراه في هذا البحث.

ثالثًا: حديث الثقلين، تواتره وفقهه، كما في كتب السنة: «نقد لما كتبه الدكتور السالوس»، تأليف: السيد علي الحُسيني الميلاني، وهو رافضي، يظهر من بحثه جهله

بأدنى قواعد علوم الحديث، ألف كتابه كما هو ظاهر من عنوانه في الرد على السالوس، وخلط في الاستدلال خلطًا عجيبًا.

رابعًا: رسالة في حديث الوصية بالثقلين الكتاب والسنة، تأليف السيد علي الحسيني الميلاني، وهو شيعي، ادعى في رسالته زورًا أن أهل السنة حرفوا حديث الوصية بالثقلين من الكتاب والعترة إلى الكتاب والسنة، وهذا منه نتيجة خلط بين حديث غدير خم، وحديث حجة الوداع، كما سيأتي بيانه.

خامسًا: حديث الثقلين ومنزلته بين الفريقين، لعبد الله الفضلي، وهو دراسة مقارنة بين موقف أهل السنة والجماعة والشيعة الاثني عشرية من الثقلين القرآن الكريم وأهل البيت، وليس بحثًا حديثيًا كما هو الحال في بحثي هذا.

المبحث الأول

حديث زيد بن أرقم

المطلب الأول: تخريج الحديث.

رواه عن زيد بن أرقم جماعة من الرواة، اختلفت روايتهم عنه اختلافا كثيرا، حيث رواه بعضهم تاما، ورواه آخرون مختصرا، غير أن جملة البحث، وهي «**الوصية بالثقلين**» قد رويت من طريق أربعة من الرواة عنه، هم: يزيد بن حيان، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وحبيب بن أبي ثابت، وأبو الضحى مسلم بن صبيح.

وقد اختلفت رواياتهم في هذه اللفظة اختلافا مؤثرًا في المعنى، ترتب عليه اختلاف عقدي -كما ذكرت في المقدمة-، ولذا سيكون مدار البحث في تحقيق اللفظ الصحيح عن زيد من هذه الألفاظ المختلفة، وفيما يلي تخريج هذه الروايات، ودراستها حديثيًا.

أولًا: رواية يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم:

عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

روى هذه الرواية عن يزيد بن حيان ثلاثة من الرواة، هم: يَحيى بن سَعِيد بن حَيَّان، أبو حيان التيمي، وسعيد بن مسروق، وسليمان الأعمش، وقد أخرجها كل من:

أحمد (ج٤ص٣٦٦ ح١٩٤٧٩) قال: حدَّثنا إِسْمَاعِيل بن إبراهيم، عن **أَبِي حَيَّان التَّيْمِي**.

وعَبد بن حُميد (ح٢٦٥) قال: أخبرنا جَعْفَر بن عَوْن، أخبرنا **أبو حَيَّان التَّيْمِي**.

والدارِمي (ح٣٣١٦) قال: حدَّثنا جَعْفَر بن عَوْن، حدَّثنا **أبو حَيَّان**.

ومسلم (ج٧ص١٢٢ ح٦٣٠٤) قال: حدَّثني زُهَيْر بن حَرْب، وشُجَاع بن مَخْلَد، جميعًا عن ابن عُلَيَّة، قال زُهَيْر: حدَّثنا إِسْمَاعِيل بن إبراهيم، حدَّثني **أبو حَيَّان**.

وفي (ح٦٣٠٦) قال: حدَّثنا أبو بَكْر بن أَبِي شَيْبَة، حدَّثنا مُحَمد بن فُضَيْل (ح) وحدَّثنا إِسْحَاق بن إبراهيم، أخبرنا جَرِير، كلاهما **عن أَبِي حيّان**.

وأبو داود (ح٤٩٧٣) قال: حدَّثنا ابن أَبِي شَيْبَة، حدَّثنا مُحَمد بن فُضَيْل، عن **أَبِي حَيَّان**.

والنَّسائي في الكبرى (ج٥ص٥١ ح٨١١٩) قال: أخبرنا زكريا بن يَحيى، قال: حدَّثنا إِسْحَاق، قال: أخبرنا جَرِير، عن **أَبِي حَيَّان التَّيْمِي**، يَحيى بن سَعِيد بن حَيَّان.

والبيهقي في الكبرى (ج٧ص٣٠ ح١٣٠١٧) قال: أخبرنا أبو زكريا، يحيى بن إبراهيم ابن محمد بن يحيى، أنبأنا أبو عبد الله، محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، أنبأنا جعفر بن عون، أنبأنا **أبو حيان**.

وفي (ج١٠ص١١٣ ح٢٠١٢٢) قال: أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح القاضي بالكوفة، أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري، حدثنا جعفر -يعني ابن عون- ويعلى -يعني ابن عبيد- عن **أبي حيان التيمي**.

والطبراني في الكبير (ج٥ص١٨٣ ح٥٠٢٨) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة (ح) وحدثنا أبو حصين القاضي، حدثنا يحيى الحماني، قالا: حدثنا محمد بن فضيل (ح) وحدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، **جميعا عن أبي حيان**.

وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (ج٦ص١٣٣ ح٣٠٠٧٨) قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا حسان بن إبراهيم، **عن سعيد بن مسروق، مختصرا**.

ومسلم (ج٧ص١٢٣ ح٦٣٠٥) و(ح٦٣٠٧) قال: وحدَّثنا مُحَمد بن بَكَّار بن الرَّيَّان، حدَّثنا حَسَّان، يَعْنِي ابن إبراهيم، **عن سَعِيد بن مَسْرُوق**.

والطبراني في الكبير (ج٥ص١٨٢ ح٥٠٢٥) قال: حدثنا محمد بن حيان المازني، حدثنا كثير بن يحيى، حدثنا أبو عوانة، **عن الأعمش**[1].

(١) هذه الرواية خطأ، فإنه لا يعرف للأعمش سماع من يزيد بن حيان، وقد رواه الثقات عن أبي عوانة عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت -كما سيأتي-، ولعل الخطأ من كثير بن يحيى، فإنه شيعي، عنده مناكير عن أبي عوانة، ساق له الأزدي حديثا عن أبي عوانة وقال: هذا موضوع علي أبي عوانة. وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان يتشيع، وقال أبو زرعة: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: ابن حجر: لسان الميزان (ج٤ص٤٨٤) ترجمة رقم(١٥٣٤). ويمكن أن يكون الخطأ من المازني ولكن لم أجد له ترجمة، كما يمكن أن تكون علته تدليس الأعمش نفسه، إذ كان شديد التدليس كما هو معروف -والله أعلم-.

ثلاثتهم (أبو حَيَّان، وسَعِيد بن مَسْرُوق، والأعمش) عن **يَزِيد بن حَيَّان**، فذكره[(١)].

ثانيًا: رواية أبي الطفيل، عامر بن واثلة عن زيد بن أرقم:

هذه الرواية رواها عن **أبي الطفيل** ثلاثة من الرواة هم: حبيب بن أبي ثابت، وحكيم ابن جبير، وسلمة بن كهيل.

وقد اختلف هؤلاء الثلاثة في روايتها اختلافا مؤثرا في المعنى، فقد رواها حبيب وحكيم على صورة تختلف اختلافا جوهريا عن الصورة التي رواها سلمة، حيث زاد الأخير جملة: «**لن تضلوا إن اتبعتموهما**».

لذا سيكون تخريج كل رواية بصورة منفصلة، وذلك على التفصيل الآتي:

١- رواية حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل:

عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «**إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**». ثم فقال: «**إن الله مولاي، وأنا وليُّ كل مؤمن، ثم أخذ بيد عليٍّ فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم**

(١) هذا التخريج مستفاد من المسند الجامع، للدكتور بشار عواد وآخرون، (ج٥ص٨٣٦-٨٣٧). وقد تتبعته في مصادره، وزدت عليه رواية البيهقي، ورواية ابن أبي شيبة، وروايتي الطبراني.

هذا وسيكون منهجي في تخريج الأحاديث ترتيبها وفق الأسانيد، على مدارات الراوية، مبتدءا بالأقدم من المخرجين، إلا أن يختلف المدار فأقدم المتأخر على المتقدم.

وال من والاه، وعاد من عاداه»[(١)]**.**

رواه عبد الله بن أحمد (ج١ص١١٨ ح٩٥٢) قال: حدثنا علي، أنبأنا **شريك.**

والنسائي في الكبرى (ج٥ص٤٥ ح٨١٤٨) و(ج٥ص١٣٠ ح٨٤٦٤) وفي خصائص علي (ص٩٦ ح٧٩) قال: أخبرنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا **أبو عوانة.**

والحاكم في المستدرك (ج٣ص١١٨ ح٤٥٧٦)، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد ابن تميم الحنظلي، ببغداد، حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، حدثنا يحيى بن حماد، **وحدثني** أبو بكر محمد بن بالويه، وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار، قالا: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن حماد، **وحدثنا** أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى، حدثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي، حدثنا خلف بن سالم المخرمي، حدثنا يحيى ابن حماد، حدثنا **أبو عوانة.**

والطبراني في الكبير (ج٥ص٦٦ ح٤٩٦٩) قال: حدثنا محمد بن حيان المازني، حدثنا كثير بن يحيى، حدثنا أبو كثير بن يحيى، حدثنا **أبو عوانة وسعيد بن عبد الكريم بن سليط الحنفي.**

ثلاثتهم (شريك وأبو عوانة وسعيد) عن الأعمش قال: حدثنا حبيب فذكره.

٢- رواية حكيم بن جبير عن أبي الطفيل:

عن حكيم بن جبير، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله

(١) هذا التخريج مستفاد من المسند الجامع، للدكتور بشار عواد وآخرون، (ج٥ص٥٠٥)، وزدت عليه رواية الحاكم، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله. ونلاحظ هنا أن الحاكم رواه عن ثلاثة عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة، كما زدت أيضا رواية الطبراني.

ﷺ: «إني لكم فرط، وإنكم واردون عليَّ الحوض، عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، وما الثقلان؟ فقال رسول الله ﷺ: «الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، لن تزالوا ولا تضلوا، والأصغر عترتي، وإنهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وسألت لهما ذاك ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم».

أخرجها الطبراني في الكبير (ج٣ص٦٦ ح٢٦٨١) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا جعفر بن حميد.

وفي (ج٥ص١٦٦ ح٤٩٧١) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا جعفر بن حميد، (ح) وحدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا النضر بن سعيد، أبو صهيب.

كلاهما (جعفر والنضر) قالا: حدثنا عبد الله بن بكير، عن حكيم فذكره.

٣- رواية سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل:

عن سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل[1]، سمع زيد بن أرقم، سمع النبي ﷺ يقول: «أيها الناس، إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ما اتبعتموهما، القرآن، وأهل بيتي عترتي».

---

(١) وقع في النسخة الموجودة عندي من المستدرك هنا تصحيف قبيح، حيث تصحفت عبارة «عن أبي الطفيل، عامر بن واثلة»، إلى «عن أبي الطفيل، عن بن واثلة»، فتصحفت كلمة «عامر» إلى «عن» مما جعل الأمر وكأن أبا الطفيل رواه عن زيد بواسطة شيخ اسمه ابن واثلة، وهذا خطأ، فلا يعرف في شيوخ أبي الطفيل من تسمى بهذا، ولا في الرواة عن زيد كذلك، ومما يؤكد هذا عن أبا الطفيل هو نفسه ابن واثلة، والروايات الأخرى تشهد لهذا.

أخرجها أبو الطاهر في جزءه (ص٥٠ ح١٥١) قال: حدثنا أبو بكر القاسم بن زكريا بن يحيى المقرئ، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن **شعيب بن خالد.**

وفي (ح١٥٢) قال: حدثنا القاسم بن زكريا بن يحيى، قال: حدثنا يوسف بن موسى، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا **يحيى بن سلمة بن كهيل.**

وفيها: أنه دخل على أبي الطفيل هو وحبيب بن أبي ثابت، ومجاهد، وناس من أصحابه.

والحاكم في المستدرك (ج٣ص١١٨ ص٤٥٧٧) قال: حدثناه أبو بكر بن إسحاق، ودعلج بن أحمد السجزي، قالا: أنبأنا محمد بن أيوب، حدثنا الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم الكرماني، حدثنا **محمد بن سلمة بن كهيل.**

وفي حديث محمد زيادة، ولكنه اتفق مع أخيه يحيى وشعيب بن خالد على هذه الجملة.

ثلاثتهم (شعيب ويحيى ومحمد) عن سلمة بن كهيل، فكره.

ثالثا: رواية حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عن زيد بن أرقم:

أخرجها التِّرْمِذِي (ج٥ص٦٦٢ ح٣٧٨٨) قال: حدثنا علي بن المنذر، كوفي، حدثنا محمد بن فضيل، قال: حدثنا الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد.

(و) الأعمش، عن **حبيب بن أبي ثابت**، عن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من**

الآخر، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب.

رابعا: رواية أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن زيد بن أرقم.

عن جرير بن عبد الحميد، عن الحسن بن عبيد الله، عن **أبي الضحى -مسلم بن صبيح-** عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**».

أخرجها الحاكم في المستدرك (ج٣ص١٦٠ ح٤٧١١) قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين بن مصلح الفقيه بالري، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا **يحيى بن المغيرة السعدي**.

والطبراني في الكبير (ج٥ص١٧٠ ح٤٩٨١) قال: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا **علي ابن المديني**.

وفي (ج٥ص١٧٠ ح٤٩٨٢) قال: حدثنا أبو حصين القاضي، حدثنا **الحماني**.

ثلاثتهم (يحيى وعلي والحماني) قالوا: قالا: حدثنا جرير بن عبد الحميد، فذكره.

المطلب الثاني: دراسة الروايات.

أولا: رواية يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم.

إن هذه الرواية هي أصح روايات الحديث سندا، وأحسنها سياقا، روى الصوري بسنده عن أبي زكريا يحيى بن زكريا الحافظ قوله: هذا الحديث، حديث أبي حيان

- يزيد بن حيان- أثبت حديث في قول النبي ﷺ: «**إني تارك فيكم الثقلين**».

ثم قال الصوري: وقال غير أبي زكريا: أثبت حديث فيه حديث الأعمش، عن حبيب، عن أبي الطفيل، والأعمش قد رواه أيضا عن يزيد بن حيان، جمعهما أبو عوانة، حديث حبيب ويزيد بن حيان(1).

وسبب ترجيح رواية يزيد بن حيان يعود إلى عدة أمور هي:

الأول: نظافة إسنادها، من حيث شهرته، وثقة رواته، وعدم وقوع الاختلاف بينهم.

الثاني: إخراج الإمام مسلم لها في الصحيح، وكذلك اختيار الأئمة لها في المصنفات المشهورة.

الثالث: اتفاق جميع الروايات عن زيد بن أرقم على القدر المطلوب منها في البحث، وهو الوصية بالثقلين، فهي شاهد لكل ما وافقها من الروايات، وكل الروايات الأخرى تشهد لها في بعض طرقها، فما من رواية من الروايات الثلاثة الأخرى، إلا وفي طريق من طرقها ما يشهد لهذه الرواية.

الرابع: عدم وجود طعن من أحد من النقاد في هذه الرواية.

---

(1) انظر: الصوري، محمد بن علي، الفوائد المنتقاة، والغرائب الحسان، عن الشيوخ الكوفيين (ص73)، وقد وقع في النسخة المطبوعة خطأ، وهو قوله: حديث زكريا، مكان حديث الأعمش. ثم إن قوله: رواه الأعمش عن يزيد جمعهما أبو عوانة، يشير إلى رواية الطبراني التي سبق تخريجها في (ص2)، وبينت ما فيها من الخطأ. وأما أبو زكريا الحافظ هو: يحيى بن زكريا بن يحيى، ولقبه حيويه، النيسابوري، أبو زكريا الأعرج، قال النسائي: ثقة، وقال ابن يونس في كتاب الغرباء: كتب بمصر، وكتب عنه، وكان حافظا فاضلا، ثقة ثبتا. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج31ص312)، ترجمة رقم (6827).

لأجل هذا كله ستكون رواية يزيد بن حيان أصلا نعتبر به ما خالفها من الروايات، فما تشهد له منها سيكون دليلا على صوابه، وما خالفها سنعتبره، فإن وجدناه صحيحا على طريقة المحدثين، أخذنا به، ووفقنا بينه وبينها، وإن وجدناه ضعيفا رددناه بها.

ثانيًا: رواية أبي الطفيل عن زيد بن أرقم:

هذه الرواية كما قدمت وقع فيها اختلاف جوهري في جملة البحث وهي الوصية بالثقلين، حيث خالف سلمةُ بن كهيل حبيبَ بن أبي ثابت، وحكيمَ بن جبير، فزاد في الحديث جملة: «**لن تضلوا إن اتبعتموهما**».

أما رواية حبيب فصحيحة عنه، حيث رواها عنه حافظ كبير وهو الأعمش، مصرحا فيها بالسماع، فأمنا بذلك تدليسه، ورواها عن الأعمش ثلاثة هم: شريك، وأبو عوانة، وسعيد ابن عبد الكريم.

وأما رواية حكيم بن جبير فإسناد الطبراني إليه جيد، ولكنها ضعيفة لضعف حكيم نفسه، فقد كان مضطرب الحديث جدا[1].

على أن رواية حكيم هنا يمكن قبولها من وجوه:

---

(١) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ضعيف الحديث مضطرب، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال معاذ بن معاذ: قلت لشعبة: حدثني بحديث حكيم بن جبير، فقال أخاف النار، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه، فقال في رأيه شيء، قلت ما محله؟ قال الصدق إن شاء الله، وسألت أبي عنه فقال: ما أقربه من يونس بن خباب في الضعف والرأي، وهو ضعيف الحديث منكر الحديث، له رأي غير محمود، نسأل الله السلامة، قلت: هو أحب إليك أو ثوير؟ قال ما فيهما إلا ضعيف غال في التشيع. انظر ترجمته في: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٣ص٢٠١)، وابن عدي، الكامل في الضعفاء (ج٢ص٢١٦)، والمزي، تهذيب الكمال (ج٧ص١٦٥)، وابن حجر، تقريب التهذيب (ص١٧٦) ترجمة رقم (١٤٦٨).

أولًا: أنه توبع عليها متابعة تامة من قبل حبيب بن أبي ثابت.

ثانيًا: موافقتها للصحيح الثابت عن زيد من طرق أخرى.

ثالثًا: أن لفظها لا يساند مذهبه، مما يعني أن بدعته لم تؤثر على روايته.

وأما رواية سلمةَ بن كهيل فقد رويت عنه من طريق ثلاثة عنه، ابناه يحيى ومحمد، وشعيب بن خالد.

أما رواية ابنيه عنه فواهية لحال ابنيه، فقد كانا شيعيان ضعيفان(١).

وأما شعيب بن خالد فإنه أحسن حالا من ابني سلمة، فإنه لا بأس به، عند ابن معين والنسائي وابن حجر(٢)، وكان يمكن تحسين روايته، لولا مخالفته الصريحة لرواية حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل خاصة، ومخالفته للرواية المشهورة الثابتة عن زيد بن أرقم، فإنه بالنظر إلى هذه المخالفة نجد أن شعيب بن خالد لا يحتملها، مما يجعلنا نحكم بضعف حديثه.

---

(١) فيحيى بن سلمة بن كهيل قال فيه ابن معين: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، ليس بالقوي، وقال البخاري: في حديثه مناكير، وقال الترمذي: يضعف في الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال العجلي: ضعيف الحديث، وكان يغلو في التشيع. وقال الحافظ: متروك، وكان شيعيا. انظر ترجمته في: البخاري، التاريخ الكبير (ج٨ص٢٧٧) ترجمة رقم (٢٩٨٩)، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٩ص١٥٤)، ترجمة رقم (٦٣٦)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (١١/١٩٦)، ولسان الميزان (ج٤ص٤٣١) ترجمة رقم (٥٢٠٥)، وتقريب التهذيب (ص٥٩١) ترجمة رقم (٧٥٦١).

ومحمد كان مقدما على أخيه يحيى، إلا أنه كان ضعيفا، وشيعيا. انظر ترجمته في: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٧ ص٢٧٦)، ترجمة رقم (١٤٩٣)، والعقيلي، الكامل في الضعفاء (ج٦ص٢١٦) ترجمة رقم (١٦٨٦).

(٢) انظر ترجمته في: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٤ص٤٣) ترجمة رقم (١٥٠٦)، والمزي، تهذيب الكمال (ج١٢ص٥٢١)، ترجمة رقم (٢٧٤٨)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٤ص٣٠٨) ترجمة رقم (٥٩٩)، وتقريب التهذيب (ص٢٧٦) ترجمة رقم (٢٧٩٩).

والحاصل أن رواية سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل ضعيفة بطرقها الثلاث عنه، فهي غير ثابتة عنه، ثم هي على فرض ثبوتها عنه مخالفة للرواية الصحيحة من طريق حبيب عن أبي الطفيل، وسلمة وحبيب كلاهما من الشيعة، وكلاهما ثقة، إلا أن رواية حبيب عن أبي الطفيل عن زيد توافق المشهور عن زيد، ولا تؤيد ما رمي به من التشيع، مما يجعلنا نقدمها على رواية سلمة هنا، لمخالفتها للصحيح عن زيد، وموافقتها لما رمي به من التشيع، والمقرر عند علماء الجرح والتعديل، أن من رمي ببدعة، وروى ما يوافقها، فإنه لا تقبل روايته في ذلك خاصة، وإن كان ثقة في نفسه، فكيف وقد انضمت إليها هذه المخالفة.

ثالثا: رواية حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عن زيد بن أرقم:

هذه الرواية ظاهرة الخطأ - فيما يبدو لي والله أعلم -، وذلك للعلل الآتية:

١- أن علي بن المنذر الكوفي، اختلف النقاد فيه، فوثقه النسائي، وابن نمير، وابن أبي حاتم، وضعفه الإسماعيلي بقوله: في القلب منه شيء لست أخيره، وقال الدارقطني ومحمد بن مسلمة: لا بأس به، وهو مع ذلك شيعي محض كما قال النسائي[(١)].

والناظر في حديثه يلحظ أنه دخل عليه حديث أبي سعيد في حديث زيد، وهذا علة في الحديث يسميها المحدثون «**دخول حديث في حديث**»، فإنه جمع بين إسنادين، وذكر لفظ أحدهما، وهو حديث أبي سعيد، فإن المتن الذي ذكره هو متن رواية عطية

(١) انظر ترجمته في: المزي، تهذيب الكمال (ج٢١ص١٤٦)، ترجمة رقم (٤١٤٠)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٧ص٣٣٧)، ترجمة رقم (٦٢٧)، وقال ابن حجر: صدوق يتشيع، تقريب التهذيب (ص٤٠٥) ترجمة رقم (٤٨٠٣).

عن أبي سعيد[١]، فلم يرَ فرقا بين الروايتين، مع أن الفرق بينهما كبير على التحقيق الذي ذكرته في المقدمة.

٢- مخالفة ابن فضيل لشريك وأبي عوانة وسعيد بن سليط، حيث رواه عن الأعمش عن حبيب عن زيد بلفظ، ورووه عن الأعمش، عن حبيب، عن أبي الطفيل، عن زيد بلفظ آخر، نخالفهما سندا ومتنا، وهذه المخالفة غير مقبولة منه، فهم أحسن منه حالا، وأكثر عددا، مما يجعل روايته شاذة.

ذلك أن أبا عوانة هو وضاح اليشكري، الثقة الثبت، المجمع على ثقته[٢]، وشريك هو ابن عبد الله النخعي، القاضي الصدوق، وثقه غير واحد من الأئمة، وكان من أبصر الناس بحديث الكوفيين[٣]، أما محمد بن فضيل فكان صدوقا[٤]، إلا أنه كان شيعيا محترقا -كما يقول أبو داود-، منحرفا عن عثمان - كما قال الدارقطني- فليس هو بالمكان الذي يقبل حديثه في مخالفة شريك وأبي عوانة، على أن روايته تغير فيها الحديث بما يوافق بدعته.

٣- الانقطاع بين حبيب وزيد بن أرقم، فإنه لم يسمع منه، وقد كان حبيب مشهورا بالتدليس، قال علي بن المديني: «لقي ابن عباس، وسمع من عائشة، ولم يسمع

---

(١) وهو حديث ضعيف، سيأتي تخريجه في المبحث التالي.

(٢) انظر ترجمته في: المزي، تهذيب الكمال (ج٣٠ص٤٤١)، ترجمة رقم (٦٦٨٨)، وابن حجر، تقريب التهذيب (ص٥٨٠) ترجمة رقم (٧٤٠٧).

(٣) انظر ترجمته في: المزي، تهذيب الكمال (ج١٢ص٤٦٢)، ترجمة رقم (٢٧٣٦)، وابن حجر، تقريب التهذيب (ص٢٦٦) ترجمة رقم (٢٧٨٧).

(٤) انظر ترجمته في: المزي، تهذيب الكمال (ج٢٦ص٢٩٣)، ترجمة رقم (٥٥٤٨)، وابن حجر، تقريب التهذيب (ص٥٠٢) ترجمة رقم (٦٢٢٧).

من غيرهما من الصحابة ﭫ»[١]. وقال ابن حبان: «كان مدلسا»[٢]. وقال الحافظ: «ثقة، فقيه، جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس»[٣].

ومما يؤيد ذلك أنه روى الحديث مرتين بواسطة، مرة عن أبي الطفيل، ومرة عن يحيى بن جعدة -سيأتي تخريج هذه الرواية-، فلو كان عنده عن زيد ما رواه بواسطة.

رابعًا: رواية أبي الضحى، مسلم بن صبيح[٤].

أكتفي بصحيح الحاكم والذهبي لهذه الرواية، فقد قال عقب روايتها: هذا حديث صحيح الإسناد، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

وقد نظرت في إسنادها فوجدته كما قالا، فإسنادها وإن كان غريبا، إلا أن رواته ثقات، واعتبارا برواية يزيد بن حيان، أجدها رواية صحيحة، والله أعلم.

وعليه فهذه الرواية تنضم إلى رواية يزيد بن حيان، في عدم إضافة العترة الطاهرة إلى جملة: «**ما إن اعتصمتم به لن تضلوا**» ومتفقة معها في المعنى تماما.

خلاصة المبحث:

ينحصر الاختلاف في إثبات جملة: «**ما إن اعتصمتم به لن تضلوا**» في حديث زيد ابن أرقم على النحو الآتي:

---

(١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص١٥٨) ترجمة رقم (١١٧).

(٢) الثقات (ج٤ص١٣٧) ترجمة رقم (٢١٦٩).

(٣) تقريب التهذيب (ص١٨٣) ترجمة رقم (١٠٨٧).

(٤) الكوفي، العطار، مشهور بكنيته، ثقة فاضل روى له الجماعة، انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب (ص٥٣٠) ترجمة رقم (٦٦٣٢).

أولًا: اتفقت روايتي يزيد بن حيان، وأبي الضحى على عدم إثبات هذه اللفظة في حديث زيد، وهما روايتان صحيحتان بلا خلاف، ولم يعتريهما اختلاف في طرقهما، ويتابع بعضها بعضا سندا ومتنا.

ثانيًا: اختلفت الرواية عن أبي الطفيل عن زيد، فلم يثبت هذه اللفظة عنه راويان، هما: حبيب بن أبي ثابت، وحكيم بن جبير، وأثبتها سلمة بن كهيل، ورواية حبيب أصح هذه الروايات، فرواية حكيم ضعيفة لضعفه، مع أن رواية حبيب متابعة جيدة له، وأما رواية سلمة فضعيفة عنه، وبذلك يكون الصحيح في هذه الرواية موافقا للصحيح الثابت عن زيد من الروايات المذكورة آنفا.

ثالثًا: رواية حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم أثبتت هذه اللفظة، ولكنها معلولة.

وبناء على هذا فإن اللفظ الصحيح الثابت عن زيد ليس في شيء من طرقه ذكر الاعتصام بالعترة الطاهرة، وغاية ما فيه الوصية بالتمسك والاعتصام بكتاب الله تعالى، والوصية خيرًا بالعترة الطاهرة، وإضافة لفظ: «لن تضلوا ما اتبعتموهما» لا يثبت في أي من هذه الطرق.

المبحث الثاني

حديث أبي سعيد الخدري

المطلب الأول: تخريج الحديث.

روي هذا الحديث عن أبي سعيد من طريقين:

الطريق الأول: عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه.

أخرجه العقيلي في الضعفاء (ج٤ص٣٦٢ ح١٩٧٤) قال: حدثنا محمد بن عثمان، قال: حدثنا يحي بن الحسن بن فرات القزاز، قال: حدثنا محمد بن أبي حفص العطار، عن هارون بن سعد، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما كتاب الله تبارك وتعالى، سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**».

الطريق الثاني: عن عطية العوفي عن أبي سعيد.

روى هذا الحديث ثمانية من الرواة عن عطية، واختلفوا عليه:

فرواه أربعة عنه بمثل لفظ حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، الذي يشبه في معناه حديث زيد بن أرقم الثابت عنه، أعني **دون عبارة «ما إن تمسكتم به لن تضلوا»**، وهم: (زكريا، وأبو إسرائيل، وكثير النواء، وأبو مريم الأنصاري).

ورواه اثنان منهم عنه **بزيادة هذه العبارة**، وهما (أبو الجحاف، وهارون بن سعد).

واختلف على اثنين منهم، حيث روي عنهما عن عطية باللفظين، وهما (عبد الملك بن أبي سليمان، والأعمش)، وفيما يلي التفصيل:

أولًا: الروايات عن عطية دون عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا».

عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».**

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ج٦ص١٣٣ ح٣٠٠٨١) قال: حدثنا **زكريا** مختصرًا.

وأحمد بن حنبل في المسند (ج٣ص١٤ ح١١١١٩) وفي فضائل الصحابة (ج٢ص٧٧٩ ح١٣٨٢) قال: حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا **أبو إسرائيل** -يعني إسماعيل بن أبي إسحاق الملائي-.

والطبراني في المعجم الأوسط (ج٣ص٣٧٤ ح٣٤٣٩) وفي المعجم الصغير (ج١ص٢٢٦ ح٣٦٣) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن مصعب الأشناني الكوفي، حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا أبو عبدالرحمن المسعودي، عن **كثير النواء**.

وفي المعجم الأوسط (ج٤ص٣٣ ح٣٥٤٢) قال: حدثنا حمدان بن إبراهيم العامري الكوفي، قال: أخبرنا يحيى بن الحسن بن فرات القزاز، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن المسعودي، **عن كثير النواء، وأبي مريم الأنصاري.**

أربعتهم: (زكريا، وأبو إسرائيل، وكثير النواء، وأبو مريم الأنصاري) عن عطية به.

ثانيا: الروايات عن عطية بزيادة عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا».

عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض**».

رواه عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (ج١ص١٧١ ح١٧٠) قال: حدثني إسماعيل بن موسى بن بنت السدي، حدثنا تليد، عن **أبي الجحاف**.

والطبراني في المعجم الصغير (ج١ص٢٣٢ ح٣٧٦) قال: حدثنا الحسن بن مسلم بن الطيب الصنعاني، حدثنا عبد الحميد بن صبيح، حدثنا يونس بن أرقم، عن **هارون بن سعد**.

كلاهما: (أبو الجحاف، وهارون بن سعد) عن عطية به.

ثالثا: الروايات التي اختلف فيها على الرواة عن عطية، تارة دون عبارة «ما إن تمسكتم به لن تضلوا»، وتارة بها.

أ- حديث الأعمش عن عطية.

رواه أحمد في (ج٣ص١٧ ح١١١٤٧) وفي فضائل الصحابة (ج٢ص٧٧٩ ح١٣٨٣) قال: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد -يعني ابن طلحة- عن **الأعمش، دون العبارة.**

وابن الجعد في مسنده (ج١ص٣٩٧ ح٢٧١١) قال: حدثنا بشر بن الوليد، أخبرنا محمد ابن طلحة، عن **الأعمش، دون العبارة.**

وأبو يعلى في مسنده (ج٢ص٢٩٧ ح١٠٢١) قال: حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا محمد ابن طلحة، عن **الأعمش، دون العبارة**.

والطبراني في المعجم الكبير (ج٣ص٦٥ ح٢٦٧٩) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا صالح بن أبي الأسود، عن **الأعمش، دون العبارة**.

والعقيلي في الضعفاء (ج٢ص٢٥٠ ح٨٠٤) قال: حدثناه أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا عبدالله بن داهر، قال: حدثنا عبد الله بن عبد القدوس، عن **الأعمش، دون العبارة**.

والترمذي في السنن (ج٥ص٦٦٣ ح٣٧٨٨) قال: حدثنا علي بن المنذر كوفي، حدثنا محمد بن فضيل، قال: حدثنا **الأعمش، بالعبارة**.

ب- حديث عبد الملك بن أبي سليمان عن عطية.

أخرجه أحمد في مسنده (ج٣ص٢٦ ح١١٢٢٧) قال: حدثنا ابن نمير، حدثنا **عبد الملك، دون العبارة**.

وفي (ج٣ص٥٩ ح١١٥٧٨) وفي فضائل الصحابة (ج٢ص٥٨٥ ح٩٩٠) قال: حدثنا ابن نمير، حدثنا **عبد الملك بن أبي سليمان، بالعبارة**.

وأبو يعلى في مسنده (ج٢ص٣٧٦ ح١١٤٠) قال: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا محمد ابن فضيل، عن **عبد الملك، بالعبارة**.

والطبراني في المعجم الكبير (ج٣ص٦٥ ح٢٦٧٨) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا علي بن مسهر، عن **عبد الملك، بالعبارة**.

المطلب الثاني: دراسة الروايات.

أولًا: طريق عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه.

لم أجد هذه الطريق إلا عند العقيلي في الضعفاء، ونستشف تضعيفه لهذه الطريق من إخراجه لها في معرض تضعيف هارون بن سعد، حيث قال قبل روايته: هارون بن سعد: كوفي كان يغلو في الرفض.

حدثنا محمد، قال: حدثنا عباس، قال: سمعت يحيى يقول: هارون بن سعيد من الغالية في التشيع، ومن حديثه... فذكره ثم قال: وهارون لا يتابع عليه، هذا يروى بأصلح من هذا الإسناد.

ولما رجعت إلى ترجمة هارون هذا وجدته صالحا(١)، وما ذكره ابن عدي من بدعته لا ينتهض لتضعيف هذا الطريق بسببه، لأنه لم يغير الحديث بما يوافق بدعته، سيما وأنه قد روي عنه أنه رجع عنها(٢).

ولهذا قال الحافظ فيه في التقريب: صدوق رمي بالرفض، ويقال: رجع عنه، وقد أخرج له الإمام مسلم حديثا في الصحيح(٣).

---

(١) فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي عن هارون بن سعد، فقال: روى عنه الناس، وهو صالح. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: سألت يحيى بن معين عن هارون بن سعد كيف هو؟ قال: ليس به بأس، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: لا بأس به، روى عنه الثوري. انظر: المزي تهذيب الكمال (ج٣٠ص٨٥-٨٨)، ترجمة رقم (٦٥١٢).

(٢) فقد حكى أبو العرب الصقلي، عن ابن قتيبة: أنه أنشد له شعرا يدل على نزوعه عن الرفض. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج١١ص٦).

(٣) تقريب التهذيب (ص٥٦٨) ترجمة رقم (٧٢٢٧).

غير أن في هذه الطريق مشاكل أخرى، منها أن الراوي عن هارون بن سعد هو محمد بن أبي حفص الكوفي العطار، وهو متكلم فيه[١].

والراوي عن محمد هو يحيى بن الحسن بن فرات القزاز لم أجد له ترجمة.

ثم إن شيخ العقيلي نفسه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة الكوفي العبسي قد اختلف فيه اختلافا شديدا، فقد وثقه بعض النقاد، ورماه بالكذب غير واحد من الجهابذة[٢].

وبناء عليه فإن هذه الطريق ضعيفة عن أبي سعيد الخدري.

ثانيًا: طريق عطية العوفي عن أبي سعيد.

إن هذه الطريق ضعيفة من أصلها، فمدارها على عطية العوفي، وهو ضعيف الحديث، وقد كان يدلِّس تدليس شيوخ في روايته عن أبي سعيد الخدري خاصة، فقد كان يروي عن الكلبي ويكنيه بأبي سعيد، ويروي عنه بهذه الكنية موهما أنه

---

(١) قال الأزدي: يتكلمون فيه. انظر: ابن حجر، لسان الميزان (ج٥ص١٤٦)، ترجمة رقم (٤٨٩).

(٢) فقد وثقه صالح جزرة، وقال ابن عدي: لم أرَ له حديثا منكرا، وهو على ما وصف لي عبدان لا بأس به، وقال مسلمة بن قاسم: لا بأس به، كتب الناس عنه، ولا أعلم أحدا تركه، وذكره ابن حبان في الثقات: وقال: كتب عنه أصحابنا، وقال الخطيب: له تاريخ كبير، وله معرفة وفهم.

وكذبه عبد الله بن أحمد بن حنبل، وقال ابن خراش: كان يضع الحديث، وقال مطين: هو عصى موسى تلقف ما يأفكون، وقال الدارقطني: يقال أنه أخذ كتاب ابن نمير فحدث به، وقال البرقاني: لم أزل أسمعهم يذكرون أنه مقدوح فيه، وقال ابن عقدة: سمعت عبد الله بن أسامة الكلبي، وإبراهيم بن إسحاق الصواف، وداود بن يحيى، يقولون: محمد بن عثمان كذاب.

وقال أبو نعيم بن عدي الحافظ: وقفت على تعصب بين مطين وبين محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حتى ظهر لي أن الصواب الإمساك عن قبول كل واحد منهما في صاحبه. انظر ترجمته في: ابن حجر لسان الميزان (ج٥ص٢٨٠)، ترجمة رقم (٩٦٥)، والذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٢ص٦٦١)، ترجمة رقم (٦٨١).

الخدري، فيأخذه عنه الرواة ظنا منهم أنه يرويه عن أبي سعيد الخدري[(١)].

وكان يمكن قبول روايته إذا صرح بأنه يرويه عن أبي سعيد الخدري، غير أنا لسنا على ثقة بأن هذا التصريح كان منه، فإنه يمكن أن يكون من إضافة أحد الرواة عنه، ممن انطلت عليهم خدعة التدليس.

ومع الإقرار بضعف الحديث من أصله لضعف عطية، إلا أن الاختلاف عليه في متن الحديث يدفعني إلى مزيد من التحري عن اللفظ الثابت عنه، وهذا ما يدعونا إلى المقارنة بين روايات الرواة عنه، لذا سندرس هذه الروايات على التفصيل للمقارنة بينها:

أولًا: الروايات عن عطية دون عبارة «ما إن تمسكتم به لن تضلوا».

١- رواية زكريا عنه: هي رواية صحيحة عنه، فزكريا هو ابن أبي زائدة، ثقة مدلِّس[(٢)]، وقد صرح بالتحديث عن عطية، والراوي عنه هو الإمام الثقة، أبو بكر بن أبي شيبة، وهذا هو أعلى أسانيد الحديث، فهو مقدَّم على ما سواه، صحة وعلوا.

---

(١) قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي ذكر عطية العوفي، فقال: هو ضعيف الحديث، قال أبي: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد. وكان هشيم يضعف حديث عطية. العلل ومعرفة الرجال (ج١ص٥٤٨)، فقرة (١٣٠٦)، و(ص٥٤٩)، فقرة (١٣٠٧). وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: كوفي لين. الجرح والتعديل (ج٦ص٣٨٢)، ترجمة رقم (١٣٠٦). وقال ابن معين: صالح. وقال الجوزجاني: مائل. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن عدي: ولعطية عن أبي سعيد أحاديث عدة، وعن غير أبي سعيد، وهو مع ضعفه يكتب حديثه، وكان يعدُّ مع شيعة أهل الكوفة. ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٧ ص٢٠١) ترجمة رقم (٤١٤).

(٢) قال يحيى بن سعيد: ليس به بأس، وقال أحمد: ثقة حلو الحديث، وقال ابن معين: صالح، وقال أبو زرعة: صويلح، يدلِّس كثيرا عن الشعبي، وقال أبو حاتم: ليِّن الحديث، كان يدلِس، وقال أبو داود: يقولون زكريا ثقة، ولكنه يدلِّس، وقال النسائي: ثقة. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج ص٣٥٩)، ترجمة رقم (١٩٩٢). وقال الحافظ: ثقة، وكان يدلِّس. تقريب التهذيب (ص٢١٦)، ترجمة رقم (٢٠٢٢).

٢- **رواية أبي إسرائيل، أسود بن عامر**(١): كان أبو إسرائيل صدوقا، إلا أن الحفاظ تكلموا في حديثه من جهتين؛ الأولى غلوه في التشيع، والثانية كثرة خطئه، أما غلوه في التشيع فلا مدخل لتضعيف الرواية من أجله، لأنها لا توافق مذهبه، -أعني لم يطرأ عليها تغيير يوافق مذهبه- وأما سوء حفظه، فلم يكن شديدًا، وقد توبع من قبل زكريا بن أبي زائدة، والأعمش على الصحيح -كما سيأتي- وعليه فهذه الرواية من صحيح حديثه.

٣- **رواية كثير النواء**، هذه الرواية ضعيفة لحال كثير النواء نفسه، وحال الراوي عنه، وهو أبو عبد الرحمن المسعودي، وكلاهما ضعيف(٢)، وقد أشار الطبراني إلى

(١) هو إسماعيل بن خليفة العبسي: عن أحمد بن حنبل أنه قال: يكتب حديثه، وقد روى حديثا منكرا في القتيل -يعني حديث عطية عن أبي سعيد- وعن يحيى بن معين: صالح الحديث، وفي رواية: ضعيف، وقال في موضع آخر: أصحاب الحديث لا يكتبون حديثه، وقال عمرو بن علي: ليس من أهل الكذب، وقال أيضا: سألت عبد الرحمن عن حديث أبي إسرائيل فأبى أن يحدثني به، وقال كان يشتم عثمان ﷺ، وقال البخاري: تركه ابن مهدي، وكان يشتم عثمان، وقال في موضع آخر: يضعفه أبو الوليد، وقال أبو زرعة: صدوق، إلا أن في رأيه غلوا، وقال أبو حاتم: حسن الحديث، جيد اللقاء، وله أغاليط، لا يحتج بحديثه، ويكتب حديثه، وهو سيء الحفظ، وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: مفتري زائغ، وقال النسائي: ضعيف، وقال العقيلي: في حديثه وهم واضطراب، وله مع ذاك مذهب سوء، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه يخالف الثقات، وهو في جملة من يكتب حديثه المزي. انظر: تهذيب الكمال (ج٣ص٧٧)، ترجمة رقم (٤٤٠). وقال الترمذي: ليس بالقوي عند أصحاب الحديث، وقال أبو داود: لم يكن يكذب، حديثه ليس من حديث الشيعة، وليس فيه نكارة، وقال أبو أحمد الحاكم: متروك الحديث، وقال ابن حبان في الضعفاء: كان رافضيا شتاما، وهو مع ذلك منكر الحديث. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج١ص٢٥٦) ترجمة رقم (٥٤٥). وقال الحافظ: صدوق سيء الحفظ نسب إلى الغلو في التشيع. تقريب التهذيب (ص١٠٧) ترجمة رقم (٤٤٠).

(٢) أما كثير، فهو ابن إسماعيل أو ابن نافع النواء بالتشديد، أبو إسماعيل التيمي الكوفي، قال أبو حاتم: ضعيف الحديث، وقال الجوزجاني: زائغ، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي: كان غاليا في التشيع، مفرطا فيه. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج٢٤ص١٠٤) ترجمة رقم (٤٩٣٥)، وقال الحافظ: ضعيف. تقريب التهذيب (ص٤٥٩) ترجمة رقم (٥٦٠٥).=

ضعف هذه الرواية، إذ قال عقب تخريجها: لم يروه عن كثير النواء إلا أبو عبد الرحمن المسعودي.

٤- رواية أبي مريم الأنصاري: وجدت راويين يعرفان بهذه الكنية، أحدهما تابعي ثقة، شامي(١)، والآخر هو عبد الغفار بن القاسم(٢)، كوفي كذاب، غال في التشيع، روى عن التابعين، وأنا أرجح أنه هذا الأخير، لأمرين:

أ. الطبقة: فواضح من الرواية أنه من طبقة أتباع التابعين، وليس من التابعين.

ب. البلد: وذلك لأنه كوفي، وشيخه كوفي، والراوي عنه كوفي.

فإن كان ما رجحت صحيحًا فالحديث ضعيف جدًّا لأجله، وإن كان الأول -وهو ما أستبعده- فالحديث ضعيف من قبل الراوي عنه وهو المسعودي، المتقدم ذكره آنفا.

ثانيًا: الروايات عن عطية بزيادة عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا».

١- رواية أبي الجحاف: أما أبو الجحاف فهو داود بن أبي عوف التميمي(٣)،

=وأما المسعودي فهو: عبد الله بن عبد الملك المسعودي، أبو عبد الرحمن، قال العقيلي: كان من الشيعة، في حديثه نظر، الضعفاء (ج٢ص٢٧٥) ترجمة رقم (٨٣٨). وقال الحافظ: شيعي فيه كلام، ذكره العقيلي، وله عن عمرو بن حريث خبر منكر. لسان الميزان (ج٣ص٣١٢) ترجمة رقم (١٢٩٠).

(١) انظر ترجمته في: المزي، تهذيب الكمال (ج٣٤ص٢٨١) ترجمة رقم (٧٦١٩). وابن حجر، تقريب التهذيب (ص٦٧٢)، ترجمة رقم (٨٣٥٧). والذهبي، الكاشف (ج٢ص٤٥٩)، ترجمة رقم (٦٨٢٨).

(٢) انظر ترجمته في: العقيلي، الضعفاء (ج٣ص١٠٠) ترجمة رقم (١٠٧٥). وابن عدي، الكامل في الضعفاء (ج٥ص٣٢٧) ترجمة رقم (١٤٧٩). وابن حجر، لسان الميزان (ج٤ص٤٢) ترجمة رقم (١٢٣).

(٣) عن سفيان بن عيينة قال: كان مرضيا، وكان من الشيعة، وقال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال النسائي ليس به بأس، وقال ابن عدي: هو من غالية أهل التشيع، وعامة حديثه في أهل البيت، ولم أرَ لمن=

فصدوق لا بأس به، كان يخطئ، ولكن روايته في هذا الباب غير مقبولة، لأنه كان من غلاة الشيعة، وقد تغير لفظ الحديث بما يوافق بدعته.

وفي الحديث ما هو أشد من ذلك، وهو الراوي عنه، تليد بن سليمان المحاربي، كان من غلاة الشيعة، ممن يشتم أبا بكر وعمر وعثمان، وغيره من الصحابة، وكان يكذب، وخاصة على أبي الجحاف، في فضائل أهل البيت، فحديثه مردود ولا كرامة[(١)].

٢- رواية هارون بن سعد: تقدم الكلام على هارون أثناء بحث الطريق الأولى عن أبي سعيد بما ظهر منه أنه صالح الحديث، مع غلوه في التشيع، ولكن الراوي عنه الذي تفرد بهذا الحديث، وهو يونس بن أرقم، شيعي لين الحديث[(٢)]، ومثل هذا لا يحتمل تفرده، فضلا عن مخالفته، وقد أشار الطبراني إلى غرابة الحديث، بقوله عقب روايته: لم يروه عن هارون ابن سعد إلا يونس بن أرقم.

=تكلم في الرجال فيه كلاما، وهو عندي ليس بالقوي، ولا ممن يحتج به في الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: يخطئ،، وقال العقيلي: كان من غلاة الشيعة، وقال الأزدي: زائغ ضعيف. انظر ترجمته: المزي، تهذيب الكمال (ج٨ص٤٣٤) ترجمة رقم (١٧٧٩)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٣ص١٧٠).

(١) اختلفت فيه الرواية عن أحمد، فقال المروزي عنه أنه قال: كان مذهبه التشيع، ولم نرَ به بأسا، وقال الجوزجاني عنه: كان يكذب، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال في موضع آخر: كذاب، كان يشتم عثمان، وكل من شتم عثمان أو طلحة أو واحدا من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقال العجلي: لا بأس به، كان يتشيع، ويدلس، وقال أبو داود: رافضي خبيث، رجل سوء يشتم أبا بكر وعمر، وقال النسائي: ضعيف، وقال يعقوب بن سفيان: رافضي خبيث، وقال الساجي: كذاب، وقال الحاكم وأبو سعيد النقاش: رديء المذهب، منكر الحديث، روى عن أبي الجحاف أحاديث موضوعة، وقال ابن حبان: كان رافضيا يشتم الصحابة، وروى في فضائل أهل البيت عجائب. ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج١ص٤٤٧) ترجمة رقم (٩٤٧).

(٢) هو الكندي، البصري، قال البخاري: كان يتشيع، سمع يزيد بن أبي زياد، معروف الحديث. انظر: التاريخ الكبير (ج٨ص٤١٠) ترجمة رقم (٣٥١٨). ولينه عبد الرحمن بن خراش، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يتشيع. انظر: ابن حجر، لسان الميزان (ج٦ص٣٣١) ترجمة رقم (١١٧٩).

ثالثًا: الروايات التي اختلف فيها على الرواة عن عطية.

١- روايةِ سليمان الأعمش: اختلف في هذه الرواية على الأعمش:

فرواها بزيادة عبارة «ما إن تمسكتم به لن تضلوا»: واحد هو محمد بن فضيل، أخرجها الترمذي عن علي بن المنذر، عن محمد بن فضيل عنه، وقال: حديث حسن غريب.

وهذه الرواية ضعيفة من وجهين:

الأول: أن علي بن المنذر مختلف فيه، وكذا ابن فضيل، وهما مع ذلك شيعيان، وقد تغير الحديث بما يوافق بدعتهما.

الثاني: مخالفة ابن فضيل لرواية محمد بن طلحة الآتي ذكرها.

وقد تقدم الكلام على هذه الرواية أثناء بحث حديث زيد بن أرقم، وبينت ما فيها من الإشكالات هناك، بما ظهر منه ضعف هذا الحديث[١].

ورواها عنه دون عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا»، ثلاثة هم: محمد بن طلحة، وصالح بن أبي الأسود، وعبد الله بن عبد القدوس.

أما محمد بن طلحة فصدوق له أوهام[٢]، وقد رواها عنه أبو النضر هاشم بن

---

(١) انظر (ص١٠) من هذا البحث.

(٢) هو محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: لا بأس به، إلا أنه كان لا يكاد يقول في شيء من حديثه حدثنا، وقال ابن معين: ثلاثة يتقى حديثهم، ذكر منهم: محمد بن طلحة، وقال مرة: صالح، وفي رواية ضعيف، وقال أبو زرعة: صالح، وقال النسائي: ليس بالقوي، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يخطئ، وقال ابن سعد: كانت له أحاديث منكرة، قال أبو داود: كان يخطئ، وقال العقيلي: قال أحمد: ثقة، وقال العجلي: ثقة، وقال بشر بن الوليد: كان سيدا كريما. تهذيب التهذيب (ج٩ص٢١١) ترجمة رقم (٣٨١). وقال الحافظ: صدوق له أوهام. تقريب التهذيب (ص٤٨٥)، ترجمة رقم (٥٩٨٢).

القاسم، وهو ثقة ثبت[١]، وبشر بن الوليد ثقة فيه كلام[٢]، فإسناد هذه الرواية إلى الأعمش جيد حسن من هذه الطريق.

أما الطريقان الآخران فضعيفان، فصالح مجهول[٣]، وعبد الله بن عبد القدوس، والراوي عنه عبد الله بن داهر، رافضيان خبيثان[٤].

وبناء على هذا فإن **الثابت عن الأعمش عن عطية هو رواية الحديث دون عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا».**

٢- رواية عبد الملك بن أبي سليمان[٥]: اختلف في هذه الرواية على عبد الملك:

فرواها عنه دون عبارة: **«ما إن تمسكتم به لن تضلوا»**، واحد هو ابن نمير، ورواها عنه بزيادتها ثلاثة هم: ابن نمير، ومحمد بن فضيل، وعلي بن مسهر.

---

(١) قال الحافظ: مشهور بكنيته، ثقة ثبت، أخرج له الجماعة. تقريب التهذيب (ص٥٧٠) ترجمة رقم (٧٢٥٦).

(٢) كان واسع الفقه متعبدا، سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق، فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله، فلما ولي المتوكل أطلقه، ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم، وفي آخر أمره يقال: أنه وقف في القرآن، فأمسك أصحاب الحديث عنه وتركوه، لذلك قال صالح جزرة: صدوق لكنه لا يعقل، وقال سليمان: منكر الحديث، وقال الآجري: سألت أبا داود بشر بن الوليد ثقة؟ قال: لا، وعن الدارقطني: ثقة، وذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحا، وقال مسلمة: ثقة، وكان ممن امتحن، وكان أحمد يثني عليه، وقال البرقاني: ليس هو من شرط الصحيح. انظر ترجمته: ابن حجر، لسان الميزان (ج٢ص٣٥) ترجمة رقم (١٢٠).

(٣) قال الذهبي: واهٍ، وقال ابن عدى: أحاديثه ليست بالمستقيمة، وليس بالمعروف. لسان الميزان (ج٣ص١٦٦) ترجمة رقم (٦٧١).

(٤) هذه الطريق رواها العقيلي وقال قبل روايته: عبد الله بن داهر الرازي رافضي خبيث عن عبد الله بن عبد القدوس أشر منه كلاهما رافضيان ومن حديثه فذكره.

(٥) هو عبد الملك بن أبي سليمان ميسرة العرزمي، كان من حفاظ الحديث وأعيانهم، وثقه أكثر العلماء، وتكلم فيه شعبة، وأنكروا عليه بعض الأحاديث، ولذا قال الحافظ: صدوق له أوهام. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٦ص٣٥٢)، ترجمة رقم (٧٥١)، وتقريب التهذيب (ص٣٦٣)، ترجمة رقم (٤١٤٨).

أما ابن نمير فهو محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني، ثقة حافظ فاضل[١]، والراوي عنه هو الإمام أحمد، فسند هذه الراوية إلى عبد الملك صحيح، ولكن الإشكال هو أن أحمد رواها عنها في المسند على الوجهين، ولا أستطيع أن أجزم بالصحيح منهما، غير أن الرواية المشتملة على الزيادة تترجح برواية ابن مسهر الآتي ذكرها.

وأما ابن فضيل فقد مر الحديث عنه، وهو صدوق، لكنه شيعي محترق، والراوي عنه، سفيان بن وكيع، متروك الحديث[٢]، فهذا إسناد لا تقوم به حجة.

وأما علي بن مسهر فهو ثقة ثبت[٣]، والراوي عنه منجاب بن الحارث ثقة[٤]، والراوي عنه محمد الحضرمي الملقب بـ مطين، ثقة أيضا، فهذا إسناد صحيح إلى عبد الملك من هذه الطريق، وعلى ذلك فالثابت من حديث عبد الملك رواية الحديث بالعبارة.

وقد ضعَّف الإمام أحمد حديث عبد الملك عن عطية، ويظهر لي -والله أعلم- إنما ضعَّفه لأجل عطية نفسه: قال البخاري: «قال أحمد في حديث عبد الملك، عن عطية، عن أبي سعيد، قال النبي ﷺ: «**تركت فيكم الثقلين**»، أحاديث الكوفيين هذه مناكير»[٥].

---

(١) انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج١٦ص٢٢٥)، ترجمة رقم (٣٦١٨). وابن حجر، تقريب التهذيب (ص٤٩٠) ترجمة رقم (٦٠٥٣).

(٢) قال البخاري يتكلمون فيه الأشياء لقنوه، وقال أبو زرعة: لا يشتغل به، قيل له: كان يكذب؟ قال: كان أبوه رجلا صالحا، فيل له: كان سفيان يتهم بالكذب؟ قال نعم. وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: كان شيخا فاضلا صدوقا إلا أنه ابتلي بوراقه. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٤ص١٠٩) ترجمة رقم (٢١٠).

(٣) قال الحافظ: ثقة له غرائب بعد أن أضر. ابن حجر، تقريب التهذيب (ج١ص٤٠٥) ترجمة رقم (٤٨٠٠).

(٤) قال الحافظ: ثقة، تقريب التهذيب (ص٥٤٥) ترجمة رقم (٦٨٨٢).

(٥) التاريخ الصغير (ج١ص٢٦٧)، فقرة (١٣٠٠).

خلاصة المبحث:

أولًا: حديث أبي سعيد ضعيف من كلا طريقيه.

ثانيًا: الراجح في حديث عطية عن أبي سعيد -مع ضعفه- أنه غير مشتمل على عبارة: «**ما إن تمسكتم به لن تضلوا**»، فقد صح عن عطية دون هذه العبارة من طريق ثلاثة من الرواة عنه هم: زكريا بن أبي زائدة، وأبو إسرائيل الملائي، والأعمش، وخالفهم عبد الملك بن أبي سليمان، فزاد هذه العبارة، وروايتهم مقدمة على روايته، لأنهم أكثر عددا، وفيهم من هو أوثق منه، وهو زكريا؛ فإن أبيت ترجيح روايتهم ففي الحديث اضطراب واضح من عطية، وعليه فالحديث إما صحيح عن عطية دون العبارة، وإما اضطرب فيه عطية لاختلاف الثقات عنه، **أما أن يكون الحديث صحيحا عن عطية بالعبارة؛ فلا.**

وعليه فحديث أبي سعيد مع ضعفه لا يشتمل في أي من طريقيه على هذه العبارة.

المبحث الثالث

حديث جابر بن عبد الله

المطلب الأول: تخريج الحديث.

جاءت عبارة البحث في حديث جابر ضمن حديثه الطويل في صفة حج النبي ﷺ، الذي رواه جميع أصحاب الكتب والمصنفات المعتبرة، وسأقتصر في التخريج على الروايات التي وردت فيها هذه العبارة فقط، دون غيرها من روايات الحديث الأخرى.

وعند البحث تبين أن هذه العبارة وردت عن جابر من طريق واحدة هي: رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جابر، وهذا إسناد صحيح لا مطعن فيه، ومتفق على صحته، غير أنه اختلف على جعفر بن محمد في روايته، حيث روي عنه بلفظين مختلفين:

اللفظ الأول: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله».

عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر عن أبيه عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**تركت فيكم ما إن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**».

أخرجه **ابن أبي شيبة** في المصنف (ج٣ص٣٣٦ ح١٤٧٠٥) و(ج٦ص١٣٣ ح٣٠٠٧٧).

ومسلم (ج٢ص٨٨٦ ح١٢١٨) قال: حدثنا **ابن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم**.

وابن خزيمة (ج٤ص٢٥١ ح٢٨٠٩) قال: حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا **يزيد**.

وحدثنا محمد بن يحيى، حدثنا **عبد الله بن محمد النفيلي.**

وابن حبان (ج٤ص٣١٠ ح١٤٥٧) قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم، حدثنا **هشام.**

و(ج٩ص٢٥٣ ح٣٩٤٤) قال: أخبرنا عبدالله بن محمد بن سلم، حدثنا **هشام بن عمار.**

وأخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا **أبو بكر بن أبي شيبة.**

والبيهقي في الكبرى (ج٥ص٦ ح٨٦٠٩) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو الفضل بن إبراهيم، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد، وأحمد بن سلمة، قالا: حدثنا **إسحاق ابن إبراهيم،** (ح) وأخبرنا أبو علي الروذباري، أنبأنا أبو بكر محمد بن بكر بن داسة، حدثنا أبو داود السجستاني، **حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي، وعثمان بن أبي شيبة، وهشام بن عمار، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقيان.**

والنسائي في الكبرى (ج٢ص٤٢١ ح٤٠٠١) قال: أخبرني **إبراهيم بن هارون.**

وابن الجارود في المنتقى (ج١ص١٢٣ ح٤٦٩) قال: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا **عبد الله بن محمد النفيلي.**

ثمانيتهم -ابن أبي شيبة، وإسحاق، ويزيد، وعبد الله، وهشام، وعثمان، وسليمان، وإبراهيم- عن حاتم به.

اللفظ الثاني: «وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

عن زيد بن الحسن الأنماطي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: «**يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**».

أخرجه الترمذي في السنن (٥/٦٦٢ ح٣٧٨٦).

والطبراني في الكبير (ج٣ص٦٦ ح٢٦٨٠) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي.

وفي الأوسط (ج٥ص٨٩ ح٤٧٥٧) قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسين الصابوني.

ثلاثتهم -الترمذي والحضرمي والصابوني- قالوا: حدثنا نصر بن عبد الرحمن الوشاء، الكوفي، حدثنا زيد به.

قال الترمذي: وفي الباب عن أبي ذر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن أسيد.

وقال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقال: وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان، وغير واحد من أهل العلم.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن جعفر بن محمد إلا زيد بن الحسن الأنماطي.

المطلب الثاني: دراسة الحديث.

يحصر مدار الدارسة حول الخلاف بين حاتم بن إسماعيل وزيد بن الحسن، حيث زاد الأخير عبارة «وعترتي أهل بيتي»، والخلاف ينحصر بينهما لأن الإسناد صحيح إلى

كليهما، ومتفق بعدهما، فالخطأ إنما هو من واحد منهما.

أما حاتم بن إسماعيل فثقة مجمع على الاحتجاج بحديثه، ولكنه كان يخطئ أحيانا[1]، وأما زيد بن الحسن فضعيف، منكر الحديث[2].

ومن هنا فإن الرواية الثانية رواية منكرة، فمن المعلوم أن مخالفة الضعيف للثقة تجعل روايته منكرة.

وهذا ما يجعلنا نفهم معنى قول الطبراني بعد رواية زيد: «لم يرو هذا الحديث عن جعفر بن محمد إلا زيد بن الحسن الأنماطي»، يعني بذلك أن من روى هذا الحديث عن جعفر كثيرون[3]، ولكن زيدا وحده هو من انفرد بذكر هذه الزيادة، وهي إشارة صريحة إلى ضعف روايته.

وقد حسن الترمذي رواية زيد هذه مع تصريحه بغرابتها، فقال: «وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» وقال: «وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان، وغير واحد من أهل العلم».

---

(١) هو أبو إسماعيل الحارثي المدني، قال أحمد: حاتم بن إسماعيل أحب إلي من الدراوردي، زعموا أن حاتما كان فيه غفلة، إلا أن كتابه صالح، وقال أبو حاتم: هو أحب إلي من سعيد بن سالم، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان ثقة، مأمونا، كثير الحديث، وقال العجلي ثقة، وكذا قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، وقال ابن المديني روى عن جعفر عن أبيه أحاديث مراسيل أسندها. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج٥ص١٨٧) ترجمة رقم (٩٩٢)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٢ص١١٠) ترجمة رقم (٢٠٩). وقال الحافظ: صدوق يهم. تقريب التهذيب (ج١ص١٤٤) ترجمة رقم (٩٩٤).

(٢) قال أبو حاتم: منكر الحديث، انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٥٦٠/٣) ترجمة رقم (٢٥٣٣)، وذكره ابن حبان في الثقات (٣١٤/٦) ترجمة رقم (٧٨٨٦)، وقال الذهبي في الكاشف: ضُعِّف (٤١٦/١) ترجمة رقم (١٧٣١)، وقال الحافظ في التقريب: ضعيف (٢٢٣/١) ترجمة رقم (٢١٢٧).

(٣) الذين رووا الحديث عن جعفر عدد كبير من الرواة، ولكن لم أذكر رواياتهم لأنهم لم يذكروا جملة البحث أصلا.

فواضح من كلام الترمذي تفرد زيد بهذه الرواية، والذي يظهر أن تحسينه له إنما كان لما لهذا الحديث من الشواهد، لأنه قال قبل تحسينه: «وفي الباب: عن أبي ذر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن أسيد».

وهذه الشواهد سبق بحثها، وبينت ما فيها هناك، وباختصار فهي إما صحيحة، ولكن لا تشهد لهذا اللفظ، وإما ضعيفة، لا تصلح أن تكون شاهدا، فحديث أبي سعيد ضعيف، وفي ألفاظه اختلاف، منها ما يشهد لهذه العبارة، ومنها ما ليس كذلك -وهو الصواب كما تقدم-، وحديث زيد بن أرقم حديث صحيح، وما يشهد لهذه الرواية من طرقه شاذ ليس بصحيح، وحديث أبي ذر، وحديث حذيفة، مع ضعفهما لا يشهدان لهذه الرواية -كما سيأتي-.

فهذه الشواهد كلها لا يصلح شيء منها لتقوية هذا الحديث، فالحديث فيه مشكلتان:

الأولى: أن الأنماطي قد جعل هذا اللفظ من حديث جابر، وليس كذلك، بدليل الروايات الصحيحة عن جابر على خلافه.

الثانية: أن الأنماطي أدخل حديثا في حديث، حيث أدخل لفظ حديث غدير خم على لفظ حديث خطبة الوداع، ويدل على ذلك أن الأنماطي روى حديث غدير خم أيضا عن حذيفة -وسيأتي-، مما يدل على أنه كان عنده الحديثان، فدخل لفظ أحدهما على الآخر للتشابه الظاهر بينهما، وعدم ملاحظة الفرق الدقيق بين الروايتين.

المبحث الرابع

حديث زيد بن ثابت

المطلب الأول: تخريج الحديث.

لهذا الحديث طريق واحدة، ومدارها على شريك القاضي، واختلف عليه، حيث رواه عنه ستة دون عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا»، واختلف على الحماني عنه، حيث رويت عنه عن شريك مرة دونها، ومرة بها، وفيما يلي التفصيل.

الرواية الأولى:

عن شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي، كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»(١).

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ج٦ص٣٠٩ ح٣١٦٧٩) قال: حدثنا عمر بن سعد، **أبو داود الحفري**.

وأحمد في المسند (ج٥ص١٨١ ح٢١٦١٨) وفي فضائل الصحابة (ج٢ص٦٠٣ ح١٠٣٢) قال: حدثنا **الأسود بن عامر**.

وفي (ج٥ص١٨٩ ح٢١٦٩٧) قال: حدثنا **أبو أحمد الزبيري**.

والطبراني في الكبير (ج٥ص١٥٣ ح٤٩٢١) قال: حدثنا أحمد بن مسعود المقدسي، حدثنا **الهيثم بن جميل** (ح).

---

(١) جملة «حبل ممدود ما بين السماء والأرض» فقط عند أحمد، وباقي الروايات دونها.

وحدثنا أحمد بن القاسم بن مساور الجوهري، حدثنا **عصمة بن سليمان الخزاز** (ح).

وفي (ج٥ص١٥٤ ح٤٩٢٢) قال: حدثنا عبيد بن غنام، حدثنا **أبو بكر بن أبي شيبة**[١].

وفي (ح٤٩٢٣) قال: حدثنا عبيد بن غنام، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عمر بن سعد، **أبو داود الحفري**[٢].

ستتهم (أبو داود، والأسود، وأبو أحمد، والهيثم، وعصمة، وأبو بكر) عن شريك به.

الرواية الثانية:

اختلف فيها على يحيى بن عبد الحميد الحماني.

فرواه عبد بن حميد في المسند (ج١ص١٠٧ ح٢٤٠) قال: حدثني يحيى بن عبدالحميد، حدثنا شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**».

ورواه الطبراني في الكبير (ج٥ص١٥٣ ح٤٩٢١) قال: وحدثنا أبو حصين القاضي، حدثنا يحيى الحماني، حدثنا شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن

---

(١) هكذا في المعجم ولعله خطأ، سقط من الطبع أبو داود الحفري، شيخ أبي بكر بن أبي شيبة، هكذا ورد في المصنف، وهكذا رواه الطبراني عن عبيد بعد هذا الحديث. ويمكن أن يكون أبو بكر سمعه من أبي داود، ثم سمعه من شريك، فإنه سمع منه، وعلى كلا الحالين الحديث ثابت عن شريك، وليس هذا محل خلاف.

(٢) في هذه الرواية قال الثقلين، بدلا من الخليفتين.

زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض».

المطلب الثاني: دراسة الحديث.

قبل الحديث عن الخلاف على يحيى عن شريك أقول: إن الحديث مداره على شريك القاضي -كما قدمت- وهو عالم، عابد، ثقة، كثير الحديث، ولكنه كثير الخطأ أيضا، اختلف فيه النقاد اختلافا كثيرا(١)، وعليه فإن حديثه يقبل إذا توبع، وكذا

---

(١) قال ابن معين: ثقة، وقال أيضا: لم يكن شريك عند يحيى القطان بشيء، وهو ثقة ثقة، وقال في موضع آخر: ثقة، إلا أنه لا يتقن، ويغلط، وقال في موضع آخر: صدوق ثقة، إلا أنه إذا خالف، فغيره أحب إلينا منه. قال معاوية بن صالح: وسمعت أحمد بن حنبل يقول شبيها بذلك. وقال عبد الجبار بن محمد الخطابي: قلت ليحيى بن سعيد: زعموا أن شريكا إنما خلط بأخرة؟ قال: ما زال مخلطا. وقال العجلي: كوفي ثقة، وكان حسن الحديث. وقال وكيع: لم يكن أحد أروى عن الكوفيين من شريك. وقال يعقوب بن شيبة: شريك صدوق ثقة، سيء الحفظ جدًّا، وقال الجوزجاني: شريك سيء الحفظ، مضطرب الحديث، مائل، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عن شريك، يحتج بحديثه؟ قال: كان كثير الخطأ، صاحب وهم، وهو يغلط أحيانا، فقال له فضل الصائغ: إن شريكا حدث بواسط بأحاديث بواطيل، فقال أبو زرعة: لا تقل بواطيل. وقال النسائي: ليس به بأس، قال ابن عدي: الغالب على حديثه الصحة والاستواء، والذي يقع في حديثه من النكرة، إنما أتى فيه من سوء حفظه، لا أنه يتعمد شيئا مما يستحق أن ينسب فيه إلى شيء من الضعف. وقال أبو داود: ثقة يخطئ على الأعمش. وقال ابن حبان: كان في آخر أمره يخطئ فيما روى، تغير عليه حفظه، فسماع المتقدمين منه ليس فيه تخليط، وسماع المتأخرين منه بالكوفة فيه أوهام كثيرة. وقال إبراهيم الحربي: كان ثقة. وقال صالح جزرة: صدوق، ولما ولي القضاء اضطرب حفظه. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. وقال الساجي: كان ينسب إلى التشيع المفرط، وقد حكى عنه خلاف ذلك، وكان فقيها، وكان يقدم عليا على عثمان. وقال الأزدي كان صدوقا، إلا أنه مائل عن القصد، غالي المذهب، سيء الحفظ، كثير الوهم، مضطرب الحديث. استشهد به البخاري في الجامع، وروى له في رفع اليدين في الصلاة وغيره، وروى له مسلم في المتابعات، واحتج به الباقون. انظر: المزي، تهذيب الكمال= =(ج١٢ص٢٧٣٦) ترجمة رقم (٢٧٣٦)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٤ص٢٩٥) ترجمة رقم (٥٨٨). وقال الحافظ: صدوق يخطئ كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وكان عادلا، فاضلا، عابدا، شديدا على أهل البدع. تقريب التهذيب (ص٢٦٦) ترجمة رقم (٢٧٨٧).

إذا تفرد ولم يخالف، فإن خالف فغيره أحسن منه كما أفهم من كلام ابن معين وأحمد.

وهنا لا أجد مانعا من قبول حديث شريك، والحكم عليه بأنه حسن على الأقل، سيما ولهذا الحديث شواهد كثيرة.

وباقي الإسناد إلى زيد إسناد حسن، فالركين[١] ثقة، والقاسم بن حسان[٢] وِثِّق، وليس فيه جرح.

أما الخلاف على الحماني عن شريك، فهو محصور بين عبد بن حميد وبين أبي حصين القاضي، حيث رواه الأول عنه بزيادة عبارة: **«ما إن تمسكتم به لن تضلوا»**، ورواه الثاني بدونها.

وقبل الترجيح في هذا الخلاف أقول: إنه ليس ثمة خلاف شديد بين الروايتين عندي، لأن لفظ عبد بن حميد ليس بخطأ فيما أرى، فإن عبارته لا تخالف عبارة الجمهور في المعنى، ذلك على أن الواو في قوله: (وعترتي) واو استئناف لا واو عطف.

فيكون المعنى حينئذ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، وإني تارك فيكم عترتي أهل بيتي، فاستوصوا بهم خيرا، وهذه الجملة الأخيرة هي خبر مقدر، حذف من السياق، ولكن حديث زيد بن أرقم يدل عليه دلالة واضحة.

---

(١) هو الركين بن الربيع بن عميلة الفزاري، وثقه أحمد وابن معين، انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٣ص٥١٣) ترجمة رقم (٢٣٢١)، وذكره ابن حبان في الثقات (ج٤ص٢٤٣)، ترجمة رقم (٢٧١٩).

(٢) هو العامري الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أحمد بن صالح: ثقة، وقال ابن القطان: لا يعرف حاله. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٨ص٥٦٤) ترجمة رقم (٥٦٤). وقال الحافظ: مقبول. تقريب التهذيب (ص٤٤٩) ترجمة رقم (٥٤٥٤).

ومما يدل على أن التمسك كان بكتاب الله تعالى فقط أنه قال: (تمسكتم به) ولم يقل: (تمسكتم بهما)، فالضمير للمفرد الغائب، عائد على كتاب الله تعالى، دون العترة، وعلى هذا لا إشكال في الحديث، ولسنا بحاجة إلى الترجيح.

فإن قال قائل: لا مانع لغة من عود الضمير المفرد الغائب على اثنين، كحديث: «**عليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**»(١)، فقال: (بها وعليها)، ولم يقل: (بهما وعليهما).

أقول: نعم، ولكن ذلك حيث يكون المذكورين في المثنى كالشيء الواحد، كما في هذا الحديث، فسنته ﷺ وسنة الراشدين شيء واحد، فهم على سنته سائرون، ولو قال (بهما وعليهما) لكانا شيئين مختلفين، ولذا لا نقول بعصمة الخلفاء الراشدين، ولا نقول بأن أقوالهم وأفعالهم سنة، إذ السنة عندنا ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

أما في حديثنا فلا شك أن الكتاب والعترة ليسا شيئا واحدا، فهما مختلفان، ولو كان الضمير عائدا إليهما لكانا كالشيء الواحد، وهذا محال، فالكتاب كلام الله، والعترة بشر يصيبون ويخطئون، ولو أراد أن يكون التمسك والاعتصام بالكتاب والعترة لكان الواجب أن يقول بهما، لا به، وحينئذ تكون العترة معصومة، ومشرعة، وهذا لا يقوله عاقل(٢).

---

(١) حديث صحيح مشهور أخرجه أبي داود في السنن (ج٢ص٦١٠ ح٤٦٠٧) وغيره.

(٢) ولم أقل مثل هذا في الروايات الضعيفة التي اشتملت على هذه الجملة في حديث زيد، وفي حديث أبي سعيد، لأنه هناك كان يقول بهما، أو يقول ما إن تمسكتم به لن تضلوا، أحدهما... فهي واضحة في مخالفتها في المعنى للروايات الصحيحة دون هذه الجملة.

وإذا أردنا الترجيح بين في الخلاف على يحيى بين عبد بن حميد، وبين أبي حصين القاضي، فكلاهما ثقة(١)، وإن كان عبد أوثق وأشهر من أبي حصين، إلا أن رواية أبي حصين تترجح من دليل خارجي، وهو أنها موافقة لرواية الثقات عن شريك، مما يجعلنا نقدمها على رواية عبد، وإن كنا لا نحتاج إلى هذا الترجيح، لما تقدم من أنه لا تعارض بين الروايتين.

---

(١) أما عبد بن حميد فهو: ابن نصر الكشي، الإمام المشهور صاحب المسند، قال ابن حجر: ثقة حافظ. تقريب التهذيب (ص٣٦٨) ترجمة رقم (٤٢٦٦).

وأما أبو حصين فهو: محمد بن الحسين بن حبيب الوادعي، وثقه الدارقطني، وقال إبراهيم بن إسحاق الصواف: صدوق، معروف بالطلب، ثقة، وقال الخطيب: كان فهمًا، صنف المسند. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (ج٢ص٢٢٩) ترجمة رقم (٦٨٠).

المبحث الخامس

حديث علي

المطلب الأول: تخريج الحديث.

لهذا الحديث رواية واحدة غريبة، وهي ما أخرجه البزار في مسنده (ج٣ص٨٩ ح٨٦٤) قال: حدثنا الحسين بن علي بن جعفر، قال: أخبرنا علي بن ثابت، قال: أخبرنا سعاد ابن سليمان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني مقبوض، وإني تركت فيكم الثقلين، كتاب الله، وأهل بيتي، وأنكم لن تضلوا بعدهما**».

المطلب الثاني: دراسة الحديث.

هذا الحديث غريب ضعيف، وذلك للأسباب الآتية:

أولًا: أنه من رواية الحارث الأعور، وهو ضعيف، بل اتهمه بعض العلماء بالكذب، ثم أنه كان غاليا في التشيع[1].

ثانيًا: أنه من رواية أبي إسحاق السبيعي الهمداني عنه، وهو ثقة اختلط بأخرة، ولم يسمع من الحارث الأعور إلا أربعة أحاديث، وسائر ذلك إنما هو كتاب أخذه[2]، ولذلك لم يكن يحيى وعبد الرحمن يحدثان عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي،

---

(١) هو الحارث بن عبد الله الأعور، الهمداني، الكوفي، عن الشعبي قال: حدثني الحارث الأعور الهمداني، وكان كذابا. وقال أبو إسحاق زعم الحارث الأعور، وكان كذابا، وقال علي بن المديني: الحارث كذاب، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: سمعت أبي يقول: الحارث الأعور كذاب. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج٥ص٢٤٤).

(٢) انظر ترجمته في: المزي، تهذيب الكمال (ج٢٢ص١٠٢) ترجمة رقم (٤٤٠٠).

بل لم يكن يحيي يحدث عنه عن الحارث إلا ما قال فيه أبو إسحاق سمعت الحارث[١].

ثالثًا: أنه من رواية سعاد بن سليمان عن أبي إسحاق، وهو شيعي ضعيف[٢].

(١) انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج٥ص٢٤٥).

(٢) هو الجعفي، ويقال: التيمي، ويقال: اليشكري، ويقال: الكاهلي، الكوفي، قال أبو حاتم: كان من عتق الشيعة، وليس بقوي في الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج١٠ص٢٣٧) ترجمة رقم (٢١٩٧).

المبحث السادس

حديث حذيفة

روي هذا الحديث عن حذيفة من طريق: زيد بن الحسن الأنماطي، حدثنا معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع، نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث إليهن، فقمَّ ما تحتهن من الشوك، وعمد إليهن، فصلى تحتهن، ثم قام فقال: «**... وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ الثقل الأكبر كتاب الله ﷻ، سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تضلوا، ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليَّ الحوض**».

رواه الطبراني في الكبير (ج٣ص١٨٠ ح٣٠٥٢) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وكريا بن يحيى الساجي، قالا: حدثنا نصر بن عبد الرحمن الوشاء.

(ح) وحدثنا أحمد بن القاسم ابن مساور الجوهري، ثنا سعيد بن سليمان الواسطي.

و(ج٣ص٦٧ ح٢٦٨٣) قال: حدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا سعيد بن سليمان.

(ح) وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، وزكريا بن يحيى الساجي، قالا ثنا نصر ابن عبد الرحمن الوشاء.

كلاهما -سعيد ونصر- قالا حدثنا زيد بن الحسن الأنماطي فذكره.

وهذا حديث ضعيف، فإن مداره عن زيد بن الحسن الأنماطي، القرشي، أبو الحسين الكوفي، صاحب الأنماط، وهو ضعيف[1].

ولكن الحديث مع ضعفه، فإن القدر المقصود منه في بحثنا، وهو الوصية بالثقلين، جاء بلفظ صحيح، يشهد له حديث زيد بن أرقم الثابت عنه، وليس فيه ذكر الاعتصام بالثقلين، بل الاعتصام فيه مقصور على كتاب الله تعالى دون عترة النبي ﷺ.

وعودًا على حديث جابر السابق في المبحث الثالث، فإن هذا الحديث يؤكد ما تقدم هناك من أن الأنماطي قد دخل عليه حديث خطبة الوداع بحديث غدير خم، فكان عنده الحديثان غير أنه جعل متن حديث غدير خم مرويا بإسناد حديث خطبة الوداع، للتشابه الظاهر بين اللفظين.

---

(١) قال أبو حاتم: منكر الحديث، انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٥٦٠/٣) ترجمة رقم (٢٥٣٣)، وذكره ابن حبان في الثقات (٣١٤/٦) ترجمة رقم (٧٨٨٦)، وقال الذهبي في الكاشف: ضُعِّف، (ص٤١٦) ترجمة رقم (١٧٣١)، وقال الحافظ في التقريب: ضعيف (ص٢٢٣) ترجمة رقم (٢١٢٧).

المبحث السابع

حديث أبي ذر

روي هذا الحديث من طريقين عن أبي ذر:

الأول: عن مالك بن ضمرة عنه: أخرجها ابن عدي في الكامل (ج٣ص١٩٠ ح٦٩٠) قال: عباد بن يعقوب أخبرني علي بن هاشم عن زياد بن المنذر عن عمران بن ميثم عن مالك بن ضمرة عن أبي ذر قال لما نزلت هذه الآية يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال رسول الله ﷺ: «**تحشر أمتي يوم القيامة على خمس رايات، فأسألهم ماذا فعلتم في الثقلين**» وذكر الحديث.

وهذا حديث موضوع، فإن زياد بن المنذر هو: أبو الجارود الكوفي، من غلاة الشيعة، قال فيه ابن معين: كذاب، عدو الله، ليس يساوي فلسا، وقال أحمد: متروك الحديث، وقال ابن عدي -بعد أن ذكر بعض حديثه -: وهذه الأحاديث الذي أمليتها، مع سائر أحاديثه التي لم أذكرها، عامتها غير محفوظة، وعامة ما يروي زياد بن المنذر هذا في فضائل أهل البيت، وهو من المعدودين من أهل الكوفة الغالين، وله عن أبي جعفر تفسير وغير ذلك، ويحي بن معين إنما تكلم فيه وضعفه، لأنه يروي أحاديث في فضائل أهل البيت، ويروي ثلب غيرهم ويفرط، فلذلك ضعفه، مع أن أبا الجارود هذا، أحاديثه عن من يروي عنهم فيها نظر[1].

الطريق الثاني: عن حنش بن المعتمر عنه: لم أجد هذا الحديث إلا عند الدارقطني في العلل حيث سئل عن حديث حنش بن المعتمر، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ:

(١) انظر: ابن عدي، الكامل في الضعفاء (ج٣ص١٩٠) ترجمة رقم (٦٩٠).

«أيها الناس، أني تركت فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، ومثلها مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا». فقال: يرويه أبو إسحاق السبيعي، عن حنش، قال ذلك الأعمش، ويونس بن أبي إسحاق، ومفضل بن صالح، وخالفهم إسرائيل، فرواه عن أبي إسحاق، عن رجل، عن حنش، والقول عندي قول إسرائيل»[١]. وهذا حديث ضعيف كما هو ظاهر من كلام الدارقطني، فإن الصحيح في روايته، أن في إسناده رجلا مجهولا.

وحديث أبي ذر مع ضعفه من طريقيه ليس فيه عبارة: **«ما إن تمسكتم به لن تضلوا»** فهو ليس من حديث الشيعة في شيء، وإنما هو موافق للصحيح الثابت من حديث زيد ابن أرقم في الاقتصار على الوصية بالثقلين، دون الاعتصام بالعترة الطاهرة[٢].

---

(١) انظر: الدارقطني، العلل (ج٦ص٢٣٦) فقرة رقم (١٠٩٨).

(٢) وللحديث طرق أخرى عند الحاكم في المستدرك، والطبراني في الكبير لا تخلو من كلام، وليس فيها جملة البحث، فلم أذكرها.

المبحث الثامن

أحاديث الباب

المطلب الأول: أحاديث قصرت الوصية على كتاب الله تعالى.

أولًا: حديث أبي شريح الخزاعي.

عن عبد الحميد بن جعفر، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي شريح الخزاعي قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا، أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ، طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا**».

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ج٦ص١٢٥ ح٣٠٠٠٦) ومن طريقه:

عبد بن حميد (ج١ص١٧٥ ح٤٨٣).

وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (ج٤ص٢٨٢ ح٢٣٠٢).

والطبراني في المعجم الكبير (ج٢٢ص١٨٨ ح٤٩١) قال: حدثنا عبيد بن غنام.

وابن حِبَّان (ج١ص٣٢٩ ح١٢٢) قال: أَخْبَرَنا الحسن بن سفيان.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (ج٢٢ص١٨٨ ح٤٩١) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا ابن الأصبهاني.

والبيهقي في شعب الإيمان (ج٢ص٣٢٧ ح١٩٤٢) قال: أخبرنا أبو نصر بن

قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا أحمد بن الحسين بن نصر، حدثنا علي بن نصر، حدثنا **علي بن المديني**.

وفي (ج٢ص٣٥٢ ح٢٠١٣) قال: أخبرنا أبو الحسن بن أبي المعروف الفقيه، أخبرنا أبو سهل الاسفرائيني، حدثنا أبو جعفر الحذاء، حدثنا **علي بن المديني**.

ثلاثتهم -أبو بكر، وابن الأصبهاني، وعلي- قالوا: حدثنا **أبو خالد الأحمر**، فذكره.

فهذا الحديث مداره على أبي خالد الأحمر، وهو ثابت عنه برواية الثقات من تلاميذه، ويبقى النظر في أبي خالد فمن فوقه.

أما أبو خالد الأحمر فهو سليمان بن حيان الأزدي، من رجال مسلم، وهو ثقة، ولكنه يخطئ أحيانا[(١)]، فلا ينزل حديثه عن درجة الحسن، سيما إذا وجد له شواهد.

وأما عبد الحميد بن جعفر، فقد وثقه أكثر النقاد، وضعفه بعضهم[(٢)]، ولدى

---

(١) قال إسحاق بن راهويه: سألت وكيعا عن أبي خالد؟ فقال: وأبو خالد ممن يسأل عنه؟! وقال ابن معين: صدوق وليس بحجة، وقال مرة: ثقة، ومرة: ليس به بأس، وقال ابن المديني: ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو هشام الرفاعي: ثقة أمين، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وإنما أتى من سوء حفظه، فيغلط، ويخطئ، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: ثقة ثبت صاحب سنة. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج١١ص٣٩٤) ترجمة رقم (٢٥٠٤)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٤ص١٥٩). وقال الحافظ: صدوق يخطئ. تقريب التهذيب (ص٢٥٠) ترجمة رقم (٢٥٤٧).

(٢) قال أحمد وابن معين: ثقة، ليس به بأس، وكان سفيان يضعفه من أجل القدر، وقال ابن المديني عن يحيى ابن سعيد: كان سفيان يحمل عليه، وما أدري ما كان شأنه وشأنه، وقال أبو حاتم محلة الصدق، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال في الضعفاء: ليس بقوي، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وهو ممن يكتب حديثه، ووثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال الساجي: ثقة صدوق. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج١٦ص٤١٦) ترجمة رقم (٣٧٠٩)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٦ص١٠١) ترجمة (٢٢٥)، وقال الحافظ: صدوق رمي بالقدر، وربما وهم. تقريب التهذيب (ص٣٣٣) ترجمة رقم (٣٧٥٦).

البحث تبين أن ضعفه إنما جاء من قبل ما رمي به من القدر، وهذا لا يضر روايته هنا، كونها لا توافق بدعته.

وأما سعيد بن أبي سعيد، فهو ابن كيسان المقبري، الثقة المشهور، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن أبي شريح في الكتب الستة، ورواية عبد الحميد عنه عند البخاري معلقة، وعند مسلم، وعند أصحاب السنن عدا أبي داود(١).

وبناء على هذه الدراسة لإسناد هذا الحديث ومع ما له من الشواهد نستطيع أن نطمئن إلى أنه لا ينزل عن درجة الحسن.

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح(٢).

غير أني وجدت أن البيهقي قال عقب رواية هذا الحديث: ورواه الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن نافع بن جبير، عن النبي ﷺ مرسلا. قال البخاري: هذا أصح(٣).

ولم أجد هذه الرواية المرسلة في كتب السنة، ومقتضى قول البخاري أن تعارضا وقع في الحديث بين رواية عبد الحميد ورواية الليث، حيث اختلفا على المقبري،

---

(١) قال أحمد: ليس به بأس، وقال ابن المديني، وابن سعد، والعجلي، وأبو زرعة، والنسائي، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال الواقدي: كان قد كبر حتى اختلط قبل موته بأربع سنين، وقال يعقوب ابن شيبة: قد كان تغير وكبر، واختلط قبل موته، يقال بأربع سنين، حتى استثنى بعض المحدثين عنه ما كتب عنه في كبره، وقال ابن عدي: إنما ذكرت سعيدا المقبري لأن شعبة يقول حدثنا سعيد بعد ما كبر، وأرجو أن يكون سعيد من أهل الصدق، وقد قبله الناس، وروى عنه الأئمة والثقات من الناس، وما تكلم فيه أحد إلا بخير. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج١٠ص٤٦٦) ترجمة رقم (٢٢٨٤).

(٢) مجمع الزوائد (ج١ص٤١١ ح٧٧٩).

(٣) شعب الإيمان (ج٢ص٣٢٧ ح١٩٤٢).

فرواه الليث عن المقبري، عن نافع مرسلا، ورواه عبد الحميد عن المقبري، عن أبي شريح متصلا، ورجح البخاري حديث ابن سعد، ولكن هل هذا يعني أنه يضعف حديث عبد الحميد بهذا الإعلال.

لأول وهلة نشعر أن غاية كلام البخاري أن حديث الليث أصح من حديث عبد الحميد، وأن حديث عبد الحميد محتمل، ولدى النظر في هذا الخلاف نجد أن الجمع ممكن باحتمال أن يكون المقبري سمعه على الوجهين، وهذا احتمال سائغ، ولكن الإشكال في أن عدم رواية الليث عن المقبري لهذا الحديث على النحو المتصل، أمر يثير الريب في حديث عبد الحميد.

فهنا تساؤل، هل فعلا روى المقبري الحديث على الوجهين؟ فإن كان الجواب بنعم، فلماذا لم يرو الليث الحديث المتصل؟ يمكن أنه لم يسمعه منه! ولكن هذا من الناحية الحديثية احتمال ضئيل، لأن الليث من أعرف الناس بحديث المقبري، وإن كان الجواب بلا، فلا بد من الترجيح.

وإذا أردنا الترجيح فإن رواية الليث مقدمة على رواية عبد الحميد من وجهين:

الأول: أن الليث أوثق في نفسه من عبد الحميد.

الثاني: أنه أوثق في سعيد خاصة من عبد الحميد وغيره(١).

---

(١) قال عبد الرحمن بن يوسف بن حراش في المقبري: ثقة جليل، أثبت الناس فيه الليث بن سعد، انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج١٠ص٤٧٠) ترجمة رقم (٢٢٨٤). وقال حنبل بن إسحاق: سئل أبو عبد الله، ابن أبي ذئب أحب إليك عن المقبري، أو ابن عجلان عن المقبري، قال: ابن عجلان اختلط عليه سماعه من سماع أبيه، وليث بن سعد أحب إلي منهم فيما يروي عن المقبري، وقال أحمد أيضا: أصح الناس حديثا عن سعيد المقبري ليث بن سعد، بفصل ما روى عن أبي هريرة، وما روى عن أبيه عن أبي هريرة. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج٢٤ص٢٦١).

وعليه فإني لست على ثلج من صحة حديث أبي شريح -والله تعالى أعلم-.

ثانيًا: حديث جبير بن مطعم.

عن أبي داود الطيالسي، حدثنا أبو عبادة الأنصاري، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالجحفة، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وأن هذا القرآن جاء من عند الله؟**»، قلنا: بلى، قال: «**فابشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبدا**».

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج٢ص١٢٦ ح١٥٣٩) قال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي ثنا أبو حفص عمرو بن علي.

وفي المعجم الصغير (ج٢ص٢٠٩ ح١٠٤٤) قال: حدثنا محمد بن علي البزار الأصبهاني، حدثنا عبد الرحمن بن عمر -رسته-.

كلاهما -عمرو ورسته- قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي فذكره.

وهذا حديث غريب ضعيف، فقد قال الطبراني في الصغير بعد رواية الحديث: لم يروه عن الزهري إلا أبو عبادة، عيسى بن عبد الرحمن الزرقي، تفرد به أبو داود، لم يحدث به أبو داود إلا بالبصرة.

وقال الهيثمي: رواه البزار، والطبراني في الكبير، والصغير، وفيه أبو عبادة الزرقي، وهو متروك الحديث[1].

---

(١) مجمع الزوائد (ج١ص٤١٢ ح٧٨٠).

ثالثًا: حديث عبد الله بن عمر.

أخرجه عبد بن حميد في مسنده (ج١ص٢٧٠ ح٨٥٨) قال: حدثني بن أبي شيبة، حدثنا زيد بن حباب العكلي، حدثنا موسى بن عبيدة، قال: حدثني صدقة بن يسار، عن ابن عمر مرفوعا: أيها الناس قد تركت فيكم ما إذا اعتصمتم به لن تضلوا كتاب الله. اهـ باختصار.

وهذا حديث ضعيف تفرد به موسى بن عبيدة وهو ضعيف(١).

رابعًا: حديث زيد بن أرقم:

هذه رواية أخرى لحديث زيد بن أرقم لم أذكرها في المبحث الأول عند حديث زيد لأنها لا تشتمل على لفظ الوصية بالعترة الطاهرة، وإنما يقتصر الحديث فيها على الوصية بكتاب الله تعالى.

فعن يحيى بن جعدة، عن زيد بن أرقم، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى انتهينا إلى غدير خم، فأمر بروح فكسح، في يوم ما أتى علينا يوم كان أشد حرا منه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**يا أيها الناس، أنه لم يبعث نبي قط إلا ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم ما لن تضلوا بعده، كتاب الله** ﷻ»، ثم قام فأخذ بيد عليّ رضي الله عنه، فقال: «**يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، «**ألست أولى بكم من أنفسكم؟**»، قالوا: بلى قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**».

---

(١) موسى بن عبيدة بن نشيط، أبو عبد العزيز المدني، قال الحافظ: ضعيف، ولا سيما في عبد الله بن دينار، وكان عابدا. تقريب التهذيب (ج١ص٥٥٢) ترجمة رقم (٦٩٨٩). وأعله به الهيثمي فقال: رواه البزار، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. مجمع الزوائد (ج٣ص٥٨٧ ح٥٦٢٣).

أخرجها الحاكم في المستدرك (ج٣ص٦١٣ ح٦٢٧٢)، قال: أخبرني محمد بن علي الشيباني بالكوفة، حدثنا **أحمد بن حازم الغفاري.**

والطبراني في المعجم الكبير (ج٥ص١٧١ ح٤٩٨٦)، قال: حدثنا **علي بن عبد العزيز.**

كلاهما -أحمد وعلي- قالا: حدثنا أبو نعيم، حدثنا كامل أبو العلاء، قال سمعت حبيب بن أبي ثابت يحدث عن **يحيى بن جعدة،** فكره.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ظاهر هذه الرواية الصحة كما قال الحاكم، فإن إسناده، وإسناد الطبراني لا مغمز فيهما، وقد تابعا بعضهما على هذه الرواية متابعة جيدة، إلا أن فيها علة خفية، وهي تدليس حبيب، فقد رواه أبو العلاء عنه بصيغة موهمة للسماع، حيث قال: سمعت حبيب بن أبي ثابت **يحدث** عن يحيى بن جعدة، فكلمة يحدث توهم أنه سمعه منه والصحيح أنه حدَّث به عنه بالعنعنة، وحبيب مدلس مكثر -كما مرَّ سابقا- فلا يقبل منه إلا ما صرَّح به بالتحديث، فهذا الحديث ضعيف فيما أرى والله أعلم.

المطلب الثاني: أحاديث جعلت الوصية في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

أولًا: حديث أبي هريرة.

روي هذا الحديث عن أبي هريرة من طريق صالح بن موسى الطلحي عن عبدالعزيز ابن رفيع عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا، ما أخذتم بهما، أو عملتم بهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**».

أخرجه العقيلي في الضعفاء العقيلي (ج٢ص٢٥٠) ترجمة (٨٠٤) قال: حدثنا موسى بن إسحاق، حدثنا محمد بن عبيد المحاربي.

وابن عدي في الكامل (ج٤ص٦٩) قال: أنا أبو يعلى، حدثنا داود بن عمرو الضبي.

والحاكم في المستدرك (ج١ص١٧٢ ح٣١٩) قال: أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أنبأنا محمد بن عيسى بن السكن الواسطي، حدثنا داود بن عمرو الضبي.

والدارقطني في السنن (ج٤ص٢٤٥ ح١٤٩) قال: حدثنا أبو بكر الشافعي، أخبرنا أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن بن عمارة بن القعقاع، أخبرنا داود بن عمرو.

والبيهقي في السنن (ج١٠ص١١٤ ح٢٠١٢٤) قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران العدل ببغداد، أنبأنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس، حدثنا عبد الكريم بن الهيثم، أنبأنا العباس ابن الهيثم.

ثلاثتهم: (محمد، داود، العباس) عن صالح بن موسى الطلحي به.

وهذا حديث ضعيف، فإن مداره على صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة التيمي الكوفي، وهو ضعيف جدًا، متروك الحديث[1].

(١) فعن ابن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: ضعيف الحديث على حسنه، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث جدا، كثير المناكير عن الثقات، وقال النسائي: لا يكتب حديثه، ضعيف، وقال في موضع آخر: متروك الحديث، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد، وهو عندي ممن لا يتعمد الكذب، ولكن يشبه عليه ويخطئ، وقال العقيلي: لا يتابع على شيء من حديثه، وقال ابن حبان: كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات، حتى يشهد المستمع لها أنها معمولة، أو مقلوبة، لا يجوز الاحتجاج به، وقال أبو نعيم: متروك، يروي المناكير. انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج١٣ص٩٥) ترجمة رقم (٢٨٤١)، وابن حجر، تهذيب التهذيب (ج٤ص٣٥٤). وقال الحافظ: متروك. تقريب التهذيب (ص٢٧٤) ترجمة رقم (٢٨٩١).

وقد وجدت الهيثمي ذكر هذا الحديث في مجمع الزوائد(١)، وعزاه إلى البزار، من طريق صالح بن موسى نفسه، ولم أجده عند البزار، ولكن الغريب في رواية البزار أن الحديث جاء بلفظ: **كتاب الله ونسبي،** وبوب الهيثمي له بباب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم.

وهذا عندي تصحيف ظاهر، فإن بين كلمة (سنتي) وكلمة (نسبي) تشابها ظاهرا، فمن غيرها إلى نسبي فقد صحف، لأنه خالف رواية ثلاثة عن الطلحي.

ولأني لم أقف على إسناد البزار، فلا أستطيع أن أجزم بهوية المصحف، ولذلك احتمالات:

١- أن يكون التصحيف من قبل الراوي عن الطلحي عند البزار.

٢- أن يكون التصحيف وقع في نسخة الهيثمي من مسند البزار.

٣- أن يكون التصحيف من الهيثمي نفسه.

وعلى كلا الحالين فالحديث ضعيف لما تقدم.

ثانيًا: حديث ابن عباس.

أخرجه الحاكم في المستدرك (ج١ص١٧١) (٣١٨) قال:

حدثنا أبو بكر، أحمد بن إسحاق الفقيه، أنبأنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس.

وأخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني، حدثنا جدي، حدثنا ابن أبي أويس.

---

(١) مجمع الزوائد (ج٩ ص٢٥٦ ح١٤٩٥٨).

حدثني أبي -يعني عبد الله-، عن ثور بن زيد الديلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «**... يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**».

ومن طريقه الثاني أخرجه البيهقي في الكبرى (ج١٠ص١١٤) (٢٠١٢٣) قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرني إسماعيل بن محمد فذكره.

قال الحاكم: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة، واحتج مسلم بابن أبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم، وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفق على إخراجه في الصحيح: «**يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟**»، وذكر الاعتصام بالسنة في هذه الخطبة غريب، ويحتاج إليها، وقد وجدت له شاهدا من حديث أبي هريرة... فذكره.

وقال الذهبي في التلخيص: احتج البخاري بعكرمة، واحتج مسلم بابن أبي أويس، وله أصل في الصحيح. اهـ.

وهذا حديث غريب من حديث ابن عباس، تفرد به إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أبي أويس المدني عن أبيه، وكلاهما فيه كلام معروف عند أهل العلم[(١)]،

---

(١) أما إسماعيل فعن أحمد وابن معين أنهما قال: لا بأس به. وفي رواية عن ابن معين أنه قال: صدوق، ضعيف العقل، ليس بذاك، - يعني أنه لا يحسن الحديث، ولا يعرف أن يؤديه، أو يقرأ من غير كتابه-. وفي رواية: أبو أويس وابنه ضعيفان، وفي رواية: ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث، وفي رواية: مخلط، يكذب، ليس بشيء، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان مغفلا. وقال النسائي: ضعيف، وفي رواية: ليس بثقة، وقال اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه، إلى أن يؤدي إلى تركه، ولعله بان له ما لم يبن لغيره، لأن كلام هؤلاء كلهم يؤول إلى أنه ضعيف. وقال ابن عدي: وابن أبي أويس هذا روى عن خاله مالك أحاديث غرائب لا يتابعه أحد عليه، وعن سليمان بن بلال وغيرهما من شيوخه، وقد حدث عنه الناس، وأثنى عليه ابن معين، وأحمد، والبخاري=

أميل إلى عدم قبول روايتهما إلا فيما توبعا عليه، وهذا الحديث ليس كذلك.

وأما ما اعتمد عليه الحاكم من كون هذا الحديث له أصل في الصحيح فهو يعني حديث جابر المشهور في حجة الوداع، وهو لا يجدي نفعا في تصحيح الحديث، إذ هو شاهد لأصل الحديث، وأما ذكر السنة فغريب -كما قال الحاكم- فهي زيادة غريبة ممن لا يحتمل مثلها، والله أعلم.

ثالثًا: حديث أنس.

أخرجه الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان ج٤ ص٦٧ قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثنا عبد الواحد، قال: حدثنا هشام، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**».

وهذا حديث ضعيف تفرد به يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس، وهو ضعيف(١).

=يحدث عنه الكثير، وهو خير من أبيه. تهذيب الكمال (ج٣ص١٢٤) ترجمة رقم (٤٥٩). وقال الحافظ: صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه. تقريب التهذيب ترجمة رقم (٤٦٠).

وأما أبوه عبد الله فقد تقدم آنفا بعض ما قيل فيه، وقال أحمد: صالح، وقال ابن معين: صالح، ولكن حديثه ليس بذاك الجائز، وفي رواية: ليس بقوي، وفي رواية: ضعيف، وفي رواية: صدوق وليس بحجة. وقال ابن المديني: كان عند أصحابنا ضعيفا. وقال عمرو بن علي: فيه ضعف، وهو عندهم من أهل الصدق. وقال البخاري: ما روى من أصل كتابه فهو أصح. وقال أبو داود: صالح الحديث، وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال أبو ابن عدي: يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: صالح صدوق، كأنه لين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وليس بالقوي. تهذيب الكمال (ج١٥ص١٦٦) ترجمة (٣٣٦١). وقال الحافظ: صدوق يهم. تقريب التهذيب (ص٣٠٩)، ترجمة رقم (٣٤١٢).

(١) انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج٣٢ص٦٤) ترجمة رقم (٦٩٥٨)، وقال الحافظ: ضعيف، تقريب التهذيب (ص٥٩٩) ترجمة رقم (٧٦٨٣).

رابعًا: حديث عمرو بن عوف.

عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**».

رواه ابن عبد البر في التمهيد (ج٢٤ص٣٣١ ح١٢٨)، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الديبلي، قال: حدثنا علي بن زيد الفرائضي، قال: حدثنا الحنيني فذكره.

تتمة:

روى مالك في الموطأ (ج٢ص٨٩٩ ح١٥٩٤)، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**».

قال ابن عبد البر: «وهذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد، وروى في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث، من أحاديث أبي هريرة وعمرو بن عوف»(١).

قلت: أما شهرته عند أهل العلم فلا تعني شهرته عند أهل الحديث، ومن جهة أخرى، فإن شهرة الحديث -حتى عند المحدثين- لا تستلزم صحته، وما ذكره ابن عبد البر من وصله، فقد تقدم ما فيه في هذه الأحاديث الأربعة.

المطلب الثالث: أحاديث قصرت الوصية على العترة الطاهرة.

فيه حديث الحسن بن علي.

---

(١) التمهيد (ج٢٤ص٣٣١ ح١٢٨).

عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن إبراهيم بن إسحاق الصيني، حدثنا قيس بن الربيع، عن ليث بن أبي سليم، عن ابن أبي ليلى، عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أنس، انطلق فادع لي سيد العرب** -يعني عليا-»، **فقالت عائشة** رضي الله عنها: ألست سيد العرب؟ قال: «**أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب**».

فلما جاء علي رضي الله عنه، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأنصار فأتوه، **فقال لهم**: «**يا معشر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**هذا علي، فأحبوه بحبي، وكرموه لكرامتي، فإن جبريل** صلى الله عليه وسلم **أمرني بالذي قلت لكم عن الله** عز وجل».

أخرجه الطبراني في الكبير (ج٣ص٨٨ ح٢٧٤٩) بهذا الإسناد.

وأبو نعيم في الحلية (ج١ص٦٣) قال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان المعدل، به.

وهذا حديث منكر، قاله ابن كثير(١)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن إبراهيم الضبي، وهو متروك(٢).

---

(١) الهندي، كنز العمال (ج١١ص٩٢٩ ح٣٣٠٠٧).

(٢) مجمع الزوائد (ج٩ص١٧٩ ح١٤٧٥٣).

المبحث التاسع

دلالة الحديث عند الروافض وأهل السنة

استدل الروافض بهذا الحديث على عدة أمور، وبالتأمل في هذه الدلالات نجد أنها قائمة على جملة «ما إن تمسكتم به لن تضلوا»، فمن ذلك(١):

الدلالة الأولى: وجوب التمسك بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة، وذلك لأن النبي ﷺ **جعل التمسك بهما عاصمًا من الضلالة**، ومن كان التمسك بع عاصمًا من الضلالة، فالتمسك به واجب، والمراد بالتمسك بأهل البيت -عليهم السلام-: وجوب تلقي الإسلام والقرآن منهم، وإطاعتهم والعمل بأوامرهم ونواهيهم والاقتداء إلى الله تعالى بهم.

الدلالة الثانية: انحصار النجاة بالتمسك بالعترة وبالكتاب، فلا نجاة لأحد من الأمة إلا بالتمسك بالعترة الطاهرة، وبالكتاب العزيز دون غيرهما، والفرقة الناجية هي الفرقة المطيعة لربها تعالى، ولنبيها ﷺ، وهي المتمسكة بهما معًا.

الدلالة الثالثة: عصمة العترة النبوية من المعاصي والأخطاء والاشتباه، لأن النبي ﷺ **أوجب التمسك** بهم، ومن يحتمل معصيته وخطؤه واشتباهه، يستحيل أن يأمر الله تعالى بالتمسك به، فلو لم يكونوا معصومين، لجاز أن يكون المتمسك بهم ضالًا، وبما أن الأمر النبوي بالتمسك بهم مطلقًا بدون قيد، دل على هداية من تمسك بهم مطلقًا، ومن كان التمسك به هداية دائمًا، فهو معصوم.

---

(١) منقول باختصار عن موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: http: ar.wikiprdia.org/wiki.

الدلالة الرابعة: أنهم أعلم الناس بعد النبي ﷺ، قال السمهودي: «والحاصل أنه لما كان كل من القرآن العظيم والعترة الطاهرة معدنًا للعلوم الدينية والأسرار والحكم النفسية الشرعية، وكنوز دقائقها، أطلق ﷺ عليهما «الثقلين»، ويرشد لذلك: حثُّهُ في بعض الطرق السابقة **على الاقتداء والتمسك** والتعلم من أهل بيته»(١).

الدلالة الخامسة: أنهم بحكم الله تعالى أئمة هذا الزمان: **لأن من وجب التمسك بع لضمان الهداية والعصمة من الضلالة كان معصومًا**، ولا بد أن يكون عالمًا بالشريعة تمام العلم في عقائدها وأحكامها، وهذا بلا شك هو المستحق لمنصب الإمامة، وخلافة الرسول ﷺ، وليس من يفتقد هذه الصفات.

الدلالة السادسة: أن إمامتهم مستمرة إلى يوم القيامة.

الدلالة السابعة: أنهم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ.

هذا ملخص ما استدل به الروافض من هذا الحديث، وقد رأيت أن كل استدلالاتهم منه، قائمة على جملة «**ما إن تمسكتم به لن تضلوا**»؛ إذ ليس في الحديث جملة غيرها تفيد هذا إفادة صريحة.

ولذا، فإن هذه الاستنباطات جميعها تسقط بمجرد معرفة أن هذه الجملة مدرجة من قِبل بعض الرواة في الحديث على سبيل العمد أو الوهم، وجوابنا عليهم كما قيل قديمًا: (أثبت العرش ثم انقش)؛ بمعنى: أثبت ورود هذه الجملة في حديث غدير خم، ثم استدل، وإلا فهو استدلال مبني على باطل متوهم.

فالحديث بدون هذه الجملة لا متمسك فيه البته للروافض، بل هو صريح بمذهب

---

(١) جواهر العقدين (٢٤٣).

أهل السنة الذي يقوم على وجوب التمسك بالكتاب العزيز، الذي يتضمن التمسك بالسنة الشريفة؛ لدلالة نصوص القرآن عليها.

وأما أهل البيت عند أهل السنة: فالواجب محبتهم، ورعاية حرمتهم، وحفظ حقوقهم، وتوقيرهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والحديث الذي في مسلم، إذا كان النبي ﷺ قد قاله؛ فليس فيه إلا الوصية باتباع كتاب الله، وهذا أمر قد تقدمت الوصية به في حجة الوداع قبل ذلك، وهو لم يأمر باتباع العترة، ولكن قال: «**أذكركم الله في أهل بيتي**»، وتذكير الأمة بهم يقتضي أن يذكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك: من إعطائهم حقوقهم، والامتناع من ظلمهم، وهذا أمر قد تقدم بيانه قبل غدير خم»(١).

وقال -أيضًا-: «والذي رواه مسلم: أنه بغدير خم، قال: «**إني تارك فيكن الثقلين، كتاب الله**»؛ فذكر كتاب الله، وحضَّ عليه، ثم قال: «**وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**» ثلاثًا. وهذا مما انفرد به مسلم، ولم يروه البخاري، وقد رواه الترمذي، وزاد فيه: «**وإنهما لن يفترقا، حتى يردا عليَّ الحوض**»، وقد طعن غير واحد من الحفَّاظ في هذه الزيادة، وقال: «إنها ليست من الحديث»، والذين اعتقدوا صحتها قالوا: «إنما يدل على أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم، لا يتفقون على ضلالة»، وهذا قاله طائفة من أهل السنة، وهو من أجوبة القاضي أبي يعلى، وغيره»(٢).

---

(١) منهاج السنة (٣٩٥/٧).

(٢) منهاج السنة (٣٩٧/٧).

الخاتمة

الحمد لله على عظيم فضله وإحسانه، وجليل نعمته وإكرامه، وصلى الله وسلم على حبيبه ومختاره، وبعد هذه الجولة الحديثية بين أسانيد حديث الوصية بالثقلين ورواياته، أقف لأسجل أهم ما خلصت إليه الدراسة من نتائج مبنية على الحجة والدليل، فيما بلغه علمي وانتهى إليه جهدي:

أولًا: بينت الدراسة من خلال البحث الحديثي؛ حقيقة الوصية بالثقلين -كتاب الله والعترة الطاهرة-؛ وهي: أن النبي ﷺ أوصى بالتمسك بكتاب الله تعالى، وأوصى بعترته خيرًا.

ولم يصح في أي من طرق حديث غدير خم -حديث الثقلين- ولا غيره من الأحاديث، ورود جملة: «**ما إن تمسكتم به لن تضلوا**».

وبهذا تسقط جميع استدلالات الروافض بحديث الثقلين على وجوب التمسك بمذهب آل البيت، أو عصمتهم، أو إمامتهم.

ثانيًا: جملة البحث، وهي: «**ما إن تمسكتم به لن تضلوا**»، لم تثبت إلا في حديث حجة الوداع؛ حيث وصّى رسول الله ﷺ فيها بكتاب الله تعالى فقط.

ثالثًا: لا يثبت أبدًا الوصية بالعترة الطاهرة في حديث حجة الوداع.

رابعًا: يحاول الروافض أن يثبتوا أن الوصية بالثقلين تكررت في عدة مواطن، وبعدة ألفاظ، مستندين في ذلك إلى ورود الحديث عن عدد كبير من الصحابة، ومسترشدين بأقوال بعض علما السنة الذين صرَّحوا بذلك.

وقد أثبتت الدراسة أن الوصية بالثقلين لم ترد إلا في حديث غدير خم، وفي واقعة واحدة لا غير، رويت عن عدد من الصحابة الذين شهدوا الغدير، وقد كانوا كثيرًا، ويدل على هذا تشابه ألفاظ المتون إلى حد كبير.

وقد تبين من خلال الدراسة: أن تعدد الألفاظ، كان نتيجة للخلط من بعض الرواة بين حديث حجة الوداع، وحديث غدير خم، وهذا ما جعل بعض علماء السنة؛ يقرُّون بتعدد الواقعة.

خامسًا: روي حديث حجة الوداع، بثلاثة ألفاظ، هي:

الوصية والاعتصام بكتاب الله تعالى فقط، وهو الصحيح دون سواه.

الوصية والاعتصام بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وأسانيده لا تخلو من ضعف.

٣- الوصية والاعتصام بكتاب الله تعالى وعترة النبي ﷺ، وهذا حديث معلول، بعلة دخول حديث في حديث، فقد أدخل بعض الرواة وهمًا منه حديث غدير خم في حديث حجة الوداع.

سادسًا: يختلف حديث غدير خم عن حديث حجة الوداع في سياقه ومعناه، من حيث أن حديث غدير خم يشتمل على التمسك بكتاب الله، والوصية خيرا بآل بيت النبي ﷺ، وحديث حجة الوداع يشتمل فقط على التمسك بكتاب الله تعالى، ولهذا لا تصح لفظة: «**ما إن تمسكتم به لن تضلوا**» في حديث غدير خم، وإنما هي في حديث حجة الوداع، ومن أدخلها على حديث غدير خم فقد أفسد معناه ومبناه.

سابعًا: حديث زيد بن أرقم كان يوم غدير خم، واللفظ الصحيح الثابت عنه

ليس في شيء من طرقه ذكر الاعتصام بالعترة الطاهرة، وإنما فيه الاعتصام بكتاب الله تعالى فقط، ثم الوصية خيرا بالعترة الطاهرة، وإضافة لفظ: «لن تضلوا ما اتبعتموهما» لا يثبت في أي من طرقه.

ثامنًا: حديث أبي سعيد كان يوم غدير خم، وهو ضعيف من كلا طريقيه، وهو مع ضعفه لا يشتمل في أي من طريقيه على عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا».

تاسعًا: حديث جابر بن عبد الله كان يوم حجة الوداع، والصحيح الثابت المشهور فيه أنه بلفظ: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله»، ووهم من زاد فيه عبارة: «وعترتي أهل بيتي».

عاشرًا: حديث زيد بن ثابت كان يوم غدير خم، وهو حديث حسن، روي عنه بلفظين، أحدهما بزيادة عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا»، والثاني بدونها، ومع ذلك فكلاهما عندي حسن، إذ لا فرق بينهما في المعنى على ما بينته في موضعه، وإن كان أصح الطريقين هو بدون هذه العبارة.

حادي عشر: حديث علي حديث غريب ضعيف.

ثاني عشر: حديث حذيفة بن اليمان حديث غريب ضعيف، وهو مع ضعفه صحيح المعنى، فإن جملة الوصية بالثقلين جاءت فيه بلفظ صحيح.

ثالث عشر: حديث أبي ذر مع ضعفه من طريقيه ليس فيه عبارة: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا».

رابع عشر: فيما يتعلق بأحاديث الباب فحاصل الآمر فيها على النحو الآتي:

أ. وردت ثلاثة أحاديث فيها الوصية بكتاب الله تعالى فقط بلا خلاف في روايتها هي:

١- حديث أبي شريح الخزاعي: وهو محتمل للتحسين.

٢- حديث جبير بن مطعم: وهو ضعيف.

٣- حديث عبد الله بن عمر: وهو ضعيف.

ب. وردت أربعة أحاديث فيها الوصية بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ بلا خلاف في روايتهما هي:

١- حديث أبي هريرة ضعيف، ومع ذلك فالصحيح في روايته أنه بلفظ: «**كتاب الله وسنتي**» ووهم من جعله بلفظ: «ونسبي».

٢- حديث عبد الله بن عباس: وهو ضعيف.

٣- حديث أنس بن مالك: وهو ضعيف.

٤- حديث عمرو بن عوف.

ج. ورد حديث واحد فيه الوصية بعلي فقط بلا خلاف في روايته، وهو حديث الحسن بن علي، وهو حديث منكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين

وكتب

أبو جعفر منصور بن محمود الشرايري

إربد - الأردن

المصادر والمراجع

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥-١٩٧٥،تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١-١٩٥٢.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت المصنف.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، منهاج السنة النبوية، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، تحقيق: د. محمد رشاد سالم منهاج السنة.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تقريب التهذيب، دار الرشيد - سوريا الطبعة الأولى، ١٤٠٦-١٩٨٦، تحقيق: محمد عوامة.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تهذيب التهذيب، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤-١٩٨٤.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦-١٩٨٦، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند.

ابن عدي، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩-١٩٨٨، تحقيق: يحيى مختار.

ابن ماجه القزويني، السنن، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧-١٩٧٧، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، السجستاني، السنن، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، المسند، مؤسسة قرطبة - القاهرة.

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، التاريخ الصغير، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧-١٩٧٧، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، التاريخ الكبير، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧-١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب.

بشار عواد معروف وآخرون، المسند الجامع، الطبعة الأولى.

البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤-١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

الترمذي، محمد بن عيسى لسلمي، السنن، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت.

الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي.

الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد، الجزء الثالث والعشرون من حديث أبي الطاهر، محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

الذهبي،: محمد بن أحمد، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣-١٩٩٢، تحقيق: محمد عوامة.

الذهبي، محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، الطبعة بلا.

الصوري، محمد بن علي، الفوائد المنتقاة، والغرائب الحسان، عن الشيوخ الكوفيين، دار الكتّاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤-١٩٨٣، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥، تحقيق: طارق ابن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.

العقيلي، محمد بن عمر، الضعفاء الكبير، دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي.

العلائي، أبو سعيد بن خليل، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧-١٩٨٦، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

المزي، يوسف بن الزكي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

النسائي، أحمد بن شعيب، المجتبى من السنن، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦-١٩٨٦، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

الهندي، علي بن حسام الدين المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩م.

الهيثمي، نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ.

الحسن البصري ومنهجه في التدبر

دراسة مهداة إلى فضيلة العلامة المحدث الداعية

أبي إسحاق الحويني

تأليف

الدكتور عادل رفوش

المشرف العام والمدير العلمي

لمؤسسة ابن تاشفين للدراسات والأبحاث والإبداع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع شأن أهل العلم وجعل محبتهم دينًا والثناء عليهم ذكرًا، تتنزل بمآثرهم الرحمات ويبثون في الخلائق الأسوة الحسنة لرفيع الدرجات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا وحبيبنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإنه قد جرت عادة الكبراء من أهل العلم سلفًا وخلفًا أن يخصوا أهل الحظوة المُثلى بين الناس أو بين الأماكن، برفع ما تجود به قرائحهم من كتابات وإهداء ما تحققه أناملهم من مصنفات، لِعَلَمٍ في الخير مشهور كخليفة أو وزير أو إمام أو لمحل بالعز معمور كمسجد أو خزانة أو مقام -مقام سُنَن وليس مقام بدع-، وقد يسر الله لي التعرف عن قرب على عَلَمٍ من أعلام عصرنا وهو الشيخ المحدث الألمعي العلامة الحويني فحججت معه سنة ٢٠٠٠ تقريبًا والتقينا في ربوع الحرمين حرسهما الله مرات عديدة وحظيت منه بتواصل حسن وعهد كريم لا يستغرب من عبد عالم سُني تقي مثله، ناهيك عن تتبعنا لنتاج فكره وجديد قلمه منذ أَمَدٍ أولًا بأولٍ، فلما أذن الله بأن نرد لشيخنا الجليل بعض فواضله ونشكر بعض فضائله لم أجد أحسن من سيرة الأولين لأرفع لجنابه الكريم بحثًا تفسيريًّا أثريًّا أصله ورقة علمية كنت شاركت بها في المؤتمر العالمي لتدبر القرآن الكريم عن منهج الإمام الحسن البصري رحمه الله ورضي عنه في تدبر القرآن وتفهمه، والشيخ معتن بتراث السلف كثيرًا ومهتم بمعينِ تفسيرهم إذ أبرز مكنونًا من ذلك في عنايته الخاصة بتفسير ابن كثير المشهور، فارتأيتُ أن أضعه بين يديه هدية مقدمًا بين يديها بكلمة عن فضيلته وبقصيدة في بعض خصاله،

وددت لو أني أُتيح لي الكلام بها في غير هذا الآن الذي تُباد فيه حلبُ وبلاد الإسلام وتكالب عليها الكفار والطغاة والمنافقون..

ولا أحد من المسلمين يحرك ساكنًا إلا بكاءً على الأطلال أو تشفيًا في النساء وفي الأطفال والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

وحرصي ولله الحمد على قبول هذه الدعوة الكريمة لأشارك في هذا العمل المبارك ليس إلا قيامًا لله بالحق وشهادة بالقسط في رجل يستحق منا كل حب وكل وفاء وكل تقدير...

فكونُ فضيلة الشيخ المحدث العلامة المصري أبي إسحاق الحويني؛ أحدَ أعمدة العلم والدعوة في العصر الحديث؛ وأحد المؤثرين في الخطاب الإسلامي الذين لهم الوجاهةُ البليغة في شرائح واسعة من مجتمعاتنا الإسلامية وشباب الصحوة الملتزم بقيم هذا الدين العظيم؛ أصبحَ أمرًا جليًّا سَرِيًّا لا تُخطئه عين المنصف ولا يتجاهله قلم المؤرخ إلا مِن جَور نفْسٍ أو نقص اطلاعٍ..

فإذا عددنا في كثيرٍ من البلاد الإسلامية مجموعة شخصيات أثرت في أحداث أوطانها وساهمت في يقظة أمتها؛ فإننا نكاد نجزم بتفرد العلامة الحويني في أرض مصر مُلتحقًا بحقبة الأكابر التي قادها أساطين الدواوين كالعلامة رشيد رضا والعلامة أحمد شاكر والعلامة يوسف القرضاوي جزى الله الجميع خير الجزاء ورحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم وأتم علينا وعليهم بالحسنى..

فمصر هي الدوحة الجمعاء وهي القصيدة العصماء تجسد المجد في أعلامها وترجل العز في مرابعها؛ ولئن نتأ في خلالها ما كان بلاء على العرب والمسلمين في نزوات

الدهور، فإنه كان له فيها أبدًا دواء من دائه وشفاء من بلائه، فمصر ترياق السموم من داخلها ومن خارجها.. وقد شهد الزمان بجميل ثباتها وحسن اصطبار أئمتها، ليأتي فضيلة الشيخ الحويني وَلِيًّا يرثهم ويرث من آل الكنانة الأبرار، كل خصلة في البذل العلمي والعطاء الدعوي والتجديد الحديثي... بحضور واسع ومؤلفات محررة -وبالأخص فيما تأخر منها- وأسلوب شيقٍ سهلٍ جزلٍ في العَرْض وفي المغزى، وبتحمل كبير لأنواع الأذى في سبيل الله والمواجهة الصريحة لكثير من الجهات التي اتخذت الدين والسنة والصحابة عدوهم اللدود من العلمانيين والخرافيين والمُجَرِّحين والمستبدين، فكان الشيخ حريصًا على الذود بحكمة، مجتهدًا في الدفع والرفع بما أقدره الله عليه أو عذره فيه..

متخذًا من المنهج السلفي الرصين بوصلةً لتوجيه قِبلة رؤيته الإسلامية الصافية الأصيلة لا يبغي عنها بدلًا ولا يتخذ عنه حِولًا، فالإسلامية أساسٌ والسلفية -الحَقَّةُ- معيارٌ...

حاملًا مِشعل الدرس الحديثي، بَعْثًا للتراث وتحقيقًا للمتون وتنقيحًا في الأسانيد وتحريرًا لأقاويل أئمة الشأن وفرسان الميدان، ذَا نَفَسٍ طويلٍ في التحري والتنقيب، لا يمنعه من حسن المراجعة لما قَصَّر فيه القَلَمُ فيؤوبُ من قريبٍ..

مستعينًا بعد الله بذهن ذكي وذوقٍ زكي، وقلبٍ يجاري الأفهام ويلائم العواطف، فلا يكاد يختم ترحاله في موضوعٍ، حتى يصطفي لك بحسن السَّبْر والتمييز، من بين قديمه وجديده ما يفصمُ جوهره عن الخزف والنوى والصَّلَف...

وإذا كان واجبًا علينا الاحتفاء بعلمائنا المعاصرين حتى لا يضيع التأريخ فيلحقنا

التوبيخ؛ فإن من أحق علمائنا النابهين المعاصرين بِسَمِيِّ الإشادة وسَنِيِّ التكريم هو فضيلة الشيخ العلامة الحويني.

وقد يكون هذا متعيناً عينياً على أمثالنا في العدوة القصوى من بلاد الغرب الإسلامي حيث أحفاد الداني والمكي وابن عبد البر وابن القطان وأبي علي القالي وسليمان الجزولي والشاطبيين أبي إسحاق وأبي عبد الله وابن آجروم الصنهاجي رحمهم الله أجمعين؛ لنحقق ما كان عند سلفنا من صلة حسنى لرحم العلم بين المشرق والمغرب وبالأخص بين مصر وبلاد مراكش بين الأزهر والقرويين بين ثغر الإسكندرية ومكناسة الزيتون؛ حيث عبق الأجداد وجميل الأحاديث ما زالت آثاره متوارثة يشهد عليها عندنا مختصر سيدي الشيخ خليل المصري واعتمادنا في قراءة نافع المدني رواية ورش المصري؛ ومثلها ثَمَّت أعلام مغاربة أقاموا صروح القاهرة كابن مالك النحوي وأبي حيّان المفسر البحر المغربيان الأندلسيان ناهيك عن أئمة السلوك من الأولياء الصالحين على سبيل السلف الأماجد المُتَّبعين...

فنزف لشيخنا العلامة الحويني ألوكة التقدير؛ ليتجدد لأمتنا رفع الأعلام التي تكون لهم قدوة في السير إلى الله العلَّام؛ وليتصل سند الخلف بالسلف في وجود النماذج التي تحرس دين الله فتنفي التحريفَ الغالِ وانتحالَ الإبطالِ؛ وما سَوَّلَتْهُ نَفْسُ سامِرِيةِ الجُهَّالِ؛ وأن مسيرة تذكرة الحفاظ لن تنقطع بِسَقْطٍ؛ وسلسلة سير أعلام النبلاء لن تُبَتَّ بسوءِ ضبْطٍ؛ وأن الموقعين عن رب العالمين حجةً على الناس إلى يوم الدين سيبقون ما بقي المَلَوان وتخالف الجديدان؛ بمدادهم المسبوك عِلْمًا أو بدمهم المسفوك ظُلْمًا؛ فوق المنابر مُبَلِّغين أو تحتَ بطشِ السجون حتى حين... فكم لله في المحن من منح ورحم الله شيخَ شيخي عبد الرحمن ووالده الحافظ عبد الحي الكتاني

وغفر الله لنا وله الذي لم يُخل أيام ابتلائه من فائدة فصنف لنا كراسته الماتعة:

«ما عَلِقَ بالبال أيامَ الاعتقال» فكانت مسامتة وربما زكت عن كثير مما صُنِّف في عُنْفوان البَلالِ، ورُبَّ انقطاعٍ مؤذنٍ بكمالِ الاتصال.

وصدق الله الكبير المتعال إذ قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ولله در أبي الفضل بهاء الدين زهير إذ قال:

وَاللهُ قَدْ جعل الأيامَ دائرةً ... فلا ترى راحةً تبْقى ولا تَعَبَا

ولله در شيخي الحافظ العلامة محمد سالم ابن عدود رحمه الله فيما روَّاني عن والده العلامة محمد عال رحمه الله من شعره (وهو جَدُّ شيخي العلامة المتفنن محمد الحسن ولد الددو -حفظه الله- «جَدُّهُ لأُمِّه، ومحمد سالم خالُ الددو» وعنه كتبتها أيضًا) إذ يقول -في لحظةٍ من توكل المنيبين لا المتواكلين- نور الله ضريحه وقدس روحه:

يا قلبُ ثِقْ بِضَمانِ القادرِ الباري ... على يقينٍ من الباري بإخبارِي

ولا تُحرِّكْ بتدبيرِ المَعاشِ يدًا ... ولا لِسانًا بإيرادٍ وإصْدَارِ

كَمْ ليلةً بِتَّ فيها بَيْنَ أربعةٍ ... ذُلٍّ وجوعٍ وخوفِ الفقرِ والعارِ

فبينما أنتَ فيها غيرَ مُكْتَسِبٍ ... وَلَا مُعَلِّقَ تَدْبِيرٍ بِدَيَّارِ

وَافَتْكَ مِنْ نفحاتِ اللهِ ساريةٌ ... تَؤُمُّ دَارَكَ مِن دارٍ إلى دارِ

ولن أسدل ستار هذه الكلمات المنثورات حتى أتبعها بكلمات منظومات أقبلن من خيام الفكر مقصورات؛ لأختم بها هذه الديباجة الموجزة بين يدي هذا البحث

المتواضع، سائلًا الله سبحانه حسن الصنيع بنا وبالشيخ الكريم وبأسرته المباركة وبطلبته وأحبابه والمسلمين وأن يبارك في أعمالنا وأعمارنا وأن يختم لنا بالحسنى إنه جواد كريم وبالإجابة جدير والحمد لله رب العالمين..

قصيدة في الشيخ الحويني نفع الله به

إمام الكانة

أَيَا حُسْنَى الدَّلالِ بِمِعْصمينِ ... حَنانَيكِ السِّبَاءُ بناظِرَيْنِ
جمالكِ ساحِرٌ وعلى اليدينِ ... خضابكِ كالآلِئ واللُّجينِ
وَكُحْلٌ فِي جُفُونٍ ناعِساتٍ ... تُنَاغِيهَا وُرُودُ الوَجْنَتَيْنِ
فَوَصْلًا يا كَحِيلَ الطَّرْفِ أَشْفِقْ ... على عَيْنَيْنِ كالنَّضَّاخَتَيْنِ
فَمَهْمَا قَدْ تَنَاهَى فيكَ مَدْحٌ ... فَلَيْسَ يُسامتُ الجَبَلَ الحُويني
إمامُ كِنانةٍ، كُنَّتْ لديهِ ... مِنَ السَّلَفِ الأُلَى أَخْلَاقُ هَوْنِ
جَميلُ اللَّفْظِ عذْبٌ في خِطابٍ ... يَزِينُ نداءَهُ كَرَمُ اليَدَيْنِ
حَجَجْنَا وَالمَشَاعِرُ شَاهِدَاتٌ ... نُلَبِّي وَالدُّمُوعُ كَغَرْبِ عَيْنِ
يُذاكِرُنا بِتَذْكِيرٍ وَعِلْمٍ ... فَنَرْقَى فَوْقَ سَطْحِ الفَرْقَدَيْنِ
يَفُكُّ وِثاقَ نفسٍ في رِقاقٍ ... فتغدو طُهْرَةً مِنْ كُلِّ رَيْنِ
يُحَلِّيها بأخبارٍ لِطافٍ ... تُحَلِّي السَّامِعِينَ بِكُلِّ زَيْنِ
وَلَمْ تَغِبِ الشَّوَاهِدُ عَنْ عُدولٍ ... «قناةُ النَّاسِ» شاهدةٌ لِذَيْنِ
أَذَاعُوا الخيرَ مِنْ سُنَنٍ وهَدْيٍ ... فَشَاعَ النُّورُ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ
فَلَمْ تَهْدَأْ لِإِبْلِيسَ الطَّوايا ... إلى أنْ سَامَهَا في النَّاعِيَيْنِ
فكانَ الشيخُ محتسبًا صبورًا ... فما التدبيرُ بَيْنَ الحرَّتَيْنِ؟؟؟
وَقُوتُ الناسِ في قِيلٍ وقالٍ ... ووَقْتُ الشيخِ بَيْنَ المُسْنَدَيْنِ

وَقُوتُ النَّاسِ في طَمَعٍ تَهاوى | وَقُوتُ الشيخِ زُهْدٌ في البُطَيْنِ
تَرَبَّعَ عَرْش تحديثٍ بصدقٍ | فَأَدَّى النَّافِلَاتِ وَفَرْضَ عَيْنِ
وَكَمْ مِنْ دِقَّةٍ أَجْلَى رُباهَا | وَقَدْ كانتْ غَمِيسًا بَيْنَ بَيْنِ
يُغيثُ مِنَ المعاجمِ بالأمالي | ويحكُمُ كالمَدِيني والرُّعَيْني
وَإنْ عَرَضَ المذاهِبَ نَحْوَ فَهْمٍ | تَغَيَّى فِيهِ خَيْرَ المَذْهَبَيْنِ
وَيحْترِمُ الأئمةَ باتباعٍ | وَلَا يقفو ابْتِدَاعَ الطاعِنَينِ
«مُقَلِّدَةً» أَصَمُّوا عَنْ دليلٍ | وَ«مَدْخَلَةً» تُسَاوِي فَلَسْتَيْنِ
وَقاكَ اللهُ يا شَيْخَ المعالي | شُرُورَ العابِثِينَ وَكُلَّ شَيْنِ
وَأنزلَنا وإياكُمْ رضاهُ | بأنعُمِهِ بخيرِ المَنْزِلَيْنِ
وَصلِّ إلهَنا مَلِكَ الأناسي | وَرَبَّ النَّاسِ رَبَّ المشْرِقَيْنِ
على المختارِ أحمدَ ذي المزايا | وآلٍ مَعْشَرٍ وَالصَّاحِبَيْنِ
لَكَ الحمْدُ الذي ترضى لترضى | فَأَكْرِمْ بِالرِّضَى وَالجَنَّتَيْنِ

محبكم عادل بن المحجوب رفوش المغربي

مراكش

٢٢ رجب ١٤٣٧هـ/١ مايو ٢٠١٦م

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلى الله على نبيه ومصطفاه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فلم أكن متهيأً للمشاركة في هذا المؤتمر السَني السُني، الذي يعقد لأخْيَرِ ما يأتمرُ الناس حوله ويتنادون من أجله: كتاب الله تعالى.

وفي لب لباب علومه المرشد إلى هدايته: علم تدبره، وكيف تعاطاه العلماء الأجلاء عبر قرون منذ أزمنة السلف الصالح إلى زماننا المعاصر...

فلما طُلِب مني ذلك غير بعيد عن قرب الانعقاد، وفي ظرفية تتسم بالازدحام لتداخل المواسم والانشغالات، لم أستطع إلا تلبية الدعوة لما فيها من السعادة بالقوم الذين لا يشقى بهم جليسهم.

وإني لأرجوا من الله تعالى أن يتقبلنا وإياهم في الصالحين...

ومما زاد من رغبتي في المشاركة اقتراحهم «الإمام الحسن البصري» موضوعًا لعرضي المقتضب الوجيز...

وللرابطة السلفية التي تعلق قلوبنا بأولئك الأئمة الأعلام، فإن للإمام الحسن وقعًا متميزًا لما يحظى به من رفيع المقام بين أعلام الإسلام...

غير أنني صرت مترددًا في اقتفاء منهجه رضي الله عنه حتى أوفيه بعض حقه الواجب له علينا:

فالإمام معلمة في الفقه، حتى يكاد يتميز له بين الفقهاء مذهب خاصٌّ، ولكن هذا الباب ليس مباشرًا فيما نحن بصدده.

والإمام معلمة في القراءات، حتى صار له في القراء مقرأ خاص ما زلنا نرويه عن شيوخنا في الأربع الزوائد على العشر، بل صنف في مفردته مصنفات، وذكر له في ثنايا المطولات مئات الحروف التي تروى عنه، وتشكل الوجه القرائي لأئمة البصرة وللقراءات القرآنية عمومًا...

والإمام معلمة في التفسير، فلا تكاد تطالع تفسيرًا إلا وأحصيت للإمام فيه مئات النقول المسندة والمرسلة في بيان معاني كلام الله تعالى...

وإذا أردنا أن نوفي العَرْضَ حقه -من غير تكلف ولا توليدٍ- فإن استقراء خطاه في تدبر كلام الله، يستدعي الإحاطة بنظره الفقهي والقرائي والتفسيري جميعًا...

ولو أردنا الاقتصار على النوع الثالث لكونه مباشرًا، فإننا سنجابه بمانع آخر متمثلٍ في أن الإمام لم يؤلف تفسيرًا يسهل هذا المبتغى، وإنما الموجود مجاميع جمعت كلامه المتناثر في التفسير كما هو الدأب في عموم أئمة هذه الحقبة التي كانت علومها في الصدور أكثر من السطور...

وأما المانع الأبرز الذي أراه أكثر حضورًا في التأثير على ماهية العَرض المقتَرَح من اللجنة المنظمة وفقها الله، وهو مناهج التدبر عند الإمام الحسن البصري، فهو عسر استخراج المقصود حسب المصطلح المتواضَع عليه، فإن كلمة «مناهج» تقتضي «المعالم والقواعد».

وكلمة «التدبر» تقتضي البحث في أدبار المعاني ونكات الدلالات وشفيف

الاستنباطات، وهذا بحسب ما آلت إليه علوم التفسير ومناهج البحث في دقائقه عند المتأخرين والمعاصرين؛ يعسر تطبيقه عند تفاسير الأولين، لا لخلو تفاسيرهم منه، ولا لعدم عطائهم فيه، كلَّا..

وكيف يُدَّعى ذلك وهم أساطين الكلام ودواوين العلم والإيمان؟

وكل كلام لا يستند لعلومهم وسلوكهم، فهو إلى اللغط والغلط أقرب...

ولكن المراد هو المطابقة بين آفة المصطلح وحتمية التطبيق:

- فسعة علوم السلف.
- وفصاحة سليقتهم لسانًا وبيانًا.
- وتقدم زمانهم.
- واعتمادهم على المشافهات أكثر من المكاتبات...

هذه الدواعي الأربعة هي التي تدعو لمزيد استخراج من كلام الله، ولذا يكثر التثوير عند المتأخرين لأن الدواعي الأربعة اجتمعت فيهم وزادت.

وأما الأولون فما احتاجوا إلا بمقدار، فما أشبههم بعهد النبي صلوات ربي وسلامه عليه -لقربهم منه- في أنه لم يحتج إلى التأليف فيه أو تفسير كل حرف منه، فضلًا عن ذكر ما يمكن تنزيل كتاب الله عليه واستخراج ما يحتمله من دلالات لم تظهر قبل لديه.

إذًا، فنحن أمام واقع يلزمنا ونحن نتباحث «مناهج التدبر» أن لا نكلف كلام الأولين ما لم يقتضه زمانهم ولا دعت إليه حاجاتهم، وفي الوقت نفسه نتغيا ما زبره

المتأخرون، كالذي نلحظه عند القرطبي مثلًا في استخدام علوم القرآن وآياته العظام في ذكر أحوال من تاريخ الأندلس وأوضاع الطوائف ورد المقولات ونحو ذلك...

وعليه فإنني بادئ ذي بدء أنبه على هذا المعطى، لكي أكون معتذرًا بين يدي الإمام وبين يدي هذا المؤتمر الكريم.

لقد اعتمدت في تتبع تفسير الإمام رحمه الله على سرده كاملًا من الفاتحة إلى الناس -في أيام معدودات بعد الحج-، والذي وفق لجمعه الأستاذ الشيخ أحمد فريد المزيدي، وطبع عن دار الكتب العلمية في جزأين ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م؛ مع التأمل فيما هو منقول عنه في ثنايا المطولات..

وكنت رأيت في إحدى مكتبات المدينة المنورة مجموعًا آخر لتفسير الحسن البصري في خمس مجلدات، ولكني لم أستطع الحصول عليه هذه الفترة وأنا بالمغرب، وهو من تأليف الأستاذين الدكتور علي شاه الباكستاني والدكتور محمد عبد الرحيم المصري نفع الله بهما...

أقول: لقد حاولت من خلال هذا المجموع لتفسيره أن أتلمس بعض ما يتطابق مع الاصطلاح، فلم أسلم من الفقد الذي ادعيته سلفًا، لأن عادة تلك التفاسير هي المعاني المجملة وتفسير بعض الغريب وذكر بعض أحوال النزول، وإن كان للإمام الحسن تميز ظاهر حتى عُدَّ أصل تفاسير التابعين.

وله ميزة أخص في استخلاص مواعظ القرآن وبث المواعظ من القرآن، حتى صار يسميه بعض الناس بالتفسير الوعظي، وهو باب عظيم القدر بالغ الأهمية بل هو القلب واللب، مع ما للإمام من تواجد في أحداث زمانه التاريخية والسياسية كما يعلم من مطولات سيرته والكتابات حوله...

وباب المواعظ هو أغلب ما استخلصنا منه بعض معالم التدبر عند هذا الإمام رضي الله تعالى عنه وأرضاه...

وإن كان الأليق لرسم معالم التدبر عند الإمام الحسن البصري هو قَصُّ أثره من خلال ثلاث شعب ذات ظل ظليل:

١- في علم القراءات، وهو ذو مقرإ ما زال يروى ويسند.

٢- وفي علم الفقه، وهو ذو مذهب ما زال يذكر ويفرد.

٣- وفي علوم التفسير، وهو فيه آيةٌ لا تخطئها العين.

ولكن سراديب الوقت ومعدود الصفحات لم يسعفنا لتناول كل ذلك، فاقتصرنا منه على معالم المعاني، ومن تلك المعاني انتقينا الأظهر والأهم، محاولين بحول الله تقريب ذلك بالقاعدة والمثال في فصلين.

وقد ذكرت في هذا العَرْض:

١- مقدمة ذكرت فيها مفهوم التدبر الاصطلاحي ودواعيه عند المتقدمين والمتأخرين بإيجازٍ.

٢- ثم تمهيد في لمحة عن سيرة الإمام والكتب التي اعتمدتها أصالة لهذا العرض -دون المراجع-.

٣- ثم فصل في مقدمات التدبر عند الإمام في خمس مسائل.

٤- ثم فصل في نماذج من تطبيق التدبر عنده من أول القرآن إلى آخره -دون مقارنات لضيق المحل-.

٥- ثم خاتمة في التذكير بأهم القضايا والاستنتاجات..

والله تعالى أعلم.

هذا الإمام

رجلٌ ملأ ذكره الآفاق، ولم تكد تخل من ترجمته الكتب العِتاق؛ بل أفرد سيرته جماعة؛ كابن الجوزي رحمه الله في كتابه: (آداب الحسن البصري ومواعظه)؛ ط. دار الصديق.

وكتاب شيخنا صالح أحمد الشامي: (مواعظ الحسن البصري)؛ ط. المكتب الإسلامي.

مع بحث لطيف استفدت منه كثيرًا: (وصايا الإمام الحسن البصري لأهل القرآن) لمؤلفه: أبي عبد الله حمزة النايلي؛ ط. دار الإمام البخاري.

ورسالة علمية محكمة في سبر مرويات الإمام الحسن البصري في الكتب الستة...

ورسالة علمية في فقه المقارن في أربعة أجزاء مع جزء وافٍ في ترجمته؛ للدكتورة روضة جمال الحُصري..

وغير ذلك؛ وهو كثير...

وُلد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه.

وترعرع في خلافة عثمان، وشب في خلافة علي رضي الله عنهم أجمعين.

زَرعَ فيه حب العلم وحفظ القرآن والعمل به؛ جيلُ الصحابة الفريد ومجتمع المدينة دار الهجرة التي كانت حديثة عهد بالوجود النبوي، وزاخرة بوفرة كبار الصحابة والتابعين؛ ناهيك عن كفالة في بيت أمنا أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ التي كانت أمه خَيْرَةُ مولاةً عندها، وتلمذةٍ مباشرة من ابن عباس وبين يدي أنس بن مالك -رحل معه بعد إلى البصرة ولم يخرج بعد منها إلا للحج مرتين-.

وما زال يستمد من نور الصحبة حتى كان يشبه في كلامه بالأنبياء، وفي فصله بعمر بن الخطاب، وفي هديه بعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبه تخرج سادات السلف الصالح، كأيوب السختياني وبكر بن عبد الله المزني وقتادة ومنصور بن المعتمر...

ولا نستطيع في قبس من ترجمته إلا أن نشير إلى ما نقل الذهبي في وصفه مجلسه إذ قال في النبلاء: «وقال جعفر بن سليمان: «كان الحسن من أشد الناس، وكان المهلب إذا قاتل المشركين يقدمه».

وقال أبو سعيد بن الأعرابي في «طبقات النساك»: «كان عامة من ذكرنا من النساك يأتون الحسن، ويسمعون كلامه، ويذعنون له بالفقه، في هذه المعاني خاصة».

وكان عمرو بن عبيد وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له، وكان له مجلس خاص في منزله، لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن، فإن سأله إنسان غيرها، تبرم به وقال: «إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر».

فأما حلقته في المسجد فكان يمر فيها الحديث، والفقه، وعلم القرآن، واللغة، وسائر العلوم، وكان ربما يسأل عن التصوف فيجيب، وكان منهم من يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص، كعمرو بن عبيد وأبي جهير وعبد الواحد بن زيد وصالح المري وشميط وأبي عبيدة الناجي، وكل واحد من هؤلاء اشتهر بحال -يعني في العبادة-» اهـ من السير للإمام الذهبي.

فتأمل حياة هذا العَلَم بين العِلْم والنسك والجهاد في سبيل الله تعالى..

ولذلك قال الذهبي: «كان سيد أهل زمانه علمًا وعملًا»(١).

قال الأعمش: «ما زال الحسن البصري يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»(٢).

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام(٣): «مناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة، كان رأسًا في العلم والحديث، إمامًا مجتهدًا كثيرَ الاطلاع، رأسًا في القرآن وتفسيره، رأسًا في الوعظ والتذكير، رأسًا في الحلم والعبادة، رأسًا في الزهد والصدق، رأسًا في الفصاحة والبلاغة، رأسًا في الأيْد والشجاعة».

ذلكم شيخ الإسلام الحسن بن يسار أبو سعيد البصري المتوفى بالبصرة سنة عشر ومائة ١١٠هـ رحمه الله تعالى.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٥).

(٢) الحلية لأبي نعيم (٢/١٤٧).

(٣) (ج٧/ص٤٩).

الفصل الأول

التهيؤ للتدبر عند الحسن البصري

إذا سلمنا بضرورة حسن الإقبال على القرآن ليتحقق كسر أقفال القلوب بحسن التأدب، وتبديد غشاوة النفس وران الطبع الخاتم عليها -عياذًا بالله- بحسن التوكل والتفهم؛ فإننا سنجد الإمام الحسن البصري يجعل من التزكية للتعليم شعار حياة لكل المسلمين عمومًا ولأهل القرآن خصوصًا.

العلم العملي:

فهو يرى التأثر بالقرآن عملًا واتباعًا أهم درجات قراءته والعلم به؛ فالتدبر الأمثل هو العمل المستقيم، وأن أهل القرآن حقًّا -كما قال ابن القيم رحمه الله-[١]: «أهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلبٍ، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه فليس من أهله، وإن أقامَ حروفَهُ إقامة السهم».

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «إنَّ أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرؤه»[٢]، أي: يحفظه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من تدبر القرآن طالبًا للهدى منه؛ تبين له طريق الحق»[٣].

---

(١) في الزاد (١/٣٣٨).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص١٣٦).

(٣) المجموع (٣/١٣٧).

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عبد البر[١] قال: «الذي يفوق الناسَ في العلم جديرٌ أن يفوقهم في العمل».

ويجلي الإمام الحسن هذا التدبر بألوان من التشخيص الظاهري على سيما المتدبرين فيقول: «والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل. وإلّا نَصَبَ وإلّا ذابَ وإلّا تعِب»[٢].

وقال: «إن الرجل إذا طلب القرآن والعلم لله ﷻ لم يلبث أن يرى ذلك في خشوعه وزهده وحلمه وتواضعه»[٣].

وذكر الغزالي في الإحياء[٤] عنه قوله: «والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كَثُرَ حزنه وقَلَّ فرحُهُ وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته»[٥].

التلازم واللزوم:

وأن هذا التدبر يستحق من المتدبر «حياة يحياها مع القرآن»، و«عيشة راضية به ومعه في كل الأحوال».

وهذا هو ما عبر عنه الإمام بمصطلح «اللزوم» إذ يقول: «الزموا كتاب الله وتتبعوا أمثاله وكونوا فيه من أهل البصر»[٦].

---

(١) في الجامع (٢/١٠).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/١٣٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي (ص٩٤).

(٤) الصفحة (١٢٨٥).

(٥) نقلًا عن رسالة: وصايا الإمام الحسن لأهل القرآن (ص٥٣)، جمع وتعليق: الأخ الفاضل حمزة النايلي.

(٦) رواه الآجري في أخلاق حملة أهل القرآن (ص٤).

فلا بصيرة بلا لزوم والتزام، ولا تدبر بلا تتبع واستقراء.

ويرتكز هذا الأساس عند الإمام الحسن على أحد أهم علوم القرآن، وهو السَّبْحُ الطويلُ في «أمثال القرآن» التي تعتبر جوامع العلوم ومفاتيح الرِّبِّيين إلى الربانية، لما ترشد إليه من «التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس، مع بيان موازين المدح والذم والثواب والعقاب، وتفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر»(١).

عَرْضُ النفسِ:

ومن تجليات هذا اللزوم «دوام العَرض» على القرآن في حياة التوبة الدائمة، حياة محاسبة للنفس ومراجعة للفكر وتقييم للقناعات، ووزن للموازين بأعدل ميزان وأصدق لسان: كتاب الله تعالى..

وهو معنى ما أرشد إليه الحسن إذ قال: «رحم الله عبدًا عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب»(٢).

وقال رحمه الله: «من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن»(٣).

ورحم الله الحافظ المناوي إذ قال(٤): «فمن لم يجعل القرآن إمامه، فقد بنى على غير أساسٍ، فانهار به في نار جهنم».

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٨١٥/٤).

(٢) الآجري (ص٣)، وابن الجوزي (ص٩٤).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (ص١٣).

(٤) في الفيض (٥٣٥/٤).

قال ابن تيمية: «من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية»(١).

اللذة والذوق:

ومن تجليات هذا اللزوم الهادي إلى حسن التدبر: «التذوق والتلذذ»، فإن العلم والإيمان ليس طقوسًا جوفاء ولا قوانين صامتة بلا طعم شهي ولا لوم بهي ولا ريح زكي، ولكنه نور وروح وقرة عينٍ.

وقد كان الإمام يقف أمام مائدة القرآن وفي ضيافة الرحمن مع أهل الله وخاصته أهل القرآن، وكأني به يعايش تلك الموائد وذلك الحضور بكل أسباب الإدراك الظاهرة والخفية والعَلية، انتهاجًا لمقام الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه**»، وأن تستأنس بالواد القرآني المقدس الذي بورك من حوله، فلا ترجع من ميعاده إلا بألواح النور والهداية تنطبع في قلبك وروحك من مناجاة الذي قال لكليمه موسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه:١٤].

ثم قال له: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧].

فالحضور بين يديه والتجرد إلا منه في التوجه إليه، مطلب هام في تدبر كلماته التي تمت صدقًا وعدلًا، وهذا لا يتأتى إلا بالرضى به والتذوق لطعم خطابه الأقدس.

ولذا قال الإمام الحسن: «تفقدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلم أنَّ بابَك مغلقٌ»(٢).

(١) نقله ابن القيم في المدارج (٤٣١/١).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٧١/٦)، والبيهقي في الشعب (٤٤٧/٥).

حجب التدبر:

حماية المتدبر نفسه من موانع التدبر، وهي ألوان من أدران النفوس ورعوناتها؛ قسوة في القلب وتفريطًا في العمل وطمعًا في الدنيا وحرصًا على أهلها وتملقًا إلى سلاطينها، ولذلك لما دخل الحسن ﵀ على الوزير ابن هبيرة واعظًا ناصحًا، ثم خرج من عنده، فإذا بجمع من علماء التملق على الأبواب منتظرين!

فقال لهم[1]: «ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء! أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجزرتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد».

وقال السيوطي في (ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين): عن الحسن أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين، فقال: «أقرحتم جباهكم، وفَرْطَحْتم نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟! أما إنكم، لو جلستم في بيوتكم لكان خيرًا لكم، تفرقوا فرق الله بين أعضائكم».

وأخرج ابن النجار عن الحسن أنه قال: «إن سرَّكم أن تسلموا ويسلم لكم دينكم، فكفوا أيديكم عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا ألسنتكم عن أعراضكم، ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيلبسوا عليكم دينكم»[2].

---

(١) السير (٤/٥٨٦).

(٢) المورد العذب المعين في آثار أعلام التابعين (٢/١٩٤).

الفصل الثاني

حياة التدبر عند الحسن البصري؛ نماذج وأقوال

المبحث الأول: في تدبر مقرأته:

إذا اعتبرنا -كما أشرنا سابقًا لمقرأ الإمام الحسن- قراءته رافدًا من روافد التدبر عنده، واستحضرنا جانب الاختيار في رواية القراءة كما هو معروف عند أهل الأداء، فلا شك أن النظر في بعض حروفه يجعل المتدبر والمفسر، أمام معاني أرحب ودلالات لآيات القرآن أكثر إشراقًا وإخباتًا، كما في:

١- قراءته: «**وقولوا للناسِ حُسْنى**» على معنى الأفضلية في الحسن المأمور به في تبليغ رسالة الإسلام(١).

٢- وفي قراءته: «**تلك أمانِيْهم**» بمد الياء ساكنة، ووافقه من العشرة أبو جعفر المدني، وما تضفيه على الآية من التحذير من معنى «القراءة الجوفاء» التي تجعل العلم قراطيس وتجعل الفكر أوهامًا، فلا تنفع إذ ذاك أمانِيُّ الأمانِي(٢).

٣- وقراءته: «**فَنَظْرَةٌ إلى ميسرة**» بإسكان الظاء، ما يضفي على معنى الإنظار المتواتر، معنى النظر العطوف والشفقة على المدين وتخفيف وطأة المغرِم عليه، بِرًّا وإحسانًا رجاء الإحسان من الله الذي يحب المحسنين(٣).

---

(١) انظر مفردة الحسن (ص٢١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (٤٠١/١).

(٢) انظر المفردة (ص٢٢٠)، والنشر لابن الجزري (٢١٧/٢).

(٣) انظر المفردة (ص٢٣٣)، والبحر المحيط (٣٤٠/٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٤٦/٢)، والإتحاف (٤٥٨/١).

٤- وقراءته: «**فالقُ الأَصباحِ**» بالفتح على الجمع لا بالكسر على المصدرية، وما تدل عليه من تعدد الإشراقات على مختلف الأكوان، ونعمة النور التي تعم كل الشعوب وكل الكائنات وفي كل الأصقاع[١].

٥- وقراءته: «**إنهم لا إيمانَ لهم**» كابن عامر في السبعة لا على جمع يَمينٍ كالجمهور «أَيمان»، بل على معنى نفي الإيمان وإثبات الكفرِ لهم، بما قام فيهم من نواقضه التي تلغي كل عهد وتبطل كل نفاقٍ[٢].

٦- وقراءته: «**ولا أَدْرَأْتُكم به**» في يونس[٣]، على معنى الإعلام وعدم الحرص على مبارزتهم بالمخالفة، وهو معنى مهم يضاف لمعنييها عند ابن كثير بخلف عن البزي: «**ولَأَدْراكم**» بلام الابتداء للتأكيد، وعند باقي القراء العشرة على نفي الدراية لولا أن الله علمه ما لم يكن يعلم[٤].

٧- وقراءته: «**في غِيبَةِ الجب**» التي أفادتنا إلى ظلمات غيابات الجب وقعره السحيق، معنى المدة الزمنية الطويلة التي غاب فيها يوسف عليه السلام عن العالمين لولا رعاية رب العالمين سبحانه[٥].

٨- وقراءته: في خاتمة سورة الرعد: «**قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومِنْ عِندِهِ عِلْمُ الكتاب**».

---

(١) انظر المفردة (ص٢٧٧)، والدر المصون (٥/٥٩)، والإتحاف (٢/٢٣).

(٢) انظر المفردة (ص٣٠٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/١٥).

(٣) وذكرها بعضهم «ولا دَرَأْتُكم به».

(٤) انظر المفردة (ص٣١٥)، والبحر المحيط (٥/١٣٣)، والقرآت الشاذة للشيخ القاضي (ص٥٢).

(٥) انظر المفردة (ص٣٢٧)، وانظر الإتحاف (٢/١٤١)، والقرآت الشاذة للقاضي (ص٥٥).

ولا يخفى على المتدبر كم لهذا الحرف من ظلال وارفة وزلالات عذبة، يذوب لها قلب الناظر رِقة وخشوعًا، فلا يطمع في علم إلا من الله تعالى، ولا يفتح بابًا لاستنباط فتوحاته إلا بالتذلل بين يدي عالمه ومُنزله سبحانه، فمنه وبه تنزيله وحفظه وقراءته وفهمه وعلمه وإليه يعود كل شيء، لا علم لنا إلا ما علمنا تبارك وتعالى(١).

٩- وقراءته: في فاتحة القصص: «ويَرَى فرعونُ وهامانُ وجنودُهما» على الفاعلية لا على المفعولية، وبمثله قرأ حمزة والكسائي وخَلف خلافًا لباقي العشرة، وإليه أشار ولي الله الشاطبي في الحرز بقوله:

وَفِي نُرِي الْفَتْحَانِ مَعْ أَلِفٍ وَيَا ئِهِ، وَثَلَاثٌ رَفْعُهَا بَعْدُ (شُ) كِّلَا

١٠- وقراءته في حرف سورة الرحمن ﷻ: «يرسل عليكما شِواظٌ مِنْ نارٍ ونَحْسٍ»، فأضاف لقراءة الجمهور التي أفادت العذاب الحسي بالنحاس المُحمى الصَّاهِرِ المذاب، العذابَ المعنوي الذي يلقاه أهل النار فيه عياذًا بالله غضبًا ومقتًا ونَحْسًا حتى تكاد بهم تَمَيَّزُ مُنْفَجِرَةً غيظًا(٢).

فهذه عشرة كاملة من مواضع تحيط بالقرآن كله، أردنا أن نبرز بها ما لاختياره في روايته من تأثير على معالم التدبر عنده، وكأني بالحسن البصري ﵀ يؤكد لنا ضرورة الإحاطة بحروف القرآن وظواهر قراآته وصنوف علومه، لمن أراد أن يحقق التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ.

وأن الإمام ﵁ أفادنا بتميز قراءته معاني غزيرة واستنباطات جليلة، وأن قراءته

---

(١) انظر المفردة (ص٣٤٠)، والطبري (١٧٧/١٣)، والمحتسب لابن جني (٣٥٨/١).

(٢) انظر المفردة (ص٥٠٥)، والقرطبي (١٧٢/١٧)، والإتحاف (٥١١/٢)، والقاضي في القراآت الشاذة (ص٨٥).

مجردةً هي تدبر عملي حاصل بالتلاوة والسماع؛ قبل التفسير والتأويل؛ ناهيك عن التدبر والاستنباط والتثوير..

المبحث الثاني: في معاني مغانيه:

وإذا أردنا أن ندخل «بوابة التأمل» عند سيدنا الإمام، وباستحضار ما سبق وأشرنا إليه من طبيعة تفاسير تلك الحقبة؛ وحاولنا أن نتلمس ما هو حري «بمصطلح التدبر» وداخل في المراد منه؛ وغير منصاعين إلى تكثير الصفحات بما هو شرح أو تفسير أو توضيح؛ فإننا لن نجد تلك الوفرة التي نطمح إليها؛ والتي لا نشك بأن أئمتنا كالحسن البصري كانوا أعلامًا فيها؛ ولو أنه وصلنا كل ما قالوه وجميع ما كتبوه؛ أو لو أنهم عاشوا إلى زماننا وتأولوا عليه الكتاب المحكم؛ لرأينا من تدبرهم العجب العجاب؛ لأنهم جمعوا كل وسائله؛ وأخصها: القلب الطاهر واللسان الذاكر والعقل الظاهر، مع التوفيق الوثيق من الأوَّل الآخر سبحانه.

أولئك الذين كان الواحد منهم يَدخلُ الناس من يهود ونصارى في دين الله أفواجًا؛ بمجرد سماعهم له وهو يفسر القرآن، ويُفتق معاني الإيمان منه، ويفجر أودية المعرفة فيه؛ كما ذكروا في سيرة ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما..

إذًا فالذي سنعرضه بعد استعراضنا تفسيره القرآن كاملًا مع بعض المقارنات والمقاربات؛ هو بمثابة الفوائد التدبرية عنه رضي الله عنه؛ وليس هو قواعد بمعنى الحصر الكلي لمجموعات كثيرة من الجزئيات...

لأننا لا نستطيع أن نتكلف ما ليس موجودًا؛ والله تعالى أعلم.

نعم؛ لو أنه اجتهد أصحاب هذا المؤتمر الكريم؛ واستغلوا هذه الجهود المباركة من أفاضل العلماء والباحثين المشاركين؛ فضموا ما ذكر عن الحسن البصري إلى غيره من

نظائره وتفاسير أهل حقبته، فيمكن إذ ذاك أن تستقى من الأمثلة العديدة قواعد معدودة محددة، يُلخص بها «تقعيد التدبر»[١] عند الطبقة العليا من مفسري السلف...

فإذا استفتحنا بالذي هو خير -وهو فاتحة الكتاب-، فإننا نلحظ في إمامنا:

١- اعتماد الرواية أصلًا للتدبر:

فلا يصح عنده الافتيات على المنقول أو تجاوز دلالاته لما هو دونها، فَضلًا عن المجيء بما هو أجنبي عنه أو معارض له، فهذا يجعل من دعاوى الابتكار في التدبر، أشبه بالعبث والتقول والتكلف، ولا يسلم من ذلك إلا من استوعب المنقول وأحاط بالمأثور ثم هو بعد ذلك بين يدي مأدبة الله فليظهر من فتوحاته ما يشاء.

ولذلك يكثر إمامنا من الرواية عن الرسول ﷺ، وعن الصحابة رضي الله عنهم، ويجعلها أصلًا لكل اجتهاد واستنباطٍ، كما في تفسيره السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة، وكان يكره تسميتها بأم الكتاب -في قولٍ- لظاهر آية الحجر: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩][٢].

٢- بنية الكلمة هي المعنى الأقرب:

أ- فالكلمة من حيث أساس تركيب الكلام، لا يتجاوز بناؤها في عملية التدبر، بل ينظر في الكلمة: أصلها وزوائدها وتصرفات اشتقاقاتها، فتؤخذ منها المعاني الأولية لأي إرشاد تدبري، كما ستأتي الإشارة إليها في الاستخدام اللغوي عند الإمام رحمه الله تعالى، ولذا نراه حينما تأول «السبع المثاني» بأنها سورة الفاتحة.

---

(١) وليس مطلق التفسير! فتنبه.

(٢) تفسير الحسن البصري (١/ ٢١).

قال ﷺ: «لأنها تُثَنَّى في كل صلاةٍ وفي كل قراءةٍ».

وكذلك في تفسيره التقوى «بالاتقاء» الذي يقتضي الابتعاد والترك والتفادي...

فقال ﷺ: «ما زالت التقوى بالمؤمنين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافةَ الحرام».

فيجعل الأقرب في بنية الكلمة هو الأولَ دخولًا كما رأيتَ.

ب- ومن المعنى الأقرب الذي تدل عليه الحقيقة اللغوية؛ فإنه يعطي الأولوية للمعنى الأقرب للحقيقة الشرعية:

كما في حمله إقامة الصلاة في «يقيمون الصلاة» على المفروضة؛ لأنها أساس الحفاظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

ويبرز الزكاة المفروضة في مضمون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣].

ج- كما أنه يحتاط لذلك المعنى الأقرب أن يدخل فيه ما ليس منه فيحترز بإبعاده؛ كقوله عن قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤] قال: «القرآن والتوراة والإنجيل والزبور؛ يصدقون بها ولا يعملون إلا بما في القرآن»(١).

وهذا من دقيق فهمه الذي بفقدانه وقع بعض أهل زماننا من دعاة العلمانية ومرتزقة الغرب الليبراليين؛ في دعوى تقارب الأديان ووحدة الأديان، وتحريف معنى أن التوراة فيها هدى ونور... كما هو معروف في محله؛ نخلطوا بين التزكية الماضية والتصديق بالكتب، وبين داعي التشريع والهيمنة...

كما قال ربنا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

---

(١) تفسيره (٢٥/١).

وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

وهو عين ما بينه ﷺ عن اليهودية والنصرانية حماية لعروة الإسلام من كل الأباطيل، فقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢] قال: «لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله»(١).

د- ورغم الاهتمام الملحوظ «باللفظة» استخدامًا واحترازًا، فإنه لا يبالغ باستقصاء ما لا يظهر له فيها، وذلك دأب منه على منهج السلف الكِرام في ترك تكلف ما لم يبلغه علمه.

ومنه قوله في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦]: «لا أدري ما الضريع؟ ولم أسمع فيه من الصحابة شيئًا».

وفي قولٍ عنه فسره: بالزقوم، قال: «وهو بعض ما أخفاه الله من العذاب»(٢).

ومن صور تركه التكلف اللفظي والمعنوي، كاختياره عدم تفسير الحروف الفواتح، كفاتحة الأعراف، وسائر مواضعها في القرآن العظيم.

وتركُهُ التباحثَ في الفرق بين السيئة والخطيئة كما يلوح من ظاهر التعاطف بينهما، في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١].

---

(١) تفسيره (٣٧/١)، وانظر كما أفاد محققه تفسير ابن كثير (٢٤٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/١).
(٢) (٤٢٧/٢)، وانظر تفسير القرطبي (٣٠/٢٠).

فيقول[(١)]: «السيئة هاهنا الشرك أو الكبيرة من الكبائر، وما ندري ما الخطيئةُ؟ يا بُنَيَّ اتل القرآن فكل آية وعد الله عليها النار فهي الخطيئة».

فهو يوقظ لما ينبني عليه عمل وما تتعلق به النجاة، دون تكلف ما لا يحتمل... والله تعالى أعلم.

٣- التقيد باللفظ القرآني:

أ- فحينما يخلو لفظ النظم القرآني من الحكم المقيد لظاهر الإطلاق، فإنه يتخذ ذلك قرينة على الرخصة كما هو مذهبه في الترخيص للمتوفى عنها زوجها بالتزين والتصنع ولا يرى الإحدادَ شيئًا، وذلك والله أعلم لأن لفظ القرآن خلا منه، واقتصر على ذكر العِدة أربعة أشهر وعشرًا براءةً للرحم، وما زاد اعتبره حسنًا وليس لازمًا، على ما يعرف تفصيله في كتب الفروع عند الفقهاء.

ب- وكان إذا قرأ آية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥] يفسر الأضعاف بتدبر عجيب وتأمل يأخذ بمجامع الأفئدة بخمسة أنواع:

«أن الله أعطى الناس الدنيا قرضًا وسألهم إياها قرضًا:

١- فما أعطوه فلهم به العشرة إلى السبعمائة إلى ما لا يعلمه إلا الله...

٢- فإن أخذ منه مُصيبةً فعليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون...

٣- وإن شكروا بلسانهم فالله يزيد في آلائهم...

---

(١) (٤٧/١)، وانظر زاد المسير (٩٠/١).

٤- وإن اقترفوا به الخطايا فهو يقبل التوبة منهم...

٥- والخامسة من العطاء والمضاعفة وهي ربيع القلوب، قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

ثم قال عن الخامسة: «فلو أعطيها جبريل وميكائيل عليهما السلام وجميع النبيين لكان قد أجزل لهم العطاء»(١).

ج- وهكذا نرى الحسن البصري لا يميل مع المعنى الذي يتبادر منه خلاف الأصل فيحمل المحتمل على الأليق والأحوط، كما نراه في تفسير الذين يتبعون المتشابه بالخوارج.

ثم يقول في آية التزيين مبيناً الفاعل المبهم في الفعل الذي لم يسم فاعله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:١٤] مستبعداً حمل التزيين على الله ﷻ مع احتماله القوي وروده المعتبر، فيقول: «المزين هو الشيطان، من زينها؟ ما أحد أشد لها ذمًّا لها من خالقها»(٢).

وقريب منه قوله في قوله تعالى في آية النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧] قرأها وقال: «رحم الله عبداً صحبها على ذلك، ما الدنيا كلها من أولها

---

(١) (٨٧/١) بتصرف.

(٢) (١١٧/١).

إلى آخرها إلَّا كرجلٍ نامَ نومةً، فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه فلم ير شيئًا»(١).

ومن هذا الباب تفسيره معمولَ قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء:١٥٧] قال: «أي: وما قتلوا ظنهم يقينًا» بمعنى أنهم لا يقضون على ريب الاختلاف وعالم الشكوك بدواء العلم والقطع واليقين.

د- مع أنه قد يميل مع الظاهر -كما أشرنا- كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨] قال: «أي قذر، فلا تصافحوهم ومن صافحهم فليتوضأ»(٢).

ولكن أخذه بالظاهر أحيانًا يجعل قوله مرجوحًا وخلاف الأقوى؛ ولذا رد عليه قتادة وابن المسيب، حلفه بأن الابن المذكور في قصة نوح ليس ولده؛ لظاهر: «**ليس من أهلك**» وقرينة «**فخانتاهما**»(٣).

هـ- ومِن أخذه بخلاف الظاهر حمله النجوم على المصدرية لا على الجمع في قوله تعالى في شأن إبراهيم في سورة الصافات: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ [الصافات:٨٨] أنه «نظر فيما نجم من قولهم، وتفكر فيما يعمل إذا كلفوه الخروج».

وكأنه يريد تنزيه الخليل عليه السلام من شبهة احتمال علم التنجيم(٤).

والله تعالى أعلم.

---

(١) (١٩٤/١).

(٢) (٣٤٩/١).

(٣) (٤٠١/١)، وانظر الطبري (٣٤٠/١٥)، القرطبي (٤٦/٩)، ابن كثير (٣٢٦/٤).

(٤) تفسير الحسن البصري (٢٠١/٢)، وانظر تفسير ابن عاشور.

٤- العناية بسنن العرب ونظائر القرآن:

١- أصالة هذا المعلم في «عبادة التدبر» لعموم المكلفين ولخصوص العلماء والمستنبطين؛ لا تحتاج منا إلى تأكيد، فذلك مما تواتر في الأدلة والشواهد، وصنفت فيه المصنفات الصوامد.

والمراد تأكيد ما سبق من عناية الإمام بالكلمة العربية واللفظة القرآنية من مختلف الوجوه، وأن ذلك فرع عن سليقة العربية التي يرشّح بها بيانه؛ فيأخذ ﷺ من لغة العرب واشتقاقها، وهو الذي كان يُحتج بفصاحته ويُلحِّن كبار شعراء عصره كالكُمَيتِ وأضرابه..

وقد ذكر ابن الجزري عن الشافعي قوله: «لو أشاء وأقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن البصري، لقلت ذلك لفصاحته وبلاغته».

أ- ومما يؤكد هذا المعنى تدبره لإبطال عقيدة النصارى -وعقيدة القاديانية في زماننا-، بأوجز لفظ حين يبرز أن معنى «كلمة الله» خلق بكلمة الله وهي «كن»، وأن «التوفية» راجعة لمعنى حمايته من أذى يهود: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:٥٥] قال: «أي قابضك من الأرض وافيًا تامًّا، من غير أن ينال منك اليهود شيئًا»(١).

وقال في آية النساء: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧] قال: «وَفاةَ الرَّفْعِ إلى السماءِ».

---

(١) (١٢٦/١).

ب- ومن تمام أخذه عن لغة العرب، أنه يربط القرآن بأيامها وعاداتها؛ لأنه يضفي بصيرةً على كتاب الله لا يبلغها من لم يكن خبيرًا بأحوال العرب ومعيشتهم كما فصله الشاطبي في الموافقات.

وتجد من شواهده عند إمامنا في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢]: «كانت العرب تعد الأنعمَ فيها من يتغدى ويتعشى، فنزل القرآن على ما في أنفسهم من النعيم»[١].

وكما قال في قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الجاثية:٥]: «جعلت الرياح على الكعبة، فإذا أردت أن تعلم ذلك فأسند ظهرك إلى باب الكعبة، فإن الشَّمال عن شِمالك وهي مما يلي الحِجْرَ، والجَنوب عن يمينِكَ وهو مما يلي الحَجَرَ الأسودَ، والصَّبا مُقابِلَكَ وهي مستقبل بابِ الكعبةِ، والدَّبورُ مِنْ دبر الكعبة»[٢].

ج- ويتفنن في لغات أهلها كما في تفسيره اللهو بالمرأة على لسان أهل اليمن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٧] وقال: «اللهو الولد أيضًا»[٣].

٢- نظائر القرآن:

د- ويحيل على المعنى الأوضح باللفظ الأبعد مع حصر النظائر، كما في حمله «إنْ» على معنى «ما النافية»، فقال: «خمسة في القرآن:

---

(١) (٢/٢٧).

(٢) (١/٦٥).

(٣) (٢/٤٧)، سورة الأنبياء (٢/١٤٨) آخر سورة العنكبوت.

١- ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم:٤٦] أي: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

٢- ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٧] أي ما كنا فاعلين.

٣- ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف:٨١] أي ما كان للرحمن ولدٌ.

٤- ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٦] أي في الذين ما مكناهم فيه.

٥- والخامس الأخير: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس:٩٤] أي: فما كنتَ في شكٍّ»(١).

هـ- ومن أمثلة تدبره بحصر النظائر قوله رحمه الله: «ثلاث آيات في كتاب الله اكتفيت بهن عن جميع الخلائق:

أولهن: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧].

والثانية: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢].

---

(١) (١٣٩١).

والثالثة: «﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود:٦]»(١).

ومن النظائر عنده: حصر مواطن حساب الكفار يوم القيامة:

- موطن يُقِرُّون فيه.

- وموطن ينكرون فيه.

- وموطن يختم على أفواههم فتشهد جوارحهم، سورة النحل عند قوله تعالى عنهم: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٢٨].

و- ومن جمعه النظائر ما ذكر في آداب القضاة وذكره ابن كثير في تفسيره وعنه القاسمي في محاسن التأويل وغيرهما، قال (١١/سورة الأنبياء): «وروى ابن أبي حاتم أن إياس بن معاوية، لما استقضى أتاه الحسن، فبكى. فقال: ما يبكيك؟ قال: يا أبا سعيد بلغني أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار، ورجل مال به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة.

فقال الحسن البصري: «إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء، حكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم، قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ الآية. فأثنى الله على سليمان، ولم يذم داود».

ثم قال الحسن: «إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثًا:

- لا يشتروا به ثمنًا قليلًا.

---

(١) (٣٩٣/١)، وانظر الدر المنثور (٢٧٢/٥).

- ولا يتبعوا فيه الهوى.

- ولا يخشوا فيه أحدًا».

ثم تلا: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤] وقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة:٤٤].

وقال الحسن في آية الأنبياء هذه: «لولا هذه الآية، لرأيت الحكام قد هلكوا، ولكن الله حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده».

وفي شأن القضاة وآدابهم يستنبط معنى لطيفًا في ضرورة هيبة القاضي وتهيئة مقامه بالوجه اللائق بشرف الفصل بين الناس فيقول في قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:١٧] حين ولي قضاء البصرة قال: «لا بد للحاكم من وَزْعةٍ»، وقال: «يتقدمون»، وقال: «يدفعون»(١).

٥- رعاية علم الفواصل والوقف والابتداء:

وإذا كانت الآية هي مجموعة كلماتٍ قرآنيةٍ، فإن هذه الآية بعدما دخلت باب التراكيب، صارت المعاني أكثر ورودًا كما هو معلوم، وصار لسنة الفواصل والعدد، وبلاغة الوقف والوصل والبدء والختم، أجمل الوقع وأوفر المدد، وهو ما كان حاضرًا في تدبر سيدنا الإمام رحمه الله.

---

(١) (١٢٤/٢)، تفسير الطبري (٤٣٨/١٩).

فهو يتخذ من الفواصل أوقافًا للأداء، ولكنه ينبه على احتمال اتصال المعنى، فليس كل وقفٍ انفصالًا، بل قد يستحسن ترك أولوية الوقف على الفواصل أي رؤوس الآي، لمصلحة أولوية المعنى البليغ الذي لا يظهر جَلِيًا إلَّا بالوصل.

وذلك كما في قوله تعالى في آية سورة البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٩-٢٢٠] فقال الحسن مبرزًا تعلق فعل التفكر بالجار والمجرور بعده، وأن مقتضى العربية هو استحباب تعاقب العامل ومعموله، وخاصة في الفضلات كالظرف والجار والمجرور، كما يعبر النحويون لأنها شديدة الضعف فكما أنه يتوسع في تحركها بين أعمدة الكلام تقديمًا وتأخيرًا، فإنها تضعف عن الاستقلال عن مُتعلَّقِها...

قال رحمه الله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: «والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء».

فإرشاد الآية عند الحسن البصري هو وجوب التأمل في المصيرين والمقارنة بين الدارين، فمن أيقن بأن الآخرة دار جزاء وبقاء، وأن الدنيا دار ابتلاء وانقضاء، سهل عليه الائتمار بالشريعة والإذعان لأحكام الله والشعور بحلاوة منفعتها وحسن عاقبتها في الدنيا والآخرة، سواءً في تحريم الخمر والميسر أو في تحريم العدوان على اليتامى وفي كل ما ورد السؤال عنه أو تشريعه دون سؤال، فإن المتفكر سيوقن بأنه عين الإصلاح الكاشف للعنت عن البشرية لأنه بعزة وحكمة العزيز الحكيم.

٦- التدبر في خدمة الإصلاح:

فكان ﵀ يجعل من تدبره تأثيرًا في الواقع آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، كقوله عند قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]: «والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا، وإنهم قد أذنوا بحرب من الله ورسوله، ولو كان على الناسِ إمامٌ عادلٌ لاستتابهم، فإن تابوا وإلا وضع فيهم السلاح»(١).

وإذا كان ﵀ قد جعل من تدبره رسائل للعلماء والقضاة والحكام وعموم الناس، فإنه يعطينا على ذلك مثالًا آخر أكثر جلاءً، في إعلائه من قيمة الشورى وأنها تشريع رباني يصلح الله به دين الناس ودنياهم، فقال ﵁ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨]: «ما تشاور قومٌ قط إلا هدوا لأرشد أمورهم -ثم يقرؤها- قال: «والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم لأفضل ما يحضر بهم»(٢).

فمبدأ الشورى من المبادئ الإسلامية الهامة التي توفر الأمن والطمأنينة للأفراد والاستقرار السياسي للدولة، ويؤدي إلى إشاعة المحبة وبث روح التعاون والتناصح بين الحاكم والرعية، وهو ضروري حتى لا ينفرد الحاكم بالأمر ولا يستبد بالرأي الذي قد لا يكون صوابًا، فإن رأي الجماعة خير من رأي الواحد، لأنه يأتي بعد نظر ودراسة وتفكر في الأمر وعواقبه، ومن ثم تضمن الأمة أكبر قدر من إصابة الحق.

---

(١) (١١٠/١)، ذكره ابن كثير في تفسيره (٧١٦/١).

(٢) (٢٤٧/٢)، وانظر الدر المنثور (٧٨/٩).

قال ابن عطية في المحرر: «الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام؛ ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب» اهـ.

وقال القرطبي عند تفسير هذه الآية: «كان الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمرًا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله به».

ونقل عن الحسن البصري أنه قال: «إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم» اهـ.

وقال تعالى مخاطبًا رسول الله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن -كما قال الحافظ في الفتح شرح كتاب الاعتصام- عن الحسن البصري قال: «قد علم أنه ما به إليهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده».

فالشورى مشاركة في المسئولية وضمانة من الانحراف والاستبداد.

ولهذا بوب البخاري رحمه الله في صحيحه بهاتين الآيتين بابًا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وهذا فقه عميق ونظر دقيق من البخاري رحمه الله لأهمية الشورى وكون العمل بها اعتصام بالكتاب والسنة، وبعد عن الانحراف والبدعة، فما أحوج دعاة الإسلام اليوم إلى تدبره وتفهمه لتسلم دعوتهم من القرارات العشوائية، والاتجاهات الفردية.

وقد وردت الآثار عن الأئمة في مدح الشورى وبيان فضائلها، كالذي نقلناه عن إمامنا الحسن البصري.

وفي لفظ عنه: «إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع»(١).

والله تعالى أعلم.

٧- التدبر لإصلاح الأسرة والنفوس:

أ- ومن تدبره لإصلاح شؤون الأسرة التي هي «المجتمع الأوسط» بين «مجتمع النفس» و«مجتمع الأمة»، قوله رحمه الله عند ذكر نبي الله إسماعيل في سورة مريم: «مَن كان له واعظٌ مِن نفسه كان له من الله حافظٌ، فرحم اللهُ مَن وعظ نفسه وأهله، فقال: يا أهلي، صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله أن يرحمكم يوم القيامة، فإن الله عز وجل أثنى على عبدٍ كان هذا عمله، فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾»(٢).

كما سنجد الإمام رضي الله عنه في آية آل عمران يعمق مفهوم الصلاح وبلوغ درجة الإحسان، وأنه لا يتنافى مع تقصير معيبٍ ملحوظ وتفريط مذمومٍ غير محمود، وأن دنو هذا لا يمنع من علو ذلك رجاء بلا غرور وخوفاً بلا قنوط، فيقول في آيتي آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٤-١٣٥] قال: «إن هذين النعتين لنعت رجلٍ واحدٍ»(٣).

---

(١) (٢٤٧/٢)، وانظر الدر المنثور (٧٨/٩)، (وانظر موسوعة الرسائل للأستاذ نايف الشحود).

(٢) (٢٦/٢)، رواه ابن أبي الدنيا في العيال (ص٣٣٠).

(٣) (١٤٦/١).

ب- ومع هذا التفاؤل الشديد الذي يبثه الإمام رضي الله عنه إلا أنه لا ينساق معه، بل يتخذ من مرهبات القرآن مناسبة لتوطين المؤمن على عدم الاغترار بكرم الله تعالى؛ فيضرب المثل بأصحاب رسول الله ﷺ في «وقعة أحد» فيقول عن مضمون قصتها: «ولقد عفا عنكم حين لم يستأصلكم».

ويصفق الحسن بيديه! ويقول: «وكيف عفا عنهم وقد قُتِل منهم سبعون، وقتل عم رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وشج في وجهه، قال: ثم يقول الله ﷻ: «قد عفوت عنكم إذ عصيتموني -أي بالنزول من جبل الرماة- ألا أكون استأصلتكم، فقال الحسن: «هؤلاء مع رسول الله وفي سبيل الله، غِضابٌ لله يقاتلون أعداء الله، نهوا عن شيء فصنعوه، فوالله ما تركوا حتى غُمُّوا بهذا الغمِّ، فأفسق الفاسقين اليومَ يتجرم كلَّ كبيرةٍ ويركبُ كلَّ داهيةٍ، ويسحب عليها ثيابه ويزعم ألا بأس عليه، فسوف يعلم، والله ذو فضل على المؤمنين»(١).

وقال رحمه الله في قصة الثلاثة الذين خلفوا: «سبحان الله! واللهِ ما أكلوا مالًا حرامًا ولا أصابوا دمًا حرامًا ولا أفسدوا في الأرضِ، غير أنهم أبطأوا عن شيءٍ من الخيرِ الجهادُ في سبيل الله، وقد واللهِ جاهدوا وجاهدوا وجاهدوا، فبلغ منهم ما سمعتم، فهكذا يبلغ الذنبُ من المؤمن»(٢).

قلت: ولا يخفى أن مقام صحابة رسول الله ﷺ في مثل هذه الهنات دائر بين الأجر والأجرين، بين الشهادة والتطهير، كما هو جلي في بقية القصة في سورة آل عمران، وأن الموعظة بهم واجبة على من بعدهم كما قال الحسن...

---

(١) (١/١٥٢).
(٢) (١/٣٧٣).

وقريب منه قوله في آية الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢].

وفي قوله ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

قال ؒ: «فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها، ثم إن علوجًا فُسَّاقًا أكلة الربا والغلول قد سفههم ربي ومقتهم؛ زعموا ألا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت، يتأولون «**قل من حرم زينة الله**»(٢).

وفي معناه كلامه في الأعراف عن قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩] قال: «والمنافق يسيء العمل ويتمنى ويقول: سواد الناس كثير وسيغفر لي ولا بأس عليَّ»(٣).

فهذا ورعٌ زائف ورجاء كاذب وغرور خادع وأمنٌ مِن مكر الله، وكذلك دأب إبليس مع أهل النفاق وأشباههم؛ يبحثون عن الرخص للتملص، ويعتذرون بالأيمان الكاذبة للتخلص، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩].

---

(١) متفق عليه.

(٢) (٢٩٧/١)، وعنه عبد الرزاق في المصنف (٢٩٥٦٨) كما أفاد محققه جزاه الله خيرًا.

(٣) (٣٢١/١)، زاد المسير (٥٠/٣)، والدر المنثور (٣٥٦/٤) محققه.

قال الإمام: يقول المنافق لرسول الله ﷺ: «لا تكسبني الإثم بأمرك إيَّايَ بالخروج وهو غير متيسر لي؛ فآثَمَ بالمخالفةِ»(١).

ج- ومع حزمه في الترهيب فإن الإمام يفتح باب الطمع في الترغيب كما أمر الله في آيات عدة، ومن أرجاها قول الحق سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وقد نزلت فيمن سلف منه الشرك والقتل والزنا وأنواع الكبائر قبل توبتهم وقبل إسلامهم، قال ؒ: «انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»(٢).

٨- التدبر بتصوير المشاهد:

كثير من الناس يُحال في مثل هذا التعبير على كتابات بعض نبهاء المعاصرين كالشهيد سيد قطب ؒ، لكثرة ما يكرر هذا المضمون «التصوير» و«المشاهد»، فيخيل للبعض أن هذا من تزيدات المعاصرين!

وربما خطأهم البعض فيه، مع أن كلا المصطلحين سائغ المعنى شرعًا، وورد في تطبيق التدبر عند العلماء سلفًا وخلفًا، ومنهم إمامنا الحسن ؓ.

ومن بديع مواعظه في تصوير معنى (هجر القرآن ونبذه)، عند قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران:١٨٧] قال: «حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، طلوه بالمسك وحلوه بالذهب والورق، وأدرجوه بالديباج وزينوه بالذهب، ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا

(١) (٣٥٥/١)، وانظر النكت والعيون للماوردي (١١٢/٢)، وزاد المسير (١٨٦/٣).

(٢) (٢٢٤/٢)، وانظر تفسير ابن كثير (١٠/٧).

حرامه؛ فذلك النبذ وراء ظهورهم؛ واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا.. اشتروا النار بالجنة؛ كتموا وباعوا فلا يبدون شيئًا إلا بثمنٍ؛ فالثمن قليل؛ ولو الدنيا بحذافيرها؛ فبئس ما يشترون»(١).

وقال في قصة سحرة فرعون في سورة طه: «سبحان الله لقوم كفارهم أشد الكافرين كفراً ثبت في قلوبهم الإيمان بطرفة عين، ولم يتعاظم عندهم أن قالوا لفرعون في أبهته ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ في ذات الله، والله إن أحدهم -يريد أهل زمانه- اليوم ليصحب القرآن ستين عامًا ثم يبيع دينه بشيء حقير»(٢).

ومن ذلك في موعظته عن موقف من مواقف القيامة في قوله تعالى من سورة الرحمن: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمن:٤٤] قال: «معشرَ الناسِ؛ ما ظنكم بقومٍ وقفوا في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة؛ فلما انقطعت أعناقهم من العطشِ والجوعِ والخوفِ أمر بهم ربهم إلى النارِ وجحيمٍ وحميمٍ؛ اللهمَّ بك العناية وأنت المستعان؛ وإليك الملجأ وعليك التوكل؛ فنجنا برحمتك من عذابك يا غفور»(٣).

ويحرص رحمه الله في تدبره على تصور المشهد بما يعين على تدبره لا بما يجعله متكلفًا ما ليس مرادًا؛ وذلك كذكره عدد سحرة فرعون الذين ناظروا موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١١٨] قال: «ظهر الحق وكان عدد السحرة الذين عارضوا موسى خمسة وعشرون ألفًا»(٤).

---

(١) (١٦١/١).

(٢) (٣٩/٢)، انظر القرطبي (٢٢٦/١١)، والرازي (٤٤٠/١٠).

(٣) (٣١٠/٢).

(٤) (٣١٠/١).

وقال في آية طه: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه:٦٤] قال: «كان السحرة خمسةً وعشرين صفًا، كل ألف ساحر صف»(١).

وفي حال أشبه بالشاعر الولهان والعابد المستهام؛ ينطلق لسان الإمام وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] فيقول: «هذا حبيب الله هذا ولي الله، هذا صفوة الله هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالِحًا في إجابته وقال: إنني من المسلمين هذا خليقة الله»(٢).

ومن لطيف ذلك -وغريب ما أُثِرَ عنه- ما استطرده عند ذكر كلب أصحاب الكهف، أنه قال ﵀: «في الكلب عشر خصال محمودة، ينبغي أن تكون في كل فقير:

الأولى: أنه لا يزال جائعًا، وذلك من آداب الصالحين.

الثانية: أنه لا يكون له موضع يعرف به، وذلك من علامات المتوكلين.

الثالثة: أنه لا ينام من الليل إلا قليل، وذلك من صفات المحبين.

الرابعة: أنه إذا مات لا يكون له ميراث، وذلك من خِصالِ الزاهدين.

الخامسة: أنه لا يهجر أخاه وإن جفاه وطرده، وذلك من شيم المريدين.

السادسة: أنه يرضى من الدنيا بأدنى يسير، وذلك من علامات المتواضعين.

السابعة: أنه إذا غلب عن مكانه تركه وانصرف إلى غيره، وذلك من علامات الراضين.

---

(١) (٣٧/٢).

(٢) (٢٣٩/٢)، وانظر القرطبي (٣٦٠/١٥)، وابن كثير (١٧٩/٧).

الثامنة: أنه إذا طرد ثم دعي أجاب ولم يحقد، وذلك من أخلاق الخاشعين.

التاسعة: أنه إذا حضر شيء من الأكل وقف ينظر من بعيد، وذلك من أخلاق المساكين.

العاشرة: أنه إذا رحل من مكانه لا يرحل بشيء، وذلك من علامات المتجردين. (أو: المحزونين)» اهـ[(١)].

وكان بعض شيوخنا يذكرها فائدة لنا في شرح الشاطبية عند قول ولي الله الشاطبي رضي الله عنه -ناصحًا قارئ القرآن-:

وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله ... وما يأتلي في نصحهم متبذلا

والله تعالى أعلم.

٩- التدبر سلوك وأخلاق:

لعل شهرة الإمام بالتفسير الوعظي وإمامته في الزهد والقناعة؛ يجعل هذا من أجلى صور التدبر عنده، وكثيرٌ مما سبق يمكن إدراجه في هذا المعلم؛ ولكننا آثرنا إبرازه بأوضح شواهده؛ أعني في التنسك والسلوك الذي هو من أعلام أئمته:

- فيتحفنا بنظر بالغ اللطافة؛ حين يأخذ من ابتهالات آخر سورة آل عمران؛ ضرورة الإلحاح في الدعاء وتكرار الثناء على الله فيقول: «ما من عبدٍ يقول: يا رب يا رب يا رب -ثلاث مرات- إلا نظر الله إليه، أما تقرأ القرآن؟ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟

(١) (٢/ص٦)، وانظر زاد المسير (٤/٢٤٢)، وتفسير الماوردي (٢/٤٦٨)، وذكره المقري في «نفح الطيب» (٢/٦٩٨) نقلًا عن شمس الدين المرعي في شرحه للألفية.

بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٢-١٩٥].

- ويعطينا في درس الأخلاق معنى للبر بحيث يحصره في الامتناع عن الإيذاء فيقول في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٨] قال: «هم الذين لا يؤذون الخلق»(١).

- وسأله مالك بن دينار عن قوله: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف:٥٧] ما هي؟ فقال: «يا مالك اتقوا المحارم، خمصت بطونهم تركوا المحارم وهم يشتهونها»(٢).

- وقال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]: «إذا أردت أن تكون مع الصادقين، فعليك بالزهد في الدنيا، والكَفِّ عن أهل المِلَّةِ»(٣).

- وقيل له: أيحسد المؤمنُ المؤمنَ؟ قال: «لا أبا لك، ما نسَّاك بني يعقوب»(٤).

---

(١) (١٦٤/١).
(٢) (٤٢٢/١).
(٣) (٣٧٤/١)، وانظر تفسير ابن كثير (٢٣٤/٤).
(٤) (٤١٤/١)، الدر المنثور (٤٥٧/٥).

- ومن ذلك كلامه على آية الصبر في سورة الشورى قال: «سبَّ رجل جلًا من الصدر الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] قال الحسن: «عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون»(١).

وهذا الذي أرشد إليه الإمام هو عين الصبر الجميل كما ورد عن السلف كعمرو بن قيس الملائي فَصَبْرٌ جَمِيلٌ قال: «الرضا بالمصيبة، والتسليم»(٢).

وعن ميمون بن مهران قال: «ما نال شيئًا من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر»(٣).

وقد سبق له في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥] ما يجعلك تستحضر في التدبر عظمة «اللفظ القرآني» و«الكلمة الإلهية»، بما يرفعك لاستقبال الخطاب الإلهي وكأنه لك خاصةً من دون الناس وينبغي وجوبًا أن تعمل به، وأن الصبر هو لتحمل الدين كله ولتعلمه وتبليغه، وأن الصبر عند المصائب حسنٌ، وأحسن منه الصبر عن المحارم والمناهي، وأن لا دواء عند فساد الزمان أنجع من الصبر، فاصبر على الفقر وإن طُلْتَ الغنى، وتصبر على البغضاء وإن زُيّنت لك المحبة، وتصبر على الذل وإن مُهّد لك العز...

وأرسل في معناه عن رسول الله ﷺ أن من كان كذلك كان له أجر خمسين صِدّيقًا»(٤). والله تعالى أعلم.

---

(١) ابن أبي الدنيا في الصبر (ص١٢٣).

(٢) الصبر لابن أبي الدنيا (ص٨٦).

(٣) روضة العقلاء لابن حبان البستي (ص١٦٢).

(٤) تفسيره (٣٩/١)، وانظر ابن كثير (٢٥١/١)، والدر المنثور (١٠٧/١).

١٠- التدبر لإصلاح عالِمِ العالَم:

فينبهنا في باب العلم إلى عظيم ما جعل الله من التفاوت بين العلماء وأنه فاضل بينهم في الفضل والفهم والدرجة؛ بما هو من محض كرمه وأن ذلك ملحوظ في الاعتماد عليهم في الدين؛ فأولوا الأمر أخص منهم أولوا الأمر منا؛ الذين لهم رعاية للمسلمين وعناية بأمورهم؛ ثم بعد الاثنين تأتي درجة المستنبطين وهم المأهلون للاستنباط في نوازل الأمور..

ثم تأتي درجة الموفقين من المستنبطين وهم الذين جمعوا مع الأهلية أغلبية الصواب ودوام التوفيق فهم أربع درجات -والله أعلم- ولعل هذا ما عناه ﵁ بجعله الاستثناء في قوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣] راجعًا إلى المستنبِطين: أي لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلًا منهم(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦] قال: «إنه واللهِ ما أمسى على ظهر الأرضِ عالمٌ؛ إلَّا فوقه من هو أعلم منه، حتى يعود العلم إلى الذي علَّمه»(٢).

- ويأخذ من ظاهر جمع الملوك -مع امتناع تعدد الحكام- على معنى النعمة الشاملة

---

(١) (١/١٩٦).

(٢) (١/٤٢٥).

والمنة الكافية، فقال: «من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك، وهل الملك إلا مركبٌ وخادمٌ ودارٌ»(١).

أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠].

وأن نعم الله عليك التي جعلتك في مصاف الملوك لا ينبغي أن تجعلك متواكلًا لا تتخذ الأسباب، ولا غافلًا فلا تذكر الله إلا قليلًا، ولذا قال في آية النور: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٧]: «أما إنهم كانوا يتجرون، ولم تكن تشغلهم تجارة عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة».

ويؤكده ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قومًا من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا بياعاتهم، وقاموا إلى الصلاة، فقال: «هؤلاء من الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾»(٢).

- ومن الحمل على الأولى:

لما قيل له في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢].

---

(١) (٢٢٨/١).

(٢) (٩٦/٢)، وانظر ابن كثير (٧٠/٦)، الدر المنثور (٣٠٩/٧).

قيل له: يا أبا سعيد: أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟

قال: «إي والذي لا إله غيره كما كانت لبني إسرائيل، وما جعل دماءَ بني إسرائيل أكرم على الله مِنْ دمائنا، قال: عظَّم واللهِ في الوزرِ كما تسمعون، ورغَّب واللهِ في الأجر كما تسمعون، إذا ظننتَ يا ابن آدم أنك لو قتلتَ الناس جميعًا، فإن لك مِنْ عملك ما تفوز به من النارِ، كذبْتَكَ واللهِ نفسُكَ وكذَبَكَ الشيطان»(١).

- وقال في آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة:١٠٥] قال: «يا لها من سعة ما أوسعها، ويا لها مِنْ ثقةٍ ما أوثقها، الحمد للهِ بها والحمد لله عليها، ما كان مؤمنٌ فيما مضى ولا مؤمنٌ فيما بقي، إلا وإلى جانبه منافقٌ يكرهُ عملَهُ»(٢).

- وقد ذكروا في ترجمته رحمه الله أنه توارى من الحَجّاج تسع سنين فلما بلغه موته قال: «اللهم قد أمته فأمِتْ سُنَّتهُ، وسجد شكرًا وقرأ هذه آية الرعد: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ [إبراهيم:٥]»(٣).

- وكان يتأول في آيات الوعيد في الأنعام ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ

---

(١) (١/٢٣١).

(٢) (١/٢٤٩).

(٣) (١/٤٤٧)، والقرطبي (٩/٣٤٢).

عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٧] أنه الفتنة التي كانت بين أصحاب رسول الله ﷺ(١).

وقريب منه قوله في آية آخر الأنعام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩] قال: «رأيت يوم قتل عثمان ذراع امرأةٍ من أزواج النبي قد أخرجت من بين الحائط والستر، وهي تنادي: ألَا إنَّ اللهَ ورسوله بريئان من الذين فارقوا (هكذا بالألف لا بالتضعيف) دينهم وكانوا شيعًا»(٢).

- وقريب من هذا تدبره في حقيقة العلم، وأن العلم يشخص بأثره وأنه بمثابة صفقة البيع والشراء، فمن عقدها على باطلٍ أو حرامٍ أو تافهٍ، فما هو بالعالم المُرتجى ولا بالتقي الحصيف، وهذا حال سحرة بابل مع الشياطين بعد ملك سليمان عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢] قال رحمه الله: «لو كانوا علماء أتقياء ما اختاروا السحرَ».

وقال: «لو كانوا علماء لآمنوا بعلمهم ذلك واتقوا».

ثم يمعن رضي الله عنه في التدبر فيأخذ من الآية معنى جليلًا فيقول: «ولا يوصف الكفار بأنهم علماء»(٣).

---

(١) (٢٦٨/١).

(٢) (٢٨٨/١).

(٣) (٥٣/١)، وانظر الطبري (٤٤٣/٢)، وابن أبي زمنين (٢٦/١)، وابن كثير (٣٥٠/١).

١١- تعميم الوعيد أسلم:

- ولا يمنع من تعميم الوعيد بجامع الترهيب كما في تشبيهه أهل البدع وأهل المعاصي بأصحاب العجل وأن الذلة والصغار يلحقهم حتى يتوبوا إلى الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٢]: «إنَّ ذُلَّ البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين»(١).

ومثله في قصة أصحاب السبت قال ﷺ: «فكان يأتيهم في اليوم الذي حرمه الله عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحدٍ، وقلما رأيتُ أحدًا يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه، فجعلوا يهتمون ويمسكون حتى أخذوه، فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قط، أبقاه خِزْيًا في الدنيا وأشد عقوبة في الآخرة، وأيمُ اللهِ ما حُوتٌ أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله مِن قتلِ رجلٍ مؤمن، ولَلمؤمنُ أعظمُ حُرمةً عند اللهِ من حوتٍ، والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قومٍ مسلمين ولكن الله جعل موعد قوم الساعةَ والساعة أدهى وأمر»(٢).

- ومن لطيف تدبره في هذا السياق قوله في مسألة «الطوائف الثلاث»: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١]: «نجت الفرقتان وهلكت العاصية؛ لأنهم لما قالوا: لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم دَلَّ على أنهم أنكروا أشد الإنكار، وأنهم

---

(١) (٣١٧/١)، وبنحوه في آخر سورة الحجر (٤٦٢/١)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (١٩٩/٦)، وابن كثير (٤٧٨/٣).

(٢) (٣١٩/١).

إنما تركوا وعظهم؛ لأنه غَلَبَ على ظنهم أنهم لا يفلتون إلى ذلك الوعظ»(١).

فالحض على العمل هو أساس الرفعة بالعلم وأرفع الأعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذا قال ﷺ في قوله تعالى من سورة فاطر: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر:١٠] قال: «لا يقبل الله قولًا إلا بعملٍ من قالَ وأحسن العمل قَبل الله منه، وقال: فيعرض القول على العمل فإن وافقه رُفِعَ وإلَّا رُدَّ، وقال: بالعمل قبل الله».

وعنه قال: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقته الأعمال، من قال حَسناً وعمل غير صالحٍ رده الله على قوله، ومن قال حَسناً وعمل صالحاً رفعه العمل، ذلك بأن الله تعالى قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملًا قلبياًّ لزم ضرورةً صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: «قول وعمل»، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» اهـ(٣).

---

(١) (٣٢٠/١)، انظر الرازي (٢٨٢/٧)، واللباب لابن عادل (٤٦/٨) محققه.

(٢) (١٨٥/٢)، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٢٠/٣)، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص٥٦)، والبيهقي في الشعب (١٥٨/١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨٧/٧).

وكان الحسنُ إذا أتى ختم سورة مريم، يقول في موعظته: «المبادرة عبادة، المبادرة، فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبست انقطعت عنكم أعمالُكم التي تُقرَّبون بها إلى الله ﷻ، رحم الله امرءًا نظر لنفسه، هذه الآية: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم:٨٤]، ثم يبكي وبكى على ذنوبه، ثم قرأ ويقول: «آخِرُ العدد خروج نفسك، آخِرُ العدد فراق أهلك، آخِرُ العدد دخولك في قبرك»(١).

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦] قال: «عجبًا لابن آدم يغسل الخرء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات».

وقيل له: إنه يشار إليك بالأصابع؟!

فقال: «إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق»(٢).

ومن لطيف تدبره في آخر سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان:٣١] قال: «مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء».

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم:٥] قال: «هو المؤمن»(٣).

---

(١) (٣٠/٢)، ورواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص١٤٦).

(٢) (١٥٧/٢)، وانظر تفسير ابن كثير (٣٤٣/٦).

(٣) (١٥/٢).

١٢- التدبر في تواقيع جامعة:

- ولا يخلوا تدبره من عبارات مصكوكةٍ؛ يظهر عليها توقيع الحسن البصري من بعيد، فيقول تحت الآيات كلمات محكمات من سجعات الحكم المأثورات، ما يجعلك تطرب لمعنى الآية وتؤثر في حياة خشوعك لها.

قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٢]: «كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالستر عليه»[(١)].

- وقال في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:١١٠]: «أي لا تحسنْ علانيتها وتسيء سريرتها»[(٢)].

- ومن بديع جوامع كلامه رحمه الله قوله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]: «ولا يخاف الشيطان إلا وليُّ الشيطان»[(٣)].

- وقوله في سورة الحج لما سئل عن التجرد في الحج قال: «جرد قلبك من السهو، ونفسك من اللهو، ولسانك من اللغو، ثم يجوزُ كيف شئتَ»[(٤)].

- ويستنبط التعازي من القرآن فيقول في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا

---

(١) (٣٢٣/١)، وانظر القرطبي (٢٥١/١٨)، واللباب (٤٢٤/١٥) محققه.
(٢) (٥٠٧/١)، وانظر الطبري (٥٧٨/١٧)، زاد المسير (٢٠١/٤)، ابن كثير (١٢٩/٥).
(٣) (١٥٨/١).
(٤) (٦٩/١).

تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]: «عزَّى اللهُ رسولَهُ والمؤمنين عن الدنيا وأخبرهم أن ذلك يصير باطلًا»(١).

- ولأن الآخرة ركن الإيمان الأعظم بعد الإيمان بالله، فقد كان تدبر الإمام دائرًا في فلكه استنباطًا وموعظةً كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:٩٨] قرأها باسم الفاعل «مُستقِرٌّ».

وفسرها بقوله: «المستقر في القبر والمستودَع في الدنيا وأوشك أن يلحق بصاحبه؛ فالمستقِرُّ هو الذي قد مات فاستقر به عمله»(٢).

- ويأخذ ميزان العذر في المناظرة وعند الخلاف، في قوله تعالى: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٦] فيقول: «يعذر من حاجَّ بعلم ولا يعذر من حاج بغير علمٍ»(٣).

وهو صاحب مقولة: «أول من قاس إبليس»، عند قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف:١٢](٤).

- وقال في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٩٧]: «لا يزالُ الناس على دينٍ ما حجوا البيتَ واستقبلوا القبلة»(٥).

---

(١) (١/١٦١).
(٢) (١/٢٧٣).
(٣) (١/١٢٨).
(٤) (١/٢٩١).
(٥) (١/٢٤٧).

ويقول في آية هود: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]: «استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنكم لن تجدوا شيئًا أذهب لسيئةٍ قديمةٍ من حسنةٍ حديثةٍ، ويقرأ الآية»(١).

- وقال في قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور:٤٠]: «كلُّ غريمٍ مفارقٌ غريمَهُ إلَّا النار»(٢).

- وقال في قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩]: «أي إذ أنتم شباب ومعكم جهل الشباب»(٣).

- ودخل عليه قوم فقالوا: يا أبا سعيد إنا نغشى الذكر وإنَّ قومًا دخلوا يبكون، وإنَّا لا نبكي، قال: «فإن لم تبكِ العُيون، فلتبك القلوب والأعمال، فَرُبَّ عينٍ باكيةٍ كاذبةٌ ثم تلا ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف:١٦]»(٤).

- ويقول في سياق قصة يعقوب وجميل تحمله صبرًا وصفحًا: «ما مِن جرعتين يتجرعهما العبد أحب إلى الله من جرعة مصيبة؛ يتجرعها العبد بحسن صبر وحسن عزاء، وجرعة غيظٍ يتجرعها العبد بحلم وعفوٍ.. وأنه ليس في الحزن عارٌ»(٥).

«ومن ابتلي ببلاء فكتمه ثلاثًا لا يشكو إلى أحدٍ أتاه اللهُ برحمته»(٦).

---

(١) (٤٠٩/١).

(٢) (٣٦٣/٢).

(٣) (٤٢٨/١)، تفسير البغوي (١٩٥/٤).

(٤) (٤١٥/١) عن الإشراف لابن أبي الدنيا (٤٨٠) المحقق.

(٥) (٣١٥/١).

(٦) (٤٢٧/١)، وانظر الطبري (٥٨٠/١٥)، القرطبي (٢٤٧/٩)، الدر المنثور (٣٨٦/٥).

- وإذا قرأ قوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] بكى وقال: «نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس.. ولا يبتغى الفرج من عند غير الله»(١).

- وقال في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦]: «إن الرجل ليجاهد وما ضُرِبَ يومًا من الدهرِ بِسَيْفٍ»(٢).

وقال في سورة الفلق في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] قال: «أول ذنبٍ كان في السماء الحسدُ، واليهود حسدة الإسلام»(٣).

- وفي قصة يوسف عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢] قال: «من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله»(٤).

---

(١) (٤٢٠/١).

(٢) (١٤٣/٢)، تفسير ابن كثير (٢٦٤/٦).

(٣) (٤٥٧/٢)، وانظر الدر المنثور (٤٠٠/١٠).

(٤) (٤١٦/١)، وانظر القرطبي (٣٥٣/١٤).

الخاتمة

خلاصات وتوصيات

١- البحث في مناهج الأعلام في التدبر، أدق من البحث في مناهجهم في الرواية والتفسير والوعظ ونحو ذلك.

٢- الحسن البصري إمام التابعين تربى في مدرسة الصحابة، فتشكل منهاجه على أيديهم.

٣- إمامته شاملة لأبواب الخير، ومن أهمها منهجه في التدبر.

٤- صياغة منهاج متكامل للتدبر، يتوقف على استقراء طرائق العلماء من السلف وجمع ذلك في صعيد واحد ودراسة مقارنة.

٥- في طريق التدبر عند الإمام الحسن البصري معالم جامعة دالة هادية.

٦- التدبر عند الإمام الحسن البصري امتزج بحياته وأنفاسه.

٧- التدبر عند الإمام الحسن البصري يتجلى في علمه المستبحر ومواقفه المتنوعة.

٨- التدبر رافد من روافد الإصلاح عند الإمام الحسن البصري رحمه الله.

٩- الإصلاح عند الإمام الحسن البصري منظومة شمولية لا تتجزأ.

١٠- تدبر القرآن والتخلق بأخلاقه متلازمان عند الإمام الحسن البصري.

١١- تأسيس هيئة متخصصة في تدبر القرآن العظيم، خطوة هامة تقرب إلى المقصد الأم الذي يتوقف عليه صلاح حال الأمة، ألا وهو التمسك بكتاب الله والعمل بتوجيهاته من الفرد والمجتمع والدولة.

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فقال: «**قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيه** ﷺ» الحديث(١).

١٢- من المهم في نظري إحداث تنسيق محكم بين جميع الهيئات والمؤسسات المهتمة بكتاب الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، وهو في الموطأ بلاغًا.

الرِّياضُ
فِي خَتمِ الشِّفا للقاضي عِياض

للإمامِ العالِمِ المُسندِ الحافظِ

شمسِ الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر

أبي الخَير السَّخاويِّ (٨٣١-٩٠٢هـ)

تحقيق

عبد العاطي محيي الشرقاوي

أبي يعقوب الأزهري

إهداء إلى

سماحة الشيخ العلَّامة المُحدِّث

أبي إسحاق الحويني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا وحبيبنا سيِّد الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فهذه رسالةٌ ماتعةٌ للإمام السَّخاويِّ ﵀ في خَتم كتاب عظيمٍ في سيرة خير الناس ﷺ هو كتاب «الشِّفا» للقاضي عياض.

وقد حوت الرسالة على صغرها فوائد جمَّة، وكلمات رائقة بليغة جميلة، وعبارات عذبة سلسة مُنمقة، وأشعارًا لا مثيل لها في بابها.

ابتدأ رسالته ﵀ بالحمد لله والصَّلاة على نبيِّه ﷺ، ثمَّ تكلَّم عن شرف العلم وأهله وتنوُّع علوم الشَّريعة، ثم تكلَّم عن علم السِّيرة النَّبويَّة وتصانيف وجهود العلماء فيها، ثمَّ تكلَّم عن «الشِّفا» للقاضي عِياض ومكانة هذا الكتاب العظيم بين أهل العلم وكلام العلماء عنه بالثناء العطر، وعنايتهم به التي تعددت صورها، ثمَّ ختم رسالته بالكلام عن القاضي عياض رحمه الله تعالى بتَرجمة حسنةٍ رائقة وافية، ذكر السخاوي ﵀ روايته لكتاب «الشفا» وما وقع له من رواية عن شيوخه أثناء الكلام على مؤلفات القاضي عياض.

أقول: وللمؤلف ﵀ تأليف آخر أصغر من هذا على كتاب «الشِّفا» سمَّاه «الانتهاض في ختم الشفا لعياض» طبع بدار البشائر الإسلامية.

التعريف بالمؤلف[١]

هو الشَّيخ، الإمام، العالم، العلَّامة، المُسند، الحافظُ، المُتقنُ، صاحب التَّصانيف النَّافعة: شمسُ الدِّين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السَّخاويُّ الأصل، القاهريُّ المولد، الشافعيُّ المذهب، نزيل الحرمين الشَّريفين.

ولد في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة، وحفظ القرآن العظيم، وصلى به في شهر رمضان بزاوية الشيخ شمس الدين العدوي المالكي، وحفظ «عمدة الأحكام»، و«التنبيه»، و«المنهاج»، و«ألفية ابن مالك»، و«النُّخبة» لشيخه شيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر العسقلاني، وقرأ على شيخه كثيرًا، وسمع عليه ولازمه أشدَّ الملازمة حتى حمل عنه ما لم يشاركه فيه غيره، وأقبل عليه الشيخ بكلِّيته حتى صار يرسل إليه قاصده يعْلمه بوقت ظهوره من بيته ليقرأ عليه، وسمع من لفظه أشياءً كثيرة، وحمل عنه أكثر تصانيفه، وأذن له في الإقراء، بل قال: إنه أمثل جماعتي، وألف له ترجمة سماها بـ«الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر».

توفي رحمه الله سنة اثنتين وتسعمائة، قيل بالمدينة، وقيل بمكة.

---

(١) ترجم السخاوي لنفسه ترجمة وافية في «الضوء اللامع» (٨/١٦).

منهج العمل في التحقيق

* نسخ الكتاب مع مراعاة علامات الترقيم المعروفة وقواعد الإملاء الحديثة.

* مقابلة الكتاب على النُّسخ الخطية مقابلة دقيقة، ثم رجعت بعد ذلك مرة ثانية للنُّسخ الخطية لمراجعة ما أشكل من بعض الكلام أثناء المقابلة.

* وضع الرَّسْمِ العُثماني للآيات القرآنية الواردة في الكتاب، مع عزوها للمصحف الشريف.

* خرَّجْت الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب تخريجًا غير موسع، فإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بذلك، وإذا كان خارجهما رجعنا إلى السنن الأربعة وغيرها دون التوسع مع ذكر الكتاب والباب إن وجد، مع نقل أحكام العلماء على الأحاديث، مع ضَبْط متون الأحاديث وتمييزها.

* كما قُمْت بتقْييد الأسماء، والكُنَى، والأنساب، والألقاب، وأسماء البلدان، والأنساب بالشَّكْل في أصْل النصِّ، وذلك بالرجوع إلى الكتب المُعْتَمدة في ذلك.

* ضبط الكتاب كاملًا ضبط إعراب، مع ضبط المشكل منه أيضًا.

* توثيق النصوص والأقوال الواردة في الكتاب من مصادرها الأصلية، فإن لم نقف عليها عزوت لمصادر أخرى وسيطة تنقل عنها.

* التعريف بالمصادر التي نقل عنها المؤلف ولم تطبع.

* ضبط الأبيات الشعرية وخرجناها وبينَّا بحورها.

* كتبت مقدِّمة علمية يسيرة للكتاب، لم أطل فيها لمقتضى الحال، ولا في ترجمة الإمام السخاوي لشهرته الواسعة.

* صنعت فهارس علمية للكتاب.

* * *

توثيق نسبة الكتاب

* ذكره السخاوي في مؤلفاته في ترجمته التي ترجمها لنفسه في «الضوء اللامع» (١٨/٨).

* النسخة (ي) عليها إجازة بخط المؤلف السخاوي رحمه الله لمالكها.

* كما وُجد على طرة النسخ الخطية نسبة الرسالة للإمام السخاوي رحمه الله.

* كما نسبه له البابانى في «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» (٦٠٢/٣).

* * *

توصيف النسخ الخطية المعتمدة

النسخة (ع)

مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة الملك عبد العزيز، مجموع مكتبة الشيخ عارف حكمت، بالمدينة المنورة، برقم ٤٠.

العنوان على صفحة العنوان: كتاب الرياض في ختم الشفاء للقاضي عياض.

المؤلف على صفحة العنوان: للشيخ شمس الدين السخاوي ﵀.

قيمة النسخة: نسخة جيدة.

بيانات النسخ:

مكان وتاريخ التأليف بقيد الفراغ: قال مؤلفه: عملته بمكة في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة.

الناسخ: أبو اللطف محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي الخطيب الحنفي.

تاريخ النسخ: وأنهاه نسخه راقم هذه الأحرف في يوم عيد الفطر بمكة سنة ست عشر وتسعمائة.

الوصف المادي:

الشكل: رسالة ضمن مجموع.

عدد الورق: ١٨ ورقة، بها نظام التعقيبة، ٢٥ سطر، ١٦× ١٢سم.

نوع الخط: نسخ عادي.

ألوان المداد: كتب النص بالمداد الأسود.

- كتبت الأبيات على سطر واحد.

أول النسخة: الحمد لله جاعل الشفاء في ذكر الحبيب وواصل ذي الإصطفاء بالتقريب والترحيب.

آخر النسخة: وينفع بذلك آبانا ومن سلف لنا من إخواننا وذريتنا والمسلمين أجمعين، آخره.

خوارج النص:

- تحت العنوان بصفحة العنوان خاتم وقف، نصه: «مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم بشرط أن لا يخرج عن خزانته والمؤمن محمول على أمانته».

* * *

النسخة (ي)

مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة خاصة

العنوان على صفحة العنوان: الرياض في ختم الشفاء للقاضي عياض.

العنوان من قيد الفراغ: كتاب الرياض في ختم الشفاء للقاضي عياض.

المؤلف على صفحة العنوان: تأليف العلامة محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

قيمة النسخة: نسخة نفيسة عليها إجازة بخط المؤلف لمالكها.

بيانات النسخ:

مكان وتاريخ التأليف بقيد الفراغ: عملته بمكة في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة.

الناسخ: أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن موسى الأشعري اليمني نزيل مكة المشرفة.

تاريخ النسخ: وكان الفراغ من نساخته يوم الخميس خامس عشر شوال أحد شهور سنة أربع وتسعين وثمانمائة.

الوصف المادي:

الشكل: رسالة ضمن مجموع.

عدد الورق: ٢٩ ورقة (٢٥٨/أ-٣١٣/ب)، بها نظام التعقيبة، ١٧ سطر.

نوع الخط: نسخ مجود تام الضبط والتنقيط.

ألوان المداد: كتب النص بالمداد الأسود، وميزت رؤوس الفقر بخط بالمداد الأحمر من فوقها.

- كتبت الأبيات على شطرين وميزت بفواصل بالمداد الأحمر.

أول النسخة: الحمد لله جاعل الشفاء في ذكر الحبيب وواصل ذي الاصطفاء بالتقريب والترحيب.

آخر النسخة: وينفع بذلك آباءنا ومن سلف لنا من إخواننا وذريتنا والمسلمين أجمعين، آخره.

خوارج النص:

- كتب تحت قيد الفراغ بلاغ قراءة وإجازة، نصه: «الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد، فقد قرأ علي جميع مصنفي هذا المسمى بالرياض مالكه الشيخ الفاضل الجيد الخير المفيد بركة المسلمين أبو عبد الله محمد بن عبد الحفيظ بن محمد الآبي اليماني الشافعي نزيل مكة ويعرف بالمَزْبَري نفعه الله تعالى ونفع به ويسر له الخير بالتوجه لسببه وأعاد علي من بركاته وزاد في فضيلته وكمالاته، في أربعة مجالس آخرها يوم الأربعاء العشرين من شوال سنة تاريخه بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المعظمة، وسمع الكثير من جماعة وأجزت له ولهم روايته عني مع رواية سائر مروياتي ومؤلفاتي، قاله وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عمر السخاوي الشافعي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا كثيرًا آمين آمين آمين».

- بجوار قيد الفراغ خاتم غير واضح.

* * *

النسخة (ج)

مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز، المكتبة المركزية، بجدة بالسعودية، رقم الأصل: ٨/٢٣٠.

العنوان على صفحة العنوان: كتاب الرياض في ختم الشفاء للقاضي عياض.

العنوان من قيد الفراغ: كتاب الرياض في ختم الشفاء للقاضي عياض.

المؤلف على صفحة العنوان: تأليف الشيخ العلامة الحافظ جمال الملة والدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي الشافعي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين.

قيمة النسخة: نسخة جيدة.

بيانات النسخ:

مكان وتاريخ التأليف بقيد الفراغ: عملته بمكة في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة.

الناسخ: عبد الرحمن بن محمد الخطيب.

تاريخ النسخ: غاية زبره بين صلاتي ظهر وعصر يوم الاثنين ثامن شهر شوال من عام ١٠٩٢.

الوصف المادي:

الشكل: الرسالة الثامنة ضمن المجموع.

عدد الورق: ١٧ ورقة (١٩٣/أ-٢٠٩/ب)، بها نظام التعقيبة، ٢٥ سطر.

نوع الخط: نسخ تام الضبط والتنقيط.

ألوان المداد: كتبت العناوين بالمداد الأحمر، وميزت رؤوس الفقرات بخط بالمداد الأحمر من فوقها، كتب النص بالمداد الأسود.

- كتبت الأبيات على شطرين وميزت بفواصل بالمداد الأحمر.

أول النسخة: الحمد لله جاعل الشفاء في ذكر الحبيب وواصل ذي الاصطفاء بالتقريب والترحيب.

آخر النسخة: وينفع بذلك آباءنا ومن سلف لنا من إخواننا وذريتنا والمسلمين أجمعين، آخره.

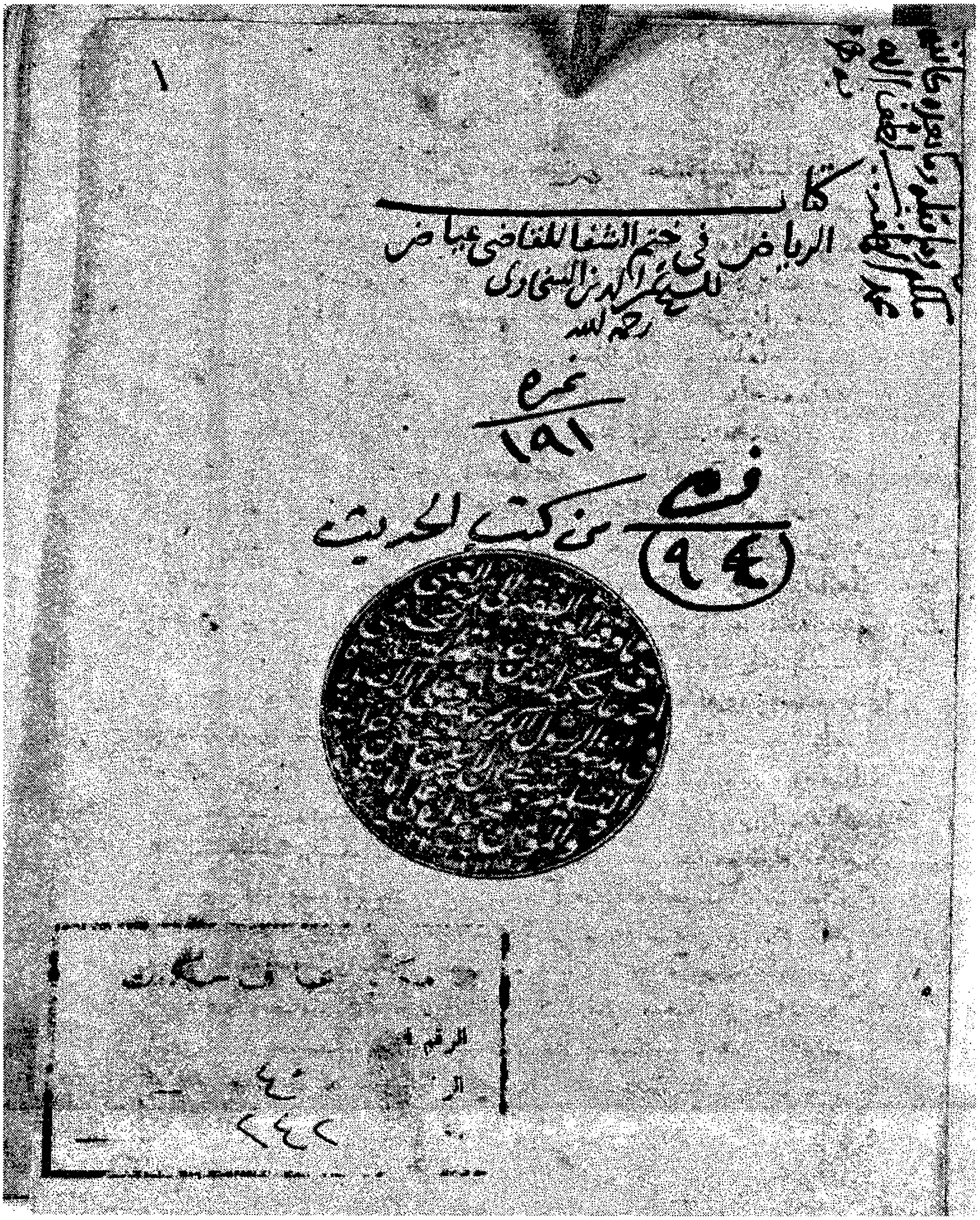
خوارج النص:

- كتب تحت العنوان بصفحة العنوان نكتة لطيفة وفائدة شريفة لمن سمع المؤذن.

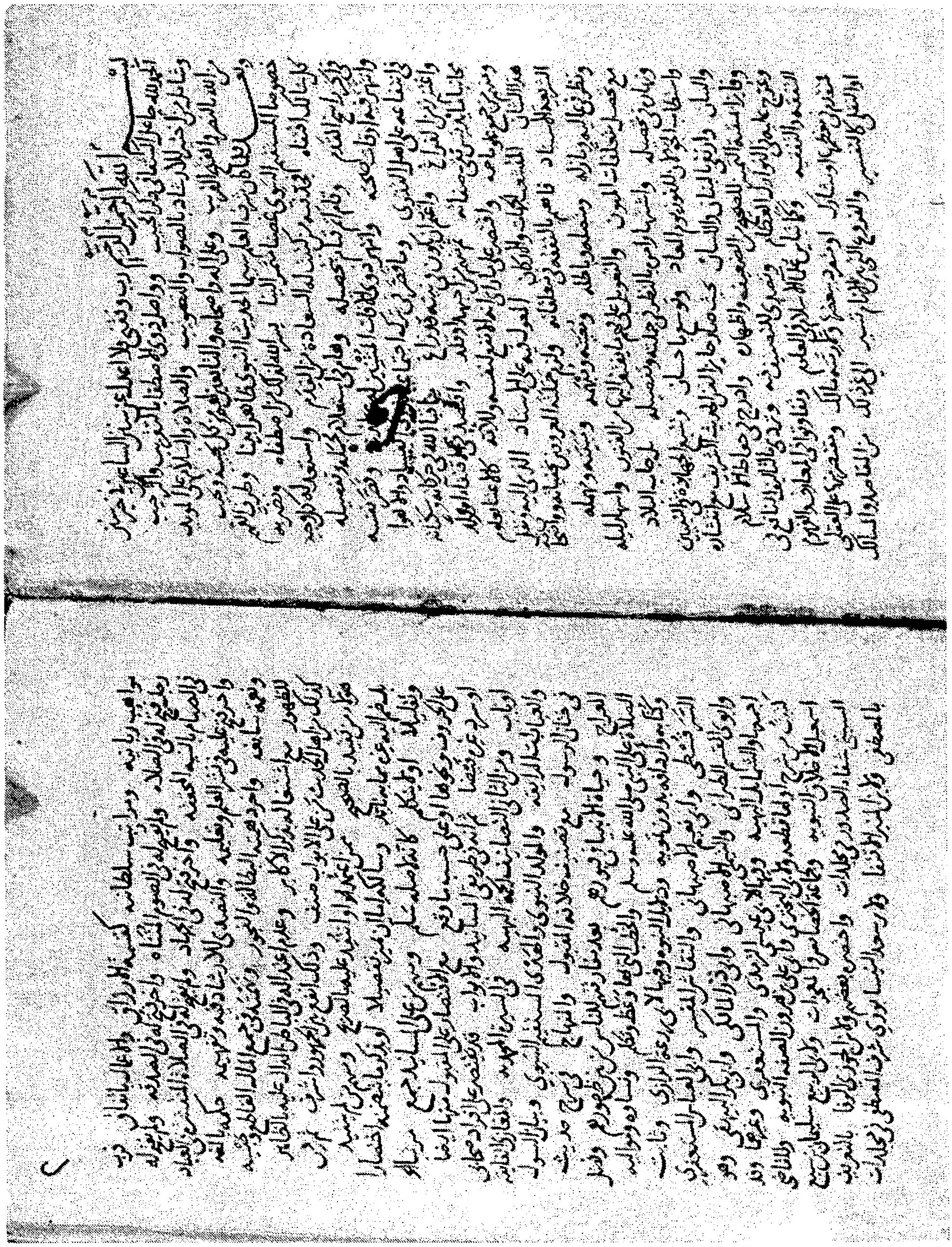
* * *

نماذج من النسخ الخطية

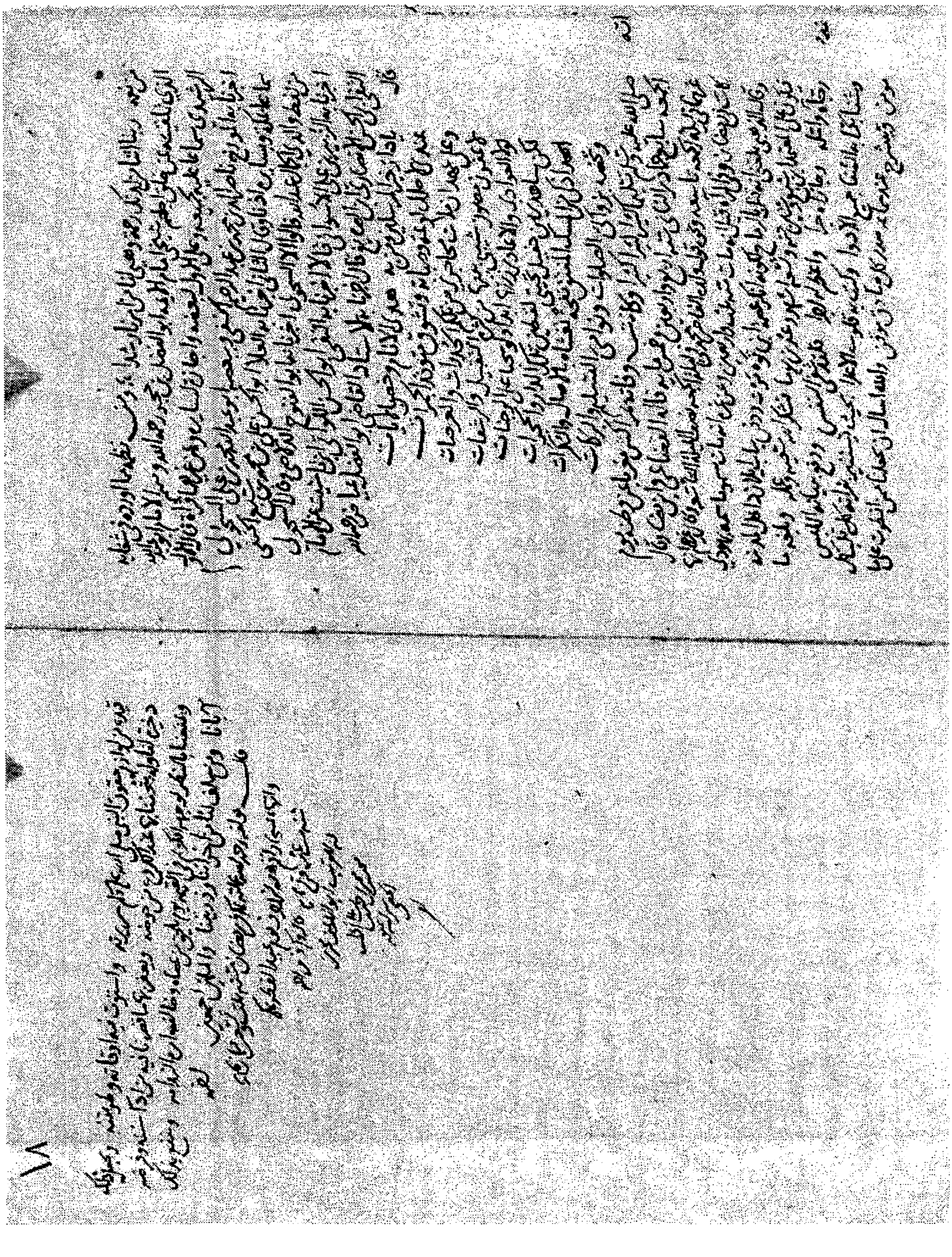
طرة النسخة (ع)



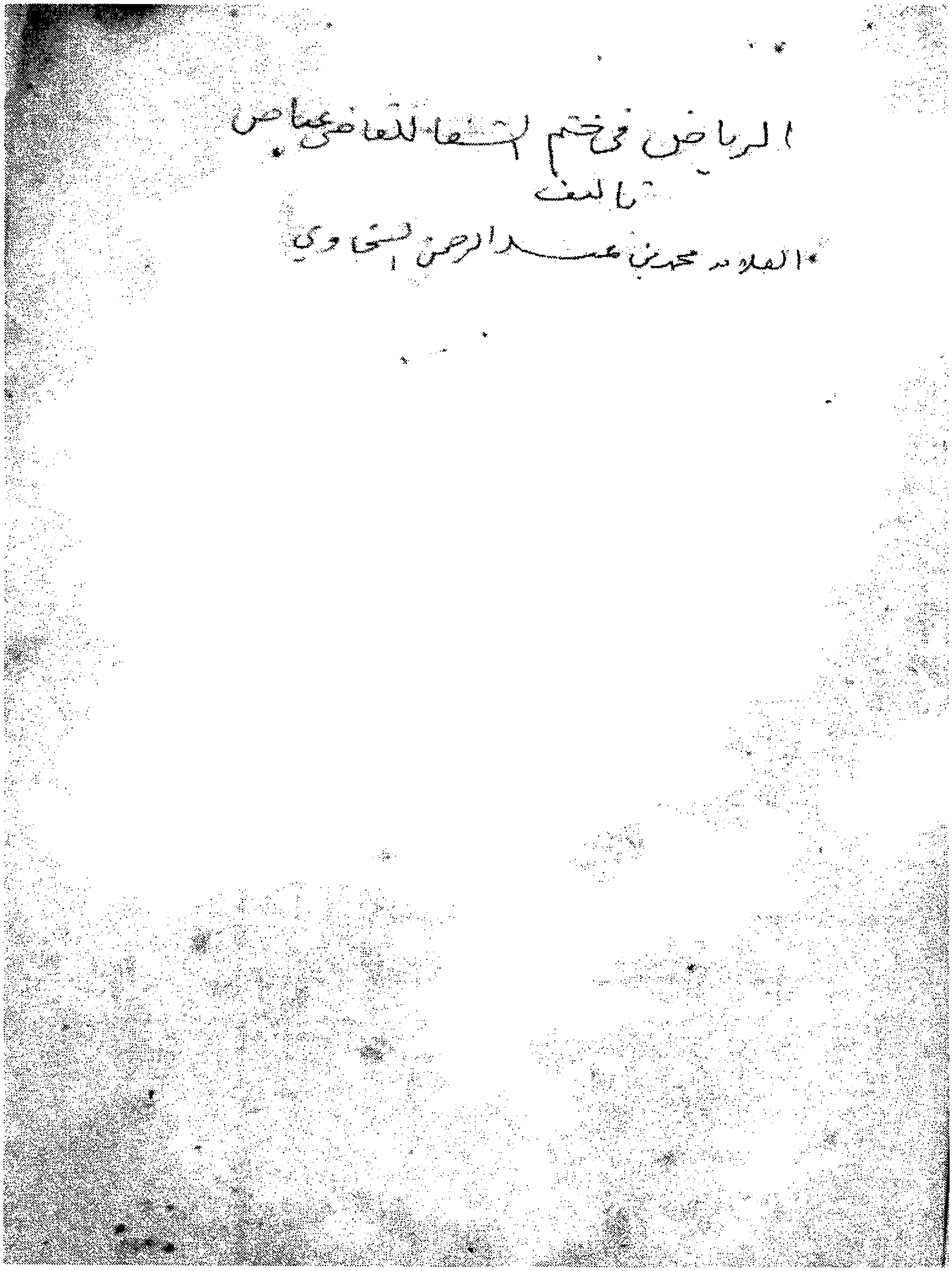
الورقة الأولى من النسخة (ع)



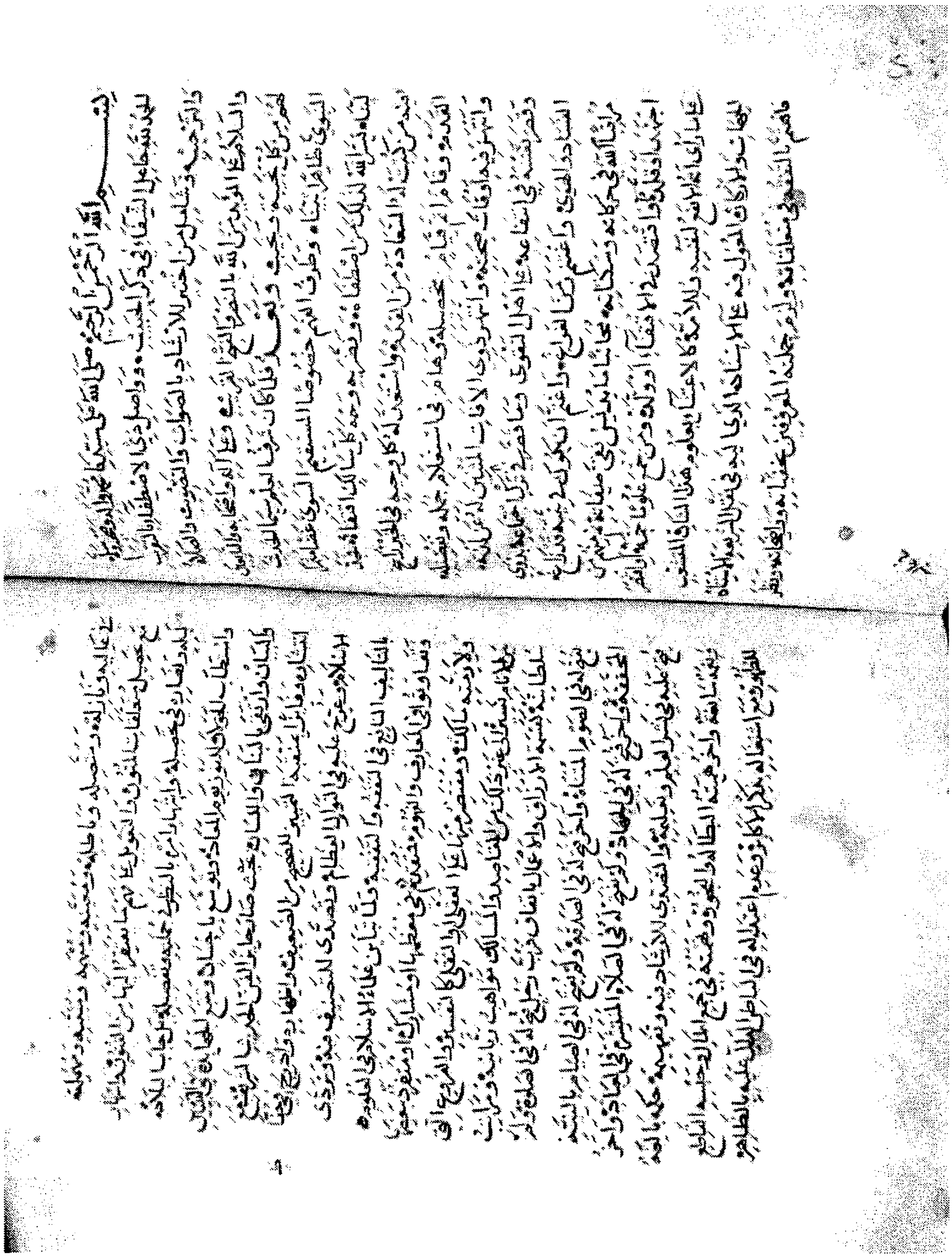
الورقة الأخيرة من النسخة (ع)



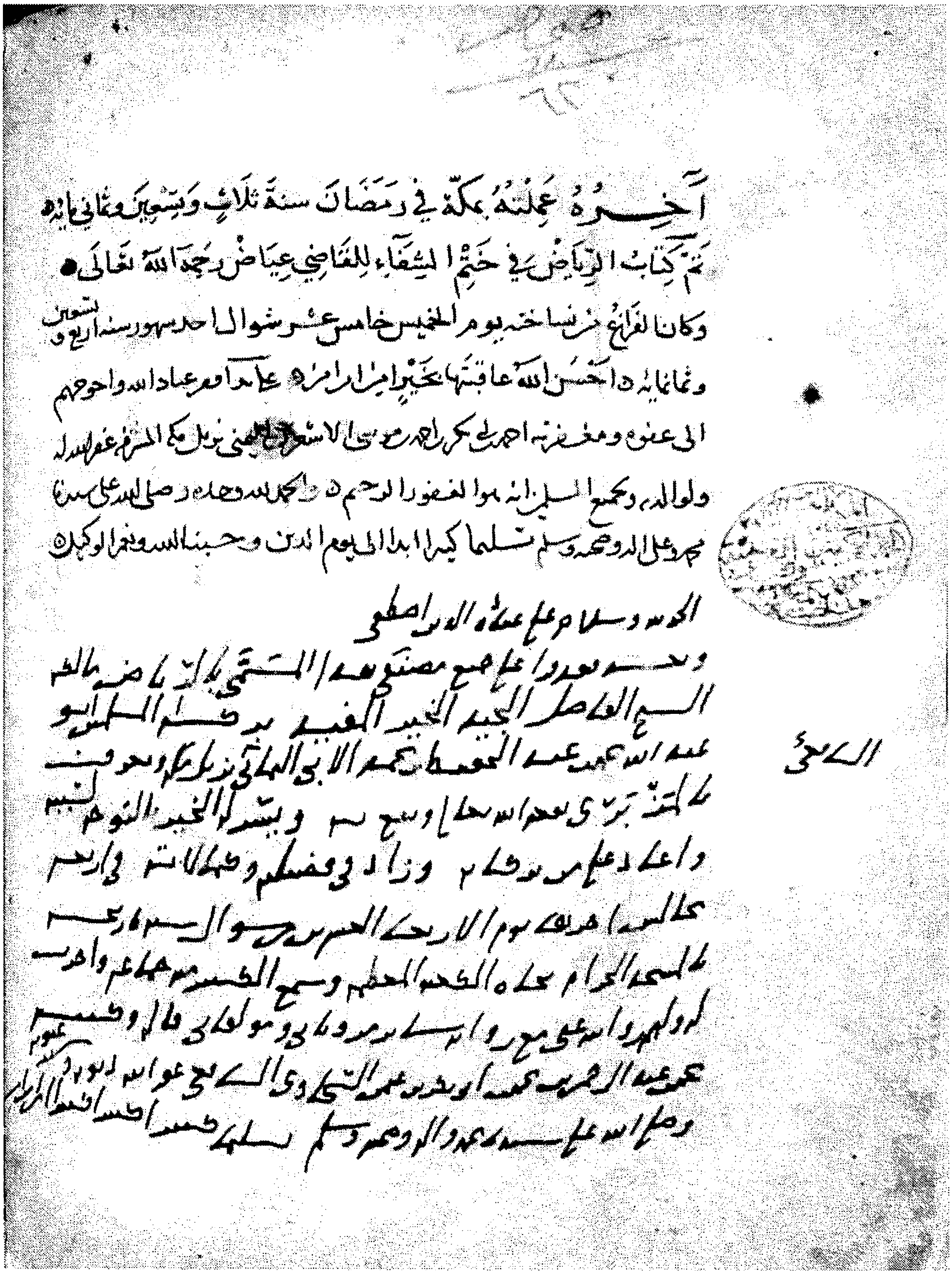
طرة النسخة (ي)


الرياض في ختم الشفا للقاضي عياض
تأليف
العلامة محمد بن عبد الرحمن السخاوي

الورقة الأولى من النسخة (ي)

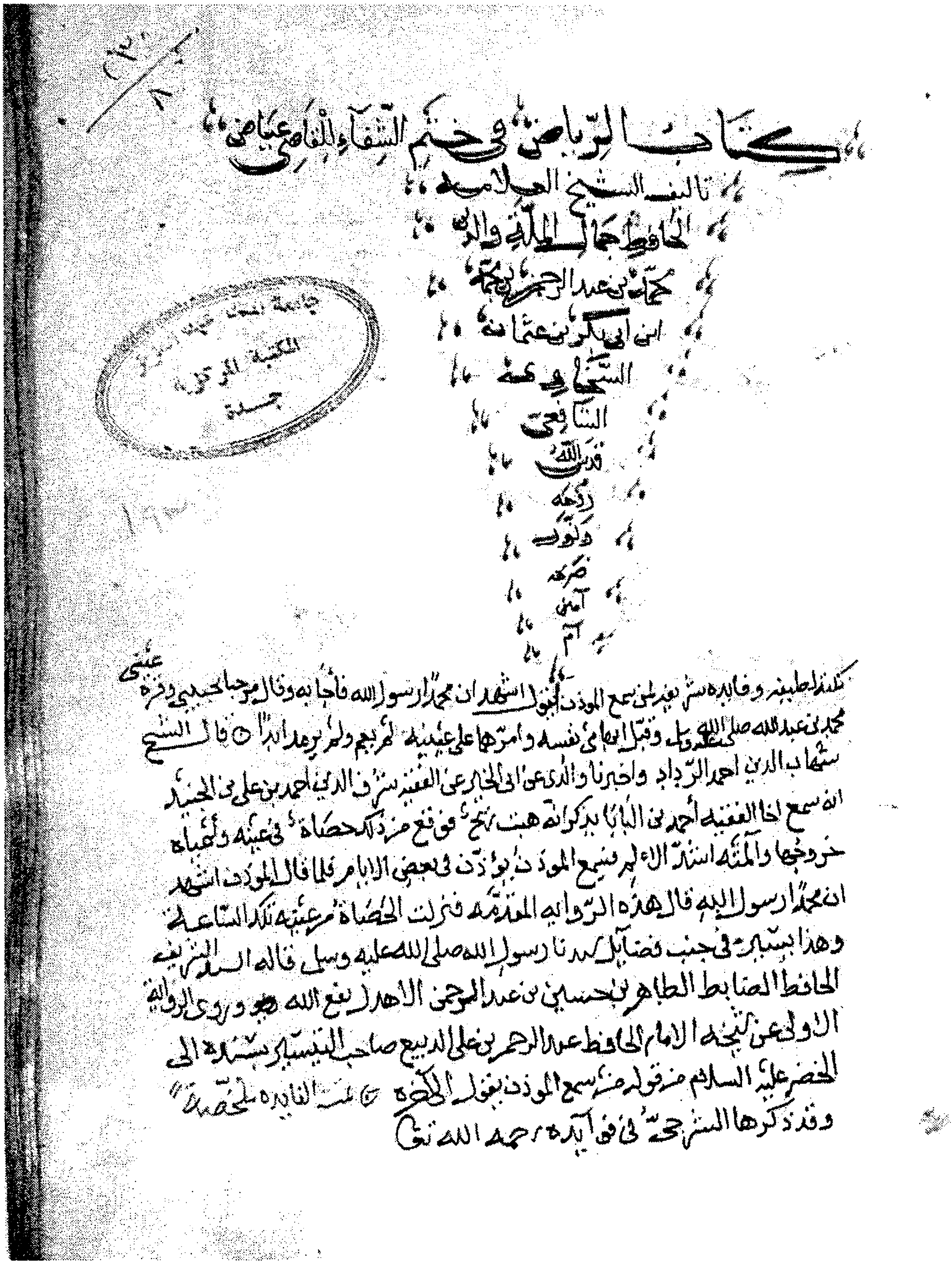


الورقة الأخيرة من النسخة (ي)


آخره عملته بمكة في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثماني مائة
تم كتاب الرياض في ختم الشفاء للقاضي عياض رحمه الله تعالى
وكان الفراغ من نساخته يوم الخميس خامس عشر شوال احد شهور سنة اربع وتسعين
وثمانمائة احسن الله عاقبتها بخير امين امين على يد افقر عباد الله واحوجهم
الى عفوه ومغفرته احمد بن ابي بكر [illegible] الاشعري اليمني نزيل مكة المشرفة غفر الله له
ولوالديه ولجميع المسلمين انه هو الغفور الرحيم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ابدا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
[illegible]

طرة النسخة (ج)



كتاب الرياض في ختم الشفاء للقاضي عياض

تأليف الشيخ العلامة

الحافظ جمال الملة والدين

محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن أبي بكر بن عثمان

السخاوي عفى عنه

الشافعي

قدس الله

روحه

ونور

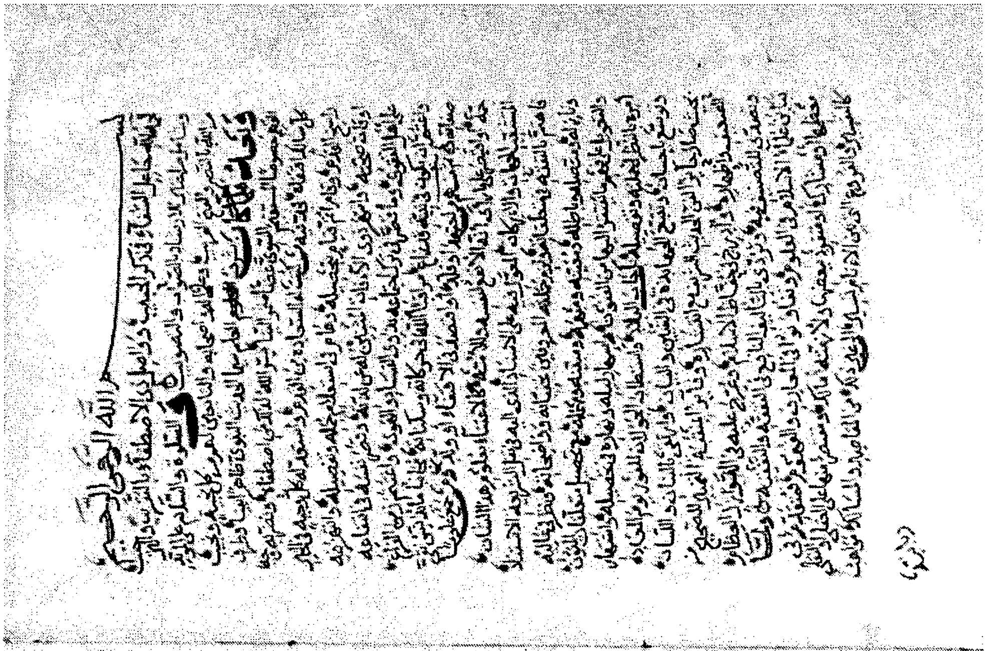
ضريحه

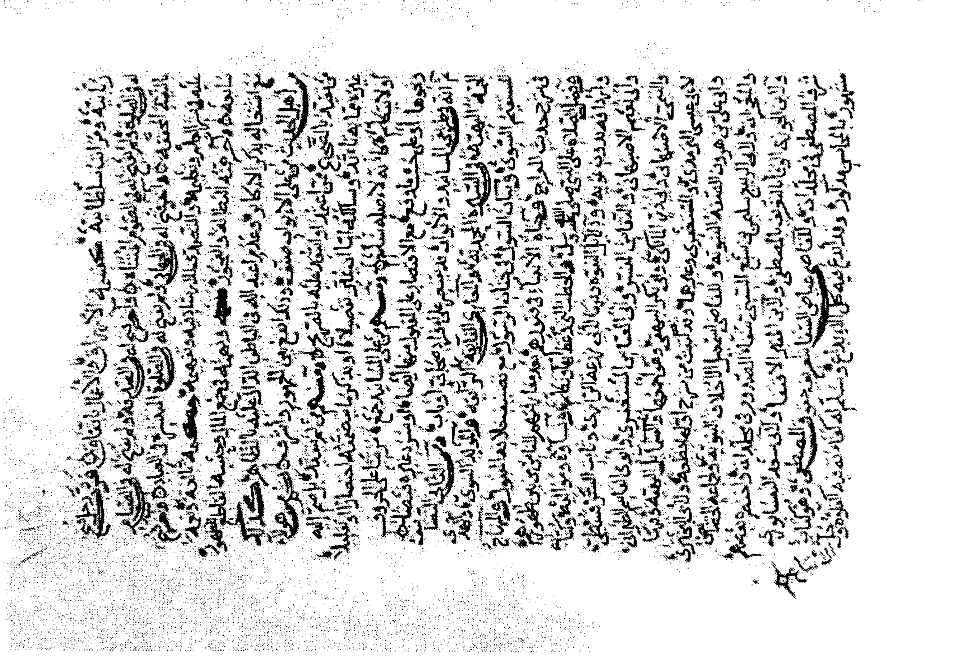
آمين

آمين

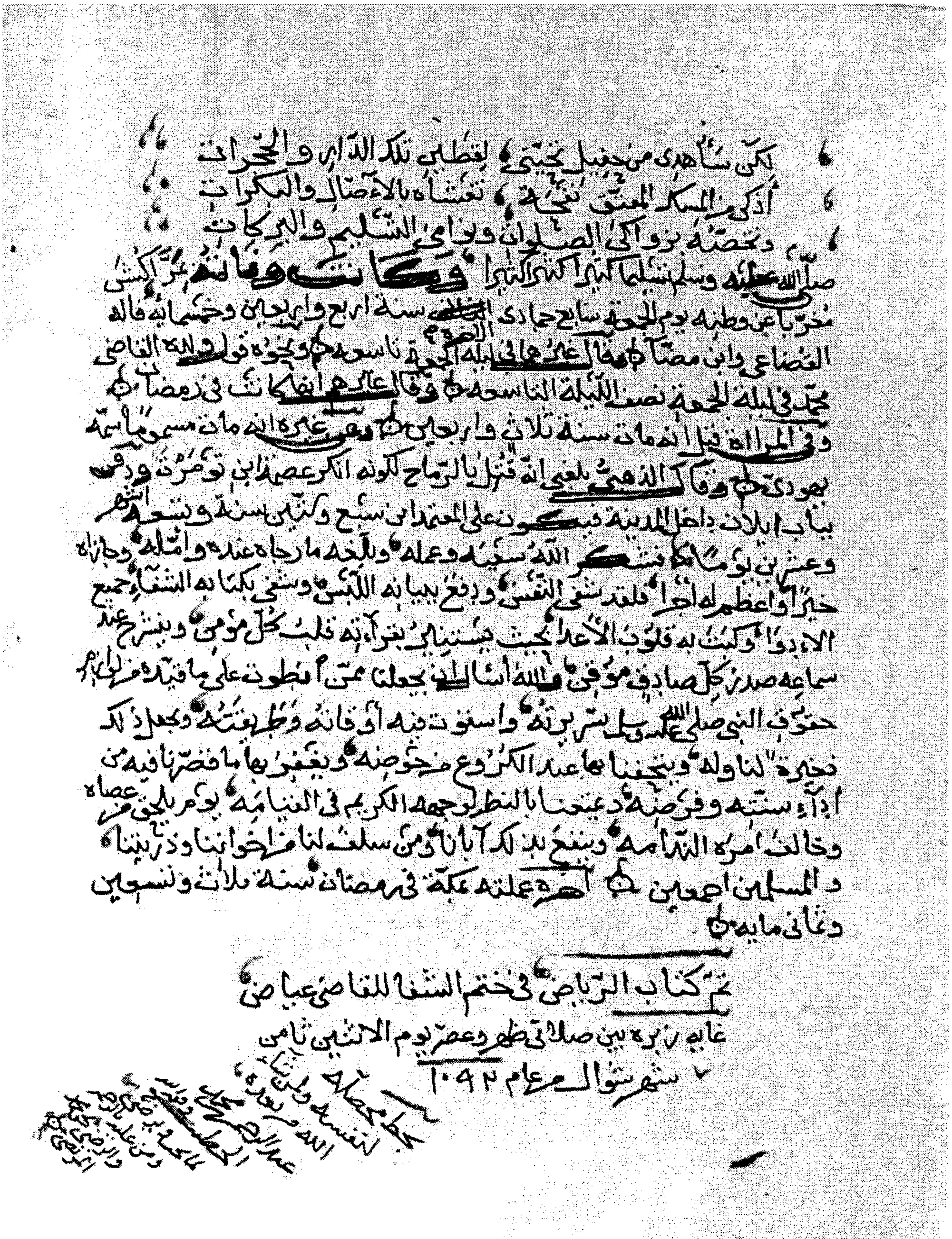
تنبيه لطيف وفائدة شريفة: يستحب لمن سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدًا رسول الله فأجابه وقال مرحبًا بحبيبي وقرة عيني محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقبّل إبهامي نفسه وأمرّها على عينيه لم يعم ولم يرمد أبدًا. قال الشيخ شهاب الدين أحمد الرداد: وأخبرنا والدي عن أبي الخير عن الفقيه شرف الدين أحمد بن علي بن الجنيد أنه سمع أخا الفقيه أحمد بن الباباد يذكر أنه هبت ريح فوقع من ذلك حصاة في عينه وأعياه خروجها وآلمته أشد الألم فسمع المؤذن يؤذن في بعض الأيام فلما قال المؤذن أشهد أن محمدًا رسول الله قال هذه الرواية المتقدمة فنزلت الحصاة من عينه تلك الساعة. وهذا يسير في جنب فضائل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قاله السيد الشريف الحافظ الضابط الطاهر بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل نفع الله به. وروى الرواية الأولى عن شيخه الإمام الحافظ عبد الرحمن بن علي الديبع صاحب التيسير بسنده إلى الخضر عليه السلام من قوله من سمع المؤذن يقول الخ. من الفائدة لمحمد. وقد ذكرها الشيخ جمال الدين في فوائده رحمه الله تعالى.

الورقة الأولى من النسخة (ج)





الورقة الأخيرة من النسخة (ج)


لكن شاهدي من جميل نحيبي * لفظي تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتق نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيرا كثيرا * وكانت وفاته رحمه الله بمراكش
مغربا عن وطنه يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة قاله
القضاعي وابن مضا * وقال غيرهما في ليلة الجمعة تاسعه * ونحوه قول ولده القاضي
محمد في ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة * وقال غيرهما إنها كانت في رمضان *
وفي المرآة قيل إنه مات سنة ثلاث وأربعين * وفي غيره أنه مات مسموما سمه
يهودي * وقال الذهبي بلغني أنه قتل بالرماح لكونه أنكر عصمة ابن تومرت ودفن
بباب أيلان داخل المدينة [illegible] سبع وستين سنة وتسعة أشهر
وعشرين يوما * شكر الله سعيه وعمله * وبلغه ما رجاه عنده وأمله وجازاه
خيرا وأعظم له أجرا * فلقد شفى النفس * ودفع ببيانه اللبس * وشفى بكتابه الشفا جميع
الأدواء * وكبت به قلوب الأعداء * [illegible] بقراءته قلب كل مؤمن * وينشرح عند
سماعه صدر كل صادق موقن * فالله أسأل أن يجعلنا ممن انطوت على ما فيه من إكرام
حقوق النبي صلى الله عليه وسلم سريرته * واستوت [illegible] أوقاته وطويته * ويجعل ذلك
ذخيرة لنا وله * وينجينا بها عند الكروب من خوضه * ويغفر بها ما قصرنا فيه من
أداء سنته وفرضه * ويمتعنا بالنظر لوجهه الكريم في القيامة * يوم يلحق من عصاه
وخالف أمره الندامة * ويشفع بذلك آباءنا ومن سلف لنا من إخواننا وذريتنا *
والمسلمين أجمعين * [illegible] عكة في رمضان سنة ثلاث وتسعين
وثمانمائة *

تم كتاب الرياض في ختم الشفا للقاضي عياض
على يد [illegible] بين صلاتي ظهر وعصر يوم الاثنين ثامن
شهر شوال من عام ١٠٩٢

[ق ٢/أ] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(رَبِّ وَفِّقْنِي فَلَا أَعْدِلَ عَنْ سَنَنِ السَّاعِينَ فِي خَيْرِ سَنَنْ)(١)

الحَمْدُ لِلَّهِ جَاعِلِ الشِّفَاءِ فِي ذِكْرِ الحَبِيبِ، وَوَاصِلِ ذوي(٢) الاصْطِفَاءِ بِالتَّقْرِيبِ وَالتَّرْحِيبِ، وَشَامِلِ مَنِ اخْتِيرَ لِلإِرْشَادِ بِالصَّوَابِ وَالتَّصْوِيبِ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى المؤَيَّدِ مِنَ اللهِ بِالنَّصْرِ وَالفَتْحِ القَرِيبِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ نَجِيبَةٍ وَنَجِيبٍ، وَبَعْدُ.

فَلَمَّا كَانَ شَرَفُ العِلْمِ سِيَّما الحَدِيثَ النَّبوِيَّ ظَاهِرًا بَيِّنًا، وَطَرَفُ الفَهْمِ خُصُوصًا المُسْتَقِيمَ السَّوِيَّ غَضًّا مُثْمِرًا لَيِّنًا، يَسَّرَ اللهُ لِذَلِكَ مَنِ اصْطَفَاهُ، وَنَضَّرَ بِهِ وَجْهَ كُلِّ سَالِكٍ اقْتَفَاهُ، فَجَدَّ فِيهِ مَنْ كُتِبَتْ لَهُ السَّعَادَةُ مِنَ القِدَمِ، وَاسْتَعَدَّ لَهُ كُلُّ وَجِيهٍ فِي الخَيْرِ رَاسِخِ القَدَمِ، وَقَامَ أَتَمَّ قِيَامٍ بِتَحْصِيلِهِ، وَهَامَ فِي اسْتِعْلَامِ جُمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ، وَانْتَهَزَ فِيهِ أَوْقَاتَ صِحَّتِهِ، وَانْتَهَرَ ذَوِي الآفَاتِ المُثْنِينَ لَهُ عَنْ لَذَّتِهِ، وَقَصَرَ نَفْسَهُ فِي انْتِفَاعِهِ عَلَى أَهْلِ التَّقْوَى، وَمَا قَصَّرَ فِي تَرْكِ اجْتِمَاعِهِ بِذَوِي الفَسَادِ وَالهَوَى(٣)، وَاغْتَنَمَ زَمَنَ(٤) الفَرَاغِ، وَاغْتَمَّ أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّتِهِ قَدْ زَاغَ، مُرَاقِبًا اللهَ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، مُجَانِبًا مَا يُدَنِّسُ نَقِيَّ صِفَاتِهِ.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنِ اجْتَهَدَ أَوْ قَلَّدَ، وَاقْتَصَدَ فِي الاقْتِفَاءِ أَوْ وَلَّدَ، وَمِنْهُمْ مَنْ(٥) جَمَعَ عُلُومًا

---

(١) في (ي): «صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

(٢) في (ي): «ذي».

(٣) في (ع): «الأهواء».

(٤) في (ي): «من».

(٥) قوله: ومنهم من. في (ي): ومن.

جَمَّةً، وَاقْتَصَرَ(١) عَلَى مَا رَأَى أَنَّهُ الأَنْفَعُ لِنَفْسِهِ وَلِلأُمَّةِ، كَالاعْتِنَاءِ بِعُلُومِ هَذَا الشَّأْنِ، المُتَشَعِّبِ الجِهَاتِ وَالأَرْكَانِ، المُعَوَّلِ فِيهِ عَلَى الإِسْنَادِ، الَّذِي إِلَيْهِ فِي نَقْلِ الشَّرِيعَةِ الاسْتِنَادُ، فَاهْتَمَّ بِالتَّفَقُّهِ فِي مُتَعَلَّقَاتِهِ، وَلَزِمَ حَمَلَتَهُ المَعْرُوفِينَ بِخَفِيَّاتِهِ وَوَاضِحَاتِهِ.

وَنَظَرَ(٢) فِي عَالِيهِ وَنَازِلِهِ، وَمُتَّصِلِهِ وَبَاطِلِهِ، وَمُعَيَّنِهِ وَمُبْهَمِهِ، وَمُبَيَّنِهِ وَمُهْمَلِهِ، مَعَ تَحْصِيلِ مُتَعَلَّقَاتِ المُتُونِ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَى فَهْمِ مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا مِنَ الفُنُونِ، وَإِسْهَارِ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ فِي تَحْصِيلِهِ، وَاشْتِهَارِ(٣) أَمْرِهِ بِالنَّظَرِ فِي جُمْلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ، بَلْ جَابَ البِلَادَ، وَاسْتَطَابَ الجَوَلَانَ لِلْفَوْزِ يَوْمَ المَعَادِ، وَتَوَسَّعَ بِإِحْسَانٍ، وَتَتَبَّعَ الجَهَابِذَةَ فِي التَّبْيِينِ وَالبَيَانِ، وَارْتَقَى بِالْبَنَانِ وَاللِّسَانِ، بِحَيْثُ صَارَ حَائِزًا لِفَنِّ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَعَ انْتِشَارِهِ، وَفَائِزًا بِمَنْقَبَةِ التَّمْيِيزِ لِلصَّحِيحِ مِنَ الضَّعِيفِ وَإِظْهَارِهِ، وَأُدْرِجَ فِي حُفَّاظِ الإِسْلَامِ، وَعُرِّجَ عَلَيْهِ فِي النَّوَازِلِ العِظَامِ، وَتَصَدَّى لِلتَّصْنِيفِ فِيهِ، وَتَرَدَّى بِالتَّأْلِيفِ النَّافِعِ فِي التَّفَقُّهِ وَالتَّفْقِيهِ.

وَكَمَا(٤) تَبَايَنَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ فِي العُلُومِ، وَتَفَاوَتُوا فِي المَعَارِفِ وَالفُهُومِ، فَمُتَقَدِّمٌ فِي مُعْظَمِهَا أَوْ مُشَارِكٌ، أَوْ مُتَفَرِّدٌ بِبَعْضِهَا وَلِأَزِمَّتِهِ مَالِكٌ، وَمُقْتَصِرٌ مِنْهَا عَلَى العَقْلِيِّ أَوِ النَّقْلِيِّ كَالتَّفْسِيرِ، وَالفُرُوعِ الَّتِي بَيْنَ الأَنَامِ تَسِيرُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَقَاصِدِ وَالمَسَالِكِ [ق٢/ب]، مَوَاهِبُ رَبَّانِيَّةٌ، وَمَرَاتِبُ سُلْطَانِيَّةٌ، كَقِسْمَةِ الأَرْزَاقِ، وَالأَعْمَالِ بِاتِّفَاقٍ.

فَرُبَّ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ المُتَنَاهِ، وَآخَرُ فُتِحَ لَهُ فِي

---

(١) في (ي): «أَوِ اقتصر».

(٢) [ق٢/ب] من (ي).

(٣) في(ي): «وإِشْهَارِ».

(٤) في (ي): «ولَمَّا».

الصَّدَقَةِ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصِّيَامِ بِالنِّيَّةِ المحقَّقَةِ، وَآخَرُ فُتِحَ لَهُ فِي الجِهَادِ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّلَاةِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي العِبَادِ، وَآخَرُ فُتِحَ عَلَيْهِ فِي نَشْرِ العِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ، وَالتَّصَدِّي لِلْإِرْشَادِ فِيهِ وَتَفْهِيمِهِ، حِكْمَةً بَالِغَةً، وَنِعْمَةً سَابِغَةً، وَآخَرُ هَمَّتُهُ(١) البَطَالَةُ وَالفُجُورُ، [وَنَهْمَتُهُ فِي جَمْعِ المَالِ القَاطِعِ وَحَبْسِهِ لِلظُّهُورِ](٢)، مَعَ اشْتِغَالِهِ بِذِكْرِ الأَكَابِرِ، وَعَدَمِ اعْتِدَالِهِ فِي البَاطِنِ الدَّالِّ عَلَيْهِ بِالظَّاهِرِ(٣).

كَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ مَنْ عَلَى الأَبْوَابِ صَنَّفَ، وَذَلِكَ أَنْفَعُ بَيْنَ الجُمْهُورِ وَأَشْرَفُ، ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ تَقَيَّدَ بِالصَّحِيحِ، مِمَّنِ اعْتَمَدَ أَوِ انْتَقَدَ عَلَيْهِ بِالصَّرِيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَتَقَيَّدْ، بَلْ ضَمَّ إِلَيْهِ غَيْرَهُ مِمَّا بِهِ تَأَبَّدَ، وَسَالِكُهُ إِمَّا أَنْ يُمَيِّزَ تَفْصِيلًا، أَوْ يَذْكُرُ مَا يَتَضَمَّنُهُ اخْتِصَارًا وَتَقْلِيلًا(٤)، أَوْ لَا يَتَكَلَّمُ، كَأَنَّهُ لِأَصْلِهِ سَلَّمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَلَى المَسَانِيدِ جَمَعَ، مُرَتَّبًا عَلَى الحُرُوفِ وَنَحْوِهَا أَوْ عَلَى حَسَبِ مَا وَقَعَ، مَعَ الاقْتِصَارِ عَلَى المَقْبُولِ مِنْهَا أَيْضًا، أَوْ سَرَدَ غَيْرَهُ فَيْضًا.

ثُمَّ إِنَّهُ فِي طَرِيقَي(٥) المَسَانِيدِ وَالأَبْوَابِ، قَدْ يَقْتَصِرُ عَلَى إِفْرَادِ صَحَابِيٍّ أَوْ بَابٍ(٦)، وَمِنَ الثَّانِي التَّصَانِيفُ الجَمَّةُ البَهِيَّةُ فِي السِّيرَةِ المحَمَّدِيَّةِ، وَالمَغَازِي الفَائِقَةِ وَالعِبَارَاتِ(٧) الرَّائِقَةِ، وَ«المَوْلِدُ النَّبَوِيُّ وَالهَدْيُ المسْتَقِيمُ السَّوِيُّ»، وَ«بَيَانُ السُّولِ فِي خِتَانِ

---

(١) في(ع): «دهمته».

(٢) في (ي): «وَنَهْمَتُهُ فِي جَمْعِ المَالِ وَحَبْسِهِ القَاطِعِ لِلظُّهُورِ».

(٣) [ق٣/أ] من (ي) وفي النسختين سقط لوحة، يظهر من المعنى، وكأن المصنف انتقل بالحديث إلى المصنفات في الحديث وطريقة أصحابها.

(٤) في (ي): «أَوْ تقليلًا».

(٥) في(ي): «طريق».

(٦) أي: موضوع.

(٧) قوله: والعبارات. ليس في من(ي).

الرَّسُولِ»(١)، مَعَ تَصْنِيفِ خِلَافِهِ المَقْبُولِ، وَ«المِنْهَاجُ فِي شَرْحِ حَدِيثِ المِعْرَاجِ»، وَ«حَيَاةُ الأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ»، بَعْدَ مُفَارَقَتِهِمْ لِلنَّاسِ مِنْ بَيْنِ ظُهُورِهِمْ، وَفَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالخُطَبُ الَّتِي بِهَا وَعَظَ وَتَكَلَّمَ، وَنِسَاؤُهُ وَمَوَالِيهِ، وَكُتَّابُهُ وَأَرْدَافُهُ بِدُونِ تَمْوِيهٍ.

وَ«دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ»، وَفِيهَا لِأَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ، وَثَابِتٍ السَّرَقُسْطِيِّ، وَأَبِي نُعَيْمٍ الأَصْبَهَانِيِّ، وَالنَّقَّاشِ المُفَسِّرِ، وَأَبِي العَبَّاسِ المُسْتَغْفِرِيِّ، وَأَبَوَيِ القَاسِمِ الطَّبَرَانِيِّ، وَالتَّيْمِيِّ الأَصْبَهَانِيِّ، وَأَبِي ذَرٍّ المَالِكِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ البَيْهَقِيِّ، وَهُوَ أَجْمَعُهَا.

وَ«الشَّمَائِلُ» البَهِيَّةُ، وَفِيهَا لِأَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ وَالمُسْتَغْفِرِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَقَدْ كَتَبْتُ مِنْ شَرْحِ أَوَّلِهَا(٢) قِطْعَةً.

وَلِأَبِي البَخْتَرِيِّ وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ: «الصِّفَةُ النَّبَوِيَّةُ»، وَلِلْقَاضِي إِسْمَاعِيلَ «الأَخْلَاقُ النَّبَوِيَّةُ»، وَلِجَمَاعَةٍ: «الخَصَائِصُ وَالمُعْجِزَاتُ»، وَلِأَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَبْعٍ السَّبْتِيِّ: «شِفَاءُ [ق٣/ب] الصُّدُورِ» فِي مُجَلَّدَاتٍ(٣)، وَاخْتَصَرَهُ بَعْضُهُمْ.

---

(١) ذكر المؤلف في «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» (١٢٥٣/٣) و«المولد النَّبوي: جماعة؛ منهم مِنَ المتأخِّرين: الزِّين العراقي، وابن الجزري في تصنيفين، والتقي أبو بكر الحصني، ثم الدِّمشقي، وابن ناصر الدين في تصانيف له. ومن قبلهم «الدُّرُّ المنظَّم في المولد المعظم» لأبي القاسِم السَّبتي، و«الدُّر النَّظيم في مولد النَّبيِّ الكريم» لعمر بن أيّوب بن عمر بن طُغريل، و«المولد» للفخر عثمان بن محمد بن عثمان التَّوزري، والصلاح العلائي، و«إتحاف الرُّواة بذكر المولد والوفاة» للقطب القسطلاني، و«بيان السول في ختان الرسول» لمحمد بن طلحة بن الحسن النَّصيبي»، وللعلامة السيد عبد الحي الكتاني رسالة حافلة في التآليف المولدية، نشرت بتحقيق الأخ الحبيب أبي الإسعاد خالد السباعي، بدار الحديث الكتانية العامرة.

(٢) وفي المرجع السابق عند ذكر كتابي الشمائل، قال: «وقد شرعتُ في شرح أوَّلهما»، وفي «الإعلان والتوبيخ» والشمائل النبوية أبو عيسى الترمذي وأبو العباس المستغفري وأبو بكر بن طرخان البلخي وكتبت من شرح أولها قطعة ورأيت قطعة من مسودة بخط الجمال بن الظاهري كالمستخرج عليها.

(٣) في الجواهر والدرر في الموضع السابق: «في مجلد»، وفي «الإعلان» في مجلدات، واختصره بعض الأئمة وفيه مناكير كثيرة».

وَلابْنِ الجَوْزِيِّ: «الوَفَا بِالتَّعْرِيفِ بِالمُصْطَفَى»، وَلابْنِ المُنِيرِ: «الاقْتِفَا»، وَلأَبِي سَعْدٍ النَّيْسَابُورِيِّ: «شَرَفُ المصْطَفَى» فِي مُجَلَّدَاتٍ [ق٢/ب].

وَلِلْقَاضِي عِيَاضٍ: «الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفَى»، وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ وبِالمَحَاسِنِ[١] مَذْكُورٌ، وَقَدْ أَبْدَعَ فِيهِ كُلَّ الإِبْدَاعِ، وَسَلَّمَ لَهُ كَفَاءَتَهُ فِيهِ أَكْفَاؤُهُ وَجُلُّ الأَتْبَاعِ، وَلَمْ يُنَازِعْهُ أَحَدٌ فِي[٢] الانْفِرَادَ بِهِ، وَلَا أَنْكَرُوا مَزِيَّةَ السَّبْقِ إِلَيْهِ وَسَبَبِهِ، بَلْ تَشَوَّقُوا[٣] لِلْوُقُوفِ عَلَيْهِ، وَأَنْصَفُوا فِي الاسْتِفَادَةِ مِنْهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَحَمَلَهُ النَّاسُ عَنْهُ، وَاسْتَمَدُّوا مِنْهُ، وَطَارَتْ نُسَخُهُ[٤] شَرْقًا وَغَرْبًا، بُعْدًا وَقُرْبًا، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ نَثْرًا وَنَظْمًا، وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهِ إِيضَاحًا وَفَهْمًا، وَرُبَّمَا انْتُقِدَ فِي بَعْضِهِ، وَافْتُقِدَ بِالاعْتِرَاضِ وَنَقْضِهِ، فَكَانَ مِنَ النَّظْمِ مَا قَالَهُ الإِمَامُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلَفِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ فَرْقَدٍ القُرَشِيُّ ﷺ[٥]:

شَفَى نَفْسَ كُلِّ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ ... بِنُورِ البَيَانِ كِتَابُ الشِّفَا
وَأَبْهَجَهَا مَا تَضَمَّنَهُ ... مِنَ القَوْلِ فِي شَرَفِ المُصْطَفَى

---

(١) في (ي): بالمحاسن.

(٢) قوله: في. ليس في (ي).

(٣) في(ي): «تَشَوَّفُوا».

(٤) له أكثر من ألفي نسخة في مكتبات العالم.

(٥) ينظر ترجمته في «التكملة لكتاب الصلة» لابن الأبار (١/١٠١) ط- دار الفكر، و«الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» لأبي عبد الله المراكشي (١/٢٣٠-٢٣١) ط/دار الغرب، ونقل ترجمته عنه صاحب «الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام».
قال صاحب الذيل: «وكان مُحدِّثًا زَكِيًّا فاضلًا ثقةً فيما يُحدِّثُ به، كتَبَ الكثيرَ بخطّه الجيِّد وقيَّدَ أكثرَه، وكان مُتقِنَ الضَّبط فيما يُعاني تصحيحَه من كتُبِه، ويوجَدُ له فيما سوى ذلك أوهام، واستُقْضِي بغَرْناطة وسَلَا وغيرِهما من المواضع النَّبيهة».

وَفِي شَرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَفِي ... طَهَارَتِهِمْ مِنْ ضُرُوبِ الجفَا
جَزَى اللهُ وَاضِعَهُ جَنَّةً ... وَقُرِّبَ زُلْفَى بِمَا أَلَّفَا
أَفادَ عُلُومًا جَهُولًا بِهَا ... وَزَحْزَحَ عَنْهُ عَمًى وَنَفَى
عُلُومًا تَزِيدُ القُلُوبَ هُدًى ... فَأَفْلَحَ قَلْبٌ زَكَى وَصَفَا
رِيَاضٌ مِنَ العِلْمِ صَنَّفَهُ عِيَا ... ضٌ فَأَكْرِمْ بِمَا صَنَّفَا(١)
إِذَا مَا تَأَمَّلَ أَزْهَارَهُ ... أَرِيبٌ سَقِيمُ الفُؤَادِ اشْتَفَى

وَقولُ(٢) غَيْرِهُ:

شِفَاءُ عِيَاضٍ لِلْقُلُوبِ دَوَاؤُهَا ... مِنَ الجهْلِ فَاجْهَدْ أَنْ تَكُونَ بِهِ مُغْرى
لَقَدْ فَازَ بِالأَجْرِ الجزِيلِ حَقِيقَةً ... لَدَى حَلْبَةِ السَّبَاقِ فِي مَوْقِفِ الأُخْرَى

في أَبْيَاتٍ.

وقولُ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ رُشَيدٍ(٣):

جَزَى الإِلَهُ عِيَاضًا بِالشِّفَاءِ غَدًا ... رِيَاضَ فِرْدَوْسِهِ نُزْلًا بِجَنَّتِهِ
دَوَاؤُه قَدْ شَفَى الأَدْوَاءَ فَهْوَ لَهُ ... ذُخْرٌ يَقِيهِ يَقِينًا لُبْسَ جُنَّتِهِ

وَقَوْلُ العَلَّامَةِ الشَّمْسِ ابْنِ الصَّائِغ(٤) أَحَدِ مَنْ أَخَذْنَا عَنْ أَصْحَابِهِ:

---

(١) [ق٤/أ] من (ي).

(٢) في (ي): «وَقَالَ».

(٣) هو مُحَمَّد بْن رشيدِ بْن محمود بْن أَبِي القاسم، رشيدُ الدّين أَبُو عَبْد الله، النَّيْسابوريّ العطَّارُ الصُّوفيّ الكاتبُ المجوِّدُ. ترجمته في «تاريخ الإسلام» (١٨٥/١٤).

(٤) لعلَّه: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن الشيخ شمس الدين المعروف بابن الصائغ. برع في الفقه والعربية والأدب، ودرس وأفاد، وله تصانيف في فنون، من ذلك «شرح ألفية ابن مالك»، و«شرح البردة»، و«شرح مشارق الأنوار». مات في شعبان سنة سبع وسبعين وسبعمائة. ترجمته في «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (٤٧١/١).

عُوِّضْتَ جَنَّاتِ عَدْنٍ يَا عِيَاضُ فَمَا ... عَنِ الشِّفَاءِ الَّذِي صَنَّفْتَهُ عِوَضُ
رَوَيْتَ(١) فِيهِ أَحَادِيثًا مُصَحَّحَةً ... فهو(٢) الشِّفَاءُ لِمَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضُ

وَسَيَأْتِي فِي أَثْنَاءِ النَّثْرِ بَعْضُ النَّظْمِ.

وَمِنْهُ لِلْخَطِيبِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَامِعٍ الخطيبِ بِزَبِيدَ:

[ق٣/أ] نِعْمَ الكِتَابُ إِذَا تَأَمَّلْتَ الشِّفَا ... هُوَ كَاسْمِهِ لَا خُلْفَ فِيهِ وَلَا خَفَا
لَا تَعْتَقِدْ فِي الكُتْبِ صُنِّفَ مِثْلُهُ ... سِفْرٌ حوى تَعْرِيفَ حَقِّ المُصْطَفَى
فَاحْرِصْ عَلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... فِي فَنِّهِ عَنْ كُلِّ سِفْرٍ قَدْ كَفَى
يَجْزِي مُصَنِّفَهُ عِيَاضُ عَنِ الوَرَى ... خَيْرَ الجزَا فَلَقَدْ بِهِ الأَدْوَا شَفَا

وَمِنْهُ مِمَّا هُوَ لِلإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الغِرْنَاطِيِّ لِمَا نَسَخَهُ بِالرَّوْضَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي شَعْبَانَ(٣):

[سنة أعز علي من رتب](٤) نَيْلِ الأَمَانِي ... شِفَاءٌ قَدْ حَوَى رُتَبَ الشُّفُوفِ
[ظفرت بكتبه في خير شهرٍ ... له يعزى بمسجده المنيف](٥)
تَضَمَّنَ لِلرَّسُولِ نَفِيسَ مَدْحٍ(٦) ... فَسَادَ(٧) الكُتْبَ بِالنَّهْجِ الظَّرِيفِ
فَقُلْ مَدْحٌ وَمَمْدُوحٌ وَظَرْفٌ ... شَرِيفٌ فِي شَرِيفٍ فِي شَرِيفِ
فَجَازَى اللهُ بِالحُسْنَى عِيَاضًا ... وَأَجْزَلَ أَجْرَ مُكْتَتِبِ الحُرُوفِ

---

(١) في هامش (ع): «جمعْتَ»، وعليه علامة نسخة خ.

(٢) في (ي): «فيها».

(٣) [ق٤/ب] من (ي).

(٤) في (ي): «وَأَحْسَنُ مِنْ» وكتب على هامشها: «شيئ (ظ) لأنه يرتب بغير هذا».

(٥) وضع هذا البيت في (ي) في آخر الأبيات.

(٦) في (ي): «وَصْفٍ».

(٧) في هامش (ي): «فَفَاق».

ظَفِرْتُ بِكُتْبِهِ فِي خَيْرِ شَهْر لَهُ يُعْزَى بِمَسْجِدِهِ المُنِيفِ

وَمِنْهُ لمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ أَبِي القَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ اللَّخْمِيِّ العَزَفِيِّ(١):

نَسْخْتُ الشِّفَا لِعَلِّي بِهِ أَنَالُ الخَلَاصَ وَأَرْجُو الشِّفَا
وَأَعْلَقْتُ حَبْلِيَ مُسْتَوْثِقًا بِذِمَّةِ صَاحِبِهِ المُصْطَفَى
وَمَا خَابَ رَاجِي نَبِيِّ الهُدَى فَمَا الفَضْلُ إِلَّا لَهُ وَالوَفَا
أَقُولُ وَحَسْبِي بِهِ مَقْصِدًا كَفَانِي شَفِيعًا إِلَيْهِ كَفَا

وَمِنْهُ لِشَارِحِهِ التَّاجِ عَبْدِ البَاقِي اليَمَانِيِّ(٢)، مِمَّا رَوَاهُ عَنْهُ البَهَاءُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الجَمَالِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَلَفٍ المَطَرِيُّ الأَنْصَارِيُّ المَدَنِيُّ(٣):

هَذَا الشِّفَاءُ شِفَاءُ القَلْبِ مِنْ أَلَمِ مَا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّحْرِيفِ لِلكَلِمِ
مُهَذَّبُ اللَّفْظِ مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ بِمَا حَوَى دَوْحَةً مِنْ جَوْهَرِ الحِكَمِ
يَهْدِي إِلَى شَرَفِ المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ هِدَايَةً دُونَهَا نَارٌ عَلَى عَلَمِ
كَأَنَّهُ القَمَرُ الزَّاهِي بِطَلْعَتِهِ يُزِيلُ مَا كَانَ لِلإِلْحَادِ مِنْ ظُلَمِ

---

(١) في (ع): «العراقي» والمثبت الصواب.

وهو محمد بن يحيى بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم العزفي، أمير سبتة. ترجمته في «جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينه فاس» لابن القاضي، ط دار المنصور بالرباط (ص٣٠٠)، و«الأعلام» للزركلي (١٣٩/٧).

(٢) هو عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله المخزومي، تاج الدين أبو المحاسن اليماني.

كان ذا مكارم ومعرفة بفنون من العلم، وله نظر ونثر حسن، وخطب بليغة، وتآليف، منها: «مختصر الصحاح»، و«شرح ألفاظ الشِّفا»، وكتاب «بهجة الزمن فى تاريخ اليمن». ترجمته في «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين» للفاسي (٤٥٥/٤).

(٣) قال السبكي في «طبقاته» (٣٤/١٠): عفيف الدِّين أَبُو السِّيادَة المطري، صاحبُنا وحافظ الحَرَمَيْنِ الشريفين ومفيد البلدين، رَحل وطوف الأقاليم وَسمع من خلق، وَخرج لَهُ شَيخنَا الذَّهَبِيّ جُزْءًا قرأته عَلَيْهِ فِي الرَّوْضَة الشَّرِيفَة من الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة على ساكنها أفضل الصَّلَاة وَالسَّلَام.

حَسْبِي بِهِ عُدَّةٌ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ ... تَأْتِي قَوَارِصُهَا بِالشَّيْبِ وَالهَرَمِ

[ق٥/أ]

سَقَى عِيَاضًا مِنَ الغُفْرَانِ دِيمَتَهُ ... فَهْوَ الخَلِيقُ مِنَ الخَلَّاقِ بِالدِّيَمِ

وَمِنْهُ:

كَتَبْتُ بِخَطِّي كِتَابَ الشِّفَا ... رَجَوْتُ بِهِ أَنْ أَنَالَ الشِّفَا

سَعِدْتُ بِذَلِكَ فِي دُنْيَتِي ... وَلُذْتُ بِجَاهِ النَّبِي المُصْطَفَى(١)

[ق٣/ب] ومنْه ممَّا هُو لِلفَقيهِ الجَمالِ مُحَمَّدِ بنِ موسى الدُّؤاليِّ، رَواهُ عنْه النَّفيسُ العلويُّ:

ما كِتَابُ الشِّفاءِ إِلَّا شِفاءٌ ... لِلقُلُوبِ(٢) المِراضِ وَالأَجْسادِ

وَهُوَ العِزُّ وَالقَبُولُ كَمَا قَدْ ... جَاءَنَا عَنْ مَشَايِخِ الإِرْشَادِ

فَجَزَى القَاضِيَ المُصَنِّفَ خَيْرًا ... وَحَبَاهُ الجِنَانَ رَبُّ العِبَادِ

نَسْأَلُ اللهَ حَشْرَنَا كُلَّنَا فِي ... زُمْرَةِ المُصْطَفَى البَشِيرِ الهَادِي

وَلَه أَيْضًا:

للهِ ذُو الفَضْلِ المُسَمَّى عِيَاضْ ... خَيْرُ إِمَامٍ حَازَ عِلْمًا وَخَاضْ

صَنَّفَ فِي فَضْلِ النَّبِيِّ الشِّفَا ... وَلَمْ يَكُنْ صَنَّفَهُ [مِن] قَبْلُ مَاضْ

سِفْرٌ حَوَى لِلمُصْطَفَى مَا حَوَى ... كُلٌّ بِمَا فِيهِ مُقِرٌّ وَرَاضْ

حَتَّى غَدَا مُشْتَهِرًا فَضْلُهُ ... وَأَحْرَزَ الفَضْلَ الطِّوَالَ العِرَاضْ

---

(١) كتب بحاشية ع: ومنه الفرخة الصغيرة الملصقة في الكراس الأول.

(٢) في النسخة الخطية: «شِفا القلوب».

ذَاكَ كِتَابٌ قَدْ غَدَا كَاسْمِهِ ... فِيهِ شِفَاءٌ لِلقُلُوبِ المِرَاضْ
فَاشْدُدْ بِهِ العَزْمَ بِهِ تَسْتَفِدْ ... ثُمَّ اقْضِ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَنْتَ قَاضْ

ومِنْهُ لِلزَّكِيِّ عَبْدِ العَظِيمِ بْنِ أَبِي الإِصْبَعِ: لَمَّا طَالَعْتُ الشِّفَا رحْمةُ اللهِ عَلَى مُؤَلِّفه عَنَّ لِي أَنْ أَقولَ فِيمَنْ أَلَّفَ بَعْضَ مَنَاقِبِهِ ﷺ لَمَّا وَجدْتُ إِحْيَاءَ قَلْبِي بِإِحْيائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقُلْتُ:

أَحْيَا القُلُوبَ مُحَمَّدٌ لَمَّا أَتَى ... وَمَضَى فَأَحْيَتْهَا إِذًا أَنْبَاؤُهُ
كَالوَرْدِ رَاقَكَ لَوْنُهُ وَشَمِيمُهُ ... وَإِذَا تَوَلَّى نَابَ عَنْهُ مَاؤُهُ

وَقَوْله:

شَفَانِي الشِّفَا لَمَّا قَرَأْتُ فُصُولَهُ ... تُعَرِّفُ حَقَّ المُصْطَفَى كُلَّ مُهْتَدِي
نَعَمْ وَهَدَى قَلْبِي بِحُسْنِ صِفَاتِهِ ... بِمَا لَمْ يَكُنْ قَلْبِي إِلَيْهِ لِيَهْتَدِي(١)
فَيَا رَبِّ عَوِّضْ نَفْسَ جَامِعِ نَظْمِهِ ... عِيَاضٍ عَنِ الدُّنْيَا بِوَجْهِكَ فِي غَدِ
وَهَبْنِي بِهِ وَاجْمَعْ بِهِ شَمْلَ ... صَادِقِ المَحَبَّةِ فِيهِ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدِ
فَإِنِّيَ قَدْ أَحْبَبْتُهُ مُخْلِصًا بِمَا ... بَدَا مِنْهُ مِنْ حُبِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَلا شَكَّ أَنَّ المَرْءَ مَعْ مَنْ أَحَبَّهُ ... وَأَخْلَصَ وُدًّا عَارِيًا مِنْ تَوَدُّدِ

وَلِغَيْرِه:

شِفَاءُ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ هُوَ الشِّفَا ... مَشَارِعُ مِنْ يَنبوعِها(٢) مَشْرَعُ الصَّفا
وَلِمْ لَا وَمَجْدُ المُصْطَفَى قَدْ أَتَى بِهِ ... مُؤَلِّفُهُ أَكْرِمْ بِهِ حِينَ أَلَّفَا

---

(١) في النسخة الخطية: «يهتدي».

(٢) في النسخة الخطية: «مشار عمله ينبو بها».

وَكَتَبَ بعضُهم عليْه:

هَذا كِتَابٌ لَوْ يُبَاعُ بِوَزْنِهِ ذَهَبًا لَكَانَ البَائِعُ المَغْبُونَا
أَوَمَا مِنَ الخُسْرَانِ أَنِّي آخِذٌ ذَهَبًا وَمُعْطٍ لُؤْلُؤًا مَكْنُونَا

وَقالَ آخَرُ:

[ق٤/أ] خَتَمْنَا كِتَابَ الشِّفَا وَمَا هُوَ إِلَّا الشِّفَا
فَبُورِكَ فِيهِ لِمَا حَوَى مِنْ حُلَا المُصْطَفَى
كِتَابٌ عَلَا قَدْرُهُ عَلَى كُلِّ مَا صُنِّفَا
عِيَاضٌ بِتَصْنِيفِهِ عَلَى صِنْفِهِ شُرِّفَا
كَفَانِي عُكُوفًا عَلَى فَوَائِدَ فِيهِ كَفَى][1]

وَمِنْهُ مِمَّا هُوَ لِلقَاضِي الجَمَالِ بْنِ ظُهَيْرَةَ فِي قَصِيدَةٍ نَبَوِيَّةٍ:

وَهُوَ المُشَفَّعُ لِلخَلَائِقِ فِي غَدٍ وَالخَلْقُ قَدْ حَارُوا وَمَا أَحَدٌ شَفَا
وَلَكَمْ لَهُ مِنْ مُعْجِزَاتٍ أَعْجَزَتْ وَعُنِي بِهَا القَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَا
فَأَتَى بِأَفْرَادٍ حِسَانٍ جَمَّةٍ وَالبَحْرُ لَا يُحْصَى كَمَا لَنْ يُنْزَفَا
فَجَزَاهُ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ فَلَقَدْ شَفَا فِي ذَا الشِّفَاء وَقَدْ كَفَا

وَفِي أُخْرَى:

وَكَمْ مِنْ مُعْجِزَاتٍ بَاهِرَاتٍ لِخَيْرِ الخَلْقِ مَا فِيهَا خَفَاءُ
وَمِنْهَا فِي الشِّفَاءِ أَتَى كَثِيرٌ وَيَكْفِيهِ مِنَ اللهِ الثَّنَاءُ

---

(١) مابين المعكوفين من قوله: «ومنْه مِمَّا هُوَ لِلفَقيهِ الجَمَالِ مُحَمَّدِ بنِ موسى الدُّؤَالِيِّ» حتى قوله: «فَوائِدَ فِيهِ كَفَى».

جَزَى البَارِي عِيَاضًا كُلَّ خَيْرٍ وَأَجْزَلَ حَظَّهُ مِمَّا يَشَاءُ
لَقَدْ أَوْعَى وَأَبْدَعَ فِي كِتَابٍ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَهْوَ الشِّفَاءُ
أَتَى فِيهِ بِأُسْلُوبٍ غَرِيبٍ وَأَفْرَغَ وُسْعَهُ فَلَهُ الهَنَاءُ
فَفَصَّلَ مُجْمَلًا وَأَزَالَ لَبْسًا وَأَوْضَحَ مُشْكِلًا هَذَا عَطَاءُ
وَإِنَّا قَدْ سَمِعْنَاهُ جَمِيعًا بِذَا الحَرَمِ الشَّرِيفِ لَنَا الهَنَاءُ

[ق٥/ب] وَمِنْهُ مِمَّا هُوَ لِحَافِظِ الوَقْتِ الزَّيْنِ العِرَاقِيِّ(١) فِي قَصِيدَةٍ نَبَوِيَّةٍ:

وَاذْكُرْ عِيَاضًا أَبَا الفَضْلِ الإِمَامِ شَفَا شِفَاؤُهُ قَلْبَ ذِي التَّقْوَى مِنَ المِحَنِ
جَلَا وَأَوْضَحَ أَوْصَافَ الحَبِيبِ كَمَا جَاءَتْ بِحَقٍّ فَلَمْ يَضْعُفْ وَلَمْ يَهِنِ
كَأَنَّمَا الحُسْنُ وَالإِحْسَانُ قَدْ جُمِعَا فِيمَا حَوَاهُ بِنُطْقٍ مُبْدَعٍ حَسَنِ

وَلِلزَّيْنِ شَعْبَانَ المِصْرِيِّ الآثَارِيِّ(٢) قَصِيدَةٌ أَوَّلُهَا:

حَدِيثُ خَيْرِ الأَنَامِ الوَاضِحِ الحِكَمِ هُوَ الشِّفَاءُ الَّذِي يُبْرِي مِنَ السَّقَمِ

وَلِلْبَدْرِ حُسَيْنِ بْنِ العُلَيفِ العَدْنَانِيِّ المَكِّيِّ(٣) قَصِيدَةٌ أَوَّلُهَا:

يَا هِنْدُ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ عَلَى شَفَا وَرُضَابُ ثَغْرِكِ فِي الغَرَامِ لَهُ شِفَا

وَمِنْهُ مَا أَخْبَرَتْنِي بِهِ(٤) خَاتِمَةُ المُسْنِدِينَ أُمُّ مُحَمَّدٍ ابْنَةُ عُمَرَ بْنِ جَمَاعَةَ، عَنِ الشَّمْسِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الجَدِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الشِّيرَازِيِّ، أَنْشَدَنَا الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بن

---

(١) هو الحافظ العراقي، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، صاحب الكتب المشهورة النافعة، الألفية وغيرها.

(٢) هو شعبان بن محمد بن داود بن علي بن أبي المكارم القرشي الموصلي الأصل ثم المصري القادري الشافعي، المعروف بالآثاري. ترجمته في «الضوء اللامع» (٣/٣٠١).

(٣) هو حُسَيْن بن مُحَمَّد بن حسن بن عِيسَى، ابن العليف، بدر الدِّين أَبُو عَلِيّ. ترجمته في «الضوء اللامع» (٣/١٥٥).

(٤) قوله: به. ليس في ي.

محمد بْنِ عليّ(١) بنِ عَبْدِ القَادِرِ الهَمَذَانيُّ [ق٤/ب] سَمَاعًا عَلَيْه لِنَفْسِهِ(٢):

صَحَّتْ بِحُسْنِ صِفَاتِكَ الأَنْبَاءُ ... قُلْنَا بِهَا وَهِيَ الشِّفَاءُ شِفَاءُ
ضَاءَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَكُلُّ بِلَادِهَا ... أَضْحَى بِهَا بَعْدَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ
فَالغَرْبُ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِكَ مُشْرِقٌ ... وَالشَّرْقُ فِيهِ مِنْ سَنَاكَ سَنَاءُ
لَاحَ الصَّبَاحُ وَمَا اعْتَرَتْهُ ظُلْمَةٌ ... وَبَدَا الضِّيَاءُ وَمَا لَدَيْهِ خَفَاءُ
لَا تَخْتَفِي شَمْسُ الضُّحَى إِلَّا إِذَا ... نَظَرَتْ إِلَيْهَا مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ
يَا صَاحِبَ الخُلُقِ العَظِيمِ تَأَخَّرَتْ ... عَنْ بَعْضِ رِفْعَةِ قَدْرِكَ العُظَمَاءُ(٣)
الأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ ... فَمُقَصِّرٌ مَا طَوَّلَ البُلَغَاءُ
اللهُ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ ... مَا بَعْدَ هَذَا فِي الثَّنَاءِ ثَنَاءُ
وَاللهُ أَعْطَاكَ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ ... أَحَدًا سِوَاكَ فَدُونَكَ الكُبَرَاءُ
وَبَرَاكَ حَقًّا فِي البَرَايَا وَاحِدًا ... وَأَبُوكَ آدَمُ طِينَةٌ صَمَّاءُ
فَمَقَامُكَ المَحْمُودُ تَحْمَدُهُ الوَرَى ... وَمِنَ المَحَامِدِ فِي يَدَيْكَ لِوَاءُ
وَلَكَ الوَسِيلَةُ وَالفَضِيلَةُ وَالعُلَا ... وَلَكَ الإِعَادَةُ ثُمَّ وَالإِبْدَاءُ
يَا رَبَّنَا بِالمُصْطَفَى وَبِجَاهِهِ ... قَسَمًا بِهِ مَا إِنْ يُرَدُّ دُعَاءُ
عَوِّضْ عِيَاضًا بِالرِّيَاضِ وَبِالرِّضَا ... مَا إِنْ لَهُ إِلَّا الجِنَانُ جَزَاءُ
فَلَقَدْ شَفَا كُلَّ النُّفُوسِ شِفَاؤُهُ ... وَكِتَابُهُ كُبِتَتْ بِهِ الحُسَدَاءُ

---

(١) قوله: بن محمد بن علي. ليس في ي، ومثبت من ع. وهو الشَّيْخ نور الدِّين المُحدث ترجمته في «الدرر الكامنة» (١٣٤/٤).

(٢) كتب بحاشية ي: عدتها مائة وثلاثة عشر.

(٣) [ق٦/أ] من (ي).

أَبْهَى مِنَ الوَشْيِ الرَّقِيمِ سُطُورُهُ	وَعَلَيْهِ مِنْ نُورِ القَبُولِ بَهَاءُ
أَهْدَى لنا(١) الحُسْنَ وَالحُسْنَى بِهِ	وَنَعَمْ صِفَاتُ المُصْطَفَا حَسْنَاءُ
وحيًا(٢) بِمَا أَحْيَى المَسَامعَ ذِكْرُهُ	وَلَكَمْ غَدَا بِالمُصْطَفَى أَحْيَاءُ
مَا زَادَ فَخْرًا لِلنَّبِيّ وَإِنَّمَا	ذِكْرُ النَّبِيّ وَسِيلَةٌ وَرَجَاءُ
فَلْيَهْنِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ مُؤَمَّلٍ	وَلْيَهْنِهِ بَعْدَ الهَنَاءِ هَنَاءُ
يَا سِبْتَةٌ فِيهَا العُلُومُ تَجَمَّعَتْ	مَا أَنْتِ إِلَّا جُمُعَةٌ زَهْرَاءُ
يَا مَغْرِبًا مِنْهُ الفَضَائِلُ أُطْلِعَتْ	مَا أَنْتَ إِلَّا مَشْرِقٌ وَضِيَاءُ
يَا قَاضِيًا بِالحَقِّ فِي أَحْكَامِهِ	لَمْ يُنْسَ عِنْدَ اللهِ مِنْكَ قَضَاءُ(٣)
يَا مَالِكًا مَالِكًا رُتَبَ العُلَا	بِجِنَانِ رِضْوَانٍ لَدَيْكَ عَلَاءُ
[ق٥/أ] يَا مُنْشِئًا مَدْحَ الرَّسُولِ لَقَدْ أَبَى الرْ	رَحْمَنُ أَنْ يُنْسَى لَكَ الإِنْشَاءُ
اللهُ مُعْطِيكَ الجَوَائِزَ جَمَّةً	فَلْيَهْنِكَ التَّنْعِيمُ وَالنَّعْمَاءُ
أَوَ مَا رُئِيتَ مَعَ النَّبِيِّ جَلِيسَهُ	تَكْفِيكَ هَذِي الرُّتْبَةُ العَلْيَاءُ
يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ الكِرَامِ وَكَمْ كَذَا	بِنَدَاكَ إِحْسَانًا أُجِيبَ نِدَاءُ
بِالرَّغْمِ مِنِّي عَنْ ذُرَاكَ تَخَلُّفِي	فَمَتَى يُقَدَّرُ لِلْمُحِبِّ لِقَاءُ
كُلُّ امْرِئٍ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَإِنَّهُ	لِلْقَلْبِ فِيكَ مَحَبَّةٌ وَوَلَاءُ
لِلَّهِ وَجْهٌ فِي ثَرَاكَ مُعَفَّرٌ	فَلَقَدْ تَكَاثَرَ فِي ثَرَاكَ ثَرَاءُ

(١) في (ي): «إلينا».

(٢) في (ي): «وَحَيَ».

(٣) [ق٦/ب] من (ي).

أَمْلِي الإِقَامَةُ فِي ذُرَاكَ وَحَبَّذَا ... مِنْهُ الغِنَى وَالرَّوْضَةُ الغَنَّاءُ

أَوَ مَا إِلَيْهِ قَدْ تَوَسَّلَ آدَمُ ... بِكَ إِذْ دَعَا وَتَشَفَّعَتْ حَوَّاءُ

أَوَ مَا لِإِدْرِيسَ العَلِيِّ مَكَانَةٌ ... رُفِعَتْ لَهُ بِكَ رُتْبَةٌ عَلْيَاءُ

أَوَ مَا نَجَى نُوحٌ بِجَاهِكَ فَاسْتَوَتْ ... لُطْفًا سَفِينَتُهُ وَغِيضَ المَاءُ

أَوَ مَا غَدَتْ بِكَ نَارُ إِبْرَاهِيمَ بَرْ ... دًا حِينَ شَبَّ ضِرَامَهَا الأَعْدَاءُ

أَوَ مَا ابْتُلِي بِالذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُهُ ... فَلَقَدْ غَدَا بِكَ لِلذَّبِيحِ فِدَاءُ

أَوَ مَا أَبُوكَ لِنَذْرِ جَدِّكَ قَدْ فَدَا ... يَا سَيِّدًا عَاشَتْ بِهِ الآبَاءُ

أَوَ مَا اهْتَدَى الجَمُّ الغَفِيرُ مِنَ الوَرَى ... بِهُدَاكَ وَالآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ

اللهُ أَحْيَى قَبْلَ مَوْلِدِكَ النُّفُو ... سَ وَبَعْدَهُ بِكَ حَبَّذَا الإِحْيَاءُ(١)

سَمَّاكَ بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ وَكَمْ كَذَا ... حَسُنَتْ مِنَ الحُسْنَى لَكَ الحَسْنَاءُ

وَاللهُ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ ... هَذَا اشْتِقَاقٌ مَا عَلَاهُ عُلَاءُ

أَسْرَى بِكَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِلَيْلَةٍ ... جُلِيَتْ بِهَا مِنْ نُورِكَ الظَّلْمَاءُ

جِبْرِيلُ صَاحِبُكَ الأَمِينُ وَكَمْ كَذَا ... صَحِبَتْكَ مِنْ رَبِّ العُلَا أُمَنَاءُ

فَعَلَى البُرَاقِ لَقَدْ سَمَا بِكَ لِلسَّمَا ... وَلَكَمْ سَمَتْ بِكَ فِي الصُّعُودِ سَمَاءُ

مَا زَالَ دُونَكَ مُمْسِكًا بِعِنَانِهِ ... هَذَا العُلَى(٢) وَهَكَذَا الإِسْرَاءُ

فِي سَاعَةٍ فِيهَا المُهَيْمِنُ شَاهِدٌ ... وَمَلَائِكُ الرَّحْمَنِ وَالأَنْبَاءُ

وَلَقَدْ صَعِدْتَ لِمُسْتَوًى أَقْلَامُهُ ... مِنْكَ اعْتَلَى لِصَرِيفِهَا إِصْغَاءُ

---

(١) [ق٧/أ] من (ي).

(٢) في (ع): «العلاء».

فتأخَّرَ الرُّوحُ الأَمِينُ وَفُقْتَهُ ... فَلَقَدْ حَلَا وَصْلٌ وَلَذَّ لِقَاءُ
[ق٥/ب] مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ الصَّلَاةُ خَمْسَةً ... جُعِلَتْ لِأَجْلِكَ وَالأُجُورُ سَوَاءُ
وَرَجَعْتَ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَمَا انْقَضَتْ ... بِسُرَاكَ تِلْكَ اللَّيلَةُ الغَرَّاءُ
أَصْبَحْتَ تُخْبِرُ بِالرُّجُوعِ وَبِالسُّرَى ... فَمُصَدِّقُونَ[(١)] وَحُسَّدٌ أَغْبَاءُ
خَلَائِقٌ سَعِدُوا وَأَقْوَامٌ شَقُوا ... وَمِنَ الإِلَهِ سَعَادَةٌ وَشَقَاءُ
لَمْ يَجْهَلِ الأَقْوَامُ مَا أُوتِيتَهُ ... لَكِنَّهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ جُهَلَاءُ
عَمِيَتْ لِمَقْدُورِ الإِلَهِ قُلُوبُهُمْ ... فَمَعَ السُّوَيْدَا ظُلْمَةٌ سَوْدَاءُ
آذَانُهُمْ صُمَّتْ وَقَدْ أَسْمَعْتَهُمْ ... وَعُيُونُهُمْ عَمِيَتْ وَهُمْ بُصَرَاءُ
شَهِدَتْ بِصِدْقِكَ كُتْبُهُمْ وَالمُرْسَلُو ... نَ لَهُمْ وَهُمْ لَوْ أَنْصَفُوا شُهَدَاءُ[(٢)]
تَوْرَاةُ مُوسَى قَدْ أَتَى مِنْ بَعْدِهَا ... إِنْجِيلُ عِيسَى مَا لَدَيْهِ خَفَاءُ
وَتَوَاتَرَتْ أَخْبَارُ أَحْبَارٍ لَهُمْ ... وَعَنِ النَّبِيِّينَ اعْتَلَتْ أَنْبَاءُ
نَعَتُوا بينهم[(٣)] بِاسْمِكَ المَيْمُونِ إِذْ ... ظَهَرَتْ لِوَقْتِ وِلَادِكَ الآلَاءُ
طَلَبُوا الرِّئَاسَةَ وَالنَّفَاسَةَ وَالعُلَى ... وَلَكَمْ عَلَتْ بِكَ سَادَةٌ رُؤَسَاءُ
شَرِقُوا لِمَا أُوتِيتَ مَعْ تَحْقِيقِهِمْ ... وَلَدَيْهِمُ لَوْلَا الشَّقَاءُ ذَكَاءُ
حَسَدُوكَ لِلْفَضْلِ الَّذِي أوتيته[(٤)] ... مَنْ ذَا يَحِقُّ لَهُ سِوَاكَ عَطَاءُ

---

(١) كتب بحاشية (ي)، (ع): فصدقوك. وعليه علامة نسخة خ، وليس هذا دليلًا على أنَّ النسختين نقلتا من نسخة واحدة للتباين الشَّديد بينها، كما ترى.

(٢) [ق٧/ب] من (ي).

(٣) في (ي): «فيهم».

(٤) في (ي): «أُعطِيتَه».

اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رُسْلَهُ ... وَيُدَبِّرُ الأَمْلَاكَ كَيْفَ يَشَاءُ
أُيِّدْتَ مِنْهُ بِنَصْرِهِ وَالمُؤْمِنِينَ ... فَلَقَدْ وَحَقِّكَ زَالَتِ الأَعْدَاءُ
وَأَتَتْ لِنُصْرَتِكَ المَلَائِكَةُ العُلَا ... حِزْبُ الإِلَهِ أَعِزَّةٌ أَكْفَاءُ
أَظْهَرْتَ دِينَ اللهِ بَعْدَ خَفَائِهِ ... وَأَبَدْتَ دِينَ الشِّرْكِ فَهْوَ هَبَاءُ
وَمَضَيْتَ فِي قَتْلِ الحَوَاسِدِ وَالعِدَا ... وَلَأَنْتَ سَيْفُ اللهِ فِيكَ قَضَاءُ
دَارَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ دَائِرَةُ القَضَا ... لَكِنَّ إِسْرَاعَ المَمَاتِ أَدَاءُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ... حَتَّى تُرَاقَ لِحَاسِدِيهِ دِمَاءُ
مَنْ يَوْمِ مَوْلِدِكَ الشَّرِيفِ عِنَايَةٌ ... مَا زَالَ فِيهِمْ ذِلَّةٌ وَعَنَاءُ
أَصْنَامُهُمْ خَرَّتْ كَذَاكَ صَلِيبُهُمْ ... لَوْ يَعْقِلُونَ لَهَا وَهُدَّ بِنَاءُ
نِيرَانُهُمْ مُذْ أَلْفِ عَامٍ أُوقِدَتْ ... فَلَقَدْ غَدَا لِلَهِيبِهَا إِطْفَاءُ
غَارَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةٍ وَلَكَمْ طَغَوْا ... لَمَّا طَغَى لَهُمُ عَلَيْهَا المَاءُ
[ق٦/أ][(١)] بَدَتِ البَرَاهِينُ المُنِيرَةُ كَالضُّحَى ... وَأَضَاءَ صُبْحٌ إِذْ أُنِيرَ مَسَاءُ
صَدَقَ الإِلَهُ هُوَ المُتِمُّ لِنُورِهِ ... أَبَدًا وَلَوْ كَرِهَ العِدَا السُّفَهَاءُ
لَمَّا أَظَلَّتْكَ الغَمَامَةُ دُونَهُمْ ... فَلَهَا عَلَيْكَ مِنَ الحَرُورِ رِدَاءُ
نَظَرُوا عَلَيْكَ الظِّلَّ فَانْتَقَلُوا لَهُ ... فَغَدَا لَهُ إِلَّا عَلَيْكَ جِلَاءُ
أَضْحَى بَحِيرَا بِالعَلَائِمِ شَاهِدًا ... وَهَنَا لِعَمِّكَ حِينَ ذَاكَ هَنَاءُ
اللهُ أَكْبَرُ كَمْ غَدَتْ لَكَ آيَةٌ ... كَبُرَتْ فَلَا عَدٌّ وَلَا إِحْصَاءُ

---

(١) [ق٨/أ] من (ي).

أَشْبَعْتَ خَلْقًا بِاليَسِيرِ كَمَا غَدَا ... لِلْقَوْمِ بِاللَّبَنِ الْقَلِيلِ رِوَاءُ
وَدُيُونَ وَالِدِ جَابِرٍ وَفَّيْتَهَا ... مِنْ تَمْرِهِ وَغَدَا وَفِيهِ نَمَاءُ
وَالمَاءُ نَبْعًا مِنْ أَصَابِعِكَ اغْتَدَا ... كَالشُّهْدِ فِيهِ حَلَاوَةٌ وَصَفَاءُ
حَكَتِ السَّحَائِبُ لَوْنَهُ وَمَذَاقَهُ ... لَكِنَّهُ كَالمِسْكِ فِيهِ ذَكَاءُ
وَالسُّحْبُ إِذْ نَادَيْتَهَا وَأَمَرْتَهَا ... سَبْعًا هَمَتْ وَمِيَاؤُهَا(١) سَحَّاءُ
وَكَفَفْتَهَا إِذْ قَدْ تَوَاتَرَ وَكْفُهَا ... كُفَّتْ وَقَدْ زَالَتْ بِهَا الضَّرَّاءُ
بِالرِّيقِ مِنْكَ حَلَا الأُجَاجُ لِجَّةٍ ... فِيهِ وَصَحَّتْ مُقْلَةٌ رَمْدَاءُ
وَالعَيْنُ مِنْ بَعْدِ الفِصَالِ رَدَدْتَهَا ... نَظَرَ البَصِيرُ وَأَبْصَرَ البُصَرَاءُ
نَطَقَتْ لِتُخْبِرَكَ الذِّرَاعُ بِسُمِّهَا ... إِذْ سَبَّحَتْ بِيَمِينِكَ الحَصْبَاءُ
وَالجِذْعُ إِذْ فَارَقْتَهُ مَعَ ضَمِّهِ ... أَضْحَى يَئِنُّ وَقَدْ شَجَاهُ بُكَاءُ
وَدَعَوْتَ بِالأَشْجَارِ إِذْ نَادَيْتَهَا ... فَأَتَتْ إِلَيْكَ وَمَا اسْتَتَمَّ نِدَاءُ(٢)
عَادَتْ لِمَنْبِتِهَا كَأَحْسَنِ مَا أَتَتْ ... أَغْصَانُهَا مِنْ حُسْنِهَا حَسْنَاءُ
وَالشَّمْسُ مِنْ بَعْدِ الغُرُوبِ رَدَدْتَهَا ... فَغَدَا لَهَا بَعْدَ الذَّهَابِ بَقَاءُ
وَالبَدْرُ حِينَ رَآكَ شُقَّ لِوَقْتِهِ ... فَكَأَنَّهُ مِنْكَ اعْتَرَاهُ حَيَاءُ
وَالعَنْكَبُوتُ لَقَدْ وَقَتْكَ بِنَسْجِهَا ... فَعَلَيْكَ فِي الغَارِ المُنِيفِ وِقَاءُ
أَعْجَزْتَ بِالقُرْآنِ كُلَّ مُمَنْطَقٍ ... فَلِذَاكَ عابت(٣) نُطْقَهَا الفُصَحَاءُ

(١) كتب بحاشية (ي): لعله ومياهها، وهو المثبت في أصل (ع).
(٢) [ق٨/ب] من (ي).
(٣) في (ي): «عَانَتْ».

وَلَقَدْ نَطَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ عَنِ الهَوَى ... حِكَمًا أَقَرَّ بِفَضْلِهَا الحُكَمَاءُ
بِجَوَامِعِ الكَلِمِ انْبَعَثْتَ فَكَمْ حَوَتْ ... مِنْ أَسْطُرٍ لَكَ لَفْظَةٌ جَمْعَاءُ
وَالعِلْمُ يَجْمَعُ مِنْ حَدِيثِكَ أَرْبَعٌ ... فَاسْتَنْبَطَتْ أَحْكَامَهَا العُلَمَاءُ
[ق٦/ب] وَالطِّبُّ فِي الكَلِمِ الثَّلَاثِ جَمَعْتَهُ ... حَتَّى لَقَدْ صَحَّتْ بِكَ الأَدْوَاءُ
خَاطَبْتَ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِلُغَاتِهَا ... فَسَمَتْ بِفَضْلِ خِطَابِكَ الخُطَبَاءُ
شَهِدَتْ لَكَ الأَعْدَاءُ أَنَّكَ صَادِقٌ ... وَالفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ
يَكْفِيكَ يَوْمَ الجَمْعِ أَنَّكَ شَاهِدٌ ... يَا مَنْ بِهِ تتشفع(١) الشُّفَعَاءُ
أَقْصَى مُنَايَ وَبُغْيَتِي أَقْضِي بِهِ ... فَيَطِيبُ فِي أَرْضِ البَقِيعِ ثَوَاءُ
أَوَ مَا الدفين(٢) هُنَاكَ أَنْتَ شَفِيعُهُ ... فَحَقِيقَةٌ أَمْوَاتُهُ أَحْيَاءُ
يَا وَيْحَ نَفْسِي قُيِّدَتْ بِذُنُوبِهَا ... فَمَتَى يُحَلُّ مِنَ المُسِيءِ وِكَاءُ
مَا لِي سِوَاكَ لِحَلِّهِ أَنْتَ الرَّجَا ... وَلَدَيْكَ بِالصَّفْحِ الجَمِيلِ غِطَاءُ
فَاللهُ يَغْفِرُ لِي بِجَاهِكَ مَا مَضَى ... وَيَصُونُنِي إِنْ كَانَ فِيَّ بَقَاءُ(٣)
وَيُحَقِّقُ المَأْمُولَ مِنْهُ وَكَمْ لَهُ ... بِعَظِيمِ جَاهِكَ يَا عَظِيمُ عَطَاءُ
وَكَذَاكَ مُنْشِدُهَا وَسَامِعُهَا وَكَا ... تِبُهَا وَحَائِزُهَا لَدَيْهِ فَنَاءُ
وَالأَهْلُ وَالإِخْوَانُ وَالأَخَوَا ... تُ ثُمَّ الأُمَّهَاتُ كَذَلِكَ الآبَاءُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ... وَكَذَا الصِّحَابُ السَّادَةُ النُّجَبَاءُ

---

(١) في (ي): «يَتَشَفَّعُ».
(٢) في (ي): «الذَّفِينُ».
(٣) [ق٩/أ] من (ي).

مَا دَامَتِ الأَوْرَاقُ فِي أَشْجَارِهَا ... وَتَرَنَّمَتْ فِي دَوْحِهَا وَرْقَاءُ

وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِمَّا قِيلَ فِيهِ:

بَلَغَ بِهِ الغايةَ القُصْوَى، وَكَرَعَ بِتَهْذِيبِ وَجَازَتِه وَبَلَاغَتِهِ فِي مَشْرَبِهِمَا الأَرْوَى، وَإِنْ كَانَ مَوْضُوعُهُ أَبَدًا لَا يُسْتَوْفَى، وَمَرْمًى لَا يَبْلُغُهُ أَمَلُ كُلِّ ذِي مَنْزَعٍ أَوْفَى، وَلَكِنَّهُ رحمه الله قَدْ أَعْجَزَ فِي اقْتِفَائِهِ، وَشَفَى أَدْوَاءَ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ بِنَشْرِ شِفَائِهِ، حَتَّى سَرَى فِي الآفَاقِ ذِكْرُهُ وجرى(١) فِي حَلْبَةِ السِّبَاقِ فَأَحْرَزَهَا فَخْرُهُ، وَتَوَالَى عَلَى مُجْتَنِيهِ وَمُقْتَنِيهِ نَوَالُهُ وَبِرُّهُ، وَالْتَفَّتْ عَلَى الْتِمَاسِ بَرَكَتِهِ المَحَافِلُ، وَخَشَعَ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ العَالِمُ وَالجَاهِلُ، فَالإِيمَانُ بِتَدَبُّرِهِ يَزْكُو وَيَنْمُو، وَقَدْرُ شَرَفِهِ ﷺ لَدَى مُتَعَرِّفِهِ يَعْلُو وَيَسْمُو.

فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ العَالِمُ الزَّاهِدُ أَبُو الحَسَنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ المَجِيدِ بْنِ عُمَرَ الأَزْدِيُّ الرُّنْدِيُّ(٢) المُقِيمُ بِبِجَايَةَ، وَكَانَ فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرٍ الوَادِي آشِي، قَدْ نَسَخَهُ بِخَطِّهِ فِي شَعْبَانَ عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمَائَةٍ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ آخِرَهُ مَا مِثَالُهُ:

وَقَدْ قَرَّتْ وَالحَمْدُ للهِ عَيْنُهُ بِنَسْخِهِ وَكَمَالِهِ وَثَلِجَ فُؤَادُهُ(٣) لِتَعَلُّقِ رَجَائِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ (ق٧/أ) اللهُ تَعَالَى فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُجَازِيَ مُؤَلِّفَهُ خَيْرًا وَيُعْظِمَ لَهُ بِمَا أَلَّفَهُ وَانْتَخَبَهُ أَجْرًا، فَلَقَدْ جَرَى فِي مَيْدَانِ أَشْرَفِ العُلُومِ جَرْيَ السَّابِقِ، وَنَظَمَ فِي جِيدِ الزَّمَانِ سِلْكَ المَعَارِفِ وَدُرَرَ الحَقَائِقِ، وَشَفَى بِكِتَابِ الشِّفَا قَلْبَ كُلِّ مُؤْمِنٍ صَادِقٍ، كَمَا كَبَتَ بِهِ قَلْبَ كُلِّ

---

(١) في (ي): «وَحَرَى».

(٢) في (ع): «الزبيدي».

(٣) [ق٩/ب] من (ي).

عَدُوٍّ مُنَافِقٍ فَإِذَا طَالَعَهُ المُؤْمِنُ أُشْرِبَ فِي بَاطِنِهِ حَقَائِقُ أَنْوَارِهِ، وَإِذَا جَالَ فِي رَوْضِ مَعَارِفِهِ تَنَسَّمَتْ نَفَحَاتُ نَسِيمِهِ الأَرِيجِ وَتَبَسَّمَتْ لَهُ مَبَاسِمُ أَزْهَارِهِ، فَهُوَ كَمَا قَالَ القَائِلُ تَعْظِيمًا لِمَحَلِّهِ الكَرِيمِ وَتَشْرِيفًا لِحَمِيدِ آثَارِهِ:

كِتَابُ الشِّفَا شِفَاءُ القُلُوبِ ... قَدِ ائْتَلَقَتْ[(١)] شَمْسُ بُرْهَانِهِ
فَأَكْرِمْ بِهِ ثُمَّ أَكْرِمْ بِهِ ... وَعَظِّمْ مَدَى الدَّهْرِ مِنْ شَانِهِ
إِذَا طَالَعَ المَرْءُ مَضْمُونَهُ ... [رَسَى فِي][(٢)] الهُدَى أَصْلُ إِيمَانِهِ
وَجَالَ بِرَوْضِ التُّقَى نَاشِقًا ... أَرَايِجَ أَزْهَارِ أَفْنَانِهِ
وَنَالَ عُلُومًا تُرَقِّيهِ فِي ... ثُرَيَّا السَّمَاءِ وَكِيوَانِهِ
فَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي الفَضْلِ إِذْ ... سَرَى فِي الوَرَى نَيْلُ إِحْسَانِهِ
فَعَزَّزَ[(٣)] قَدْرَ نَبِيِّ الهُدَى ... وَخَيْرِ الأَنَامِ بِتِبْيَانِهِ
وَجَازَاهُ رَبِّي بِخَيْرِ الجَزَا ... وَجَادَ عَلَيْهِ بِغُفْرَانِهِ
وَمِنَّا الصَّلَاةُ عَلَى المُجْتَبَى ... وَأَصْحَابِهِ ثُمَّ أَعْوَانِهِ[(٤)]
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَنْقَضِي دَأْبُهَا ... وَلَا يَنْثَنِي طُولَ أَزْمَانِهِ

وَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ: «هُوَ سِفْرٌ شُرِّفَ بِشَرَفِ مَنِ اخْتَصَّ بِهِ، وَامْتَدَّ سَيْبُهُ فِي المَعَانِي بِسَبَبِهِ، طَلَعَ شَمْسًا بِالمَغْرِبِ، وَانْبَسَطَ بِهِ نُورُهُ المُشْرِقُ، وَتَعَالَى ضِيَاؤُهُ فِي فَلَكِ سَعْدِهِ، إِلَى أَنْ بَزَغَ مُحَيَّاهُ بِالمَشْرِقِ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ كِتَابًا سَمَا عَنْ أَنْ يُشَبَّهَ لِحُسْنِ رَوْنَقِهِ

---

(١) في (ي): «ائتَلَقَتْ».
(٢) في (ع): «وساقي».
(٣) في(ع): «فعزز».
(٤) [ق١٠/أ] من (ي).

بِالرِّيَاضِ، وَعَلَا عَنْ أَنْ يُضَمَّ فِي سِلْكِ المُمَاثَلَةِ بِالغِيَاضِ».

وَقَالَ غَيْرُهُ مِمَّن شَرَحَهُ أيضًا: «إِنَّهُ كِتَابٌ عَظِيمٌ، جَلِيلٌ جَسِيمٌ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالجَنَابِ الكَرِيمِ، الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ، سَيِّدِ السَّادَاتِ، وَخُلَاصَةِ الخُلَاصَاتِ، مُحَمَّدٍ ﷺ، مَا دَامَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَقَدْ جَمَعَ مُؤَلِّفُهُ رحمه الله فِيهِ الكَلَامَ عَلَى تَفْسِيرِ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ صِحَاحٍ وَشَارِدَةٍ، عَنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ وَارِدَةٍ، وَمَسَائِلَ(١) دَقِيقَةٍ، وَتَكَلَّمَ فِيهِ بِطَرِيقِ المَجَازِ وَالحَقِيقَةِ، وَكَانَ فِي قِرَاءَتِهِ صُعُوبَةٌ مَا، وَيُشْكِلُ فِيهِ بَعْضُ الأَعَارِيبِ رُبَّمَا». إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ [ق٧/ب].

وَأَعْلَى مِنْ هَذَا كُلِّهِ مَا يُحْكَى أَنَّهُ لَـمَّا صَنَّفَهُ، وَقَفَ عَلَيْهِ شَيْخُهُ القَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنِ العَرَبِيُّ رحمه الله فَاسْتَحْسَنَهُ جِدًّا، وَقَالَ [لَهُ](٢): «بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا أَبَا الفَضْلِ».

بَلْ فِي بَعْضِ الأُصُولِ أَنَّهُ ذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ ابنِ أَخِيهِ، وَكَانَ يُدْعَى: بِمُحَمَّدٍ(٣) الفَاضِلُ لِفَضْلِهِ وَدِينِهِ، قَالَ: «رَأَيْتُ عَمِّي أَبَا الفَضْلِ فِي النَّوْمِ مَعَ رَسُولِ اللهِ [ق١٠/ب] ﷺ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَاعْتَرَتْنِي دَهْشَةٌ فِي السَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ كَوْنِ عَمِّي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَكَأَنَّ(٤) عَمِّي فَهِمَ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: «يَا مُحَمَّدُ، اشْدُدْ يَدَكَ عَلَى كِتَابِ الشِّفَا وَتَمَسَّكْ بِهِ»، كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي(٥) أَحَلَّهُ هَذِهِ المَنْزِلَةَ الشَّرِيفَةَ وَالرُّتْبَةَ المُنِيفَةَ».

وَيُقَالُ: إِنَّ تَصْنِيفَهُ لَهُ كَانَ إِجَابَةً لِسُؤَالِ أَحَدِ شُيُوخِهِ فِيهِ، القَاضِي سِرَاجُ الأَنْدَلُسِيُّ

(١) في (ع): «ومسائله».

(٢) سقطت من (ع).

(٣) في (ي): «محمد».

(٤) في (ي): «وكأن».

(٥) قوله: هو الذي. ليس في (ي).

القُرْطُبِيُّ المَالِكِيُّ رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى.

وَمِمَّنْ تكَلَّمَ عَلَيْهِ وَشَرحَهُ الأُسْتَاذُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْزُوق التِّلْمسَانِيُّ، وَكَانَ عندَ شَيْخِنَا رحمه الله بِخَطِّ مُؤَلِّفه، فَلَمَّا وَرَدَ حَفِيدُهُ العَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الدِّيَارَ المِصْرِيَّةَ، وَاجْتمع بِهِ أَتْحَفَهُ بِهِ فَسُرَّ بِهِ كثيرًا، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي القَاسِمِ التِّجَانِيُّ وَهُوَ حَافِلٌ لَكِنَّهُ لَمْ يَكْمُلْ وَجَدَ مِنْهُ فِي أَوْقَافِ المَدْرَسَةِ المُؤَيَّدِيَّةِ [في][1] القَاهِرَةِ إِلَى بَعْدَ قَوْلِهِ: «فَصْلٌ: فِي حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ» فِي نَحْوِ خَمْسَةَ عَشَرَ كُرَّاسًا.

وَالتَّاجُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو اليُمْنِ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ مَتَّى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ يُوسُفَ المَخْزُومِيُّ [بْنِ عَبْدِ المَجِيدِ][2] القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ، نَزِيلُ طَيْبَةَ [المُشَرَّفَةِ][3]، فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ كَرَارِيسَ سَمَّاهُ: «الاكْتِفَا فِي شَرْحِ أَلْفَاظِ الشِّفَا».

وَنَحْوُهُ فِي الحَجْمِ مُصَنَّفُ الشِّهَابِ ابْنِ رَسْلَانَ الرَّمْلِيِّ المَقْدِسِيِّ، فَرِيدُ وَقْتِهِ وَرَعًا وَزُهْدًا، وَأَوْسَعُ مِنْهُمَا وَأَفْيَدُ مَعَ[4] كَوْنِهِ غَيْرَ وَافٍ، شَرْحُ حَافِظِ حَلَبَ، العَلَّامَةِ البُرْهَانِ الحَلَبِيِّ، وَهُوَ فِي مُجَلَّدٍ سَدَّ شَيْخُنَا فِيهِ كَثِيرًا مِنَ التَّرَاجِمِ الَّتِي بَيَّضَ لَهَا المُصَنِّفُ وَاخْتَصَرَهُ مَعَ زِيَادَاتٍ يَسِيرَةٍ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ التَّقِيُّ الشُّمُنِّيُّ وَسَمَّاهُ: «مُزِيلُ الخَفَا عَنْ أَلْفَاظِ الشِّفَا» وَتَدَاوَلَهُ الطَّلَبَةُ.

وَكَذَا [لِلشَّمْسِ][5] الحِجَازِيِّ «مُخْتَصَرُ الرَّوْضَةِ» [له][6] عَلَيْهِ مُؤَلَّفٌ فِي أَكْثَرَ مِنْ

---

(١) في (ي): «من».
(٢) سقطت من (ع).
(٣) سقطت من (ي).
(٤) [ق١١/أ] من (ي).
(٥) في (ع): «الشمس».
(٦) سقطت من (ي).

سِتَّةِ كَرَارِيس.

وَلِابْنِ العُمَلِ عَلَيْهِ تَعْلِيقٌ -وَهُوَ بِضَمِّ العَيْنِ وَفَتْحِ المِيمِ، وَأَظُنُّهُ يَمَانِيًا- [بل][1] رَأَيْتُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَبْدُ البَاقِي المَاضِي، وَاللهُ[2] أَعْلَمُ.

[ق٨/أ] وَعَمِلَ العَلَاءُ بْنُ أَقْبَرْسَ عَلَيْهِ شَرْحًا فِي مُجَلَّدَيْنِ، يُقَالُ: إِنَّهُ تَعِبَ فِيهِ فِي آخَرِينَ.

وَقَدْ سَوَّدْتُ عَلَيْهِ كِتَابًا فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ:

البَابُ الأَوَّلُ: فِي غَرِيبِهِ مُرَتَّبًا عَلَى حُرُوفِ المُعْجَمِ.

وَالثَّانِي: فِي تَرَاجِمِ مَنْ فِيهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمَلَائِكَةِ وَالصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ بَعْدَهُم مِمَّنْ سُمِّيَ أَوْ أُبْهِمَ [و][3] نَحْوِ ذَلِكَ مُرَتَّبًا لَهُ عَلَى حُرُوفِ المعجمِ أيضًا.

وَالثَّالِثُ: فِي تَخْرِيجِ مَا فِيهِ مِنَ الأَحَادِيثِ، وَبَيَانِ أَمْرِهَا، وَتَعْيِينِ مَا لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ، وَهَذَا البَابُ هُوَ السِّرُّ الظَّاهِرُ، وَالفَخْرُ البَاهِرُ.

وَالرَّابِعُ: فِي بَسْطِ مَسَائِلِ الكِتَابِ، وَلَكِنْ جُلُّ مَجْمُوعِ هَذَا فِي المُسَوَّدَةِ.

وَأَمَّا ذِكْرُ شَيْءٍ مِمَّا انْتُقِدَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ مِنْ غَرَضِنَا هَذَا التَّنْبِيهُ، وَلَكِنْ نَقْتَصِرُ مِنْهُ عَلَى ثَلَاثَةٍ:

فَالأَوَّلُ فِي تَسْمِيَتِهِ: حَيْثُ اعْتُرِضَ بِأَنَّ الشِّفَا لَفْظٌ مَمْدُودٌ وَالمُصْطَفَى لَفْظٌ مَقْصُورٌ، وَالتَّنَاسُبُ مَطْلُوبٌ.

---

(١) سقطت من (ي).

(٢) في (ع): «فالله».

(٣) في (ي): «أو».

وَأَجَابَ العَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْزُوقٍ المَغْرِبِيُّ بِقَوْلِهِ: «إِنَّمَا قَصَرَ المَمْدُودَ لِيُشِيرَ إِلَى[1] أَنَّ التَّعْرِيفَ بِحُقُوقِ المُصْطَفَى ﷺ أَمْرٌ مَمْدُودٌ طَوِيلٌ لَا يُحَاطُ بِإِدْرَاكِهِ، وَأَنَّهُ مُعْتَرِفٌ بِالتَّقْصِيرِ وَالعَجْزِ عَنِ اسْتِيفَاءِ مَا يَجِبُ لَهُ -عَلَيْهِ [الصَّلَاةُ][2] وَالسَّلَامُ- فَعَرَّفَ فِي تَسْمِيَةِ كِتَابِهِ بِتَقْصِيرِهِ عَمَّا حَاوَلَهُ مِنَ التَّعْرِيفِ بِحُقُوقِهِ ﷺ. وَأَشَارَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ مَعَ جَوَابٍ آخَرَ، فَإِنَّهُ قَالَ: قَصَرَ الشِّفَا هُنَا لِمُرَاعَاةِ قَرِينَةِ المُصْطَفَى، وَهَذَا جَائِزٌ لِلنَّاثِرِ كَمَا هُوَ لِلنَّاظِمِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ [إنما][3] قَصَرَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا الكِتَابَ يَقْصُرُ عَنْ حُقُوقِهِ ﷺ» انتهى.

وَالْعُدُولُ عَنْ كَوْنِهِ عِلَّةً مُسْتَقِلَّةً أَشْبَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ لِسُلُوكِ الضَّرُورَةِ، وَحِينَئِذٍ فَهُمَا وَاحِدٌ، [وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَقَفَ مَشْيًا عَلَى لُغَةِ الوَقْفِ عَلَى المَنْصُوبِ مَعَ مُلَاحَظَةِ العِلَّةِ المَذْكُورَةِ][4].

الثاني: قَالَ الحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ مِنْ «سِيَرِ النُّبَلَاءِ» مَا نَصُّهُ: «[وتآليفه][5] نَفِيسَةٌ، وَأَشْرَفُهَا كِتَابُ «الشِّفَا»، لَوْلَا مَا حَشَاهُ بِالأَحَادِيثِ المُفْتَعَلَةِ، عَمَلَ إِمَامٍ لَا نَقْدَ لَهُ فِي فَنِّ الحَدِيثِ وَلَا ذَوْقَ، وَاللهُ يُثِيبُهُ عَلَى حُسْنِ قَصْدِهِ، وَيَنْفَعُ بِشِفَائِهِ، وَقَدْ فَعَلَ، وَكَذَا فِيهِ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ البَعِيدَةِ أَلْوَانٌ، وَنَبِيُّنَا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ غَنِيٌّ بِمِدْحَةِ التَّنْزِيلِ عَنِ الأَحَادِيثِ، وَبِمَا تَوَاتَرَ مِنَ الأَخْبَارِ عَنِ الآحَادِ، وَبِالآحَادِ النَّظِيفَةِ الأَسَانِيدِ عَنِ الوَاهِيَاتِ، فَلِمَاذَا يَا قَوْمِ نَتَشَبَّعُ بِالمَوْضُوعَاتِ، فَيَتَطَرَّقُ

---

(١) [ق١١/ب] من (ي).

(٢) سقطت من (ع).

(٣) سقطت من (ع).

(٤) زيادة من (ي).

(٥) في (ي): «وتَوَالِيفُهُ».

إِلَيْنَا مَقَالُ ذَوِي الغِلِّ وَالحَسَدِ، وَلَكِنْ مَنْ لَا(١) يَعْلَمُ مَعْذُورٌ، فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِكِتَابِ «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» لِلْبَيْهَقِيِّ، فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَنُورٌ»(٢) انْتَهَى.

وَهُوَ مَاشٍ فِي الإِنْكَارِ عَلَى طَرِيقَتِهِ، بَلْ قَدْ أَدْخَلَ أَبَا القَاسِمِ الطَّبَرَانِيَّ وَغَيْرَهُ مِنْ أَئِمَّةِ النَّقْدِ وَالحِفْظِ [ق٨/ب] فِي مِيزَانِهِ المَعْقُولِ لِمَنْ تُكُلِّمَ فِيهِ، لِكَوْنِهِمْ يَرْوُونَ المَوْضُوعَاتِ وَنَحْوَهَا بِأَسَانِيدِهِمْ سَاكِتِينَ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُمْكِنُهُ التَّعْبِيرُ هُنَا بِأَلْيَنَ مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ وَ[لَا](٣) عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الإِسْلَامِ المُتَأَخِّرِينَ عَنِ القَاضِي جَلَالَتُهُ، سِيَّمَا فِي الحَدِيثِ، بِحَيْثُ اعْتَمَدَهُ فِيهِ جُمْهُورُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، كَمَا صَنَعَهُ بَعْضُ مَنْ وَافَقَهُ عَلَى التَّعَرُّضِ لِلْقَدْحِ فِي بَعْضِ أَحَادِيثِهِ(٤) مَعَ التَّحَامِي عَنْ تَدْوِينِهِ؛ اعْتِرَافًا بِحَقِّهِ وَصَوْنًا لِهَذَا الكِتَابِ البَدِيعِ فِي الجَنَابِ [الرَّفِيعِ](٥) عَنْ تَنْقِيصِهِ وَتَوْهِينِهِ، فَقَالَ البُرْهَانُ الشَّارِحُ -مَعَ كَوْنِهِ مِمَّنْ تَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي خُطْبَةِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ-: «وَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَى بَعْضِ أَحَادِيثَ فِيهِ، وَعَلَى [الحِكْمَةِ](٦) فِي ذِكْرِهِ إِيَّاهَا مِنْ مَكَانٍ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الكُتُبِ السِّتَّةِ أَوْ بَعْضِهَا مَا نَصُّهُ.

وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ شَيْخِنَا حَافِظِ الوَقْتِ الزَّيْنِ العِرَاقِيِّ، أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْزُوَ أَحَادِيثَهُ وَيَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ».

قُلْتُ: مُعَلِّلًا لِرُجُوعِهِ بِقَوْلِهِ: «هَذَا كِتَابٌ قَدْ تُلُقِّيَ بِالقَبُولِ؛ فَلَا أُحِبُّ التَّعَرُّضَ لَهُ».

---

(١) [ق١٢/أ] من (ي).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١٦/٢٠).

(٣) زيادة من (ي).

(٤) في حاشية(ع): «بعض أحاديث الشفا».

(٥) زيادة من (ع).

(٦) في (ع): «الجملة».

حكَاهُ لنَا شَيخُنا رحمه الله.

وَهوَ ممَّن كَانَ أيضًا يقُولُ: «أتعجَّبُ منَ القَاضِي -مَعَ جَلَالَتِهِ- فِي إِيرَادِ أَسَانِيدِهِ فِي[1] كَثِيرٍ منَ الأَحَادِيثِ الَّتِي ينقلُهَا عَنْ مشْهُورِ الكُتُبِ، ويترُكُ إفَادَتنَا تعيينَ المَكَانِ الَّذِي نَقَلَ منْهُ مَا لَا نعرِفُهُ إِلَّا منْه».

والَّذِي عِنْدِي فِي الجوَابِ عَنِ القَاضِي رحمه الله: أَنَّ توجُّهَهُ لِهَذَا الأُسْلُوبِ الرَّائِقِ، وَالمطْلُوبِ الفَائِقِ، الَّذِي يلتذُّ بِهِ السَّامعُ، وتَصِيرُ حوَاسُّهُ كُلُّها لِطَرَبِهِ بِهِ مَسَامعَ، والأجوبَةَ الحسَنةَ المتضمِّنةَ للمثُوبَةِ البيِّنَةِ، وكَونُ القصْدِ المَشْيَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي لَمْ نَرَ مَنْ سَارَ فِيهِ كَسَيْرِهِ، منعهُ عَنِ التَّشَاغُلِ بِتمييزِ الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِهِ، سيَّمَا وَهِيَ فِي الفَضَائِلِ، المتَسَامحُ فِيهَا بَيْنَ الأَوَائِلِ، وَإِنْ فُقِدَ فِي بَعْضِهَا بعْضُ الشُّرُوطِ، كَمَا هُوَ مقرَّرٌ مَضْبُوطٌ، فكأنَّ القَاضِيَ لَا يتقيَّدُ بِهِ، هذَا مَعَ أَنَّهُ قَدْ قَالَ فِي أَثْنَاءِ كِتَابِهِ، أنَّهُ اقْتَصَرَ مِنْ كَثِيرٍ منَ الأَحَادِيثِ وَغَرِيبِهَا عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ، إِلَّا يَسِيرًا مِنْ غَرِيبِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مَشَاهِيرُ الأَئِمَّةِ، وَحَذَفْنَا الإِسْنَادَ فِي جُمْهُورِهَا طَلَبًا لِلاخْتِصَارِ، بَلْ نتكَلَّمُ فِي الأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ غَالِبًا، فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ حَدِيثَ: «**المِعَدَةُ حَوْضُ البَدَنِ، والعُرُوقُ إِلَيْهَا وَارِدَةٌ**»[2].

قَالَ: «وَإِنْ كَانَ [هَذَا][3] الحَدِيثُ لَا نُصَحِّحُهُ لِضَعْفِهِ، وَكَوْنِهِ مَوْضُوعًا تَكَلَّمَ عَلَيهِ الدَّارَقُطنِيُّ»[4].

---

(١) [ق١٢/ب] من (ي).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٣٤٣)، وأبو نعيم في «الطب النبوي» (٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤١٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) ليست في (ع).

(٤) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (١/٣٥٦).

وَكَذَا لَمَّا ذَكَرَ [رِوَايَةَ][(١)] عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَشْهَدُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ، فَسَمِعَ مَلَكَيْنِ خَلْفَهُ، أَحَدُهُمَا: يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: «اذْهَبْ حَتَّى [ق٩/أ] نَقُومَ خَلْفَهُ»، فَقَالَ الآخَرُ: «كَيْفَ أَقُومُ خَلْفَهُ وَعَهْدُهُ بِاسْتِلَامِ الأَصْنَامِ»، فَلَمْ يَشْهَدْهُمْ بَعْدُ[(٢)].

قَالَ[(٣)]: «إِنَّهُ حَدِيثٌ أَنْكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ[(٤)] [جدًا][(٥)]، وَقَالَ: هَذَا مَوْضُوعٌ أَوْ شَبِيهٌ بِالْمَوْضُوعِ.

وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: يُقَالُ: إِنَّ عُثْمَانَ وَهِمَ فِي إِسْنَادِهِ[(٦)].

وَالْحَدِيثُ بِالْجُمْلَةِ مُنْكَرٌ، وَ[هو][(٧)] غَيْرُ مُتَّفَقٍ عَلَى إِسْنَادِهِ، فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَالْمَعْرُوفُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خِلَافُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ قَوْلِهِ: «**بُغِّضَتْ إِلَيَّ الأَصْنَامُ**»[(٨)].

وَقَالَ عَقِبَ الْمَرْوِيِّ فِي قِرَاءَةِ [سُورَةِ][(٩)] النَّجْمِ، وَفِيهِ: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى»[(١٠)]: «إِنَّهُ لَمْ يُخْرِجْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّحَّةِ، وَلَا رَوَاهُ ثِقَةٌ بِسَنَدٍ سَلِيمٍ

(١) ليست في (ع).

(٢) رواه أبو يعلى (١٨٧٧)، وابن عدي (٥/٢٠٦)، والبيهقي في «دلائله» (٢/٣٥).

(٣) [ق١٣/أ] من (ي).

(٤) «العلل ومعرفة الرجال» (٥١٦٧).

(٥) زيادة من (ع).

(٦) «علل الدارقطني» (١٣/٧١).

(٧) زيادة من (ع).

(٨) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/١١٤).

(٩) زيادة من (ع)، كتب في هامش (ع): «القراءة المروية في سورة النجم لا أصل لها».

(١٠) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/٥٣)، والبزار كما في «زوائده» للهيثمي (٢٢٦٣)، والضياء في «المختارة» (١٠/٨٩ رقم٨٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مُتَّصِلٍ، وَإِنَّمَا أُولِعَ بِهِ وَبِمِثْلِهِ المُفَسِّرُونَ وَالمُؤَرِّخُونَ المُولَعُونَ بِكُلِّ غَرِيبٍ، المُتَلَقِّفُونَ مِنَ الصُّحُفِ كُلَّ صَحِيحٍ وَسَقِيمٍ»(١) إِلَى غَيْرِ هَذَا مِمَّا يَطُولُ إِيرَادُهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ خَاصَّةً.

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ: «إِنَّمَا وَرَدَ مِنْ أَخْبَارِهِ وَأَخْبَارِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الأَحَادِيثِ مِمَّا فِي ظَاهِرِهِ إِشْكَالٌ يَقْتَضِي أُمُورًا لَا تَلِيقُ بِهِمْ بِحَالٍ، وَتَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَتَرَدُّدِ احْتِمَالٍ، لَا يَجِبُ أَنْ يُتَحَدَّثَ مِنْهَا إِلَّا بِالصَّحِيحِ، وَلَا يُرْوَى مِنْهَا إِلَّا المَعْلُومُ الثَّابِتُ، وَرَحِمَ اللهُ مَالِكًا، فَلَقَدْ كَرِهَ التَّحَدُّثَ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ المُوهِمَةِ لِلتَّشْبِيهِ وَالمُشْكِلَةِ المَعْنَى، وَقَالَ: «مَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى التَّحَدُّثِ بِمِثْلِ هَذَا؟!» فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عَجْلَانَ يُحَدِّثُ بِهَا، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الفُقَهَاءِ»(٢).

قَالَ القَاضِي: «وَلَيْتَ النَّاسَ وَافَقُوهُ عَلَى تَرْكِ الحَدِيثِ بِهَا، وَسَاعَدُوهُ عَلَى طَيِّهَا، فَأَكْثَرُهَا لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ».

إِلَى أَنْ قَالَ: «فَأَمَّا مَا لَا يَصِحُّ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، فَوَاجِبٌ أَنْ لَا يُذْكَرَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي حَقِّ اللهِ(٣) تَعَالَى، وَلَا حَقِّ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا يُتَحَدَّثُ بِهَا، وَلَا يُتَكَلَّفُ الكَلَامُ عَلَى مَعَانِيهَا، بَلِ الصَّوَابُ طَرْحُهَا وَتَرْكُ الشُّغْلِ بِهَا، إِلَّا أَنْ تُذْكَرَ عَلَى وَجْهِ [التَّعْرِيفِ](٤) بِأَنَّهَا ضَعِيفَةُ المُفَادِ، وَاهِيَةُ الإِسْنَادِ.

وَقَدْ أَنْكَرَ الأَشْيَاخُ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ فُورَكَ تَكَلُّفَهُ فِي [مُشْكِلِهِ](٥) الكَلَامَ عَلَى

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (١٢٥/٢).

(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٥٤١/٢).

(٣) [ق١٣/ب] من (ي).

(٤) زيادة من (ع)، و«الشفا».

(٥) في (ع): «مشكل». والمثبت من ي، و«الشفا».

أَحَادِيثَ(١) ضَعِيفَةٍ مَوْضُوعَةٍ لَا أَصْلَ لَهَا، أَوْ مَنقُولَةً عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ، كَانَ يَكْفِيهِ طَرْحُهَا، وَيُغْنِيهِ عَنِ الكَلَامِ عَلَيْهَا التَّنْبِيهُ عَلَى ضَعْفِهَا، إِذِ المَقْصُودُ بِالكَلَامِ عَلَى مُشْكِلِ مَا فِيهَا إِزَالَةُ اللَّبْسِ بِهَا وَاجْتِثَاثُهَا مِنْ أَصْلِهَا، فَطَرْحُهَا(٢) أَكْشَفُ لِلنَّفْسِ وَأَشْفَى(٣) لِلَّبْسِ»(٤) انْتَهَى.

وَهُوَ شَاهِدٌ لِمَا اعْتَذَرْتُ بِهِ عَنْهُ مِنْ كَوْنِهِ لَا يَسْكُتُ عَنِ الضَّرُورِيِّ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الفَضَائِلِ وَنَحْوِهَا، فَكَلَامُهُ مُشْعِرٌ بِهِ، وَلِذَا مَشَى عَلَيْهِ خَاصَّةً فِي «شِفَائِهِ».

وَأَمَّا مَا قَالَهُ الذَّهَبِيُّ فِي التَّأْوِيلَاتِ، فَالْقَاضِي ﷺ يَحْكِي الأَقْوَالَ وَيُرَجِّحُ وَيَخْتَارُ، بَلْ رُبَّمَا يَصِفُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: فِيهِ السَّهْلُ وَالوَعْثُ، وَالسَّمِينُ وَالغَثُّ(٥)، وَهُوَ حُجَّةٌ فِيمَا يُبْدِيهِ مَحَجَّةٌ فِيمَا يَنْقُلُهُ وَيُنَمِّيهِ.

الثَّالِثُ(٦): قَالَ شَيْخُ شُيُوخِنَا العِرَاقِيُّ: [ق٩/ب] «سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ [من شيوخنا](٧) يُنْكِرُونَ عَلَى القَاضِي إِنْكَارَهُ عَلَى الشَّافِعِيِّ القَوْلَ بِوُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ، وَنِسْبَتَهُ إِلَى الشُّذُوذِ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعُهُ: شَرَفُ المُصْطَفَى، مَعَ الاسْتِحْسَانِ مِنْهُ لِحِكَايَةِ الخِلَافِ فِي طَهَارَةِ فَضَلَاتِهِ ﷺ. إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ(٨) الَّذِي بَسَطْتُهُ بِأَدِلَّتِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَنُصْرَتِهِ فِي القَوْلِ البَدِيعِ بِمَا لَا نُطِيلُ بِهِ الْآنَ، وَالكَمَالُ للهِ».

---

(١) في هامش (ع): «الأحاديث التي ذكرها ابن فورك في الموضوعات».

(٢) في (ع): «وطرحها».

(٣) في(ع): «أنقى».

(٤) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/٢٥٢).

(٥) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/١٢١).

(٦) في (ع): «الثالثة».

(٧) زيادة من (ع).

(٨) [ق١٤/أ] من (ي).

تَتِمَّةٌ: سُئِلْتُ عَنْ قَوْلِ القَاضِي بِآخِرِ «الشفا»(١): «وَيَخُصَّنَا بِخَصِيصَي زُمْرَةِ نَبِيِّنَا وَجَمَاعَتِهِ»(٢) هَلِ الرِّوَايَةُ فِيهِ بِسُكُونِ اليَاءِ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ المَحْذُوفَةِ النُّونِ، أَوْ بِأَلِفِ التَّأْنِيثِ المَقْصُورَةِ؟

فَأَجَبْتُ بِمَا نَصُّهُ: قَدْ ثَبَتَ بِالتَّثْنِيَةِ بِدُونِ حِكَايَةِ غَيْرِهَا فِي الأَصْلِ المُعْتَمَدِ الَّذِي كَتَبَ عَلَيْهِ التَّاجُ عَبْدُ البَاقِي اليَمَانِيُّ مُخْتَصِرُ «الصِّحَاحِ»، وَمُؤَلِّفُ «الاكْتِفَاءِ»، المَاضِي ذِكْرُهُ بِالثَّنَاءِ البَالِغِ، الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ: «أَعْرَبَ -أَيْ: نَاسِخُهُ- تِلْكَ الأَلْفَاظَ، وَأَخَذَهَا عَنِ السَّادَةِ الحُفَّاظِ، أَبْدَعَ فِيمَا رَقَمَ، وَأَتْقَنَ فِيمَا حَكَمَ، وَشَهِدَ لَهُ التَّاجُ السُّبْكِيُّ بِأَنَّهُ الَّذِي يَرْوِي فَيَرْوِي كُلَّ ظَمْآنٍ، وَيُبْدِي فَرَائِدَ تَسْحَرُ لُبَّ الإِنْسَانِ» انْتَهَى.

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَمُحَرِّرُهُ قَدِ [اجْتَهَدَ](٣) فِي جَمْعِ أُصُولٍ صِحَاحٍ، مِنْهَا أَصْلٌ مَغْرِبِيٌّ قَدِيمٌ مُقَابَلٌ مَعَ حَفِيدِ المُؤَلِّفِ المَذْكُورِ بِالمُشَارَكَةِ فِي فُنُونٍ مِنَ العُلُومِ العَقْلِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَبِالشِّعْرِ وَالفَصَاحَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى أَصْلِ جَدِّهِ القَاضِي عِيَاضٍ.

فَمَا حَصَلَ الاتِّفَاقُ عَلَيْهِ فِي الأُصُولِ المُشَارِ إِلَيْهَا أَثْبَتَهُ بِالأَصْلِ، وَمَا لَا اقْتَصَرَ عَلَى الأَكْثَرِ أَوِ الأَضْبَطِ، وَبَيَّنَ بِالهَامِشِ المُخَالِفَ، وَهُوَ فِي هَذَا اللَّفْظِ بِخُصُوصِهِ لَمْ يُبَيِّنْ خِلَافًا فَاقْتَضَى الاتِّفَاقَ.

وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَكْتَفِ مُحَرِّرُهُ بِهَذَا، بَلْ قَرَأَهُ مُقَابَلَةً وَتَصْحِيحًا عَلَى حَافِظِ وَقْتِهِ المَرْجُوعِ إِلَيْهِ فِي الحَدِيثِ وَمُتَعَلَّقَاتِهِ، مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي التَّصْرِيفِ(٤) وَاللُّغَةِ، أَبِي الحَجَّاجِ

---

(١) في (ي): «الشِّفَاءِ».

(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٣١٣/٢).

(٣) في (ع): «اجتمع».

(٤) [ق١٤/ب] من (ي).

المِزِّيِّ، وكَذَا قرأَ فِيهِ الحافظُ الشَّمْسُ بْنُ أَيْبَكَ السُّرُوجِيُّ، وكَتَبَ عَلَيْهِ خَطَّهُ بِذَلِكَ، بَلْ وأفادَ [بِهَا مُثْبَتَهُ](١) إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ والحَدِيثِ، وتَدَاوَلَهُ الأَكَابِرُ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ إِلَى هَذَا الوَقْتِ.

وكَانَ مِمَّنْ قُرِئَ عَلَيْهِ فِيهِ المَجْلِسُ الأَخِيرُ بِخُصُوصِهِ شَيْخُنَا وأُسْتَاذُنَا، مَنْ لَمْ تَرَ عَيْنُ مَنْ رَآهُ فِي فُنُونِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ مَعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ العُلُومِ الجَمَّةِ مِثْلَهُ، [وكُنتُ](٢) بِحَمْدِ اللهِ مِمَّنْ قَرَأَ مِنْهُ بِحَضْرَةِ الأَئِمَّةِ الأَكَابِرِ مِنَ الشُّيُوخِ وغَيْرِهِمْ، بَلْ وقُرِئَ عَلَيَّ فِيهِ أَيْضًا غَيْرَ مَرَّةٍ، وحُرِّرَ مَعِي عَلَيْهِ أَصْلٌ صَارَ عُمْدَةً، ولَا أَعْلَمُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَصَحَّ مِنْهُ.

وكَذَا وَجَدْتُهُ فِي عِدَّةِ أُصُولٍ مِنْهَا أَصْلٌ بِمَكَّةَ فِي رِبَاطِ المُوَفَّقِ، وحِينَئِذٍ فَيُقَالُ: الرِّوَايَةُ فِي هَذَا اللَّفْظِ بِالتَّثْنِيَةِ اعْتِمَادًا عَلَى مَا [بَيَّنَهُ](٣)، كَمَا يُقَالُ: رِوَايَةُ الأَصِيلِيِّ، وَالقَابِسِيِّ، والجَيَّانِيِّ، وغَيْرِهِمْ بِالنِّسْبَةِ لِـ«**صَحِيحِ البُخَارِيِّ**»، كَذَا مَعَ كَوْنٍ لَا مُسْتَنَدَ لِذَلِكَ فِي هَذِهِ الأَعْصَارِ المُتَأَخِّرَةِ إِلَّا الأُصُولَ المُعْتَمَدَةَ.

ولَا يَخْدِشُ فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ أَلِفَ التَّأْنِيثِ المَقْصُورَةَ [تُكْتَبُ](٤) يَاءً، لِأَنَّا نَقُولُ(٥): وإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الخَطِّ، فَالمُتْقِنُ لَا يُسَكِّنُ اليَاءَ [ق١٠/أ](٦) إِلَّا فِي المُثَنَّى؛ خَوْفًا مِنْ حُصُولِ الالْتِبَاسِ، وإِذَا ثَبَتَ كَذَلِكَ وعُلِمَ أَنَّ القَاضِيَ عِيَاضًا -قَائِلَ هَذَا اللَّفْظَ- أَعْرَفُ النَّاسِ فِي وَقْتِهِ بِعُلُومِ الحَدِيثِ، وبِالنَّحْوِ واللُّغَةِ، وكَلَامِ العَرَبِ وأَيَّامِهِمْ

(١) في (ع): «بهامشة».
(٢) في (ي): «وكَتَبَ».
(٣) في (ع): «بينته».
(٤) ليست في (ع).
(٥) في (ع): «نقوله».
(٦) من (ع).

وَأَنْسَابِهِمْ، وَمِمَّنْ كَانَ فِي الإِتْقَانِ بِمَكَانٍ، كَانَ كَافِيًا فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي هَذَا اللَّفْظِ، إِنْ لَمْ يُوجَدْ صَرِيحًا مَا[١] يُخَالِفُهُ.

هَذَا الحَافِظُ الشَّرَفُ أَبُو الحُسَيْنِ اليُونِينِيُّ مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَجْتَمِعْ فِيهِ مَا اجْتَمَعَ فِي القَاضِي عِيَاضٍ قَدْ عَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي ضَبْطِ الرِّوَايَاتِ فِي «**صَحِيحِ البُخَارِيِّ**»، لِكَثْرَةِ مُمَارَسَتِهِ لَهُ، وَاعْتِنَائِهِ بِمُقَابَلَتِهِ، حَتَّى إِنَّ الحَافِظَ الذَّهَبِيَّ حَكَى أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: إِنَّهُ قَابَلَهُ وَأَسْمَعَهُ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً.

وَلِكَوْنِهِ مِمَّنْ وُصِفَ بِالمَعْرِفَةِ بِكَثِيرٍ مِنَ اللُّغَةِ وَالحِفْظِ لِكَثِيرٍ مِنَ المُتُونِ وَالمَعْرِفَةِ بِالأَسَانِيدِ بِحَيْثُ إِنَّ سِيبَوَيْهِ وَقْتِهِ الجَمَالَ بْنَ مَالِكٍ حَضَرَ عِنْدَهُ سَمَاعَ «**الصَّحِيحِ**» المَذْكُورِ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ مِنَ الأَلْفَاظِ مَا يُتَرَاءَى مُخَالَفَتُهُ لِقَوَانِينِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ، سَأَلَهُ[٢] الشَّرَفُ عَنِ الرِّوَايَةِ فِيهِ، فَإِنْ أَجَابَ بِأَنَّهُ كَذَلِكَ شَرَعَ ابْنُ مَالِكٍ فِي تَوْجِيهِهِ حَسْبَ إِمْكَانِهِ، وَمِنْ ثَمَّ جَمَعَ كِتَابَهُ المُسَمَّى: «**شَوَاهِدُ التَّوْضِيحِ**» مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَسْتَوْعِبْ ذَلِكَ، وَمَنْ ذَا يَنْهَضُ بِمَا[٣] نَهَضَ بِهِ ابْنُ مَالِكٍ أَوْ يُوَازِيهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَإِتْقَانًا وَوَرَعًا، أَوْ مَنْ أَحَاطَ عِلْمًا بِحِفْظِ اللُّغَةِ وَجَمْعِ دَوَاوِينِهَا حَتَّى يَسُوغَ لَهُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ خِصِّيصٌ، فَذَاكَ كَعِلْمِ الحَدِيثِ وَالفِقْهِ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، غَايَةُ المَاهِرِ مِنَّا مُرَاجَعَةُ[٤] «**القَامُوسِ**» وَ«**لِسَانِ العَرَبِ**»، وَالاقْتِصَارُ عَلَيْهِمَا لَا يُسَوِّغُ إِطْلَاقَ النَّفْيِ، بَلْ كُلُّ حَصْرٍ فِي بَابٍ مُتَّسِعِ الانْتِشَارِ مُنْتَقَدٌ فِي الغَالِبِ.

---

(١) [ق١٥/أ] من (ع).

(٢) في (ي): «سئل».

(٣) في (ع): «لما».

(٤) في (ع): «أن يراجع».

وَمِنَ العَجِيبِ مَنِ اسْتَدَلَّ بِاقْتِصَارِ الفَارَابِيِّ فِي «دِيوَانِ الأَدَبِ» عَلَى خَمْسَةِ أَلْفَاظ فِي بابِ: فِعِّيلٍ، وَثَمَانِيَةٍ فِي [باب][(١)]: فِعِّيلَى، وزَعَمَ صَرَاحَتَهُ[(٢)] فِي أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا خِصِّيصٌ عَلَى وَزْنِ فِعِّيلٍ حَتَّى يُثَنَّى[(٣)] عَلَى خِصِّيصَيْ، مَعَ كَوْنِ الفَارَابِيِّ لَمْ يَدَّعِ الحَصْرَ، وَلَوِ ادَّعَاهُ لَرُدَّ عَلَيْهِ فِي الوَزْنِ الأَوَّلِ: بِخِرِّيتٍ[(٤)]، وَخِرِّيجٍ، وَحِدِّيثٍ، وَحِرِّيفٍ، وَفِسِّيقٍ، وَمِسِّيكٍ، وَعِرِّيضٍ لِمَنْ يَتَعَرَّضُ لِلنَّاسِ بِالشَّرِّ، وَسِجِّيلٍ، وَسِجِّينٍ، وَغَيْرِهَا.

وفِي الثَّانِي: بِخِطِّيبَا، وَرِبِّيبَا[(٥)]، وَهِجِّيرَى، وَحِجِّيزَى[(٦)]، وَحِدِّيثَا، وَحِلِّيفَا[(٧)]، وَغَيْرِهَا.

بَلْ مِنَ الوَزْنِ الأَوَّلِ صِدِّيقٌ، وَهُوَ: كُلُّ مَنْ صَدَّقَ بِكُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ، بِغَيْرِ شَكٍّ وَلَا امْتِرَاءٍ، وَهُوَ دَائِمُ الصِّدْقِ، وَقَدْ ثَبَتَ قَطْعًا جَمْعُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩]، وَمَا ثَبَتَ جَمْعُهُ جَمْعَ تَصْحِيحٍ ثَبَتَتْ تَثْنِيَتُهُ.

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَالتَّثْنِيَةُ فِي كَلَامِ القَاضِي [عياض][(٨)] بِالنَّظَرِ لِشَيْئَيْنِ، وَهُمَا: الزُّمْرَةُ الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ مَنِ اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. وَالجَمَاعَةُ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُهُ ﷺ. وَخَصَّهُمْ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِي العُمُومِ لِشَرَفِهِمْ، فَكَأَنَّهُ سَأَلَ اللهَ أَنْ

(١) سقطت من (ي).
(٢) في (ع): «صراحة».
(٣) [ق١٥/ب] من (ي).
(٤) في (ع): «بحريث».
(٥) في (ع): «ورتيثا».
(٦) في (ع): «حجيرا».
(٧) في (ع): «خليفا».
(٨) سقطت من (ي).

يَخُصُّهُ بِاقْتِفَاءِ طَرِيقِ الخَوَاصِّ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ وَمِنْ سَائِرِ أُمَّتِهِ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِ القَائِلِ: هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحِبابِكَ(١).

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَأَلَ أَنْ يَخُصَّ بِخَصِيصَيْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهُمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما [ق١٠/ب](٢) حَسْبَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ سَنَدُهُ ضَعِيفٌ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ فِي مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ خَاصَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَإِنَّ خَاصَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» رضي الله عنهما. وَكَذَا أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي «**الفَضَائِلِ**».

وَلَا يَكُونُ(٤) مِنْ خَوَاصِّهِمَا إِلَّا بِسُلُوكِ طَرِيقَتِهِمَا وَاقْتِفَاءِ سُنَّتِهِمَا، وَعَلَى تَقْدِيرِ التَّنْزِيلِ فِي كَوْنِ الزُّمْرَةِ وَالجَمَاعَةِ وَاحِدًا، فَلَيْسَ يَمْتَنِعُ الإِتْيَانُ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ مَعَ إِضَافَتِهِ لَفْظًا(٥) لِوَاحِدٍ(٦).

وَكَذَا سُئِلَ شَيْخُنَا رحمه الله عَمَّنِ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: «وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ ﷺ عَلَى عُلُوِّ مَنْصِبِهِ، فَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا، وَأَقَلَّهُمْ كِبْرًا»(٧) بِأَنَّهُ ﷺ مُنْتَفٍ عَنْهُ الكِبْرُ أَصْلًا وَرَأْسًا، وَصَارَ هَذَا المُعْتَرِضُ يَتَتَبَّعُ نُسَخَ «**الشِّفَا**» فَيَمْحُو ذَلِكَ مِنْهَا.

فَأَجَابَ: بِأَنَّهُ اعْتِرَاضٌ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ العُلَمَاءَ قَدْ تَكَلَّمُوا عَلَى الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ**،

(١) في (ي): «وأحبائك».

(٢) من (ع).

(٣) «المعجم الكبير» (١٠/٧٧).

(٤) [ق١٦/أ] من (ي).

(٥) في (ع): «لفظ».

(٦) في (ع): «الواحد».

(٧) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (١/١٣٠) وفيه: وأعدمهم كِبْرًا.

وَيُقِلُّ اللَّغْوَ» الحديثَ. فَقَالُوا: قَوْلُ الرَّاوِي: «وَيُقِلُّ اللَّغْوَ»، أيْ: لَا يَلْغُو أَصْلًا.

[قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي «النِّهَايَةِ»(١) فِي مَادَّةِ (قَلَلَ): وَمِنْهُ الحَدِيثُ: «أَنَّهُ كَانَ يُقِلُّ اللَّغْوَ» أَيْ: لَا يَلْغُو أَصْلًا](٢)، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ قَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي نَفْيِ الشَّيْءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨]».

فَالمَعْنَى فِي كَلَامِ القَاضِي حِينَئِذٍ: أَنَّهُ كَانَ قَلِيلَ الكِبْرِ، أيْ: لَا يَقَعُ مِنْهُ أَصْلًا، كَمَا قِيلَ ذَلِكَ فِي الحَدِيثِ.

وَلَيْسَ فِي ذِكْرِهِ ذَلِكَ بِأَفْعَلَ التَّفْضِيلِ مَا يَقْتَضِي مُشَارَكَةَ النَّاسِ فِي الكِبْرِ، لِأَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ قَدْ يَخْرُجُ عَنِ المُشَارَكَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:٢٤]، وَلَا خَيْرِيَّةَ فِي مُسْتَقَرِّ النَّارِ، وَلَا حُسْنَ فِي مَقِيلِهَا.

وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ(٣) سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «اسْتَأْذَنَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ...» الحديثَ، وَفِيهِ: «أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ»(٤).

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ»: «قَالَ العُلَمَاءُ: لَيْسَتْ(٥) لَفْظَةُ(٦) أَفْعَلَ هُنَا لِلْمُفَاضَلَةِ، بَلْ هِيَ بِمَعْنَى فَظٌّ غَلِيظٌ. ثُمَّ نَقَلَ(٧) عَنِ القَاضِي عِيَاضٍ أَنَّهُ قَالَ: قَدْ صَحَّ حَمْلُهَا عَلَى

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٤/١٠٤).

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من (ع). ومثبت من ي، و«النهاية في غريب الحديث».

(٣) [ق١٦/ب] من (ي).

(٤) رواه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٧).

(٥) غير واضحة مطموسة بسبب التصوير في (ع).

(٦) جاء في (ي): «لفظ».

(٧) في (ي): «يقال».

المُفَاضَلَة، وَأَنَّ القَدْرَ الَّذي مِنْهَا فِي النَّبِيِّ ﷺ هُوَ مَا كَانَ فِي إِغْلَاظِه عَلَى الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:٧٣]، وكَمَا كَانَ يَغْلُظُ عَلَيهِمْ، وَيَغْضَبُ[١] عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِ اللهِ» انْتَهَى[٢].

فَحِينَئِذٍ قَوْلُ القَاضِي: «وَأَقَلَّهُم كِبْرًا» بِمَعْنَى انْتِفَاءِ الكِبْرِ عَنْهُ البَتَّةَ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَدْ يُؤَوَّلُ عَلَى شَدَّتِه عَلَى الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ كَمَا فِي الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ تَوَاضُعَهُ وَرَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ كَانَتْ بِالمُؤْمِنِينَ، كَمَا فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨]، وَقَوْلِه فِي «الصَّحِيحِ»: «أَنَّهُ فِي التَّوْرَاةِ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ»[٣] مَعْنَاهُ: عَلَى المُؤْمِنِينَ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُه تعالى[٤]: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]، فَمَعْنَى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، أَيْ: عَاطِفِينَ عَلَيْهِمْ ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]؛ أَيْ مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهِمْ يُغَازُونَهُم وَيُعَادُونَهُمْ. وَلَا يَجُوزُ إِتْلَافُ نُسَخِ «الشِّفَا»، واللهُ أَعْلَمُ.

وَهُوَ القَاضِي[٥] أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرُونَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ، [ق١١/أ][٦] كَذَا ذَكَرَ نَسَبَهُ أَبُو القَاسِمِ المَلَّاحِي[٧].

---

(١) في (ع): «ويغلظ».

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٥/١٦٥).

(٣) رواه البخاري (٢١٢٥).

(٤) ليست في (ي).

(٥) جاء في حاشية (ع): «المصنف».

(٦) من (ع).

(٧) هو الحَافِظ الكبير مُحَمَّد بن عَبْد الواحد بْن إِبْرَاهِيم بْن مفرّج المَلاحي، أَبُو الْقَاسِم الغافقيّ الأَنْدَلُسِيُّ. ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٣/٣٨٥).

وَ«عَمْرُونَ» الأَكْثَرُ فِيهِ إِثْبَاتُ النُّونِ، وَلَكِنَّهُ[(١)] وَقَعَ فِي «مُعْجَمِ الصَّدَفِي»[(٢)] لأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَبَّارِ: «عَمْرُو» بِدُونِهَا، وَكَذَا هُوَ فِي «تَارِيخِ الإِسْلَامِ»[(٣)] وَ«سِيرِ النُّبَلَاءِ»[(٤)] وَ«طَبَقَاتِ الحُفَّاظِ»[(٥)] لِلذَّهَبِيِّ، وَتَبِعَهُ الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ، ثُمَّ شَيْخُنَا فِي «تَجْرِيدِهِ»[(٦)].

وَقَالَ أَبُو القَاسِمِ بْنُ المَلْحُومِ[(٧)]: «اجْتَازَ عَلَيْنَا القَاضِي بِمَدِينَةِ فَاسَ، عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ سَبْتَةَ قَاصِدًا مَرَّاكُشَ زَائِرًا لأَبِي فِي دَارِهِ، عَشِيَّةَ الإِثْنَيْنِ ثَامِنَ رَجَبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، فَاسْتَجَزْتُهُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ نَسَبِهِ؟ فقال: أَنَا أَحْفَظُ -وَسَاقَ مَا تَقَدَّمَ إِلَى عِيَاضٍ الثَّانِي مِنْ آبَائِهِ- قَالَ: وَأَحْفَظُ أَيْضًا بَعْدَ ذَلِكَ: مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ. وَلَا أَعْرِفُ هَلْ مُحَمَّدٌ هَذَا وَالِدُ عِيَاضٍ، أَوْ بَيْنَهُمَا أَحَدٌ» انْتَهَى.

«**اليَحْصَبِيُّ**» بِفَتْحِ المُثَنَّاةِ التَّحْتَانِيَّةِ، ثُمَّ حَاءٍ مُهْمَلَةٍ سَاكِنَةٍ، وَصَادٍ مُهْمَلَةٍ مُثَلَّثَةٍ، ثُمَّ مُوَحَّدَةٍ، نِسْبَةٌ لِيَحْصَبَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَائِلِ بْنِ الغَوْثِ.

وَ**يَحْصَبُ**: قَبِيلَةٌ، أَوْ حَيٌّ مِنْ حِمْيَرَ مِنَ اليَمَنِ.

---

(١) [ق١٧/أ] من: (ي).

(٢) «معجم أصحاب الصدفي» لابن الأبار (٢٩٤) طبعة مكتبة الثقافة الدينية.

(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٨٦٠/١١) طبعة بشار.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢١٣/٢٠).

(٥) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١٣٠٤/٤) طبعة المعلمي رحمه الله.

(٦) يقصد بشيخنا شهاب الدين الحافظ ابن حجر رحمه الله وهي عادة الامام السخاوي ويوافقه في هذا الإمام السيوطي فإذا قال أحدهما قال شيخنا أو شيخ الإسلام فالمقصود هو الحافظ ابن حجر العسقلاني، والكتاب المقصود هنا هو «تجريد الوافي بالوافيات» وقد صدر عن مؤسسة الريان في سبع مجلدات بتحقيق الدكتور شادى النعمان حفظه الله.

(٧) هو عبد الرَّحْمَن بن يُوسُف بن الملحوم كنيته أَبُو الْقَاسِمِ كَانَ بعد الستمائة بفاس. ترجمته في «نزهة الألباب في الألقاب» لابن حجر (٢٦١/٢).

فَأَمَّا فَتْحُ الصَّادِ فَفِي «المحُكَم»[١] لابْنِ سِيدَةَ. وَقَالَ الجوْهَرِيُّ فِي «الصِّحَاح»: «وَيَحْصَبُ حَيٌّ مِنَ اليَمَنِ بِالكَسْرِ إِذَا نَسَبْتَ قُلْتَ: يَحْصَبِيٌّ بِفَتْحِ الصَّادِ، مِثْلَ: تَغْلِبَ وتَغْلَبِيٌّ»[٢].

وَأَمَّا كَسْرُهَا فَحَكَاهُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ فِي «الأَنْسَابِ»[٣].

وَأَمَّا الضَّمُّ فَهُوَ سَمَاعُ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالفَقِيهُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الخيْرِ.

قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: «وَهُوَ أَشْهَرُ»[٤].

وَمِمَّنْ حَكَى الحَرَكَاتِ الثَّلَاثَ الجَعْبَرِيُّ فِي «شَرْحِ الشَّاطِبِيَّةِ»[٥]، وَابْنُ مَالِكٍ فِي «مُثَلَّثِهِ» وَغَيْرِهِمَا.

«الأَنْدَلُسِيُّ» الأَصْلِ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَالدَّالِ وَضَمِّ اللَّامِ، نِسْبَةً لِأَنْدَلُسَ، إِقْلِيمٌ مِنَ المَغْرِبِ يَشْتَمِلُ عَلَى[٦] بِلَادٍ كَثِيرَةٍ.

«السَّبْتِيُّ» الدَّارِ وَالمَوْلِدِ. وَسَبْتَةُ بِفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلَةِ: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، هِيَ بِيَدِ الفَرَنْجِ الآنَ.

«المَالِكِيُّ» قَالَ ابْنُه مُحَمَّدٌ: «كَانَ أَجْدَادُنَا قَدِيمًا[٧] بِالأَنْدَلُسِ، ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى مَدِينَةِ

---

(١) «المحكم» (٣/١٦٥).
(٢) «الصّحاح» (١/١١٢).
(٣) «الأنساب» (١٣/٤٨٣).
(٤) «الأنساب» (١٣/٤٨٣).
(٥) «كنز المعاني» للجعبري، تحقيق أحمد اليزيدي (٢/٩٤).
(٦) [ق١٧/ب] من (ي).
(٧) في (ي): «في القديم».

فَاسَ، وَكَانَ لَهُمُ اسْتِقْرَارٌ بِالقَيْرَوَانِ، فَلَا أَدْرِي أَقَبْلَ حُلُولِهِمْ بِالأَنْدَلُسِ أَوْ بَعْدَهُ، وَانْتَقَلَ عَمْرُونَ إِلَى سَبْتَةَ بَعْدَ سُكْنَى فَاسَ».

وَنَحْوُهُ قَوْلُ القَاضِي أَبِي العَبَّاسِ ابْنِ مَضَاءٍ: «اسْتَقَرَّ أَجْدَادُهُ قَدِيمًا بِجِهَةِ بَسْطَةَ مِنَ الأَنْدَلُسِ، ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى فَاسَ، ثُمَّ إِلَى سَبْتَةَ، وَبِهَا وُلِدَ هُوَ[١] فِي مُنْتَصَفِ شَعْبَانَ، سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ، وَسَمِعَ مِنْ مَشْيَخَةِ بَلَدِهِ، وَتَفَقَّهَ بِبَعْضِهِمْ، وَلَقِيَ مِنْ أَعْلَامِهِمْ أَبَا عِمْرَانَ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي تَلِيدٍ الفَقِيهَ، وَالحَافِظَيْنِ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَطِيَّةَ، وَالقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ المَعَافِرِيَّ ابْنَ العَرَبِيِّ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «إِنَّهُ لَمْ يَتَحَمَّلِ العِلْمَ فِي الحَدَاثَةِ، وَأَوَّلُ[٢] شَيْءٍ أَخَذَ عَنِ الحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ الحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الغَسَّانِيِّ الجَيَّانِيِّ القَاضِي إِجَازَةً مُجَرَّدَةً، وَكَانَ يُمْكِنُهُ السَّمَاعُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَحِقَ مِنْ حَيَاتِهِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَامًا»[٣]. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلِ الأَنْدَلُسَ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَكَانَتْ[٤] رِحْلَتُهُ إِلَى الأَنْدَلُسِ فِي الطَّلَبِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِ مِئَةٍ، فَأَخَذَ بِقُرْطُبَةَ عَنْ أَبِي الحُسَيْنِ سِرَاجِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ الحَافِظِ الصَّغِيرِ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ [ق١١/ب][٥] عَلِيِّ بْنِ حَمْدِينَ القَاضِي، وَأَبِي القَاسِمِ بْنِ النَّخَّاسِ، بِالخَاءِ المُعْجَمَةِ، وَأَظُنُّهُ خَلَفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبِي الوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ[٦] رُشْدٍ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَتَّابٍ، وَأَبِي بَحْرٍ سُفْيَانَ بْنِ العَاصِ[٧] الأَسَدِيِّ، وَالفَقِيهِ أَبِي الوَلِيدِ هِشَامِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ العَوَّادِ، وَأَبِي القَاسِمِ أَحْمَدَ بْنِ

---

(١) جاء في حاشية (ع): «مولد عياض».

(٢) في (ع): أول. والمثبت من ي، «سير أعلام النبلاء».

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢١٣/٢٠).

(٤) في (ع): كانت.

(٥) من (ع).

(٦) [ق١٨/أ] من (ي).

(٧) جاء في (ع): «القاص».

بَقِيّ الحَاكِمِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الحَاجِّ القُرْطُبِيِّ و..(١) ابْنِ مُغيثٍ وَغَيْرِهِم، وَرَحَل مِنْهَا إِلَى مُرْسِيَةَ، فَقَدِمَهَا فِي غُرَّةِ صَفَر سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِ مِئَةٍ.

وَالحَافِظُ أَبُو عَلِيّ الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدَفِيُّ بْنِ سُكَّرَةَ القَاضِي الشَّهِيدُ قَدِ اسْتَخْفَى قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ؛ لِنَبْذِهِ خِطَّةَ القَضَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْفَى، وَوَجَدَ الرَّاحِلِينَ قَدْ نَفِدَتْ نَفَقَاتُ بَعْضِهِمْ، وَمِنْهُم مَنِ ابْتَدَأَ كِتَابًا لَمْ يُتِمَّهُ، فَأَخَذَ أَكْثَرُهُمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، وَتَرَبَّصَ بَعْضُهُمْ.

فَمَكَثَ عِيَاضٌ بَقِيَّةَ صَفَر وَشَهْرَ رَبِيعٍ الأَوَّلِ لَا يَقَعُ لِأَبِي عَلِيّ عَلَى خَبَرٍ سِوَى الظَّنِّ بِكَوْنِهِ هُنَاكَ، وَقَابَلَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ بِأُصُولِهِ، وَكَتَبَ مِنْهَا مَا أَمْكَنَ عَلَى يَدَيْ خَاصَّةٍ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا يَشُكُّ أَنَّ تَصَرُّفَهُ فِي ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِأَمْرِهِ، سِيَّمَا وَقَدْ شَافَهَهُ بَعْدُ بِمَا مَعْنَاهُ أَنْ لَوْ طَالَ تَغَيُّبُهُ لَأَشْعَرَهُ بِالتَّرَحُّلِ إِلَى بَلَدٍ لَا يُؤْبَهُ؛ لِكَوْنِهِ بِهِ مِمَّا يَقَعُ الاخْتِيَارُ عَلَيْهِ؛ لِيَأْخُذَ فِي وُصُولِهِ بِأُصُولِهِ إِلَيْهِ، فَيَجِدُ مَا يَرْغَبُ فِي سَمَاعِهِ، وَيَحْرِصُ عَلَى تَحْصِيلِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ غَرَضَهُ؛ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ إِحْقَاقِ رَغْبَتِهِ، وَتَعْطِيلِ رِحْلَتِهِ، فَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَتَأَكَّدَ إِقْبَالُ أَبِي عَلِيّ عَلَيْهِ، وَلَازَمَهُ فَسَمِعَ عَلَيْهِ صَحِيحَي(٢) البُخَارِيِّ وَ«مُسْلِمٍ»، وَ«المُؤْتَلِفَ وَالمُخْتَلِفَ» لِلدَّارَقُطْنِيِّ، وَ«مُشْتَبِهَ النِّسْبَةِ» لِعَبْدِ الغَنِيِّ وَالشِّهَابَ لِلقُضَاعِيِّ(٣)، وَ«الإِشَارَةَ» لِلبَاجِيِّ، وَ«أَدَبَ الصُّحْبَةِ» لِلسُّلَمِيِّ، وَ«شُيُوخَ البُخَارِيِّ» لابْنِ عَدِيٍّ،(٤) وَ«عَوَالِي» أَبِي الفَوَارِسِ الزَّيْنِي(٥).

---

(١) بياض في (ي) بمقدار نصف سطر، وكذا بياض في (ع).

(٢) في (ي): «صحيح».

(٣) في (ي): «القضاعي».

(٤) [ق١٨/ب] من (ي).

(٥) في (ع): «الرئيني».

وَقَرَأَ «جَامِعَ التِّرْمِذِيِّ» وَ«رِيَاضَةَ الْمُتَعَلِّمِينَ» لِأَبِي نُعَيْمٍ، وَ«النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ» لِهِبَةِ اللهِ، وَ«الاسْتِدْرَاكَاتِ عَلَى الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ» وَ«التَّتَبُّعَ وَالإِلْزَامَاتِ» وَهِيَ لِلدَّارَقُطْنِيِّ، وَ«الأَرْبَعِينَ حَدِيثًا» لِأَبِي نُعَيْمٍ وَالشَّيْبَانِيِّ، وَ«أَوْهَامَ الْحَاكِمِ» لِعَبْدِ الْغَنِيِّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَكَتَبَ عَنْهُ فَوَائِدَ كَثِيرَةً رَحِمَهُمَا اللهُ.

وَشُيُوخُهُ يُقَارِبُونَ الْمِئَةَ، ذَكَرَهُمْ[(١)] فِي كِتَابٍ مُخْتَصٍّ بِهِمْ، سَمَّاهُ: «**الْغُنْيَة**»، فَتَفَقَّهَ وَقَرَأَ عَلَى: الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى التَّمِيمِيِّ السَّبْتِيِّ الْقَاضِي، وَأَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ الْفَقِيهِ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ التُّدْمِيرِيِّ، وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ النَّحْوِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَسِيلِيِّ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْفَقِيهِ.

وَعُنِيَ بِلِقَاءِ الشُّيُوخِ وَالأَخْذِ عَنْهُمْ، مِنْهُمْ: أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ غَلْبُونَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَّابٍ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُشَنِيُّ الْفَقِيهُ، وَالْقَاضِي أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَطِيبُ.

وَأَجَازَ لَهُ سِوَى أَبِي عَلِيٍّ الْغَسَّانِيِّ الْمَاضِي: خَلِيصُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَأَبُو زَيْدِ بْنُ مَنْتَالٍ[(٢)]، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السِّيدِ الْبَطْلَيُوسِيُّ، وَأَبُو زَيْدِ بْنُ الْوَرَّاقِ.

وَكَذَا أَجَازَ لَهُ مِمَّنْ لَقِيَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَوْلَانِيُّ، وَأَبُو الْوَلِيدِ بْنُ طَرِيفٍ، وَأَبُو الأَصْبَغِ عِيسَى بْنُ أَبِي الْبَحْرِ الشَّنْتَرِينِي. وَغَيْرُهُمْ؛ كَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَشْعَرِيِّ.

---

(١) في (ع): «ذكره».

(٢) في كتب التراجم: منثيل.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنَ المَهْدِيَّةِ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ [ق١٢/أ](١) المازري(٢)، وَمِنَ المَشْرِقِ أَبُو نَصْرٍ(٣) النَّهَاوَنْدِيُّ، وَالإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الوَلِيدِ الفِهْرِيُّ الطُّرْطُوشِيُّ(٤)، وَأَبُو الحَسَنِ(٥) عَلِيُّ بْنُ المُشَرَّفِ الأَنْمَاطِيُّ، وَأَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ الحَافِظُ.

وَذَلِكَ أَنَّ القَاضِيَ كَتَبَ إِلَيْهِ:

أَبَا طَاهِرٍ خُذْهَا عَلَى البُعْدِ وَالنَّوَى ... تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ لِذِكْرَاكَ شَيِّقِ
طَوَى لَكَ مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ مَوَدَّةً ... تَشِفُّ صَفَاءً كَالزُّلَالِ المُرَوَّقِ
يُنَاجِيكَ بِالذِّكْرَى فَيَشْفِي غَلِيلَهُ ... وَيُخْلِصُ بِالوُدِّ الصَّحِيحِ وَيَلْتَقِي
أَقَمْتَ عَمُودَ الدِّينِ وَالأَثَرَ الَّذِي ... سَنَاهُ هَدَى لِلْحَقِّ كُلَّ مُوَفَّقِ
وَطَارَ لَكَ الصِّيتُ البَعِيدُ فَأُرِّخَتْ ... مَآثِرُهُ مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
فَمَا مِنْ ثَرًى إِلَّا بِذِكْرَاكَ عَاطِرٌ ... وَلَا أُفُقٍ إِلَّا بِنُورِكَ مُشْرِقِ
بَقِيتَ لِإِسْنَادِ الحَدِيثِ تُقِيمُهُ ... وَلِلْعِلْمِ تُمْلِي فِيهِ كُلَّ مُحَقَّقِ
وَلَا زِلْتَ تَحْوِي كُلَّ فَضْلٍ وَسُؤْدَدٍ ... وَتَسْمُو لِمِعْرَاجِ الجَلَالِ وَتَرْتَقِي

فَأَجَابَهُ الحَافِظُ المُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ:

أَتَانِي نَظْمُ الأَلْمَعِيِّ المُوَفَّقِ ... يَمِيسُ اخْتِيَالًا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
فَطَالَعْتُهُ مُسْتَبْشِرًا وَوَجَدْتُهُ ... نَتِيجَةَ فَهْمٍ فِي البَلَاغَةِ مُشْرِقِ

---

(١) من (ع).
(٢) في (ي): «المَازِنِيُّ».
(٣) [ق١٩/أ] من (ي).
(٤) في (ي): «الطرسوسي».
(٥) في (ي): «الحسين».

وَأَنْشَدْتُهُ الأَصْحَابَ بَعْدَ تَأَمُّلٍ ... فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ غَيْرُ مُطْرٍ وَمُطْرِقِ
فَمُطْرِيهُمُ مِمَّا رَأَى مِنْ فَصَاحَةٍ ... بِلَا كُلْفَةٍ فِيهَا وَغَيْرِ تَفَيْهُقِ
وَمُطْرِقُهُمْ مِنْ حِيرَةٍ وَتَعَجُّبٍ ... وَمِنْ دَهَشٍ قَدْ نَالَهُ وَتَعَلُّقِ(١)
وَحُقَّ لَهُ هَذَا المَحَلُّ فَقَدْ عَلَا ... عَلَى جَرْوَلٍ(٢) فِي نَظْمِهِ المُتَدَفِّقِ(٣)
وَأَضْحَى فَرِيدًا فِي الحَدِيثِ وَحِفْظِهِ ... وَقَصَّرَ عَنْهُ كُلُّ فَحْلٍ وَمُفْلِقِ
وَفِي الفِقْهِ مِنْ بَعْدِ الَّذِي هُوَ عِلْمُهُ ... فَقَدْ فَاقَ أَهْلَ الأُفْقِ قَوْلُ مُحَقِّقِ
وَفَازَ بِمَجْدٍ لَيْسَ يَرْجُو بُلُوغَهُ ... مَدَى الدَّهْرِ إِلَّا كُلُّ أَحْمَقَ أَخْرَقِ
تَوَرَّثَهُ مِنْ وَالِدٍ مُتَقَدِّمٍ ... عَنِ الجَدِّ قَرْمٍ فِي الرِّئَاسَةِ مُعْرِقِ
أَبَا الفَضْلِ خُذْ بِالفَضْلِ فِيمَا بَعَثْتُهُ ... وَطَالِعْهُ ثُمَّ انْبِذْهُ عَنْكَ وَشَقِّقِ
فَشِعْرُكَ دُرٌّ وَالَّذِي قَدْ نَظَمْتُهُ ... فَمُجْتَلَبٌ قَوْلًا بِغَيْرِ تَمَلُّقِ
وَإِلَّا كَمِثْلِ الأَنْجُمِيِّ مَثَابَةً ... وَمَا صُغْتُهُ فِي الوَهْمِ مِثْلَ الخَدَرْنَقِ
وَثِقْ بِوِدَادٍ لَا يَزَالُ مُجَدَّدًا ... يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَرْتَقِي [ق١٢/ب](٤)
وَدَرْسٍ لِمَا قَدْ حُزْتَهُ وَحَوَيْتَهُ ... وَغَرْسٍ لِغُصْنٍ مِنْ وَلَائِكَ مُورِقِ
فَنَحْنُ وَإِنْ لَمْ يَقْضِ يَا قَاضِ بَيْنَنَا ... لِقَاءٌ فَبِالأَرْوَاحِ نَدْنُو وَنَلْتَقِي
وَجُلُّ اعْتِمَادِ المَرْءِ فِي الوُدِّ إِنَّمَا ... عَلَيْهِ لِمَا فِي ضِمْنِهِ مِنْ تَوَثُّقِ

---

(١) في (ع): «تقلق».

(٢) في (ي): «جدول» ووردت على جرير والفرزدق.

(٣) [ق١٩/ب] من (ي).

(٤) من (ع).

فَلَا زِلْتَ تَبْقَى فِي النَّعِيمِ وَظِلِّهِ ... عَلَى وَفْقِ مَا تَهْوَى وَعِزٍّ مُحَقَّقِ
وَتَلْقَى الَّذِي عَادَى عُلَاكَ مُبعدًا[1] ... بِطَرْدٍ وَتَشْرِيدٍ وَطُولَ تَفَرُّقِ
فَمَا إِنْ يُعَادِي عُصْبَةَ الدِّينِ وَالْهُدَى ... سِوَى مَارِدٍ أَوْ مُلْحِدٍ مُتَزَنْدِقِ

نُقِلَ ذَلِكَ مِنْ خَطِّ أَبِي عَبْدِ اللهِ الوَادِيَاشِي، وَفِي كَلَامِه -أَعْنِي السِّلَفِي- مَا يَقْتَضِي أَنَّ أَبَاهُ وَجَدَّه كَانَا رَئِيسَيْنِ، إِمَّا بِالعِلْمِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، أَوْ بِغَيْرِهِ.

وَكَذَا سَيَأْتِي فِي قَوْلِ أَبِي نَصْرِ بْنِ خَاقَانَ: «وَإِنْ فَاخَرَ فَشَجَرَةُ سِيَادَةٍ، أَصْلُهَا[2] ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ».

وَكَذَا كَانَ لِلْقَاضِي ابْنٌ اسْمُه: مُحَمَّدٌ مَذْكُورٌ، وَلِيَ قَضَاءَ دَانِيَةَ، مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، وَلِمُحَمَّدٍ ابْنٌ فَقِيهٌ اسْمُهُ: عِيَاضٌ، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ.

[وَلِعِيَاضٍ هَذَا ابْنٌ اسْمُهُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٌ، مَاتَ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ][3]، كَانَ نَحْوِيًّا، وَلِيَ قَضَاءَ الجَمَاعَةِ بِغِرْنَاطَةَ، وَكَانَ مِنْ سَرَاةِ القُضَاةِ، فَصَاحِبُ التَّرْجَمَةِ كَرِيمُ الأُصُولِ وَالفُرُوعِ، رَحِمَهُمُ اللهُ.

وَمِنْ شُيُوخِهِ أَيْضًا سِوَى مَنْ تَقَدَّمَ مِمَّا بَعْضُهُمْ بِالسَّمَاعِ وَبَعْضُهُمْ بِالإِجَازَةِ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَكْحُولٍ، وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ العَجُوزِ، وَالقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التَّغْلِبِيُّ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ إِمَامِهِ نَجْمِ السُّنَنِ سِتَّةُ وَسَائِطَ، وَبَيْنَ أَصْحَابِ الكُتُبِ السِّتَّةِ خَمْسَةٌ.

---

(١) في (ع): «مباعدًا» وفي الحاشية: «مبعدًا».
(٢) [ق٢٠/أ] من (ي).
(٣) سقطت من (ع).

قَالَ رَفِيقُهُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادَةَ البُرْنُسِيُّ السَّبْتِيُّ فِي «مُخْتَصَرِ المَدَارِكِ» لَهُ: «نَشَأَ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَالاخْتِلَافِ لِلْأَشْيَاخِ، مَعَ حِدَّةِ ذِهْنِهِ، وَذَكَاءِ فَهْمِهِ، وَأَجْلَسَهُ أَصْحَابُنَا لِلْمُنَاظَرَةِ؛ إِذْ لَمْ يَجِدُوا مِنْ جُلُوسِهِ مَحِيصًا، وَهُوَ ابْنُ نَحْوِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ أُجْلِسَ لِلشُّورَى بَعْدَ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ، ثُمَّ وَلِيَ القَضَاءَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَسَارَ فِيهَا بِأَحْسَنِ سِيرَةٍ، كَانَ هَيِّنًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، مَلِيًّا فِي الحَقِّ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ».

إِلَى أَنْ قَالَ: «حَافِظًا لِلْمَسَائِلِ، قَائِمًا بِعِلْمِ الحَدِيثِ وَمَعَانِيهِ، وَعِلَلِهِ وَجَمْعِ طُرُقِهِ، حَافِظًا لِلْأَخْبَارِ، حَامِلَ آدَابٍ وَلُغَةٍ وَنَحْوٍ، مَا تَكَلَّمَ فِي عِلْمٍ إِلَّا وَأَخَذَ مِنْهُ بِالنَّصِيبِ[1] الأَوْفَرِ، عَارِفًا بِالشُّرُوطِ وَالوَثَائِقِ وَالأَحْكَامِ، ضَابِطًا لِكُتُبِهِ، جَيِّدَ الشِّعْرِ، حَسَنَ التَّأْلِيفِ لَمْ يَكُنْ بِسَبْتَةَ فِي عَصْرٍ مِنَ الأَعْصَارِ مَنْ لَهُ مِنَ التَّأْلِيفِ مِثْلُ مَا لَهُ».

ثُمَّ قَالَ: «وَجَازَ وَحَازَ مِنَ الرِّئَاسَةِ فِي بَلَدِهِ وَالرِّفْعَةِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَطُّ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا تَوَاضُعًا وَخَشْيَةً للهِ تَعَالَى».

وَذَكَرَهُ أَبُو نَصْرٍ الفَتْحُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ القَيْسِيُّ الإِشْبِيلِيُّ ابْنُ خَاقَانَ، وَكَانَ مُعَاصِرَهُ، فِي كِتَابِ «قَلَائِدِ العِقْيَانِ وَمَحَاسِنِ الأَعْيَانِ فِي لُمَعِ أَعْيَانِ القُضَاةِ وَالفُقَهَاءِ وَلُمَحِ أَعْلَامِ العُلَمَاءِ» فَقَالَ: «جَاءَ عَلَى قَدَرٍ [ق١٣/أ][2] وَسَبَقَ إِلَى نَيْلِ المَعَالِي وَابْتَدَرَ، فَاسْتَيْقَظَ لَهَا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَوَرَدَ حِيَاضَهَا وَهُمْ حِيَامٌ، وَتَلَى مِنَ المَعَارِفِ مَا أَشْكَلَ، وَأَقْدَمَ عَلَى مَا أَحْجَمَ عَنْهُ سِوَاهُ وَنَكَلَ، فَتَحَلَّتْ بِهِ لِلْعُلُومِ نُحُورٌ، وَتَجَلَّتْ لَهُ مِنْهَا حُورٌ، كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ، وَقَدْ أَلْحَفَتْهُ[3] الأَصَالَةُ

---

(١) [ق٢٠/ب] من (ي).

(٢) من (ع).

(٣) في (ي): «ألحقته».

رِدَاءَهَا، وَسَقَتْهُ الجَلَالَةُ أَنْدَاءَهَا، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةُ أَقَالِدَهَا[(١)]، وَمَلَّكَتْهُ طَارِفَهَا وَتَالِدَهَا، فَبَذَّ عَلَى فَتَانَةٍ[(٢)] الكُهُولِ سُكُونًا وَحِلْمًا، وَسَبَقَهُمْ مَعْرِفَةً وَعِلْمًا، وَأَزْرَتْ[(٣)] مَحَاسِنُهُ بِالبَدْرِ اللَّيَّاحِ، وَسَرَتْ فَضَائِلُهُ سَرَى الرِّيَاحِ، فَتَشَوَّقَتْ[(٤)] لِعُلَاهُ الأَقْطَارُ، وَوَكَفَتْ تَحْكِي نَدَاهُ الأَمْطَارُ.

وَهُوَ عَلَى اعْتِنَائِهِ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ، وَاخْتِصَاصِهِ بِهَذِهِ الرُّتْبَةِ الرَّفِيعَةِ، يَعْنِي بِإِقَامَةِ أَوَدِ الأَدَبِ، وَيَنْسِلُ إِلَيْهِ أَرْبَابُهُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ، إِلَى سُكُونٍ وَوَقَارٍ، كَمَا رَسَا الطَّوْدُ، وَجَمَالِ مَجْلِسٍ[(٥)] كَمَا حُلِّيَتِ الخَوْدُ، وَعَفَافٍ وَصَوْنٍ، مَا عَلِمَا فَسَادًا بَعْدَ الكَوْنِ، وَرُوَاءٍ لَوْ رَأَتْهُ الشَّمْسُ مَا تَاهَتْ بِأَضْوَاءٍ وَخَفَرٍ، أَوْ كَانَ لِلصُّبْحِ مَا لَاحَ وَأَسْفَرَ. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ كَلَامِهِ البَدِيعِ الأَلْفَاظِ وَالأَغْرَاضِ، مَا هُوَ أَسْحَرُ مِنَ العُيُونِ النُّجْلِ وَالحَدَقِ المِرَاضِ».

ثُمَّ أَوْرَدَ مِنْ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ فُنُونَ الأَفْنَانِ، كَمَا سَأُورِدُ بَعْضَهُ.

وَقَالَ أَيْضًا: «وَلَهُ فَصْلٌ مِنْ[(٦)] رِسَالَةٍ فِي جَانِبِي فِي عِلْمِكَ، سَدَّدَ اللهُ عَلَى حِلْمِكَ، مَا جَمَعَهُ قِلَالٌ مِنْ خِلَالٍ، تَشِذُّ عَنِ الحَصْرِ، وَفَضَائِلَ يَفْتَرُّ لَهُ لِمَهَابَتِهَا[(٧)] العَصْرُ، يَقُولُ فَيَخْلِسُ العُقُولَ، وَيَعِنُّ فَيُذْهِلُ الأَلْبَابَ، وَيَحِنُّ إِنْ نَظَمَ فَعَبِيدٌ أَوْ لَبِيدٌ، أَوْ نَثَرَ فَعَبْدُ

---

(١) في (ع): «أقاليدها».

(٢) في (ع): «فتائه».

(٣) في (ي): «فأزرت».

(٤) في (ع): «فتشوفت».

(٥) [ق٢١/أ] من (ي).

(٦) في (ي): «في».

(٧) في (ع): «تفتر له لمابتها».

الحَمِيدِ، أَوِ ابْنُ العَمِيدِ، أَوْ صَالَ فَأَبُو نَعَامَةَ، أَوْ أَنَالَ فَكَعْبُ بْنُ مَامَةَ، وَإِنْ فَاخَرَ فَشَجَرَةُ سِيَادَةٍ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، وَإِنْ ذَاكَرَ فَبَحْرُ مَعَارِفَ لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ، إِلَى هِمَّةٍ تَصْفَعُ(١) هَامَةَ الثُّرَيَّا، وَعِزَّةٍ(٢) تَمْتَهِنُ الفَضْلَ بْنَ يَحْيَى، وَلَهْجَةٍ تُخْرِسُ العَجَّاجَ، وَبَهْجَةٍ تُزْرِي بِنَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ، حَالُهُ لَمَّا بَلَغْتُ المُنْتَهَى لَهُ، عَلَى أَنِّي لَمْ أُنَبِّهْ لِشَأْنِهِ ذَا الجَهَالَةِ، وَلَكِنَّهُ الكَلَامُ يَطَّرِدُ، وَالبَدَاهَةُ حَسْبَمَا تَرِدُ، وَاللِّسَانُ يَنْطِقُ بِمِلْءِ فِيهِ، وَالجَنَانُ يَرْشَحُ بِمَا فِيهِ».

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيُّ فِي «تَهْذِيبِ الأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ»: «عِيَاضٌ القَاضِي الإِمَامُ المَالِكِيُّ مَذْكُورٌ فِي «الرَّوْضَةِ»(٣) فِي «كِتَابِ(٤) الرِّدَّةِ» هُوَ: أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ السَّبْتِيُّ المَالِكِيُّ، مِنْ أَهْلِ سَبْتَةَ، مَدِينَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِالمَغْرِبِ، وَهُوَ إِمَامٌ بَارِعٌ مُتَفَنِّنٌ(٥) مُتَمَكِّنٌ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ وَالأُصُولَيْنِ وَالفِقْهِ وَالعَرَبِيَّةِ(٦)، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ العُلُومِ المُهِمَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الأَفْهَامِ الثَّاقِبَةِ»(٧).

قُلْتُ: وَالَّذِي فِي الرِّدَّةِ مِنَ «الرَّوْضَةِ» مِنْ زِيَادَاتِهِ: «قَدْ ذَكَرَ القَاضِي الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُو الفَضْلِ عِيَاضٌ ﵀ فِي آخِرِ كِتَابِهِ «الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ نَبِيِّنَا المُصْطَفَى» [ق١٣/ب](٨) صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ جُمْلَةً فِي الأَلْفَاظِ المُكَفِّرَةِ غَيْرَ مَا سَبَقَ،

---

(١) في (ي): «تصقع».

(٢) في (ع): «وغرة».

(٣) «روضة الطالبين» كتاب الردة (٧/٢٨٩).

(٤) في (ع): «باب» والمثبت من (ي)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢/٤٣).

(٥) في (ي): «متقن».

(٦) [ق٢١/ب] من (ي).

(٧) «روضة الطالبين» كتاب الردة (٧/٢٨٩).

(٨) من (ع).

نَقَلَهَا عَنِ الأَئِمَّةِ، أَكْثَرُهَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَصَرَّحَ بِنَقْلِ الإِجْمَاعِ فِيهِ»[١].

ثُمَّ سَرَدَ النَّوَوِيُّ رحمه الله مِنْ ذَلِكَ مَا اقْتَضَى رَأْيُهُ الاقْتِصَارَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: «هُوَ القَاضِي الإِمَامُ العَلَّامَةُ، الحَافِظُ النَّاقِدُ، البَلِيغُ المِصْقَعُ، الحَبْرُ البَحْرُ، مَطْلَعُ ذُكَى[٢] الذَّكَاءِ، وَمُطْلِعُ مُنَى المُنَا، المُورِي بِفَضَائِلِهِ زَنْدَ الإِفَادَةِ، وَالمُرْوِي بِنَتَاجِ فَوَاضِلِهِ ظَمَأَ ذَوِي الوِفَادَةِ، وَالآسِي بِشِفَائِهِ قُلُوبَ مُلْتَمِسِي السَّعَادَةِ».

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: «كَانَ لَا يُدْرَكُ شَأْوُهُ، وَلَا يُبْلَغُ مَدَاهُ، فِي العِنَايَةِ بِصِنَاعَةِ الحَدِيثِ، وَتَقْيِيدِ الآثَارِ، وَخِدْمَةِ العِلْمِ، مَعَ حُسْنِ التَّفَنُّنِ فِيهِ، وَالتَّصَرُّفِ الكَامِلِ فِي فَهْمِ مَعَانِيهِ، إِلَى اضْطِلَاعِهِ بِالأَدَبِ، وَتَحَقُّقِهِ بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ، وَمَهَارَتِهِ فِي الفِقْهِ، وَمُشَارَكَتِهِ فِي اللُّغَةِ وَالعَرَبِيَّةِ».

وَنَحْوُهُ قَوْلُ غَيْرِهِ: «كَانَ إِمَامَ وَقْتِهِ فِي الحَدِيثِ وَعُلُومِهِ، عَالِمًا بِالتَّفْسِيرِ وَجَمِيعِ عُلُومِهِ، فَقِيهًا أُصُولِيًّا، عَالِمًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَكَلَامِ العَرَبِ وَأَيَّامِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ،[٣] بَصِيرًا بِالأَحْكَامِ، عَاقِدًا لِلشُّرُوطِ، حَافِظًا لِمَذْهَبِ مَالِكٍ، شَاعِرًا مُجِيدًا، رَيَّانًا مِنْ عِلْمِ الأَدَبِ، خَطِيبًا بَلِيغًا، صَبُورًا حَلِيمًا جَمِيلَ العِشْرَةِ، جَوَادًا سَمْحًا كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، دَءُوبًا[٤] عَلَى العَمَلِ صَلِيبًا فِي الحَقِّ».

وَقَالَ المَلَّاحِيُّ: «كَانَ[٥] بَحْرَ عِلْمٍ، وَهَضْبَةَ دِينٍ وَحِلْمٍ، أَحْكَمَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِ اللهِ

---

(١) «روضة الطالبين» كتاب الردة (٧/٢٨٩).

(٢) في (ع): «ذكاء».

(٣) في (ع): «وأنسابهم وأيامهم».

(٤) [ق٢٢/أ] من (ي).

(٥) في (ي): «وكان» والمثبت من (ع) ومن «أزهار الرياض» للتلمساني (٣/٧).

السَّبع، وبَلَغ مِنْ معرِفتِهِ الطُّولَ والعَرْضَ، وبرز في عِلْمِ الحَدِيث، وحَمل رَايَة الرَّأْيِ، ورأَس في الأُصولِ، وحفِظَ أَسْماءَ الرِّجَالِ، وقيَّدَ اللُّغَة، وأَشْرفَ عَلَى مذاهِبِ الفُقهاءِ، وأَنْحاءِ العُلَماءِ، وأَغْراضِ الأُدَباءِ».

وقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ القُضَاعِيُّ: «وبالجُمْلة: فكَانَ جمَالَ العصْرِ، ومفْخرَ الأُفُقِ، وينْبوعَ المَعْرفةِ، ومعْدنَ الإفَادَةِ، وإِذَا عُدَّتْ رِجَالَاتُ المَغْرِبِ -فَضْلًا عَنِ الأَنْدلُسِ- حُسِبَ فِيهِمْ صَدْرًا».

وقَالَ الذَّهَبِيُّ في «سِيَرِ النُّبَلَاءِ»: «اسْتَبْحرَ مِنَ العلُومِ، وجمَعَ وأَلَّفَ، وسَارَتْ بتَصَانِيفِهِ الرُّكْبَانُ، واشْتَهرَ اسْمُهُ فِي الآفَاقِ».

قَالَ: «وتوالِيفُهُ نفِيسَةٌ». ثُمَّ ذَكَرَ مَا سَبَقَ، وصَدَّرَ ترْجمَتَهُ: بـ«الإِمَامِ العَلَّامَةِ الحَافِظِ الأَوْحَدِ شَيْخِ الإِسْلَامِ القَاضِي».

وفي «طَبَقَاتِ الحُفَّاظِ»: بـ«القَاضِي العَلَّامَةِ عَالِمِ المَغْرِبِ».

واقْتصرَ في «دُوَلِ الإِسْلَامِ» عَلَى: «عَالِمِ المَغْرِبِ»، وَفِي «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» عَلَى: «القَاضِي أَحدُ الأَعْلَامِ». وذَكَرَ ترْجمَتَهُ.

وقَالَ ابْنُ خلِّكَانَ: «هُوَ إِمَامُ أَهْلِ الحَدِيثِ فِي وَقْتِهِ، وأَعْرَفُ النَّاسِ بِعلُومِهِ، وبِالنَّحْوِ واللُّغَةِ وكَلَامِ العَرَبِ، وأَيَّامِهِمْ وأَنْسَابِهِمْ».

وقَالَ أَبُو زَيْدٍ ابْنُ القَصِيرِ الغَرْنَاطِيُّ: «لَمَّا وردَ علَيْنَا أَغْرنَاطَةَ، خرَجَ النَّاسُ إِلَى لِقَائِهِ، وبرَزُوا تبْرِيزًا مَا رَأَيْتُ لِأَمِيرٍ يؤمر(١) مِثْلَهُ، وحزرْتُ أَعْيَانَ البَلَدِ الَّذِينَ خرَجُوا

(١) في (ي): «مؤمر».

إِلَيْهِ رُكْبَانًا نَيِّفًا عَلَى مِئَتَيْ رَاكِبٍ، وَمِنْ سَوَادِ العَامَّةِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً، وَخَرَجْتُ مَعَ أَبِي فِي جُمْلَةِ مَنْ خَرَجَ، فَلَقِينَا شَخْصًا بَادِي السِّيَادَةِ، مُنْبِئًا[1] عَنِ اكْتِسَابِ المَعَالِي وَالإِفَادَةِ، [ق١٤/أ][2] وَلَمَّا اسْتَقَرَّ عِنْدَنَا كَانَ مِثْلَ التَّمْرَةِ، كُلَّمَا لِيكَتْ زَادَتْ حَلَاوَةً، بِلَفْظٍ عَذْبٍ فِي كُلِّ مَا صَرَّفَ مِنَ الكَلَامِ لِلنَّفْسِ نَتُوقُ وَلَهُ طَلَاوَةٌ، وَكَانَ بَرًّا بِلِسَانِهِ، جَوَادًا بِبَنَانِهِ، كَثِيرَ التَّخَشُّعِ فِي صَلَاتِهِ، مُوَاصِلًا لِصَلَاتِهِ».

وَقَوْلُهُ: «أَغَرْنَاطَةَ» بِأَلِفٍ أَوَّلَهُ هِيَ لُغَةٌ فِي «غَرْنَاطَةَ» بِفَتْحِ المُعْجَمَةِ، كَأَطْرَابُلُسَ وَطَرَابُلُسَ.

وَقَالَ أَبُو القَاسِمِ بْنُ بَشْكُوَالَ فِي «**الصِّلَةِ**»: «جَمَعَ مِنَ الحَدِيثِ كَثِيرًا، فَإِنَّهُ كَانَتْ لَهُ بِهِ عِنَايَةٌ كَبِيرَةٌ، وَاهْتِمَامٌ بِجَمْعِهِ وَتَقْيِيدِهِ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّفَنُّنِ فِي العِلْمِ، وَاليَقَظَةِ وَالفَهْمِ».

قَالَ: «وَبَعْدَ عَوْدِهِ مِنَ الأَنْدَلُسِ أَجْلَسَهُ أَهْلُ سَبْتَةَ لِلْمُنَاظَرَةِ عَلَيْهِ فِي «**المُدَوَّنَةِ**»، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ يَنِيفُ عَلَيْهَا، ثُمَّ أُجْلِسَ لِلشُّورَى، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ بَلَدِهِ سَبْتَةَ مُدَّةً طَوِيلَةً حُمِدَتْ سِيرَتُهُ فِيهَا، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، وَلَمْ يَطُلْ أَمَدُهُ بِهَا، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ سَبْتَةَ ثَانِيًا،[3] وَقَدِمَ عَلَيْنَا قُرْطُبَةَ، فَأَخَذْنَا عَنْهُ بَعْضَ مَا عِنْدَهُ».

وَكَذَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ القُضَاعِيُّ فِي كِتَابِ «**الرُّوَاةِ**»: «عَنِ الصَّدَفِيِّ: أَنَّهُ وَلِيَ قَضَاءَ بَلَدِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ، فَلَمْ يَطُلْ مُقَامُهُ فِيهَا، وَأُعِيدَ إِلَى سَبْتَةَ ثَانِيًا، فَلَمْ يَزَلْ قَاضِيًا إِلَى أَنْ أُشْخِصَ إِلَى مَرَّاكُشَ، وَفِيهَا مَاتَ».

---

(١) [ق٢٢/ب] من (ي).

(٢) من (ع).

(٣) في (ع): «قال».

وَقَالَ ابْنُ مَضَاءٍ: «وَرَدَ عَلَيْنَا يَوْمَ الخَمِيسِ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا وَأُعِيدَ إِلَى سَبْتَةَ».

قَالَ ابْنُ الخَطِيبِ: «وَبَنَى الزِّيَادَةَ الغَرْبِيَّةَ فِي[1] الجَامِعِ الأَعْظَمِ، وَبَنَى فِي جَبَلِ المَاءِ الرَّابِيَةَ الشَّهِيرَةَ، وَعَظُمَ صِيتُهُ، وَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ المُوَحِّدِينَ بَادَرَ سَبْقًا إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِمْ، وَرَحَلَ إِلَى لِقَاءِ أَمِيرِهِمْ بِمَدِينَةِ سَلَا، فَأَجْزَلَ صِلَتَهُ، وَأَوْجَبَ بِرَّهُ، إِلَى أَنْ اضْطَرَبَ أَمْرُ المُوَحِّدِينَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَالْتَاثَتْ حَالُهُ، وَلَحِقَ بِمَرَّاكُشَ مُشَرَّدًا عَنْ وَطَنِهِ، فَكَانَتْ[2] وَفَاتُهُ بِهَا» كَمَا سَيَأْتِي.

وَفِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ: «أَنَّهُ كَانَ بَارِعَ الخَطِّ المُعَرَّبِ، بَدِيعَ التَّرْصِيعِ لَهُ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وُجُودُ أَوْضَاعٍ وَوُقُوعُ أُمُورٍ بِخَطِّهِ كَثِيرَةٍ، يَقْصُرُ عَنْهَا الحَصْرُ». جَزَاهُ اللهُ أَوْفَرَ الجَزَاءِ.

وَذَكَرَهُ[3] سِبْطُ ابْنِ الجَوْزِيِّ فِي «**مِرْآةِ الزَّمَانِ**» فقال: «كَانَ كَبِيرَ الشَّأْنِ، غَزِيرَ[4] البَيَانِ».

وَحَكَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ هَارُونَ المَغْرِبِيَّ مَدَحَهُ بِقَوْلِهِ:

ظَلَمُوا عِيَاضًا وَهُوَ يَحْلُمُ عَنْهُمُ ... وَالظُّلْمُ بَيْنَ العَالَمِينَ قَدِيمُ
جَعَلُوا مَكَانَ الرَّاءِ عَيْنًا فِي اسْمِهِ ... كَيْ يَكْتُمُوهُ وَإِنَّهُ مَعْلُومُ
لَوْلَاهُ مَا فَاحَتْ أَبَاطِحُ سَبْتَةٍ ... وَالرَّوْضُ حَوْلَ خِبَائِهَا[5] مَعْدُومُ

---

(١) [ق٢٣/أ] من (ي).

(٢) في (ع): «وكانت».

(٣) في (ع): «وذكر».

(٤) في (ي): «عزيز» والمثبت هو الثابت في مرآة الزمان (٢٠/٤٠١).

(٥) كتب بحاشية الأصل: فنائها. وكتب عليه: خـ.

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

هَنِيًّا أَبَا الفَضْلِ الَّذِي قَدْ أَفَدْتَهُ ... وَلَقَّاكَ مِنْ رَقَّاكَ فَضْلًا وَرِضْوَانًا
وَصَيَّرَ مَنْ مَجَّدْتَهُ وَصِحَابَهُ ... صِحَابَكَ فِي أَهْلِ اليَمِينِ وَرِضْوَانًا
وَأَوْرَدَكَ الحَوْضَ الرَّوِيَّ مُهَنَّأً ... فَتَصْدُرَ إِنْ ذِيدَ المُذَادُونَ[1] رَيَّانًا
وَكَانَ لَذَى[2] حَشْرٍ لِبَاسُكَ سُنْدُسًا ... وَكَانَ مِنَ الفِرْدَوْسِ بَابُكَ رَيَّانًا
وَمَنَّ عَلَيْنَا بِالَّذِي قَدْ مَنَحْتَهُ ... وَصَيَّرَنَا فِي جَنَّةِ الخُلْدِ إِخْوَانًا

[ق١٤/ب][3] وَقَالَ العَفِيفُ اليَافِعِيُّ فِي «تَارِيخِهِ»: «أَحَدُ الحُفَّاظِ الأَعْلَامِ» وَسَاقَ شَيْئًا مِمَّا سَبَقَ. قَالَ: «وَلَهُ التَّصَانِيفُ الجَلِيلَةُ المُفِيدَةُ».

وَقَالَ ابْنُ العَمَلِ فِي «شَرْحِهِ»: «حَبْرُ الأُمَّةِ وَحَافِظُهَا، إِمَامُ زَمَانِهِ، وَفَرِيدُ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ، أَعْلَى اللهُ [له][4] فِي دَارِ المَعَالِي الدَّرَجَاتِ، وَضَاعَفَ لَهُ فِي مَنَازِلِ الكَرَامَةِ مِنْ كَرَمِهِ جَزِيلَ الحَسَنَاتِ. وَلِيَ قَضَاءَ سَبْتَةَ بِمَوَدَّةٍ مِنْ أَهْلِهَا فِي مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، أَحْسَنَ مَوَاقِعَ عَقْدِهَا وَحَلِّهَا، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، كَانَ مُجِيدًا فِي الصِّنَاعَتَيْنِ».

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: «وَرَأَيْتُ لابْنِ العَرِيفِ رِسَالَةً كَتَبَهَا إِلَيْهِ أَعْرَضْتُ عَنْهَا لِطُولِهَا».

وَمِمَّنْ تَرْجَمَهُ فَأَطَالَ ابْنُ الخَطِيبِ فِي «الإِحَاطَةِ بِتَارِيخِ غَرْنَاطَةَ»، وَابْنُ عَبْدِ المَلِكِ

---

(١) في (ع): «المدادون».

(٢) في (ي): «لدى».

(٣) من (ع). وجاء في (ي) [ق٢٣/ب].

(٤) سقطت من (ي).

فِي «**التَّكْمِلَة**»، بَلْ أَفْرَدَهَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الوَادِيَاشِيُّ(١) بِالتَّأْلِيفِ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ [إِلَى](٢) الآنَ الوُقُوفُ عَلَيْهِمْ، بَلْ عَمِلْتُ جُزْءًا سَمَّيْتُهُ: «**الانْتِهَاضُ فِي تَرْجَمَةِ القَاضِي عِيَاضٍ**»، تَرَكْتُهُ مَعَ تَتِمَّاتٍ كَثِيرَةٍ فِي «**تَارِيخِي الكَبِيرِ**» وَغَيْرِهِ مِنْ تَعَالِيقِي، سِيَّمَا مُؤَلَّفِي فِي «**طَبَقَاتِ المَالِكِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ**»، وَلَمْ أَرَهُ فِي «**طَبَقَاتِ القُرَّاءِ**» لِلذَّهَبِيِّ، بَلْ وَلَا فِيهَا لابْنِ الجَوْزِيِّ، مَعَ مَا سَلَفَ فِي كَوْنِهِ مِنْهُمْ.

وَهُوَ مِمَّنِ اشْتَهَرَ اسْمُهُ، وَبَعُدَ صِيتُهُ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرُونَ مِنَ العُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ؛ مِنْهُمْ: ابْنُهُ قَاضِي دَانِيَةَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٌ، وَأَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الخَزْرَجِيُّ القُرْطُبِيُّ، وَالحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ خَلَفُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ بَشْكُوَالَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَشِيرِيُّ، وَأَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ(٣) أَحْمَدَ الغَافِقِيُّ، وَأَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ القَصِيرِ الغَرْنَاطِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الحَجْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ الجَابِرِيُّ، وَالقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ زَرْقُونَ.

وَوَقَعَ لِي فِي «**الشِّفَا**» بِخُصُوصِهِ مِنْ جِهَةِ جَمَاعَةٍ؛ مِنْهُمْ: أَبُو(٤) جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مَضَاءٍ اللَّخْمِيُّ القُرْطُبِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَكَمٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ الغَرْنَاطِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ غَازِيٍّ الأَنْصَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى التَّمِيمِيُّ، وَمَنْصُورُ بْنُ خَمِيسٍ.

---

(١) في (ع): «الوادئاشي».

(٢) سقطت من (ع).

(٣) [ق٢٤/أ] من (ي).

(٤) في (ع): «أبا».

وَمِنْ طَرِيقِ آخَرِينَ، لَكِنْ بِالإِجَازَةِ مِنْهُ، منهم: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الغَافِقِيُّ الضَّرِيرُ، وَيُعْرَفُ بالشَّقُورِيِّ، وَالحَافِظُ التَّقِيُّ أَبُو الحُسَيْنِ يَحْيى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَنْصَارِيُّ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الصَّايِغِ، وَأَعْلَى مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَا وَقَعَ لَنَا بِخَمْسِ(١) وَسَائِطَ.

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ سِوَى مَا تَقَدَّمَ كِتَابُ: «**مَشَارِقِ الأَنْوَارِ عَلَى صِحَاحِ الآثَارِ**»: «**المُوَطَّأِ**» وَ«**البُخَارِيِّ**» وَ«**مُسْلِمٍ**»، وَهُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ نَفِيسٌ عَمَّ الانْتِفَاعُ بِهِ لِلْمَشَارِقَةِ وَالمَغَارِبَةِ، اشْتَمَلَ عَلَى مَوَاضِعِ الأَوْهَامِ وَالتَّصْحِيفَاتِ، وَضَبْطِ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ، لَوْ كُتِبَ بِالذَّهَبِ أَوْ وُزِنَ بِالجَوْهَرِ كَانَ قَلِيلًا فِي حَقِّهِ.

وَفِيهِ يَقُولُ الحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ:

مَشَارِقُ أَنْوَارٍ تَسَنَّتْ(٢) بِسَبْتَةَ ... وَذَا(٣) عَجَبٌ كَوْنُ المَشَارِقِ بِالغَرْبِ

وَذَيَّلَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ(٤) بْنُ رُشْدٍ(٥) بِقَوْلِهِ:

وَمَرْعَى خَصِيبٍ فِي جَدِيبٍ(٦) جَلَالُهَا(٧) ... أَلَا فَاعْجَبُوا لِلْخِصْبِ فِي مَنْزِلٍ جَدْبِ

[ق١٥/أ](٨)

وَ«**إِكْمَالُ المُعْلِمِ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ**» كَمَّلَ بِهِ كِتَابَ «**المُعْلِمِ**» لِشَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ

---

(١) في (ي): «بخمسة».

(٢) كتب بحاشية الأصل: تبدَّت، وعليه: خ، وجاء في (ع): «تبدت».

(٣) كتب بحاشية الأصل: ومن، وعليه: خ.

(٤) في (ي): «عبد».

(٥) في (ي): «رشيد».

(٦) في (ي): «حديب».

(٧) في (ع): «حلالها».

(٨) في (ع)، وجاء في (ي) [ق٢٤/ب].

المَازِرِيِّ، وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ جِدًّا، عَوَّلَ[١] فِيهِ كُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، سِيَّمَا مُنَقِّحُ مَذْهَبِنَا المُحْيَوِيُّ أَبِي زَكَرِيَّا النَّوَوِيِّ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو الحَكَمِ مَالِكُ بْنُ المُرَحَّلِ:

مَنْ قَرَأَ الإِكْمَالَ كَانَ كَامِلًا فِي عِلْمِهِ فَزَيَّنَ المَحَافِلَا
وَكُتُبُ العِلْمِ كُنُوزٌ إِنَّهَا تُفِيدُ نَفْعًا عَاجِلًا وَآجِلًا
فَلَيْسَ[٢] مِنْ كُتْبِ عِيَاضٍ عِوَضٌ فَإِنَّهُ كَانَ إِمَامًا فَاضِلًا

وَ«**التَّنْبِيهَاتُ المُسْتَنْبَطَةُ فِي شَرْحِ كَلِمَاتٍ مُشْكَلَةٍ وَأَلْفَاظٍ مُغْلَطَةٍ مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الكُتُبُ المُدَوَّنَةُ وَالمُخْتَلَطَةُ**»، جَمَعَ فِيهِ غَرَائِبَ مِنْ ضَبْطِ الأَلْفَاظِ، وَتَحْرِيرِ المَسَائِلِ، لَمْ يُؤَلَّفْ فِي فَنِّهِ مِثْلُهُ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى تَسْمِيَتِهِ: «**التَّنْبِيهَاتُ**».

وَ«**تَرْتِيبُ المَدَارِكِ وَتَقْرِيبُ المَسَالِكِ لِمَعْرِفَةِ أَعْلَامِ مَذْهَبِ مَالِكٍ**» ﷺ، وَهُوَ فِي مُجَلَّدَاتٍ، غَرِيبٌ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَقَدْ رَتَّبْتُهُ عَلَى الحُرُوفِ مَعَ تَلْخِيصِهِ، ثُمَّ أَفْرَدْتُ مِنْهُ الزَّائِدَ عَلَى طَبَقَاتِ المَالِكِيَّةِ لِابْنِ فَرْحُونَ.

وَذَكَرَ القَاضِي فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عُمَرَ بْنِ المُكْوِيِّ مِنْ «**مَدَارِكِهِ**»: «أَنَّهُ كَانَ فِي حَيَاتِهِ كَثِيرُ المَحَبَّةِ لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، وَالتَّنْقِيبِ[٣] عَنْ أَخْبَارِهِ، فَلَمَّا احْتُضِرَ قَالَ ابْنُ أَخِيهِ: «رَأَيْنَاهُ يَتَبَسَّمُ وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ، وَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي انْزِلْ إِلَيَّ السَّاعَةَ أَقُومُ مَعَكَ»، فَسُئِلَ؟ فَقَالَ[٤]: «هَذَا سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ جَاءَنِي» وَخَرَجَتْ رُوحُهُ» انْتَهَى. وَيُؤَيِّدُهُ «المَرْءُ

---

(١) في (ي): «عول عليه فيه».
(٢) في (ع): «وليس».
(٣) في (ع): «والتنقب».
(٤) في (ع): «فقيل».

مَعَ[1] مَنْ أَحَبَّ».

وَكِتَابُ: «**الإِعْلَامِ بِحُدُودِ قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ**» مَشَى فِيهِ عَلَى حَدِيثِ «بُنِيَ[2] الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ». وَقَدْ شَرَحَه القَبَّابُ فِي مُجَلَّدَيْنِ.

وَكِتَابُ: «**العَقِيدَةِ**»، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الأَشَاعِرَةِ، وَكَيْفَ لَا؟! وَأَحَدُ رُءُوسِهِمُ القَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الطَّيِّبِ البَاقِلَّانِيِّ، إِمَامُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالحَقِّ، تِلْمِيذُ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، ولذا[3] أَدْخَلَهُ بَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ فِي طَبَقَاتِهِمْ.

وَ«**الإِلْمَاعُ فِي ضَبْطِ الرِّوَايَةِ وَتَقْيِيدِ السَّمَاعِ**»، وَهُوَ نَفِيسٌ، عَوَّلَ[4] فِيهِ ابْنُ الصَّلَاحِ وَغَيْرُهُ.

وَ«**بُغْيَةُ الرَّائِدِ لِمَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ أُمِّ زَرْعٍ مِنَ الفَوَائِدِ**».

وَ«**الغُنْيَةُ**» فِي شُيُوخِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا.

وَ«**المُعْجَمُ**» لِشُيُوخِ شَيْخِهِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ سُكَّرَةَ الصَّدَفِي.

وَ«**جَامِعُ التَّارِيخِ**» الَّذِي أَرْبَى عَلَى جَمِيعِ المُؤَلَّفَاتِ، جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ المُلُوكِ بِالأَنْدَلُسِ وَالمَغْرِبِ مِنْ دُخُولِ الإِسْلَامِ إِلَيْهَا، وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ سَبْتَةَ، وَقُضَاتَهَا وَفُقَهَاءَهَا، وَجَمِيعَ مَا جَرَى مِنَ الأُمُورِ فِيهَا، وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ دَوْلَةِ الحَسَنِيَّةِ، ذَكَرَ[5] هَذَا «**التَّارِيخَ**»

---

(١) [ق٢٥/أ] في (ي).

(٢) كتب بحاشية الأصل: على. وكتب عليه: هذا الأحكم له.

(٣) في (ي): «وكذا».

(٤) في (ي): «عول عليه فيه».

(٥) في (ع): «وذكر».

ابْنُ حَمَّادَةَ المَاضِي.

وَ«نَظْمُ البُرْهَانِ عَلَى صِحَّةِ جَزْمِ الأَذَانِ» فِي جُزْءٍ.

وَ«مَسْأَلَةُ الأَهْلِ المُشْتَرَطِ بَيْنَهُم التَّزَاوُرُ».

وَمِمَّا لَمْ يُكَمِّلْهُ: «المَقَاصِدُ الحِسَانُ فِيمَا يَلْزَمُ الإِنْسَانَ»، وَ«الفُنُونُ السِّتَّةُ فِي أَخْبَارِ أَهْلِ سَبْتَةَ»، وَ«غُنْيَةُ الكَاتِبِ وَبُغْيَةُ الطَّالِبِ» فِي الصُّدُورِ وَالتَّرَسُّلِ، وَ«الأَجْوِبَةُ المُحَبَّرَةُ عَنِ الأَسْئِلَةِ المُتَخَيَّرَةِ»، [ق١٥/ب] وَ«سِرُّ السَّرَاةِ فِي أَدَبِ القُضَاةِ».

وَكَذَا لَهُ: «أَجْوِبَتُهُ لِلقُرْطُبِيِّينَ»، وَلَمْ تُوجَدْ لَهَا مُبَيَّضَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا وُجِدَتْ فِي بَطَائِنَ، تُجُمِعَتْ مَعَ أَجْوِبَةِ غَيْرِهِمْ.

وَ«أَجْوِبَتُهُ عَمَّا(١) نَزَلَ فِي أَيَّامِ قَضَائِهِ مِنْ نَوَازِلِ الأَحْكَامِ» فِي سِفْرَيْنِ.

وَ«سُؤَالَاتٌ لابْنِ رُشْدٍ» وَهُوَ مُؤَلَّفٌ نَفِيسٌ.

وَ«دِيوَانُ خُطَبٍ»، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَخْطُبُ إِلَّا مِنْ إِنْشَائِهِ، وَأَدْرَجَ بَعْضُهُمْ فِيهَا: «خُطْبَةَ السَّفَرِ».

وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ، رَائِقٌ فَائِقٌ، فَمِنْهُ:

يَا مَنْ تَحَمَّلَ عَنِّي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... لَكِنَّهُ لِلضَّنَا وَالسُّقْمِ أَوْصَابِي
تَرَكْتَنِي مُسْتَهَامَ القَلْبِ ذَا حُرَقٍ ... أَخَا جَوًى وَتَبَارِيحٍ وَأَوْصَابِ
أُرَاقِبُ النَّجْمَ فِي جُنْحِ الدُّجَى سَحَرًا ... كَأَنَّنِي رَاصِدٌ لِلنَّجْمِ أَوْصَابِي

(١) [ق٢٥/ب] من (ي).

وَمَا وَجَدْتُ لَذِيذَ النَّوْمِ بَعْدَكُمُ ... إِلَّا جَنَى حَنْظَلٍ فِي الطَّعْمِ أَوْصَابِي

وَمِنْهُ:

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُنْذُ لَمْ أَرَكُمْ ... كَطَائِرٍ خَانَهُ رِيشُ الجَنَاحَيْنِ

فَلَوْ قَدَرْتُ رَكِبْتُ البَحْرَ نَحْوَكُمُ ... فَإِنَّ بُعْدَكُمُ عَنِّي جَنَى حَيْنِ

وَالحَيْنُ بِالفَتْحِ: الهَلَاكُ، وَبِالكَسْرِ: الوَقْتُ.

وَلَهُ فِي خَامَاتِ زَرْعٍ بَيْنَهَا شَقَائِقُ النُّعْمَانِ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحٌ، مِمَّا رَوَاهُ الحَافِظُ أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ سَالِمٍ، قَالَ: أَنْشَدَنَا القَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ زَرْقُونَ عَنْهُ:

انْظُرْ إِلَى الزَّرْعِ وَخَامَاتِهِ ... تَحْكِي وَقَدْ مَاسَتْ أَمَامَ الرِّيَاحْ

كَتِيبَةً[(١)] خَضْرَاءَ مَهْزُومَةً ... شَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِيهَا الجِرَاحْ[(٢)]

وَالخَامَةُ: القَصَبَةُ الرَّطْبَةُ مِنَ الزَّرْعِ.

قَالَ ابْنُ العُمَلِ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا لَوْ سَلِمَ مِنْ وَصْمَةِ التَّضْمِينِ، حَيْثُ تَعَلَّقَ تَمَامُ البَيْتِ الأَوَّلِ بِالثَّانِي، فَهَذَا عَيْبٌ عِنْدَهُمْ. وَأَمَّا التَّضْمِينُ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ فَهُوَ أَنْ يَجِيءَ الشَّاعِرُ إِلَى شِعْرِ غَيْرِهِ وَيَسْتَشْهِدُ[(٣)] بِهِ، فَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا فَلَا حَاجَةَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا نَبَّهَ عَلَيْهِ».

وَلَهُ فِي المَقَامِ:

إِذَا مَا نَشَرْتَ بُسَاطَ انْبِسَاطٍ ... فَعَنْهُ فَدَيْتُكَ فَاطْوِ المِزَاحَا

---

(١) كتب بحاشية الأصل: كائبًا تخضل مهرومة، وجاء في (ع): «كثيبة».

(٢) كتب بحاشية الأصل: جراح. وعليه: خـ.

(٣) [ق٢٦/أ] من (ي).

فَإِنَّ المِزَاحَ كَمَا قَدْ حَكَى ... أُولُو العِلْمِ قِيلَ عَنِ(١) الحِلْمِ زَاحَا

وَمِنْهُ:

تَوَخَّ أَخَا صِدْقٍ يُعِنْكَ عَلَى التُّقَى ... وَعَاوِنْهُ أَيْضًا أَنْتَ فِي أَمْرِهِ تَقْوَى

أَلَمْ تَسمع المَوْلَى يَقُولُ مُعَلِّمًا ... لَنَا وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى

وَمِنْهُ فِي صَيفِيَّةٍ بَارِدَةٍ:

كَأَنَّ كَانُونَ أَهْدَى مِنْ مَلَابِسِهِ ... لِشَهْرِ نِيسَانَ أَنْوَاعًا مِنَ الحُلَلِ

أَوِ الغَزَالَةَ مِنْ طُولِ المَدَى خَرِفَتْ ... فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الجَدْيِ وَالحَمَلِ

وَمِنْهُ -مِمَّا أَوْرَدَهُ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مَرْزُوقٍ فِي مُقَدِّمَةِ شَرْحِهِ لـ«الشِّفَاءِ»-:

إِلَيْكَ بُؤْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ خَطَايَايَ رَبِّي ... وَامْنُنْ عَلَيَّ بِلُطْفٍ تَجْبُرُ بِهِ صَدْعَ قَلْبِي

[ق١٦/أ](٢)

فَقَدْ رَكِبْتُ ذُنُوبًا سَوَّدَتْ مِنْهُنَّ كُتْبِي ... وَطَالَ تَقْصِيرُ سَعْيِي فِي كُلِّ فَرْضٍ وَنَدْبِ

وَقَدْ أَسَأْتُ فَأَحْسِنْ فَلَمْ تَزَلْ مُحْسِنًا بِي ... وَجِئْتُ أَطْلُبُ ثَوْبًا(٣) إِذْ طَالَ بِالذَّنْبِ رَحْبِي

فَاقْبَلْ بِفَضْلِكَ نزلي(٤) وَاغْفِرْ بِرُحْمَاكَ ذَنْبِي ... وَعَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي فَأَنْتَ يَا رَبِّ حَسْبِي

وَمِنْهُ مَا(٥) كَتَبَهُ لِبَعْضِ أَصْدِقَائِهِ:

إِذَا الأَخِلَّاءُ لَمْ تُحْمَلْ عُيُوبُهُمْ ... وَخَانَ مِيثَاقُهُمْ فِي البُعْدِ أَوْحَالَا

---

(١) في (ع): «من».

(٢) من (ع).

(٣) في (ع): «توبًا».

(٤) في (ي): «توبي».

(٥) في (ي): «مما».

فَلِي بِأَغْمَاتُ خِلٌّ لَا أَذُمُّ لَهُ ... مَدَى الحَيَاةِ وَإِنْ شَطَّتْ مَدًى حَالَا

[(١)] وَمِنْهُ: -يَتَشَوَّقُ لِوَطَنِه، وَيَحِنُّ إِلَى سَكَنِه-:

أَقُمْرِيَّةَ الأَرْوَاحِ بِاللهِ طَارِحِي ... أَخَا شَجَنٍ بِالنَّوْحِ أَوْ بِغِنَاءِ

فَقَدْ أَرَّقَتْنِي مِنْ هَدِيرِكِ[(٢)] رِقَّةٌ ... تُهَيِّجُ مِنْ شَوْقِي وَمِنْ بُرَحَاءِ

لَعَلَّكِ مِثْلِي يَا حَمَامُ فَإِنَّنِي ... غَرِيبٌ بِدَآيٍ قَدْ بُلِيتُ بِدَاءِ

فَكَمْ مِنْ فَلَاةٍ بَيْنَ دَإِيٍ[(٣)] وَسَبْتَةَ ... وَخَرْقٍ بَعِيدِ الخَافِقَيْنِ تَوَاءِ

تُصَفِّقُ فِيهَا لِلرِّيَاحِ لَوَافِحٌ ... كَمَا ضَعْضَعَتْنِي زَفْرَةُ الصُّعَدَاءِ

تُذَكِّرُنِي جَرْيَ المِيَاهِ بِأَرْضِهَا ... دُفُوعًا تَرَقَّتْ يَوْمَ بِنْتُ[(٤)] وَرَاءِ

وَمِنْهُ فِي التَّشْبِيبِ وَرَقِيقِ الغَزَلِ:

يَا رَاحِلِينَ وَبِالفُؤَادِ تَحَمَّلُوا ... أَتُرَى لَكُمْ قَبْلَ المَمَاتِ قُفُولُ

أَمَّا الفُؤَادُ فَعِنْدَكُمْ أَنْبَاؤُهُ ... وَلَوَاعِجٌ تَنْتَابُهُ وَغَلِيلُ

أَتُرَى لَكُمْ عِلْمٌ بِمُنْتَزَحِ الكَرَا ... عَنْ جَفْنِ صَبٍّ لَيْلُهُ مَوْصُولُ

أَوْدَى بِعَزْمَةِ صَبْرِهِ وَإِيَابِهِ ... طَرْفٌ أَحَمُّ وَمَبْسِمٌ مَصْقُولُ

مَا ضَرَّكُمْ أَوْ ضَنَّكُمْ بِتَحِيَّةٍ ... يَحْيَى بِهَا عِنْدَ الوَدَاعِ قَتِيلُ

إِنَّ البَخِيلَ بِلَحْظِهِ أَوْ لَفْظِهِ ... أَوْ عَطْفِهِ أَوْ رِفْقِهِ لَبَخِيلُ

وَمِنْهُ:

---

(١) [ق٢٦/ب] من (ي).

(٢) في (ي): «هديلك».

(٣) في (ع): «داي».

(٤) في (ع): «نُبت».

أَذَاتَ الخَالِ كَمْ ذَا تَنْتَضِيهَا(١) ... عَلَيَّ سُيُوفَ عَيْنَيْكِ انْتِضَاءَ
بِمَطْلِكِ لِي مَوَاعِيدَ اقْتَضِيهَا(٢) ... مِنَ التَّوْرِيدِ وَاللَّعَسِ اقْتِضَاءَ(٣)
فَقَضِّي مَطْلَ وَعْدِكَ وَانْجِزِيهِ ... خِيارُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءَ

وَمِنْهُ -عِنْدَ تَوْدِيعِهِ لِأَهْلِ قُرْطُبَةَ وَعَوْدِهِ إِلَى وَطَنِهِ-:

أَقُولُ وَقَدْ جَدَّ ارْتِحَالِي لِبَلْدَتِي ... وَزُمَّتْ عَلَى وَشْكِ الفِرَاقِ رَكَائِبِي(٤)

[ق١٦/ب](٥)

وَقَدْ غَمَّضَتْ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمْعِ مُقْلَتِي ... وَصَارَتْ هَوَاءً مِنْ فُؤَادِي تَرَائِبِي(٦)
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ يَسْتَحِثُّهَا ... وَدَاعِي لِلْأَحْبَابِ لَا لِلْحَبَائِبِ
رَعَى اللهُ جِيرَانًا بِقُرْطُبَةَ العُلَا ... وَسَقَى رُبَاهَا بِالعِهَادِ الصَّوَائِبِ
وَحَيَّا زَمَانًا بَيْنَهُمْ قَدْ أَلِفْتُهُ ... طَلِيقَ المُحَيَّا مُسْتَلَانَ الجَوَانِبِ
أَإِخْوَانَنَا بِاللهِ فِيهَا تَذَكَّرُوا ... مَعَاهِدَ جَارٍ أَوْ مَوَدَّةَ صَاحِبِ
غَدَوْتُ بِهِمْ مِنْ بِرِّهِمْ وَاحْتِفَائِهِمْ(٧) ... كَأَنِّي فِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَقَارِبِي

وَمِنْهُ -ما(٨) افْتَتَحَ بِهِ رِسَالَةً-:

---

(١) في (ع): «تنتظيها».

(٢) في (ع): «اقتضتها».

(٣) [ق٢٧/أ] من (ي).

(٤) كتب تحتها في الأصل: ركائب. وفي (ع): «ركايب».

(٥) من (ع).

(٦) كتب تحتها في الأصل: ترائب. وفي (ع)«ترائب

(٧) في (ي): «واحتفالهم».

(٨) في (ي): «مما».

قُلْ لِلأَمَاجِدِ وَالحَدِيثُ شُجُونُ ... مَا ضَرَّ أَنْ شَابَ الوَقَارَ مُجُونُ
وَلَئِنْ غَدَوْتُ مِنَ العُلُومِ بِمَوْضِعٍ ... تُومِي إِلَيْهِ أَصَابِعٌ وَعُيُونُ
فَلَدَيَّ لِلآدَابِ عَيْنٌ صَبَّةٌ ... فِيهَا إِلَى مُلَحِ الظُّرُوفِ(١) رُكُونُ
كُنَّا افْتَرَقْنَا عِنْدَ دَعْوَةِ خُطَّةٍ ... سَاءَتْ بِهَا فِيمَا فَهِمْتُ ظُنُونُ
فَأَتَيْتُ بِالبُرْهَانِ فِيهَا نَيِّرًا ... وَعَدَتْ غَوَادٍ(٢) بَعْدَ ذَا وَشُئُونُ
وَبَعَثْتُ الآنَ بِهَا لِيَعْلَمَ أَنَّنِي ... عَيْنُ الزَّمَانِ وَسِرُّهُ المَكْنُونُ

وَمِنْ رَسَائِلِهِ الوَجِيزَةِ البَلِيغَةِ(٣):

مَا لِي وَمَا لَكَ أَيُّهَا المَاجِدُ، وَقَاكَ اللهُ شَرَّ كُلِّ حَاسِدٍ، تَسِحُّ عَلَيَّ سُحُبُ بَيَانِكَ، وَتَجْرِي قِبَلِي طَلَقًا مِلْءَ عِنَانِكَ، وَتُكَلِّفُنِي مِنْ مُبَارَاتِكَ مَا لَيْسَ فِي وُسْعِي، وَتُحَمِّلُنِي مِنْ مُجَازَاتِكَ مَا يَعْجزُ عَنْهُ قَلْبِي وَطَبْعِي، فَمَهْلًا قَلِيلًا لَعَلِّي أَشْفِي مِنْ مُرَاجَعَتِكَ غَلِيلًا، وَأُعْمِلُ فِي مُحَاوَرَتِكَ ذِهْنًا كَلِيلًا، وَإِلَّا فَاطْوِ فِي ذَلِكَ بِسَاطَ العِتَابِ، وَاقْنَعْ مِنِّي بِمَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الكِتَابِ، وَاكْتَفِ بِأَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ وَوَصَلَ عُلَاكَ، وَوَقَفْتُ عَلَى كِتَابِكَ وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ آدَابِكَ، وَأَنَا شَدِيدُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ، وَالسَّلَامُ الجَزِيلُ عَلَيْكَ، وَإِلَّا فَمَتَى تَخَطَّيْتَ إِلَيَّ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَجِدْنِي هُنَالِكَ، لَا زَالَتِ التَّحِيَّاتُ مُتَوَالِيَةً لَدَيْكَ، مُتَرَادِفَةً بِالأَمَانِي إِلَيْكَ، وَالسَّلَامُ الأَحْفَلُ عَلَيْكَ، وَرَحْمَةُ اللهِ [تَعَالَى](٤) وَبَرَكَاتُهُ.

---

(١) في (ي): «الطروف».
(٢) في (ي): «عواد».
(٣) [ق٢٧/ب] من (ي).
(٤) سقطت من (ع).

وَمِنْ نَفِيسِ خُطَبِهِ:

«الحَمْدُ للهِ الَّذِي سَبَقَ كُلَّ شَيْءٍ قِدَمًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا وَنِعَمًا، وَهَدَى أَوْلِيَاءَهُ نَهْجًا طَرِيقًا أَمَمًا، وَ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:١-٣].

أَحْمَدُهُ عَلَى مَوَاهِبِهِ وَهُوَ أَحَقُّ مَنْ حُمِدَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا أَجْمَعَ مِمَّنْ حَظِيَ بِرِضَاهُ وَسَعِدَ، [ق١٧/أ](١) وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَهُوَ أَعَزُّ مَنْ أَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَنْجِدُ، وَأَسْتَهْدِيهِ تَوْفِيقًا، مَنْ يَهْدِ(٢) اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً فَاتِحَةً أَقْفَالَ قُلُوبِنَا، رَاجِحَةً بِأَثْقَالِ ذُنُوبِنَا، مُنَزِّهَةً عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ بِنَا، وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَنْزَلَ عَلَيْهِ الفُرْقَانَ، وَبَعَثَهُ بِالهُدَى وَالإِيمَانِ، وَأَخْزَى بِدَعْوَتِهِ حِزْبَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ مَقَاعِدِ السَّمْعِ، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩].

أَيُّهَا السَّامِعُ، قَدْ أَيْقَظَكَ صَرْفُ القَدَرِ مِنْ سِنَةِ الهَوَى وَسَكَرَاتِهِ، وَوَعَظَكَ كِتَابُ اللهِ بِزَوَاجِرِهِ وَعِظَاتِهِ، فَتَأَمَّلْ حُدُودَهُ وَتَدَبَّرْ مُحْكَمَ آيَاتِهِ، ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧].

---

(١) من (ع).

(٢) [ق٢٨/أ] من (ي).

أَيْنَ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَى اللهِ وَتعظَّموا، وَاسْتَطَالُوا عَلَى عِبَادِهِ وَتَحَكَّمُوا، وَظَنُّوا أَنْ لَنْ يَقْدِرَ[(١)] عَلَيْهِمْ حَتَّى اصْطَلَمُوا[(٢)] ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩].

غَرَّهُمُ الأَمَلُ وَكَوَاذِبُ الظُّنُونِ، وَذَهِلُوا عَنْ طَوَارِئِ الغِيَرِ وَرَيْبِ المَنُونِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن:٢٤].

فَهَذِّبُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- سَرَائِرَكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَخْلِصُوا وَاشْكُرُوا نِعَمَهُ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[(٣)] [النحل:١٨].

وَاحْذَرُوا نِقَمَهُ وَاتَّقُوهُ، وَلَا تَعْصُوا وَاعْتَبِرُوا بِوَعِيدِهِ، ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:١٣٥][(٤)]. وَانْهَضُوا لِطَاعَتِهِ بِهَذِهِ الهِمَمِ العَاجِزَةِ، وَارْكُضُوا فِي مَيْدَانِ الهُدَى تُحْرِزُوا قَصَبَ خَصْلَةِ الفَائِزَةِ، وَادَّخِرُوا مَا يُخَلِّصُكُمْ يَوْمَ المُحَاسَبَةِ وَالمُنَاجَزَةِ، وَانْتَظِرُوا قَوْلَهُ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[(٥)] [الكهف:٤٧].

للهِ يَوْمٌ تَذْهَلُ فِيهِ العُقُولُ وَتَرْجُفُ القُلُوبُ رَجْفًا، وَتُبَدَّلُ الأَرْضُ وَتُنْسَفُ الجِبَالُ نَسْفًا، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنَ الظَّالِمِينَ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا.

---

(١) في (ي): «نقدر».

(٢) في (ع): «فاصطلموا».

(٣) في (ع): «تحصوا».

(٤) [ق٢٨/ب] من (ي).

(٥) جاء في (ع): «ترى كل الأرض».

وَحُشِرَ المجْرِمُونَ يومَئذٍ زُرْقًا، ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٤٨].

إنَّ أَحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ ذِكْرُ اللهِ وتلاوةُ كِتَابِهِ، جعلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَتَأَدَّبَ بِآدَابِهِ، وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢].

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِالكِتَابِ وَالحِكْمَةِ، وَارْحَمْنَا بِالهِدَايَةِ وَالعِصْمَةِ، وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا [ق١٧/ب][(١)] مِنْ نِعَمِهِ. رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا».

وَمِنْ نَظْمِهِ مِمَّا أَوْرَدَهُ فِي «شِفَائِهِ»، الَّذِي تَلَقَّيْتُهُ عَنْ خَلْقٍ؛ أَجَلُّهُمْ شَيْخِي إِمَامُ الأَئِمَّةِ أَبُو الفَضْلِ ابْنُ حَجَرٍ ؒ، وَمِنْهُمْ: الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الرَّشِيدِيُّ سَمَاعًا عَلَيْهِ لِجَمِيعِهِ، وَعَلَى الأَوَّلِ لِبَعْضِهِ وَإِجَازَةً لِسَائِرِهِ،[(٢)] وَعَنْ غَيْرِهِمَا قِرَاءَةً.

قَالَ الأَوَّلُ: أَخبَرَنَا بِهِ المؤَرِّخُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الحَنَفِيُّ، وَبِبَعْضِهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ السَّحُولِيُّ سَمَاعًا بِمَكَّةَ وَبِسَائِرِهِ إِذْنًا.

وَقَالَ الثَّانِي: أَخبَرَنَا بِهِ العَلَاءُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَبُعٍ الحَنَفِيُّ مِنْ لَفْظِ وَالِدِي الجَمَالِ عَبْدِ اللهِ، قَالُوا -إِلَّا السَّحُولِيَّ-: أَخبَرَنَا بِهِ أَبُو الفُتُوحِ الدَّلَاصِيُّ، وَقَالَ السَّحُولِيُّ: أَخبَرَنَا بِهِ الزُّبَيرُ بْنُ عَلِيٍّ الأُسْوَانِيُّ، قَالَا: أَخبَرَنَا بِهِ التَّقِيُّ أَبُو الحَسَنِ اللَّوَاتِيُّ بْنُ تَامَتِّيت، عَنِ الإِمَامِ التَّقِيِّ أَبِي الحُسَيْنِ[(٣)] الأَنْصَارِيِّ ابْنِ الصَّائِغِ، [قال][(٤)] أَخبَرَنَا بِهِ الأُسْتَاذُ

(١) من (ع).
(٢) [ق٢٩/أ] من (ي).
(٣) في (ع): «الحسن».
(٤) سقطت من: (ي).

القَاضِي أَبُو الفَضْلِ عِيَاضٌ رحمه الله، قَالَ:

يَا دَارَ خَيْرِ المُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ ... هُدِيَ الأَنَامُ وَخُصَّ بِالآيَاتِ
عِنْدِي لِأَجْلِكَ لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ ... وَتَشَوُّقٌ مُتَوَقِّدُ الجَمَرَاتِ
وَعَلَيَّ عَهْدٌ إِنْ مَلَأْتُ مَحَاجِرِي ... مِنْ تِلْكُمُ الجُدُرَاتِ وَالعَرَصَاتِ
لَأُعَفِّرَنَّ مَصُونَ شَيْبِي بَيْنَهَا ... مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ
لَوْلَا العَوَادِي وَالأَعَادِي زُرْتُهَا ... أَبَدًا وَلَوْ سَحْبًا عَلَى الوَجَنَاتِ
لَكِنْ سَأُهْدِي مِنْ حَفِيلِ تَحِيَّتِي ... لِقَطِينِ تِلْكَ الدَّارِ وَالحُجُرَاتِ
أَذْكَى مِنَ المِسْكِ المُفَتَّقِ نَفْحَةً ... تَغْشَاهُ بِالآصَالِ وَالبُكُرَاتِ
وَتَخُصُّهُ بِزَوَاكِي الصَّلَوَاتِ ... وَنَوَامِي التَّسْلِيمِ وَالبَرَكَاتِ

صلى الله عليه وسلم تَسْلِيمًا كَثِيرًا كَثِيرًا كَثِيرًا.

وَكَانَتْ وَفَاتُه بِمَرَّاكُشَ مُغَرَّبًا عَنْ(١) وَطَنِه يَوْمَ الجُمُعَةِ سَابِعَ جُمَادَى الثَّانِي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ. قَالَهُ القُضَاعِيُّ وَابْنُ مَضَاءٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُمَا: «فِي لَيْلَةِ الجُمُعَةِ تَاسِعِه».

وَنَحْوُه قَوْلُ وَلَدِهِ القَاضِي مُحَمَّدٍ: «فِي لَيْلَةِ الجُمُعَةِ نِصْفِ اللَّيْلَةِ التَّاسِعَةِ».

وَقَالَ غَيْرُهُمْ: «إِنَّهَا كَانَتْ فِي رَمَضَانَ».

وَفِي «المِرْآةِ»: «قِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ»(٢).

---

(١) [ق٢٩/ب] من (ي).

(٢) «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي (٢٠/٤٠١).

وَعَنْ غَيْرِهِ: «أَنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا، سَمَّهُ يَهُودِيٌّ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «بَلَغَنِي أَنَّهُ قُتِلَ بِالرِّمَاحِ، لِكَوْنِهِ أَنْكَرَ عِصْمَةَ ابْنِ تُومَرْتَ»(١).

وَدُفِنَ بِبَابِ أَيْلَانَ دَاخِلَ المَدِينَةِ، فَيَكُونُ عَلَى المُعْتَمَدِ ابْنَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَشَكَرَ اللهُ سَعْيَهُ وَعَمَلَهُ، وَبَلَّغَهُ مَا رَجَاهُ عِنْدَهُ وَأَمَّلَهُ، وَجَازَاهُ خَيْرًا، وَأَعْظَمَ لَهُ أَجْرًا، فَلَقَدْ شَفَى النَّفْسَ، وَدَفَعَ بِبَيَانِهِ اللَّبْسَ، وَشَفَا بِكِتَابِهِ «الشِّفَاءِ» جَمِيعَ الأَدْوَاءِ، وَكَبَتَ بِهِ قُلُوبَ الأَعْدَاءِ، بِحَيْثُ يَسْتَنِيرُ بِقِرَاءَتِهِ قَلْبُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَيَنْشَرِحُ عِنْدَ سَمَاعِهِ صَدْرُ كُلِّ صَادِقٍ مُوقِنٍ.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنِ انْطَوَتْ عَلَى مَا [ق١٨/أ](٢) قَيَّدَهُ مِنْ لَوَازِمِ حُقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ سَرِيرَتُهُ، وَاسْتَوَتْ فِيهِ أَوْقَاتُهُ وَطَرِيقَتُهُ، وَيَجْعَلَ ذَلِكَ ذَخِيرَةً لَنَا، وَأَنْ(٣) يُتْحِفَنَا بِهَا عِنْدَ الكُرُوعِ مِنْ حَوْضِهِ، وَيَغْفِرَ بِهَا مَا قَصَّرْنَا فِيهِ مِنْ أَدَاءِ سُنَّتِهِ(٤) وَفَرْضِهِ، وَيُمَتِّعَنَا بِالنَّظَرِ لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ فِي القِيَامَةِ، يَوْمَ يَلْحَقُ مَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ النَّدَامَةُ، وَيَنْفَعَ بِذَلِكَ آبَاءَنَا وَمَنْ سَلَفَ لَنَا مِنْ إِخْوَانِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَالمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ(٥).

آخِرُهُ [قال مؤلفه ﷺ](٦) عَمِلْتُهُ بِمَكَّةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِي مِئَةٍ.

تَمَّ كِتَابُ «**الرِّيَاضِ فِي خَتْمِ الشِّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاضٍ**» رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٧).

(٢) من: (ع).

(٣) في (ع): «وله».

(٤) في (ع): «سننه».

(٥) [ق٣٠/أ] من (ي).

(٦) سقطت من (ي).

[وأنهاه نسخًا راقم هذه الأحرف يوم عيد الفطر بمكة سنة ست عشرة وتسعمائة.

قاله وكتبه: فقير رحمة ربه القريب أبو اللطف محمد بن محمد بن محمد بن علي الخطيب الحنفي ستر الله عيوبه آمين](١)

(١) كذا جاء في ختام نسخة (ع). وجاء في ختام النسخة (ي) «وَكَانَ الفَرَاغُ مِنْ نَسَاخَتِهِ يَوْمَ الخَمِيسِ خَامِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ، أَحَدَ شُهُورِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ، أَحْسَنَ اللهُ عَاقِبَتَهَا بِخَيْرٍ، آمين، آمين، آمين.
عَلَى يَدِ أَفْقَرِ عِبَادِ اللهِ وَأَحْوَجِهِمْ إِلَى عَفْوِهِ ومَغْفِرَتِهِ، أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الأَشْعَرِيِّ اليَمَنِيِّ، نَزِيلِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.
وَالحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

الحمد لله، وسلام عَلَى عباده الذين اصطفى، وبعد: فقد قرأ عليَّ جميع مصنفي هَذَا المسمى بـ«**الرياض**» مالكه الشيخ الفاضل الجيد الخير المفيد، بركة المسلمين، أَبُو عَبْد اللهِ مُحَمَّد بْن عبد الحفيظ بْن مُحَمَّد الآبي اليماني الشافعي نزيل مكة، ويعرف بالمزْبَري، نفعه الله تَعَالَى ونفع به، ويسر له الخير بالتوجه لسببه، وأعاد علي من بركاته، وزاد فِي فضله وكمالاته، فِي أربعة مجالس آخرها يوم الأربعاء العشرين من شوال، سنة تاريخه بالمسجد الحرام، تجاه الكعبة المعظمة، وسمع الكثير مِنْهُ جماعة، وأجزت له ولهم روايته عني مع رواية سائر مروياتي ومؤلفاتي.

قاله وكتبه: مُحَمَّد بْن عبد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن أبي بكر بْن عثمان السخاوي الشافعي، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه. وصلى الله عَلَى سيدنا مُحَمَّد، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا كثيرًا، آمين آمين آمين(١).

وفي آخر النسخة كتب:

لصاحبه السعادة والسلامة	وطول العمر مَا غيب حمامة
وما دارت سحوم نبات بعش	وما نيحت بوابله غمامة
إذا أمر بقربي صباح	ترقت بسره عند العشي
ولا تخريج لخطب إن لماذا	فكم لله من لطف خفي

---

(١) محضر سماع بخط المصنف ﷺ وأجاز فيه مالك هذا ا لكتاب وجميع من سمعه.

نصيحة

إلى أهل الحديث والأثر

تأليف

الإمام العالم العامل المحقق قدوة العارفين

عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الحَزَّامِيُّ الحنبلي

تلميذ ابن تيمية وشيخ الذهبي

٦٥٧-٧١١

تحقيق

وائل محمد بكر زهران الشَّنْشُورِيُّ

إهداء إلى

فضيلة الشيخ الوالد العلامة المحدث

أبي إسحاق الحويني

حفظه الله ورعاه ونفع به المسلمين

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي بسطَ النَّوَالَ، وجعلَ شِفاءَ العِيِّ السُّؤالَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمدٍ المبعوثِ بأشرفِ الخِلالِ، وعلى آلِهِ وصَحبِهِ خيرِ صحبٍ وآلٍ، وبعد:

فقد كلَّمني أخي ورفيقُ دَربي الشيخ أبو يعقوب عبد العاطي الشَّرقاوي أنْ أكتبَ شيئًا لوالدي وشيخي وقرَّة عيني فضيلة الشَّيخ الوالدِ العلَّامةِ المُحدِّث أبي إسحاق الحُوينيِّ حفظه الله ورعاه ونفع به المُسلمين، يكونُ هديَّةً له في مُناسبةِ بُلوغِ سماحته سِنَّ السِّتينَ من عُمرِهِ، الذي أسألُ الله تبارك وتعالى أن يُباركَ فيه، وأن يرزقَه حُسنَ العَملِ ويجنِّبه معاصيه، وألَّا يحرمنا من وجهه الجميلِ الذي طالمَا نظرنا فيه فشعرنا بضَوءِ السُّنة النَّبويَّة المُشرَّفة مشرقًا مُنيرًا يَعلُوه، ولَمَسْنا أخلاقَ الصَّحابةِ ﭬ تَنضحُ منه.

كيف لا وهو من عاش مُدافعًا عن سُنَّة نبيِّنا ﷺ وتمنَّى أن يموت عليها، واقفًا مُدافعًا مُناضلًا عنها، كما سمعناه منه حفظه الله في خُطبته المَشهورة قال:

«فإنَّني أتمنَّى أن أموتَ واقفًا، وأن أناضلَ عن ديني إلى آخر لحظة».

كيف لا وهو من كان سببًا منَ الله تعالى في تعلُّم كثيرٍ من شبابِ المُسلمينَ حديثَ رسول الله ﷺ والإقبالِ عليه، والإعراضِ عن طريق الشَّيطان، وحبِّ الصَّحابة رضوان الله عليهم والدِّفاع عنهم، ومعرفة عظيمِ مكانتهم وبَذلهم.

وكنت ممَّن منَّ الله عليه بالجلوس تحت قدمي الشَّيخ الوالد حفظه الله تعالى، وتَعلَّم شيئًا ممَّا آتاه الله تعالى من عِلم وافرٍ، وخُلقٍ حسنٍ، وأدبٍ جمٍّ، وخفَّة رُوحٍ، ولُطفِ عبارةٍ، وسُهولةِ ألفاظٍ.

ومنزلته حفظه الله في عقلي وقلبي لا يقاربها أحدٌ، فسارعت في تلبية ذلك لا لشيءٍ إلَّا لشدَّة حُبِّي له، وكما حدَّثنا حفظه الله فقال: «**الحُبُّ داعيةُ الانقياد، والمُحبُّ منقاد، وسهلُ القِياد**».

فاستخرتُ ربِّي تبارك وتعالى وعزمتُ على تحقيقِ هذه الرِّسالة المباركة والتي هي مُقتضى الحال، للإمامِ العالمِ الزَّاهدِ قُدوةِ العارفينِ باللهِ عماد الدِّين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الحَزَّاميِّ، الحنبليِّ، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإمام الذَّهبيِّ، وهي رسالة: «**نصيحة إلى أهل الحديث والأثر**» رسالة رائقة لا مثيل لها في كلماتها الرقيقة العذبة، التي تأسرُ القلبَ والعقلَ والرُّوح.

دفعتها لأخي الحبيب والباحث الأريب: أبو بكر رزق السيد فنسخها، ثمَّ قابلتها مقابلة مُتقنة متأنِّية، ثمَّ علَّقت عليها وضبطت نصَّها، ثم قدَّمت لها بمقدِّمة يسيرةٍ لم أُطل فيها لمقتضى الحال، سائلًا الله تعالى أن يتقبلها منِّي، وأن يجعل ثوابها في ميزان حسنات والدي وشيخي أبي إسحاق الحويني.

ثمَّ أرسلتُ مُقدِّمتها لفضيلتِه حفظه الله فقرأها وردَّ عليَّ مُتواضعًا قائلًا لي:

«جزاكَ اللهُ عنِ المِسكين الأَجيرِ خيرًا»

فرددت عليه بقولي: «بل جزاكم اللهُ عنِّي وعن الأمة الإسلامية كلها خير الجزاء، من والد رحيم، ومعلم كريم».

كتبه
أبو أحمد
وائل محمد بكر زهران الشنشوري
شنشور، أشمون، المنوفية، مصر الحبيبة
الثامن من شعبان لعام ١٤٣٩هـ
الرابع والعشرين من شهر إبريل لعام ٢٠١٨

التَّعريف بالمؤَلِّف[١]

هو الإمامُ الزَّاهد القُدوة العارفُ: أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطيُّ الحَزَّاميُّ[٢]، الحنبليُّ، عماد الدِّين، ابْن شيخ الحزاميين.

مولده: ولد ﵀ في حادي عشر، أو ثاني عشر، ذي الحجة، سنة سبع وخمسين وستمائة بشرقي واسط.

قال ابن رجب: كان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية، ونشأ الشَّيخ عماد الدِّين بينهم، وألهمه الله من صِغره طلب الحقِّ ومحبَّته، والنُّفور عن البِدع وأهلها، فاجتمع بالفقهاء بواسط كالشَّيخ عزِّ الدين الفاروثي وغيره، وقرأ شيئًا من الفقه على مذهب الشَّافعيِّ، ثمَّ دخل بغداد، وصحب بها طوائفَ من الفقهاء، وحجَّ واجتمع بمكَّة بجماعة منهم، وأقام بالقاهرة مدَّة ببعض خوانقها، وخالط طوائف الفقهاء، ولم يسكن قلبُه إلى شيءٍ من الطوائف المحدثة، واجتمع بالإسكندرية بالطَّائفة الشاذلية، فوجد عندهم ما يطلبه من لوائح المعرفة، والمحبة والسلوك، فأخذ ذلك عنهم، وانتفع بهم، واقتفى طريقتهم وهديهم.

---

(١) ينظر: ترجمته في «الدرر الكامنة» (١/١٩)، «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/٣٨٠)، و«المنهل الصافي» (١/٢١٠)، و«الرد الوافر» (ترجمة ٣٧)، و«القلائد الجوهرية» لابن طولون (٣٥٢)، «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» (١/٧٣)، «توضيح المشتبه» (٣/١٦٥)، «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» (ص٣٠٦)، و«الدرر الكامنة» (١/١٠٣)، و«فوات الوفيات» (١/٥٦)، «الوافي بالوفيات» (٦/١٤٠)، و«المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي» (١/٢١٠)، و«شذرات الذهب» (٨/٤٥)، و«الأعلام» للزركلي (١/٨٦)، و«التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» لصديق خان (ترجمة ٢٩١).

(٢) كذا قيَّده بتشديد الزاي ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» (٣/١٦٥).

ثم قدم دمشق، فرأى الشَّيخ تقيَّ الدين ابن تيمية وصاحبه، فدلَّه على مطالعة السِّيرة النبويَّة، فأقبل على «سيرة» ابن إسحاق تهذيب ابن هشام، فلخَّصها واختصرها، وأقبل على مُطالعة كُتب الحديث والسُّنة والآثار، وتخلَّى من جميع طرائقه وأحواله وأذواقه وسلوكه، واقتفى آثار الرسول ﷺ وهديه، وطرائقه المأثورة عنه في كتب السُّنن والآثار، واعتنى بأمر السُّنة أصولًا وفروعًا، وشرع في الرَّد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم من الاتِّحادية وغيرهم، وبيَّن عوراتهم، وكشف أستارهم، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد.

وبلغني: أنه كان يقرأ في «الكافي» على الشيخ مجدِ الدِّين الحرَّانِي، واختصره في مجلد سماه «البلغة» وألف تآليف كثيرة في الطريقة النبوية، والسُّلوك الأثري والفقر المحمدي؛ وهي من أنفع كتب الصُّوفية للمُريدين، انتفع بها خلق من متصوفة أهل الحديث ومتعبديها.

كتب عنه الذَّهبيُّ والبِرْزالِيُّ، وسمع منه جماعة من شيوخنا وغيرهم، وكان له مشاركة جيِّدة فِي العلوم، وعبارة حسنة قويَّة، وفهم جيِّد، وخطٌّ حسنٌ في غاية الحسن، وكان معمور الأوقات بالأوراد والعبادات، والتَّصنيف، والمطالعة، والذِّكر والفِكر، مصروف العناية إلى المُراقبة والمحبَّة والأُنس بالله، وقطع الشَّواغل والعوائق عنه، حثيث السَّير إلى وادي الفناء بالله، والبقاء به، كثير اللَّهج بالأذواق والتَّجلِّيات، والأنوار القلبية، منزويًا عن النَّاس، لا يجتمع إلَّا بمن يحبّه، ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي رحمه الله.

وكان الشَّيخ تقيُّ الدِّين بن تيمية يعظمه ويقول: هو جُنيد وقته.

وقال البِرزاليُّ في «معجمه»: صالحٌ عارفٌ، صاحب نُسك وعِبادة وانقطاعٍ وعزوفٍ عن الدّنيا، وله كلام متينٌ في التّصوف الصَّحيح، وهو داعيةٌ إلى طريق الله تعالى وقلمه أبسط من عبارته، واختصر «السِّيرة النبوية» وكان يتقوَّت من النُّسخ ولا يكتب إلَّا مقدار ما يدفع به الضَّرورة، وكان مُحبًّا لأهل الحديث، معظّما لهم، وأوقاته كلّها معمورة.

قال الذَّهبيُّ في «تاريخه»: شيخنا العارفُ.

وقال أيضًا في «معجم الشُّيوخ»: شيخنا القدوة العارف، تفقَّه وشارك في الفضائل وصحب الكبار، وكان يقتات من النَّسخ، وله أحوال ومقامات، وكان داعية إلى السُّنة ومتابعة الآثار، وله تواليف نافعةٌ في السُّلوك.

وقال أيضًا: كان سيِّدا، عارفًا، كبير الشَّأن، منقطعًا إلى الله تعالى، ينسخ بالأُجرة ويتقوَّت، ولا يكاد يقبل من أحدٍ شيئا إلَّا في النَّادر، صنَّف أجزاء عديدة في السُّلوك والسَّير إلى الله تعالى، وفي الردِّ على الاتِّحادية والمُبتدعة، وكان داعيةً إلى السُّنّة، ومذهبه مذهب السَّلف في الصِّفات، يمرّها كما جاءت، وقد انتفع به جماعةٌ صحبوه، ولا أعلم خلّف بدمشق في طريقته مثله.

وقال ابنُ حجرٍ: وخطُّه حسنٌ جدًّا.

وقال ابن تغري بردي: الشيخ الإمام القدوة.

وقال ابن عبد الهادي في «العقود الدرية»: وكان رجلًا صالحًا ورعًا كَبِير الشَّأْن، مُنْقَطِعًا إلى الله، متوفرًا على الْعِبَادَة والسُّلوك.

قال ابن العماد: الزّاهد القدوة العارف، اعتنى بأمر السُّنّة أصولًا وفروعًا، وشرع

في الردِّ على طوائف المُبتدعة الذين خالطهم وعرفهم من الاتِّحادية وغيرهم، وبيَّن عوراتهم، وكشف أستارهم.

من تآليفه: «شرح منازل السائرين»[١] للهَرَوِيِّ ولم يتمه، طبع في دمشق سنة ١٤٠٩هـ، و«البلغة والإقناع، في حل شبهة مسألة السماع»[٢]، وله «مدخل أهل الفقه واللِّسان إلى ميدان المحبة والعرفان»[٣]، و«مفتاح طريق المحبين وباب الأنس برب العالمين المُؤَدي إِلَى أحوال المقربين» فِي التصوف[٤]، و«تلخيص سيرة ابن هشام»[٥]، و«البُلغة» مختصر «الكافي» في الفقه الحنبلي[٦]، و«تلخيص دلائل النبوة»[٧].

قلت: وله أيضًا مجموع رسائل بالظاهرية وغيرها تعمل مؤسسة «علم» على تحقيقه.

وله «رسالة في إثبات الفوقية وتنزيه الباري سبحانه عن الحصر والتمثيل والكيفية». له نسخة بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت رقم المخطوط: ٨١١.

وله «السلوك والسير إلى الله» مخطوط بالظاهرية برقم (٤٧٠٩) في ١٤٧ ورقة.

---

(١) ينظر: «فوات الوفيات» (٥٦/١)، و«الدرر الكامنة» (١٠٣/١)،و«هدية العارفين» (١٠٤/١).

(٢) ينظر: «كشف الظنون» (٢٥٢/١، ١٠٠١/٢).

(٣) ينظر: «كشف الظنون» (١٦٤٣/٢)، و«إيضاح المكنون» (٤٥٤/٤)، و«هدية العارفين» (١٠٤/١).
له نسخة بالظاهرية برقم (٣٧٦٥ت١٠) في ١٨ ورقة.

(٤) ينظر: «هدية العارفين» (١٠٤/١). قال الزركلي: وله مفتاح طريق الأولياء وأهل الزهد من العلماء- خ) في أوقاف بغداد،وفي جامعة الرياض.
وأيضا له نسخة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت رقم المخطوط: ٣١٠ (٢).

(٥) ينظر: «فوات الوفيات» (٥٦/١)، «شذرات الذهب» (٤٥/٨) له خمس نسخ خطية.

(٦) ينظر: «شذرات الذهب» (٤٦/٨)، و«كشف الظنون» (٢٥٢/١).

(٧) ينظر: «فوات الوفيات» (٥٦/١)، و«الدرر الكامنة» (١٠٣/١).

وله «أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص» في مكتبة لالي برقم ٣٦٧٩، ومكتبة رشيد أفندي ١٤٣٧.

وفاته:

توفي آخر نهار السبت سادس عشري ربيع الآخر بالمارستان الصغير بدمشق، وصلّي عليه من الغد بالجامع، ودفن بسفح قاسيون قبالة زاوية السّيوفي.

* * *

توثيق نسبة الرسالة للمؤلف

لم أقف على من نسبها له من أهل العلم أو ذكر اسمها، إلا أن أسلوبها القوي وعباراتها العذبة قريبة من أسلوب المؤلف رحمه الله تعالى وما قيل عنه في ترجمته.

وجاء على طرة المجموع نسبتها له فيما نصه: «رسالة الشيخ أبي عباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن في الأخذ بالأثر الصحيح والرفض بالكلام الفظيع».

وعلى طرة الرسالة: «هذه الرسالة لسيدنا الشيخ الإمام العالم العامل المحقق قدوة العارفين: أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين».

ثمَّ في مقدمة الرسالة: «وبعد: فإني أهدي نصيحتي هذه إلى إخواني في الله أهل الحديث والأثر الذين أقامهم الله تعالى رحمة على الأمة..».

ولهذا اخترت أن يكون اسمها: «نصيحة إلى أهل الحديث والأثر».

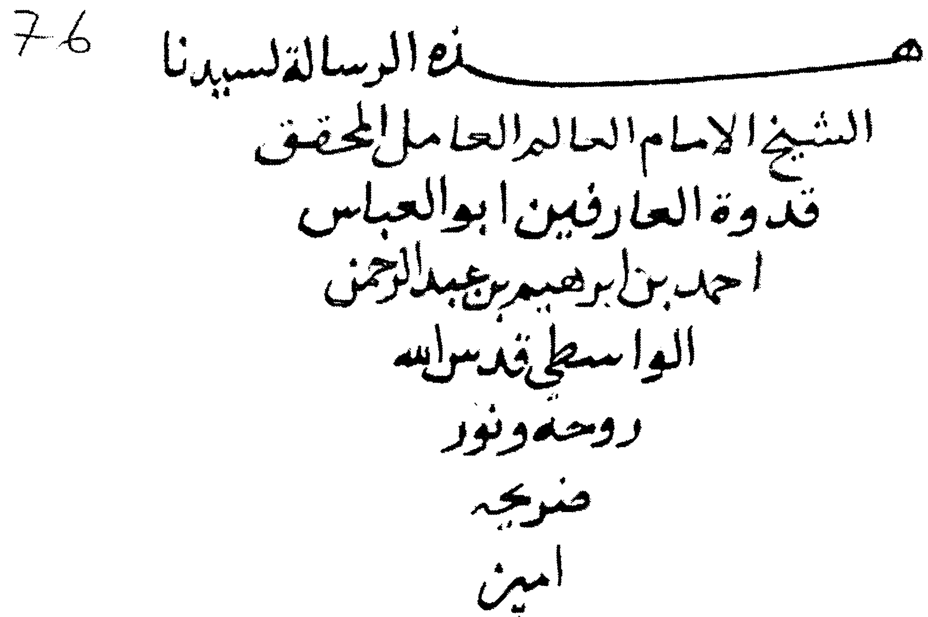
* * *

توصيف النسخة الخطية

اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة المُباركة على نسخة خطيَّة وحيدة فريدة، محفوظة بمكتبة شهيد علي باشا برقم (١٣٩٧) ضمن مجموع رسائل، من (ق٧٦) إلى (ق٨٨) بخط نسخ معتاد، مصححة، منقوطة غير مضبوطة، بها نظام التعقيبة، وعليها تملُّك شهيد علي باشا.

نماذج من النسخة الخطية

طرة النسخة الخطية


76

هـذه الرسالة لسيدنا

الشيخ الامام العالم العامل المحقق

قدوة العارفين ابو العباس

احمد بن ابرهيم بن عبد الرحمن

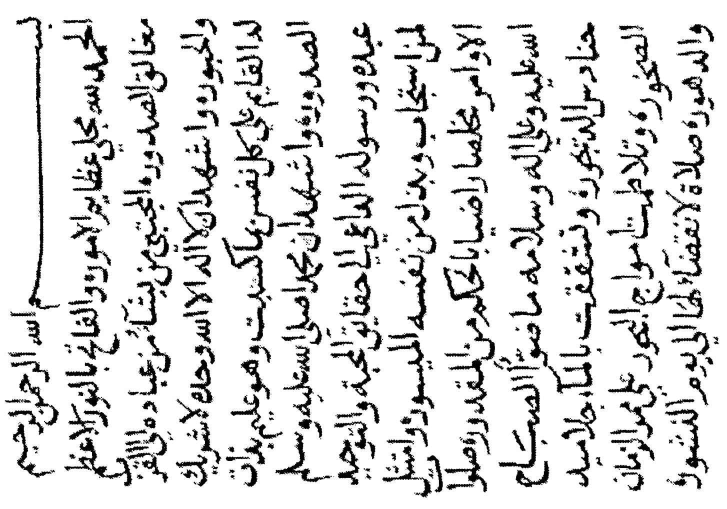
الواسطي قدس الله

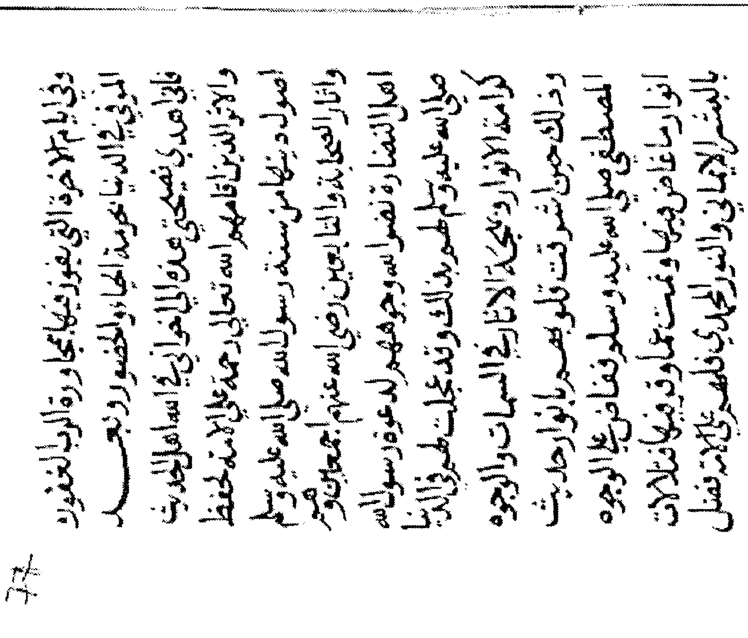
روحه ونور

ضريحه

امين

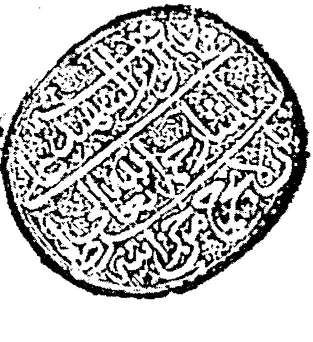
الورقة الأولى من النسخة الخطية





الورقة الأخيرة من النسخة الخطية

والفاضل فاضلا والمفضول مفضولا والمهم مهما
والفاني فانيا والباقي باقيا ويأخذ بأعنة
قلوبنا الي ما يقرب منه زلفي ولا يجعلنا من
اهل الفوت والحرمان الذين ماتوا بموت اجسادهم
وان يجعلنا ممن حيي بالله عز وجل حياة ابدية
فصار باقيا به حيا وميتا وان يتداركنا بالطافه
الخفيه انه سميع مجيب والحمد لله وحده
وصلي الله علي سيدنا محمد واله وسلم
تم كلام سيدنا وشيخنا
عماد الدين اعاد الله
علينا من بركته
امين



هذه الرسالة

لسيدنا الشيخ الإمام العالم العامل المحقق قدوة العارفين

أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي

قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ لله مُجلي عظائمِ الأُمور، والفاتحِ بالنُّورِ الأعظمِ مغالقَ الصُّدور، المُجتبي من يشاءُ من عِبادِه إلى القُربِ والحُبور[1]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له القائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبت وهو عليمٌ بذاتِ الصُّدور، وأشهدُ أنَّ محمدًا ﷺ عبدُه ورسولُه الدَّاعي إلى حقائقِ المحَبَّةِ والتَّوحيدِ لمنِ استجابَ وبذلَ من نفسِه الميَسور، وامتثلَ الأوامرَ مُخلصًا راضيًا بالحُكمِ من المَقدور، صلواتُ الله عليه وعلى آله وسلامُه ما ضَوَّأَ الصَّباحُ حَنَادِسَ الدَّيْجُور[2]، وتشقَّقت بالماءِ جَلاميدُ الصُّخور، وتلاطَمت أمواجُ البُحور على ممرِّ الزَّمانِ والدُّهور، صلاةً لا انقضاءَ لها إلى يومِ النُّشور (ق٧٧/ب) وفي أيَّامِ الآخرةِ الَّتي يفوزُ فيها بمُجاورة الرَّبِّ الغَفور، المُوفي في الدُّنيا بحُرمة الحياء والحضور.

وبعد: فإنِّي أُهدي نصيحتي هذه إلى إخواني في الله أهلِ الحديثِ والأثر الَّذين أقامهمُ الله تعالى رحمةً على الأُمَّةِ؛ لحفظِ أُصولِ دينِها من سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ، وآثارِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ رضي الله عنهم أجمعين، وهم أهلُ النَّضارةِ نضَّرَ اللهُ وُجوههم لدَعوة رسول الله ﷺ لهم بذلك[3]، وقد عُجِّلت لهم في الدُّنيا كرامةُ الأنوار، وبهجةُ

---

(١) الحُبور: السُّرور، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾.

(٢) الحندسُ الظُّلمةُ، والدَّيجور: الظَّلام، وَلَيْلَةٌ دَيْجُورٌ: مُظْلِمَةٌ.

(٣) يقصد حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا: «**نضَّرَ الله امرأً سَمِعَ منَّا حديثًا فحفِظَه حتى يُبلِّغَه، فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقَهُ منه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ**».

رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠).

قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي البَابِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَنَسٍ.

الآثارِ في السِّماتِ والوُجوه، وذلك حين أشرقتْ قلوبُهم بأنوارِ حديثِ المُصطفى ﷺ، ففاض على الوُجوهِ أنوارُ ما غاضَ فيها، ونمتْ عمَّا وَقَرَ فيها، فتلألأت بالبِشر الإيمانيِّ والنُّورِ المُحَمَّديِّ، فلهُم على الأُمَّةِ فضلٌ (ق٧٨/أ) لا ينكر، ومرتبةٌ في الدِّينِ لا تُجهلُ، حفظَ اللهُ ﷻ بهم طريقَ الرِّوايةِ، واتِّصالِ السِّلسلةِ الَّتي هي من خُصوصيَّاتِ أهلِ الإسلامِ دون من سبقَهم من غيرِ أهلِ الكتابِ، خصَّهمُ اللهُ تعالى بصِحَّة الاعتقادِ في الأسماءِ والصِّفاتِ وغيرِها من الإخباراتِ النبويَّة في المُعتقداتِ، فلا يوجدُ فيهم مبتدعٌ كاملُ البدعةِ، والمُتلوِّثُ فيهم بشيءٍ منها لشُؤمِ صُحبةِ الأقرانِ بدعتُه مغمورةٌ بأضعافِ أضعافِها منَ الحقِّ والهُدى، ففُقهاؤُهم أنفدُ الفُقهاءِ وأَنْوَرُهم وأَحكمُهم أُصولًا وأَبْسَقُهم فُروعًا، وأقربُهم إلى الله ﷻ، أئمَّةُ الهُدى، وقُدوةُ الورى، سيوفٌ على رقابِ أهلِ البِدعِ والهَوى، نقمةٌ على أهلِ الكلامِ والرَّأيِ ومنْ زاغَ من الأُمَّةِ وغَوى.

وكيفَ لا ومنهمُ الشَّافعيُّ، إمامُ الأئمَّةِ، وقُدوةُ أهلِ المِلَّةِ، الطَّاهرُ المُعتَقدِ الرَّادُّ على أهلِ الكلامِ والأهواءِ، نُقلَ عنه رضي الله عنه أنْ قال: حُكمي في أهلِ الكَلامِ أنْ يُضْرَبوا بالجَريدِ ويُطافُ بِهم ويُنادى عليهم: هذا جزاءُ من تركَ كِتابَ اللهِ وسُنَّةَ رسولِه، وأقبلَ على الكلامِ، أو نحوِ ذلك.

ومنهم أحمدُ بن حنبل صدِّيقُ اللهِ في الزَّمانِ، وناصرُ صِفاته منَ الخِذلانِ، والباذلُ نفسَه في مسألةِ القُرآنِ، وكذلك من تقدَّمهم منَ الأئمَّةِ الكُبَراءِ كالسُّفيانَين والحَمَّادَين، وابنِ المُباركِ، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مَهْديٍّ، ويزيد بن هارون، وأقرانِهم، ونُظرائِهم رضي الله عنهم، وكثَّر في الأُمَّةِ أتباعَهم والنَّاصرينَ لطَريقِهم.

وكذلك صُوفِيَّتُهم أقربُ النَّاسِ إلى اللهِ ﷻ، وأصحُّهم أَساسًا، وأقومُهم مُعاملةً،

وأنورُهم بَهجةً، وأوفرُهم نَصيباً من الخُصوصيَّة والاصطفاءِ، فهم أحرُّ النَّاسِ قُلوبًا، وأظمأُ أكبادًا، وأكملُ عِرفانًا، وأوضحُ شُهودًا وأتمُّ وُجودًا.

وكيف لا ومنهم سيِّدُ الطَّائفة أبو القاسم الجُنَيْدُ بن مُحمَّد القَوارِيرِيُّ، قُدوةُ أهلِ التَّحقيقِ في زمانِه، أقرَّ له الشُّيوخُ في صِباهُ بالإمامةِ كما رواهُ أبو بكرٍ الكَتَّانيُّ[١]، قال: اجتمع شيوخُ الحَرم اللَّهمَّ في المَوسِمِ وفيهم الجُنيدُ، وكان أصغرَهم سِنًّا، فتكلَّموا في المَحبَّة، ثمَّ قالوا: هاتِ ما عندك يا عراقيّ، فقال:

«عَبْدٌ ذَاهِبٌ عَنْ نَفْسِهِ، مُتَّصِلٌ بِذِكْرِ رَبِّهِ، قَائِمٌ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِ نَاظِرٌ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، قَدْ أَحْرَقَ قَلْبَهُ أَنْوَارُ هُوِيَّتِهِ، وَصَفَا شِرْبُهُ مِنْ كَأْسِ وُدِّهِ، وَانْكَشَفَ لَهُ الْجَبَّارُ عَنْ أَسْتَارِ غَيْبِهِ، فَإِنْ نَطَقَ فَبِاللهِ أَوْ تَكَلَّمَ فَعَنِ اللهِ، شَكَّ هُنَا، قَوْلُهُ: فَعَنِ اللهِ أَوْ فَمِنَ اللهِ، أَوْ سَكَتَ فَمَعَ اللهِ، فَهُوَ بِاللهِ وَللهِ وَمَعَ اللهِ»، فَبَكَى الشُّيُوخُ وَقَالُوا: مَا عَلَى هَذَا مَزِيدٌ، جَبَرَكَ اللَّهُ يَا تَاجَ الْعَارِفِينَ[٢].

ومنهم سيِّدُ الأبدالِ والصِّدِّيقينَ المُجمعُ على بَهائِه وأنوارِه، وقُوَّةِ حالِه واتِّصالِه: سَهلُ بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ، فتحَ اللهُ قلبَه وعمره اثنا عشر سنة، حتَّى رحلَ إلى المشايخ بِعَبَّادان فسألهم عن وقائعِه ومواهبِ مولاه في سِرِّه.

ومنهم قُدوةُ المُحبِّين وعَلَم الواجدين، نظامُ أهلِ الهِممِ وعُمدةُ أهلِ الحِكَم: أبو سعيد الخَرَّازُ الفقيه البغداديُّ.

---

(١) هو محمد بن علي بن جعفر، أبو بكر الكتاني، أحد مشايخ الصوفية سكن مكة، وكان فاضلا نبيلا حسن الإشارة. ترجمته في «تاريخ بغداد» (١٢٧/٤).

(٢) ينظر «الرسالة القشيرية» (٤٩٣/٢).

قيل للجُنيد: إنَّ أبا سعيدٍ كان كثيرَ التَّواجُدِ عند المَوتِ؟ فقال: لا تعجبوا أن تكون رُوحُه قد خرجت اشتياقًا.

وكان ينشدُ عند موته هذه الأبيات:

حَنِينُ قُلُوبِ العَارِفِينَ إِلَى الذِّكْرِ ... وَتَذْكَارُهُمْ عِنْدَ المُنَاجَاةِ لِلْيُسْرِ[(١)]
أُدِيرَتْ كُؤُوسٌ لِلْمَنَايَا عَلَيْهِمُ ... فَأَغْفَوا عَنِ الدُّنْيَا كَإِغْفَاءِ ذِي السُّكْرِ
قُلُوبُهُمُ[(٢)] جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ ... بِهِ أَهْلُ وُدِّ اللهِ كَالأَنْجُمِ الزُّهْرِ
فَمَا عُرِفُوا[(٣)] إِلَّا بِقُرْبِ مَلِيكِهِمْ ... وَمَا مَسَّهُمْ مِنْ بَأْسِ بُؤْسٍ وَلَا ضُرِّ[(٤)]

ومنهم الإمامُ العالمُ القاضي عمرو بن عثمان المَكِّيُّ[(٥)] وأبو العباس بن عطاء[(٦)] وأقرانُهم ونُظراؤُهم، أصولُهم أصولُ أهلِ الحديثِ عليها أَسَّسوا قواعدَهم، وكان لهم عنايةٌ بالأخبار والآثار وطريقة السَّلف، فتراهم في مصنَّفاتهم يوشحونها بـ«حدَّثنا» و«أخبَرنا» وكذلك من جاء بعدهم ممَّن اتَّبع مَنارهم واقتفى آثارهم كشيخ الإسلام قدوة أهل الرِّواية والسُّلوك أبي إسماعيل عبد الله الأنصاريِّ الهَرَوِيِّ صاحب «المنازل»[(٧)]،

---

(١) في مصادر التخريج: للسر.
(٢) في مصادر التخريج: هومهم.
(٣) في مصادر التخريج: عرسوا.
(٤) الأبيات من الطويل، رواه عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٢/٥)، وذكرها سبط ابن الجوزي له في «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٣٩/١٦)، وابن الملقن في «طبقات الأولياء» (ص٤٥).
(٥) الإِمَامُ، الرَّبَّانِيُّ، شَيْخُ الصُّوْفِيَّة، أَبُو عَبْدِ اللهِ المَكِّيُّ، الزَّاهِدُ. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٦٤/٦).
(٦) أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء أبو العباس الأدمي الصوفي، كان أحد شيوخهم الموصفين بالعبادة والاجتهاد، وكثرة الدرس للقرآن. ترجمته في «تاريخ بغداد» (١٦٤/٦).
(٧) يعني «منازل السائرين» (١٦٤/٦).

والشَّيخ مُحيي الدِّين عبد القادر الجِيلي رضي الله عنهم وأرضاهم، فليسَ فُقهاءُ أهلِ الحديثِ وصوفيَّتُهم كفُقهاء أهل الكلام وصوفيَّتهم:

فالأوَّلون عليهم ضوءُ الإسلام وبهجتُه، وإشراقةُ قلوبِهم مُستسلمةً منقادةً إلى إخبارات الشَّارع، يجعلونها حاكمةً على عقولهم، راحةُ قلوبهم في الأخبار والآثار، فيها يتَروَّحون، وفي أوديتها يَسرحون، ولأئمة أهل الحديث يُعظِّمون، وعلى عقائدهم يتجسَّسون.

والآخرون عليهم بشاعةُ التَّحريف، وكُمُودَةُ[1] التَّعطيل، قلوبُهم منكوسةٌ إلى جهة النَّفس ومعقولاتها، فهي راسبةٌ إلى دَركات[2] الرَّأي والهوى، يتأمَّلون آراء النُّفوس، فما وافقته نفوسُهم من المَنقول قبِلوه، وما ردَّته حرَّفوه وأوَّلوه، على مقالات أهل الزَّيغ يَنحطُّون، وعلى عقائدهم يَتجسَّسون، وعن مقالات أهل النَّقل والأثر يُعرضون، فهم عبيدُ النُّفوس فهي الحاكمة عليهم.

والأوَّلون عبيدُ الله، يستسلمون لأخباره فيُصدِّقونها، ويُقرِّون بالعَجز عن دَرك الإحاطة بها، أولئك حزبُ الله ألا إنَّ حزبَ الله هم المُفلحون، لما رسخت على ألسنةِ أُصولِهم، بَسقت في الحقائق والعُلا شواهدُهم ومشاهدُهم، وقربت من قُرب الرِّفيق الأعلى مقاعدُهم ومواطنُهم، توطَّنوا حضرةَ القرب بأعمالٍ زكيَّةٍ وعقائدَ مَرضيَّةٍ وقلوبٍ عاكفةٍ، وأرواحٍ مُتَّصلةٍ، طُوبى لهم وحسنُ مآب.

---

(١) هي لونٌ غامق يضرب إلى السَّواد.

(٢) الدَّرَكُ: أسفلُ كلِّ شيءٍ، قيل: الدَّرَكُ اسمٌ في مقابَلَةِ الدَّرَجِ بمعَنَى أَنَّ الدَّرَجَ مراتِبُ اعتِبَارًا بالصُّعُودِ، والدَّرك مَراتِبُ اعْتِبَارًا بالهُبوطِ، ولِهَذَا عبَّروا عَن مَنَازِلِ الجَنَّةِ بالدَّرجاتِ، وعن منازِلِ جَهَنَّمَ بالدَّرَكاتِ. «تاج العروس» (٥٥٤/١٣).

أوصيك أيها الأخ أيَّدك اللهُ بتأييده وأجزل لك من فضلِه ومزيدِه: أن تمسَّك من التَّقوى بأعلى سببٍ في إتقانِ أوامرِ ربِّك وإتقانِ اجتنابِ مناهيه، فتنقِّيها حقَّ الإنقاءِ خُصوصًا في الصَّغائرِ الَّتي يستهينُ بمثلها العُموم في مثل نظرةٍ وكلمةٍ وهفوةٍ، فبادرها بالاستغفار عند وقوعها تَمحها بها إن شاء الله تعالى، وعليك بمُراقبة علمِ الله ونظرِه إليك في الحركات والسَّكنات واللَّفظات واللَّحظات، والزم ذلك مُتقنًا له عاملًا على توفيته حقَّ الوفاء، لا تزال على ذلك مُواظبًا ليلًا ونهارًا صباحًا ومساءً، كلَّما غفلتَ عُدت إلى مركزك، وأنت في علومك ووظائفها لا تغير منها شيئًا، والزم هذا الباب الواحد، أرجو لك به فتح مغالق جميع الأبواب، وعلامة إتقانك لهذا الباب وصولُ تقوى مولاك ﷻ إلى قلبك في الخطرات.

فمتى دخلت هذا الميدانَ فاسجد لله ﷻ شُكرًا، فقد وصلت إلى قلبك، وأوشك ذلك بك الوصول إلى ربِّك ﷻ إن شاء الله تعالى، هذا المقدارُ من السُّلوك مما لا يَسع تركُه لعاقلٍ حازمٍ، ولا يطالبُ العبدُ بما وراء؛ ذلك فإنَّه موهبةٌ من قسمة الواهب يختصُّ به من يشاء من عباده، يبادي به الله من يصطفيه ويصطنعه ويتخذه وليًّا من أوليائه، فيتعيَّن ذكرُ ما وراء ذلك، والتَّشويق إليه ومعرفة آدابه وجمله وتفصيله، وبالله التَّوفيق.

* * *

فصل

فإن رقيتَ أيُّها الأخُ من ميدان المُحاسبةِ والتَّقوى، ورعاية الخَواطرِ والجوارح، وإتقانِ الفَرائضِ والتَّباعُدِ عن دقائقِ المناهي إلى ميدانِ الإرادةِ وبوادِي الجَذْبَةِ، وكمال الاهتمام بالله ﷻ، والشُّغل به.

وعلامةُ ذلك أن تجدَ قبضًا يقبضُ قلبكَ عن جميع المُرادات والمَلْذُوذات وما تنجذبُ إلى مثله النُّفوسُ، فلا تفرح بشيءٍ وتلحقك كآبةُ فقدِك لِمَن تحبُّه، فيلتبس قلبك حرقٌ إذا فرح النَّاسُ، خصوصًا في أعيادهم، وتجدُ قلبَك فاقدًا حزينًا كأنَّ له شيئًا غائبًا ينتظره، أو محبوبٌ يؤمَّل قربُه من وراء حجاب، وربَّما حَبَّبَ إليك ذلك الخلوةَ، وألزمكَ الكَمدُ[1] فلا تعجز في شؤونك ومصالح دُنياك؛ فقُم بها مُستعينًا بربِّك، ومتى فتح عليك هذا الباب فلا تلتفت مع ذلك إلى ما يفوت من السَّماعات العالية وعُلوِّ الإسناد، فربَّما غلط في ذلك غالطٌ، وتلت عليه النَّفسُ في هذا المَوطن فضائلَ العلوم، فيكون مثله كمثل من حجَّ وبقي بينه وبين عَرفة مرحلة يوم التَّروية، فحدَّثته نفسُه بفضيلة صلاة النَّافلة وما جاء فيها من الفضائل، فاشتغل بها ففاته الحجُّ الأكبرُ والمقصود الأعظم حين شارف أوانَه وموسمه، نعم له فضيلةُ تلك النَّافلةِ لكنها إذا قُوبلت بما فات كانت كالزَّلَّات.

واعلم أنَّ اللهَ ﷻ إذا فتح على مُريدٍ هذا الباب فقد فتح له باب قُربه، ودعاه إلى حُبِّهِ وذِكره في الملأ الأعلى بوصله، فهو بحسب ذلك القبض من جهته، وإنَّما هو لأمرٍ خفيٍّ بدا على القلب من وراء حُجب الغيب، فأورثه هذا القبض، فمتى اجتمع العبدُ

---

(١) هو مرض القلب من الحزن. «جمهرة اللغة» (٢/٦٧٩).

بكلِّه على ربِّه ولهى به عن كلِّ درجةٍ عاليةٍ يتوقَّع جدواها في الدُّنيا وفي الآخرة، اللَّهمَّ إلَّا ما وجب شرعًا أو تأكَّد النَّدبُ إليه فذلك لا محيصَ عنه، فإنَّه يُرجى لمثل هذا كمالُ الاختصاص والتَّولِّي، فلا يدعه مولاه مع غيره ويتولَّاه في سَيره إليه حتَّى يمكن له في القُرب من حضرته بين يديه، فإذا شارف مراتبَ أهلِ التَّمكينِ وقطعَ مسافاتِ الطَّبع بالسَّير المتين، المَسوس بسياسة الشَّرع والعقل الرَّصين، وكمل سياسة الجسم الظَّاهر بكمال التَّقوى والمُحاسبة، وكمل سير القلوبِ بكمال الحُضور والمُراقبة، وحقَّق مشاهدَ الصِّفاتِ القلبيَّةِ فاضمحلَّت نفسُه وذابت وجَمَدت على قلبه، ثمَّ اضمحلَّ قلبُه على روحه وبدت له مشاهدُ الأرواح بطيرانها إلى فضاء القُرب وبدوُّ المحبَّة الخاصَّة المُلهبة للأرواح بنيرانِ الوَجد والاحتِراق، فحينئذ تتلاطمُ على الوُجود الذَّاهبِ الفاني أمواجُ التَّوحيد وزفرات الحُبِّ العَتيد، فتصير الرُّوحُ بحرًا موَّاجًا من نسماتِ القُرب، ويقال حينئذ:

بَدَا لَكَ سِرٌّ طَالَ عَنْكَ اكْتِتَامُهُ ... وَلَاحَ صَبَاحٌ كُنْتَ أَنْتَ ظَلَامُهُ
وَأَنْتَ حِجَابُ القَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ ... وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبَعْ عَلَيْهِ خِتَامُهُ(١)

فتهيم في قُرب مولاك ما شاء الله أن تهيم، فإن كان الله ﷻ قد قضى بأن ينفع النَّاس بك ردَّك من وُجودك الذَّاهب الفاني إلى وجودٍ مطهرٍ باقٍ بإبقاء الله ﷻ، فتُسخَّر لك العلومُ تسخيرًا، وتعود عليك بزيادات أُخر، فضلًا عن أن يفوت منها شيءٌ جليلًا كان أو حقيرًا، فيصفى لك مواردُها ومشاربها، وتجمع عليك شواردها.

فاللهَ اللهَ إذا فتح الله ﷻ قلبك بالإرادة، ووجدت ذوقها، واشتعلت فيك نيرانُها،

---

(١) الأبيات من الطويل، للقاضي المرتضى في «خريدة القصر» لصفي الدين (٦٧٩/٢)، ولأبي الخطاب الكَلْوَذاني في «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٢٠١/٢٠).

فالوصيَّة الوصيَّة أن تجعل الهمَّ همًّا واحدًا، كلُّه إلى المطلوب بالقصد الأول وتجعل ما أقمت فيه من الرِّواية والحِفظ مطلوبًا بالقصد الثَّاني، تنتقلُ به كما ينتقل الأكلُ لما يكفيه بالمُكَسَّرات بعد أخذه ما يكتفي به من الطَّعام.

* * *

فصل

إذا أراد الله بعبد خيرًا حماه عن قُرناء السُّوء وقطَّاع الطَّريق الذين يُذكِّرونه الأشياءَ الَّتي تعيَّن نسيانُها، تتطرَّى بصحبتهم الطَّبيعيَّة وتحلُّ العُقودُ والعزائمُ الَّتي عقدها العبدُ في الخلوة، وتبْرُدُ بهم الهِممُ الحارَّةُ، فهم الصَّادُّون عن سبيل الله حقيقةً، وإن كانوا أهلَ علمٍ وصلاةٍ ونوافلَ، لكنهم عبيدُ الدُّنيا والنُّفوس، لم يهجموا على علمِ الخاصَّة أهل عبوديَّة الملك القدُّوس.

فإيَّاك إيَّاك أيها المُريدُ وإيَّاهم، احذرهم على قلبك أن يُميتوه، وعلى جُند عَزمك أن يهزموه، يجذبون الصَّاعد إلى الدَّرجات فيردُّونه إلى الدَّركات.

واعلم أنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيرًا جعله إلى العِشرين مُتعلِّمًا، وإلى الثَّلاثين مُنيبًا، ثمَّ إلى الأربعين والهًا مريدًا طالبًا، ثمَّ إلى الخمسين حليمًا عارفًا، ثمَّ إلى السِّتين واصلًا واحدًا ذاهبًا فانيًا، ثمَّ إلى السَّبعين بَدلًا مُقربًا، ولا يلزم هذا التَّرتيب في كلِّ فردٍ فردٍ، لكن التَّرتيب العلميَّ اقتضى ذلك، وقد يسبق بعضها بعضًا في أشخاص على حسب استعدادهم وما قُسم لهم.

ومن أراد الله به ﷻ خيرًا جعله بوَّابَ قلبِه بعد صحَّة إرادته، فيا لها من طريقةٍ ما أصحَّها! وعلامةٍ ما أنجح غايتها إن شاء الله!

والمُوفَّقُ من حفظ في كلِّ طورٍ مقامه وأتمَّه وأكمله، وأتقنه وحرَّر فيه أصولَه وفُروعه وعلومه وأعماله وأحواله وبداياته ونهاياته، فبذلك يبلغ العبدُ منازلَ السَّابقين، ويحلُّ في دائرة المُقرَّبين.

* * *

فصل

قُدْ نفسك أيُّها المُريدُ إلى الله ﷻ قَودًا رفيقًا، بعد إكمال تَقواه في الحركات والسّعايات والخَواطر والعَزمات، واشغل نفسكَ بطلب الإرادةِ ولو ساعةً من نهارٍ، ثمَّ عُدْ إلى وظائفك وتفاريقك فلا تبْرح كذلك حتى تأخذَ الإرادةُ بمجامع قلبك، وتسري محبَّتُه في مجاري الدَّم منك، وتسكنُ خشيتُه ومراقبتُه في محلِّ دبيبِ الخواطر من سُويداء قلبك، فطُوباك ثمَّ طُوباك إن وصلتَ إلى هذا المَوطن، فاجمعْ همَّك كلَّه عساك تنال هذه الدَّرجة، وتدخل في دائرة أهل هذه الحَضرة، وتشاركهم في أذواقهم وعلومهم ومعارفهم، ولا تتوهَّم أنَّها الغاية.

واعلم أنَّها بدايةُ أهل الخُصوص، كما أنَّ التَّوبةَ بدايةُ أهلِ العُموم، يا طُوباك إن بتَّ بمولاك مهمومًا، وأصبحت بمراقبته مَشغولًا، وكنت إلى لقائه مُشتاقًا، وعن الدُّنيا عازِفًا، وتوحَّدت وجهةُ قلبك إلى قِبلةٍ واحدةٍ، وذاق القلبُ من تلك القِبلة العُلويَّة ذوقًا سليمًا عنها، فيستعدَّ العبدُ بهذه الأعمال والأحوال لمُشاهدات المُحبِّين، والجَولان في ميادين الواصلين، في مكاشفات الجلال والجمال، والكرم والاتصال، والصِّفات المُقدَّسة ذات الشَّرف والكمال، في الآباد[1] والآزال، فهناك يذوقُ العبدُ فَهمَ القرآن كأنَّه يسمعه من حبيبه الأعظم، ويذوقُ قِسطًا من مَعرفةِ فضلِ الرَّسول ﷺ من المَعارف الَّتي عرفته بها الخاصَّةُ على تقدير مقاماتهم وعلوِّ درجاتهم، فالمؤمنون يعرفونه على قدر إيمانهم؛ إذ بإيمانهم عرفوه، ويَفضلهم المُوقنون في معرفتهم له بفضل يقينهم، ويَفضلهم المُحبُّون في المَعرفة بالرَّسول ﷺ بفضل محبَّتهم، ويَفضلهم المقربون في ذلك

(١) آباد الدهر: طوالُ الدهر.

بفضل قُربهم؛ إذْ ما من أهل مقامٍ إلَّا وقد سبقهم إليه الرَّسول ﷺ، وتوطَّن في أعلى منازله من الإيمان واليقين والمَحَبَّةِ والقُرب وغير ذلك، فيشهده أهلُ كلِّ مقامٍ من مقامهم بحسب نصيبهم منه ولا يُحيطون به علماً.

فللأنبياء صلوات الله عليهم من هذه المقامات أبحرٌ زاخرةٌ اتَّسعوا لها لسعة استعداد مراتب النُّبوَّة، وللأفراد من أُممهم من ذلك مَشاربُ رائقة كالجُرعة والجُرعتين والشُّرب التَّامُّ، والرِّيُّ والسُّكرُ فيه، والصَّحوُ، فلهم من ذلك البحرِ الزَّاخرِ شربةٌ تملأ جوانحَهم، وتَسري في مفاصِلهم من ميراث النُّبُوَّة ورَضاعها، فهؤلاء الوارثون الذين ورثوا قسطًا من حال الأنبياءِ صلوات الله عليهم، فهم ورثةُ علم الباطنِ كما ورثَ العلماءُ قسطًا من علمه الظَّاهر، والعُلماء ورثةُ الأنبياء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(١) فوصفَ العُلماءَ بالخَشيةِ وهُم أهلُ ميراثِ الحال النَّبويِّ الباطنِ.

فانْهضْ أيُّها الأخُ مُستعيناً بربِّك إلى ربِّك مرحلةً تُرزق من معرفة الرسول ﷺ على قدر ما رُزقت في مرحلتك من العِلم بالله ﷻ والخَشية له والمَحبَّة لجلاله وإكرامه.

* * *

(١) فاطر: ٢٨.

فصل

إيَّاك ثمَّ إيَّاك أن تطرحَ هذا الأمرَ، وتُقلَّ الاكتراثَ به، حيث زهدَ فيه إخوانُك المُحدِّثونَ، ارغب في الأمرِ على قدر فضله لا على قدر اشتغالِ أهل العَصرِ به، واعلم أنه بساطٌ قد طُوي، ورَسمٌ قد امتُحي، إلَّا غبْرة يسيرةً منه تَغبَّرَ[1] بها آحادُ أفرادٍ، والسُّنِّي فيهم مُثبتُ الصِّفات نادرٌ قد لا يوجد، وغالبهم لا يوجد إلَّا مع شائبةِ اتحادٍ أو شائبةِ وقوفٍ، لو تراه سُنيًّا عالمًا مُبْتَرًا من نصف الطَّريق.

واعلم أنَّ هذا من أهمِّ الأشياء المطلوبة في الدَّعوة المُحمَّديَّة، فعليك بإحياء هذه السُّنَّةِ، فمن أحيا سُنَّةً قد أُميتَت بعدَ النَّبيِّ ﷺ فكأنَّما أحياهُ، ومن أحياهُ كان معه في الجنَّةِ[2].

وكيف إذا كانت تلك السُّنَّة التي قد أُميتت هي من وظائفِ القُلوبِ والأرواح، ونَصيبها من الحظوة بقُرب الكريم الفتَّاح، فلإحياء هذه السُّنَّة نسبةٌ من إحياء الأرواح، كما أنَّ لإحياءِ السُّننِ نسبةً من إحياء الأجساد، والكلُّ مُتلازمٌ فقومٌ يُحيون السُّننَ الظَّاهرة، وقومٌ يُحيُون السُّننَ الباطنةَ، فانهض إلى هذا الأمرِ نهضةَ كيِّسٍ قد عرف موقعه من الدِّين، ومحلَّه الرَّفيع ممَّن يطلبُ به وهو أرحم الراحمين.

---

(١) يعني تحلَّى بها.

(٢) يشير إلى حديث سعيد بن المُسيَّب، عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ**».

رواه الترمذي (٢٦٧٨) حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه، ولم يعرف لسعيد بن المُسيَّب، عن أنس هذا الحديث ولا غيره.

وردت الأخبارُ بفضيلة الذَّاكرينَ، والمُسبِّحين، والمُهلِّلين، والمُصلِّين، والمُتصدِّقين، والصَّائمين، ومن يُنحِّي شوكةً أو عظمًا عن الطَّريق[(١)]، وغُفر لمُومِسَة سَقَتْ كلبًا يلهثُ عطشًا بمُوقِها[(٢)]، فما ظنُّك بفضيلة المُستَهتِرين[(٣)] الذين وَضعَ عنهمُ الذِّكْرُ الخاصُّ أثقالَهم، فوردوا القيامة خِفافًا.

أم ما ظنُّك بفضلِ المُريدين الذين اجتمعت هُمومهم وإرادتُهم على مولاهم محبَّة له وتفريدًا، وقد ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سالمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٤)].

هذا في التَّوحيد العام له هذا المدحُ بكونه سالمًا لله في العبادة من أن يُشرك به معه في العبادة غيره، فله هذا الفضلُ والمِدحةُ من العزيز العلَّام، فما ظنُّك بمن شرَّد عن قلبه أصنافَ التَّفاريقِ والشُّركاء الذين يتوزَّعون قلبه فيقتسمونه، ويتجاذبون همَّته فيوزعونها، وصار رجلًا سالمًا لمحبوبٍ واحدٍ، ومرادٍ واحدٍ، بِهَمٍّ واحدٍ لا يريدُ المُريد سواه، ولا يتولَّى إلَّا إيَّاه، ولا يتوكَّلُ على غيره، ولا يبيتُ إلَّا وهو مضاجعٌ قلقَ

---

(١) روى في ذلك البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ».

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٣) المُستَهتِرون: المُولَعون بالذِّكر والتَّسبيح.

ومنه قوله ﷺ فيما رواه التِّرمذيُّ (٣٥٩٦) وقال: حسن غريب، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ خِفَافًا».

(٤) الزمر: ٢٩. و(سالمًا) هي قراءة ابْن كثير وأبي عَمْرو بالألف وكسر اللَّام أي: خَالِصًا للرَّجل. وقرأ الباقون بدون الألف. ينظر «حجة القراءات» لابن زنجلة (ص٦٢١)، و«التيسير في القراءات السبع» للدَّاني (ص١٨٩).

محبَّته والشَّوق إليه، سأل عن كلِّ فائتٍ يفوتُ سواه حذرَ خائفٍ من فواته، عالمٍ بأنَّ كلَّ شيءٍ له عوضٌ وقربُ الله ﷻ، ومحبَّته لعبده ورضاه عنه وتولِّيه وأخذه في كَنفه وقَبضته لا عِوض عنه، وقيل:

كَيْفَ السُّلُوُّ وَمَا لِي عَنْكُمُ عِوَضُ ... وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى حُبِّي لَكُمْ عَرَضُ
تَفْنَى اللَّيَالِي وَنَارِي غَيْرُ خَامِدَةٍ ... وَوُدُّكُمْ حَشْوُ قَلْبِي لَيْسَ يَنْقَرِضُ

ونسألُ اللهَ الكريمَ أن يهدِيَنا سُبلَ السَّلامِ ويُخرِجَنا منَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ بإذنه، ويهدينا إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ، وأن يُرينا الحقَّ حقًّا والفاضلَ فاضلًا والمَفضولَ مَفضولًا، والمُهمَّ مهمًّا والفاني فانيًا، والباقي باقيًا، ويأخذَ بِأَعِنَّةِ قُلوبنا إلى ما يُقرِّبُ منه زُلفى، ولا يَجعلنا من أهلِ الفوتِ والحِرمانِ الَّذين ماتوا بموتِ أجسادِهم، وأن يجعلنا ممَّن حَيِيَ بالله ﷻ حياةً أبديَّةً فصارَ باقيًا به حيًّا وميِّتًا، وأن يتدارَكَنا بألطافه الخفِيَّة، إنَّه سميعٌ مُجيبٌ، والحمدُ لله وحده.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

تمَّ كلامُ سيِّدنا وشيخِنا

عمادِ الدِّين أعاد الله

علينا من بركته

آمين

الفصل الثاني

أبحاثٌ مُهداةٌ من بعض تلامذة الشيخ

مجلسان من أمالي

الإمام الحافظ أبي محمَّد يحيى بن محمَّد بن صاعد

(٢٢٨-٣١٨هـ)

حققه وخرَّج أحاديثه

أبو أحمد جمال بن أحمد الصردي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله تعالى نحمدُه، ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله تعالى من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله. أما بعد، فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمَّد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلّ ضلالةٍ في النَّار. فهذا جزء لطيف يحتوى على مجلسين من أمالي الإمام الحافظ أبي محمَّد يحي ابن محمَّد بن صاعد ﷺ. وهو يُطبع لأول مرة، فيما أعلم، على مخطوط من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق، ويقع في عشر ورقات، وعليه سماعات قليلة.

وابن صاعد ﷺ من الحفاظ الكبار الذين كان لهم دراية بالرجال والعلل، ولم يُنشر من أعماله، فيما وقفت عليه، إلا (مسند عبد الله بن أبي أوفي)، حققه فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله آل حميد حفظه الله.

وهذا الجزء إهداء لفضيلة الشيخ الإمام حسنة الأيام أبي إسحاق الحويني، حفظه الله، برجاء أن يتقبله.

* * *

توثيق نسبة الكتاب

هذا الجزء صحيح النِّسبة إلى ابن صاعد ﷺ لعدة أدلة:

١- نقل بعض الحفَّاظ أحاديث هذا الجزء من طريق المصنِّف، منهم:

ابن عَديٍّ، الدَّارَقُطني، ابن شاهين، عيسى بن الوزير، أبو نعيم، البيهقي، الخطيب، أبو طاهر السِلفي، ابن عساكر، ابن البخاري، ابن النجَّار، المزِّي، الذهبي.

٢- شيوخ المصنِّف في هذا الجزء معروفون، والمصنِّف معروف بالأخذ عنهم.

٣- نسب بعض العلماء هذا الجزء لابن صاعد، كالخطيب، والسَّمعاني والذَّهبي، كما سيأتي في ترجمة عبيد الله بن الصيدلاني راوي الجزء عن المصنِّف.

٤- سند النُّسخة رجاله ثقات، وقد كُتب على يسار الورقة (٥٣/ب) كالآتي:

«هذا المجلس أنبأنا به إبراهيم بن يحي بن أحمد بن الكيال، قال: أنا أحمد بن عبد الدائم بن نعمة، أنا أبو السعادات نصر الله بن عبد الرَّحمن القزاز، أنا أبو العز محمَّد بن المختار بن محمَّد بن المؤيد، أنا أبو الحسين محمَّد بن علي بن المهتدي بالله، أنا عبيد الله بن أحمد الصيدلاني.

كتبه: محمَّد بن عبد الله بن أحمد ابن المحب، والحمد لله رب العالمين».

* * *

تراجم رجال السند

١- محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن المحب

قال ابن حجر في (الدرر الكامنة) (٣/رقم١٢٤٩):

«ولد سنة ٧١٣، وأحضره أبوه على التقي سليمان، ومحمَّد بن يوسف بن المهتار، وست الوزراء وغيرهم. وأسمعه الكثير من عيسى بن المطعم، وأبي بكر بن عبد الدائم، وأبي الفتح بن النشور، والقاسم بن عساكر، وأبي نصر الشيرازي... وكان مكثرًا شيوخًا وسماعًا. وطلب بنفسه فقرأ الكثير وأجاد، وخرَّج وأفاد، وكان عالمًا متفننًا متقشفًا منقطع القرين. وحدَّث دهرًا، ومات بالصالحية في ليلة الخامس من شوال سنة ٧٨٩. وكان اشتهر بالصامت لكثرة سكوته... وتفقه إلى أن فاق الأقران، وأفتى ودرَّس».

٢- إبراهيم بن يحي بن أحمد بن الكيال

قال الذهبي في (المعجم المختص) رقم (٧٧):

«إبراهيم بن يحي بن أحمد بن أحمد المحدث الفاضل أبو إسحاق الدمشقي الحنفي ابن الكيال.... كان مولده سنة أربع وأربعين وستمائة، وقرأ كتبًا على ابن عبد الدائم والحافظ شرف الدين النابلسي وطائفة، وكان فصيح القرأة فاضلًا، قرأت عليه جزء ابن عرفة. توفي ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة».

وقال الذهبي في (ذيول العبر) (٤/٩٣):

«ومات في ربيع الأخر المحدث العالم عماد الدِّين إبراهيم بن يحي بن الكيَّال الدمشقي

الحنفي عن سبع وثمانين سنة. قرأ على ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وأيوب الحمامي وعدة».

وقال ابن حجر في (الدرر) (١/رقم٢٠٢):

«قرأ على ابن عبد الدائم صحيح مسلم... وقرأ غالب مسند أحمد على شمس الدين بن عطاء.. وكان مشهورًا بحسن القرأة، خرجت له مشيخة عن نحو ثمانين شيخًا..».

٣- أحمد بن عبد الدائم بن نعمة

قال ابن العماد في (شذرات الذهب) (٥٦٧/٧):

«مسند الشام وفقيهها ومحدثها، الحنبلي المذهب النَّاسخ. ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وأجاز له خطيب الموصل، وابن الفراوي، وابن شاتيل، وخلقٌ. وسمع من يحي الثقفي، وابن صدقة، وابن الموازيني، وعبد الرَّحمن الخرقي وغيرهم.

وعُنِيَّ بالحديث وتفقه بالشيخ موفق الدين...... وكان حسن الخَلَق والخُلق متواضعًا دينًا. حدَّث بالكثير بضعًا وخمسين سنة، وانتهى إليه علو الإسناد، وكانت الرحلة إليه من أقطار البلاد... روى عنه الأئمة الكبار، منهم: النووي، وابن دقيق العيد، وابن تيمية...».

٤- أبو السعادات نصر الله بن عبد الرَّحمن القزاز

قال الذهبي في (السِّير) (١٣٢/٢١):

«الشيخ الصالح المعمِّر، مسند بغداد، سمع جده، وأبا سعد بن خشيش، وأبا القاسم الربعي، وأبو الحسين بن الطيوري... وأبا العز بن المختار، وعدةٌ، وانتهى إليه علو الإسناد.

حدَّث عنه: أبو سعد السمعاني وابن الخضر... تفرد بإجازته ابن عبد الدائم».

٥- أبو العز محمَّد بن المختار بن محمَّد بن المؤيد (٤٢٨-٥٠٨)

قال الذهبي في (السِّير) (٣٨٣/١٩):

«كان ثقة صالحًا دينًا جليلًا محترمًا، من أهل الحرم الظاهري. سمع الكثير من عبد العزيز بن علي الأزجي... وروى عنه نصر الله القزاز، وآخرون».

٦- أبو الحسين محمَّد بن علي بن المهتدي بالله

قال الخطيب في (تاريخ بغداد) (١٠٨/٣-١٠٩):

«كان ثقة نبيلًا».

وقال الذهبي في (السِّير) (٢٤١/١٨):

«الإمام العالم المحدث الحجة مسند العراق. سمع الدَّارَقُطني، وعمر بن شاهين... وحدَّث عنه الخطيب والحميدي وأبو منصور القزاز، وخلقٌ».

٧- أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الرَّحمن المقرئ ابن الصيدلاني

قال الخطيب (٣٧٩/١٠):

«سمع يحي بن محمَّد بن صاعد، وهو أخر من حدَّث عنه من الثقات، كان عنده عنه مجلسان».

وقال السَّمْعَاني في (الأنساب) (١٢٣/٨):

«وأبو القاسم... من أهل بغداد، كان شيخًا صالحًا ثقةً مأمونًا. سمع يحي بن محمَّد بن صاعد، وهو أخر من حدَّث عنه من الثقات، كان عنده عنه مجلسان، وسمع أيضًا أبا بكر عبد الله بن محمَّد بن زياد النيسابوري، ويزداد بن عبد الرَّحمن الكاتب ومن بعدهما.

روى عنه الأزهري، والخلال، والأزجي، واللالكائي، والعتيقي، وابن النقور. وكانت ولادته في رجب سنة سبع، وقيل سنة تسع وثلاثمائة، ووفاته في رجب سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ببغداد».

وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام) (١٠/٥٧٩- دار الغد):

«سمع من ابن صاعد مجلسين، وهو أخر من حدَّث عنه من الثقات، قاله الخطيب. وسمع أبا بكر بن زياد النيسابوري، ومن بعده.

روى عنه: هبة الله بن الحسن اللالكائي، وأبو الحسن العتيقي، وخلقٌ. قال العتيقي: كان ثقة مأمونًا».

* * *

ترجمة ابن صاعد

قال الذهبي في (السِّير) (١٤/٥٠١-٥٠٧):

«يحيى بن محمَّد بن صاعد بن كاتب، الإمام الحافظ المجوِّد، محدِّث العراق، أبو محمَّد الهاشِمِيُّ البغداديّ، مولى الخليفة أبي جعفر المنصور، رحَّال جوَّال، عالمٌ بالعللِ والرِّجال.

قال: ولدتُ في سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين، وكتبت الحديث عن ابن ماسَرْجِس سنة تسعٍ وثلاثين».

قلت: سمع يحيى بن سليمان بن نَضْلَة، وعبد الله بن عمران العابِدي، ومحمَّد بن سليمان لُوَيناً، وأحمد بن مَنيع، وسوّار بن عبد الله القاضي، والحسن بن عيسى بن ماسَرْجِس، ويعقوبَ الدَّوْرَقي، ومحمَّد بن بشَّار، وعبد الجبَّار بن العلاء العطَّار، وعمرو بن عليٍّ الصَّيْرَفي، وجميل بن الحسن الجَهْضَمي، والحسن بن عَرَفة، ومؤمَّل بن هشام اليَشْكُري، ومحمَّد بن عبد الله بن حفص الأنصاري، وأبا هشام الرِّفاعي، وإبراهيم بن سعيد الجَوْهَري، ومحمَّد بن هشام المَرْوزي، وسفيان بن وكيع، والقاسم بن محمَّد المَرْوزي، وعمر ابن شبَّة، ومحمَّد بن يحيى بن أبي حزم القُطَعي، وأزهر بن جميل، وأبا عبيد الله سعيد بن عبد الرَّحمن المخزوميّ المكِّيَّ، وعليَّ بن الحسين الدِّرهمي، ومحمَّد بن عمرو بن سليمان، وأبا همَّام الوليد بن شُجاع، وسعيد ابن يحيى الأُموي، وإسحاق بن شاهين، وعبيد الله بن يوسف الجُبَيْري، والرَّبيع ابن سليمان المُرادي، وبحر بن نصر الخولاني، وبكَّار بن شبيب الرِّبَعي، ويحيى ابن المغيرة المخزومي، ومحمَّد بن أبي عبد الرَّحمن المقرىء، وأبا سعيد الأشج، وأحمد بن المِقْدَام العِجْلي، وحميد بن الرَّبيع، وزيد بن أخزم، وعبَّاد بن

الوليد الغُبَري، وعبد الوهاب بن فليح المقرىء، ومحمَّد بن ميمون الخيَّاط المكِّي، ومحمَّد بن عبد الله المخرِّمي، ومحمَّد بن منصور الجوَّاز، والحسين ابن الحسن المروزي، والزُّبير بن بكار، وسلمة بن شبيب، ومحمَّد بن زُنْبُور المكِّي، ومحمَّد بن إسماعيل البخاريّ، ومحمَّد بن هشام بن ملاس الدمشقي، وسعيد بن محمَّد البيروتي، وخلقًا كثيرًا. وجمع، وصنَّف، وأملى.

حدَّث عنه: أبو القاسم البَغَوي، وهو أكبر منه، والجعابي، والشافعي، والطَّبراني، وابن عَديّ، والإسماعيلي، وأبو سليمان بن زَبْر، وأبو عمر بن حَيُّويه، وأبو طاهر المخلِّص، وعيسى بن الوزير، وأبو مسلم الكاتب، وخلقٌ كثير، وعبد الرَّحمن بن أبي شريح.

قال أبو يعلى الخلَيلي: «كان يقال: أئمة ثلاثةٌ في زمانٍ واحد: ابن أبي داود، وابن خُزَيْمة، وعبد الرَّحمن بن أبي حاتم».

قال الخلَيلي: «ورابعهم أبو محمَّد بن صاعد، ثقة إمام يفوق في الحفظ أهل زمانه، ارتحل إلى مصر والشام والحجاز والعراق، منهم من يقدمه في الحفظ على أقرانه، منهم أبو الحسن الدَّارَقُطني، مات في ثمان عشرة».

قال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي: «سألت الدَّارَقُطني عن يحي بن محمَّد بن صاعد، فقال: ثقة ثبت حافظ».

وقال حمزة بن يوسف السَّهْمي: «سألت أبا بكر بن عَبدان، فقلت: ابن صاعد أكثر حديثًا أو الباغَنْديّ؟ قال: ابن صاعد أكثر حديثًا، ولا يتقدمه أحدٌ في الدِّراية، والباغَنْدِيُّ أعلى إسنادًا منه».

قال الخطيب: «قد كان ابن صاعد ذا محلٍّ من العلم عظيم، وله تصانيف في السُّنن وترتيبها على الأحكام».

قال ابن شاهين وغيره: «توفي ابن صاعد بالكوفة في ذي القَعْدة سنة ثمان عشرة وثلاث مئة عن تسعين سنةً وأشهر».

* * *

(١) حدَّثنا أبو القاسم عُبَيْد الله بن أحمد الصَّيْدَلانيّ، قال: حدَّثنا أبو محمَّد يحي بن محمَّد بن صاعد، في سكة صاعد باب داره، في يوم السبت لخمسٍ بقين من شوال سنة ثمان عشرة وثلاثمائة إملاءً، قال: حدَّثنا الحسن بن عيسى النَّيْسابُوريُّ، في شوال سنة تسع وثلاثين ومائتين، في الرحبة إملاءً وكتبته بخطِّي، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا أسامة بن زَيْد، قال: حدَّثني سَعيد بن أبي هِنْدٍ، عن أبي مُرَّة مولى عقيل، فيما أعلم، عن أبي موسى الأشعري أن النَّبيّ ﷺ قال: «**من لعب بالنَّردِ فقد عصى الله ورسوله**»(١).

---

(١) **حديث حسن**

أخرجه الدَّارَقُطني في (العلل) (٧/٢٤٠) والخطيب في (تاريخه) (٧/٣٥٢) من طريق المصنِّف به.

وأخرجه الآجري في (تحريم النَّرد) (١١) عن قاسم بن المُطَرِّز عن الحسن بن عيسى به.

وأخرجه أحمد (٤/٣٩٤) عن عتَّاب بن زياد عن ابن المبارك به.

وقد خولف ابن المبارك، فرواه وكيع وأبو أسامة وابن وهب، ثلاثتهم عن أسامة بن زَيْد عن سَعيد بن أبي هِنْدٍ عن أبي موسى ﷺ مرفوعًا به، فلم يذكروا أبا مُرَّة مولى عقيل. أخرجه أحمد (٤/٣٩٤) وابن أبي شيبة (٨/٥٤٩- عوامَّة) قالا حدَّثنا وكيع، والبيهقي في (الشُّعب) (٦٤٩٨) وفي (الآداب) (٧٧١) من طريق أبي أسامة، وابن عبد البر في (التمهيد) (١٣/١٧٤) من طريق ابن وهب، ثلاثتهم عن أسامة بن زَيْد به.

وروايتهم أرجح، ويبدو أنَّ هذا من أسامة بن زَيْد وهو اللَّيْثيُّ، ففي حفظه مقال. قال أحمد: ليس بشيء، وقال: إن تدبَّرت حديثه فستعرف فيه النُّكرة، وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يُحتجُّ به، وقال النَّسَائيُّ:ليس بالقوي. وضعَّفه يحي القطان. وقال ابن معين: ثقة صالح، وقال: ليس به بأس، وقال ابن عَديٍ:هو كما قال ابن معين: ليس بحديثه بأس.

وإذ قد رجَّحنا هذا فإنَّ السندَ منقطعٌ، سعيدٌ لم يلق أبا موسى كما قاله أبو حاتم في (المراسيل) (ص٧٥).

ويؤيد هذا رواية جمعٍ عن سَعيد بن أبي هِنْدٍ عن أبي موسى ﷺ مرفوعًا به، وهم:

أولًا: رواية نافع عنه:

أخرجه ابن ماجه (٣٧٦٢) وأحمد (٤/٤٠٠) وابن أبي شيبة (٨/٥٤٧- عوامَّة) وعبد بن حميد (٥٤٧) والبخاري في (الأدب المفرد) (١٢٧٧) وأبو يعلى (٧٢٩٠) والبزَّار (٣٠٧٥) والروياني (٥٣٩) والمصنِّف رقم (٢) والخرائطي في (مساوئ الأخلاق) (٧٤٦) والآجري في (تحريم النَّرد) (١٤) والدَّارَقُطني في (العلل)=

=(٢٤٠/٧) والحاكم (٥٠/١) من طرقٍ عن عُبَيْد الله بن عمر عن نافع عن سَعيد بن أبي هِنْدٍ عن أبي موسى الأشعري ﵁ مرفوعًا به.
وخالفه أيوب:
فرواه عن نافع عن رجل عن أبي موسى ﵁ مرفوعًا به، فزاد رجلًا مبهمًا.
أخرجه عبد الرزَّاق (١٩٧٣٠) عن معمر عن أيوب به.
ورواه حمَّاد بن زيد عن أيوب عن نافع عن أبي موسى ﵁ موقوفًا به.
وحمَّاد بن زيد أثبت الناس في أيوب، وروايته أرجح، لا سيما وقد قال ابن معين:
«إذا حدَّثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاووس».
ووقف أيوب لا يضر رفع غيره، فإنه كان وقَّافًا، وكذلك كان حمَّاد بن زيد.
ثانيًا: رواية يزيد بن الهاد عنه:
أخرجه الحاكم (٥٠/١) من طريق اللَّيث عنه عن سَعيد بن أبي هِنْدٍ عن أبي موسى الأشعري ﵁ مرفوعًا به.
ثالثًا: رواية موسى بن ميسرة عنه:
أخرجه أبو داود (٤٩٣٠) وأحمد (٣٩٧/٤) والبخاري في (الأدب المفرد) (١٢٧٤) ومالك في (الموطأ) (١٧٨٦ - تنوير) وابن حِبَّان (٥٨٧٢) وابن أبي الدُّنيا في (ذم الملاهي) (٨٤) والبزَّار (٣٣٠٧) والرُّويَانِيُّ في (مسنده) (٥٤١) والبيهقي في (الشُّعب) (٦٤٩٨) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٣٣٠٧) والمحاملي في (الأمالي) (٣٧٩) من طرُقٍ عن موسى بن ميسرة به.
رابعًا: رواية موسى بن عبد الله بن سويد عنه:
أخرجه الآجري في (تحريم النَّرد) (١٥) من طريق يحي بن سعيد عن موسى بن عبد الله بن سويد به. وإسنادها منكر، إبراهيم بن صرمه كذَّبه ابن معين. وقال عنه ابن عَدِيٍّ: حدَّث عن يحي بن سعيد الأنصاري بنسخٍ لا يحدِّث بها غيره.
خامسًا: رواية عبد الله بن سعيد بن أبي هند عنه:
أخرجه أحمد (٣٩٢/٤) وعبد بن حُميد (٥٤٨) والحاكم (٥٠/١) عن عبد الرزَّاق عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن رجلٍ عن أبي موسى ﵁ مرفوعًا به. فزاد رجلًا مبهمًا، وقد وهَّم الحاكمُ عبد اللهَ بن سعيد بن أبي هند لهذه الزيادة. وقال الدَّارَقُطني في (العلل) (٢٣٨/٧-٢٣٩): «فاتفق نافع وعبد الله بن سعيد وموسى بن عبد الله بن سويد فرووه عن سعيد بن أبي هند عن أبي موسى مرفوعًا به».
قلت: الراجح رواية سعيد بن أبي هند عن أبي موسى ﵁، وهي ضعيفة لأنه لم يلقه.
وله طريق أخر:
أخرجه أحمد (٤٠٧/٤) وابن أبي الدُّنيا في (ذمّ الملاهي) (٧٦) وأبو يعلى (٧٢٨٩) والبيهقي (٢١٥/١٠) من طريق حُمْيد بن بشير عن محمَّد بن كعب عن أبي موسى ﵁ مرفوعًا به. وحُمَيْد مجهول الحال، وسنده لا بأس به في المتابعات.=

(٢) أخبرنا عُبَيْد الله، قال: حدَّثنا الحسن بن عيسى النَّيْسابُوريُّ، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا عُبَيْد الله، يعني ابن عمر، عن نافع، عن سَعيد ابن أَبي هِنْدٍ، عن أبي موسى الأشعري، عن النَّبيِّ ﷺ مثله(١).

(٣) حدَّثنا الحسن بن عيسى النَّيْسابُورِيُّ، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا وِقَاءُ بن إِيَاس، عن عليِّ بن رَبيعة، عن سَمُرَة بن جُنْدب، أن النَّبيَّ: «قام نخطب النَّاس فنهى عن الدُّبَّاءِ والمُزَفَّت»(٢).

=وهناك رواية منكرة أخرجها الآجري في (تحريم النَّرد) (١٣) من طريق عليّ بن يزيد. عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي موسى ﵁. وعليّ بن يزيد متروك.

ولمعناه شاهد:

أخرجه مسلم (١٠/٢٢٦٠) وأبو داود (٤٩٣٩) وابن ماجه (٦٤٩٧) والبخاري في (الأدب المفرد) (١٢٧١) وأحمد (٣٥٢/٥، ٣٥٧، ٣٦١) وابن أبي شيبة (٥٤٧/٨- عوامَّة) وابن حِبَّان (٥٨٧٣) والآجري في (تحريم النَّرد) (٩) والبيهقي في (الشُّعب) (٦٤٩٧) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٣٤١٥) من حديث بريدة ﵁ بلفظ: **«من لَعِبَ بالنَّرْدَشِير فكأنَّما صَبَغَ يده في لحم خِنْزِيرٍ ودَمِهِ».**

(١) **حديث حسن، وانظر ما قبله.**

(٢) **حديث صحيح**

وسنده يحتمل التحسين، فيه وِقَاء بن إياس ضعفَّه أحمد، وقال يحي القطان: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال ابن عَدِي: أرجو أنَّه لا بأس به. وأخرجه الخطيب (٤٥/١٢) من طريق المصنِّف بسنده سواء. وأخرجه أحمد (١٧/٥) وابن أبي شيبة (٤٧٤/٧- عوامَّة) والمصنِّف برقم (٤)
والطَّبراني (٦٧٥٨) وابن عَدِيٍ (٩٠/٧) من طرقٍ عن ابن المبارك به. وله شواهد:

أولًا: حديث عبد الله بن عبَّاس ﵄:

أخرجه البخاري (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٠٩٥، ٣٥١٠، ٤٣٦٨، ٤٣٦٩، ٧٢٦٦، ٧٥٥٦) ومسلم (٢٣/١٧، ٢٤، ٢٥) وأبو داود (٣٦٨٨) وأحمد (٢٧/١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٠٤، ٣٣٣، ٣٤١) وعبد الرزَّاق (١٦٩٢٧) وابن أبي شيبة (٤٧٧/٧-٤٧٨، ٤٨٠) وابن حِبَّان (٥٣٦٥) والطَّبراني (٢٢/١٢، ٥٢، ١١٣، ١٥٣، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥) وابن عبد البر في (التمهيد) (١٥٥/٥) وفيه:
«... وأنهاكم عن الدُّبَّاء والحَنْتمِ والنَّقِير والمُقَيَّر».=

(٤) حدَّثنا سفيان بن وكيع بن الجراح، في مسند سمرة بن جندب، قال: حدَّثنا زكريا بن عديّ، عن ابن المبارك، عن وِقَاء بن إيَاس، عن عليّ بن رَبيعة، عن

=**ثانيًا: حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه:**

أخرجه مسلم (١٨/٢٦، ١٩٩٦/٤٤، ٤٥) والنَّسَائيُّ (٣٠٦/٨) وابن ماجه (٣٤٠٣) وأحمد (٣٤/٣، ٤٦، ٩٠) والطيالسي (٢٢٢٩) وابن أبي شيبة (٤٧٥/٧، ٤٧٩) وعبد الرزَّاق (١٦٩٣٠) والطَّبراني (٥٤٣٩/٦).

ثالثًا: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

أخرجه مسلم (١٩٩٧/٤٦-٥٨) والنَّسَائيُّ (٣٠٣/٨، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩) وأبو داود (٣٦٨٦) والترمذي (١٨٦٨) وابن ماجه (٣٤٠٢) وأحمد (٥٠/١، ٣٥٢) و(١٠/٢، ٢٧، ٣٥، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٥٦، ٥٨، ٧٧، ٧٨، ٩٣) وعبد الرزَّاق (١٦٩٣٣) وابن أبي شيبة (٤٧٣/٧، ٤٧٥) والطَّبراني (٨٥/١٢، ٣٩٤، ٤٥٢) والبيهقي (٣٠٨/٨، ٣٠٩) وفي (المعرفة) (٥٢٣٤/٦) والخطيب (٣٣٣/١١) وفيه: **نهى رسول الله ﷺ عن الحَنْتَمِ والدُّبَّاء والمُزفَّت.**

رابعًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أخرجه مسلم (١٩٩٣/٣٢، ٣٣) والنَّسَائيُّ (٣٠٥/٨، ٣٠٦، ٣٠٩) وأبو داود (٣٦٨٩) وابن ماجه (٣٤٠١) وأحمد (٢٤١/٢، ٢٧٩) وعبد الرزَّاق (١٦٩٢٦) والحميدي (١٠٨١) وابن أبي شيبة (٤٦١/٧) وابن حِبَّان (٣٥٨١) وأبو يعلى (٦٠٧٧) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (٢٢٦/٤، ٢٢٧) والدَّارَقُطني (٢٥٨/٤) وفي (العلل) (٣٧٥/٩) والبيهقي (٣٠٩/٨) وفي (المعرفة) (٥٢٣٥، ٥٢٣٧).

خامسًا: حديث عليّ رضي الله عنه:

أخرجه البخاري (٥٥٩٤) ومسلم (١٩٩٤) والنَّسَائيُّ (٣٠٥/٨) وأبو داود (٣٦٩٣) وأحمد (٨٣/١) والبيهقي (٢٩٢/٨، ٢٩٣، ٣٠٨).

سادسًا: حديث أنس رضي الله عنه:

أخرجه البخاري (٥٥٨٧) معلقًا، ووصله مسلم (١٩٩٢/٣٠، ٣١) والنَّسَائيُّ (٣٠٥/٨، ٣٠٨) وأحمد (١١٠/٣، ١١٢، ١١٩، ١٦٥، ١٦٧) وعبد الرزَّاق (١٦٩٢٤) والبيهقي (٣٠٨/٨، ٣٠٩) وفي (المعرفة) (٥٢٣٥/٦) والخطيب (٨٨/٧).

سابعًا: حديث عائشة رضي الله عنها:

أخرجه البخاري (٥٥٩٥) وفي (التاريخ الكبير) (٩٢/٥) ومسلم (١٩٩٥) والنَّسَائيُّ (٣٠٥/٨، ٣٠٦، ٣٠٧) وأحمد (٤٧/٦، ١٣٣، ١٧٢، ٢٠٣، ٢٤٤، ٣٣٢، ٣٣٣) والطيالسي (١٣٧٦) وأبو نعيم في (الحلية) (١٣٠/٧) والبيهقي في (المعرفة) (٥٢٤٢) والخطيب (٣٠٥/١، ٤٠٠/٧).

سَمُرَةَ بن جُنْدب قال: «نهى النَّبيّ ﷺ عن الدُّبَّاء والحَنْتمِ»(١).

(٥) حدَّثنا لوين محمَّد بن سليمان، قال: حدَّثنا شريك بن عبد الله، عن سماك بن حرب، عن محمَّد بن حاطب، قال: دببت إلى قدرٍ لأهلي، فانكفأت على يدي فأحرقتها(*) بي أمي فأتت بي رجلًا بالبطحاء، فجعل يتكلم على يدي وينفث، فلما كان زمان عثمان قلت لأمي: من كان ذاك الرجل؟ فقالت: كان النَّبيّ ﷺ(٢).

---

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

سفيان بن وكيع كان صدوقًا، إلا أنَّه ابتُلي بورَّاق سوء كان يُدْخِلُ عليه ما ليس من حديثه، وكلمه العلماء في ذلك فلم يرجع؛ فضعَّفوه. وانظر ما قبله.

(*) كلمة غير واضحة، لعلها (فذهبت)

(٢) **إسناده ضعيف وهو صحيح بشواهده**

شريك سيء الحفظ، وسِماك صدوق تغير بآخره، وكان يُلقَّن فيتلقن.

أخرجه أحمد (٤١٨/٣، ٢٥٩/٤) وابن أبي شيبة (٤٠١/٧/٢٤٠٢٨- عوامَّة) والطَّبراني (٢٤٠/١٩) من طرُقٍ عن شريك به.

وقد توبع شريك:

أخرجه النَّسائي في (عمل اليوم) (١٠٣٢) وأحمد (٤١٨/٣، ٢٥٩/٤) والطيالسي (١١٩٤) وابن حِبَّان (٢٩٧٦) والطَّبراني (٢٤١/١٩/٥٣٩) من طرُقٍ عن شعبة، وأخرجه النَّسائي في (عمل اليوم) (١٠٣٤) والطَّبراني (٢٤١/١٩) والبيهقي في (دلائل النُّبوة) (١٧٤/٦) من طرُقٍ عن مسعر، وأخرجه النَّسائي في (عمل اليوم) (١٠٣٣) والطَّبراني (٢٤١/١٩، ٣٦٤/٢٤) من طريق ابن أبي شيبة، وهو في (المصنَّف) (٤٠٥/٧- ٤٠٦/٢٤٠٤١) من طريق زكريا ابن أبي زائدة، وأخرجه أحمد (٢٥٩/٤) من طريق إسرائيل، أربعتهم عن سماك به. وقد سمع شعبة من سماك قديمًا، فزال الخوف من تغيره.

وتوبع سماك بن حرب، تابعه:

١- عثمان بن إبراهيم بن محمَّد بن حاطب:

أخرجه أحمد (٤١٨/٣، ٤٣٧/٦) وابن حِبَّان (٢٩٧٧) والطَّبراني (٣٦٣/٢٤) والحاكم (٦٣/٤) والبيهقي في (دلائل النُّبوة) (١٧٥/٦) من طرُقٍ عن عبد الرَّحمن بن عثمان عن أبيه عثمان عن جده محمَّد بن حاطب به.=

(٦) حدَّثنا لوين محمَّد بن سليمان، قال: حدَّثنا أبو إسماعيل القنَّاد إبراهيم بن عبد الملك، عن يحي بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ:

=وعبد الرَّحمن بن عثمان قال عنه أبو حاتم: روى عن أبيه أحاديث منكرة، وهو ضعيف الحديث، يهولني كثرة ما يُسند.

أمَّا أبوه عثمان فقال عنه أبو حاتم: يُكتب حديثه وهو شيخ.

قلت: وسنده لا بأس به في المتابعات.

٢- الحارث بن محمَّد بن حاطب:

أخرجه الطَّبراني (٢٣٩/١٩) من طريق الحميدي عن عبد الله بن الحارث بن محمَّد بن حاطب عن أبيه عن جده محمَّد بن حاطب به.

وعبد الله بن الحارث قال عنه أبو حاتم: محله الصدق، صالح الحديث، والحارث بن محمَّد سكت عنه البخاري في (التاريخ الكبير)، وروى عنه ابنه وزافر بن سليمان، فهو مجهول الحال، ولا بأس به في المتابعات.

والحديث يحتمل التحسين بهذه المتابعات، وهو صحيح بشواهده، ومنها:

أولًا: حديث عائشة ﵂:

أخرجه البخاري (٥٦٧٥، ٥٧٤٣) ومسلم (٤٦/٢١٩١، ٤٧) والنَّسائي في (عمل اليوم) (١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤) وابن ماجه (١٦١٩، ٣٥٢٠) وأحمد (٤٤/٦، ٤٥، ٥٠، ١٠٩، ١١٥، ١٢٦، ١٢٧، ٢٠٨، ٢٦١، ٢٧٨) وعبد الله بن وهب في (مسنده) (١٢٩) وعبد الرزَّاق (١٩٧٨٣) والطيالسي (١٤٠٤) وابن أبي شيبة (٤٠٣/٧- ٤٠٤- ٢٤٠٣٦) وابن حِبَّان (٢٩٦٢، ٢٩٧٠، ٢٩٧١، ٢٩٧٢) وعبد بن حميد (١٤٩٧) وابن السُنِّي في (عمل اليوم) (٥٥١) والبيهقي (٣٨١/٣) والطَّبراني في (الدعاء) (١١٠٤) وأبو عمرو بن منده في (الفوائد) (٦٢) من طرقٍ عن عائشة ﵂: أن النَّبيّ ﷺ كان إذا أَتَى مريضًا أو أُتِي به إليه قال: «**أذهب البأس ربّ النَّاس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما**».

ثانيًا: حديث أنس ﵁:

أخرجه البخاري (٥٧٤٢) والنَّسائي في (عمل اليوم) (١٠٢٢) وأبو داود (٣٨٨٦) والترمذي (٩٧٣) وأحمد (١٥١/٣) وابن أبي شيبة (٧٩/٧) وابن السُنِّي في (عمل اليوم) (٥٤٣) والخطيب (٢٥٧/٤) والبغوي في (شرح السُنَّة) (٢٤٤/٥).

وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، وعليّ، وميمونة ﵃.

«لا صَاعَيْ تَمْرٍ بِصَاعٍ ولا صَاعَيْ حِنْطَةٍ بِصَاعٍ ولا دِرْهَمَيْنِ بدِرْهَم»(١).

---

(١) **حديث صحيح**

أخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٥٠/٥) من طريق المصنِّف به.

وأبو إسماعيل القنَّاد، قال عنه النَّسَائيُّ: لا بأس به، وضعَّفه ابن معين، وقال العقيلي: يهم في الحديث. وقال ابن حِبَّان: يخطيء، وقد توبع:

أخرجه البخاري (٢٠٨٠) ومسلم (١٥٩٥) والنَّسَائيُّ (٢٧٢/٧، ٢٧٢-٢٧٣) وفي (الكبرى) (٦١٤٧، ٦١٤٨) وأحمد (٤٩/٣، ٥٠-٥١) وعبد الرزَّاق (١٤١٩١) والطيالسي (٢٣٠٣) وأبو عوانة (٥٤٣٥، ٥٤٣٧، ٥٤٣٨، ٥٤٤٠) وابن الأعرابي (١١) والخطيب (٢٧٦/١٠) والبيهقي (٢٩١/٥) وابن عبد البر في (التمهيد) (١٣٣/٥، ١٣٤) من طرقٍ عن يحي بن أبي كثير به.

ورواه عنه: (شيبان، معمر، هشام الدسّتوائي، حرب بن شداد، الأوزاعي) **واختُلف على يحي بن أبي كثير:**

أخرجه النَّسَائيُّ (٢٧٣/٧) وفي (الكبرى) (٦١٤٩) من طريق يحي بن حمزة،

وأخرجه ابن حِبَّان (٥٠٢٤) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (٦٨/٤) من طريق الوليد بن مسلم،

وأخرجه ابن حِبَّان (٥٠٢٢) من طريق محمَّد بن حميد، ثلاثتهم عن الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه به.

وتوبع الأوزاعي على هذه الرواية:

أخرجه مسلم (٩٦/١٥٩٤) من طريق معاوية بن سلام عن يحي بن أبي كثير عن عقبة ابن عبد الغافر عن أبي سعيد رضي الله عنه به.

ويبدو أن يحي بن أبي كثير له فيه شيخان.

وتوبع يحي بن أبي كثير على الوجه الأول:

أخرجه ابن ماجه (٢٢٥٦) من طريق محمَّد بن عمرو بن علقمة،

وأخرجه الطَّحاوي في (شرح المعاني) (٦٨/٤) وفي (المشكل) (٦١٠٨) من طريق الحارث بن عبد الرَّحمن، كلاهما عن أبي سلمه عن أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه به. **وله شواهد:**

أولًا: حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنهما:

أخرجه البخاري (٢٢٠١، ٢٢٠٢، ٢٢٠٣، ٧٣٥٠، ٧٣٥١) ومسلم (٩٤/١٥٩٣، ٩٥) واللَّفظ له، والنَّسَائيُّ (٢٧١/٧-٢٧٢) ومالك في (الموطأ) (١٣١٥- تنوير) والدارمي (٢٥٧٧) من طريق سعيد بن المُسَّيب عنهما أن رسول الله ﷺ بعث أخا عَدِيٍ الأنصاري فاستعمله على خيبر، فقدم بتمرٍ جنيب، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَكُلَّ تمر خيبر هكذا؟**». قال: لا، والله، يا رسول الله، إنَّا لنشتري الصاع بالصاعين من الجمع. فقال رسول الله ﷺ:

«لا تفعلوا، ولكن مثلًا بمثلٍ، أو بيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا، وكذلك الميزان».=

(٧) حدَّثنا أبو هَمَّام الوليدُ بن شجاع السَّكُوني، قال: حدَّثنا محمَّد بن بِشْر العَبْدِيُّ، قال: سمعت الحسن بن صالح يحدث، عن خالد الفَزْرِ(*)، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ المُزَّاتِ حَرامٌ، ألا إنَّ المُزَّاتِ خَلْط البُسْرِ والتَّمرِ»(١).

=ثانيًا: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

أخرجه أحمد (١٠٩/٢) من طريق أبي جَنَاب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبيعوا الدِّينار بالدِّينارين، ولا الدِّرهم بالدِّرهمين، ولا الصَّاع بالصَّاعين، فإني أخاف عليكم الرِّما»، والرِّما هو الرِّبا، فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يبيع الفَرس بالأفراس والنجيبة بالإبل؟، قال: «لا بأس إذا كان يدًا بيدٍ».

وأبو جَنَاب يحي بن أبي حية الكلبي ليس بالقوي، وأبوه حيّ أبي حية الكلبي، قال عنه أبو زرعة: محله الصدق، وسنده لا بأس به في الشواهد.

(*) الفزر: ضبطها المزّي وعبد الغني بن سعيد بالكسرِ، وضبطها ابن ماكولا وابن ناصر الدِّين بالفتح، واختار الذهبي وابن حجر كلا الوجهين.

(١) حديث صحيح

وسند المصنِّف فيه ضعف، خالد الفَزْرِ، قال عنه ابن معين: يروى عنه الحسن بن صالح، ما سمعت أحدًا يروى عنه غيره، ليس بذاك، وقال أبو حاتم: شيخ.

وأخرجه أبو يعلى (٤٠٤٧) عن ابن أبي شيبة عن محمَّد بن بِشْر به.

وأخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) (١٦٦/١/٢) معلقًا، وأحمد (١٥٥/٣) وأبو يعلى (٤٠٣٥) والبيهقي (٣٠٧/٨) من طرقٍ عن الحسن بن صالح به. وله طرق عن أنس رضي الله عنه:

١- قتادة عن أنس رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (١٣٤/٣، ٢١٠، ٢٥١) وفي (الأشربة) (١٠٦)من طريقين عن قتادة عن أنس أنَّ النَّبيّ ﷺ نهى أن يُنْتَبَذَ التَّمر والبُسْر جميعًا، وسنده صحيح.

٢- حميد عن أنس رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (١٤٠/٣، ١٥٦-١٥٧) من طريق أبي جعفر الرَّازيّ عن حميد عن أنس قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُنْبَذَ التَّمر والزبيب جميعًا، وأن يُنْبَذَ التَّمر والبُسْر جميعًا. وأبو جعفر الرَّازيّ وثقّه علي بن المديني وأبو حاتم، وقال أحمد: ليس بقويٍ في الحديث، وقال ابن معين: ثقة يكتب حديثه ولكنه يخطيء. وسنده لا بأس به في المتابعات. وله شواهد:

أولًا: حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه:

أخرجه مسلم (٢٠/١٩٨٧، ٢١، ٢٢، ٢٣) وأحمد (٣/٣) وفي (الأشربة) (٥٠) والطيالسي (٢٢٢٩، ٢٢٤٤) بلفظ:=

(٨) حدَّثنا الحسنُ بنُ حمَّاد الحَضْرَمِيُّ سَجَّادَة، قال: حدَّثنا عَمرو بن هاشم، عن عُبَيْد الله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: كانت امرأة تأتي قومًا فتستعير منهم الحُلِيّ ثم تُمْسِكُهُ، قال: فَرُفِع ذلك إلى النَّبيّ ﷺ، فقال: «لِتَتُوب هذه المَرْأَةُ إلى الله وإلى رسولِهِ، وتَرُدَّ على النَّاسِ مَتَاعهم، قُمْ يا فُلان فَاقْطَعْ يدها»[١].

=«نهى عن التَّمر والزَّبيبِ أن يُخلط بينهما، وعن التَّمر والبُسْر أن يُخلط بينهما».

ثانيًا: حديث أبي قتادة رضي الله عنه:

أخرجه البخاري (٥٦٠٢) ومسلم (٢٦/١٩٨٨) وأبو داود (٣٧٠٠) وأحمد (٣٠٨/٥) وفي(الأشربة) (١٠٤ و١٠٥) أن نبيَّ الله ﷺ: «**نهى عن خليط التَّمر والبُسْر، وعن خليط الزَّبيبِ والتَّمر، وعن خليط الزَّهْوِ والرُّطَبِ**».

وقال: «**انْتَبِذُوا كلَّ واحدٍ على حِدَتِه**».

ثالثًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أخرجه مسلم (٢٦/١٩٨٩) النَّسَائيُّ (٢٩٣/٨) وابن ماجه (٣٣٩٦) وأحمد (٥٢٦/٢) وابن حِبَّان (٥٣٨١) واللفظ له: «**لا تَنْبِذُوا التَّمْرَ والزَّبِيبَ جميعًا، ولا البُسْرِ والتَّمْرَ جميعًا، وانبِذُوا كلَّ واحدٍ منهما على حدةٍ**».

رابعًا: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

أخرجه البخاري (٥٦٠١) ومسلم (١٩٨٦/١٧،١٦، ١٨، ٢٠) والنَّسَائيُّ (٢٩٠/٨) وأبو داود (٣٦٩٩) والترمذي (١٨٨٣) وابن حِبَّان (٥٣٧٩) أنَّ رسول الله ﷺ **نهى أن يُنْبَذ البُسْرُ والتَّمْرُ جميعًا**.

خامسًا: حديث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما:

أخرجه النَّسَائيُّ (٢٠٩/٨) وفي (الكبرى) (٦٨٠٤، ٦٨٠٥) وأحمد (٤٩/٣، ٩٠) من طرقٍ عن سعيد بن جُبير عنه، قال: «**نهى رسول الله عن الدُّبَّاء والحنْتَم، وعن البُسْرِ والتَّمْرِ أن يُخلطا**».وسنده صحيح.

سادسًا: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

أخرجه الطيالسي (٥٣٣) من طريق علي بن زيد عن صَفْوان بن مُحْرِزٍ قال خطبنا الأَشْعَرِيّ على منبر البصرة، فقال: «**ألا إنَّ الخمر التي حُرِّمت بالمدينة خليط البُسْر والتَّمر**». وعلي بن زيد بن جُدْعان فيه ضعفٌ. قال عنه أحمد وأبو زرعة: ليس بالقوي، وقال ابن معين: ليس بذاك القوي. وسنده لا بأس به في الشواهد.

(١) **إسناده ضعيف وهو صحيح بشواهده**

أخرجه الخطيب (٣٢٦/٤) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٧٨/٥-٧٩) والمزِّي في (تهذيب الكمال) (١٣٢/٦-١٣٣) والذهبي في (السِّير) (٣٩٣/١١) وفي (تاريخ الإسلام) (٣٢٦/١٣) وعيسى بن الوزير في (الثاني من حديثه) رقم (٣٥) من طرقٍ عن المصنِّف به.=

=وأخرجه النَّسَائيُّ (٧١/٨) وفي (الكبرى) (٧٣٧٦) عن عثمان بن عبد الله، وأخرجه الطَّبراني (٣٦٦/١٢) عن عبد الله بن أحمد، كلاهما عن الحسن بن حمَّاد به. وأخرجه البزَّار (٥٧٤٥) والمِزِّي في (تهذيب الكمال) (١٣٢/٦-١٣٣) والذهبي في (السِّير) (٣٩٣/١١) وفي (تاريخ الإسلام) (٣٢٦/١٣) من طريق عبد الله بن الوضَّاح اللؤلؤي عن عمرو بن هاشم به.

وعمرو بن هاشم أبو مالك الجَنْبِيّ ضعيف، وخولف في رفعه، فقد أرسله اثنان:

أولًا: يحي بن عبد الله بن سالم:

قال الدَّارَقُطني في (العلل) (٣٢٦/١٢): رواه يحي بن عبد الله بن سالم عن عبيد الله بن عمر عن نافع: «أن امرأة كانت...»، مرسلًا.

وقال الدَّارَقُطني: والمرسل أشبه.

ثانيًا: شعيب بن إسحاق:

أخرجه النَّسَائيُّ (٧١/٨) وفي (الكبرى) (٧٣٧٧) عن محمَّد بن الخليل عن شعيب ابن إسحاق عن عُبيد الله بن عمر عن نافع «أن امرأة كانت...»، هكذا مرسلًا. **وخالفه سليمان بن عُبيد الله:**

فرواه عن شعيب عن عُبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا به.

أخرجه أبو عوانة (٦٢٤٤) عن محمَّد بن علي بن ميمون الرقِّيّ عن سليمان به. ومحمَّد بن الخليل أثبت من سليمان بن عُبيد الله، فالراجح في رواية شعيب الإرسال. **واختُلف على نافع:**

أخرجه النَّسَائيُّ (٧٠/٨، ٧٠-٧١) وفي (الكبرى) (٧٣٧٤، ٧٣٧٥) وأبو داود (٤٣٩٥) وأحمد (١٥١/٢) والطَّحاوي في (المشكل) (٢٣٠٢)و أبو عوانة (٦٢٤٣) والطَّبراني في (الأوسط) (٢٩٩٦) من طريق معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا به.

قال الدَّارَقُطني في (العلل) (٣٢٦/١٢):

«رواه الثقفي عن أيوب مرسلًا، والمرسل أشبه»

وقال البزَّار (١٥٢/١٢): «وهذا الحديث مما أنكره النَّاس على معمر».

وقال أبو حاتم في (العلل) (١٣٦١):

«رواه اللَّيث بن سعد عن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عَنَج عن نافع أنَّ صفية بنت أبي عُبيد أخبرته: **أنَّ امرأة كانت تستعير المتاع في عهد رسول الله ﷺ ثُمَّ تجحده، فأمر النَّبيّ بقطع يدها»**. ثمَّ قال أبو حاتم: «مرسلٌ، وهذا أشبه».

وتابعه جويرية بن أسماء عن نافع عن صفية به:

أخرجه أبو عوانة (٦٢٤٥) بسندٍ صحيح.

قلت: حديث المصنِّف الراجح فيه الإرسال، لكن له شواهد صحيحة، وهي:

أولًا: حديث عائشة رضي الله عنها:

أخرجه البخاري (٣٤٧٥، ٤٣٠٤، ٦٧٨٧، ٦٧٨٨) ومسلم (١٦٨٨/٨، ٩) وأبو داود (٤٣٧٣)=

(٩) حدَّثنا عُقْبَة بن مُكْرَم العَمّيُّ البَصْرِيُّ، ببغداد سنة اثنين وأربعين ومائتين، قال: حدَّثنا يعقوب بن إسحاق الحَضْرَميّ، قال: حدَّثني بَشِيرُ بن عُقْبَة، قال: أخبرنا أبو المُتَوكّل النَّاجِيُّ، قال: أتيت جابر بن عبد الله، فقلت: حدِّثْني بشيءٍ شَهِدْتَه من رسول الله ﷺ قال: «تُوفِّيَ والدِي وترك عليَّ وعليه عِشْرِينَ وسْقًا من تمر، ولنا تمرٌ يسير العجوة، لا يفي بما علينا من الدَّيْنِ، فأتيت النَّبيّ ﷺ، فبعث إلى غريمي، فأبي (إلا) (*) أن يأخذ العجوة كلها.

فقال رسول الله ﷺ: «**انْطَلِق فَأَعْطِه**».

فانطلقت إلى عريشٍ لنا من النَّخل، قال: ومعي صاحبتي وليست بهذه، ومعه امرأة له، فعالجنا نخلنا وصرّمنا، ولنا عَنْزٌ نُطْعِمُها من الحَشَفِ، فقد سَمِنَتْ، إذ أقبل رجلان، فإذا رسول الله ﷺ وعمر.

فقلت: مرحبًا برسول الله، ومرحبًا يا عمر.

فقال رسول الله ﷺ: «**انطلق يا جابر حتى نطوف في نخلك**».

=والترمذي (١٤٣٥) وابن ماجه (٢٥٤٧) والدارمي (٢٣٠٣) وأبو عوانة (٦٢٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، عن المرأة المَخْزُومِيَّة التي سرقت، وفيه قول النَّبيّ ﷺ:

«**... والذي نفسي بيده! لو كانت فاطمة بنت محمَّد لقطعت يدها**».

وفي رواية مسلم (١٦٨٨/١٠) وأبي داود (٤٣٧٤) وأحمد (١٦٢/٦)، قالت عائشة رضي الله عنها: كانت امرأة مَخْزُومِيَّةٌ تستعير المتاع وتجحده، فأمر النَّبيّ ﷺ أن تُقْطَع يَدُهَا.

ثانيًا: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

أخرجه مسلم (١٦٨٩) وأبو عوانة (٦٢٤٦، ٦٢٤٧) وفيه أنَّ امرأة من بني مخزوم سرقت، فأُتي بها النَّبيّ ﷺ فعاذت بأمّ سلمه رضي الله عنها فقال النَّبيّ ﷺ: «**والله! لو كانت فاطمة لقطعت يدها**»، فَقُطِعَت.

(*) استدركتها من رواية أحمد (٣٧٣/٣) حتى يكتمل السياق.

فقلت: نعم، وأمرتُ بالعَنْزِ فَذُبِحَت. فَطُفْنا ثم جيء بمائدة لنا عليها رطب ولحم، فَقُدِّمت إلى النَّبيّ ﷺ وعمر، فأكلا.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن ينهض، قالت صاحبتي: دعواتٌ منك. قال: «**نعم، فبارك الله لكم**».

فأرسلت إلى غُرَمائي فجَاؤوا بأحْمِرَةٍ وجَواليق، وقد حدَّثتُ نفسي أن أشْتَرِيَ حتى أُوفِيَهم ما كان على أبي من الدَّيْن.

قال: فو الذي نفسي بيده لقد أوْفَيْتُهم عشرين وسْقًا، وفَضَلَ معنا فَضْلٌ كثير. قال: فأتيت النَّبيّ ﷺ فبشَّرته.

فقال: «**اللهمَّ لكَ الحَمْدُ، اللهمَّ لكَ الحَمْدُ**». قال: «**أخبر عمر**»، فجعلا يحمدان الله ﷻ(١).

(١٠) حدَّثنا سعيد بن عبد الرَّحمن أبو عُبَيْد الله المخْزُوميّ، بمكة سنة خمس وأربعين ومائتين، قال: حدَّثنا سفيان بن عيينة، عن ابن عجلان وعَمرو بن دِينَار، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن، جده، يزيد أحدهما على صاحبه، قال: لما

---

(١) حديث صحيح

وسنده صحيح على شرط مسلم.

وأخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (١١/٢٢٧-٢٢٨) من طريق المصنِّف به. وأخرجه أحمد (٣/٣٧٣) عن أبي سعيد عن أبي عقيل بشِير بن عُقْبَة به. وأخرجه البخاري (٢١٢٧، ٢٣٩٥، ٢٣٩٦، ٢٤٠٥، ٢٦٠١، ٢٧٠٩، ٢٧٨١، ٣٥٨٠، ٤٠٥٣) والنَّسائيُّ (٦/٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦) وأبو داود (٢٨٨٤) وابن ماجه (٤٣٤) وأحمد (٣/٣١٣) والفريابي في (دلائل النُّبوة) (٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٣) وابن أبي شيبة (١١/٤٦٩) وأبو يعلى (١٩٢١) وابن حِبَّان (٦٥٣٦، ٧١٣٩) وأبو نُعيم في (دلائل النُّبوة) (٣٤٥) والبيهقي في (دلائل النُّبوة) (٦/١٥٠) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٣٦١٦، ٣٧٢٢) من طرُقٍ عن جابر ﷺ به.

انصرف رسول الله من حُنَيْن، فظل يسير حتى سأله النَّاسُ ورهَقُوه، فخاصت به ناقته، فأخذت شجرةٌ بردائه، فقال النَّبيّ ﷺ: «**ردُّوا عليَّ كِسَائِي، أتخافون على البُخْلَ فو اللهِ لو أفاء الله عليكم مثل سَمُرِ تِهَامَة نَعَمًا لقَسَمْتُه بينكم ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذابًا**». قال: فلما كان عند قَسْمِ الخُمُس قام إليه رجل يستحله مِخْيَطًا أو خِيَاطًا، فقال: «**ردُّوا الخِيَاطَ والمِخْيَطَ، فإنَّ الغُلُول عارٌ وشنارٌ ونارٌ على أَهْلِهِ يوم القيامةِ**». ثم رفع وبرةً من ذِرْوَةِ سَنَام، فقال: «**ما لي مِمَّا أفاء اللهُ عليكم ولا مِثْلُ هذه إلا الخُمُس، والخُمُس مردودٌ عليكم**»(١).

(١) **إسناده حسن وهو صحيح بشواهده**

أخرجه الطَّبراني في (الأوسط) (١٨٦٤) من طريق سعيد بن عبد الرَّحمن.

وأخرجه ابن زنجويه في (الأموال) (١١٣٨) من طريق يعقوب بن أبي عبَّاد، كلاهما عن ابن عيينة عنهما به.

وأخرجه البيهقي (١٧/٧، ١٠٢/٩) وفي (المعرفة) (٥٤٣٧) من طريق إبراهيم ابن بشَّار عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وحده به.

واختُلف على سفيان بن عيينة:

فأخرجه البيهقي (١٧/٧) من طريق الحميدي وسعيد بن منصور، وهو في (السنن) رقم (٢٧٥٤)، كلاهما عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن النَّبيّ ﷺ، هكذا معضلًا. وأخرجه البيهقي (١٧/٧) من طريق الحميدي وسعيد بن منصور، وهو في (السنن) (٢٧٥٤)، كلاهما عن سفيان بن عيينة عن ابن عجلان به.

وخالفهما عبد الرزَّاق (٩٤٩٨) فرواه عن سفيان بن عيينة عن ابن عجلان عن عمرو بن شعيب، فأرسله. ورواية الجماعة أرجح.

وتابع محمَّد بن إسحاق كلًا من ابن عجلان وابن دينار على وصله:

أخرجه النَّسَائيُّ (٢٦٢/٦-٢٦٤، ١٣١/٧-١٣٢) وأبو داود (٢٦٩٤) وأحمد (١٨٤/٢) وابن عبد البر في (التمهيد) (٤٨/٢٠-٤٩) من طرقٍ عن حمَّاد بن سلمة عن محمَّد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب به.

ورواه عن حمَّاد: (عبد الصمد، حجَّاج بن منهال، موسى بن إسماعيل، ابن أبي عديّ)

وخالفهم عبد الواحد بن غياث:

فرواه عن حمَّاد بن سلمة عن عمرو بن شُعيب، فحذف محمَّد بن إسحاق، ورواية الوصل أرجح، لا سيما وقد تُوبع عليها حمَّاد:

أخرجه أحمد (٢١٩/٢) عن إبراهيم بن سعد، وابن الجارود في (المنتقى) (١١٥٨) عن عبد الأعلى، والبيهقي (٣٣٦/٦- ٣٣٧) من طريق يونس بن بكير، ثلاثتهم عن محمَّد ابن إسحاق به.=

(١١) حدَّثنا سعيد بن عبد الرَّحمن أبو عُبَيْد الله المخزومي، قال: حدَّثنا سفيان بن عيينة، عن أيوب السختياني، عن محمَّد بن سيرين، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكةُ تلعنُ أحَدِكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأُمِّه»(١).

=واختُلف على عمرو بن شعيب:
فأخرجه مالك في (الموطأ) (٩٤٤- تنوير) عن عبد الرَّحمن بن سعيد، وابن أبي شيبة (٥١١/٤) عن يحي بن سعيد، والقاسم بن سلام في (الأموال) (٦٣٢، ٧٦٦)، وابن زنجويه في (الأموال) (٤٨٤) من طريق الأوزاعي، ثلاثتهم عن عمرو بن شعيب مرسلًا به. والوصل زيادة تقبل من الثقة، ويمكن الجمع بصحة الوجهين. وله شاهد:
أخرجه البخاري (٢٨٢١، ٣١٤٨) وأحمد (٨٢/٤، ٨٤) وعبد الرزَّاق (٩٤٩٧، ٢٠٠٤٩) وأبو يعلى (٧٣٦٧) والطَّبراني (١٣٠/٢، ١٣١) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٣٥٨٣) وابن عبد البر في (التمهيد) (٥١/٢٠) من حديث جُبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعًا ومختصرًا بالفقرة الأولى فقط: «...أعطوني ردائي، فلو كان عددُ هذه العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بينَكُم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذَّابًا ولا جبانًا».

(١) حديث صحيح
أخرجه ابن عساكر في (معجمه) (٤٠٦) من طريق المصنِّف به.
وأخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) كما في (التحفة) (٣٣٦/١٠) عن سعيد بن عبد الرَّحمن به.
وأخرجه مسلم (١٢٥/٢٦١٦) من طريق سفيان بن عيينة به.
وخالفه حمَّاد بن زيد، فرواه عن أيوب موقوفًا به:
أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) كما في (التحفة) (٣٣١/١٠) والترمذي على إثر (٢٠٦٩) من طريق حمَّاد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا به.
وسُئِل أبو حاتم عن هذا في (العلل) (٢٢٦٦، ٢٧٣٧)، فقال:
«رواه حمَّاد بن سلمة عن أيوب ويونس عن محمَّد عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ». ثم قال أبو حاتم: المسند أصح.
ويؤيده ما أخرجه الذهبي في (تاريخ الإسلام) (٢٠٨٩/٤٣) بسندٍ حسن إلى أبي شهاب الحنَّاط عن يونس عن محمَّد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به.
وقال يعقوب بن شيبة: «... غير أن حمَّاد بن زيد معروف بأنه يقصر في الأسانيد، ويوقف المرفوع، كثير الشك بتوقيه، وكان جليلًا لم يكن له كتاب يرجع إليه، فكان أحيانًا يذكر فيرفع الحديث، وأحيانًا يهاب الحديث ولا يرفعه».
وأخرجه الترمذي (٢١٦٩) من طريق خالد الحذَّاء، والطَّبراني في (الأوسط) (٤٤٤٥) من طريق مطر الورَّاق=

(١٢) حدَّثنا العبَّاس بن الوليد بن مَزْيَد العذرى ببيروت، قال: أخبرنا محمَّد بن شعيب بن شابور، قال: حدَّثنا يزيد بن أبي مريم، عن قذعة، أنه أخبره عن أبي سعيد الخُدْرِيّ وعبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه

=وفي (٩٤٥) من طريق سالم الخيَّاط، ثلاثتهم عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به. ورواه أخرون عن محمَّد بن سيرين، وهما: ١- ابن عون عنه:

أخرجه مسلم على إثر (١٢٥/٢٦١٦) عن ابن أبي شيبة وهو في (المصنَّف) (٣٨٥٤١/١٠٦/١٥) والنَّسائيُّ في (الكبرى) كما في (التحفة) (٣٤٣/١٠) وأحمد (٢٥٦/٢، ٥٠٥) والبيهقي (٢٣/٨) وفي (الشُّعب) (٥٣٣٥) من طريق يزيد بن هارون،

وأخرجه الطَّبراني في (الأوسط) (٤١٦٩) من طريق العلاء بن هارون، كلاهما عن ابن عون عن محمَّد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به.

وقال أحمد على إثر (٢٥٦/٢): ولم يرفعه ابن أبي عديٍّ.

وخالفهما سليم الأخضر، فرواه عن ابن عون عن محمَّد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا به. أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) كما في (التحفة) (٣٤٣/١٠) عن أحمد بن عبده عن سليم به.

٢- هشام ابن حسَّان عنه:

أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) كما في (التحفة) (٣٤٣/١٠) وابن حِبَّان (٥٩٤٤، ٥٩٤٧) من طرقٍ عن هشام بن حسَّان عن محمَّد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به.

ورواه عن هشام: (عيسى بن يونس، يزيد بن هارون، النَّضر بن شُميل)

وخالفهم مكي، فوقفه على هشام كما قاله الدَّارَقُطني في (العلل) (١٨٤١).

ثم قال الدَّارَقُطني: «والأشبه بالصواب المسند، وهو الصحيح».

وله طريقين عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أولًا: أبو سلمة عنه:

أخرجه الطَّبراني في (الأوسط) (٤١٦٩، ٦٦٧١) وفي (الشاميين) (١٣٠٧) وأبو نعيم في (الحلية) (١٣٤/٦) من طرقٍ عن ضمرة عن ابن شوذب عن محمَّد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به.

قال أبو حاتم في (العلل) (٢٧٦٧): منكر بهذا الإسناد.

ثانيًا: إبراهيم بن أبي يحي عنه:

أخرجه الخطيب في (المتفق والمفترق) (١٠٤) من طريق محمَّد بن أحمد الأهوازي عن إبراهيم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به، ولم أقف على رواته.

قال: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مَساجِدَ: المسْجِد الحرام، والمسجد الأقصى ومسجدي هذا، ولا تسافر امرأة مسيرة يومين إلا مع زوجها أو ذي مَحْرَمٍ من أَهْلِهَا»(١).

---

(١) إسناده صحيح

أخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٨١/٦٥) من طريق المصنِّف به.

وأخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٨٢/٦٥) من طريق محمَّد بن يوسف، وفي (٣٨١/٦٥-٣٨٢) من طريق خيثمة بن سليمان، وهو في (حديثه) (١٨٥/١)، وتمَّام في (الفوائد) (١٢٥٥) من طريق أبي علي الحسن بن حبيب، ثلاثتهم عن العبَّاس ابن الوليد به.

وأخرجه ابن ماجه (١٤١٠) والطَّحاوي في (المشكل) (٥٧٩) والطَّبراني في (الشاميين) (١٤٠٠) من طريق هشام بن عمَّار عن محمَّد بن شعيب به.

وتوبع محمَّد بن شعيب، تابعه صدقة بن خالد:

أخرجه ابن خُزَيْمة (٢٥٢٢) والطَّبراني في (الشاميين) (١٤٠٠) من طريق محمَّد بن المبارك الصوري عن صدقة عن يزيد به.

ورواه جمعٌ عن قزعة عن أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه:

أخرجه البخاري (١١٨٨، ١١٩٧، ١٨٦٤، ١٩٩٥) وفي (التاريخ الكبير) (٢٠٣/٧-٢٠٤) ومسلم (٤١٥/٨٢٧، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨) والترمذي (٣٢٦) وأبو نعيم في (المستخرج) (٣١١٢) وأحمد (٧/٣، ٣٤، ٤٥، ٧٧، ٧٨) وابن أبي شيبة (١٥٧٩٢ - عوامة) والحميدي (٧٥٠) وأبو يعلى (١١٥٥، ١١٦٠، ١١٦١) والطَّحاوي في (المشكل) (٢٥٧٧، ٢٥٧٨) وابن حِبَّان (١٦١٧، ٢٧٢٣، ٢٧٢٤) والبيهقي (٤٥٢/٢، ١٣٨/٣) والطَّبراني في (الشاميين) (١٦٨٤) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٤٥١) وتمَّام في (الفوائد) (١٦٩٣) وابن الأعرابي (١٣٥٥، ٢٠٥٧) والمزِّي في (تهذيب الكمال) (٦٠٠/٢٣) من طرقٍ عن قزعة عن أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه. وله شواهد، منها:

أولًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أخرجه البخاري (١٠٨٨، ١١٨٩) ومسلم (٤١٩/١٣٣٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢) و(٥١١/١٣٩٧، ٥١٢، ٥١٣) والنَّسَائيُّ (٣٧/٢) وأبو داود (١٧٢٠، ١٧٢١) والترمذي (١١٧٠) وابن ماجه (١٤٠٩) ومالك في (الموطأ) (٢٤٣- تنوير) وأحمد (٢٣٤/٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٧٨، ٣٤٧، ٤٢٣، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٩٣، ٥٠١، ٥٠٦) و(٧/٦) والدارمي (١٤٢١) وعبد الرزَّاق (٩١٥٨) وابن خُزَيْمة (٢٥٢٣، ٢٥٣٤، ٢٥٢٥) وابن حِبَّان (١٦٣١، ٢٧٢١، ٣٧٥٨) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (١٨٤٤) والخطيب (٢٢٢/٩) والبيهقي (١٣٩/٣، ٢٤٤/٥) والطَّحاوي في (المشكل) (٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٥).=

(١٣) حدَّثنا محمَّد بن يزيد بن رِفاعة أبو هشام الرِّفاعي، قال: حدَّثنا يحي بن يعلى الأَسْلميُّ، عن سعد الإِسْكاف، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سلمة بن كُهَيل، عن أبي عبد الله الجَدَلِيّ، عن أُمِّ سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأُبغِضُ المرأَةَ تخرج من بيتها، تجرُّ ذيلها، تَشْكو زوجها**»(١).

(١٤) حدَّثنا أبو هشام(*) القاضي محمَّد بن يزيد، قال: حدَّثنا إسحاق بن سليمان الرازي، حدَّثنا الجراح بن الضحاك الكندي، عن كريب الكندي، قال: انطلق بي علي بن الحسين إلى شيخ من قريش، يقال له ابن أبي حثمة، وهو يصلي إلى اسطوانة، فلما رأى على بن الحسين، انصرف. فقال له على بن

=**ثانيًا: حديث عبد الله بن عبَّاس** رضي الله عنهما: أخرجه البخاري (١٨٦٢) ومسلم (١٣٤١/٤٢٤) وأحمد (٢٢٢/١، ٣٤٦) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (١٨٤٢) والبيهقي (١٣٩/٣)من طريق أبي معبد مولى بن عبَّاس عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، مرفوعًا بلفظ: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**».

ثالثًا: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

أخرجه البخاري (١٠٨٦، ١٠٨٧) ومسلم (١٣٣٨/٤١٣، ٤١٤) وأبو داود (١٧٢٤) وأحمد (١٣/٢ و١٩) وابن خُزَيْمة (٢٥٢١) وابن حِبَّان (٢٧٢٠، ٢٧٢٢) والبيهقي (١٣٨/٣) من طرقٍ عن نافع عنه مرفوعًا بالفقرة الثانية فقط.

(١) **حديث منكر**

أخرجه الطَّبراني (٣٢٣/٢٣) وفي (الأوسط) (٦٠٠٧) عن محمَّد بن الحسين بن مكرم عن أبي هشام الرفاعي به.

وخالفه عباد بن يعقوب، فرواه عن يحي بن يعلى عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة ابن كُهيل عن أبي صادق الجدلي عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها به، قاله الدَّارَقُطني في (العلل) (١٥/رقم٣٩٨٥). فحذف سعدًا وزاد أبا صادق.

ونقل ابن طاهر في (أطراف الغرائب) (٣٨٩/٥) قول الدَّارَقُطني: غريب من حديث سلمة بن كُهيل، تفرد به يحي بن يعلى عن سعد الإسكاف».

وسعد الإسكاف متروك، ويحي بن يعلى ضعيف، وتفرده به منكر.

(*) في الأصل (أبو هاشم) وهو خطأ.

الحسين: حدِّثنا حديث أُمِّك، فقال: حدَّثتني أمِّي أنها كانت ترقى برقية لها في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، قالت: لا أرقي بها حتى أستأمر النَّبيَّ ﷺ فأتيته فاستأمرته، فقال: «**ارقي بها ما لم يكن شركًا**»(١).

(١٥) حدَّثنا أبو هشام الرفاعى، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عيَّاش، قال: حدَّثنا الأعمش، عن أبي بشر، عن عبد الله بن شقيق، عن عمران بن حصين أن النَّبيَّ ﷺ أشرف على المدينة فقال: «**ويل أُمِّها من قرية يخرج عنها أهلها أحسن ما كانت، فيأتيها الدَّجَّال، فلا يأتي بابًا منها إلا وجد عليه ملكًا مصلتًا سيفه، فيرجع ولايدخلها**»(٢).

---

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

أخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٢١٤/٢٢) من طريق المصنِّف به.

وأخرجه ابن حِبَّان (٦٠٩٢) والطَّبراني (٢٤/رقم٧٩٦) من طريق محمَّد بن العلاء، والحاكم (٥٧/٤) من طريق حامد بن أبي حامد المقرئ، كلاهما عن إسحاق بن سليمان الرَّازيّ به.

وإسناده ضعيف، كريب الكنديّ مجهول، سكت عنه أبو حاتم في (الجرح والتعديل) (١٦٩/٧)، وذكره ابن حِبَّان في (الثقات) (٣٣٩/٥)، ولم يرو عنه إلا الجرَّاح بن الضَّحاك.

وله شاهد من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنَّا نرقي في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟، فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرق ما لم تكن شركًا**». أخرجه مسلم (٢٢٠٠/٦٤) والبخاري في (التاريخ الكبير) (٥٦/٧) معلقًا، وأبو داود (٣٨٨٢- عون) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (٣٢٨/٤) وابن حِبَّان (٦٠٩٤) والطَّبراني (٨٨/٨) والبيهقي (٣٤٩/٩) وابن عبد البر في (التمهيد) (٢٧٢/٢) والضياء في (الطب النبوي) (٨٤).

(٢) **حديث صحيح**

أبو هشام الرفاعي قال عنه ابن معين: ما أرى به بأسًا، وضعَّفه النَّسَائيُّ وغيره. وأبو بكر بن عيَّاش وثَّقه ابن معين، وقال أحمد: ثقة ربما غلط، وقد توبع: أخرجه الطَّبراني (٥٧٣/١٨) وابن شبَّة في (تاريخ المدينة) (٢٧٥/١)من طريق جرير ابن عبد الحميد عن الأعمش به.

وخولف الأعمش، خالفه شعبة وأبو عوانة:

أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٣٤١) وأحمد (٣٣٨/٤، ٣٢/٥) وابن أبي شيبة (١٤٠/١٥-١٤١/ ٣٨٦٣٩) وفي (مسنده) (٥٩٦) وابن أبي عاصم في (الأحاد والمثاني) (٢٣٨٣، ٢٣٨٤) والطَّبراني=

(١٦) حدَّثنا الحسن بن عرفه في منزله بالعسكر(*)، قال: حدَّثنا هشيم بن بشير، عن علي بن زيد بن جدعان، عن النَّضْر بن أنس، قال: كتب زيد بن أرقم إلى أنس بن مالك أنَّه بلغني وجْدُك وحُزْنُك على من قُتل من بني عمِّك يوم الحرَّة، وإنِّي أبشرك ببشرى من الله ﷻ، إنِّي سمعت رسول الله يقول: «**اللهم اغفر**

=(٥٧٣/١٨) وابن شبَّة في (تاريخ المدينة) (٢٧٣/١-٢٧٤) وأبو جعفر بن البختري في (مجموع له) (٧٦٥) من طرقٍ عن شعبة.

وأخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٣٤٢) وأحمد (٣٣٨/٤، ٣٢/٥) والطيالسي (١٢٩٥) وحنبل بن إسحاق في (الفتن) (٩) والقُضاعي في (الشهاب) (١٢٢٤) والطَّبراني (٢٩٦/٢٠) وابن أبي عاصم في (الأحاد والمثاني) (٢٣٨٤) وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) (٦٢٠٤) والمزِّي في (تهذيب الكمال) (١٦٠/٩-١٦١) من طرقٍ عن أبي عوانة، كلاهما عن أبي بشر عن عبد الله بن شقيق عن رجاء بن أبي رجاء عن محجن بن الأدرع ﵁ مرفوعًا به.

فزاد شعبةُ وأبو عوانةُ رجاء في سنده، ونقلاه إلى مسند محجن بن الأدرع ﵁. وروايتهما أرجح، وهو محفوظ من حديث محجن بن الأدرع ﵁.

ورجاء بن أبي رجاء لم يرو عنه إلا عبد الله بن شقيق، ووثَّقه العجلي.

وجوَّده كهمس والجريري وخالد الحذَّاء، فرووه عن ابن شقيق عن محجن مرفوعًا به:

أخرجه أحمد (٣٢/٥) والطَّبراني (٧٠٦/٢٠) وفي (الأوسط) (٢٤٧٦) وأبو نعيم في (الحلية) (٢١٤/٦) وفي (معرفة الصحابة) (٦٢٠٢) والحاكم (٤٢٧/٤) وابن شبَّة في (تاريخ المدينة) (٢٧٤/١) من طرقٍ عن كهمس، وأخرجه أحمد (٣٢/٥) والطَّبراني (٧٠٧/٢٠) وابن قانع في (معجم الصحابة) (٦٦/٣) وابن شبَّة في (تاريخ المدينة) (٢٧٤/١-٢٧٥) والحاكم (٥٤٣/٤) من طريق حمَّاد بن سلمة عن الجريري، وأخرجه الحاكم (٥٤٣/٤) من طريق خالد الحذَّاء، ثلاثتهم عن عبد الله بن شقيق عن محجن بن الأدرع مرفوعًا به.

والجريري تغير بآخره، وسماع حمَّاد بن سلمة منه صحيح، فإسناده صحيح. وله شواهد، منها: ما أخرجه البخاري (١٨٨٠، ٥٧٣١، ٧١٣٣) ومسلم (١٣٧٩) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٤٢٥٩، ٧٤٨٤) ومالك في (الموطأ) (١٦٤٩- تنوير) وأحمد (٢٣٧/٢، ٣٧٨) من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: «**على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدَّجَّال**».

(*) العسكر: قال ياقوت في (معجم البلدان) (١٧٣/٣): «مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة».

للأَنْصَار، ولذَرَارِيِّهم، ولِذَرَارِيِّ ذَرَارِيِّهم»[(١)].

(١٧) حدَّثنا بحر بن نصر بن سابق الخولانى، حدَّثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرنى عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، عن ابن مسافع، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم شيئًا، أقبل رجلٌ فأكبَّ عليه، فطعنه رسول الله بعرجون كان معه، فَجُرِح الرجل. فقال له رسول الله: «تعال فاستقد»، قال: بل عفوت يا رسول الله[(٢)].

---

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

علي بن زيد ضعَّفه النَّسَائيُّ، وقال أحمد: ليس بالقوي وروى عنه النَّاس، وقال ابن معين: ليس بذاك القوي، وقد توبع، وصرح هشيم بالسماع في رواية الترمذي. أخرجه الترمذي (٣٩١١) عن أحمد بن منيع، والبزَّار (٤٣١٠) عن زياد بن أيوب، والطَّبراني (٥١٠٣) من طريق شجاع بن مخلد، ثلاثتهم عن هشيم به.

وأخرجه أحمد (٣٧٠/٤) وفي (فضائل الصحابة) (١٤١٩) من طريق حمَّاد بن سلمة،

وأخرجه أحمد (٣٧٤/٤) والطيالسي (٧١٦) من طريق شعبة، كلاهما عن علي بن زيد به.

وأخرجه مسلم (١٧٢/٢٥٠٦) وأحمد (٣٦٩/٤، ٣٧٢، ٣٧٤) وفي (فضائل الصحابة) (١٤٢٦) والطيالسي (٧١٥) والطَّحاوي في (المشكل) (٥٨١١) والبزَّار (٤٣٠٩) والطَّبراني (٥١٠١، ٥١٠٢) من طريق قتادة عن النضر بن أنس به. وأخرجه البخاري (٤٩٠٦) وأحمد (٣٧٤/٤) والطَّحاوي في (المشكل) (٨١٠) والبيهقي في (دلائل النُّبوة) (٥٧/٤) والطَّبراني (٤٩٧٢) من طريق أنس عن زيد بن أرقم به.

وله شاهد:

أخرجه مسلم (١٧٣/٢٥٠٧) والترمذي (٣٩٠٢) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٨٢٩٢) وفي (فضائل الصحابة) (٢٤٥) وعبد الرزَّاق (١٩٩١٣، ١٩٩١٤) وأحمد (١٣٩/٣، ١٥٦، ١٦٢، ٢١٣، ٢١٦-٢١٧) وأبو يعلى (٣٠٣٢) والطَّحاوي في (المشكل) (٥٨١٢) والبزَّار (٢٨٠٨) وابن حِبَّان (٧٢٨٠) والطَّبراني (٧٣٥) من طرُقٍ عن أنس ﷺ: **أنَّه ﷺ استغفر للأنصار ولِذَرَارِيِّ الأنصار ولموالي الأنصار.**

(٢) **إسناده ضعيف**

أخرجه البيهقي (٤٣/٨، ٤٨) من طريق أبي العبَّاس محمَّد بن يعقوب عن بحر بن نصر به.

وأخرجه النَّسَائيُّ (٣٢/٨) وفي (الكبرى) (٦٩٤٩) وأبو داود (٤٥٢٧) وأحمد (٢٨/٣) ومن طريقه المزّي في (تهذيب الكمال) (٢٦٩/١٩) وابن حِبَّان (٦٤٣٤) من طرُقٍ عن عبد الله بن وهب به.

وأخرجه النَّسَائيُّ (٣٢/٨) وفي (الكبرى) (٦٩٥٠) من طريق يحي بن أيوب عن بكير به.

وسنده ضعيف، عبيدة بن مسافع لم يروى عنه غير بكير وابنه مالك، فهو مجهول الحال.

(١٨) حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى، قال: أخبرنا ابن أبي فديك، عن عبد الملك بن زيد، عن مصعب بن مصعب، وهو ابن عبد الرَّحمن، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ترفع زينة الدُّنيا سنة خمس وعشرون ومائه»**[1].

(١٩) حدَّثنا محمَّد بن منصور الجوَّاز المكِّيُّ، قال: حدَّثنا يعقوب بن محمَّد بن عيسى الزهري، عن محمَّد بن إسماعيل بن مسلم، وهو ابن فُدَيْك، قال: حدَّثنا عبد الملك بن زيد، من ولد زيد بن الخطاب، عن مصعب بن مصعب بن عبد الرَّحمن بن عوف، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ترفع زينة الدنيا سنة أربع وعشرون ومائه»**[2].

- يعنى بالزينة الرجال.

---

(١) **منكر**

أخرجه المزّي في (تهذيب الكمال) (٣٠٩/١٨) من طريق المصنِّف به.

وأخرجه أبو يعلى (٨٥١) والبزّار (١٠٢٧) وابن أبي عاصمٍ في (الزهد) (١٩٨) والمصنِّف برقم (١٩) وابن عَدي (٣٠٨/٥) من طرقٍ عن ابن أبي فديك به. قال ابن عَدي بعد أن ساق حديثًا أخر له:

«هذان الحديثان منكران، لم يروهما غير عبد الملك، وعن عبد الملك ابن أبي فديك» وسُئل عنه أحمد كما في (المنتخب من العلل) للخلال رقم (١٨٩) فقال:

«هذا منكر جدًا، كان ابن أبي فديك لا يبالي عن من روى»

وقال الدَّارَقُطني في (العلل) (٢٥١/٩): «ليس بمحفوظ عن الزهري»

أخرجه ابن عَدي (٢٥١/٩) من طريق حبيب بن أبي حبيب عن مالك وابن أخي الزهري، وفي (٤٨/٢) من طريق بركة بن محمَّد الحلبي عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي، ثلاثتهم عن الزهري به.

وحبيب هذا كان يكذب، وكذلك بركة بن محمَّد الحلبي.

قا ل الدَّارَقُطني في (العلل) (٢٥١/٩): لا يصح عن مالك ولا عن ابن أخي الزهري.

(٢) **منكر وانظر ما قبله**

(٢٠) حدَّثنا محمَّد بن منصور الجوَّاز المكِّيُّ، قال: حدَّثنا يعقوب بن محمَّد بن عيسى الزهري، عن إسحاق بن محمَّد بن المنكدر، عن حارث بن أفلح، قال: قال عطاء بن أبي رباح: «**إن عثمان بن أبي سليمان لمن زينة الدُّنيا**».

قال: وهذا عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف(١).

(٢١) حدَّثنا عمرو بن علي، قال: حدَّثنا أبو معاوية الضرير، قال: حدَّثنا هلال ابن ميمون الفلسطيني، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج مجاهدًا فمات كتب الله ﷻ أجره إلى يوم القيامة، ومن خرج حاجًا فمات كتب الله له أجره إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمراً فمات كتب الله له أجر المعتمر إلى يوم القيامة**»(٢).

---

(١) **لا يصح عن عطاء**

فيه يعقوب بن محمَّد، قال عنه أحمد: ليس يسوى شيئًا، وقال ابن معين: أحاديثه تشبه أحاديث الواقدي. وقال أبو زرعة: واهي الحديث، فسنده تالف.

(٢) **إسناده صحيح**

أخرجه ابن النَّجار في (ذيل تاريخ بغداد) (٥/٥٠) وأبو نعيم في (أخبار أصبهان) (٢/٢١) من طريق المصنِّف به.

وأخرجه ابن شاهين في (الترغيب) (٣٢٤) عن أحمد بن زكريا الرواس عن عمرو بن علي به.

واختُلف على أبي معاوية:

أخرجه أبو يعلى (٦٣٥٧) والطَّبراني في (الأوسط) (٥٣٢١) عن إبراهيم بن زياد سبلان،

وابن أبي حاتم في (العلل) (١/٣٢٦-٣٢٧/٩٧٣) عن يحي بن داود بن ميمون الواسطي، كلاهما عن أبي معاوية عن محمَّد بن إسحاق عن جميل بن أبي ميمونة عن عطاء عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا به.

فصار شيخ أبي معاوية هو ابن إسحاق، والراوى عن عطاء هو جميل بن أبي ميمونة. وسبلان ثقة، ويحي قال عنه ابن حِبَّان: مستقيم الحديث، وجميل مجهول الحال، وقد عنعنه محمَّد بن إسحاق.

وأخرجه ابن أبي حاتم في (العلل) (١/٣٢٧) عن محمَّد بن العلاء الهمداني كما رواه سبلان، لكن جعل شيخ محمَّد بن إسحاق فيه ميمون بن أبي جبلة، ولم أقف على متابع له على ذلك.

ومحمَّد بن العلاء أبو كريب، وثقه النَّسائيُّ، وقال أبو حاتم: صدوق. وميمون بن أبي جبلة ذكره ابن حِبَّان في (الثقات) (٧/٤٧٣)، وهو مجهول.=

(٢٢) حدَّثنا عمرو بن على أبو حفص الفلاس، قال: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، يعنى(*)، قال: حدَّثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، قال: سمعت سالم بن رزين يحدث، عن سالم بن عبد الله، عن سعيد بن المسيَّب، عن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها، فتتزوج زوجًا غيره فيطلقها، ولم يمسَّها، قال: «**لا تحل لزوجها الأول حتى تذوق عسيلته**»، يعنى الآخر[1].

=وأخرجه البيهقي في (الشُّعب) (٤١٠٠) من طريق الحسين بن عبد الأول، كما رواه سبلان، ولكن جعل شيخ محمَّد بن إسحاق فيه حميد.

والحسين هذا كذَّبه ابن معين، وقال أبو زرعة: لا أحدث عنه.

ونقل ابن طاهر في (أطراف الغرائب) قول الدَّارَقُطني:

«تفرد به أبو حفص عمرو بن علي الصيرفي عن أبي معاوية».

وعمرو بن علي الفلاس، إمام حافظ متقن، يُقبل تفرده. ويشبه أن يكون أبو معاوية له فيه شيخان.

وقد جوَّده عمرو بن علي الفلاس، فرواه عن أبي معاوية عن هلال بن ميمون وهو ثقة، فصار إسناده صحيحًا.

(*) بياض بالأصل ولعله يعني: غندر.

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

فيه سالم بن رَزِين وقيل رَزِين بن سليمان، ذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال عنه الذهبي في (الميزان): لم يثبت حديثه، وفيه جهالة.

أخرجه النَّسَائيُّ (٦/١٤٨-١٤٩) وفي (الكبرى) (٥٦٠٧) عن عمرو بن علي به. وأخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) (٤/١٣) معلقًا، وابن ماجه (١٩٣٣) وأحمد (٢/٨٥) وفي (العلل ومعرفة الرجال) (١٧٥٥) والطَّبراني (١٢/٢٧١) وابن جرير في (التفسير) (٤/٥٩٦/٤٩٠٢- شاكر) والخطيب في (موضح الأوهام) (٢/١١٣) والبيهقي (٧/٣٧٥) من طرقٍ عن محمَّد بن جعفر به.

وقد خولف شعبة:

خالفه الثوري، فرواه عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان عن ابن عمر رضي الله عنه به. فحذف سالم بن عبد الله وسعيد بن المسيب.

أخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) (٤/١٣) والنَّسَائيُّ (٦/١٤٩) والترمذي في (العلل) (٢٧١) وعبد الرزَّاق (١١١٣٥) وابن أبي شيبة (٤/٢٧٥) وأحمد (٢/٢٥، ٦٢) وفي (العلل ومعرفة الرجال) (١٧٥٦، ١٧٥٧) وابن جرير في (التفسير) (٤/٥٩٦/٤٩٠٣، ٤٩٠٤- شاكر) وابن أبي حاتم في (العلل) (١/٤٢٨/١٢٨٨) والبيهقي (٧/٣٧٥) والخطيب في (موضح الأوهام) (٢/١١١، ١١٢، ١١٣) من طرقٍ عن سفيان الثوري به.=

=ورجَّح الأئمة رواية سفيان الثوري.
وسُئل أحمد عن حديث شعبة، فقال: «لا أراه محفوظًا، وقال: سالم ورجل بينه وبين ابن عمر!»، كالمنكر لذلك.
وقال أبو حاتم في (العلل) (٤٢٨/١) عن رواية شعبة: «قد زاد عندي في هذا الإسناد رجلا لم يذكره سفيان الثوري، وليست هذه الزيادة بمحفوظة».
وقال أبو زرعة كما في (العلل الكبير) (٢٧٢- القاضي): «حديث سفيان أصح». وإسناده ضعيف، رزين بن سليمان الأحمري مجهول. وصح الحديث بشواهده، ومنها:
١- حديث عائشة ﵂:
أخرجه البخاري (٢٦٣٩، ٥٣١٧، ٥٢٦٣، ٥٢٦٥، ٥٣١٧، ٥٨٢٥) ومسلم (١١١/١٤٣٣، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥) واللفظ له، والنَّسَائيُّ (١٤٦/٦، ١٤٧، ١٤٨) وأبو داود (٢٣٠٦) ومالك في (الموطأ) (١١٢٧- تنوير) والحميدي (٢٢٦) والدارمي (٢٢٦٧، ٢٢٦٨) وأحمد (٣٤/٦، ٣٧-٣٨، ٤٢، ١٩٣، ٢٢٦، ٢٢٩) والطيالسي (١٤٣٧، ١٤٧٣) وابن أبي شيبة (٢٧٥/٤) وعبد الرزَّاق (١١١٣) وأبو يعلى (٤٩٦٥) وابن جرير في (التفسير) (٤٨٩٤، ٤٨٩٥، ٤٨٩٦- شاكر) وابن حِبَّان (٤١١٩، ٤١٢٠، ٤١٢٢) عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ سئل عن المرأة يتزوجها الرجل، فيطلقها، فتتزوج رجلًا، فيطلقها قبل أن يدخل بها، أتحل لزوجها الأول؟ قال: «**لا، حتى يذوق عُسيلتها**».
٢- حديث أنس ﵁:
أخرجه أحمد (٢٨٤/٣) وأبو يعلى (٤١٨٣، ٤١٨٤- دار االقبلة) والبزَّار (١٥٠٥) والطَّبراني في (الأوسط) (٢٣٧٢) والبيهقي (٣٧٥/٧- ٣٧٦) من طرُقٍ عن محَّمد بن دينار الطاحي عن يحي بن يزيد عن أنس بمثل حديث عائشة ﵂. وسنده لا بأس به في الشواهد.
ومحَّمد بن دينار، قال عنه ابن معين وأبو زرعة والنَّسَائيُّ: ليس به بأس.
وضعَّفه ابن معين والنَّسَائيُّ في موضع أخر. وقال ابن عَدي: وهو مع هذا كله حسن الحديث. وشيخه يحي بن يزيد، قال عنه أبو حاتم: شيخ.
٣- حديث أبي هريرة ﵁:
أخرجه ابن أبي شيبة (٢٧٥/٤)و ابن عبد البر في (التمهيد) (٢٣١/١٣-٢٣٢).
٤- حديث الفضل وعُبيد الله بن عبَّاس ﵄:
أخرجه النَّسَائيُّ (١٤٨/٦) وأحمد (٢١٤/١) وأبو يعلى (٦٦٨٧) وابن عبد البر في (التمهيد) (٢٢٥/١٣) والمزّي في (تهذيب الكمال) (٦٤/١٩).
٥- رفاعة بن سمؤال ﵁:
أخرجه ابن الجارود في (المنتقى) (٦٨٢) والبيهقي (٣٧٥/٧).

(٢٣) حدَّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدَّثنا روح بن عبادة، قال: حدَّثنا صالح بن أبي الأخضر، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة وحفصة، أصبحتا صائمتين فأُهْدِي لهما طعامًا، والطعام إذ ذاك محروصٌ عليه، فأفطرتا. قالت عائشة: فذكرت ذلك لرسول ﷺ فقال: **«صوما يومًا مكانه»**

قال أبو محمَّد: كذا قال لنا في أول الحديث(عن) ولم يقل (أن)، وقد صار في آخره عن عائشة أنها سألت النَّبيّ ﷺ عن ذلك[1].

---

(١) **معلٌ بالإرسال**

فيه صالح بن أبي الأخضر، قال أحمد: إذا حدَّث عن غير الزهري فلا بأس به، ويخطيء في حديث الزهري. وإسناده ضعيف بل منكر لمخالفته أصحاب الزهري الذين أرسلوه.

أخرجه أحمد في (العلل ومعرفة الرجال) (٥١٠٣) عن روح بن عبادة به. وأخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) (٣٢٩٣) وإسحاق بن راهويه (٦٦٠) والبيهقي (٢٨٠/٤) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٠٣/٢٣) من طرُقٍ عن صالح بن أبي الأخضر به.

ورواه عن صالح: (النَّضْر بن شميل، إبراهيم بن حميد، سفيان بن عيينة)

قال سفيان بن عيينة: فسَأَلوا الزهري، وأنا شاهد: أهو عن عروة؟ قال: لا».

• ورواه جمعٌ عن الزهري كما رواه صالح بن أبي الأخضر:

أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) (٣٢٩١، ٣٢٩٢، ٣٢٩٤، ٣٢٩٥) والترمذي (٧٣٥) وأحمد (١٤١/٦، ٢٣٨) وفي (العلل ومعرفة الرجال) (٥١٠٠، ٥١٠١) وإسحاق بن راهويه (٦٥٨) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (١٠٨/٢) والبيهقي (٢٨٠/٤) وابن عبد البر في (التمهيد) (٦٨/١٢) من طرُقٍ عن الزهري به.

ورواه عن الزهري هكذا موصولًا: (سفيان بن حسين، جعفر بن برقان، عبد الله بن عمر العُمري، صالح بن كيسان، حجَّاج بن أرطاة، إسماعيل بن عمر بن عقبة). وهم ليسوا من أصحاب الزهري الأثبات، بل تكلم الأئمة في روايتهم عنه، وخالفوا أصحابه المتقنين:

أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) (٣٢٩٦، ٣٢٩٧، ٣٢٩٨) ومالك في (الموطأ) (٦٨٢- تنوير) وعبد الرزَّاق (٧٧٩٠) وأحمد في (العلل ومعرفة الرجال) (٥١٠٢، ٥١٠٤، ٥١٠٥) وإسحاق بن راهويه (٦٥٩) والبيهقي (٢٨٠/٤) وفي (المعرفة) (٢٥٧٠) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (١٠٨/٢) والدَّارَقُطني في (العلل) (٤٥/١٥) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٠٣/٢٣) من طرُقٍ عن الزهري عن عائشة ﵂، مرسلًا به.

ورواه عن الزهري هكذا: (مالك، معمر، سفيان بن عيينة، يحي بن سعيد، عُبيد الله بن عمر، ابن جريج).=

=وهو المحفوظ عن الزهري، لكنه حديث ضعيف، علته الإرسال، ورفعه منكر. ونقل ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٠٣/٢٣) قول الذهلي:

«وحديث سفيان -يعني ابن حسين- وصالح عن عروة، وهمٌ لا شك فيه».

ومحمَّد بن يحي الذهلي هو أعلم النَّاس بحديث الزهري.

وله طرق أخرى عن عائشة ﵂ ظاهرها يقوى الحديث، لكنَّها معلولة:

أولًا: رواية عمرة عنها:

أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) (٣٢٩٠) وابن حِبَّان (٣٥١٧) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (١٠٩/٢) والطَّبراني في (الأوسط) (٦٤٣٣) وابن الأعرابي (١٤٦٢) من طرقٍ عن عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن يحي بن سعيد عنها مرفوعًا به. **وخالفه حمَّاد بن زيد:**

أخرجه البيهقي (٢٨١/٤) من طريق أحمد بن منصور، قال: قلت لعلي بن المديني: يا أبا الحسن، تحفظ عن يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة، قالت: أصبحت أنا وحفصة صائمتين؟ فقال علي: من روى هذا؟، قلت: ابن وهب عن جرير بن حازم عن يحي بن سعيد. قال: فضحك، فقال: مثلك يقول مثل هذا، حدَّثنا حمَّاد بن زيد عن يحي بن سعيد عن الزهري أنَّ عائشة وحفصة أصبحتا صائمتين.

وأعلَّه أيضًا أحمد والنَّسَائيُّ والبيهقي.

قال أحمد: جرير حدث بالتوهم بمصر، ولم يكن يحفظ.

وقد رواه عنه عبد الله بن وهب وهو مصري.

ثانيًا: رواية زميل عن عروة عنها:

أخرجه أبو داود (٢٤٥٤) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٣٢٩٠) والعقيلي في (الضعفاء) (٨٣/٢) والطَّبراني في (الأوسط) (٦٣٢١) والمزِّي في (تهذيب الكمال) (٣٩٠/٩-٣٩١) من طريق زميل بن عبَّاس عن عروة عن عائشة ﵂ مرفوعًا به. وزميل هذا قال عنه أحمد: لا أدرى من هو، وقال النَّسَائيُّ: ليس بالمشهور. وقد تفرد به، ولذلك اعتبره الذهبي في (الميزان) من مناكيره، وأورده في ترجمته.

ثالثًا: عائشة بنت طلحة عنها:

أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) (٣٣٠٠) عن محمَّد بن منصور عن سفيان الثوري عن طلحة بن يحي عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة ﵂ قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ فقلنا: إن عندنا حيسًا قد خبأناه لك، قال: «قربوه». فأكل، وقال: «**إني قد كنت أردت الصوم، ولكن أصوم يومًا مكانه**».

وقال النَّسَائيُّ: هذا خطأ، قد روى هذا الحديث جماعة عن طلحة، فلم يذكر أحد منهم «**ولكن أصوم يومًا مكانه**».

قلت: رواه قاسم بن يزيد ومحمَّد بن كثير وبشر بن السري ويحي بن أبي الحجاج، أربعتهم عن سفيان الثوري به، بدون هذه الزيادة.

أخرجه النَّسَائيُّ (١٩٤/٤) من طرق قاسم، وأبو داود (٢٤٥٥) عن محمَّد بن كثير، والترمذي (٧٣٤) من طريق بشر، والدَّارَقُطني (١٧٦/٢- ١٧٧) من طريق يحي، أربعتهم عن سفيان الثوري به.=

(٢٤) حدَّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى، قال: حدَّثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان، عن حمَّاد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنِّي أجد في صدري الشيء لأن أكون حممًا أحب إلى من أن أتكلم به، قال: «**الله أكبر، الحمد لله الذي ردَّ أمره إلى الوسوسة**»(١).

=وقال الدَّارَقُطني: «وهذا إسناد صحيح».

وتابعه سفيان بن عيينة عن طلحة، واختُلف عليه أيضًا:

أخرجه الدَّارَقُطني (١٧٧/٢) من طريق محمَّد بن عمرو الباهلي عن سفيان بن عيينة به، وفيه قول النَّبيِّ ﷺ: «**إني آكل، وأصوم يومًا مكانه**»

قال الدَّارَقُطني: لم يروه بهذا اللفظ عن ابن عيينة غير الباهلي، ولم يتابع على قوله «وأصوم يومًا مكانه»، ولعله شُبِّه عليه، والله أعلم، لكثرة من خالفه عن ابن عيينة. ورواه الشافعي في (مسنده) (ج١/٧٠٦- سندي) عن ابن عيينة بدون هذه الزيادة. وتابعهما وكيع وعبد الواحد بن زياد ويحي، ثلاثتهم عن طلحة به، ولم يذكروا هذه الزيادة:

أخرجه مسلم (١١٥٤/١٧٠) وأبو داود (٢٤٥٥) والترمذي (٧٣٣) من طريق وكيع، ومسلم (١١٥٤/١٦٩) من طريق عبد الواحد بن زياد، والنَّسَائيُّ (١٩٤/٤-١٩٥) من طريق يحي، ثلاثتهم عن طلحة به.

وله شاهد عن ابن عبَّاس ﷺ، ولكنه منكر أيضًا:

أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) (٣٣٠١) والطَّبراني (٣٦٤/١١) وفي (الصغير) (١٧٥/١-١٧٦) والمزِّي في (تهذيب الكمال) (٢٧١/٨) من طريق خطَّاب بن القاسم عن خصيف عن عكرمة عن ابن عبَّاس أن النَّبيِّ ﷺ دخل على حفصة وعائشة وهما صائمتان، ثم خرج، فرجع وهما تأكلان فقال:«**ألم تكونا صائمتين؟**» قالتا: بلى، ولكن أُهدي لنا طعام فأعجبنا فأكلنا منه. قال: «**صوما يومًا مكانه**».

قال النَّسَائيُّ: هذا الحديث منكر، خصيف ضعيف في الحديث، وخطَّاب لا علم لي به.

وقال أحمد عن خصيف: شديد الاضطراب في المسند، ضعيف ليس بذاك. وضعَّفه القطان.

وقال الدَّارَقُطني: يعتبر به، يهم. وقال ابن معين: صالح، لا بأس به. وقال ابن عَديٍ: إذا حدَّث عنه ثقة، فلا بأس به.

وأخرجه البيهقي (٢٨١/٤) بسندٍ صحيح، موقوفًا على ابن عبَّاس ﷺ قال: «**إذا أصبح أحدكم صائمًا، فبدا له أن يفطر فليصم يومًا مكانه**».

(١) **إسناده منكر وهو حديث صحيح**

أخرجه البزَّار (٥٠٧٧) عن إبراهيم بن سعيد الجوهري به. ولم يُذكر عبدالله بن عبَّاس ﷺ في سند البزَّار، فيستدرك من هنا.=

(٢٥) حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل الحَسَّانِيُّ، بالعسكر سنة تسع وأربعين ومائتين، قال: حدَّثنا محمَّد بن الحسن المُزَنِيُّ، قال: حدَّثنا المغيرة بن الأشعث، أميرًا كان علينا ها هنا، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال:

«طاف رسول الله طواف الصدر ليلًا، أو بليلٍ»(١).

=وأخرجه النَّسائي في (عمل اليوم) (٦٧٢) وابن أبي عاصم في (السُنَّة) (٦٧٠- جوابرة) من طريق دحيم، وأخرجه ابن حِبَّان (٦١٨٨) من طريق الحسن بن محمَّد الصباح، كلاهما عن إسحاق الأزرق عن سفيان به.

وخالفه أصحاب الثوري:

أخرجه النَّسائي في (عمل اليوم) (٦٧٣) وأحمد (٢٠٩٧/٢٣٥/١) وعبد بن حميد (٧٠١) وابن نصر في (تعظيم قدر الصلاة) (٧٨٠)و الطَّحاوي في (المشكل) (١٦٤٠) وابن منده في (الإيمان) (٣٤٥) والخطيب في (المتفق والمفترق) (٥٣٨) من طرُقٍ عن الثوري عن منصور عن ذر بن عبد الله عن عبد الله بن شداد عن ابن عبَّاس رضي الله عنه به. ورواه عن الثوري: (ابن مهدي، وكيع، أبو أحمد الزُّبيري، عُبيد الله بن موسى، قبيصة...).

وكان ابن مهدي تارة أخرى يرويه عن الثوري عن منصور والأعمش معًا عن ذر به. قلت: إسناد إسحاق الأزرق منكر، ورواية وكيع وعبد الرَّحمن بن مهدي أرجح بلا شك، وبها صح الحديث.

وتوبع الثوري:

أخرجه النَّسائي في (عمل اليوم) (٦٧٤) والطيالسي (٢٧٠٤) وأحمد (٣٤٠/١) والطَّحاوي في (المشكل) (١٦٣٩) والبيهقي في (الشُّعب) (٣٤٠) والبغوي في (شرح السُنَّة) (٥٩) من طرُقٍ عن شعبة عن منصور والأعمش معًا عن ذر به.

وأخرجه الطَّحاوي في (المشكل) (١٦٣٨) وابن منده في (الإيمان) (٣٤٦) من طريق شعبة، وأخرجه أبو داود (٥١٠٣) وابن حِبَّان (١٤٧) من طريق جرير،

وأخرجه ابن منده في (الإيمان) (٣٤٥) من طريق شيبان، ثلاثتهم عن منصور وحده عن ذر به.

وتوبع منصور والأعمش، تابعهما قتادة:

أخرجه البيهقي في (الشُّعب) (٣٤٢) من طريق شيبان عن قتادة عن ذر به.

(١) **إسناده ضعيف**

أخرجه الطبراني (١١٣٧٥/١٦٥/١١) والعقيلي (١٧٧/٤) من طريق محمَّد بن إسماعيل به.

وفيه المغيرة بن الأشعث، قال العقيلي: كان أميرًا على واسط، ولا يتابع على حديثه. **وله شاهد:**

أخرجه البخاري (١٥٦٠) ومسلم (١٢٣/١٢١١) والنسائي في (الكبرى) (٤٢٤٢) وابن أبي شيبة (٤٦٩/٤- ط. دار الفكر) والبيهقي (١٦١/٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: **«خرجنا مع رسول الله ﷺ، مهلين بالحج... فأذن في أصحابه بالرحيل، نخرج بالبيت، فطاف به قبل صلاة الصبح، ثم خرج إلى المدينة».**

قال محمَّد بن الحسن: كان المغيرة إذا حدَّث شكَّ.

قال أبو محمَّد: يعنى بقوله ليلًا، أو بليلٍ، وهو واحد.

(٢٦) حدَّثنا محمَّد بن يزيد أبو هشام الرِّفاعيّ، قال: حدَّثنا أبو خالد الأحمر، قال: حدَّثنا ابن جُريج، عن أبي الزُّبير، عن جابر، قال: «**كان النَّبيّ ﷺ وأصحابه يحرون البدنة معقولة اليد اليسرى، قائمة على ما بقى من قوائمها**»[1].

(٢٧) حدَّثنا سعيد بن يحي بن سعيد الأُّموى، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزُّبير، عن، جابر، قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن يُبال**

---

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

أخرجه البيهقي (٥/٣٢٧- ٣٢٨) من طريق أبي داود، وهو برقم (١٧٦٤) عن عثمان بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به. وإسناده ضعيف، فيه عنعنة ابن جريج وأبو الزُّبير.

وله رواية مرسلة:

أخرجها البخاري في (التاريخ الكبير) (٥/٣٠٢) وابن أبي شيبة (٤/٢١٨:١) والبوصيري في (إتحاف الخِيَرة المَهرة) (٤٦٨٩) من طريق يحي بن سعيد عن ابن جريج عن عبد الرَّحمن بن سابط: «**أنَّ النَّبيّ ﷺ وأصحابه كانوا يحرون البدنة معقولة**» قال البخاري: ويقال عن ابن جريج عن أبي الزُّبير عن جابر عن النَّبيّ ﷺ، ولا يصح.

وله شواهد عن ابن عمر وعن أنس رضي الله عنهم:

أولًا: حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

أخرجه البخاري (١٧١٣) ومسلم (١٣٢٠) وأبو داود (١٧٦٥) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٤١٣١) وابن أبي شيبة (٤/٥١٣) وابن حِبَّان (٥٩٠٣) والبيهقي (٥/٢٣٧) والبغوي في (شرح السُنَّة) (١٩٥٧)من طريق زياد بن جبير، قال: كنت مع ابن عمر بمنى فمر برجل وهو يحر بدنة وهي باركة، فقال: «**ابعثها قيامًا مقيدةً، سنَّة محمَّد ﷺ**».

ثانيًا: حديث أنس رضي الله عنه:

أخرجه البخاري (١٥٥١، ١٧١٢، ١٧١٤) وأبو داود (١٧٩٣، ٢٧٩٠) من طريق أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: «**ونحر النَّبيّ بيده سبع بدن قيامًا**».

في الماء المقيم»[١].

قال أبو محمَّد: وهو الراكد.

(٢٨) حدَّثنا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ الخوْلَانِيُّ، قال: حدَّثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني ابن جُرَيْجٍ، عن أبي الزُّبير، عن جابر، قال: أُتِيَ بأبي قُحَافة يوم فتح مكَّة، ورأْسُه ولِحيْتُه كالثَّغَامَةِ بياضًا، فقال رسول الله ﷺ: «**غَيِّرُوا هذا بِشَيْءٍ، واجتنبوا السَّواد**»[٢].

---

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

فيه عنعنة أبي الزُّبير، وقد رواه اللَّيث عنه كما سيأتي:

أخرجه مسلم (٢٨١) والنَّسَائيُّ (٣٤/١) وابن ماجه (٣٤٣) وابن أبي شيبة (١٤١/١) وأحمد (٣٤١/٣، ٣٥٠) وأبو عوانة (٥٧٤) وأبو عبيد في (الطهور) (١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥) وابن حِبَّان (١٢٥٠) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (١٥/١) وأبو نعيم في (الحلية) (١٤/٥) والبيهقي (٩٧/١) والخطيب (٢٥٢/٤) من طرُقٍ عن أبي الزُّبير به.

ورواه عنه: (اللَّيث بن سعد، الأوزاعي، ابن لهيعة، ابن أبي ليلى، محمَّد بن سوقة). **وله شاهد:**

أخرجه البخاري (٢٣٩) واللفظ له، ومسلم (٩٥/٢٨٢، ٩٦) و(١٣٣/١) والنَّسَائيُّ (٤٩/١، ١٩٧) وأبو داود (٦٩، ٧٠) والترمذي (٦٨) وابن ماجه (٣٤٤، ٦٠٥) والدارمي (٧٣) وعبد الرزَّاق (٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢) وأحمد (٢٥٩/٢، ٢٦٥، ٢٨٨، ٣٤٦، ٣٦٢، ٤٣٣، ٤٩٢، ٥٣٢) وابن أبي شيبة (١٤١/١) وابن خُزَيْمة (٦٦) وابن الجارود في (٥٤) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (١٤/١، ١٥) وابن حِبَّان (١٢٥١، ١٢٥٤، ١٢٥٦، ١٢٥٧) وأبو عبيد في (الطهور) (١٧١، ١٧٢ و١٧٣) والمصنِّف برقم (٣٩) والبيهقي (٩٧/١، ٢٥٦) والخطيب (٢٧٨/١٤) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٢٨٤، ٢٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به: «**لا يبولنَّ أحدكم في الماء الذي لا يجرى، ثم يغتسل فيه**».

(٢) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

وسند المصنِّف ضعيف، فيه عنعنة ابن جريج وأبي الزُّبير.

وأخرجه الحاكم (٢٤٤/٣) والبيهقي (٣١٠/٧) من طريق محمَّد بن يعقوب،

وأخرجه أبو عوانة (١٥١٢، ٨٧٠٦)، كلاهما عن بحر بن نصر به.

وأخرجه مسلم (٧٩/٢١٠٢) والنَّسَائيُّ (١٣٨/٨) وأبو عوانة (١٥١٢، ٨٧٠٦) وابن حِبَّان (٥٤٧١) والبيهقي (٣١٠/٧) من طرُقٍ عن ابن وهب به.=

* * *

تم المجلس الأول من إملاء أبي محمَّد بن صاعد رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمَّد النَّبيِّ وآله الطاهرين، وسلم تسليمًا، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

=وأخرجه مسلم (٧٨/٢١٠٢) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٩٢٩٥- الرسالة) وابن ماجه (٣٦٢٤) وعبد الرزَّاق (٢٠١٧٩) وأحمد (٣٣٨/٣) وأبو عوانة (١٥١٣، ١٥١٤، ٨٧٠٧، ٨٧٠٨، ٨٧١٠، ٨٧١١) والطَّبراني في (الصغير) (١٧٤/١) والحاكم (٢٤٥/٣) والخطيب (١٣٦/٩) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٢٤١/٣٤) من طرُقٍ عن أبي الزُّبير به.

ورواه عنه: (ليث، أبو خيثمة، ابن إسحاق، زهير، أيوب...).

وله شواهد:

أولًا: حديث أنس رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (١٦٠/٣، ٢٤١) وابن حِبَّان (٥٤٧٢) والحاكم (٢٤٤/٣) من طريقين عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا بنحوه، وهو صحيح.

ثانيًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أخرجه ابن سعد (٣٣٨/١) وابن حِبَّان (٥٤٧٣) وابن عَدِي (٢٩١/٥، ١٨٧/٧) والبيهقي (٣١١/٧) من طرُقٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «**غيِّرُوا الشيب، ولا تَشَبَّهوا باليهود، واجتنبوا السَّواد**»، وهو صحيح.

مجلس أُمْلِيَ على إثره

(٢٩) حدَّثنا عُبَيْد الله بن أحمد، قال: حدَّثنا أبو محمَّد يحي بن محمَّد بن صاعد، إملاءً، قال: حدَّثنا لُوَيْن، قال: حدَّثنا أبو عوانة، عن عاصم وحصين، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، قال: **«سافرنا مع رسول الله ﷺ فأقام سبعة عشر، وقد قيل تسعة عشر يقصر الصلاة»**.

قال ابن عبَّاس: ونحن إذا سافرنا فأقمنا سبعة عشر، وقد قيل تسعة عشر قصرنا، وإذا زدنا أتممنا(١).

---

(١) **حديث صحيح**
أخرجه البيهقي (١٥٠/٣) من طريق المصنِّف، والدَّارَقُطني (٣٨٧/١) من طريق المصنِّف وعبد الله بن محمَّد بن عبد العزيز، كلاهما عن لُوَيْن به.
وأخرجه البخاري (١٠٨٠) عن موسى بن إسماعيل، والبيهقي (١٥١/٣) من طريق أبي عمرو النمري، كلاهما عن أبي عوانة به، بلفظ **«تسعة عشر»**. وأخرجه البيهقي (١٥٠/٣) من طريق معلى بن أسد عن أبي عوانة عن عاصم وحده، بلفظ **«سبعة عشر»**.
وتوبع أبو عوانة عن عاصم وحده:
أخرجه البخاري (٤٢٩٨، ٤٢٩٩) وأبو داود (١٢٣٠) والترمذي (٥٤٩) وابن ماجه (١٠٧٥) وعبد الرزَّاق (٤٣٣٧) وابن أبي شيبة (٤٥٤/٢) وأحمد (٢٣٣/١) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (٤١٦/١) وابن خُزَيْمة (٩٥٥) وابن حِبَّان (٢٧٥٠) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (١٠٢٣) والبيهقي (١٤٩/٣-١٥٠) والدَّارَقُطني (٣٨٨/١) من طرُقٍ عن عاصم به.
ورواه عنه: (ابن المبارك، حفص بن غياث، أبو معاوية، عبد الواحد بن زياد، أبو شهاب).
وجاءت أغلب الروايات بلفظ **«تسعة عشر»**، وجاءت بعض الطرق عن حفصٍ وأبي شهابٍ بلفظ **«سبعة عشر»**.
ورواه أخرون عن عكرمة، وهم:
١- عبد الرَّحمن بن الأصبهاني عنه:
أخرجه أحمد (٣٥/١، ٣٠٣) وابن أبي شيبة (٤٥٣/٢) وعبد بن حميد (٥٨٩) والطَّبراني (١١٦٧٢) وابن المنذر في (الأوسط) (٢٢٥١) والبيهقي (١٥١/٣) بلفظ: **«أقام بمكة سبع عشرة يصلي ركعتين»**.=

(٣١) حدَّثنا أحمد بن منيع، قال: حدَّثنا أبو أحمد الزُّبيري، قال: حدَّثنا سفيان الثوري، عن صالح مولى التوأمه، قال: سمعنا أبا هريرة يقول: «كان ينهى عن القِرَانِ في التَّمر حتى يستأذن صاحبه»(١).

=وتوبع أبو خالد الأحمر:
أخرجه ابن خُزَيْمة (٩٣٧) والبيهقي في (الشُّعب) (٦٨٣١) من طريق عيسى بن يونس عن سعد بن إسحاق عن عاصم عن محمود بن لبيد به.
وله طريق أخر من رواية عمرو بن أبي عمرو عن محمود بن لبيد ﵁ به:
أخرجه أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) والبيهقي في (الشُّعب) (٦٨٣١) من طريق عبد الرَّحمن بن أبي الزناد عن عاصم عن محمود بن لبيد ﵁ به.
وخالفه اثنان: يزيد بن الهاد، كما عند أحمد (٥/٤٢٨)، وإسماعيل بن جعفر كما عند البغوي في (شرح السُّنَّة) (٤١٣٥)، وكلاهما روياه عن عمرو بن أبي عمرو عن محمود بن لبيد ﵁ به.
وروايتهما أرجح.
وخالفهم جميعًا عبد العزيز بن محمَّد الدراوردي، فرواه عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ﵄ به.
أخرجه الطَّبراني (٤/٢٥٣/٤٣٠١) من طريق عبد الله بن شبيب عن إسماعيل بن أبي أويس عن الدراوردي به. وهي رواية منكرة، وعبد الله بن شبيب واهٍ. قلت: أكثر الروايات على جعله من حديث محمود بن لبيد، وإذا قُبلت رواية محمَّد بن سعيد الأصبهاني التي سبق ذكرها، فيصح عن جابر أيضًا ﵁ لا سيما ومحمود بن لبيد صحابي صغير، قال ابن حجر: جل روايته عن الصحابة.

(١) **إسناده منكر وهو حديث صحيح**
صالح مولى التوأمة اختلط، وسمع منه سفيان الثوري بعد اختلاطه.
وأبو أحمد الزُّبيرى ثقة، وقال أحمد: كان كثير الخطأ في حديث سفيان، وخالفه أصحاب سفيان الثوري، فإسناده منكر.
أخرجه ابن عَديٍ (٤/٥٧) عن المصنِّف به.
وأخرجه الترمذي (١٨١٤) عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزُّبيري وعُبيد الله بن عمر بن موسى معًا عن الثوري عن جبلة بن سحيم عن ابن عمر ﵄ مرفوعًا به. وهو المحفوظ، وكذلك رواه أصحاب الثوري:
أخرجه البخاري (٢٤٨٩) ومسلم (٢٠٤٥/١٥١) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٦٧٢٨) والترمذي (١٨١٤) وابن ماجه (٣٣٣١) وأحمد (٢/٦٠) والخطيب (١٤/٤٤٣) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٢٨٨٥) من طرقٍ عن سفيان الثوري عن جبلة بن سحيم عن ابن عمر ﵄ مرفوعًا به.=

(٣٢) حدَّثنا محمَّد بن عمرو بن سليمان، قال: حدَّثنا أبو المغيرة النَّضر بن إسماعيل، قال: حدَّثنا بريد، عن أبي برده، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة لم يبق مسلم إلا أُتِيَّ بيهودي أو نصراني حتى يدفع إليه، فيقال له هذا فداؤك من النَّار»**(١).

(٣٣) حدَّثنا محمَّد بن عمرو بن سليمان، قال: حدَّثنا النَّضر بن شُميل، قال: حدَّثنا شعبه، عن أبي مَسْلَمَةَ، قال: سمعت أبا نَضْرَةَ، عن أبي سعيد، قال: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة، أن رسول الله ﷺ قال لعمَّار ومسح التراب عن رأسه: **«بؤسًا لك يا ابن سُمَيَّة، تقتلك الفئة الباغية»**(٢).

=ورواه عن الثوري: (ابن مهدي، وكيع، خلاد بن يحي، عُبيد الله بن موسى، عيسى بن يونس).
ورواه شعبة ومسعر وأخرون عن جبلة بن سحيم عن ابن عمر ﵄ مرفوعًا به: أخرجه البخاري (٢٤٥٥، ٢٤٩٠، ٥٤٤٦) ومسلم (١٥٠/٢٠٤٥) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٦٧٢٩، ٦٧٣٠) وأبو داود (٣٨٣٤) وأحمد (٧/٢، ٤٤، ٤٦، ٧٤، ٨١، ١٠٣) والدارمي (٢٠٥٩) وابن أبي شيبة (١٨٨/٨) والطيالسي (١٩٠٦) وأبو يعلى (٥٧٣٦) والبغوي في (مسند ابن الجعد) (٧٢١) وابن حِبَّان (٥٢٣١، ٥٢٣٢) وأبو نعيم في (الحلية) (٢٣٣/٧) والبيهقي (٢٨١/٧).

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**
النَّضر بن إسماعيل قال عنه ابن معين: ليس بشيء، ضعيف، وقال أحمد: لم يكن يحفظ الإسناد، وقال النَّسَائيُّ وأبو زرعة: ليس بالقوي، وقال الدَّارَقُطني: صالح. ورواه جمعٌ عن أبي بردة به:
أخرجه مسلم (٤٩/٢٧٦٧، ٥٠، ٥١) والبخاري في (التاريخ الكبير) (٣٨/١) وأحمد (٣٩١/٤، ٣٩٨، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠) وعبد بن حُميد (٥٣٧) والطيالسي (٤٩٩) وأبو يعلى (٧٢٦٨، ٧٢٨١، ٧٢٨٢) وابن حِبَّان (٦٣٠) والعقيلي (٤٠٠/٤- ٤٠١) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (١٣٥/٢٥، ٤٧/٢٦، ٢٠٠/٦٥) من طرقٍ عن أبي بردة به.

(٢) **حديث صحيح**
أخرجه الخطيب (٣٤٤/٧) من طريق المصنِّف به.
وأخرجه مسلم (٧١/٢٩١٥) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٨٥٤٨) وأحمد (٣٠٦/٥-٣٠٧) والبيهقي في (دلائل النُّبوة) (٥٤٧/٢) من طرقٍ عن النَّضر بن شميل به. وأخرجه مسلم (٧٠/٢٩١٥) وأحمد (٣٠٦/٥) والبيهقي=

(٣٦) حدَّثنا الحسن بن عيسى النَّيسابوريُّ، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا سعيد بن يزيد أبي شجاع، عن أبي السمح، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو أن رصاصة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة، أُرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيره خمس مائه سنة، لبلغت الأرض قبل اللَّيل، ولو أنها أُرسلت من رأس السلسلة سارت أربعين خريفا، اللَّيل والنَّهار قبل أن تبلغ أصلها»(١).

يريد: سلاسل وأغلالا.

=وابن أبي شيبة (٨/٥٠) والحاكم (٤/٢٣٨) من طرُقٍ عن داود بن قيس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا بنحوه.

ورواه عن داود: (وكيع، عبد الرزَّاق، أبو نعيم، عبد الملك بن عمرو).

وخالفهم القعنبي، فرواه عن داود عن عمرو بن شعيب مرسلًا به:

أخرجه أبو داود (٢٨٣٩).

والمحفوظ ما رواه الجماعة عن داود.

وتابعه عبد الله بن عامر، أخرجه أحمد (٢/١٨٥).

(١) **إسناده ضعيف**

عيسى بن هلال، سكت عنه أبو حاتم، فهو مجهول الحال. ودرَّاج أبي السمح وثَّقه ابن معين، وقال أحمد: حديثه منكر. وضعَّفوا روايته عن أبي الهيثم خاصةً.

وذكر ابن عَدي مناكير من حديثه، ثم قال: وسائر أحديثه يتابعه النَّاس عليها. أخرجه المِزّي في (تهذيب الكمال) (٢٣/٥٦) من طريق أحمد، وهو في (المسند) (٢/١٩٢) وعبد الله ابنه في زوائده على (الزهد) (١٠٤) عن الحسن بن عيسى به. وأخرجه أحمد (٢/١٩٧) والترمذي (٢٥٨٨) وابن جرير في (التفسير) (٢٩/٤٠-٤١-شاكر) والطَّبراني (٢٩/٤٠) والبغوي في (شرح السُنَّة) (٤٣٠٧) وفي (التفسير) (٨/٢١٣)من طرُقٍ عن ابن المبارك، وهو في (مسنده) (١٢٤) وفي (الزهد) (٢٩٠- زوائد نعيم بن حمَّاد).

ورواه عن ابن المبارك: (سويد بن نصر، علي بن إسحاق، يعمر بن بشير،إبراهيم بن عبد الله).

وأخرجه الحاكم (٢/٢٣٨-٢٣٩)، وعنه البيهقي في (البعث) (٥١٣) من طريق عبد الله بن يزيد المقريء عن سعيد بن يزيد أبي شجاع به.

ومداره على روايه درَّاج أبي السمح عن عيسى بن هلال، ولم أقف على متابع له.

(٣٧) حدَّثنا الحسن بن عيسى النَّيْسابوريُّ، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا سعيد بن يزيد أبي شجاع، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، عن رسول الله ﷺ قال: «وهم فيها كالحون» قال: **«تشويه النَّار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»**(١).

(٣٨) حدَّثنا الحسن بن عرفة، قال: حدَّثنا المبارك بن سعيد أخو سفيان، عن أخيه سفيان بن سعيد، عن أبي الزُّبير، عن جابر، قال: أتاه ناس من أصحابه، فأتاهم بخبز وخل، فقال: كلوا فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«نعم الإدام الخل»**(٢).

---

(١) **إسناده ضعيف**
رواية درَّاج أبي السمح عن أبي الهيثم خاصةً ضعيفة.
أخرجه عبد الله بن أحمد في (زوائده على الزهد) (١٠٥) وابن أبي الدُّنيا في (صفة النَّار)(١٠٩)، كلاهما عن الحسن بن عيسى به.
ورواه جمعٌ عن ابن المبارك:
أخرجه الترمذي (٢٥٨٧، ٣١٨٧) وأحمد (٨٨/٣) وأبو يعلى (١٣٦٧) والحاكم (٢٤٦/٢، ٣٩٥) وأبو نعيم في (الحلية) (١٨٢/٨) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (٤٣١٢) وفي (التفسير) (٤٣٠/٥) والبيهقي في (البعث) (٤٩٠) من طُرُقٍ عن ابن المبارك وهو في (مسنده) (١٢٦) وفي (الزهد) (٢٩٢- زوائد نعيم) عن سعيد به.
(٢) **حديث صحيح**
فيه أبو الزُّبير وهو مدلس، وقد عنعنه.
أخرجه الترمذي (١٨٣٩)، والعقيلي (٢٦٦/٤) من طريق جعفر بن محمَّد السوسي ومحمَّد بن العبَّاس، وابن المقرىء في (المعجم) (٤٧٣) عن أحمد بن هارون الدقاق، أربعتهم عن الحسن بن عرفة به.
وأخرجه ابن أبي الدُّنيا في (إصلاح المال) (١٧٢) عن الوليد بن سعيد عن المبارك به. وخالفه معاوية بن هشام، فرواه عن الثوري عن محارب بن دثار عن جابر به. أخرجه أبو داود (٣٨٢٠) والترمذي (١٨٣٩، ١٨٤٩) وأبو عوانة (٨٣٧٢) وابن أبي شيبة (١٤٩/٨/٢٥١٠٤- عوامَّة) والعقيلي (٢٢٦/٤-٢٢٧) والبغوي في=

=٣- أبو إسحاق عن أبي الأحوص وأبي الأسود وأبي عُبيدة:
أخرجه ابن ماجه (٨٩٩) والهيثم بن كُلَيْب في (مسنده) (٥٠٤) من طريق قبيصة، وأخرجه أحمد (٤٢٣/١) من طريق مؤمل، كلاهما عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي الأسود وأبي عُبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به.
قال الدَّارَقُطني في (العلل) (٣١٢/٥):
«كل الأقاويل صحاح عن أبي إسحاق، إلا ما قال زيد بن أبي أنيسة من ذكر علقمة، فإن أبا إسحاق لم يسمع من علقمة شيئًا».
ورواية زيد بن أبي أنيسة، أخرجها النَّسَائيُّ (٢٣٩/٢) والطَّبراني في (الأوسط) (٦٥٢١) عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن زيد عن الأسود وعلقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا به.
وإسناده صحيح إلى زيد، ويخشى من تدليس أبي إسحاق فيه.
وخالفه عُبيد الله بن عمرو فرواه عن زيد لكن عن حمَّاد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به.
أخرجه النَّسَائيُّ (٣٢٩/٢) عن محمَّد بن جبلة عن عُبيد الله بن عمرو به.
والعلاء بن هلال هذا هو الباهلي الرقي، قال أبو حاتم: منكر الحديث، ضعيف الحديث، عنده عن يزيد بن زريع أحاديث موضوعة. وقال النَّسَائيُّ: هلال بن العلاء روى عن أبيه غير حديث منكر، فلا أدري منه أُتِيَّ أو من أبيه.
وقال الخطيب: في بعض حديثه نكرة.
وسئل أبو حاتم في (الجرح والتعديل) (٧٨/٩) عن هلال بن عمر أبو العلاء هذا، فقال: ضعيف الحديث.
فلعل ما أنكره النَّسَائيُّ في رواياته من قبل أبيه، لا سيما وقد توبع زيد على هذا الوجه. فقد أخرجه النَّسَائيُّ (٢٤٠/٢) من طريق هشام عن حمَّاد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به. وإسناده صحيح، وهو الراجح.
وله طرق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:
١- عبد الله بن سخبرة أبو معمر عنه:
أخرجه البخاري (٦٢٦٥) ومسلم (٥٩/٤٠٢) والنَّسَائيُّ (٢٤١/٢) وأحمد (٤١٤/١) وابن أبي شيبة (٣٠٠٣/٢٩٢/١- عوامَّة) وأبو عوانة (٢٠٢٦).
٢- أبو وائل عنه:
أخرجه البخاري (٨٣١، ٨٣٥، ١٢٠٢، ٦٢٣٠، ٦٣٢٨، ٧٣٨١) ومسلم (٥٥/٤٠٢، ٥٦، ٥٧، ٥٨) والنَّسَائيُّ (٢٣٨/٢، ٢٣٩)و (٤٠/٣، ٤١، ٥٠، ٥١) وأبو داود (٩٦٨) والترمذي (١١٠٧) وابن ماجه (٨٩٩) والدارمي (٣٠٨/١) وابن أبي شيبة (٣٠٠٠/٢٩١/١ - عوامه) وأحمد (٣٨٢/١، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٩، ٤٤٠) وابن خُزَيْمة (٧٠٣، ٧٠٤) وأبو عوانة (٢٠٢٧) وأبو يعلى (٥٠٨٢، ٥١٣٥)=

(٤٢) حدَّثنا أبو الأشعث، حدَّثنا محمَّد بن عبد الرَّحمن الطُّفَاويُّ، حدَّثني أيوب، عن محمَّد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ فواتح الكلم، ونُصِرْتُ بالرُّعب، وبينما أنا نائم البارحة، إذ أُوتيت بمفاتيح خزائن الأرض، حتى وُضعت في يَدِي»(١).

=والهيثم بن كُلَيْب في (مسنده) (٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (٢٦٢/١) وفي (المشكل) (٧٦/٣) وابن حِبَّان (١٩٤٩) والدَّارَقُطني (١٤١/١، ٣٥٠، ٣٥١) والبيهقي (١٣٨/٢، ١٥٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣٧٧) وأبو نعيم في (الحلية) (١١٤/٨-١١٥).

٣- أبو الأحوص عنه:

أخرجه النَّسَائيُّ (٢٣٨/٢، ٢٣٨-٢٣٩) وأبو داود (٩٦٩) والترمذي (١١٠٧) والطيالسي (٣٠٤) وعبد الرزَّاق (٣٠٦٣) وأحمد (٤٠٨/١، ٤٣٧) وابن أبي شيبة في (مسنده) (٤٢٢، ٤٢٣) وابن خُزَيْمة (٧٢٠) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (٢٦٣/١) وابن حِبَّان (١٩٥١) والطَّبراني (٩٩١٠، ٩٩١١، ٩٩١٢) وفي (الأوسط) (٦٨٣) وأبو نعيم في (الحلية) (١٧٨/٧) والبيهقي (١٤٨/٢).

٤- علقمة عنه:

أخرجه النَّسَائيُّ (٢٣٩/٢، ٢٤٠) وأبو داود (٩٦٦)و الدارمي (١٣٤١) وابن أبي شيبة (٢٩٩٩/٢٩١/١) وأحمد (٤٢٢/١، ٤٥٠) والطَّبراني في (الصغير) (٢٨/٢) والدَّارَقُطني (٣٥٢/١، ٣٥٣، ٣٥٤) وأبو نعيم في (الحلية) (٤٤/٣) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٥٤/١٣).

٥- الأسود عنه:

أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٠٤/٢٩١/١) وابن خُزَيْمة (٧٠٢) والطَّحاوي في (شرح المعاني) (٢٦٢/١).

٦- أبو عُبيدة عنه:

أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩١/١) وأحمد (٣٥٦٢/٣٧٦/١) والطَّبراني (٩٩٣٦).

(١) **إسناده حسن وهو حديث صحيح**

أبو الأشعث هو أحمد بن المقدام ثقة من رجال البخاري.

والطُّفَاويُّ في حفظه مقال يسير، قال عنه ابن معين: لم يكن به بأس. وقال علي: ثقة، وقال أبو داود وأبو حاتم: ليس به بأس، وزاد أبو حاتم: صدوق صالح إلا أنه يهم أحيانًا.و قال عنه أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أيضا: صدوق إلا أنه يهم أحيانا. أخرجه ابن البخاري في (مشيخته) (١٠٨٨) من طريقين عن المصنِّف به.

وأخرجه البخاري (٢٩٧٧، ٦٩٩٨، ٧٠١٣، ٧٢٧٣) ومسلم (٦/٥٢٣، ٧، ٨) والنَّسَائيُّ (٣/٦-٤) والترمذي (١٥٥٩) وأحمد (٢٣٩/٢، ٢٥٠، ٢٦٨، ٣١٤، ٣٩٦، ٤١٢، ٤٤٢، ٤٥٥، ٥٠١-٥٠٢)=

(٤٥) حدَّثنا محمود بن محمَّد أبو يزيد الظفرى، من ولد قيس بن الحطيم، قال: حدَّثنا أيوب بن النَّجَّار، عن يحي بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليسلطنَّ الله شراركم على خياركم، فيدعوا خياركم ولا يستجاب لهم»**(١).

=(١٥٣، ١٥٤- جوابرة) من طريق الزهري.

وأخرجه ابن أبي عاصم في (السُنَّة) (١٥٥، ١٥٦- جوابرة) والفريابي في (القدر) (١١٣، ١١٤، ١١٥) من طريق محمَّد بن عمرو، وأخرجه ابن أبي عاصم في (السُنَّة) (١٥٨- جوابرة) من طريق عبد الله بن عبيد الله بن عمير، ثلاثتهم عن أبي سلمة به. وأخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٦٦١٤، ٧٥١٥) ومسلم (١٣/٢٦٥٢، ١٤، ١٥) والنَّسَائيُّ في (التفسير) كما في (التحفة)(١٢٢/١٠) وأبو داود (٤٦٨٩) والترمذي (٢١٣٤) وابن ماجه (٨٠) ومالك في (الموطأ) (١٦٦٠- تنوير) وعبد الرزَّاق (٢٠٠٦٨، ٢٠٠٦٩) وأحمد (٢٤٨/٢، ٢٦٤، ٣١٤، ٤٤٨، ٤٦٤) والحميدي (١١١٥، ١١١٦) وابن أبي عاصم في (السُنَّة) (١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦- جوابرة) وابن خُزَيْمَة في (التوحيد) (٣٩) وابن حِبَّان (٦٢١٠) والآجري في (الشريعة) (٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥) والبغوي في (شرح السُنَّة) (٦٧، ٦٨) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (ص٢٤٩-٢٥٠، ٣٠١، ٣٦٢) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

محمود الظفرى، قال عنه الخطيب: ليس بالقوي. ونقل يحي بن معين قول أيوب بن النَّجَّار: لم أسمع من يحي بن أبي كثير إلا حديثًا واحدًا، وهو «التقى آدم وموسى». فإسناده منقطع.

وله طريق أخر:

أخرجه البزَّار (٣٣٠٧- كشف الأستار) والطَّبراني في (الأوسط) (١٣٧٦) عن محمَّد بن المثنى عن بكر بن يحي بن زبان عن حبان بن علي عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به.

وسنده لا بأس به في الشواهد، حبان قال عنه البخاري: ليس عندهم بالقوي، وبكر بن يحي قال عنه أبو حاتم: شيخ. والحديث حسن بمجموع طريقيه، صحيح بشواهده، ومنها:

١- حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أخرجه ابن أبي الدُّنيا في (الأمر بالمعروف) (٢٤) والطَّحاوي في (المشكل)(١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩) والبغوي في (التفسير) (٨٥/٢) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعًا بنحوه.

وإسناده صحيح.=

(٤٦) حدَّثنا محمود بن محمَّد أبو يزيد الظفرى، قال: حدَّثنا أيوب بن النَّجار، عن يحي ابن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة الشيخ الزَّان، والعالم المختال، وذكر الثالث**»(١).

=٢- **حديث حذيفة** رضي الله عنه:

أخرجه الترمذي (٢١٧٦) وأحمد (٣٨٨/٥-٣٨٩، ٣٩١) وإسماعيل بن جعفر في (جزء من حديثه) (٣٧٧) والبيهقي (٩٣/١٠) وفي (الشُّعب) (٧٥٥٨) والبغوي في (شرح السُنَّة) (٤١٥٤)و في (التفسير) (٨٥/٢) والمزِّي في (تهذيب الكمال) (٢٣٤/١٥) والذهبي في (السِّير) (٢٩٨/١٨) من طرُقٍ عن عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرَّحمن الأشهلي عن حذيفة رضي الله عنه به. وسنده لا بأس به في الشواهد، عمرو هذا، قال عنه الذهبي: حديثه حسن، ولكن شيخه لم يرو عنه إلا عمرو، وذكره ابن حِبَّان في (الثقات).

٣- **حديث عائشة** رضي الله عنها:

أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٤) وأحمد (١٥٩/٦) وابن حِبَّان (٢٩٠) والبزَّار (٣٣٠٤، ٣٣٠٥) والبيهقي (٩٣/١٠) من طرُقٍ عن هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان بن هانئ عن عاصم بن عمرو بن عثمان عن عروة عنها بنحوه.

وخالفه موسى بن عبيدة فرواه عن عمرو عن عاصم بن عُبيد الله به.

وهشام بن سعد ضعيف، وموسى بن عبيدة، قال عنه أحمد: لا تحل الرواية عنه، منكر الحديث، ولو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه. فرواية هشام أرجح، ولكن شيخه عمرو بن عثمان مجهول وكذلك شيخه عاصم، فإسناده واهٍ، ساقط عن حدَّثنا الاعتبار.

٤- **حديث عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه:

أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) والترمذي (٣٠٥٨، ٣٠٥٩) وابن ماجه على إثر (٤٠٠٦) وأحمد (٣٩١/١) والطَّبراني (١٠٢٦٤، ١٠٢٦٥، ١٠٢٦٦) الطَّحاوي في (المشكل) (١١٦٤) والبيهقي (٩٣/١٠) وابن جرير في (التفسير) (٢٠٥/٦، ٢٠٦- شاكر) من طرُقٍ عن عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، فسنده ضعيف، ولا بأس به في الشواهد.

٥- **حديث عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما:

أخرجه ابن أبي الدُّنيا في (الأمر بالمعروف) (٨) وابن أبي الدُّنيا في (العقوبات) (٣٤) من طريق كوثر بن حكيم عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا بنحوه. وكوثر واهٍ، وسنده ساقط عن حد الاعتبار.

(١) **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح**

وسنده كسابقه، شيخ المصنِّف فيه ضعف، وأيوب لم يسمعه من يحي بن أبي كثير.=

(٤٨) حدَّثنا يحي بن سليمان بن نضلة الخزاعي، بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائتين، قال: حدَّثني سليمان بن بلال، عن موسى بن أنس، عن أنس بن مالك، أنَّ النَّبيّ ﷺ عاد رجلًا من المسلمين فدخل عليه، وهو كالفرخ المنتوف جهدًا، قال له: «**أما كنت تدعو بشيء أو تسأله؟**»، قال: نعم، كنت أقول اللهمَّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدُّنيا. فقال النَّبيّ ﷺ: «**لا تطيقه ولا تستطيعه، فهلا قلت: اللهم آتنا في الدُّنيا حسنة وقنا عذاب النَّار**»(١).

---

(١) **إسناده حسن وهو حديث صحيح**

يحي بن سليمان، قال عنه أبو حاتم: شيخ، وقال ابن عَدِيٍ: يروى عن مالك وأهل المدينة أحاديث عامتها مستقيمة، وكان المصنِّف يفخم أمره، فسنده حسن.

وصح من طرق عن أنس رضي الله عنه:

١- ثابت عن أنس رضي الله عنه:

أخرجه مسلم (٢٦٨٨/٢٣، ٢٤) والنَّسائيُّ في (الكبرى) (٧٥٠٦) والنَّسائي في (عمل اليوم) (١٠٦١) والترمذي (٣٤٩٨) وابن المبارك في (الزهد) (٩٧٣) وأحمد (١٠٧/٣، ٢٨٨) والطَّحاوي في (المشكل) (٢٠٤٨، ٢٠٤٩) وأبو يعلى (٣٤٩٨) وأبو نعيم في (الحلية) (٣٢٩/٢) والبغوي في (شرح السُنَّة) (١٣٧٧) من طرُقٍ عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به، وزاد: «**فدعا الله له فشفاه**».

٢- قتادة عن أنس رضي الله عنه:

أخرجه مسلم (٢٦٨٨/٢٤) والنَّسائي في (عمل اليوم) (١٠٦٣).

٣- حميد عن أنس رضي الله عنه:

أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٧٢٨، ٧٢٩) وابن أبي شيبة (٢٦١/١٠-٢٦٢) وابن السُنِّي في (عمل اليوم) (٥٥٥) وأبو يعلى (٣٨٠٢) وعبد بن حُميد (١٣٩٩) والبغوي في (شرح السُنَّة) على إثر (١٣٧٧) من طرُقٍ عن حميد به.

قال الدَّارَقُطني في (العلل) (٢٣٨٩/٤٨/١٢): يرويه إسماعيل بن جعفر ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس، ورواه عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن ثابت عن أنس، وهو الصواب.

قال شعبة: لم يسمع حميد من أنس إلا أربعة وعشرين حديثًا، والباقي سمعها من ثابت، أو ثبَّته فيها ثابت.

فقال العلائي: فعلى تقدير أن تكون أحاديث حميد مدلسة، فقد تبين الواسطة فيها، وهو ثقة.=

(٤٩) سمعت يحي بن سليمان بن نضلة، يقول: دخلت أنا وإبراهيم بن أبي يحي من السقفين، فبلغ ذلك مالك، فقال: «**ما أحب أن أطلع في بيت النَّبيّ صلى الله عليه**»، يعنى قبر النَّبيّ ﷺ[1].

(٥٠) يحي بن سليمان بن نضلة، قال: حدَّثنا عبد الرَّحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني**»[2].

(٥١) حدَّثنا هارون بن موسى الفروي، في كتاب (المغازي)، عن موسى بن عقبه، قال: حدَّثنا محمَّد بن فليح بن سليمان بن أبي المغيرة بن حنين، قال: قال موسى بن عقبة، وحدَّثنا ابن شهاب، قال: حدَّثنا عبد الرَّحمن بن مالك بن جعشم المدلجي

=**٤- الأعمش عن أنس رضي الله عنه:**

أخرجه أبو يعلى (٤٠١٠)عن عقبة بن مكرم عن يونس بن بكير عن الأعمش به. وإسناده منقطع، الأعمش لم يسمع منه كما صرح هو بذالك.

(١) **إسناده حسن إلى الإمام مالك:**

أخرجه أبو طاهر السِلَفي في (الطيوريات) (٧٦٥) من طريق المصنِّف به.

وشيخ المصنِّف، قال ابن عَديٍ: يروى عن مالك وأهل المدينة أحاديث عامتها مستقيمة.

(٢) **متفق عليه**

وإسناده حسن، أخرجه ابن شاهين في (الترغيب) (٣٦٦) عن المصنِّف به. وأخرجه البخاري (٧٥٠٥) من طريق شعيب، والخطيب (١٠٩/٧) من طريق ورقاء بن عمر، كلاهما عن أبي الزناد به.

وأخرجه البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٣٧) واللفظ له في الموضع الأول، ومسلم (٢/٢٦٧٥، ٣، ١٩، ٢٠، ٢١) والترمذي (٢٣٩٥، ٣٦١٤) وابن ماجه (٣٨٢٢) وأحمد (٢٥١/٢، ٣١٥، ٣٩١، ٤١٣، ٤٤٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٤، ٥٣٩) وابن خُزَيْمَة في (التوحيد) (٦-٧) وابن أبي الدُّنيا في (حسن الظن) (٣) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (ص٣٦٢) والبغوي في (شرح السُّنَّة) (١٢٤٤، ١٢٤٥) من طرُقٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به، وفيه زيادة: «**...فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاءٍ ذكرته في ملاءٍ خير منهم، وإن تقرَّب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**».

(٥٢) حدَّثنا محمَّد بن زُنْبُور المكِّي، حدَّثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن سُهيل يعني ابن أبي صالح، عن أبيه، عن عرفجة بن عبد الواحد، عن عاصم بن أبي النّجود، عن زر بن حُبيش، عن عبد الله بن مسعود..

وحدَّثنا عبد الله بن شعيب الزّبيري القاضي، قال: حدَّثنا مُطرِّف بن عبد الله، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن سهيل، عن أبيه، عن عرفجة، عن عاصم بن أبي النّجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، في حديث ذكره، وقال فيه: «**من قرأ (تبارك الذي بيده الملك) كل ليَّلة منعه الله بها من عذاب القبر، كنَّا في زمان رسول الله نسمِّيها المانعة، لأنها في كتاب الله سورة من قرأها كل ليلة فقد أكثر وأطاب**»(١).

=٢- عقيل عنه:

أخرجه البخاري (٣٩٠٦) والبيهقي في (دلائل النُّبوة) (٢/٤٨٥-٤٨٧) بدون السؤال عن الضالة.

٣- محمَّد بن إسحاق عنه:

أخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٤/٣٣٤-٣٣٦) وذكره ابن هشام في (السيرة) (٢/٧٩-٨١) من طريق محمَّد بن إسحاق به، بدون السؤال عن الضالة.

وأخرجه أحمد (٤/١٧٥) عن يعلى ويزيد بن هارون، كلاهما عن محمَّد بن إسحاق به، وفيه السؤال عن الضالة.

وحديث «**الضالة تغشى حياضي..**» صحيح:

أخرجه أحمد (٤/١٧٥) من طريق صالح، وأحمد (٤/١٧٥) وابن ماجه (٣٦٨٦) وابن أبي عاصم في (الأحاد والمثاني) (١٠٣٢)من طريق محمَّد بن إسحاق، كلاهما عن الزهري عن عبد الرَّحمن بن مالك عن أبيه عن سراقة ابن مالك ﵁ قال: سألت رسول الله ﷺ عن الضالة من الإبل تغشى حياضي، قد لطتها للإبل، هل لي من أجر في شأن ما أسقيها؟ قال: «**نعم، في كل ذات كبدٍ حرىً أجر**».

وعند أحمد (٤/١٧٥) أنَّ سراقة دخل على النَّبيِّ ﷺ في وجعه الذي توفيَّ فيه، فسأله عن ذلك. ويبدو أن سراقة ﵁ سرد قصه الهجرة ثم أردفها بسؤاله للنبي ﷺ، وإرساله الصدقة في سياق واحد، مع بعد الفترة بينهما.

(١) **إسناده ضعيف وهو صحيح موقوفًا**

عاصم بن أبي النّجود في حفظه لين، وعرفجة بن عبد الواحد روى عنه اثنان، وسكت عنه أبو حاتم، فهو مجهول الحال، ومحمَّد بن زُنْبُور المكي ليس بالقوي، وإسناده ضعيف.=

=أخرجه المزّي في (تهذيب الكمال) (١٩/٥٥٩-٥٦٠) وابن البخاري في (مشيخته) (١١٢٥، ١١٢٦) من طريق المصنِّف به.
وأخرجه أبو يعلى في (الطبقات) (١٦٩/٢) من طريق محمَّد بن عمر عن محمَّد بن زُنْبُور به.
واختُلف على عبد العزيز بن أبي حازم:
أخرجه النَّسائيُّ في (الكبرى) (١٠٥٤٧) وفي (عمل اليوم) (٧١٦)من طريق محمَّد بن عبيد الله، والطَّبراني (١٠٢٥٤) وفي (الأوسط) (٦٢١٢) من طريق محرز بن سلمة، كلاهما عن عبد العزيز بن أبي حازم عن سهيل عن عرفجة به، ولم يذكرا أبا صالح. والوجه الثاني أرجح.
ورواه جمعٌ عن عاصم عن أبي زرعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه: أخرجه الفريابي في (فضائل القرآن) (٢٩، ٣١، ٣٢) والطَّبراني (٨٦٥٢، ٨٦٥٣، ٨٦٥٤) من طرُقٍ عن عاصم به.
ورواه عن عاصم: (حمَّاد بن زيد، علي بن مسهر، شعبة، زائدة، زيد بن أَبِي أُنيسة) وتابعهم سفيان الثوري، واختُلف عليه:
أخرجه الحاكم (٤١٨/٢) والطَّبراني (٨٦٥١) عن عبد الرزَّاق وهو في (المصنَّف) (٦٠٢٥) عن سفيان الثوري به، موقوفًا كما رواه الجماعة.
وخالفه أبو أحمد الزُّبيري، فرواه عن سفيان الثوري مرفوعًا:
«**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**».
وأبو أحمد الزُّبيري ثقة، لكن قال أحمد: «كان كثير الخطأ عن سفيان»
قال الدَّارَقُطني في (العلل) (٥٢/٥): «ولا يصح رفعه، وهو محفوظ من كلام ابن مسعود». وله طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه:
١- أبو الأحوص عنه:
أخرجه الطَّبراني (٨٦٥٠) من طريق عبد الرزَّاق وهو في (المصنَّف) (٦٠٢٤) عن معمر عن محمَّد بن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال:
«**مات رجل فجاءته ملائكة العذاب فقعدوا عند رأسه، فقال: لا سبيل لكم عليه، قد كان يقرأ سورة الملك...**».
ورجاله ثقات، وابن إسحاق مدلس وقد عنعنه، وسنده لا بأس به في المتابعات.
٢- مرة الطيب عنه:
أخرجه البيهقي في (دلائل النُّبوة) (٤١/٧) من طريق عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **يؤتى رجل من جوانب قبره، فجعلت سورة ممن القرآن تجادل عنه حتى منعنه، قال: فنظرت أنا ومسروق فإذا هي: «تبارك الذي بيده الملك».**
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وصرح محمَّد بن إسحاق بالتحديث.
وله شاهد من حديث عبدالله بن عبَّاس رضي الله عنهما مرفوعًا به، لكنه منكر: أخرجه الترمذي (٢٨٩٩) من طريق=

معرفة المراسيل والسماعات

كتبه

طارق بن عوض الله

اعلم أن الإرسال يقع في الرواية تارة عند التحمل، وتارة عند الأداء

فعند التحمل، كما في الوجادة؛ فإن الوجادة هي أن يجد الشخص أحاديث بخط راويها؛ سواء لقيه، أم سمع منه أم لم يلقه، أم لم يسمع منه، أو أن يجد أحاديث في كتب لمؤلفين معروفين ولو كانوا متوفين قبله؛ ومثل هذا روايته منقطعة غير متصلة دون شك.

وأما عند الأداء، فقد يكون الراوي تحمل الحديث بطريق من طرق التحمل المعتبرة، المحكوم باتصالها، لكنه لغرض ما يلجأ حال روايته لها إلى إحداث الإرسال فيها، بإسقاط شخص أو أكثر، من أول الإسناد أو وسطه أو آخره.

واعلم، أن إرسال من تحمل تحملا معتبرا، إنما يقع من الراوي، إما لكونه لم يدرك شيخه أصلا مع كونه عاصره، أو أنه أدركه والتقى به ولم يقع له السماع منه، وذلك يكون بأمور:

منها: أن يكون سنه لا يحتمل ذلك؛ لكونه صغيرا وقت وفاة شيخه، لا يمكن له اللقاء به والأخذ عنه، ولهذا عني المحدثون بمعرفة تواريخ ولادة الرواة ووفياتهم، وزمن سماع الحديث، وزمن الرحلة، وزمن التحديث.

من ذلك: روى الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية عن مكحول قال: «جالست شريحا ستة أشهر ما أسأله عن شيء إنما أكتفي بما يقضي به بين الناس».

ذكر ذلك ابن أبي حاتم عن أبيه(١) ثم ذكر عن أبيه أنه قال: «لم يدرك مكحول شريحا، هذا وهم».

---

(١) (المراسيل) (٨٠٣).

ثم عده من مناكير تميم بن عطية فقال(١): «محله الصدق، وما أنكرت من حديثه إلا شيئا، روى إسماعيل بن عياش عنه مكحول قال: جالست شريحا كذا شهرا. وما أرى مكحولا رأى شريحا بعينه قط، ويدل حديثه على ضعف شديد».

ومن ذلك: قال ابن أبي حاتم(٢): «سألت أبي عن حديثين رواهما همام عن قتادة عن عزرة عن الشعبي أن أسامة بن زيد حدثه أنه كان ردف النبي ﷺ عشيَّة عرفة. هل أدرك الشعبي أسامة؟ قال: لا يمكن أن يكون الشعبي سمع من أسامة هذا، ولا أدرك الشعبي الفضل بن عباس».

قلت: هذا الحديث، أخرجه الطيالسي (٦٣٥) وأحمد (١/٢١٣-٢١٤) (٥/٢٠٦)، وفيه ذكر لفظ التحديث من الشعبي عن الفضل أيضا.

ولهذا قال أبو حاتم مضعفا له: «ولا أدرك الشعبي الفضل بن العباس».

فلفظ التحديث المذكور في هذه الرواية عن الشعبي أن الفضل بن العباس حدثه، خطأ لا شك فيه، لأنه تاريخيا لا يمكن للشعبي أن يسمع من الفضل بن العباس.

ذلك، لأن الفضل مات سنة ١٨ في خلافة عمر، بل جزم البخاري في (التاريخ الكبير)(٣) بأنه مات في خلافة أبي بكر، وحكى القولين في (التاريخ الصغير)(٤)، والشعبي ولد سنة ١٩، فقد ولد بعد وفاته، فكيف يمكن أن يسمع منه؟!.

---

(١) (الجرح والتعديل) (٢/٤٤٣).

(٢) (المراسيل) (٥٩٠)، (العلل) (٧٩٥).

(٣) (التاريخ الكبير) (٧/١١٤).

(٤) (التاريخ الصغير) (١/٣٦، ٥٢).

وأما عدم سماعه من أسامة بن زيد، فقد جزم به أبو حاتم وغيره، كابن معين وأحمد بن حنبل وابن المديني والحاكم(١).

وقال ابن أبي حاتم(٢): «ذكر أبي عن إسحاق بن منصور، قلت ليحيى: قال الشعبي: إن الفضل حدثه، وإن أسامة حدثه؟ قال: لا شيء. وقال أحمد وعلي: لا شيء».

وهو مبني على أدلة تاريخية أيضا:

فإن الشعبي، وإن كان بين ولادته ووفاة أسامة أكثر من ثلاثين سنة، إلا أنه كان بالكوفة بينما كان أسامة بالمدينة، وما زال الأئمة يستدلون ببعد الشقة على انتفاء السماع.

ثم إن أهل الكوفة لم يكن الواحد منهم يسمع الحديث إلا بعد استكماله عشرين سنة، ويشتغل قبل ذلك بحفظ القران وبالتعبد(٣).

ومعلوم؛ أنهم ما كانوا يبدؤون بالرحلة من أول الطلب، بل كانوا يسمعون من أهل بلدهم أولا، ثم إذا فرغوا وحصلوا ما عندهم بدؤوا في الرحلة.

ثم إن الراوي وقع في الخطإ البين في الرواية بذكر لفظ التحديث بين الشعبي والفضل، مع أنه لا يمكن تاريخيا أن يسمع منه، فوقوعه في الخطإ بذكره لفظ التحديث بين الشعبي وأسامة بن زيد أولى؛ لأن الأمر فيه محتمل، فإذا كان الراوي أخطأ فيما لا احتمال فيه، فكيف بالمحتمل؛ فإن الظاهر أن الراوي لم يحفظ الرواية كما ينبغي. والله أعلم.

---

(١) (تاريخ الدوري) (٣٠٥٥)، (المراسيل) (٥٩٥)، (معرفة علوم الحديث) (ص١٦٤).

(٢ (المراسيل) (٥٩٥).

(٣) كما في (المحدث الفاصل) (ص١٨٦) و(الكفاية) للخطيب البغدادي (ص٥٤).

ومنها: أن يكون شيخه الذي يروي عنه من بلد أخرى غير بلدته، ولم يرحل واحد منهما إلى بلد الآخر، ولهذا عني العلماء بمعرفة رحلات المحدثين لمعرفة من يمكن له أن يسمع مما يروي عنه من عدم ذلك.

قال ابن رجب الحنبلي(١): «ومما يستدل به أحمد وغيره من الأئمة على عدم السماع والاتصال: أن يروي عن شيخ من غير أهل بلده، لم يعلم أنه دخل إلى بلده، ولا أن الشيخ قدم إلى بلد كان الراوي عنه فيه».

ويتأكد ذلك إذا كانت البلدتان -بلدة الراوي وبلدة الشيخ- بعيدتين، فإنه لو رحل لاشتهر ذلك ولعرف بين علماء الحديث.

قال ابن أبي حاتم(٢): «قلت لأبي: أبو وائل سمع من أبي الدرداء شيئا؟ قال: أدركه، ولا يحكى سماع شيء؛ أبو الدرداء كان بالشام، وأبو وائل كان بالكوفة».

وسئل أحمد بن حنبل(٣) عن زرارة -يعني: ابن أوفى- لقي تميما؟ فقال: «ما أحسبه لقي تميما؛ تميم كان بالشام، وزرارة بصري كان قاضيها».

ومنها: أن يكون الرواي أو الشيخ قد رحل كل منهما إلى بلد الآخر، ومع ذلك لم يقع للراوي لقاء بشيخه ولا سماع منه: إما لكون الراوي كان خارج بلدته عند دخول الشيخ بلدته.

قال علي بن المديني -ونحوه عن أحمد(٤)-: «الحسن لم يسمع من ابن عباس، وما رآه

---

(١) (شرح علل الترمذي) (٢١٩/١).
(٢) (المراسيل) (٣١٩).
(٣) هامش (المراسيل) (ص:٦٣).
(٤) (المراسيل) (٩٧، ٩٨).

قط، كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة، استعمله عليها علي، وخرج إلى صفين».

وقال ابن المديني أيضا[(١)]: «الحسن لم يسمع من الأسود بن سريع، لأن الأسود بن سريع خرج من البصرة أيام علي، وكان الحسن بالمدينة».

وإما لكون الراوي دخل بلدة الشيخ بعد وفاة الشيخ، كما قيل في قيس بن أبي حازم من أنه هاجر إلى النبي ﷺ ليبايعه، فقبض وهو في الطريق، فلم ينل شرف الصحبة، وكما قال حماد بن زيد: كنا ننتظر قتادة أن يقدم فنسمع منه، فمات بواسط[(٢)].

ومنها: أن يكون حصل له لقاء بشيخه واجتماع معه ورؤية له، ولكنه لم يقع له سماع منه، كما قيل في إبراهيم النخعي[(٣)]: دخل على عائشة ولم يسمع منها، وكما قيل في أيوب السختياني[(٤)]: رأى أنس بن مالك ولم يسمع منه.

ومنها: أن يكون الراوي له سماع من شيخه في الجملة، إلا أن ما سمعه منه قليل في جنب الكثير الذي رواه عنه. وهذا شأن المدلسين.

* * *

(١) (المراسيل) (١٢٧).

(٢) (التاريخ الكبير) (٧/١٨٥).

(٣) تقدم.

(٤) (المراسيل) (٣٩).

هذا، ويعرف الإرسال بطرائق وقرائن:

الأولى: أن يصرح الراوي نفسه بأنه لم يسمع من ذلك الشيخ، وإن روى عنه.

كما قال موسى بن سلمة(١): «أتيت مخرمة بن بكير، فقلت له: حدثك أبوك؟ فقال: لم أدرك أبي، ولكن هذه كتبه».

وقال عبد الملك بن ميسرة(٢): «قلت للضحاك: أسمعت من ابن عباس؟ قال: لا. قلت: فهذا الذي ترويه عمن أخذته؟ قال: عنك وعن ذا وعن ذا»!!.

وقال عيسى بن يونس(٣): قلت لعمر مولى غفرة: سمعت من ابن العباس؟ فقال: أدركت زمانه.

الثانية: أن ينص إمام على ذلك. وهذا كثير، تجده مبثوثا في تراجم الرجال، وفي «مراسيل ابن أبي حاتم» من ذلك قدر كبير.

والعلماء إن اتفقوا، فلا إشكال، وإن اختلفوا هل سمع أو لم يسمع، فسيأتي كيفية التعامل مع اختلافهم في باب «كيف يعرف السماع» قريبًا إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) (المراسيل) لابن أبي حاتم (٨٣٢).
(٢) (المراسيل) لابن أبي حاتم (٣٤١).
(٣) (تهذيب الكمال) (٢١/٤٢٢).

وهناك قرائن يستدل بها على ذلك:

منها: أن يكون الراوي من عادته أن يروي عن الصغار، ثم إذا بنا نجده في حديث أو أكثر يروي عن الكبار الذين لم يدركهم، كمن كان من شأنه أن يروي عن التابعين في الغالب، ثم إذا به يروي عن الصحابة أو عن كبارهم، فإن الظاهر حينئذ أن روايته عن هؤلاء غير متصلة.

قال ابن أبي حاتم(١): «سألت أبي عن الحسن بن الحكم، هل لقي أنس بن مالك، فإنه يروي عنه؟ فقال: لم يلق أنسا، إنما يحدث عن التابعين».

وقال ابن أبي حاتم(٢): «سمعت أبي يقول: موسى بن يسار الدمشقي، روى عن أبي هريرة، مرسل، ولم يدرك أبا هريرة، يروي عن مكحول وعطاء ونافع والزهري».

وقال أبو طالب(٣): «قلت لأحمد بن حنبل: ميمون بن مهران عن حكيم بن حزام؟ قال: لا، من أين لقيه؟! لم يرو إلا عن ابن عباس وابن عمر».

وقال أبو حاتم(٤): «حجاج بن حجاج، ليست له صحبة، ومما يدل على ذلك أنه يروي عن أبي هريرة، وعن أبيه».

وقال ابن أبي حاتم(٥): «سألت أبي عن خالد بن كثير، يروي عن النبي ﷺ؟ قال:

---

(١) (المراسيل) (١٥٨).
(٢) (المراسيل) (٧٧٨).
(٣) (المراسيل) (٧٦٨).
(٤) (المراسيل) (١٥٩).
(٥) (المراسيل) (١٨٩).

ليست له صحبة. قلت إن أحمد بن سنان أدخله في مسنده؟! فقال أبي: خالد بن كثير يروي عن الضحاك، وعن أبي إسحاق الهمداني».

قال ابن حجر(١): «جميع من سموه من مشايخ الزهري من الصحابة كلهم من صغار الصحابة أو ممن لم يلقهم الزهري وإن كان روى عنهم، أو ممن لم تثبت له صحبة، وإن ذكر في الصحابة، أو من ذكر فيهم بمقتضى مجرد الرؤية، ولم يثبت له سماع، فهذا حكم جميع من ذكر من الصحابة في مشايخ الزهري، إلا أنس بن مالك، وإن كان من المكثرين، فإنما لقيه لأنه عمر وتأخرت وفاته. ومع ذلك فليس الزهري من المكثرين عنه، ولا أكثر أيضا عن سهل بن سعد الساعدي، فتبين أن الزهري ليس من كبار التابعين، وكيف يكون منهم وإنما جل روايته عن كبار التابعين، لا كله! لأن أكثرهم مات قبل أن يطلب هو العلم، وهذا بَيِّنٌ لمن نظر في أحوال الرجال».

ومنها: أن يكون الراوي من المكثرين من الإرسال، بحيث صار الإرسال عادة له ومذهبا، وهذا غالبا يكون من الرواة الذين وجدوا في بعض البلدان التي يكثر فيها الإرسال؛ كالعراق.

قال الحاكم(٢): «أهل الحجاز والحرمين ومصر والعوالي ليس التدليس من مذهبهم، وكذلك أهل خرسان والجبال وإصبهان وبلاد فارس وخوزستان وما وراء النهر لا يعلم أحد من أئمتهم دلس، وأكثر المحدثين تدليسا أهل الكوفة ونفر يسير من أهل البصرة، فأما مدينة السلام بغداد فلم يذكر عنهم ذلك إلا أبي بكر محمد بن محمد سليمان الباغندي الواسطي؛ فإن أخذ أحد من أهل بغداد التدليس فعن الباغندي وحده».

---

(١) (النكت على ابن الصلاح) (٢/٨٦-٨٧).

(٢) (معرفة علوم الحديث) (ص١٧٤).

ومنها: أن يكون الراوي من المكثرين عن شيخ معين، ومع ذلك لم يصرح بالسماع منه ولو في حديث واحد، فإن هذا الظاهر منه أنه لم يسمع منه، إذ لو سمع منه لبادر إلى التصريح بالسماع منه، كما هي عادة الرواة.

قال يحيى بن سعيد القطان[١]: «كتبت عن الأعمش أحاديث عن مجاهد، كلها ملزقة، لم يسمعها».

وقال أبو حاتم[٢]: «يحيى بن أبي كثير، ما أراه سمع من عروة بن الزبير، لأنه يدخل بينه وبينه رجل أو رجلان، ولا يذكر سمع، ولا رؤية، ولا سؤاله عن مسألة».

ومنها: أن يكون هذا الراوي لم يسمع ممن هو أقرب إليه من هذا الشيخ، أو ممن هو أشهر منه وأعرف، أو ممن قد عاش بعده بزمن.

قال ابن رجب الحنبلي[٣]: «وقد حكى أبو زرعة الدمشقي عن قوم أنهم توقفوا في سماع أبي وائل من عمر -أو نفوه-، فسماعه من معاذ أبعد».

وذلك، لأن معاذا مات قبل عمر -فإنه مات سنة ثماني عشرة، بينما مات عمر سنة ثلاث وعشرين-، فإذا كان أبو وائل لم يسمع ممن تأخرت وفاته، فعدم سماعه ممن تقدمت وفاته أولى، لا سيما وأن عمر كان أمير المؤمنين، والسماع منه مما تتطلع إليه الهمم، وتتشوق إليه النفوس.

وقال ابن أبي حاتم[٤]: «سئل أبي عن عمر بن عبد العزيز سمع من عبد الله بن عمرو؟

---

(١) (تقدمة الجرح والتعديل) (ص٢٤١).

(٢) (المراسيل) (٩٠٤).

(٣) (جامع العلوم والحكم) (الحديث التاسع والعشرون).

(٤) (المراسيل) (٤٩٣،٤٩٢).

قال: لا، كان عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة، وسلمة بن الأكوع وسهل بن سعد حيين، فلو كان حضرهما، لكتب عنهما».

وقال أبو طالب(1): «سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن علي -يعني: أبا جعفر الباقر- سمع من أم سلمة شيئا؟ قال: لا يصح أنه سمع. قلت: فسمع من عائشة؟ فقال: لا، ماتت عائشة قبل أم سلمة».

وقال الترمذي(2): «سألت محمدا -يعني: البخاري- قلت له: أبو البختري الطائي أدرك سلمان؟ قال لا، لم يدرك أبو البختري عليا، وسلمان مات قبل علي».

ومنها: أن يكون من هو أكبر من هذا الراوي، أو من هو أكثر طلبًا، وأوسع رحلة منه، أو من هو أقرب إلى هذا الشيخ منه -في المسكن والموطن-، لم يسمع من ذاك الشيخ، فإذا كان الكبير والرحالة والقريب لم يسمع منه، فأولى أن لا يكون قد سمع من هو دون ذلك.

قال أحمد بن حنبل(3): «ما أرى خالدًا الحذاء سمع من الكوفيين، من رجل أقدم من أبي الضحى، وقد حدث عن الشعبي، وما أراه سمع منه»؟!

وسئل(4): رأى خلف بن خليفة عمرو بن حريث؟ قال: «لا، ولكنه عندي شبه عليه حين قال: رأيت عمرو بن حريث! هذا ابن عيينة وشعبة والحجاج لم يروا عمرو بن حريث، يراه خلف؟! ما هو عندي إلا شبه عليه».

---

(1) (المراسيل) (٦٧٢).
(2) (العلل الكبير) (٣٨٦/١).
(3) (المراسيل) (١٩٠).
(4) (تهذيب الكمال) (٢٨٦/٨).

وقال ابن معين[١]: «سعيد بن أبي عروبة لم يسمع من مجاهد، وقتادة لم يسمع من مجاهد، فكيف يسمع منه سعيد!».

وقال شعبة بن الحجاج[٢]: «كان أبو إسحاق أكبر من أبي البختري، لم يدرك أبو البختري عليا، ولم يره».

ومنها: أن يكون الحديث الذي رواه ذلك الراوي عن شيخه قد جاء من وجه آخر بزيادة واسطة بينهما، ولا يكون من باب (المزيد في متصل الأسانيد)، فإنه حينئذ يدل على عدم سماعه ممن روى عنه.

قال علي بن الحسين بن الجنيد[٣]: «زيد بن أسلم، عن أبي هريرة مرسل، وعن عائشة مرسل؛ أدخل بينه وبين عائشة: القعقاع بن حكيم، وأدخل بينه وبين أبي هريرة: عطاء بن يسار».

وقال الأثرم[٤]: «قلت لأبي عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل-: أبو وائل سمع من عائشة؟ قال: ما أدري! ربما أدخل بينه وبينها مسروق في غير شيء. وذكر حديث: إذا أنفقت المرأة».

وقال أبو حاتم[٥]: «أبو وائل قد أدرك عليا، غير أن حبيب بن أبي ثابت روى عن أبي وائل، عن أبي الهياج، عن علي، أن النبي ﷺ بعثه: لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته».

---

(١) (المراسيل) (ص٧٤-٧٦)، (الجرح والتعديل) (١/١٣١).
(٢) (المراسيل) (٢٧٠).
(٣) (المراسيل) (٢٢٦).
(٤) (المراسيل) (٣١٨).
(٥) (المراسيل) (٣٢٠).

وقال ابن أبي حاتم(١): «سألت أبي عن عبد الله بن ملاذ الأشعري، الذي يروي عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم أنج السفينة ومن فيها. قالوا: يا رسول الله، أي سفينة؟ قال: سفينة تقدم عليكم من اليمن، فيها سبعون ومائة من الأشعريين». قال أبي: عبد الله بن ملاذ ليست له صحبة. قلت: فإن أحمد بن سنان أخرج ذلك في «مسنده»؟ قال أبي: بينه وبين النبي ﷺ أربعة، يروي عبد الله بن ملاذ، عن نمير بن أوس، عن رجل، عن عامر بن أبي عامر الأشعري، عن أبيه، عن النبي ﷺ»!

وقال أبو حاتم(٢): «عدي بن عدي هو ابن عميرة، ولأبيه صحبة، ولم يسمع من أبيه، يدخل بينهما: العرس بن عميرة بن قيس».

وقال أيضا(٣): «لا أدري: سمع الشعبي من سمرة، أم لا؟ لأنه أدخل بينه وبينه رجل».

* * *

وهذا الموضع مما يحتاج إلى تفصيل، فنقول:

لا تخلو الرواية المزيدة إما أن تكون: محفوظة أو غير محفوظة:

الحالة الأولى: أن تكون الرواية المزيدة محفوظة، أي أن: ذكر الراوي المزيد في أثناء الإسناد محفوظ ولم يخطئ فيه الراوي، فيكون هذا الراوي (المزيد) من رجال هذا الإسناد.

---

(١) (المراسيل) (٣٧٧).
(٢) (المراسيل) (٥٥٧).
(٣) (المراسيل) (٥٩٤).

وفرق بين قولنا: «ذكر الراوي في الإسناد محفوظ»، وبين قولنا: «الحديث محفوظ»؛ فتنبه! وسيأتي إيضاح ذلك والتدليل عليه بعد قليل، إن شاء الله.

فلا يخلو هذا الراوي إما أن يكون: معينا أو مبهما:

١- فإن كان معينا: نظرنا في سماعه من شيخه، وسماع من تحته منه. فإن تحقق سماع من تحته منه، وسماعه هو من شيخه الذي فوقه؛ كان السند متصلا ولم يعل الحديث به، وإلا فلا (أي: يعل السند بالانقطاع). ثم ننظر في حال هذا الراوي (المزيد) -جرحا وتعديلا-.

فيكون السند على هذا متصلا، سواء بذكر هذا الراوي (المزيد) أم بدون ذكره.

٢- وإن كان مبهما: أعل الحديث بإبهامه؛ لأننا لا نعرف عينه، فضلا عن حاله -جرحا وتعديلا-؛ فقد يكون ضعيفا أو كذابا!

الحالة الثانية: أن تكون الرواية المزيدة غير محفوظة؛ أي: وقع فيها خطأ من قبل أحد الرواة، والصواب: رواية الحديث دون هذه الزيادة.

قال الإمام العلائي[(١)]:

«لمعرفته طرق:

إحداها: عدم اللقاء بين الراوي والمروي عنه، أو عدم السماع منه. وهذا هو أكثر ما يكون سببا للحكم.

والطريق الثاني: أن يذكر الراوي الحديث عن رجل، ثم يقول في رواية أخرى: «نبئت عنه»، أو: «أخبرت عنه»، ونحو ذلك.

---

(١) (جامع التحصيل) (ص١٢٥).

والثالث: أن يرويه عنه، ثم يجيء عنه أيضا بزيادة شخص فأكثر بينهما؛ فيحكم على الأول بالإرسال؛ إذ لو كان سمعه منه؛ لما قال: «أخبرت عنه»، ولا رواه بواسطة بينهما.

وفائدة جعله (مرسلا) في هذا (الطريق الثالث): أنه متى كان الواسطة الذي زيد في الرواية الأخرى ضعيفا؛ لم يحتج بالحديث، بخلاف ما إذا كان ثقة.

وأما الطريقان الأولان: فيجيء فيهما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل.

ثم لا بد في كل ذلك أن يكون موضع الإرسال قد جاء فيه الراوي بلفظ «عن» ونحوها. فأما متى كان بلفظ «حدثنا» ونحوه، ثم جاء الحديث في رواية أخرى عنه بزيادة رجل بينهما؛ فهذا هو (المزيد في متصل الأسانيد)، ويكون الحكم للأول» اهـ.

قال: «و(المرسل الخفي) و(المزيد في متصل الأسانيد) متعرضان لأن يعترض بكل منهما على الآخر؛ فإن حكمهم على أفراد هذين النوعين مختلف اختلافا كثيرا.

* * *

وحاصل الأمر
أن ذلك على أقسام

أحدها: ما يترجح فيه الحكم بكونه (مزيدا) فيه، وأن الحديث متصل بدون ذلك الزائد.

وثانيها: ما ترجح فيه الحكم على الإرسال إذا روي بدون الراوي (المزيد).

وثالثها: ما يظهر فيه كونه بالوجهين؛ أي: أنه سمعه من شيخه الأدنى وشيخ شيخه أيضا، وكيفما رواه كان متصلا.

ورابعها: ما يتوقف فيه؛ لكونه محتملا لكل واحد من الأمرين» اهـ.

قال: «والراوي متى قال: «عن فلان»، ثم أدخل بينه وبينه في ذلك الخبر واسطة؛ فالظاهر أنه لو كان عنده عن الأعلى؛ لم يدخل الواسطة؛ إذ لا فائدة في ذلك، وتكون الرواية الأولى مرسلة، إذا لم يعرف الراوي بالتدليس؛ وإلا فمدلسة. وحكم المدلس حكم المرسل.

وخصوصا؛ إذا كان الراوي مكثرا عن الشيخ الذي روى عنه بالواسطة كـ: «هشام ابن عروة، عن أبيه»، و: «مجاهد، عن ابن عباس»، وغير ذلك؛ فلو أن هذا الحديث عنده عنه؛ لكان يساير ما روى عنه؛ فلما رواه بواسطة بينه وبين شيخه المكثر عنه؛ علم أن هذا الحديث لم يسمعه منه، ولا سيما إذا كان ذلك الواسطة رجلا مبهما أو متكلما فيه.

وأما ما يسلكه جماعة من الفقهاء -من احتمال أن يكون رواه عن الواسطة، ثم تذكر أنه سمعه من الأعلى-؛ فهو مقابل بمثله (بل هذا أولى)، وهو أن يكون رواه عن

الأعلى -جريا على عادته-، ثم يتذكر أن بينه وبينه فيه آخر؛ فرواه كذلك. والمتبع في التعليل إنما هو غلبة الظن» اهـ.

* * *

*** مثال الذي اعتد فيه بالناقص:**

حديث: ابن المبارك، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الرحمن بن يزيد: حدثني بسر بن عبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولاني قال: سمعت واثلة يقول: سمعت أبا مرثد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها**».

وقد روى هذا الحديث جماعة من الثقات (عن ابن المبارك عن عبدالرحمن بن يزيد)؛ من غير ذكر (سفيان)؛ مع تصريحه بالسماع من سفيان.

فتبين -بروايتهم- أن الراوي عن ابن المبارك وهم؛ فزاد (سفيان).

وأيضا؛ فقد رواه الثقات (عن بسر عن واثلة) من غير ذكر (أبي إدريس).

فتبين -بروايتهم- أن ابن المبارك قد وهم، فزاد (أبا إدريس).

وعذره: ما ذكره أبو حاتم[1]: من أن (بسرا) يحدث عن (أبي إدريس) كثيرا، فظن أن هذا الحديث مما روي (عن أبي إدريس عن واثلة).

وقد حكم الأئمة -كالبخاري وغيره- على ابن المبارك بالوهم في هذا الحديث.

* * *

(١) (العلل) (٢١٣، ١٠٢٩).

*** ومثال الذي اعتد فيه بالزائد:**

حديث: عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق السبيعي، عن زيد بن يثيع -بصيغة التصغير- عن حذيفة مرفوعا: «إن وليتموها أبا بكر فقوي أمين».

وروي هذا الحديث عن عبد الرزاق، قال: حدثني النعمان بن أبي شيبة، عن الثوري.

وروي عن الثوري، عن شريك، عن أبي إسحاق.

فتبين -بهاتين الروايتين- أن في السند الأول انقطاعا من موضعين؛ وقد رجح العلماء الزيادة.

وربما جاء الحديث من طريقين في أحدهما زيادة راو ينقصه الآخر، ولم تقم قرينة، ولا جاء نص على أن أحد الطريقين أرجح من الآخر، وحينئذ؛ ينبغي أن يحكم بأن الراوي قد حمله مرة عن الزائد ومرة عن شيخه، فذكره على الحالين؛ مرة عن هذا، ومرة عن شيخه.

هذا، وعادة جماعة من متأخري المحدثين: إذا كان الحديث قد اختلف في إثبات زيادة رجل في إسناده وإسقاطه، وكان الحديث بإسقاطه منقطعا، ذهب إلى ترجيح إثبات الزيادة؛ ليسلم الحديث من الانقطاع، أو لأن الزيادة حينئذ تكون بمنزلة تفسير المبهم؛ حيث قد تحققنا من وجود واسطة، لم تذكر في الرواية الناقصة.

وصنيع من تقدم من الحفاظ، يدل على أن ذلك ليس قاعدة مطردة، لا سيما مع اتحاد المخرج؛ فمع اتحاده يلجأ إلى الترجيح، لا إلى الجمع؛ فالتحقق من سقوط واسطة شيء، وتعيينها شيء آخر.

ومن أمثلة ذلك: روى يحيى بن جابر الطائي عن جبير بن نفير عن عبد الله بن معاوية الغاضري، عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان» الحديث[(١)].

وهذا إسناد منقطع؛ لأن يحيى بن جابر لم يدرك جبير بن نفير.

وقد جاءت رواية أخرى بإثبات «عبد الرحمن بن جبير بن نفير» بينهما في الحديث[(٢)]، ولكن ذكر «عبد الرحمن» بينهما ليس صوابا عند محمد بن عوف الحمصي وأبي حاتم الرازي، وبهذا لا يعتمد على الرواية الزائدة، ولا يحكم بمقتضاها، خلافا للإمام المزي حيث قال في ترجمة يحيى بن جابر الطائي[(٣)]: «روى عن جبير بن نفير، والصحيح: أن بينهما عبد الرحمن بن جبير بن نفير». وذلك لأن ذكر «عبد الرحمن» لا يصح أصلا، بل الصحيح أن الحديث منقطع، لا يتصل من وجه يصح.

* * *

(١) أخرجه أبو داود في (السنن) (١٥٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) (٣١/٥-٣٢) والطبراني في (الكبير) -كما في (تحفة الأشراف) (١٧١/٧-١٧٢)- والفسوي في (المعرفة والتاريخ) (٢٦٩/١) والبيهقي (٩٥/٤-٩٦).

(٣) (تهذيب الكمال) (٢٤٩/٣١).

كيف يعرف السماع؟

اعلم؛ أن مجرد رواية الراوي عن شيخه لا تستلزم أنه سمع منه؛ إذ قد تكون من قبيل المرسل غير المتصل، هذا فضلا عما يورده علماء الرجال في كتب الرجال من قولهم في ترجمة الراوي: «روى عن فلان، وروى عنه فلان»، من غير أن ينصوا على سماعه منه، فإن هذا أولى أن لا يستلزم السماع.

وإنما يعرف سماع الراوي من شيخه بتصريحه بالسماع منه، بشرط أن يكون هذا التصريح مرويا عن هذا الراوي بإسناد صحيح إليه، سالم من العلل الظاهرة والخفية، وإلا فقد يأتي في رواية تصريح الراوي بالسماع من شيخه، ويكون الصواب عدم سماعه، وما وقع في هذه الرواية خطأ.

وهذا الشرط واضح لا خفاء به، ولا تخفي ضرورته وأهميته؛ فإن الإسناد الضعيف لا تقوم به الحجة لإثبات الرواية، فكيف بإثبات السماع، الذي هو أخص من مجرد الرواية؟!

ومن ذلك: حكى ابن أبي حاتم(١)، عن أبيه، أنه قال في «سلامة بن قيصر الحضرمي»: «ليس حديثه بشيء من وجه يصح ذكر صحبته».

قال ابن أبي حاتم: «وذلك؛ أنه روى ابن لهيعة، عن زبان بن فائد، عن لهيعة بن عقبة، عن عمرو بن ربيعة، عن سلامة بن قيصر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من صام يوما ابتغاء وجه الله...**»؛ ليس هذا الإسناد مشهورا؛ قال أبو زرعة: «سلامة بن قيصر ليست له صحبة...».

---

(١) (المراسيل) (٢٣٣).

وقال أيضا[١]: «سألت أبي عن حديث؛ رواه: الحكم بن هشام، قال: حدثنا يحيي بن سعيد بن أبان القرشي، عن أبي فروة، عن أبي خلاد -وكانت له صحبة-، قال: قال رسول الله ﷺ» فذكر حديثا.

قال أبي: حدثنا بهذا الحديث ابن الطباع، عن يحيي بن سعيد الأموي، عن أبي فروة يزيد بن سنان، عن أبي مريم، عن أبي خلاد. قلت لأبي: يصح لأبي خلاد صحبة؟ فقال: ليس له إسناد».

يعني: إسنادا صحيحا، وإلا فإنه قد جاء بهذا الإسناد.

وأيضا بشرط أن يكون ذلك الراوي الذي ثبت عنه التصريح بالسماع من شيخه، بصحة الإسناد إليه، وسلامته من ورود الخطإ عليه من أحد ممن دونه، أن يكون هو نفسه من الثقات لا من الضعفاء.

فإن الضعيف إذا روى عن شيخ بلفظ السماع، فقد يكون أخطأ هو في ذلك التصريح، ويكون إنما أخذ الحديث عن هذا الشيخ بواسطة، ثم أسقطها، وزاد من كيسه لفظ السماع خطأ ووهما؛ فالضعيف يخطئ بأشد من هذا.

ولهذا العلة لم يقبل أهل العلم من ابن لهيعة تصريحه بالسماع من عمرو بن شعيب، وقالوا: لم يسمع ابن لهيعة منه شيئا، مع أنه كان يصرح بالسماع منه، بل كان ينكر على من أنكر عليه سماع هذه الأحاديث من عمرو بن شعيب.

ولهذا اشترط الإمام مسلم لقبول عنعنة المعاصر غير المدلس، إذا كان لقاؤه بشيخه ممكنا، أن يكون هو في نفسه ثقة. والله أعلم.

(١) (العلل) (١٨٣٩).

وكذلك؛ يعرف سماع الراوي بنصوص العلماء على ذلك، كما يوجد كثيرا في كتب الرجال بأن فلانا سمع من فلان.

فإن اتفق العلماء على ذلك فلا كلام، وإن اختلفوا؛ بعضهم أثبت سماعه، وبعضهم نفاه، فسيأتي قريبا كيفية التعامل مع مثل ذلك.

وكذلك؛ تخريج ملتزم الصحة لهذا الراوي عن ذلك الشيخ على سبيل الاحتجاج، لا على سبيل الاستشهاد، فمعلوم أنهم يتسامحون في الشواهد بما لا يتسامحون به في الأصول، فهذا مثل ذلك.

واعلم؛ أن حكم العالم على الحديث بأنه صحيح لا يلزم منه أنه متصل عنده؛ لاحتمال أن يكون إنما صححه بالشواهد التي انضمت إليه، وليس اعتمادا فقط على هذه الرواية، وعليه؛ فلا يصح الاستدلال بتصحيح العلماء للحديث على أن راويه سمعه من شيخه.

وكذلك؛ تضعيف العلماء للحديث، لا يدل على أنه عندهم غير متصل، أو أن راويه لم يسمعه من شيخه؛ لاحتمال أن يكون من ضعف الحديث إنما ضعفه لعلة أخرى غير السقط من الإسناد؛ كسوء حفظ بعض الرواة، أو شذوذ أو علة في الرواية.

واتفاق أهل العلم حجة ملزمة لمن بعدهم، سواء ما كان منه متعلقا بالحكم بالاتصال والانقطاع، أو ما كان منه متعلقا بالجرح والتعديل، أو متعلقا بالتصحيح والتعليل.

وإذا صرح العلماء بأن فلانا لم يسمع من فلان، واتفقوا على ذلك، فلا يجوز لك أن تخالف ما اتفقوا عليه بمقتضى رواية وقع فيها ما يقتضي خلاف ما اتفقوا عليه من تصريح بالسماع ونحوه، فإن الغالب أن ذلك من أخطاء الرواة، فهو محكوم بشذوذه

ونكارته، وقد قال الإمام أبو حاتم الرازي[١]: «واتفاق أهل الحديث على شيء يكون حجة».

ولقد كان أئمة الحديث يجرحون الراوي الذي لا يبالي بنقد النقاد، ولا يرجع عن خطئه الذي أجمع أهل العلم عليه -حيث وقع منه- ويقيم على روايته آنفا من الرجوع عنه؛ هذا مع أن الحديث حديثه، وهو الذي سمعه، فمن جاء اليوم ممن ليس له في العير ولا في النفير، فلا الحديث حديثه، ولا العلم علمه، ولا هو من أهله، فلم يقبل من الأئمة نقدهم وأحكامهم؛ فهو أولى بأن يجرح وأن يذم وأن يضرب بقوله عرض الحائط!!

وإذا وقع الخلاف بين أهل العلم في إثبات السماع ونفيه؛ فنهم من يثبته، ومنهم من ينفيه، فإن أمكن الجمع بين أقوالهم في ذلك فهو أولى، وذلك بحمل عباراتهم على معان متفقة غير مختلفة، وذلك من غير تكلف أو تعسف.

فمن ذلك: أن يكون من أثبت لم يجزم بإثبات السماع، وإنما ذكر إمكانية وقوع ذلك، بينما من نفى جزم بعدم السماع، وهذا غير متعارض كما لا يخفى.

قال أبو داود[٢]: «قيل لأحمد: سمع الحسن من عمران؟ قال ما أنكره؛ ابن سيرين أصغر منه بعشر سنين، سمع منه».

فهذا ليس نصا من أحمد على سماع الحسن من عمران، بل غايته أن سماع الحسن منه ممكن الوقوع، فإذا جاء تصريح بالسماع من الحسن عن عمران، ولم يكن خطأ

---

(١) (المراسيل) (ص١٩٢).

(٢) في (مسائله) (٢٠٤٢).

ممن ذكره عنه، قبله ولم ينكره، لكن مجرد إمكانية وقوع السماع لم يكتف به أحمد لإثبات السماع، ولهذا لم يجزم به.

وعليه، فلا يعد ذلك مخالفا لقول من نفي سماع الحسن من عمران بن حصين، وقد نفاه يحي القطان وابن المديني وابن معين وغيرهم، فالنفي الصريح لعدم السماع لا ينافي إمكانية وقوع السماع.

ومما يؤكد ذلك: أن الإمام أحمد نفسه قد جاء عنه أنه أنكر على من قال في حديثه: (عن الحسن: حدثني عمران بن حصين)[1]، يعني أنه عنده لم يسمع منه. وعليه فالرواية الأولى لا تدل إلا على إمكانية السماع فقط، لا على وقوعه بالفعل.

ومن **ذلك:** أن يكون من نفى السماع قيد ذلك بما بلغه من علم، فيقول مثلا: «لا أعلم له سماعا من فلان»، بينما المثبت يجزم بالسماع، وهنا يقدم السماع، لأن من علم حجة على من لم يعلم.

ومن **ذلك:** أن يكون من نفاه إنما نفاه في الأحاديث المرفوعة فحسب، ومن أثبته إنما أثبت سماعه لأقواله وآرائه، وليس بين هذا تعارض.

مثال ذلك: «عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود»، فقد اختلف العلماء في سماعه من أبيه عبد الله بن مسعود، منهم من أثبته، ومنهم من نفاه، لكن بتأمل دليل من أثبته يتبين أنهم إنما أثبتوه بمقتضى روايات له صرح بالسماع فيها من أبيه، لكنها أقوال لابن مسعود، وليست أحاديث مرفوعة، كقوله: «محرم الحلال كمستحل الحرام» وقوله له: «يا بني إنيَ أوصيك بتقوى الله، وأمسك عليك لسانك، وابك على خطيئتك،

---

(١) (المراسيل) (١٢٠).

وليسعك بيتك»، وقول عبد الرحمن: «أخر الوليد بن عقبة الصلاة بالكوفة، فانكفأ ابن مسعود إلى مجلسه، وأنا مع أبي». ولم يذكر عنه في حديث مرفوع تصريح بالسماع من أبيه.

وعليه، يمكن الجمع بين أقوال المثبتين والنافين، بأن يقال: من أثبت أراد السماع مطلقا، ومن نفى أراد في المرفوع خاصة. والله أعلم.

ومن ذلك: أن يكون إنما قصد من نفيه حديثا معينا ولا يقصد التعميم، فهذا لا يتعارض مع من أثبت له السماع في غير هذا الحديث.

من ذلك: «محمد بن سيرين عن عمران بن حصين»، فقد قال الدارقطني في حديث بعينه: «محمد بن سيرين لم يسمع هذا من عمران»(١) وقد أثبت سماعه منه في غير هذا الحديث أحمد وابن معين وغيرها.

أو عكس ذلك، كأن يكون من نفى السماع قصد في الغالب، ومن أثبته قصد حديثا بعينه أو أحاديث معينة.

من ذلك: سماع الحسن البصري من ابن عمر، فقد أثبته جمهور أهل العلم، ونفاه ابن حبان والحاكم، لكن ذكر بهز بن أسد أن الحسن سمع من ابن عمر حديثا واحدا. فالظاهر أن الجمهور اعتمدوا في إثبات سماعه منه على هذا الحديث الواحد. والله أعلم.

وقال أبو داود في «مخرمة بن بكير»: «لم يسمع من أبيه إلا حديثا واحدا، وهو حديث الوتر». وقد أنكر سماعه من أبيه مطلقا أحمد وابن معين وابن المديني وغيرهم.

---

(١) (علل الدارقطني) (١٠/١٢). وقد أخطأ العلائي في (جامع التحصيل) (ص٤٠٤) حيث حكى ذلك عن الدارقطني مطلقا، فقال: «قال الدارقطني: لم يسمع ابن سيرين من عمران بن حصين»!

ومن ذلك: أن يكون من نفى سماعه قصد نفي أن يكون تحمل من لفظ الشيخ وإملائه سماعا، ومن أثبت له السماع قصد اتصال روايته عنه؛ لكونه تحمل عن شيخه قراءة، أو له منه إجازة صحيحة أو مناولة أو مكاتبة، وهذه الطرق في التحمل طرق صحيحة، يحكم باتصالها وإن لم يسمع لفظ الشيخ(١).

من ذلك: أن عبد الله بن نافع الصائغ أنكر على سعيد بن داود بن أبي زنبر الزنبري دعواه أن مالك بن أنس قرأ الموطأ على أربعة أنفس، هو منهم، فقال عبد الله بن نافع: «كذب سعيد، أنا والله أجالس مالكا منذ ثلاثين سنة، أو خمس وثلاثين سنة، بالغداة والعشي، وربما هجرت، ما رأيته قرأه على إنسان قط(٢).

فحمله ابن حجر(٣) على أنه إنما كذبه في دعواه أنه سمع الموطأ من لفظ مالك، وهذا لا ينفي أن تحمله للموطإ صحيح، ولكن عرضا لا سماعا.

وقال الحكم بن نافع أبو اليمان(٤): كان شعيب بن أبي حمزة عسرا في الحديث، فدخلنا عليه حين حضرته الوفاة، قال: هذه كتبي قد صححتها، فمن أراد أن يأخذها

---

(١) وقد ذكر ابن حجر في (نزهة النظر) (ص١٩٤) -عند تقسيمه السقط في الإسناد إلى واضح وخفي-: «أن السقط الواضح يدرك بعدم التلاقي بين الراوي وشيخه؛ بكونه لم يدرك عصره، أو أدركه لكن لم يجتمعا، وليست له منه إجازة ولا وجادة»؛ ومفهومه: أن من له من شيخه إجازة أو وجادة لا تكون روايته عنه من باب السقط، بل هي متصلة؛ وهذا ما قررناه هنا. والله أعلم.

وقال في (مقدمة الفتح) (ص٢٤٧): «وربما علل بعض النقاد أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة -كما في الأحاديث المروية بالمكاتبة والإجازة-، وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالإجازة، بل في تخريج صاحب الصحيح -يعني: البخاري- لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالإجازة عنده).

(٢) (تهذيب الكمال) (٤١٩/١٠).

(٣) (تقريب التهذيب) (٢٣١١).

(٤) (تاريخ أبي زرعة الدمشقي) (١٠٥٥).

فليأخذها، ومن أراد أن يعرض فليعرض، ومن أراد أن يسمعها من ابني فليسمعها، فقد سمعها مني.

فقوله: إن ابنه -وهو بشر بن شعيب بن أبي حمزة- قد سمعها منه، ليس على حقيقته، لأن أهل الشام يعبرون عن الإجازة بالسماع، وعليه فما جاء من نفي شعيب الصريح لسماعه من أبيه لا يتعارض مع هذا، لأن المنفي هو سماع لفظ الشيخ، والمثبت هو الإجازة.

قال محمد بن عوف الحمصي(١): قال لي أحمد بن حنبل عندما قدم علينا: تأتي بشر بن شعيب فتسأله أن يخرج إلي كتب أبيه، فأتيته، فعرفته مكان أحمد، وعظمت مكانه عنده، فقلت له: إنه يسألك أن تخرج إليه كتب أبيك للنظر فيها، فقال لي: أنا لم أسمع من أبي شيئا. فأتيت أحمد، فأخبرته، فردني إليه، وقال: هؤلاء يرون الإجازة سماعا، ويروونه، فأنا أرى احتماله والسماع منه. فأتيت بشرا فسألته أن يخرج ذلك إليه، وأعلمته أني قد أعلمته أنك لم تسمع من أبيك شيئا، فقال لي بشر: فليس الرجل إذا كما وصفت، ولو كان كما وصفت لم ير الكتابة عني؛ لأني لم أسمع من أبي شيئا، فأعلمته ما احتج به أحمد، وذهبت إليه حتى نظر في كتبه، وسمع منه.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل(٢): قال أبي: لم يسمع يزيد بن أبي حبيب من الزهري؛ إنما كتب إليه، وكان يقول: كتب إلي الزهري.

ومن ذلك: أن يكون من أثبت إنما قصد إثبات لقائه واجتماعه بشيخه ورؤيته

---

(١) (سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي) (٢/٧٤٧-٧٤٨).

(٢) (العلل) (٤٦٧١).

له، ومن نفى قصد نفي أن يكون حصل له مع ذلك سماع، وهذا لا تعارض فيه؛ لأن اللقاء والرؤية لا يستلزمان السماع.

من ذلك: قول أبي حاتم(١): «لم يلق إبراهيم النخعي أحدا من أصحاب النبي ﷺ إلا عائشة، ولم يسمع منها شيئا، فإنه دخل عليها وهو صغير».

وقال أبو زرعة(٢): «إن إبراهيم دخل على عائشة وهو صغير، ولم يسمع منها شيئا».

وقال أبو حاتم مرة(٣): «دخل مكحول على واثلة بن الأسقع». وقال مرة أخرى(٤): «لم يسمع مكحول من واثلة بن الأسقع، دخل عليه».

ومن أمثلة ذلك: ما وقع من اختلاف أهل العلم في صحبة كثير ممن لهم لقاء برسول الله ﷺ ورؤية له دون سماع منه، فمن أثبت لهؤلاء الصحبة أراد حصول شرف الصحبة لهم بلقائهم به ﷺ، سواء لهم منه سماع أم لا، ومن نفى لهؤلاء الصحبة قصد أنهم ليس لهم سماع منه ﷺ، وإن حصل لهم لقاء بالنبي ﷺ، وليس هذا بمتعارض أيضا.

ومن هؤلاء من أدرك النبي ﷺ ممن مات رسول الله ﷺ وهم دون سن التمييز؛ كمحمد بن أبي بكر وأمثاله، فهؤلاء لهم قدر من الصحبة، لكن روايتهم عن رسول الله ﷺ من قبيل المرسل، فمن أثبت له الصحبة قصد إدراكه للنبي ﷺ ورؤيته له، ومن نفى عنه الصحبة قصد أن روايته عن النبي ﷺ مرسلة وليست متصلة، وليس في هذا تعارض.

---

(١) (المراسيل) (٢١).

(٢) (المراسيل) (٢٢).

(٣) (المراسيل) (٧٩٢).

(٤) (المراسيل) (٨٠٠، ٨٠٢).

ومن ذلك: أن يكون من نفى السماع قصد التصريح به، ومن أثبته مقر بذلك، وأنه لم يأت عنه تصريح بالسماع من شيخه، لكنه إنما أثبت سماع الراوي من شيخه بقرينة انضمت إلى روايته عنه، أثبت بمقتضاها السماع.

ومن أمثلة ذلك: ما فعله الإمام البخاري في حديث سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان مرفوعا: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». فقد قال شعبة وابن معين: إنه لم يسمع من عثمان، لكن جاء في روايته عند البخاري من قول سعد بن عبيدة قال: «وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج».

قال ابن حجر[(١)]: «ظهر لي أن البخاري اعتمد في وصله وفي ترجيح لقاء أبي عبد الرحمن لعثمان، على ما وقع في رواية شعبة، عن سعد بن عبيدة، من الزيادة، وهي: أن (أبا عبد الرحمن أقرأ من زمن عثمان إلى زمن الحجاج)، وأن الذي حمله على ذلك هو الحديث المذكور، فدل على أنه سمعه في ذلك الزمان، وإذا سمعه في ذلك الزمان ولم يوصف بالتدليس، اقتضى ذلك سماعه ممن عنعنه عنه، وهو عثمان، ولا سيما مع ما اشتهر بين القراء أنه قرأ القرآن على عثمان، وأسندوا ذلك عنه -من رواية عاصم ابن أبي النجود وغيره-، فكان هذا أولى من قول من قال: إنه لم يسمع منه».

وإذا لم يظهر وجه من وجوه الجمع التي قدمناها أو غيرها، فهنا يلجأ إلى الترجيح، فيقدم القول الأرجح ويؤخر الآخر، والترجيح يكون بأمور:

---

(١) (فتح الباري) (٧٦/٩).

وهذا الحديث أخرجه البخاري في (صحيحه) (٧٤/٩)، وزاد: «قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج».

وأكثر المتقدمين على أن: أبا عبد الرحمن السلمي لم يسمع من عثمان، إلا أن البخاري صرح -في (التاريخ الكبير) (٧٣/١/٣)- بأنه سمع منه، وروى في (الصغير) (١٨٦/١) تلك الزيادة التي سبق الإشارة إليها في هذا الحديث.

منها: أن يكون أحد العالمين أعلم بالراوي وبسماعاته من الآخر، لا سيما إذا كان من بلده أو من قرابته الذين هم ألصق وأعرف به من غيرهم.

من ذلك: رواية يحيى بن أبي المطاع عن العرباض بن سارية، فقد وقعت عند ابن ماجه والحاكم[١] بالتصريح بالسماع، وذكر البخاري في «تاريخه»[٢] أن يحيى بن أبي المطاع سمع من العرباض، اعتمادا على هذه الرواية.

إلا أن حفاظ أهل الشام -وهم أهل بلده- أنكروا ذلك، وقالوا: يحيى بن أبي المطاع لم يسمع من العرباض ولم يلقه، وهذه الرواية غلط، وممن ذكر ذلك أبو زرعة الدمشقي، وحكاه عن دحيم[٣]، وهؤلاء أعرف بشيوخهم من غيرهم، والبخاري يقع له في «تاريخه» أوهام في أخبار أهل الشام، كما قال ابن عقدة[٤].

وقال ابن أبي خيثمة[٥]: «عاب علي بن المديني أبا سلمة (هو التبوذكي) قال: كيف سمع من المبارك (يعني ابن فضالة) وقد خرج من البصرة قديما؟! قال: فبلغني أن أبا سلمة ذهب إلى جيران المبارك، فشهدوا أن المبارك قدم البصرة مختفيا، فسمع منه أبو سلمة في حال اختفائه».

ومنها: ترجيح ما ذهب إليه الأكثر من أهل العلم دون ما ذهب إليه الأقل، فإن الأكثرية من طرق الترجيح عند أهل العلم.

---

(١) (سنن ابن ماجه) (٤٢)، و(المستدرك) (٩٧/١).

(٢) (التاريخ الكبير) (٣٠٦/٨).

(٣) (تاريخ دمشق) لأبي زرعة (١٧١٩، ١٧٢٠)، و(تهذيب الكمال) (٥٣٩/٣١-٥٤٠).

(٤) (تاريخ بغداد) (١٢١/١٥- بشار). وراجع: (جامع العلوم والحكم) لابن رجب (الحديث الثامن والعشرون).

(٥) (تهذيب التهذيب) (٢٤/١٠).

ومنها: النظر في دليل المثبت والنافي، فقد يكون ما استدل به المثبت غير صحيح أو غير صريح، والنافي اعتمد على رواية تدل على عدم سماعه وهي صريحة وصحيحة، أو العكس.

وكل ذلك يتطلب من الباحث أن يكون على دراية تامة بالألفاظ الدالة على السماع والتمييز بينها وبين الألفاظ التي ليست صريحة في ذلك.

روى ابن أبي حاتم[١]، عن أبيه، أنه قال: «سألت أبا مسهر: هل سمع مكحول من أحد من أصحاب النبي ﷺ؟

فقال: سمع من أنس بن مالك.

فقلت له: سمع من أبي هند الداري؟

فقال: من رواه؟

قلت: حيوة بن شريح، عن أبي صخر، عن مكحول، أنه سمع أبا هند الداري يقول: سمعت النبي ﷺ.

فكأنه لم يلتفت إلى ذلك.

فقلت له: واثله بن الأسقع؟

فقال: من؟

قلت: حدثنا أبو صالح كاتب الليث: حدثني معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، قال: دخلت أنا و أبو الأزهر على واثلة بن الأسقع.

---

(١) (تقدمة الجرح والتعديل) (ص٢٩١-٢٩٢).

فقلت: كأنه أومأ برأسه، كأنه قبل ذلك».

فانظر إلى أبي مسهر؛ كيف أن حكمه بإثبات السماع ونفيه ينبني على إسناد الرواية التي جاء فيها ذكر السماع، فليس كل ما جاء فيه لفظ السماع يقبله، حتى يكون إسناده صالحا للاحتجاج به على ذلك.

وأحمد بن صالح المصري؛ له موقف مثل هذا الموقف، يدل على اعتماد الأئمة في إثبات السماع على صحة الإسناد إلى المصرح به.

قال أبو زرعة الدمشقي (١):

«سمعت أبا مسهر يسأل عن مكحول: هل لقي أحدا من أصحاب النبي ﷺ؟ فقال: لم يلق أحدا منهم؛ غير أنس بن مالك.

فقلت له: إنهم يزعمون أنه لقي أبا هند الداري؟

فقال: ما أدري.

قال أبو زرعة: فذكرت كلام أبي مسهر هذا لأحمد بن صالح -مقدمه دمشق سنة سبع عشرة ومائتين، وهو يومئذ باق-، فحدثني عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، قال: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع».

قلت: وهذا ظاهر.

وكأن سؤال أبي حاتم السابق كان بعد سؤال أبي زرعة هذا؛ لأن أبا مسهر نفى

---

(١) (تاريخه) (٣٢٦/١-٣٢٧).

هنا أن يكون مكحول لقي غير أنس، وهناك رضي أن يكون قد سمع من واثلة؛ لمقتضى نفس الرواية التي احتج بها أحمد بن صالح.

لكن، قد يعكر على هذا:

قول أبي حاتم(١): «سألت أبا مسهر: هل سمع مكحول من أحد من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: ما صح عندنا، إلا أنس بن مالك.

قلت: واثلة؟ فأنكره».

كذا قال أبو حاتم هنا، مع أن أبا حاتم فهم من أبي مسهر هناك، أنه رضي وقبل أن يكون مكحول سمع من واثلة.

فقد يقال: هذا من اختلاف الاجتهاد.

والأقرب: أنه لا منافاة أبدا، فكأنه قبل في المرة الأولى صحة الرواية؛ لصحة إسنادها، وهنا لم يقبلها، لا لطعن في إسنادها وثبوتها، وإنما لعدم دلالتها على السماع؛ لأن غاية ما تدل عليه هو مجرد ثبوت اللقاء بينهما، ودخول مكحول على واثلة، وهذا لا يستلزم السماع منه كما لا يخفى.

وهذا، ما فهمه أبو حاتم هنا، فكان إذا سئل نفس سؤاله لأبي مسهر، أثبت مجرد اللقاء والدخول، ونفي السماع.

قال ابن أبي حاتم(٢): «سمعت أبي يقول: لم يسمع مكحول من معاوية، ودخل على واثلة بن الأسقع».

---

(١) (المراسيل) (٧٨٩).

(٢) (المراسيل) (٧٩٢).

وحيث تعذر الجمع والترجيح وجب على الباحث أن يتوقف، وأن يرفع يده، وأن يكل الأمر إلى عالمه، فقد يظهر لغيره من وجوه الجمع أو الترجيح ما لم يظهر له، وفوق كل ذي علم عليم.

هذا، وقد وجد في صنيع بعض المشتغلين بالعلم، كلما وجد اختلافا بين بعض أهل العلم في إثبات سماع راو أو نفيه من شيخ معين من شيوخه، بادر إلى تقديم السماع على النفي بحجة أنه المثبت، وأن من أثبت قوله مقدم على من نفى.

وهذا مسلك غير صحيح، لأن هذه القاعدة لا مكان لها فيما كان سبيله الاجتهاد والنظر، وإنما مكانها فيما كان سبيله النقل والرواية، فمن أثبت أنه سمع أو رأى، ما لم يسمعه غيره أو لم يره، فهنا يقال: المثبت مقدم على النافي، أما إذا كانت المسألة اجتهادية تختلف فيها أنظار العلماء واجتهاداتهم، فلا موضع لهذه القاعدة هنا.

إذ قد يكون من أثبت السماع اعتمد على رواية ظنها صحيحة وما هي بصحيحة، أو كانت صحيحة ولكنها ليست صريحة في السماع، ومن نفى هو يعلم هذه الرواية، ولكنه يخالف من استدل بها على إثبات السماع، إما في صحتها، وإما في دلالتها على السماع، كما تقدم مثاله في اختلاف العلماء في سماع مكحول من واثلة. والله أعلم.

وربما وجد في كلام بعض أهل العلم: «فلان لم يسمع من فلان،» أو «فلان عن فلان مرسل»، أو «فلان لم يدرك فلانا»، أو «لا يصح له سماع من فلان»، أو نحو هذه العبارات، وهي صريحة في نفي سماع هذا الراوي من شيخه، وتضعيف ما جاء من روايات أوهمت السماع.

لكن المراد من هذه العبارات وأمثالها هو نفي سماع الراوي من شيخه فحسب،

ومع ذلك قد تكون روايته عن شيخه إنما هي من صحيفة وكتاب، فمن نفى سماعه لا يفهم من نفيه أنه ينفي أيضا أن روايته عن شيخه كتاب أو صحيفة.

كما ذكروا في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، من أنها غير متصلة؛ لأن عمرو بن شعيب لم يسمع من أبيه، ومع ذلك فجمهور أهل العلم يحتجون بروايته عنه لكونها صحيفة وكتابا، وهذا كثير في الصحف الحديثية التي يرويها علماء الحديث، والله أعلم.

وقال النسائي[1]: «الحسن عن سمرة كتاب، ولم يسمع الحسن من سمرة إلا حديث العقيقة».

وقال موسى بن مسلمة الجمحي[2]: «أتيت مخرمة بن بكير، فقلت له: حدثك أبوك؟ قال: لم أدرك أبي، ولكن هذه كتبه».

وقال أبو حاتم الرازي[3]: «إن شعبة يقول: لم يسمع أبو سفيان -يعني: طلحة بن نافع- من جابر إلا أربعة أحاديث. قال أبو حاتم: ويقال: إن أبا سفيان أخذ صحيفة جابر عن سليمان اليشكري».

* * *

(١) (سنن النسائي) (٣/٩٤) و(الكبرى) (١٦٨٤).

(٢) (المراسيل) (٨٣٢)، و(الجرح والتعديل) (٨/٣٦٣).

(٣) (المراسيل) (٣٥٩).

هذا آخر ما جاد به القلم، وأفرزته القريحة..

فأسأل الله تعالى أن ينفع به من قرأه،

وأن يتقبله من كاتبه، وأن يجعله حجة له لا عليه،

والحمد لله رب العالمين.

صحيح الأثر في رؤية انشقاق القمر

أبو عبد الله

عبد السلام بن إمام

إهداء إلى

شيخي الحبيب، حامي حدود الدين، ومعلي منار السنة، وإمام الحديث في هذا الزمان، وشيخه بلا منازع.

أسأل الله العظيم أن يسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، ويلبسك ثوب العافية، وأن لا يحرمنا الله أبدًا من طيب وأنس مجلسك وحسن صحبتك ودوام رؤيتك بصحة وعافية:

أراني اللَّهُ وجهَكَ كل يومٍ   لأسعدَ بالأمانِ وبالأماني
فوجهُكَ حينَ ألحظُه بعيني   يُريني البِشْرَ في وجْهِ الزَّمان

محبك في الله

تلميذك

أبو عبد الله

عبد السلام بن إمام

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

لقد أيد الله ﷻ أنبياءه بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقهم، وإن من أعظم معجزات نبينا محمد ﷺ وأوضحها دلالة القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه الذي أعجز الفصحاء وحير البلغاء وأعياهم أن يأتوا بسورة من مثله حتى شهد بإعجازه المشركون وأيقن بصدقه الجاحدون والملحدون، ومن معجزاته ﷺ أيضا الباهرات انشقاق القمر، وذلك لما سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر، فانشق حتى صار فرقتين، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]. فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]. وأما الذين في قلوبهم زيغ فزادتهم رجسا إلي رجسهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٥].

قال العراقي في «نظم السيرة» (ص٨):

وإذْ بَغَتْ منهُ قريشٌ أنْ يُرِي ... ءايًا أراهُمُ انشقاقَ القَمَرِ
فصارَ فرقتينِ فرقةٌ عَلَتْ ... وفرقةٌ للطودِ منهُ نزلَتْ
وذاكَ مَرتينِ بالإجماعِ ... والنصّ والتواترِ السَّماعي
زادَ الذينَ ءامنوا إيمَانا ... ولأبي جَهْلٍ بهِ طُغْيانا
وقالَ ذا سحرٌ فجاءَ السفْرُ ... كلٌّ بهِ مُصدّقٌ مُقِرُّ

وقال القاضي في «شرح النووي» (١٤٣/١٧): «انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها؛ قال الزجاج: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره، وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الأرض

كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر اليها إلا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها قالوا وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم» انتهى.

وقال البغوي في «شرح السنة» (١٣/٢٨٨-٢٨٩): «قال جماعة من المنكرين... هذا أمرٌ عجيبٌ، ولو كان له حقيقةٌ، لم يخف ذلك على العوام، ولتناقلته القرون، ولخلد ذكره في الكتب، وذكره أهل العناية بالسير والتواريخ. قيل لهم: هذا شيءٌ طلبه قومٌ خاصٌ... فأراهم ذلك ليلًا، وأكثر الناس نيامٌ، ومستكنون بالأبنية والأيقاظ في البوادي، والصحاري قد يتفق أن يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت، وقد يكسف القمر، فلا يشعر به كثيرٌ من الناس، وإنما كان ذلك في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر، ولو دامت هذه الآية حتى يشترك فيها العامة والخاصة، ثم لم يؤمنوا، لاستؤصلوا بالهلاك، فإن من سنة الله تعالى في الأمم قبلنا أن نبيهم كان إذا أتى بآية عامة يدركها الحس، فلم يؤمنوا أهلكوا، كما قال الله ﷻ في المائدة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥] فلم يظهر الله ﷻ هذه الآية للعامة لهذه الحكمة. والله أعلم وله الحمد» انتهى.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٦/٣): «فصل في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:١-٣] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام» انتهى.

قلت: روى حديث انشقاق القمر جماعة من أصحاب النبي ﷺ مما يدل على حدوثه يقيناً، كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٦/٣): «وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها». وقال الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك» (٥١٢/٢): «وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعض لبعض لمغايظة أهل الإلحاد فإنه أول آيات الشريعة». وقد قمت بتتبع من روى هذا الحديث من أصحاب النبي ﷺ فوقفت عليه عن: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وجبير بن مطعم، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان. فقمت بتخريجها والحكم عليها بما يناسبها على قواعد أهل العلم بالحديث. علماً أن مادة هذا البحث قد خرجتها قديماً وذلك ضمن مشروع تخريج «المستدرك» للحاكم أبي عبد الله بإشراف شيخنا الحويني حفظه الله وعرضت عليه تخريجها في حينها فأقره فقمت بإعادة النظر فيها مرة أخرى وإضافة ما جَدَّ من مصادر طُبعت وتصويب ما يلزم تصويبه وإعادة الصياغة والترتيب بما يناسب المقام.

هذا وأدعو الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله مني بقبول حسن وأن يغفر لي ويرحمني، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله

عبد السلام بن إمام

كفر الشيخ - ٤٧ عمارة

نص البحث

الحديث الأول:

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِقَّتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا».

• **صحيح.**

أخرجه البخاري [على ما في «تحفة الأشراف» (٦٧/٧)] والهيثم بن كليب في «مسنده» (٧٥٧) عن الحميدي. والبخاري أيضا (٣٦٣٦، ٤٨٦٥) حدثنا صدقة بن الفضل، وعلي بن عبد الله -فرقهما-. ومسلم (٢٨٠٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٦٨) ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٤/٤)، والهيثم بن كليب (٧٥٧) عن أبي خيثمة -زهير بن حرب-. ومسلم أيضا قال: حدثنا عمرو الناقد. والترمذي (٣٢٨٧)، والطحاوي في «بيان مشكل الآثار» (٦٩٨) عن محمد بن أبي عمر. والنسائي في «الكبرى» (١١٥٥٣) أخبرنا عبيد الله بن سعيد، وأحمد في «مسنده» (٣٧٧/١)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٨٣). والبزار في «مسنده» (١٨٠١) حدثنا أحمد بن عبدة. واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٥٨) عن عمرو بن على الجرجاني. والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٤/٢)، وابن عساكر (٣٥٥/٤) عن سعدان بن نصر. وابن عساكر أيضا (٣٥٤/٤، ٣٥٥) عن على بن حرب، وصالح بن مسمار، جميعا: عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود، به. وهذا لفظ مسلم.

قال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٤/٣) وفي [«المصنف» على ما في «الفتح» (١٨٤/٧)]، ومن طريقه: الحاكم في «المستدرك» (٣٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل»

(٢٦٥/٢)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٩٠/٤). عن ابن عيينة ومحمد بن مسلم الطائفي، كلاهما: عن بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: رأيت القمر منشقا بشقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ، شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء، فقالوا سحر القمر فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١] يقول: كما رأيتم منشقا فإن الذي أخبرتكم عن اقتراب الساعة حق.

وأخرجه البخاري تعليقا عقب حديث (٣٨٦٩) قال: وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله. ولم يذكر المتن.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي.

قلت: طريق سفيان بن عيينة أخرجاه فلا يستدرك.

- ولفظة «مرتين» عند البيهقي، والحاكم وعبد الرزاق في «التفسير». يبدو لي أن هذه اللفظة ليست في الأصول وإنما هي مقحمة في النسخ التي بأيدينا ويؤيد ذلك. أن الحافظ عزاه في «الفتح» (١٨٤/٧) لعبد الرزاق في «مصنفه» وللبيهقي في «الدلائل». دونها. وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧٠/٧) للمصنف وعبد بن حميد وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» دونها أيضا. بل قال الحافظ في «الفتح» (١٨٣/٧): «ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ مرتين، إنما فيه (فرقتين أو فلقتين) بالراء واللام» انتهى.

قلت: وفيه أيضا «**بشقتين**» كما مر عاليا. ولفظة: «مرتين» يأتي مزيد بيان عنها في حديث أنس بن مالك إن شاء الله تعالى.

وذكر البزار أنه لم يرو الحديث: «عن مجاهد عن أبي معمر إلا ابن أبي نجيح».

قلت: بل رواه ابن جريج أيضا عن مجاهد.

أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٦٣) قال: حدثنا أحمد بن سليمان، قال ثنا زيد بن المبارك، قال: أنا ابن ثور، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ قال: رأوه منشقًّا. فقال: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ ذاهب. قال: أخبرني أبو معمر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: رأيت القمر منشقًّا شقتين قبل مخرج النبي ﷺ بمكة شقة على أبي قبيس وشقة على كدى وكدى فقالوا سحر القمر فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١] كما أريناكم القمر منشقا فإن الذي يخبركم عن الساعة حق.

وإسناده ضعيف. ابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفًا أو حرفين ثم هو مدلس وقد عنعن.

- وتوبع مجاهد، تابعه: عبد الله بن مرة.

ذكره الدارقطني في «العلل» (٥/١٧٠) قال: وقال عمرو بن عاصم، ثنا عبد الواحد ابن زياد وحفص بن غياث ويوسف بن خالد، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر، به.

وتابعه أيضا: إبراهيم بن يزيد النخعي، واختلف عليه.

فأخرجه البخاري (٤٨٦٤) ومن طريقه: البغوي في «تفسيره» (٤/٢٥٨)، ومسلم (٢٨٠٠/٤٥، ٢٨٠١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/٨٥)، وأحمد في «مسنده» (١/٤٤٧) والبزار في «مسنده» (١٨٠٢)، والهيثم

ابن كليب في «مسنده» (٧٥٥، ٧٥٨)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٥٩)، والطحاوي في «بيان مشكل الآثار» (٦٩٩)، وأبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره» (١٦٠/٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٥/٢-٢٦٦) عن شعبة بن الحجاج. والبخاري (٣٨٧١)، ومسلم (٤٤/٢٨٠٠)، والبيهقي (٢٦٥/٢) عن حفص بن غياث. والبخاري (٤٨٦٤)، ومن طريقه: البغوي. والطحاوي (٧٠٢)، والبيهقي عن سفيان بن عيينة. والبخاري (٣٨٦٩) عن أبي حمزة: محمد بن ميمون السكري. ومسلم (٤٤/٢٨٠٠)، والترمذي (٣٢٨٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٠٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٣/٤) عن علي بن مسهر. ومسلم (٤٤/٢٨٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٩٥)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٨٦)، والطبري (٨٥/٢٧)، وأحمد (٤٥٦/١)، والهيثم بن كليب (٧٥٦)، والطحاوي (٧٠٣)، وابن عساكر (٣٥٣/٤، ٣٥٤) عن أبي معاوية -محمد بن خازم الضرير-. والهيثم بن كليب أيضا (٧٥٤) عن شيبان. كلهم: عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**».

وهذا لفظ مسلم، والباقين نحوه.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧٠/٧): لعبد بن حميد، وابن مردويه.

وهذا هو الوجه الأول.

الثاني: عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٩٩٦، ١٠٠٠٩) عن سعدان بن يحيى اللخمي،

ويحيى بن عيسى -فرقهما-. وأبو إسحاق الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٦١/٩) عن حصين؛ ثلاثتهم: عن الأعمش -(زاد الثعلبي: وعبيدة[1] الضبي)-، عن إبراهيم، به.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٨٥/٢٧) عن يحيى بن عيسى عن الأعمش بهذا الإسناد. إلا أنه قال «عن رجل عن ابن مسعود» وذكره مطولا.

وأخرجه أبو نعيم، وابن مردويه [على ما في «فتح الباري» (١٨٣/٧)]. وذكره الدارقطني في «العلل» (١٦٩/٥).

وأخرجه أبو نعيم [على ما في «البداية والنهاية» (١٤١/٣) لابن كثير] عن يزيد بن عطاء، عن سماك، عن إبراهيم النخعي، به.

وأخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٨٠) حدثنا يزيد بن عطاء، عن سماك، به. إلا أنه قال: «عن علقمة أو الأسود».

ويزيد بن عطاء سيئ الحفظ.

الثالث: عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر».

أخرجه أحمد في «مسنده» (٤١٣/١-٣٩٢٤) قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن سماك، عن إبراهيم، به.

وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٧/٣)، والطحاوي في «بيان مشكل الآثار» (٣٠٢/١) عن مخول بن إبراهيم والفريابي. والحاكم في «المستدرك» (٣٧٥٦) عن

---

(١) في المطبوع «عبدة».

محمد بن سابق، أربعتهم: عن سماك بن حرب عن إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد عن عبد الله ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قال: رأيت القمر وقد انشق فأبصرت الجبل بين يدي فرجي القمر.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٨٥/٢٧) عن أسباط بن نصر، عن سماك بهذا الإسناد معناه.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧٠/٧) لعبد بن حميد، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل».

قلت: والصحيح الوجه الأول أي: إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود.

وكذا صححه الدارقطني في «العلل» (١٧٠/٥) بعد أن ذكر أوجه الاختلاف من طريق إبراهيم النخعي، فقال: «والصحيح من حديث أبي معمر».

وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود، منها:

١- مسروق بن الأجدع عنه.

أخرجه البخاري معلقا عقب حديث (٣٨٦٩)، قال: وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله انشق بمكة.

ووصله: أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٩٥) ومن طريقه: البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٦/٢). والطبري في «تفسيره» (٨٥/٢٧)، والبزار في «مسنده» (٢٤٠٨- كشف الأستار)، وأبو جعفر القطيعي في «جزء الألف دينار» (١٠٩)، والطحاوي في «بيان مشكل الآثار» (٦٩٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٣٥)، والمحاملي في «الأول» [على ما في حاشية «تحفة الأشراف» (١٤٩/٧)]، واللالكائي في «أصول

الاعتقاد» (١٤٦٠)، والبيهقي أيضًا، والحافظ في «تغليق التعليق» (٨٩/٤)، عن أبي عوانة. والهيثم بن كليب في «مسنده» (٤٠٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٣٥-٢٣٦)، والبيهقي في «الاعتقاد» (٢٦٩/١) وفي «الدلائل»، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٥/٤) عن هشيم. وأبو نعيم (٢٣٦) عن عمر بن أبي قيس -معلقا-. والحافظ في «تغليق التعليق» (٩٠/٤) عن علي بن عاصم. أربعتهم عن مغيرة بن مقسم عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله، قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ (وعند البعض: بمكة)، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا: انتظروا ما تأتيكم به السفار، فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال فجاء السفار فقالوا ذلك».

والسياق للطيالسي. وهذا إسناده صحيح. فإن تعليق البخاري رفع تدليس مغيرة. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧٠/٧) لابن المنذر وابن مردويه كذلك.

٢- زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود.

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٩٧) حدثنا الحسن بن حباش الحماني، ثنا علي بن سعيد الكندي، ثنا موسى بن عمير، عن منصور بن المعتمر، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود، قال: «رأيت القمر، منشقا باثنين، بينهما حراء».

وأخرجه ابن مردويه في «تفسيره» [على ما في «تخريج الكشاف» (٣٨٩/٣) للزيلعي] من حديث منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب به.

٣- ابن سيرين عن رجل عن ابن مسعود.

أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨٦/٢٧) قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا

ابن علية، قال: أخبرنا أيوب عن محمد، -هو: ابن سيرين- قال: نبئت أن ابن مسعود كان يقول: قد انشق القمر.

إسناده منقطع.

٤- زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: «انشق القمر بمكة، فرأيته فرقتين».

أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٢٣٣-٢٣٤) حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو بكر بن أبي عاصم، قال: ثنا محمد بن حاتم، أبو سعيد، ثنا معاوية بن عمرو، عن زائدة، عن عاصم، عنه، به.

وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٨٤/٧) للطبراني من طريق: زر بن حبيش به.

٥- عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «انشق القمر ونحن بمكة، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذى بمنى، ونحن بمكة».

أخرجه أبو نعيم [على ما في «البداية والنهاية» (١٤١/٣) لابن كثير] قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد القلانسي، حدثنا آدم بن أبي إياس، ثنا الليث بن سعد، حدثنا هشام بن سعد، عن عتبة، عنه، به.

الحديث الثاني:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم.

• صحيح.

أخرجه البخاري (٤٨٦٦)، وأبو عوانة في «البعث» [كذا في «إتحاف المهرة» (٨٠٢٣)]، والطبراني في «الكبير» (١٠٧٣٤) والطحاوي «مشكل الآثار» (٧٠٤) عن يحيى بن بكير. والبخاري (٣٨٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٨٦/٢٧)، والطبراني، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٦٧) عن عثمان بن صالح. والبخاري أيضا (٣٦٣٨) قال: حدثنا خلف بن خالد القرشي. ومسلم (٢٨٠٣)، والطبراني، واللالكائي، وأبو عوانة، والبيهقي في «الدلائل» (٢٦٧/٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٧/٤) عن إسحاق بن بكر بن مضر. والطبري، واللالكائي (١٤٦٦)، وأبو عوانة، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٥٨)، وابن عساكر عن عبد الله بن عبد الحكم. وأبو عوانة، عن إدريس بن يحيى. جميعا عن بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، به.

وأخرجه الطحاوي في «مشكل الاثار» (٧٠٥) قال: حدثنا إبراهيم بن أبى داود، ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا بكر وابن لهيعة، عن جعفر بن ربيعة، بهذا.

قال الحاكم[١]: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) عقب حديث جبير بن مطعم (٣٧٦٠) قال: «هذه الشواهد لحديث عبد الله بن مسعود كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

قال الحافظ في «الإتحاف» (٨٠٢٣): «قلت: وهم في استدراكه، فإن البخاري أخرجه».

قلت: وكذا مسلم كما مر. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧١/٧) لابن مردويه.

وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس بمعناه، منها:

١، ٢، ٣- عكرمة، ومجاهد ومقسم عن ابن عباس، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ باثنين: شطره على السويداء، وشطره على الجندمة.

أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٦١/٩)، قال: وأخبرنا عبد الله -هو: ابن حامد- قال: أخبر عمر بن الحسن الشيباني قال: حدّثنا أحمد بن الحسن قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا حصين عن سعد عن عكرمة عن ابن عباس والحكم عن مجاهد عن ابن عباس ومقسم عن ابن عباس، به.

٤- علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، أنه قال في هذه الآية: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ قال: ذاك قد مضى كان قبل الهجرة انشق حتى رأوا شقيه.

أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨٦/٢٧) عن عبد الأعلى وخالد بن عبد الله -فرقهما- عن داود بن أبي هند عنه، به.

إسناده منقطع. علي بن أبي طلحة لم ير ابن عباس، وفيه ضعف.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٦٧١/٧) لابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل».

٥- عطية العوفي، عن ابن عباس ﵄، في قوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١] **إلى قوله: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾** [القمر:٢]. **قال: قد مضى كان قد انشق القمر على عهد رسول الله بمكة فأعرض المشركون، وقالوا سحر مستمر.**

أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/٨٦-٨٧) قال: حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عنه، به.

وآل بيت العوفي كلهم ضعفاء.

٦- عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: انشق القمر فلقتين، فلقة ذهبت، وفلقة بقيت.

رواه أبو نعيم من طريق السدى الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، به.

ذكره: ابن كثير في «السيرة النبوية» (٢/١٢٠).

وهذا إسناد تالف. السدي: محمد بن مروان السدي الصغير. متهم بالكذب.

وكذا شيخه: محمد بن السائب الكلبي. قال ابن حبان: «وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، لا يحل الاحتجاج به».

٧، ٨- عطاء والضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٣٤) قال: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والنضر بن الحارث

ونظراؤهم فقالوا للنبي ﷺ إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان فقال لهم النبي ﷺ: «**إن فعلت تؤمنوا**» قالوا: نعم وكانت ليلة بدر فسأل الله ﷻ أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر وقد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله ﷺ ينادي: «**يا أبا سلمة بن عبد الاسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا**».

وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٨٢/٧) لأبى نعيم في «الحلية» وضعفه، وكذا عزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧١/٧-٦٧٢).

- **وفي لفظ**: عن عطاء عن ابن عباس قال: انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا هل من آية نعرف بها أنك رسول الله فهبط جبرائيل فقال: يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها فاخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ثم اعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا فقالوا يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فأنزل الله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١].

ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٠/٣) قال: قال أبو نعيم وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسن بن العباس الرازي عن الهيثم بن العمان حدثنا إسماعيل بن زياد عن ابن جريج عنه، به.

- **وفي لفظ**: عن الضحاك عن ابن عباس قال جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا أرنا آية حتى نؤمن بها فسأل ربه فأراهم القمر قد انشق بجزئين أحدهما

على الصفا والآخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب فقالوا: هذا سحر مفترى.

ذكره أبو نعيم في «الدلائل» (٢٣٥).

فهذه الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما بمجموعها تشعر أن انشقاق القمر كان أكثر من مرة كما تدل عليه الأحاديث التي ورد فيها انشقاق القمر مرتين. كما في بعض طرق حديث أنس بن مالك الآتي قريبًا.

الحديث الثالث:

- **عن ابن عمر قال: انفلق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا».**

• صحيح.

أخرجه مسلم (٢٨٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٩٦) عن ابن أبي عدي. ومسلم أيضا، والطحاوي في «بيان مشكل الآثار» (٧٠٠)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٢٣٤) عن معاذ بن معاذ. ومسلم كذلك عن محمد بن جعفر. وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٨٩١) ومن طريقه: الترمذي (٢١٨٢، ٣٢٨٨)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٨٥/٢٧) عن النضر بن شميل. والطبراني في «الكبير» (١٣٤٧٣) عن عمرو بن حكام. وأبو نعيم أيضا عن على بن نصر الجهضمي. واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٦٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٧/٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٧/٤) عن وهب بن جرير. وأبو إسحاق الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٦١/٩) وابن عساكر عن روح بن عبادة. جميعا عن شعبة[١] عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر به.

واللفظ للترمذي. وقال حسن صحيح.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧١/٧) لابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم.

وانظر الحديث التالي:

---

(١) سقط «شعبة» عند ابن عساكر من طريق: «روح بن عبادة».

الحديث الرابع:

- **عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في قوله عز وجل:** ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١] **قال: كان ذلك على عهد النبي ﷺ انشق القمر فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال النبي ﷺ: «اللهم اشهد».**

• صحيح.

أخرجه الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك» (٣٧٥٩) قال: فحدثناه أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري بمصر، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قلت: فيه نظر: إبراهيم بن مرزوق، عن أبى داود الطيالسي، لم يخرجه أحدهما. والإسناد على شرط مسلم من عند الطيالسي، وشرطهما من عند شعبة.

وقال الذهبي: صحيح.

تنبيه: هذا الحديث ذكره الحافظ في «الإتحاف» (١٢٠٦٤) في مسند: عبد الله بن عمرو، كما هنا. ولم يذكره عند غير الحاكم.

وقال الحاكم عقب حديث ابن مسعود السابق: «وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعض لبعض لمغايظة أهل الإلحاد فإنه أول آيات الشريعة فنظرت فإذا في الباب مما لم يخرجاه عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو...» إلخ.

قلت: ولم أقف عليه عن عبد الله بن عمرو، عند غير الحاكم. وسبق بذات السند من مسند عبد الله بن عمر مع اختلاف طفيف في المتن، فعله وقع تصحيف عند الحاكم، يقوي ذلك أن السيوطي عزاه في «الدر المنثور» (٦٧١/٧) للحاكم عن عبد الله بن عمر.

الحديث الخامس:

- عن جبير بن مطعم ﵁: في قوله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١] قال: انشق القمر ونحن بمكة على عهد النبي ﷺ.

• صحيح بشواهده.

أخرجه البزار في «مسنده» (٣٤٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٦٠) عن أبي جعفر الرازي -عيسى بن ماهان-. وآدم بن أبي إياس في «تفسير مجاهد» (٦٣٥/٢)، واللالكائي في أصول «الاعتقاد» (١٤٦٨) عن ورقاء بن عمر أبي بشر. والحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٠) واللفظ له، وعنه: البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٨/٢)، عن هشيم بن بشير. والبيهقي أيضا عن إبراهيم بن طهمان؛ أربعتهم: عن حصين بن عبد الرحمن، عن [جبير][(١)] بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه عن جده، به.

وتابعهم أبو كدينة، ومفضل بن مهلهل، وأبو جعفر الرازي، وورقاء. ذكرهم الدارقطني في «العلل» (٤١٨/١٣). والمفضل بن يونس. ذكره البيهقي في «الدلائل» (٢٦٨/٢)؛ خمستهم: عن حصين بن عبد الرحمن، به.

وتابعهم أيضًا: محمد بن فضيل، عن حصين، به.

أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩٥/١٣)، قال: أخبرنا البرقاني أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي حدثنا محمود بن أحمد أبو بشر الكرجي ببغداد ببستان حفص حدثنا أحمد بن بديل حدثنا بن فضيل، به.

---

(١) سقط من «تفسير مجاهد» فذكر هكذا: «محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده».

وخالفه على بن المنذر الطريقي، فقال: ثنا محمد بن فضيل، عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن جبير عن أبيه: قال انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ. فقال: «سالم بن أبي الجعد» بدل: «جبير بن محمد».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٥٦١) قال: حدثنا العباس بن حمدان الحنفي، حدثنا على بن المنذر الطريفي، ثنا محمد بن فضيل، به.

ورواه آخرون، عن ابن فضيل، عن حصين، عن محمد بن جبير، عن أبيه، قال: انشقّ القمر ونحن مع النبي ﷺ بمكة.

ليس فيه: «سالم بن أبي الجعد».

أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨٦/٢٧) عن أبي كريب محمد بن العلاء. وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٩٧)، وابن أبي حاتم [كما في «النكت الظراف» (٤١٥/٢-٣١٩٧)]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٧/٤) عن أبي سعيد الأشج عبد الله بن سعيد. وأبو إسحاق الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٦١/٩) عن علي بن حرب؛ ثلاثتهم قالوا: حدثنا ابن فضيل، به.

وتابعهم أبو بكر بن أبي شيبة، عن ابن فضيل، به.

ذكره الدارقطني، في «العلل» (٤١٨/١٣).

ومن هذا الوجه:

أخرجه الترمذي (٣٢٨٩)، وأحمد (٨١/٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٥٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢٦٨/٢) عن [سليمان بن كثير][(١)]. والطبري

---

(١) سقط من سند الطبراني.

في «تفسيره» (٨٦/٢٧) عن خارجة بن مصعب بن خارجة. والبزار في «مسنده» (٣٤٣٥)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٤٣١) عن حصين بن نمير؛ ثلاثتهم، عن حصين بن عبد الرحمن، به.

قلت: ويتبين من هذا التخريج وجود اختلاف على: حصين بن عبد الرحمن، من وجوه ثلاث:

الأول: عنه، عن جبير بن محمد بن جبير، عن أبيه، عن جده.

الثاني: عنه، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن جبير، عن أبيه.

الثالث: عنه، عن محمد بن جبير، عن أبيه.

قال الدارقطني في «العلل» (٤١٨/١٣): «وقول من قال: عن جبير بن محمد، عن أبيه، عن جده، أشبه».

وكذا رجحه البيهقي في «الدلائل» (٢٦٨/٢)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢١١/١).

قلت: وهذا ما رواه هشيم وهو من أوثق الرواة في حصين بن عبد الرحمن فهو مقدم فيه وحده كيف وقد تابعه: إبراهيم بن طهمان، وغيره كما سبق. غير أن هذا الوجه، وإن كان هو الراجح عن حصين فإن فيه: جبير بن محمد بن جبير.

ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥١٣/٢) ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا. وذكره ابن حبان في «الثقات» وعنه: نقل السخاوي في «التحفة اللطيفة» (٢٣٦/١) توثيقه. وقال الحافظ: مقبول.

وعندي: أنه مجهول الحال أو مستور على أحسن أحواله، وهو علة هذا الوجه.

وقد عزا هذا الحديث السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧١/٧) لعبد بن حميد وأبي نعيم كذلك.

الحديث السادس:

- عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: «انْشَقَّ الْقَمَرُ، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﵇».

أخرجه الطحاوي في «بيان مشكل الآثار» (٦٩٦) قال: حدثنا علي بن عبد الرحمن ابن محمد بن المغيرة المخزومي الكوفي، حدثنا لوين، حدثنا حديج بن معاوية الجعفي، عن أبي إسحاق، عن أبي حذيفة -قال أبو جعفر وهو سلمة بن صهيب الأرحبي-، عن علي بن أبي طالب ﵁، به.

قلت: رجاله ثقات، عدا: حديج بن معاوية الجعفي. قال ابن معين ليس بشيء، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وليس مثل أخويه، في بعض حديثه ضعف، يكتب حديثه. وقال البخاري: يتكلمون في بعض حديثه. وقال النسائي: ضعيف. وقال مرة: ليس بالقوى. وقال ابن سعد: كان ضعيفا في الحديث. وقال الدارقطني: غلب عليه الوهم. وقال ابن حبان: منكر الحديث كثير الوهم على قلة روايته. وقال البزار: سيئ الحفظ.

وقال الشيخ مقبل في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (١٨٣): «حديث حسن لغيره».

الحديث السابع:

- عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين.

• صحيح.

أخرجه مسلم (٤٦/٢٨٠٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣١١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٦/٤-٣٥٧) عن زهير بن حرب. ومسلم أيضا، قال: حدثنا عبد بن حميد. وأحمد في «مسنده» (٢٠٧/٣-١٣١٥٤). وأبو عوانة في «البعث» [على ما في «الإتحاف» (١٥٣٢)]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٢/٢) وفي «الاعتقاد» (٢٥٦) عن محمد بن عبيد الله بن يزيد. وابن عساكر (٣٥٧/٤) عن محمد بن حميد. جميعا عن يونس بن محمد، حدثنا شيبان -هو: ابن عبد الرحمن-، حدثنا قتادة، عن أنس، به.

وأخرجه البخاري (٣٦٣٧، ٤٨٦٧)، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا يونس بن محمد، به. دون لفظة: «مرتين».

وتوبع شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة، تابعه جماعة منهم:

١- معمر بن راشد.

أخرجه مسلم (٢٨٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٣/٢) عن محمد بن رافع. والترمذي (٣٢٨٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «دلائل النبوة» (٤، ١٩٩) عن عبد ابن حميد، وهو في «المنتخب» (١١٨٤). والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٥٤) قال: وأخبرنا إسحاق بن إبراهيم، وهو في «مسنده» [على ما في «فتح الباري»

(١٨٣/٧)]. وأحمد في «مسنده» (١٦٥/٣-١٢٦٨٨) ومن طريقه: الحاكم في «المستدرك» (٣٧٦١). وأبو يعلى في «مسنده» (٣١٨٧) قال: حدثنا محمد بن مهدي. خمستهم: عن عبد الرزاق، وهو في «التفسير» (٢٥٧/٣) وفي «المصنف» [على ما في «فتح الباري»] عن معمر بن راشد، عن قتادة(١)، عن أنس، سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ [القمر:١-٢].

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٥٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٨٧/٢٧) عن محمد بن عبد الأعلى. ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٨٠) قالا: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، به.

قال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح علي شرطهما.

قلت: أخرجه مسلم فلا وجه لاستدراكه.

٢- سعيد بن بشير.

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٨١) قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة، ثنا أبو الجماهر -محمد بن عثمان التنوخي-، ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس بن مالك: «أن أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين». وهي في قراءة حذيفة: «**قد انشق القمر**».

---

(١) في المطبوع من «المسند»: (قتادة عن الزهري عن أنس). وهو خطأ. والصواب: «قتادة عن أنس» كذا هو في «أطراف المسند المعتلى» (٨٣٠)، وفي «إتحاف المهرة» (١٥٣٢)، وقد طبع على الصواب في طبعة الرسالة (١٢٦٨٨).

قلت: سعيد بن بشير ضعيف وخاصةً في قتادة.

٣- سعيد بن أبي عروبة.

أخرجه البخاري (٣٨٦٨) ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٣٧١١)، وفي «التفسير» (٢٥٨/٤)، والطبري في «التفسير» (٨٥/٢٧) ومن طريقه: الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٦١/٩) عن بشر بن المفضل. والطبري أيضًا عن أبي داود كلاهما: عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما».

وأخرجه البخاري (٣٦٣٧) قال: وقال لي خليفة. والطبري في «تفسيره» (٨٤/٢٧) قال: حدثنا بشر -هو ابن معاذ-. وأبو عوانة في «البعث» [على ما في «إتحاف المهرة» (١٥٣٢)] عن محمد بن عبد الله الرقاشي. واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٤٦٣) عن عبد الأعلى. والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٣/٢) عن محمد بن المنهال؛ خمستهم: عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به. بزيادة لفظ «مرتين» عندهم عدا البخاري، واللالكائي.

قلت: يزيد بن زريع، ثقة، وهو مقدم في سعيد بن أبي عروبة، ويضاف إلي ذلك أنه توبع، تابعه: عبد الوهاب بن عطاء.

أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٠/٣) وهذا لفظه. وأبو عوانة [على ما في «إتحاف المهرة» (١٥٣٢)] عن ابن الجنيد، واللالكائي (١٤٦٢) عن علي بن الهيثم، ثلاثتهم عن عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يريهم آية قال: «فأراهم انشقاق القمر مرتين» وليس عند اللالكائي لفظ: «مرتين».

قلت: فهذان ثقتان روايا لفظة: «مرتين» عن سعيد بن أبي عروبة وهو أثبت الناس في قتادة. قال أبو داود الطيالسي: «هو أحفظ أصحاب قتادة».

٤- شعبة بن الحجاج.

أخرجه البخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٤٧/٢٨٠٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٩٣٠، ٣١٤١)، والطحاوي في «بيان مشكل الأثار» (٧٠٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٦/٤) عن يحيى بن سعيد. ومسلم أيضا وهذا لفظه، والطبري في «تفسيره» ٨٥/٢٧)، وأحمد في «مسنده» (١٣٩١٩)، وعبد الله في «زوائد المسند» (١٣٩٥٨)، وأبو عوانة في «البعث» [على ما في «إتحاف المهرة» (١٥٣٢)]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٤/٢)، وابن عساكر، عن أبى داود الطيالسي، وهو في «مسنده» (١٩٦٠). ومسلم، والطبري (٨٤/٢٧)، وأحمد (١٣٩١٨)، وابن عساكر، عن محمد بن جعفر. وأبو يعلى (٢٩٢٩، ٣١٤١) عن حرمى بن عمارة. جميعا عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، قَالَ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ». وفي لفظ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلى عَهد رسول الله ﷺ».

وأخرجه أحمد (١٣٩١٨) والطبري في «التفسير» (٨٥/٢٧) ومن طريقه: الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٦١/٩)، قال: حدثنا علي بن سهل. وأبو يعلى (٣٢٥٤) حدثنا أحمد -هو: ابن إبراهيم الدورقي- وأبو عوانة في «البعث» [على ما في «إتحاف المهرة» (١٥٣٢)]، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٦١) عن يوسف بن سعيد ابن مسلم؛ ثلاثتهم: عن حجاج بن محمد الأعور، حدثني شعبة قال: سمعت قتادة يحدث: عن أنس بن مالك به. زاد الطبري والثعلبي، وأبو يعلى: «مرتين». وإسناده صحيح على شرط البخاري.

قلت: فهذا شعبة بن الحجاج وسعيد بن أبي عروبة ثبت عنهما لفظة «مرتين». وحسبك بهما حفظا وإتقانا في قتادة.

قال يحيى بن معين: «أثبت الناس في قتادة: سعيد بن أبي عروبة، وهشام الدستوائي، وشعبة، فمن حدثك من هؤلاء الثلاثة بحديث يعني عن قتادة فلا تبالي أن لا تسمعه من غيره». فهما مقدمان وحدهما فيه، كيف وقد تابعهما: شيبان بن عبد الرحمن، ومعمر بن راشد، وسعيد بن بشير، كما مر.

وقال البيهقي في «الدلائل» (٢٦٣/٢) بعد ذكر الطرق التي بها لفظة «مرتين» من حديث أنس، وهو طريق: شيبان، ومعمر، وسعيد بن أبى عروبه: «وقد حفظه عن قتادة هؤلاء الثلاثة، والله أعلم» انتهي.

وتعقبه الحافظ بقوله: «لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة، ولم يختلف على شعبة، وهو أحفظهم، ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ مرتين» انتهى.

قلت: هذا الكلام فيه نظر من وجهين:

الأول: أنه اختلف على شعبة أيضا فيه فرواه عنه محمد بن حجاج الأعور بزيادة «مرتين» كما سبق.

الثاني: سبق أن لفظ: «مرتين» جاءت في حديث مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود. عند الحاكم، والبيهقي، وعبد الرزاق في «التفسير» غير أنها قد تكون مقحمة، كما سبق التنبيه علي ذلك عند تخريج حديث ابن مسعود.

وقال ابن القيم رحمه الله: [كما في «فتح الباري» (١٨٣/٧)]: «المرات يراد بها الأفعال تارة، والأعيان أخرى، والأول أكثر. ومن الثاني: (انشق القمر مرتين) وقد خفي على بعض الناس، فادعى انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة» انتهى.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٢/٣: طبعة أبي حيان) عن هذه اللفظة من حديث أنس: «فانشق القمر مرتين، فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين، والله أعلم» انتهى.

وأيده الحافظ في «الفتح» (١٨٣/٧)، فقال: «وهذا الذي لا يتجه غيره جمعًا بين الروايات».

وقال الحافظ العراقي في «نظم السيرة» [على ما ذكره الحافظ في «الفتح» (١٨٤/٧)]: «فصار فرقتين، فرقة علت وفرقة للطود منه نزلت وذاك مرتين بالإجماع والنص والتواتر السماعي».

فقال الحافظ متأوِّلًا كلام العراقي: «فجمع بين قوله: (فرقتين) وبين قوله (مرتين). فيمكن أن يتعلق قوله: بالإجماع بأصل الانشقاق، لا بالتعدد».

وقال أيضًا: «ولا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ».

قلت: لفظة «مرتين» نص محكم لا إجمال فيه فهي لا تحتمل معنين. كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. فلا تقوى هذه التأويلات على ردها بعد ثبوتها، ولا صرفها عن معناها الذي لا تحتمل غيره، وقد سبق في طرق حديث ابن عباس ما يشعر بتعدد الانشقاق أيضًا، وقد نُبه على ذلك هناك فليراجع. هذا والله تعالى وأعلم بالصواب.

الحديث الثامن:

- عن حذيفة بن اليمان: قال: «ألا إن الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المِضمار، وغدا السباق، فقلت لأبي: أتستبق الناس غدا؟ فقال: يا بنيّ إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا، فخطب حُذيفة، فقال: ألا إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سَبق إلى الجنة».

• صحيح.

وقد أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٣/١٩٣-٥٢٨٥) عن سفيان بن عيينة، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٨/١٣)، قال: حدثنا محمد بن فضيل. وابن جرير الطبري في «التفسير» (٨٦/٢٧) ومن طريقه: أبو إسحاق الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٦١/٩)؛ والحاكم في «المستدرك» (٨٨٠٠) عن إسماعيل بن علية. والطبري أيضًا عن شعبة بن الحجاج. وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤٢٠/١)، عن مسعر بن كدام. والطحاوي في «مشكل الآثار» (٧٠٦، ٧٠٧)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (علي ما في «الدر المنثور» (٦٧٢/٧) ومن طريقه: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٨١/١) عن همام بن يحيى. والطحاوي أيضًا (٧٠٧) عن شريك بن عبد الله النخعي. جميعًا: عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السُلَميّ، قال: «نزلنا المدائن، فكنّا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي، وحضرت معه، فخطبنا

حُذيفة، فقال، فذكره. موقوفًا علي حذيفة. وجاء مختصرًا عند البعض على ذكر الانشقاق.

وتابعهم حماد بن زيد عن عطاء، به.

ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣٢٣/١).

وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٧/٣): «صحيح لغيره موقوف».

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وتعقبهما الألباني في «الضعيفة» (١٠/٤٧٩-٤٨٠)، فقال: «قلت: فيه عنده موسى بن سهل بن كثير؛ وهو آخر من روى عن ابن علية؛ قال الذهبي نفسه في «الميزان»: ضعفه الدارقطني. وقال البرقاني: ضعيف جدًّا. ولذلك جزم الحافظ في «التقريب» بأنه: ضعيف.

فلا وجه لتصحيحه من طريقه. لكنه لم يتفرد به؛ فهو متابع من ثقة عند ابن جرير. لكن (إسماعيل ابن علية) روى عن عطاء بعد الاختلاط.

إلا أنه قد تابعه عنده شعبة، وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط. وتابعه أيضًا سفيان: عند ابن عساكر في «التاريخ» (٢٨٧/١٢)، وهو سفيان الثوري؛ سمع منه قبل الاختلاط أيضًا، فصح الإسناد، والحمد لله.

وقد أشار إلى ذلك أبو نعيم بقوله -عقب الحديث في «الحلية» (٢٨١/١)-: رواه جماعة عن عطاء مثله» انتهي.

قلت: سبق ذكر من رواه عن عطاء، وطريق الثوري هذا أخرجه:

الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٢٠٢/١) عن أحمد بن سعيد الحمال. وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٧/١٢) عن أبي جعفر بن إسماعيل؛ قالا: نا قبيصة -هو: ابن عقبة-، نا سفيان -هو: الثوري- عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن قال جمعت مع حذيفة بالمدائن فسمعته يقول إن الله تعالى يقول اقتربت الساعة وانشق القمر ألا وإن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ...» الحديث.

قلت: وبهذا السياق عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧٢/٧) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم. وسبق تخريجه عندهم وليس فيه: «على عهد رسول الله ﷺ».

وهذا لا يضر فسواء نسب إلى زمان النبي ﷺ أو لم ينسب فإن القمر لم ينشق إلا على عهد النبي ﷺ.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٦/٣): «وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها».

وقال في: «التفسير» (٣١٥/٤): «وقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح[1] عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر» وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات».

---

(١) البخاري (٤٧٦٧، ٤٨٢٠، ٤٨٢٥)، ومسلم (٢٧٩٨).

وقال الطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٠٣/١): «فيما ذكرنا: عن علي، وابن مسعود، وحذيفة، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، تحقيقهم انشقاق القمر. فمنهم من قال في زمن رسول الله ﷺ، ومنهم من لم يقل ذلك، ومعناه في ذلك، كمعناهم فيه، ولا نعلم رُوِيَ عن أحد من أهل العلم في ذلك غير الذي رُوي عنهم فيه، وهم القدوة والحجة الذين لا يخرج عنهم إلا جاهل، ولا يرغب عما كانوا عليه إلا خاسر. وقد زعم بعض من يدعي التأويل ويستعمل رأيه فيه، ويقتصر على ذلك ويترك ذكر ما كان عليه من قبله فيه من صحابة رسول الله ﷺ، ومن تابعيهم أنه لم ينشق وأنه إنما ينشق يوم القيامة، وأن معنى قول الله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] إنما هو على صلة قد ذكرت بعد ذلك في السورة المذكور ذلك فيها، وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر:٦] أي فينشق القمر حينئذ، وجعل ذلك من الأشياء التي تكون في القيامة، وذكر بجهله أن ذلك لم يروه أنه قد كان إلا ابن مسعود، وأن ذلك لو كان مما قد مضى كما روي عنه لتساوى فيه الناس ولم يحتج إلى إضافته إلى واحد منهم دون من سواه فكفى بذلك جهلًا إذ كان ما أضافه إلى انفراد ابن مسعود به قد شركه فيه خمسة سواه من أصحاب رسول الله ﷺ قد ذكرناهم في الآثار التي رويناها في أول هذا الباب. وأما ما ذكره من أن قول الله تعالى:﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] إنما يرجع إلى ما ذكر أنه صلة له مما ذكرناه عنه من السورة المذكور ذلك فيها، فإن في قول الله تعالى:﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:٢] دليلا على خلاف ما قاله فيها، ودليلا على أن ذلك لم يعن به يوم القيامة؛ لأن الآيات إنما تكون في الدنيا قبل القيامة، كما قال الله وتعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩] وفي قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [القمر:٦]: أي فأعرض عنهم كما قال

تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [الصافات:١٧٤]، وكما قال: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ [الذاريات:٥٤] دليل على تمام ما ذكره قبل ذلك، واستقبال غيره وهو قوله: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمر:٦] ما هو ظرف لما ذكره بعده من خروجهم من الأجداث كأنهم جراد منتشر، وانتفى أن يكون ذلك صلة؛ لما قد انقطع من الكلام الذي قد تقدمه. ثم قال هذا الشاذ: وقد يحتمل قول ابن مسعود يعني الذي حكاه هذا الشاذ عنه، وهو أنه ذكر عنه أنه قال: وقد يحتمل قول ابن مسعود: «كأني أنظر إليه فلقتين وحراء بينهما» أي كأني أراه إذا انشق كذلك، فكان كلامه هذا فاسدًا؛ لأنه قد نفى انشقاقه في زمن ابن مسعود وذكر أن انشقاقه يكون بعد ذلك فإن كان كما قال فقد يجوز أن لا يراه ابن مسعود حينئذ. قال: وقد يجوز أن يراه حيث قال: ويجوز أن يراه في غير ذلك المكان، وقد زعم هذا الشاذ أن ذلك إنما يكون في القيامة لا في الدنيا، وحراء يومئذ جبل من الجبال التي قال الله تعالى خبرا عما يكون منه فيها يومئذ:﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا﴾ [طه:١٠٥-١٠٦] الآية، وقال: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف:٤٧] وقال: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥] فكيف يكون حراء يومئذ بين فلقتي القمر؟ ونعوذ بالله من خلاف أصحاب رسول الله ﷺ، والخروج عن مذاهبهم، فإن ذلك كالاستكبار عن كتاب الله ومن استكبر عن كتاب الله، وعن مذاهب أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم فيه كان حريا أن يمنعه الله فهمه» انتهى.

وقال ابن كثير في «السيرة النبوية» (٢/١٢٠-١٢١): «فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها. وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر،

فلا أصل له، وهو كذب مفترى ليس بصحيح. والقمر حين انشق لم يزايل السماء، غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن إشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه. كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك» انتهي.

تم بحمد الله

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ».

أبو عبد الله

عبد السلام بن إمام

٤/٤/رجب/١٤٣٦هـ

المسيح
عليه السلام

إبراهيم محمد إبراهيم

إهداء

عشرونَ عامًا مرَّت، وصدى الشهادةِ يترددُ في أذني عبر الزمان...

كُنا نصعدُ درجَ مسجد ابن القيم، خَلْفَ شيخنا أبي إسحاق لسماع محاضرته، فسألني شيخُنا أبو عبد الرحمن المصريُّ الأثري -طيَّبَ الله ثراه-: أيَّ حدٍّ تريد بلوغه في العلم؟ فقلتُ: كما أراد السيوطيُّ أن يكون في رتبةِ شيخيه ابنِ حجر في الحديث، والبلقيني في الفقه، فأرجو ابنَ تيمية في التفسير، وشيخنا في الحديث.

فقال: لا تستطيع، أنا التفتُ، وأنت التفتَ، وهو لم يلتفتْ.

ومرت سنون، وجَرت خطوبٌ، وكانت الفورةُ في بلادِنا كما سماها شيخُنا، واختلفَ الناسُ بسبب الحزبيات والعصبيات، وجئتُ شيخنا مسترشدا، أذكرُ أني على الدربِ الذي أعرِفُه من قبل، وإنْ كَثُر القال والقيل، فلم يزد على قوله: لا أجدُ ما أوصيكَ به إلا كلمةً قالها حكيمٌ لعمر بن عبد العزيز حين وَلي الخلافَة...

قال عمرُ: لم أنتفع بشيءٍ كما انتفعتُ بكلمةِ حكيمٍ لي...

قال: لا تلتفتْ.

وشيخنا -حفظه الله- يَسيرُ في بعثِ الأمةِ، ونهضتِها من كبوتِها، سيرَ الأوائلِ، لا يخرمُ من ذلك شيئا.

وهو القائل:

ربِّ لهم ولدَك..

عَليكُم بالشربِ الأولِ..

وكان في طليعةِ حرس حدود الدين، كما كان صاحبَ حُداءِ الغرباء.

ذاكم صاحبُ اليقين، سيدي ومولاي أبو البركات، عبيد الرحمن الحويني، أبو إسحق، بقية السلف، علم السنة، وإمام الأمة، فارس المعاني دقيق الألفاظ، حبب إلينا السنة كما حبب إلينا القرآنَ.

مذ اشتد مرضُه -مسحَه الله بيدِه الشافية- ولا يقع في نفسي إلا ما كان من أمر عيسى عليه السلام، وإني لأرجو أن يكون في شفائه آيةٌ وأي آيةٍ...

إلى كتاب بحوث ودراسات
مهداة إلى أبي إسحق الحويني

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فقد أخرج مسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**»(٤).

---

(١) آل عمران:١٠٢.

(٢) النساء:١.

(٣) الأحزاب:٧٠-٧١.

(٤) صحيح مسلم (ج١/ص١٣١)، رقم الحديث (١٤٦)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

وعند أحمد من حديث عبد الله بن مسعود: فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**»(١).

وعنده أيضا عن ابن مسعود فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قَالَ: «**النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ**»(٢)، قال السندي: النزاع: ضبط بضم فتشديد، قيل: هو جمع نزيع ونازع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي: الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سنن الدين.

وعند الترمذي من حديث أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يأتي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وفي رواية: إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»(٣).

قَالَ الطِّيبِيُّ: «الْمَعْنَى: كَمَا لَا يَقْدِرُ الْقَابِضُ عَلَى الْجَمْرِ أَنْ يَصْبِرَ لِإِحْرَاقِ يَدِهِ، كَذَلِكَ الْمُتَدَيِّنُ يَوْمَئِذٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى ثَبَاتِهِ عَلَى دِينِهِ، لِغَلَبَةِ الْعُصَاةِ وَالْمَعَاصِي، وَانْتِشَارِ الْفِسْقِ، وَضَعْفِ الإِيمانِ»(٤).

وأمر النبي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄ بالغربة، فقَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ**

---

(١) أحمد (٦٦٥٠)، صحيح الجامع (٣٩٢١)، الصحيحة (١٦١٩).

(٢) أحمد (٣٧٨٤)، الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم.

(٣) الترمذي (٣٠٥٨)، وقال: حديث حسن غريب، صحيح الجامع (٨٠٠٢)، الصحيحة (٩٥٧).

(٤) تحفة الأحوذي (ج٦/ص٤٦).

فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» أخرجه البخاري(١).

قالَ الإمامُ الخطابي أبو سليمان، حمدُ بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُستي:

وما غربةُ الإنسانِ في شُقَّةِ النَّوى ... ولكنَّها والله في عدمِ الشَّكلِ
وإنّي غَريبٌ بين بُستٍ وأهلها ... وإنْ كان فيها أسرَتي وبها أهلي(٢)

وهذه إضاءةٌ للغريبِ الثاني، أَسُوقها استقراءً مما كان قبلَ بعثةِ النبي، وكيف كانت غربةُ الإسلامِ والمسلمين، وكيف ستكونُ، أسوقها من خلالِ قصة المسيح عليه السلام.

والغريبُ يأنسُ بالغريبِ كما قيل، وفطر الإنسان على حب الأنس، ولا أدل على ذلك من فعلِ ربنا عز وجل، فإنه مع ما أعطاه للشَّهيد من خصالٍ وكراماتٍ، لم يرضَ حتى آنسَ وحشته، وأزالَ غربته باصطفاءِ أخيه وصفيه في الدنيا، يصطفيه له شهيدا، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ. اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ. رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

* * *

(١) صحيح البخاري (ج٨/ص٨٩)، رقم الحديث (٦٤١٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (ج١٧ص٢٣)، طبعة الرسالة.

(٣) آل عمران: ١٧٠.

فصل
المشرقُ والدين

كانت فارسُ تحكم شرقَ العالَمِ بينما تحكمُ الرومُ غربَه، وللرومِ امتدادٌ بمصرَ والحبشة، واتخذت فارسُ من الحيرةِ ردءًا لها، بينما اتخذت الرومُ من الغساسنةِ ردءًا لها.

وهذا الردءُ كالثَّغرِ بالنسبةِ لما وراءَه، وأغلبُ هؤلاءِ من العَرب استعملهم الأعاجمُ وقايةً لأنفسِهم، وبين هؤلاءِ وهؤلاءِ جزيرةُ العربِ، يعيشُ أهلُها في غيرِ حضارةٍ معروفه، وهم لا ذكرَ لهم بينَ الأممِ.

هذا في شمالِ الجزيرةِ، وأما في جنوبها فاليمنُ هو موطنُ الصراعِ بين فارسَ والروم؛ واليمنُ إذ ذاك اسمٌ يُطلقُ على المنطقَةِ بين خليجِ فارس (الخليج العربي) وبحر القُلزم (البحر الأحمر).

أما المشرقُ وعلى رأسه فارسُ: فقد كانت تدينُ بكتاب سماويّ كما روى أبو داوود عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**إِنَّ أَهْلَ فَارِسَ لَمَّا مَاتَ نَبِيُّهُمْ، كَتَبَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْمَجُوسِيَّةَ**»(١).

والمجوسيةُ قائمةٌ على عبادةِ النار والقولِ بإلهين اثنين، إلهِ الخير وإلهِ الشر، والخيرُ إشارة إلى النور، والظلمةُ إشارة إلى الشر؛ وثمت إشارة إلى بعض ذلك في قصة إسلامِ سلمان رضي الله عنه فيما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال حدثني سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا

---

(١) أبو داود (٣٠٤٢)، قال الألباني: حسن الإسناد موقوف.

يُقَالُ لَهَا: جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، أَيْ مُلَازِمَ النَّارِ، كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ، حَتَّى كُنْتُ قَطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا، لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً.

قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ...»(١).

والدهقانُ: رئيسُ القريةِ، قَطِنُ النَّارِ بكسر الطاء: خادمها.

وفي ذلك إشارة لوجود المسيحيةِ أيضا وإن كانت غير مشهورة عندهم.

وقد قال الهرمزان فيما أشار به على عمر رضي الله عنه لما أراد فتح فارس: فَقَالَ الْهُرْمُزَانُ: نَعَمْ، إِنَّ فَارِسَ الْيَوْمَ مَثَلُهَا وَمَثَلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ، مَثَلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ، وَلَهُ جَنَاحَانِ، وَلَهُ رِجْلَانِ، فَإِنْ كُسِرَ أَحَدُ الْجَنَاحَيْنِ، نَهَضَتِ الرِّجْلَانِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأْسُ، فَإِنْ كُسِرَ الْجَنَاحُ الْآخَرُ نَهَضَتِ الرِّجْلَانِ وَالرَّأْسُ، وَإِنْ شُدِخَ الرَّأْسُ ذَهَبَتِ الرِّجْلَانِ وَالْجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ، فَالرَّأْسُ كِسْرَى، وَالْجَنَاحُ قَيْصَرُ، وَالْجَنَاحُ الْآخَرُ فَارِسُ، فَمُرِ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَنْفِرُوا جَمِيعًا إِلَى كِسْرَى»(٢)، فجعل قيصر الروم جناحًا لفارس، وإن كانت بينهما إِحَنٌ وحُروب.

---

(١) أحمد (٢٣٧٨٨)، وحسنه الأرناؤط.

(٢) أخرجه البخاري(٢٩٨٩).

وذُكِر من الأنبياءِ في فَارس (دانيالُ) عليه السلام: وهو من أنبياء يهود، وهو دانيالُ الأصغر، أخذه معه بُختنصَّر لما خَرَّبَ بيتَ المقدسِ، وقد اشتُهِرَ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم عَثَرُوا على قبرِه عندما فتحوا (تُستَر)[١] ثم أمرهم عمر بن الخطاب أن يغيبوا قبرَه خشية أن يتخذَه الناس مَعبدًا أو يُشرَكَ بالله عنده. وقِيل إنَّ الذي وَجدُوه رجلًا صالحًا. قال ابنُ كثير: والأولُ أشهر.

وأخرج البخاري عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «فَتْرَةٌ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ». ورجَّح ابنُ كثير أن وفاة دانيالِ عليه السلام قريبٌ من ثمانمائةِ سنه قبل ميلاد نبينا عليه السلام، فيكون وقتُه فوقَ المائتي سنة قبلَ عيسى عليه السلام[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين بإسنادٍ حسنٍ -كما قال الحافظ ابن كثير- عن أبي الزناد قال: رأيتُ في يدِ أبي بُردَة بن أبي موسى الأشعري خاتمًا نقشُ فصِّه أسدان بينهما رجلٌ يلحسان ذلك الرجل، قال أبو بردة: وهذا خاتمُ ذلكَ الرجلِ الميتِ الذي زعمَ أهل هذهِ البلدة أنه دانيال، أخذَهُ أبو موسى يومَ دفنه أي يوم دفن دانيال.

قال أبو بردةَ: فسألَ أبو موسى علماءَ تلك القريةِ عن نقش ذلك الخاتَم، فقالوا: إن الملكَ الذي كان دانيالُ في سلطانه، جاءَه المنجمون وأصحابُ العِلم فقالوا له: إنه يُولد كذا وكذا غلام يُذهِبُ مُلكَكَ ويُفسده، فقال الملكُ: والله لا يبقى تلكَ الليلةِ مولودٌ إلا قتلته. إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه في أَجَمَةَ الأسد فبات الأسدُ ولبوتُه يلحسانه

---

(١) ويقال: شوشتر، تقع شمال مدينة الأحواز الآن.

(٢) صحيح البخاري (٣٧٣٢).

ولم يَضُرَّاه. فجاءت أمّهُ فوجدتهما يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغَ ما بلغَ. قال أبو موسى: قال علماءُ تلك القريةِ: فنقش دانيال صورته وصورةُ الأسدينِ يلحسانه في فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك[١].

وصنيعُ شيخِ الإسلام ابنِ تيميَّة -في الجوابِ الصحيح لمن بدَّل دينَ المسيح- أنه دانيال النبي أحد الأنبياء الأَربعة الكبار في التراث اليهودي المسيحي، والشخصية المركزية في سفر دانيال.

والمقصود الإشارةُ لوجود اليهوديةِ بقدر الله في تلك الأرضِ، بل المتأملُ يكاد يقطعُ بوجودها قبلَ ذلك أيامَ سليمانَ عليه السلام وقد بلغَ مُلكه المشرقَ والمغربَ، أخرج الطبريُّ عن الحسن في قولِه: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[٢]، قال: «كان يَغدُو فيقيل في إصطخر[٣]، ثم يروح منها فيكونُ رواحُها بكابِل»[٤].

وقد أشار ابنُ كثير عند الحديثِ عن فتح الأندلسِ في البداية والنهاية:

«ذَكَرَ أَهْلُ التَّارِيخِ أَنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ الَّذِي فَتَحَ الْبِلَادَ الْمَغْرِبِيَّةَ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَدَ الْمَائِدَةَ، وَلَكِنْ قِيلَ: إِنَّهَا مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مُرَصَّعَةٌ بِالْجَوَاهِرِ، وَهِيَ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ، فَتَسَلَّمَهَا أَخُوهُ سُلَيْمَانُ. وَقِيلَ: إِنَّهَا مَائِدَةُ عِيسَى. لَكِنْ يَبْعُدُ هَذَا أَنَّ النَّصَارَى لَا يَعْرِفُونَ الْمَائِدَةَ، كَمَا قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[٥].

---

(١) باختصار من تاريخ الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية (٢/٣٧٤)، ط. هجر.

(٢) سبأ:١٢.

(٣) مدينة قديمة تقع جنوب ايران.

(٤) تفسير الطبري (جزء ٢٠/باب ١٢/ص٣٦٢).

(٥) البداية والنهاية (٩/٣-٤)، ط. هجر.

وروى الحافظ ابن عساكر أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَأَلَ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ حِينَ قَدِمَ دِمَشْقَ أَيَّامَ الْوَلِيدِ عَنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ رَآهُ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ: انْتَهَيْنَا مَرَّةً إلى جَزِيرَةٍ فِيهَا سِتَّ عَشْرَةَ جَرَّةً خَضْرَاءَ مَخْتُومَةً عَلَيْهَا بِخَاتَمِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَمَرْتُ بِأَرْبَعَةٍ مِنْهَا فَأُخْرِجَتْ، وَأَمَرْتُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَنُقِبَتْ فَإِذَا شَيْطَانٌ يَنْفُضُ رَأْسَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ بِالنُّبُوَّةِ لَا أَعُودُ بَعْدَهَا أُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرَى بِهَا سُلَيْمَانَ وَمُلْكَهُ. فَانْسَاخَ فِي الْأَرْضِ فَذَهَبَ، قَالَ: فَأَمَرْتُ بِالثَّلَاثِ الْبَوَاقِي فَرُدَّتْ إلى مَكَانِهَا»(١).

والمقصودُ أن سليمان عليه السلام نبيٌّ قبلَ كونه ملكا، يدعُو إلى اللهِ وإلى إقامةِ التوحيدِ، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾(٢)، فلا مانعَ من انتشار اليهوديةِ في الأرضِ جميعا.

ولذا لا يُستغرَب أن يكونَ أتباعُ الدجالِ في آخر الزمانِ من تلكَ البلادِ، روى مسلمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ». وعند أحمد في مسنده «عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجٌ وَسَيْفٌ مُحَلًّى»(٣).

وأصبهانُ مدينةُ بشمال ايرانِ، والساجُ: الطيلسانُ الأسود، وطيلسانُ اليهودِ أبيضُ فيه خطان أزرقان.

ومما كانَ من أمرِ الديانةِ في تلك البلادِ وإلى المشرقِ منها: البوذيةُ، فقد ذكر القاسميُّ

---

(١) الحافظ ابن عساكر (٦١/٢٢٢)، ط. دار الفكر.

(٢) النمل: ٣١.

(٣) مسلم (٢٩٤٤)، وأحمد في مسنده (١٤١١٢)، ط. الرسالة، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

في تفسيرِ سورة التينِ من كتابِه: «واستظهرَ بعضُ المعاصرينَ أن قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ وَالتِّينِ يعني به شجرة (بوذا) مؤسسُ الديانة البوذيةِ، التي تحرفتْ كثيرًا عن أصلها الحقيقي»، لأن تعاليم بوذا لم تُكتب في زمنِه. وإنما رُويت كالأحاديثِ بالروايات الشفهيةِ. ثم كُتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعُها.

ثم قال: «والراجحُ عندَنا، بلْ المُحقَّق إذا صحَّ تفسيرُنا لهذه الآيةِ، أنه كان نبيًّا صادقًا ويسمى (سِكياموتي) أو (جُوناما) وكان في أولِ أمرِه يأوِي إلى شجرة تين عظيمةِ وتحتها نزل عليه الوحي، وأرسلَه اللهُ رسولًا. فجاءه الشيطانُ ليفتنَه هناكَ فلم ينجحْ معه. ولهذه الشجرةِ شهرةٌ كبيرةٌ عند البوذيينَ، وتُسَمى عِندهمْ (التينةُ المقدسةُ) وبلغتِهم (أَجابَالا)».

قال: «ففي هذهِ الآيةِ ذكرَ اللهُ تعالى أعظمَ أديانِ البشرِ الأربعةَ الموحاةُ منه تعالى لهدايتِهم ونفعهم في دينِهم ودنياهم. فالقسمُ فيها كالتمهيد لقولِه بعده: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، إلى آخر السورة».

قال: «ولا يَزال أهلُ الأديانِ الأربعة هم أعظمُ أممِ الأرض وأكثرهم عددًا وأرقَاهم».

والترتيبُ في ذكرِها في الآية، هو باعتبارِ درجةُ صِحتها بالنسبة لأصولِها الأولى. فبدأ تعالى بالقسم بالبوذيةِ لأنها أقلُّ درجة في الصحةِ وأشدُّ الأديان تحريفًا عن أصلها؛ كما يبدأ الإنسانُ بالقسم بالشيءِ الصغيرِ، ثم يرتقي للتأكيدِ إلى ما هو أعلى. ثم النصرانيةِ وهي أقلُّ من البوذية تحريفًا. ثم اليهوديةِ وهو أصح من النصرانية، ثم الإسلاميةِ وهو

(١) التين: ٤.

أصحُها جميعا وأبعدُها عن التحريفِ والتبديلِ؛ بل إن أصولها، الكتاب والسنة العملية المتواترة، لم يقع فيها تحريف مطلقًا.

ومن محاسنِ هذه الآية الشريفة غير ذلك، ذكرُ دينيْ الفضلِ (البوذيةِ والمسيحيةِ) أولًا ثم دينيْ العدلِ (اليهوديةِ والإسلاميةِ) ثانيا؛ للإشارة إلى الحكمة بتربيةِ الفضلِ والمسامحة مع الناس أولًا، ثم تربيةُ الشدةِ والعدلِ. وكذلك بدأ الإسلام باللين والعفو ثم بالشدة والعقاب.

ولا يخفَى على الباحثين التشابهَ العظيم بين بوذا وعيسى ودينيهما، وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينيهما؛ فلذا جمعَ الأولان معا والآخران كذلك. وقدم البوذيةَ على المسيحيةِ لقدم الأولى، كما قدمَ الموسويةَ على المحمديةِ لهذا السببِ بعينه.

ومن محاسِن الآية أيضا الرمزُ والإشارة إلى دينيْ الرحمةِ بالفاكهةِ والثمرة، وإلى دينيْ العدلِ بالجبل والبلدةِ الجبليةِ (مكة) وهي البلد الأمين. ومن التناسبِ البديع بين ألفاظِ الآية أن التينَ والزيتون ينبتان كثيرا في أوديةِ الجبال، كما في جبل الزيتون بالشام وطور سيناء، وهما مشهوران بها. فهذه الآية قَسَمٌ بأولِ مهابط الوحي، وأكرم أماكن التجلي الإلهي على أنبيائه الأربعة، الذين بقيتْ شرائعُهم للآنَ. وأرسلهم الله لهدايةِ الناس الذين خلقهم في أحسنِ تقويم»[1]. انتهى بحروفه. ذكره ولم يعقب عليه، وذكرته استئناسًا، والله أعلم.

* * *

(١) تفسير القاسمي (ج٩/ص٢-٥).

فصل
المغربُ والدينِ

بين الكفر والشرك، تأصيلاتٌ مُهمَّة:

وأما الغربُ وعلى رأسهِ الرومُ فقد استقرتْ فيه المسيحيةُ المحرفة؛ ومدارُ التحريفِ عندهم على أمور منها: الكفرِ بكتابِهم، واستحداثِ بدعة الشرك، واختلافِهم في نبيهم، واستحداثُ الرهبانية.

قال شيخ الإسلام:

الشِّرْكُ الْمُطْلَقُ فِي الْقُرآنِ لَا يَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُونَ فِي الشِّرْكِ الْمُقَيَّدِ، قَالَ اللَّهُ تعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١]، فَجَعَلَ الْمُشْرِكِينَ قِسْمًا غَيْرَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ [الحج:١٧]، فَجَعَلَهُمْ قِسْمًا غَيْرَهُمْ، فَأَمَّا دُخُولُهُمْ فِي الْمُقَيَّدِ، فَفِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ.

وَسَبَبُ هَذَا: أَنَّ أَصْلَ دِينِهِمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ الْكُتُبَ وَأَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ لَيْس فِيهِ شِرْكٌ، كَمَا قَالَ تعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]؛ وَلَكِنَّهُمْ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا، فَابْتَدَعُوا مِنْ الشِّرْكِ مَا لَمْ

يُنَزِّلْ بِهِ اللَّهُ سُلْطَانًا، فَصَارَ فِيهِمْ شِرْكٌ بِاعْتِبَارِ مَا ابْتَدَعُوا، لَا بِاعْتِبَارِ أَصْلِ الدِّينِ.

وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠]؛ هُوَ تَعْرِيفٌ لِلْكَوَافِرِ الْمَعْرُوفَاتِ اللَّاتِي كُنَّ فِي عِصَمِ الْمُسْلِمِينَ، وَأُولَئِكَ كُنَّ مُشْرِكَاتٍ لَا كِتَابِيَّاتٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَنَحْوِهَا(١).

وقال في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:

«وَأَمَّا كَوْنُ النَّصَارَى فِيهِمْ شِرْكٌ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:٨٢]؛ أَنَّ النَّصَارَى لَمْ يَدْخُلُوا فِي لَفْظِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا كَمَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي لَفْظِ الْيَهُودِ. كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة:١]، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَهَذَا لِأَنَّ اللَّفْظَ الْوَاحِدَ تَتَنَوَّعُ دَلَالَتُهُ بِالْإِفْرَادِ وَالِاقْتِرَانِ فَيَدْخُلُ فِيهِ مَعَ الْإِفْرَادِ وَالتَّجْرِيدِ مَا لَا يَدْخُلُ فِيهِ عِنْدَ الِاقْتِرَانِ بِغَيْرِهِ، كَلَفْظِ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧]؛ فَإِنَّهُ هُنَا يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَإِنَّهُ مَعْرُوفٌ، وَجَمِيعَ مَا نَهَى عَنْهُ فَإِنَّهُ مُنْكَرٌ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]؛ فَهُنَا قَرَنَ الصَّدَقَةَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ. وَكَذَلِكَ الْمُنْكَرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]؛ قَرَنَ الْفَحْشَاءَ بِالْمُنْكَرِ. وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

(١) الفتاوى الكبرى (ج١/ص١٦٠/ط. دار الكتب العلمية).

﴿ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]؛ قَرَنَ الْفَحْشَاءَ بِالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ...

فَكَذَلِكَ لَفْظُ الشِّرْكِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨]؛ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ الْكُفَّارِ، أَهْلُ الْكِتَابِ وَغَيْرُهُمْ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّهُ أَفْرَدَهُ وَجَرَّدَهُ، وَإِنْ كَانُوا إِذَا قُرِنَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ كَانَا صِنْفَيْنِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ إِذَا أَرْسَلَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ، أَوْ جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَوْصَاهُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَقَالَ لَهُمْ: «اغْزُوا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى خِلَالٍ ثَلَاثٍ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ: ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ أَجَابُوكَ إِلَى ذَلِكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ نَصِيبٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ»(١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ آيَةِ الْجِزْيَةِ، وَهِيَ إِنَّمَا نَزَلَتْ عَامَ تَبُوكٍ لَمَّا قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ النَّصَارَى بِالشَّامِ، وَالْيَهُودَ بِالْيَمَنِ. وَهَذَا الْحُكْمُ ثَابِتٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ»(٢).

---

(١) مسلم (١٧٣١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ج٣/ص١١٦، ١١٧/ط. دار العاصمة).

وقال في الفتاوى الكبرى:

«أَهْلُ الْكِتَابِ لَيْسَ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ شِرْكٌ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا بَعَثَ الرُّسُلَ بِالتَّوْحِيدِ، فَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ، وَالْكُتُبِ، لَمْ يَكُنْ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ شِرْكٌ، وَلَكِنَّ النَّصَارَى ابْتَدَعُوا الشِّرْكَ، كَمَا قَالَ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]؛ بِحَيْثُ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا، فَلِأَجْلِ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهِ وَجَبَ تَمَيُّزُهُمْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ أَصْلَ دِينِهِمُ اتِّبَاعُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ الَّتِي جَاءَتْ بِالتَّوْحِيدِ لَا بِالشِّرْكِ.

فَإِذَا قِيلَ: أَهْلُ الْكِتَابِ لَمْ يَكُونُوا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ مُشْرِكِينَ، فَإِنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أُضِيفُوا إِلَيْهِ لَا شِرْكَ فِيهِ، كَمَا إِذَا قِيلَ: الْمُسْلِمُونَ وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، لَا اتِّحَادٌ، وَلَا رَفْضٌ، وَلَا تَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الدَّاخِلِينَ فِي الْأُمَّةِ قَدِ ابْتَدَعَ هَذِهِ الْبِدَعَ، لَكِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مَنْ هُوَ مُتَّبِعٌ لِشَرِيعَةِ التَّوْحِيدِ، بِخِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَمْ يُخْبِرِ اللَّهُ ﷻ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِالِاسْمِ، بَلْ قَالَ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِالْفِعْلِ، وَآيَةُ الْبَقَرَةِ قَالَ فِيهَا: ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ [البقرة:٢٢١] بِالِاسْمِ. وَالِاسْمُ أَوْكَدُ مِنَ الْفِعْلِ»(١).

وأما اختلافهم في عيسى ؈:

قال ابن كثير في تفسيره في أول سورة الروم:

«**وَأَمَّا الرُّومُ**: فَهُمْ مِنْ سُلَالَةِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَمِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: بَنُو الْأَصْفَرِ. وَكَانُوا عَلَى دِينِ الْيُونَانِ، وَالْيُونَانُ مِنْ سُلَالَةِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ، أَبْنَاءِ عَمِّ التُّرْكِ. وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ السَّبْعَةَ، وَيُقَالُ لَهَا: الْمُتَحَيِّرَةُ، وَيُصَلُّونَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ، وَهُمُ الَّذِينَ أَسَّسُوا دِمَشْقَ، وَبَنَوْا مَعْبَدَهَا، وَفِيهِ مَحَارِيبُ

---

(١) الفتاوى الكبرى (٣/١١٧).

إلى جِهَةِ الشَّمَالِ. فَكَانَ الرُّومُ عَلَى دِينِهِمْ إلى مَبعَثِ الْمَسِيحِ بِنَحْوٍ مِنْ ثَلاثِمَائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ مَنْ مَلَكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ مِنْهُم يُقَالُ لَهُ: قَيْصَرُ. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِ النَّصَارَى مِنَ الْمُلُوكِ قُسْطَنْطِينُ بْنُ قَسْطَسَ، وَأُمُّهُ مَرْيَمُ الْهَيْلَانِيَّةُ الشَّدْقَانِيَّةُ مِنْ أَرْضِ حَرَّانَ، كَانَتْ قَدْ تَنَصَّرَتْ قَبْلَهُ، فَدَعَتْهُ إلى دِينِهَا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فَيْلَسُوفًا، فَتَابَعَهَا - يُقَالُ: تَقِيَّةً - وَاجْتَمَعَتْ بِهِ النَّصَارَى، وَتَنَاظَرُوا فِي زَمَانِهِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرْيُوسَ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا [كَثِيرًا] مُنْتَشِرًا مُتَشَتِّتًا لَا يَنْضَبِطُ، إلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ ثَلَاثُمَائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ أُسْقُفًّا، فَوَضَعُوا لِقُسْطَنْطِينَ الْعَقِيدَةَ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْأَمَانَةَ الْكَبِيرَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ الْخِيَانَةُ الْحَقِيرَةُ، وَوَضَعُوا لَهُ الْقَوَانِينَ، يَعْنُونَ كُتُبَ الْأَحْكَامِ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَغَيَّرُوا دِينَ الْمَسِيحِ عليه السلام وَزَادُوا فِيهِ وَنَقَصُوا مِنْهُ، وَصَلَّوْا إلى الْمَشْرِقِ، وَاعْتَاضُوا عَنِ السَّبْتِ بِالْأَحَدِ، وَعَبَدُوا الصَّلِيبَ وَأَحَلُّوا الْخِنْزِيرَ، وَاتَّخَذُوا أَعْيَادًا أَحْدَثُوهَا، كَعِيدِ الصَّلِيبِ وَالْقُدَّاسِ وَالْغِطَاسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَوَاعِيثِ وَالشَّعَانِينِ، وَجَعَلُوا لَهُ الْبَابَ، وَهُوَ كَبِيرُهُمْ، ثُمَّ الْبَتَارِكَةَ ثُمَّ الْمَطَارِنَةَ ثُمَّ الْأَسَاقِفَةَ وَالْقَسَاقِسَةَ ثُمَّ الشَّمَامِسَةَ، وَابْتَدَعُوا الرَّهْبَانِيَّةَ، وبنى لهم الملك الكنائس وَالْمَعَابِدَ، وَأَسَّسَ الْمَدِينَةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَيْهِ وَهِيَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، يُقَالُ: إِنَّهُ بَنَى فِي أَيَّامِهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ كَنِيسَةٍ، وَبَنَى بَيْتَ لَحْمٍ بِثَلَاثَةِ مَحَارِيبَ، وَبَنَتْ أُمُّهُ الْقُمَامَةَ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَلَكِيَّةُ، يَعْنُونَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ.

ثُمَّ حَدَثَتْ بَعْدَهُمُ الْيَعْقُوبِيَّةُ أَتْبَاعُ يَعْقُوبَ الْإِسْكَافِ، ثُمَّ النَّسْطُورِيَّةُ أَصْحَابُ نَسْطُورَا. وَهُمْ فِرَقٌ وَطَوَائِفُ كَثِيرَةٌ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُمُ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»(١).

---

(١) تفسير ابن كثير (ج٦/ص٢٧١/ط. العلمية).

وقول ابن كثير: **بني الأصفر**؛ فقد أشار النبي إليهم في غير ما موضع:

كما في تفسير ابن أبي حاتم عند قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة:٤٩]؛ منْ حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِجَدِّ بْنِ قَيْسٍ: «**يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟**»، فَقَالَ جَدٌّ: أَوَتَأْذَنُ لِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَإِنِّي رَجُلٌ أُحِبُّ النِّسَاءَ، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ أَنَا رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ أُفْتَتَنَ[(١)].

وعند أحمد من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «**عَوْفٌ؟**»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلْ»، قَالَ: قُلْتُ: كُلِّي أَوْ بَعْضِي؟ قَالَ: «**بَلْ كُلُّكَ**»، قَالَ: «**اعْدُدْ يَا عَوْفُ، سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي**»، قَالَ: **فَاسْتَبْكَيْتُ حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسْكِتُنِي**، قَالَ: قُلْتُ: إِحْدَى، «**وَالثَّانِيَةُ: فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**» قُلْتُ: اثْنَيْنِ، «**وَالثَّالِثَةُ: مُوتَانٌ يَكُونُ فِي أُمَّتِي يَأْخُذُهُمْ مِثْلَ قُعَاصِ الْغَنَمِ** قَالَ: ثَلَاثًا، **وَالرَّابِعَةُ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي أُمَّتِي، وَعَظَّمَهَا**، قُلْ: أَرْبَعًا، **وَالْخَامِسَةُ: يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى الْمِائَةَ دِينَارٍ فَيَتَسَخَّطُهَا**، قُلْ: خَمْسًا، **وَالسَّادِسَةُ: هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً**» قُلْتُ: وَمَا الْغَايَةُ؟ قَالَ: «**الرَّايَةُ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ**»[(٢)].

وكانت العربُ تعرفُ تلكَ الصفةِ وهذه النسبةِ، كما في البخاري في حديث هرقل: قال أبو سفيان بن حرب: فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي وَخَلَوْتُ بِهِمْ، قُلْتُ لَهُمْ: لَقَدْ

---

(١) الصَّحيحَة (٢٩٨٨).

(٢) أحمد في المسند (٢٣٩٨٥)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أَمرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الإِسْلَامَ[١].

أهميةُ معرفة الأنساب[٢]:

أنسابُ الأمم مما لا يكاد يُعرف في هذه الأيامِ، وقد أثبتَ النبي النسبَ والجنسَ في أول الأمرِ وكذلك في آخره، بل وأمرَ بتعلمه.

فمنه ما يكونُ عونًا للمسلم على صلة الرحمِ: كما عند أحمد. من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي أَهْلِهِ، مَثْرَاةٌ فِي مَالِهِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ**»[٣].

ومنه ما يكونُ عونًا له على معرفةِ عدوه: ومثالُه الترك أبناءُ عم بني الأصفر، أخرج البخاري: عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ خُوزًا وَكَرْمَانَ مِنَ الْأَعَاجِمِ**»... فذكر الحديث[٤].

قال الحافظ: «اخْتُلِفَ فِي أَصْلِ التُّرْكِ، فَقَالَ الْخَطَّابِيّ: هُمْ بَنُو قَنْطوراء، أَمَةٌ كَانَت لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام. وَقَالَ وَهْبُ بْن مُنَبِّه: هم بَنُو عَمّ يَأْجوج وَمَأْجُوج، لَمَّا بَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ كَانَ بَعْضُ يَأْجُوجَ وَمَأْجوج غَائِبِينَ، فَتُرِكُوا لَمْ يَدْخُلُوا مَعَ قَوْمِهِمْ، فَسُمُّوا التُّرْكَ. وقِيلَ: إِنَّ بِلَادَهُمْ مَا بَيْنَ مَشَارِقِ خُرَاسَان، إلى مَغَارِب الصِّين، وَشِمَالِ

---

(١) البخاري (٧).

(٢) يهتم علم الأنثروبولوجيا بدراسة علم الإنسان ومنه الأنساب في العصر الحاضر على أساس حداثة تجريبي وليس على أساس شرعي؛ والحروب القائمة على ظهر الأرض اليوم فهي على أساس عقدي، قبلي.

(٣) أحمد (٨٨٦٨)، وحسنه الأرناؤوط.

(٤) البخاري (٢٧٧٠).

الْهِنْد إلى أَقْصَى الْمَعْمُور»(١).

وبه تعرف مراتب الناس ودرجات الأمم: وقد أثبت النبي نسب العرب، فقد أخرج البخاري عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ(٢) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا»(٣).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة:٢-٣]؛ أخرج البخاري ومسلم منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ؛ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ كَانَ الإيمان عِنْدَ الثُّرَيَّا** - وفي رواية: **لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا** - **لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ**»(٤).

والشاهدُ قولُه تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، وهو تفضيلُ لجنسِ العرب مطلقًا على جنس العجم. وقد ذكر شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم عن البزار بسنده عن سلمان: «نفضلكم يا معاشر العرب لتفضيل رسول الله ﷺ إياكم، لا ننكح نساءكم، ولا نؤمكم في الصلاة»، قال شيخُ الاسلام: «وهذا إسنادُ جيد، وهذا تفضيلُ جنسِ أمة العرب على جميعِ الأمم، بل جعل اللهُ الناسَ قسمين: عربا وعجما»(٥).

---

(١) فتح الباري (ج١٠/ص٣٩٣).

(٢) ينتضلون: يتسابقون في الرمي.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٥) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج١/ص٤٤٤/دار عالم الكتب/ط. ٧/بيروت/١٤١٩هـ).

كما تفاضلت الأنساب تفاضلت الألسن:

كذلك اللسان جعلَه اثنيْن: عربي وعجمي؛ وفضَّل العربي بالإبانة ودل على حاجة العَجمي له؛ فقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]؛ فأشار إلى المُعلِّم وهو جبريل وإلى لسانه. وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٩٨-١٩٩]؛ فأشار إلى المُنزَّل عليه وهو النبي. وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الزخرف:٤٤]؛ والآيات وإن كانَ فيها إشارةٌ إلى عنت كفارِ قريش بعدم قبول الرسالة، لكن جعل الله القسمةَ بين اثنين، اللسانِ العربي وهو مُبين، وما عداه من الألسن جميعا فجعله أعجميا، وهو بَهيم.

المفاضلة في الأفراد:

وأما التفضيل في الأفراد فقد أخرج أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»(١).

وأخرج الحاكم عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ غَنَمًا كَثِيرَةً**

(١) أحمد في المسند (٢٣٥٣٦)، وهو في الصحيحة (٢٧٠٠).

سَوْدَاءَ، دَخَلَتْ فِيهَا غَنَمٌ كَثِيرَةٌ بِيضٌ»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «الْعَجَمُ، يَشْرَكُونَكُمْ فِي دِينِكُمْ وَأَنْسَابِكُمْ»، فَقَالُوا: الْعَجَمُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ مُعَلَّقًا بِالثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنَ الْعَجَمِ، وَأَسْعَدُهُمْ بِهِ النَّاسُ»(١).

فصلٌ

وما أشار إليه ابنُ كثير من انحرافِ النصارى عن دين المسيح عليه السلام إنما هو الانحرافُ الأخير الذي استقرت عليه إلى اليوم، وقد سبقه انحرافات أخرى.

والعجبُ أنَّ أولَ انحراف في العجمِ من ذرية إبراهيم كان في الروم، وآخرَ انحراف كان فيهم وبهم؛ فقد وُلد لإبراهيم إسماعيل بِكْره وهو أبو العرب، وإسحق وهو أبو العجم، وَوُلد لإبراهيم ذرية أخرى كما ذكر في موضعه من كتب التواريخ ووُلد لإسحق يعقوب والعيص، وقد قِيل إن العيص انحرفَ أول الأمر عن يعقوب لما صارت النبوة فيه دونَه، وقد قصَّ القرآن انحراف إخوة يوسف لما علموا أنه المُبشَّر بالنبوةِ دونهم، ثم كان انحراف بني إسرائيل عن أنبيائهم وكتبهم؛ قال تعالى واصفا فعلهم في سورة المائدة: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة:١٣]، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة:٤١]؛ وفيهما إشارة إلى نوعي التحريف:

فالأُولى: تحريفُ الدليل بحمله على غير معناه، والثانيةُ: إشارةٌ إلى تحريف العمل به؛ كأنهم يقولون سمعنا وعصينا، ومثالُ الأول قصة البقرة، ومثالُ الثاني نكولهُم عن الجهاد لدخول الأرض المقدسة.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨١٩٤)، وهو في الصحيحة (١٠١٨).

وعيسى عليه السلام بَشرت به التوراةُ خاتمًا لأنبياء بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران:٥٠]؛ فجعله علامةَ التخفيف ورفع الاصر عنهم. وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦]؛ فجعل عيسى مصدقا وكذلكَ جعل كتَابَه مصدقا وعيسى خاتم أنبياء بني إسرائيل وكتابه خاتم كتبهم. وقال تعالى عن عيسى عليه السلام في سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

قال ابن كثير: «يَعْنِي: التَّوْرَاةُ قَدْ بَشَّرَت بِي، وَأَنَا مصداقُ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ، وَأَنَا مُبَشِّر بِمَنْ بَعْدِي، وَهوَ الرَّسُولُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ الْمَكِّيُّ أَحْمَدُ. فَعِيسَى عليه السلام وَهوَ خَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ أَقَامَ فِي مَلَإِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَشِّرًا بِمُحَمَّدٍ، وَهوَ أَحْمَدُ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِي لَا رِسَالَةَ بَعْدَهُ وَلَا نُبُوَّةَ»(١).

وقد حكى اللهُ تعالى كفرَ بني إسرائيل بعيسى وبما أخبرَ به في غير ما موضع، فقال تعالى:

في سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢].

وفي سورة مريم: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦)

(١) تفسير ابن كثير (ج٧/ص٨٥).

فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم:٣٤-٣٨].

وفي سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:٦٣-٦٥].

وفي سورة الصف: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٧].

ذكر ابن جرير في معاني الآيات قولين:

الأولَ عن مجاهد، قوله: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾، قال: أهل الكتاب.

والثانيَ عن قتادة: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ ذُكر لنا أن لما رُفع ابن مريم، انتخبتْ بنو إسرائيل أربعةَ من فقهائهم، فقالوا للأوّل: ما تقولُ في عيسى؟ قال: هو الله هبطَ إلى الأرض، فخلقَ ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صَعِد إلى السماء، فتابَعه على ذلك ناسُ من الناس، فكانت اليعقوبيّةُ من النصارى، وقال الثلاثةُ الآخرون: نشهد أنك كاذب. فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النَّسطورية من النصارى، وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب. فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبدُ الله ورسُولِه، هو كلمةُ الله وروحه، فاختصمَ القوم. فقال المرءُ المسلم: أنشدُكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يَطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى لا يطعم

الطعام قالوا: اللهمّ نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال نخصمهم المسلم. قال: فاقتتل القوم. قال: فذُكر لنا أن اليعقوبية ظهرتْ يومئذ وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١](١).

وهذه الأقوالُ وإن كانت صحيحةً في نفسها لكنها قاصرةٌ عن بيان المعنى وإتمامه؛ فإن الذين اختلفوا هُمْ أهلُ الكتاب، كما قال مجاهد، لكن متى؟ ومن على وجه الخصوص؟ وكيف كان ذلك؟ فهذا تفسير مجمل جدًا، وأما تفسير قتادة فهو يرجع إلى الاختلاف الذي أحدَثه قسطنطين ونقلتُه عن ابن كثير آنفًا، وسيأتي ذكره في آخر سورة النساء والحديد والصف.

وكل موضع من المواضع المذكورة يحكي مشهدًا من حياة عيسى ودعوتِه، والذين كفروا بعيسى قبلَ رفعه غير من كفر به بعدَ رفعه؛ فاليهود كفروا به قبل رفعه والخطاب بأهل الكتاب وبني إسرائيل يعود إليهم بينما يعود على النصارى بعد رفعه. وإن كان يتضمن ذكر من سبق من اليهود.

وسورة آلِ عمران تحكي البشارة بعيسى، بينما تحكي سورةُ مريم الميلادَ، وسورتي الزخرف والصف تحكيان بعضًا من دعوته عليه السلام.

وقوله تعالى في مريم: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾، فهؤلاء الذين شاهدوا الآية، وهو كلامُ عيسى في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم:٣٠]؛ فأخبرَ عن

---

(١) تفسير الطبري (ج١٨/ص١٩٧، ١٩٨).

نفسه بالعبودية والنبوة والكتاب وبرأ أمه من بهتانهم، ودعاهم إلى التوحيد شهادةً منه بذلك على نفسه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [مريم:٣٦].

فاختلفَ عند ذلك بنو إسرائيل ما بين مصدقٍ بما عنده في التوراة من البشارة معتقدا في مريم البراءة، وآخرينَ قد عزموا على الكفر بعدما رأوا الآيات، لذلك وصفهم بالكفر وتوعدهم بالويل من ﴿مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾، جزاءًا وفاقًا لكفرهم بما شاهدوه من الآية، والقول العظيم الذي قالوه في مريم؛ ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:١٥٦]، ولا تصح الشهادةُ إلا برؤية وعلم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]؛ فمن عزمَ على الإيمان ساعتَها فاز باتباعه التوراة، ولعله يُشبهُ في ذلك ورقة بن نوفل، وقد عزمَ على الإيمان بالنبي ولم يكن ثمة أمرُ بالاتباع ساعتها.

وكما سمعوا في التوراة فلم يؤمنوا، وأبصروا فلم ينتفعوا، توعدهم بقوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [مريم:٣٨]؛ والظالمون في هذا الموضع النصارى الذين كفروا بنبينا عليه السلام.

وأما موضعُ سورةِ الزخرف فهو موضعُ الدعوة وإقامة الحجة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:٦٣-٦٥].

فقد جاءهم بالنبوة وأمرهم بطاعته ودعاهم إلى التوحيد، وجاءت الآية بضمير الرفع المنفصل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ وجاءت في آل عمران ومريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ بدون الضمير لأن موضعَ آل عمران من جملةِ البشارة لمريم، وذلك قبل

ميلادِ المسيح، وموضعُ سورة مريم فيه أخبارُ المسيح عن نفسه وهو في المهد. والله أعلم بمراده.

فما كان جوابُ بني إسرائيل وهم اليهودُ إلا أن هموا بقتله، ثم اختلفوا هل قتلوه أم لا كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء:١٥٧]، وكذلك اختلف فيه المؤمنون به وهم النصارى.

وأما موضعُ سورة الصف: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٧].

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ جَرِيرٍ: «﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ أَحْمَدُ، أَيِ: الْمُبَشَّرُ بِهِ فِي الْأَعْصَارِ الْمُتَقَادِمَةِ، الْمنوه بِذِكْرِهِ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، لَمَّا ظَهَرَ أَمْرُهُ وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ الْكَفَرَةُ وَالْمُخَالِفُونَ: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾».

روى أحمد عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ؟ قَالَ: «نَعَم، إِنِّي عَبْدُ اللهِ، وَمَكْتُوبٌ فِي أُمِّ الْكِتَابِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ...» فذكر الحديث[1].

والكفارُ هاهنا هم النصارى الذين آمنوا بعيسى وكفروا بالبشارة فلم يؤمنوا بالنبي أحمد ﷺ كما فعل أسلافهم من اليهود لما آمنوا بالتوراة وكفروا بعيسى، قال تعالى:

(١) أحمد في المسند (١٧٦٨٥)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٧٥٩)، والصحيحة (٣٧٣).

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]، روى مسلمٌ في صحيحه عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

وقد نسب ربنا -جلت حكمته- الذين كفروا بعيسى عليه السلام في سورتي مريم والزخرف، نسبهم إلى الظلم فقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:٦٥]؛ ففي اليهود الذين ردوا دعوة عيسى، فنفى عنهم العدل، وهم النصارى الضلال حملوا الآية على غير ما أراد الله ثم جعلوا للمخلوق ما ليس له من صفات الخالق وكلها صفات كمال، وجعلوا من صفات المخلوق -وفيها النقص- صفات للخالق، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وقد بين تعالى معنى الظلم في قوله تعالى في سورة الصف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف:٧].

وجمع اليهود والنصارى في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم:٣٧].

بجحدت اليهود آية عيسى، وبجحدت النصارى آية محمد.

وفي سورة آل عمران أثبت صفة الكفر دون الظلم فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران:٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٥-٥٦]، وذلك مناسبٌ لسياق مجادلةِ أهلِ نجران لنبينا ﷺ، وقد قامت عليهم الحجة في أمر عيسى ولزمهم الإيمان بنبينا فأبوا إلا الكفر وهو الجحود والعناد.

وسورةُ الصف تسمى سورةَ الحواريين، وهم أصحاب عيسى عليه السلام؛ روى البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّي الْحَوَارِيُّونَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ، قَالَ: كَانُوا صَيَّادِينَ».

وروى الطبري عن الضحاك في قوله: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾، قال: أصفِياء الأنبياء.

قال أبو جعفر: وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾، قولُ من قال: «سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسّالين».

وذلك أن (الحوَر) عند العرب شدة البياض، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا بالذي ذكرنا: من تبييضهم الثيابَ، وأنهم كانوا قصّارين؛ فعرفوا بصحبة عيسى، واختياره إياهم لنفسه أصحابًا وأنصارًا، فجرى ذلك الاسم لهم، واستُعمل، حتى صار كل خاصّة للرجل من أصحابه وأنصاره: حواريُّه. انتهى

والمعنى أن الحواريَّ يشيرُ إلى أمرين:

أحدهما في الظاهر: وهو البياضُ الناصع فليس فيه غيره، سواء بإيجادِه اختيارا وهو تبييضُ الثياب ولبسُها أو وجودهُ طبعا ومنه الحورُ العين.

قال ابن فارسُ في مقاييس اللغة: الْحَوَرُ: شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِهَا. قَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْحَوَرُ أَنْ تَسْوَدَّ الْعَيْنُ كُلُّهَا مِثْلُ الظِّبَاءِ وَالْبَقَرِ. وَلَيْسَ فِي بَنِي آدَمَ حَوَرٌ. قَالَ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلنِّسَاءِ حُورُ الْعُيُونِ، لِأَنَّهُنَّ شُبِّهْنَ بِالظِّبَاءِ وَالْبَقَرِ.

ثانيهما: في الباطن وهو صفاء النفس على اسم ربها نصرة لدينه.

وبكلا المعنيين وردت السنة:

أما اللباسُ والبياض: فقد روى أحمد، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ** -وفي رواية: **فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ- ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**»(١).

وفيها جاء جبريل إلى النبي ﵇ كما رواه مسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ يَمْشِي شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَمْ يَمَسَّهَا دَنَسٌ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَطْيَبُ النَّاس رِيحًا... فذكر الحديث(٢).

وأما معنى النصرة: فقد روى البخاري ومسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ**».

قال سُفْيَانُ الثوري: الْحَوَارِيُّ: النَّاصِرُ(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠١٦٦)، والنسائي (١٨٩٦)، والترمذي (٢٨١٠)، وابن ماجه (٣٥٦٧)، وصحيح الجامع (١٢٣٥).

(٢) صدر الحديث أخرجه أبو داود (٤٦٩٨)، وصححه الألباني وبقيته عند البخاري (٤٤٩٩)، ومسلم (٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٤١١٣).

وروى أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاشْتَدَّ الْغُرَمَاءُ فِي حُقُوقِهِمْ وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ يَهُودِيٌّ، وَكَانَ يُسْلِفُنِي فِي تَمْرِي إِلَى الْجِدَادِ وَكَانَتْ لِيَ الْأَرْضُ الَّتِي بِطَرِيقِ رُومَةَ، فَجَلَسَتْ عَامًا فَجَاءَنِي الْيَهُودِيُّ عِنْدَ الْجِدَادِ وَلَمْ أَجُدَّ مِنْهَا شَيْئًا، فَجَعَلْتُ أَسْتَنْظِرُهُ إِلَى قَابِلٍ فَيَأْبَى فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا كَثِيرًا وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ، وَلَا يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ مَا عَلَيْهِ، فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْ لَا يُفْحِشَ عَلَيَّ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ: **«نَعَمْ، آتِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَرِيبًا مِنْ وَسَطِ النَّهَارِ»**، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ حَوَارِيُّهُ - ثُمَّ اسْتَأْذَنَ وَدَخَلَ... فذكر الحديث. وحواريه: هو الزبير بن العوام(١).

وجمع بين المعنيين في الحديث الذي أخرجه مسلم عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»**(٢).

وبحمد الله فقد وجد في الأمة حواريون وأنصار استجابوا لربهم وأطاعوا نبيهم. روى الطبري عن قتادة في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤]، قال: «قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه».

---

(١) أحمد (١٥٢٨١)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) مسلم (٨٠).

وروى أيضا عن قتادةَ قال: «قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلًا فبايعوه عند العقبةِ، فنصروه وآوَوْه حتى أظهرَ الله دينَه، قالوا: ولم يسمّ حيّ من السماء اسمًا لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم».

يُشير قتادةُ ﷺ إلى الحديث الذي رواه أحمد والحاكم وابن حبان عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟ وَلَهُ الْجَنَّةُ**» فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مُضَرَ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ ﷻ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا، فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إلى أَهْلِهِ، فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ، إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ. ثُمَّ أْتَمَرْنَا وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ، فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا، حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ، وَإِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا لَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ ﷺ فِي وُجُوهِنَا قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ، لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ**

الْجَنَّةُ»، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ نُبَايِعُهُ. فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ﷺ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ، إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ، مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنَّ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ ﷻ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، فَقَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ يَا أَسْعَدُ، فَوَاللهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نَسْتَقِيلُهَا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ رَجُلًا رَجُلًا، يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ»(١).

وروى الطبري قال: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: إن الحواريين كلهم من قريش: أَبو بكر، وعمر، وعلي، وحمزة، وجعفر، وأبو عُبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أَبي وقاص، وعثمان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام.

فصار الحواريُّ من أصحاب النبي: الزبير على وجه الخصوص وهي أعلى مناقبه، والمهاجرون والأنصار كما قال قتاده، وكلُّهم قد باع نفسه من الله لا يَقيل ولا يستقيل، ولذلك نادى عليهم دونَ غيرِهم يوم حنين.

روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: افْتَتَحْنَا مَكَّةَ، ثُمَّ إِنَّا غَزَوْنَا حُنَيْنًا... قَالَ: فَنَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَا لَلْأَنْصَارِ، يَا لَلْأَنْصَارِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٤٦٥٣)، والحاكم في المستدرك (٤٢٥١)، والصحيحة (٦٣)، وفقه السيرة (ص١٤٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٦) (١٠٥٩).

وفي رواية: فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ، لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا، الْتَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ»، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ»، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَايْمُ اللهِ مَا أَتَيْنَاهُمْ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللهُ.

وذكر في الرواية الأخرى أهلَ بيعةِ الرضوان أصحابَ السمُرة الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠].

روى أحمد عن العباس بن عبد المطلب: لما انهزم المسلمون يوم حنين، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَبَّاسُ، نَادِ: يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ** -وفي رواية: **نَادِ: يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ**»، قَالَ: وَكُنْتُ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: «**أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟**». قال العباس: فَنَادَتْ الْأَنْصارُ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصَّرَتْ الدَّاعُونَ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَادَوْا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى قِتَالِهِمْ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا [ثُمَّ قَالَ: «**الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**»] ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**»(١).

وهو المَعنى الذي أمَرَهم به في سورةِ الصف من ملازمةِ القولِ للفعل، والجهادِ في سبيل الله صفا واحدا، وعرَّض بذكر موسى عليه السلام فكأنما نهاهم عن إيذاء النبي:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٧٥).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:٥]؛ فهؤلاء صحَّ لهم العلمُ برسالة موسى لكنهم خالف فعلهُم قولَهم بترك العملِ بمقتضى العلمِ وهو تعزير موسى ونصرته، وذكر عيسى عليه السلام، فكأنما أمرهم بتصحيح العملِ بالتصديق الصحيح لكتب الله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، وهؤلاء فيهم التعزير لنبيهم ونصرته، ففيهم عمل لكنه على خلاف العلمِ، ثم أرشدَهم إلى التجارةِ الرابحة وهي الجهادُ في سبيل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف:١٠-١١].

فذكر أمرينْ:

الأولَ إيمانٌ بالله ومتابعةُ الرسول، ولا يكون إلا بعلم صحيح، والثانيَ: العملُ بمقتضى ذلك وهو الجهادُ في سبيل الله بالمال والنفس، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون.

وكما ذكر الصفةَ الظاهرة في القتال من ترتيب الجند وتلاحمِ الصف في أول السورة وأن ذلك محبوبٌ له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ ﴿﴾ [الصف:٤]؛ ذكر المثلَ الباطنَ لما يجب أن تكون عليه النفوس من اخلاص النصرة لدينه، واختار لهم مثلاً الطائفة القليلة التي آمنت من بني إسرائيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

والحواريون هم الذين اختارَهم الله لنبيه عيسى عليه السلام وذكرَ ذلك من جملةِ النِّعم عليه يومَ القيامة فقال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى

وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة:١١١]. أي: ألهمهم ذلك وألقاه في نفوسهم فاستجابوا لعيسى عليه السلام، وهم الذين حكى الله عنهم: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٢-١١٤].

قال ابن كثير في البداية: قَدْ ذَكَرْنَا فِي التَّفْسِيرِ الْآثَارَ الْوَارِدَةَ فِي نُزُولِ الْمَائِدَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّلَفِ، وَمَضْمُونُ ذَلِكَ، أَنَّ عِيسَى عليه السلام أَمَرَ الْحَوَارِيِّينَ بِصِيَامِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا أَتَمُّوهَا سَأَلُوا مِنْ عِيسَى إِنْزَالَ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ لِيَأْكُلُوا مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ بِذَلِكَ قُلُوبُهُمْ، أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ صِيَامَهُمْ وَأَجَابَهُمْ إِلَى طَلِبَتِهِمْ، وَتَكُونَ لَهُمْ عِيدًا يُفْطِرُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ فِطْرِهِمْ، وَتَكُونَ كَافِيَةً لِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، لِغَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ، فَوَعَظَهُمْ عِيسَى عليه السلام فِي ذَلِكَ وَخَافَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَقُومُوا بِشُكْرِهَا، وَلَا يُؤَدُّوا حَقَّ شُرُوطِهَا، فَأَبَوْا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ رَبِّهِ عز وجل، فَلَمَّا لَمْ يُقْلِعُوا عَنْ ذَلِكَ، قَامَ إِلَى مُصَلَّاهُ وَلَبِسَ مِسْحًا مِنْ شَعْرٍ، وَصَفَّ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَأَطْرَقَ رَأْسَهُ، وَأَسْبَلَ عَيْنَيْهِ بِالْبُكَاءِ، وَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ، أَنْ يُجَابُوا إِلَى مَا طَلَبُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَائِدَةَ مِنَ السَّمَاءِ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا تَنْحَدِرُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ، وَجَعَلَتْ تَدْنُو قَلِيلًا قَلِيلًا، وَكُلَّمَا دَنَتْ سَأَلَ عِيسَى عليه السلام رَبَّهُ عز وجل أَنْ يَجْعَلَهَا رَحْمَةً لَا نِقْمَةً وَأَنْ يَجْعَلَهَا بَرَكَةً وَسَلَامَةً، فَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عِيسَى عليه السلام وَهِيَ مُغَطَّاةٌ بِمِنْدِيلٍ، فَقَامَ عِيسَى يَكْشِفُ عَنْهَا، وَهُوَ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ. فَإِذَا عَلَيْهَا

سَبْعَةٌ مِنَ الحِيتَانِ، وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ، وَيُقَالُ: وَخَلٌّ. وَيُقَالُ: وَرُمَّانٌ وَثِمَارٌ. وَلَهَا رَائِحَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا.

قَالَ اللَّهُ لَهَا: كُونِي. فَكَانَتْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالْأَكْلِ مِنْهَا، فَقَالُوا: لَا نَأْكُلُ حَتَّى تَأْكُلَ. فَقَالَ: إِنَّكُمُ الَّذِينَ ابْتَدَأْتُمُ السُّؤَالَ لَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ابْتِدَاءً، فَأَمَرَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَحَاوِيجَ وَالْمَرْضَى وَالزَّمْنَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا فَبَرَأَ كُلُّ مَنْ بِهِ عَاهَةٌ، أَوْ آفَةٌ، أَوْ مَرَضٌ مُزْمِنٌ، فَنَدِمَ النَّاسُ عَلَى تَرْكِ الْأَكْلِ مِنْهَا؛ لِمَا رَأَوْا مِنْ إِصْلَاحِ حَالِ أُولَئِكَ، ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ تَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً، فَيَأْكُلُ النَّاسُ مِنْهَا، يَأْكُلُ آخِرُهُمْ كَمَا يَأْكُلُ أَوَّلُهُمْ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهَا كَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا نَحْوُ سَبْعَةِ آلَافٍ. ثُمَّ كَانَتْ تَنْزِلُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، كَمَا كَانَتْ نَاقَةُ صَالِحٍ يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ عِيسَى أَنْ يَقْصُرَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ أَوِ الْمَحَاوِيجِ، دُونَ الْأَغْنِيَاءِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَكَلَّمَ مُنَافِقُوهُمْ فِي ذَلِكَ، فَرُفِعَتْ بِالْكُلِّيَّةِ، وَمُسِخَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ خَنَازِيرَ.

فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الْمَائِدَةِ، هَلْ نَزَلَتْ أَمْ لَا؟ فَالْجُمْهُورُ أَنَّهَا نَزَلَتْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآثَارُ، وَكَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ ظَاهِرِ سِيَاقِ الْقُرْآنِ، وَلَا سِيَّمَا قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١١٥]. كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى مُجَاهِدٍ، وَإِلَى الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، أَنَّهُمَا قَالَا: لَمْ تَنْزِلْ. وَإِنَّهُمْ أَبَوْا نُزُولَهَا، حِينَ قَالَ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥].

وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ النَّصَارَى لَا يَعْرِفُونَ خَبَرَ الْمَائِدَةِ، وَلَيْسَ مَذْكُورًا فِي كِتَابِهِمْ مَعَ أَنَّ

خَبَرَهَا مِمَّا تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١].

قال أبو جعفر: «والصوابُ من القولِ عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أنزلَ المائدةَ على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربَّه.

وإنما قلنا ذلك، للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله ﷺ وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم، غير من انفرد بما ذكرنا عنه.

وبعدُ، فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعدَه، ولا يقع في خبره الْخُلف، وقد قال تعالى ذكره مخبرًا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ثم لا ينزلها؛ لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ثم لا ينزلها عليهم، جاز أن يقول: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة، وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك» انتهى.

قلت: والشهر الذي أمروا بصيامه هو شهر رمضان والله أعلم:

وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]. ذهب الشعبي والسدي إلى أنه رمضان. وقال الربيعُ: بل صفةُ الصومِ من العتمةِ إلى العتمةِ. وقال مجاهد: أهل الكتاب. وقال غيرهم: كل من كان قبلنا.

روى ذلك الطبري عنهم في تفسيره[١].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، باب ذكر خبر المائدة (ج٢ص٤٩١، ٤٩٢).

وهل كان ذلك منهم طلب للآية:

فقالَ الطبريُّ: «فإن ظنّ ظانّ أنّ قولهم ذلك له إنما استُعظِمَ منهم، لأنّ ذلك منهم كان مسألة آية [فقد ظنّ خطأ]، فإن الآيَةَ، إنّما يسألها الأنبياء مَنْ كان بها مكذّبًا ليتقرَّر عنده حقيقةُ ثبوتها وصحَّة أمرها، كما كانت مسألة قريش نبيَّنا محمدًا ﷺ(١).

والأقرب أن يقال:

الآية خرقٌ للعادة: وهي رحمةٌ من الله بأوليائه، فهي للنبي معجزة ولصاحب الاستقامة كرامة، وهي حجة الله على أعدائه.

وقد تكون على معنى التخويف المجرد للمؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

وعند البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ**»(٢).

ثم إن الآية قد تكون:

كونيةً، وقد تكون شرعيةً، وقد تحتمل الوجهين جميعًا وهي للأغلب منهما؛

فالكونيةُ: كعصا موسى ويده والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

والشرعيةُ: مثلُ إنزالِ الكتبِ السماوية وأعظمها القرآن.

وفي البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ**

---

(١) تفسير الطبري (ج١١ص٢٢٠، ٢٢١)، ط. الرسالة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٤).

نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وقوله: «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ».

قال الحافظ في الفتح: «هَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعْجِزَةٍ تَقْتَضِي إِيمَانَ مَنْ شَاهَدَهَا بِصِدْقِهِ، وَلَا يَضُرُّهُ مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْمُعَانَدَةِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ آيَةً أَوْ أَكْثَرَ، مِنْ شَأْنِ مَنْ يُشَاهِدُهَا مِنْ الْبَشَرِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ لِأَجْلِهَا»(٢).

وقوله: «وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ».

قال الحافظ: «لَيْسَ الْمُرَادُ حَصْرُ مُعْجِزَاتِهِ فِيهِ، وَلَا أَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ مِنْ الْمُعْجِزَاتِ مَا أُوتِيَ مَنْ تَقَدَّمَهُ، بَلْ الْمُرَادُ أَنَّهُ الْمُعْجِزَةُ الْعُظْمَى الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ، لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ مُعْجِزَةً خَاصَّةً بِهِ، لَمْ يُعْطَهَا بِعَيْنِهَا غَيْرُهُ تَحَدَّى بِهَا قَوْمَهُ، وَكَانَتْ مُعْجِزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ تَقَعُ مُنَاسِبَةً لِحَالِ قَوْمِهِ»(٣).

والتي تحتمل الوجهين جميعا: مثل انزال المطر بالاستسقاء كما في البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٢) فتح الباري (ج٩ص٦)، ط. السلفية.

(٣) فتح الباري (ج١٤ص١٨٦).

لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِن الغَدِ وَبَعْدَ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ -أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**»، فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ المَدِينَةُ مِثْلَ الجَوْبَةِ، وَسَالَ الوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالجَوْدِ(١).

ثم إن الآيةَ قد يُجريها الله بغير طلبِ من العباد، كآيات موسى وعيسى وما كان للنبي من حنين الجذع ورغاء الناقة وتسبيح الحصى بين يديه، وقد تجري بطلبِ العبد، وطلبُ الآية قد يكون من الكافر، وقد يكون من المؤمنِ.

ثم يُنظر في حال الطالب، والحامل على الطلب، فقد طلبها أهلُ الكفر والطغيان وكذلك أهلُ الإيمان، والجامع بينهما جميعا في الظاهر معنى الاستدلالِ، وحقيقةُ الأمرِ أبعدُ من ذلك. فقد طلبَ أهل الكفر كقوم صالح لما طلبوا الناقة، كان ذلك منهم على سبيل التعجيز وإن كان في ظاهره طلب الاستدلال، ومثله قول كفار قريش للنبي في سورة الاسراء: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣).

وحقيقةُ الأمرِ أنهم أعرضوا عن الإيمان بسبب ما يرونه من بشرية الرسول، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٤].

وكذلك قولُهم في سورة الأنفال: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال:٣٢].

وضربَ الله في القرآن بعضَ صور طلبِ أهل الإيمان للآية:

فمن ذلك قصةُ الرجل الصالح في سورة البقرة: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩].

وقولُ إبراهيمَ عليه السلام بعدها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

وليست المسألتان من باب واحد بالنسبةِ لكل من السائلَيْنِ:

فهي في إبراهيم عليه السلام من باب الاطمئنان مع رسوخ الإيمان، وقد قال تعالى في سورة الرعد: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

وقصةُ الرجل الصالح قصةُ رجلٍ شاكٍّ في القدرة مع وجود الإيمانِ، ولذلك أثبت

سؤاله: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ وأثبت الإجابة: ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ مبيناً خطأه في التقدير، عكس أصحاب الكهف فأثبت سؤالهم لأنفسهم: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف:٢٠]، ولم يثبت إجابة مباشرة، بل اكتشفوها هم، ثم عقب: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف:٢٥].

وفي قصة الرجل الصالح كرَّر قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾، ثم ختمها بقوله: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وهو يُشبه في حالِه هذه قصةَ الرجل الذي أمرَ بنيه بتحريقه، ورواها البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ**». «**مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ**»(١). فهذا أيضًا شاك في القدرة وإن كان الأول أفضل منه حالا.

وقد قصَّ الله تعالى قصةَ إبراهيم مع الكافرِ ثم قصة هذا الصالح ثم ختمها بقصةِ إبراهيم، والثلاثُ قصص في الحياة والموت، الأولى في كافر زعم كذبًا ومينًا أنه يحي ويميت، فعفى عن سجين وقتل آخر كما ذكروا في التفسير(٢)، وهذا المعنى في ذاته هبة حياة قائمه وليست بمحل النزاع فهي حيدةٌ عن المقصود، والقصة الثانية فيمن شكَّ فأماتَه الله فصارَ عدما ثم أحياه ثم أحيا حماره أمامه ليستيقن بموت نفسه من قبل،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨١).

(٢) وهو نفس فعل فرعون كما في قوله تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، فمعنى يستحيون: لا يقتلونهم.

والثالثةُ في إبراهيم عليه السلام فأمرَه أن يذبح حيا.. إلى آخر القصةِ، والمقصود أَنَّ إبراهيم إنما سأل عن الكيفيةِ ولم يشك وما رأى أمامه إلا كُنْ فكان، فحكت الثلاث قصص حالات الانسان الثلاث: كافر، ومؤمن، وبينهما صاحب ايمان ومعه شك في القدرة والحكم فيه للأغلب عليه منهما.

وقد حكى القرآن عن موسى عليه السلام طلبَ الرؤية ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وكذلك حكى عن المختارين من قومه وهم أصفياؤه طلب الرؤية فقال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥].

أما موسى فلم يجر عليه اللوم ولم ينكر عليه السؤال؛ بل أجابه ربنا تبارك وتعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾. وبين له السبب أن الرؤية لا تصلح في دار الدنيا، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾؛ فبين له بلطيف الخطاب أنه لا يتحمل، وصعق موسى فلما أفاق قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وتوبة موسى توبة كمال لا توبة نقصان؛ لذلك جوزي ألا تجري عليه صعقة البعث؛ كما رواه البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**».

وقوم موسى إنما سألوا الرؤية تعنتا وظلما كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ

﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾، بل وعلقوا عليها الإيمان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦]؛ وهؤلاء المختارين ليتوب الله على بني إسرائيل من عبادة العجل؛ قال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ﴾، وإنما رفع الله عنهم باستغفار موسى لهم.

وسرُّ المسألةِ:

أَنَّ موسى لما سمعَ كلامَ الربِّ وعاشَ لذيذَ المناجاةِ وفيها توبةُ الله على عبيدِه ومغفرته لهم، اشتاقت نفس موسى لحالِ الكمال بتمام الرؤية كما اشتاق يوسف لربه وقد عاين الإنعام فسأل ربه الوفاة: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وقوم موسى فكانوا في سفح الجبل كما ذكر أهل التفسير يرون اتصالَ عمودِ النور -حيث يناجي موسى ربه- بالسماء، ويسمعون أثر الصوت؛ وذلك كما كان يجري على الصحابة من سماع الوحي كدويِّ النحل ويسمعه النبي كصلصال الجرس؛ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ﵁ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ**»(١).

---

(١) البخاري (٢، ٣٢١٥).

قال الحافظ في الفتح: «وَأَمَّا فُنُونُ الْوَحْيِ، فَدَوِيُّ النَّحْلِ لَا يُعَارِضُ صَلْصَلَةَ الْجَرَسِ، لِأَنَّ سَمَاعَ الدَّوِيِّ بِالنِّسْبَةِ إلى الْحَاضِرِينَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عُمَرَ «يُسْمَعُ عِنْدَهُ كَدَوِيِّ النَّحْلِ»، وَالصَّلْصَلَةَ بِالنِّسْبَةِ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَشَبَّهَهُ عُمَرُ بِدَوِيِّ النَّحْلِ بِالنِّسْبَةِ إلى السَّامِعِينَ، وَشَبَّهَهُ هُوَ ﷺ بِصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ بِالنِّسْبَةِ إلى مَقَامِهِ»(١).

فكان الأوْلى ببني إسرائيل الشكرَ لا الجحودِ كما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، فعوقبوا بالصعق.

والمقصودُ أن فعل الحواريين ليس كما قال الطبريُّ فليس هو بمنزلة سؤال إبراهيم، بل غايتُه أن يكون فعلُهم كفعل بني إسرائيل مع موسى، فهو سؤالُ آية وطلب معاينة، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة:١١٣]، فقد قالوا: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾، وقد توعدهم بقوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥]. وقد أثر عن عبد الله بن عمرو قال: «إن أشدّ الناس عذابًا ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون»(٢).

* * *

---

(١) الفتح (١/١٩-٢٠).

(٢) الطبري (١٣٠٢٤، ١٣٠٢٥).

فصل
في اليقين

ومما ذكر في اليقين عن عيسى عليه السلام: ما رواه أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا في كتاب اليقين: عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: «فَقَدَ الْحَوَارِيُّونَ نَبِيَّهُمْ عِيسَى، فَقِيلَ لَهُمْ: تَوَجَّهَ نَحْوَ الْبَحْرِ. فَانْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إلى الْبَحْرِ، إِذَا هُوَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، يَرْفَعُهُ الْمَوْجُ مَرَّةً وَيَضَعُهُ أُخْرَى، وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ، مُرْتَدٍ بِنِصْفِهِ، وَمُؤْتَزِرٌ بِنِصْفِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: أَلَا أَجِيءُ إِلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَوَضَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَضَعَ الْأُخْرَى فَقَالَ: أَوَّهْ، غَرِقْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَقَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا قَصِيرَ الإيمان، لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِنَ الْيَقِينِ قَدْرَ شَعِيرَةٍ، مَشَى عَلَى الْمَاءِ»[١].

وروى عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: قِيلَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: يَا عِيسَى، بِأَيِّ شَيْءٍ تَمْشِي عَلَى الْمَاءِ؟ قَالَ: بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ. قَالُوا: فَإِنَّا آمَنَّا كَمَا آمَنْتَ وَأَيْقَنَّا كَمَا أَيْقَنْتَ. قَالَ: فَامْشُوا إِذًا. قَالَ: فَمَشَوْا مَعَهُ فِي الْمَوْجِ فَغَرِقُوا. فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: خِفْنَا الْمَوْجَ. قَالَ: أَلَا خِفْتُمْ رَبَّ الْمَوْجِ. قَالَ: فَأَخْرَجَهُمْ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إلى الْأَرْضِ، فَقَبَضَ بِهَا ثُمَّ بَسَطَهَا، فَإِذَا فِي إِحْدَى يَدَيْهِ ذَهَبٌ، وَفِي الْأُخْرَى مَدَرٌ أَوْ حَصًى، فَقَالَ: أَيُّهُمَا أَحْلَى فِي قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: هَذَا الذَّهَبُ. قَالَ: فَإِنَّهُمَا عِنْدِي سَوَاءٌ[٢]. ذكرتهما استئناسًا.

وأصلُ اليقينِ مبنيٌّ على التعظيم، كما أخرجَ البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

(١) اليقين لابن أبي الدنيا، باب لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى، أثر رقم (١١).

(٢) السابق برقم (٣٩).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَى عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا سَرَقْتُ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِ، وَكَذَّبْتُ بَصَرِي**»(١).

تنبيه:

قول ابن كثير: وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ النَّصَارَى لَا يَعْرِفُونَ خَبَرَ الْمَائِدَةِ، وَلَيْسَ مَذْكُورًا فِي كِتَابِهِمْ مع أَنَّ خَبَرَهَا مِمَّا تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انتهى.

قلت: يُشبه في ذلك قصةُ أصحاب السبتِ عند اليهود فإنه مما كتمته يهود وقد قال: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف:١٦٣]، ونهاية القصتين بالمسخ كما ذكر القرآن في اليهود وذكره أهلُ التاريخ في قوم عيسى.

ومثلُ هذا المسخ يكون في هذه الأمة، فقد أخرج الترمذي وحسنه الألباني عَنْ نَافِعٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ فُلَانًا يقرأُ عليكَ السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فلا تُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَسْخٌ، وَخَسْفٌ، وَقَذْفٌ وَذَلِكَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ**»(٢)، وبنو إسرائيل شكوا في القدرة وهؤلاء شكوا في التقدير. قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٧].

واللعن: طردٌ من رحمة الله، وسببه ظلمُ العباد لأنفسهم كما قال تعالى في سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]. قال ابن كثير:

---

(١) البخاري (٣٤٤٤).

(٢) سنن الترمذي (٢١٥٣) (ج٤/ص٢٥)، ط. بشار عواد معروف، ونبه فيها أن هذا الحديث ليس من جامع الترمذي.

أَخْبَرَ تعالى أنه لَمْ يُهْلِكْ قَرْيَةً إِلَّا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِنَفْسِهَا وَلَمْ يأْتِ قَرْيَةً مُصْلِحَةً بَأْسُهُ وَعَذَابُهُ قَطُّ حَتَّى يكُونوا هُمُ الظَّالِمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [هود:١٠١]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

وهلاكُ القرى مما كتبَه الله عنده في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨]. وإهلاك القرية بإبادة أهلها جميعا، والعذاب الشديد بالقتل أو الابتلاء بما يشاء.

ومن صُور الهلاكِ التي قصَّها علينا القرآنَ ما حكاه في سورة العنكبوت بعد ذكر نوح وإبراهيم ولوط وغيرهم من الأنبياء مع أقوامهم؛ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وأولُ هلاكٍ عامٍّ كان هلاكُ قوم نوح ثم صار في الأمم بعد كما قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٧]، قال ابن كثير: «دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْقُرُونَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَى الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ».

وآخرُ الهلاكِ العام كان إغراقَ فرعونَ وجنده، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ ﴾ [القصص:٤٣].

أخرج الحاكم في المستدرك عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَا أَهْلَكَ اللهُ قَوْمًا، وَلَا قَرْنًا، وَلَا أُمَّةً، وَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ مُنْذُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، غَيْرَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي مُسِخَتْ قِرَدَةً، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾»(١).

وصورةُ استحقاقِ الهلاكِ جاءت في سورة الاسراء: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦].

قال البغويُّ في تفسيره: قَرَأَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَمَّرْنَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ أَيْ: سَلَّطْنَا شِرَارَهَا فَعَصَوْا، وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَيَعْقُوبُ ﴿آمَرْنَا﴾ بِالْمَدِّ أَيْ: أَكْثَرْنَا. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ مَقْصُورًا مُخَفَّفًا أَيْ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَعَصَوْا وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ جَعَلْنَاهُمْ أُمَرَاءَ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى أَكْثَرْنَا يُقَالُ: أَمَّرَهُمُ اللَّهُ أَيْ كَثَّرَهُمُ اللَّهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ» أَيْ كَثِيرَةُ النَّسْلِ. وَيُقَالُ: مِنْهُ أَمِرَ الْقَوْمُ يَأْمُرُونَ أَمْرًا إِذَا كَثُرُوا وَلَيْسَ مِنَ الْأَمْرِ بِمَعْنَى الْفِعْلِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ.

وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ قِرَاءَةَ الْعَامَّةِ وَقَالَ: لِأَنَّ الْمَعَانِيَ الثَّلَاثَةَ تَجْتَمِعُ فِيهَا يَعْنِي الْأَمْرَ وَالْإِمَارَةَ وَالْكَثْرَةَ». انتهى

قال الشنقيطي في الأضواء: «فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ سُؤَالٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَسْنَدَ الْفِسْقَ فِيهَا لِخُصُوصِ الْمُتْرَفِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ عُمُومَ الْهَلَاكِ لِجَمِيعِ الْمُتْرَفِينَ وَغَيْرِهِمْ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ يَعْنِي الْقَرْيَةَ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهَا غَيْرَ الْمُتْرَفِينَ؟

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٣٤) (ج٢ص٤٤٢)، وهو في الصحيحة برقم (٢٢٥٨).

وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ غَيْرَ الْمُتْرَفِينَ تَبَعٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا خَصَّ بِالذِّكْرِ الْمُتْرَفِينَ الَّذِينَ هُمْ سَادَتُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُمْ تَبَعٌ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ الآية [الأعراف:٣٨]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية [إبراهيم:٢١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ بَعْضَهُمْ إِنْ عَصَى اللَّهَ وَبَغَى وَطَغَى وَلَمْ يَنْهَهُمُ الْآخَرُونَ فَإِنَّ الْهَلَاكَ يَعُمُّ الْجَمِيعَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها: أَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**».

قلت: وبهذا الوجه الثاني يتبين معنى الآية: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩]، وهذا اللعن لعنٌ شرعي وهو مترتب على ترك النهي عن فعل المنكر.

وأما: ما رواه الطبريُّ عندَ قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩] عن السدّي قال: كان -يعني: عيسى ابن مريم- يحدّث الغلمان وهو معهم في الكتّاب بما يصنع آباؤهم، وبما يَرْفعون لهم، وبما يأكلون. ويقول للغلام: انطلقْ، فقد رفعَ لك أهلُك كذا وكذا، وهم يأكلون كذا وكذا؛ فينطلقُ الصبي فيبكي على أهلِه حتى يُعطوه ذلكَ الشيء. فيقولون له: مَنْ أخبركَ بهذا؟ فيقول: عيسى! فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾؛ فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر! فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا: ليس هم هاهنا، فقال: ما في هذا البيت؟ فقالوا: خنازير. قال عيسى: كذلك يكونون! ففتحوا عنهم، فإذا هم خنازير. فذلك قوله: ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾.

قال البغوي: وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا هَذَا فِي الْمَائِدَةِ. وَكَانَ خِوَانًا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا كَانُوا كَالْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يخونوا ولا يخبؤا لِغَدٍ فخَانُوا وخبؤا فَجَعَلَ عِيسَى يُخْبِرُهُمْ بِمَا أَكَلُوا مِنَ الْمَائِدَةِ وَبِمَا ادَّخَرُوا مِنْهَا فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ خَنَازِيرَ.

قلت: جاءت الآية في تتمة البشرى لمريم عليها السلام، فإن حملت على كلام عيسى عليه السلام للصبيانِ كما قال السدي فلم يكن عيسى مأمورا بالتبليغ ولا أرسل بالرسالة بعد، غاية ما هنالك أن ما وُجد إرهاصات بخاتم أنبياء بني إسرائيل؛ ويكون حلولُ اللعنةِ بمسخ الأولاد بسبب دعائهم على أنفسهم وأولادِهم وأمَّن عيسى عليه السلام على دعائهم، وهي إحدى صُورِ اللعن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس:١١]؛ قَالَ مجاهد: «هَذَا فِي قَوْلِ الرَّجُلِ عِنْدَ الْغَضَبِ لِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ: لَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَلَا بَارَكَ فِيكُمْ»(١).

(١) الطبري (١٧٥٧٢، ١٧٥٧٣).

روى مسلم في صحيحه عن جابرٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً فِيهَا إِجَابَةٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»(١).

وعند أحمد في المسند عَنْ الْعَيْزَارِ بْنِ جَرْوَلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ، أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، زَارَهُ فِي أَهْلِهِ، فَلَمْ يَجِدْهُ، قَالَ: فَاسْتَأْذَنَ عَلَى أَهْلِهِ، وَسَلَّمَ، فَاسْتَسْقَى، قَالَ: فَبَعَثَتِ الْجَارِيَةَ تَجِيئُهُ بِشَرَابٍ مِنَ الْجِيرَانِ، فَأَبْطَأَتْ، فَلَعَنَتْهَا، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ، فَجَاءَ أَبُو عُمَيْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَيْسَ مِثْلُكَ يُغَارُ عَلَيْهِ، هَلَّا سَلَّمْتَ عَلَى أَهْلِ أَخِيكَ، وَجَلَسْتَ وَأَصَبْتَ مِنَ الشَّرَابِ؟ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَأَرْسَلَتِ الْخَادِمَ، فَأَبْطَأَتْ، إِمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ، وَإِمَّا رَغِبُوا فِيمَا عِنْدَهُمْ، فَأَبْطَأَتِ الْخَادِمُ، فَلَعَنَتْهَا، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّعْنَةَ إِذَا وُجِّهَتْ إِلَى مَنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ أَصَابَتْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، أَوْ وَجَدَتْ فِيهِ مَسْلَكًا، وَإِلَّا قَالَتْ: يَا رَبِّ، وُجِّهْتُ إِلَى فُلَانٍ، فَلَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَسْلَكًا، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ**»، فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ الْخَادِمُ مَعْذُورَةً، فَتَرْجِعَ اللَّعْنَةُ، فَأَكُونَ سَبَبَهَا(٢).

وأما قول قتاده فمحتمل، غير أن العقوبة مقرره سلفا مع المخالفة، وكلام عيسى محمول على أنه من جملة الآيات التي أرسل بها.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٧٦) (ج٦ص٤٢٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده محتمل للتحسين.

والخلاصة:

أنَّ معاني اللعنِ الواردة في قصة عيسى:

منها ما كان في صباه قبل رسالتِه على كلام السدِّي ومنها ما كان بعد رسالته في قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

ومنها ما كان مع نزول المائدة، ومنها ما أخبر الله به عيسى بما يكون بعد رفعه كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٥-٥٦].

ومنها ما ورد عن عيسى عليه السلام عند أحمد عَنْ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَلِمَتَيْنِ: مِنَ النَّبِيِّ ﷺ كَلِمَةً، وَمِنَ النَّجَاشِيِّ أُخْرَى، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**انْظُرُوا قُرَيْشًا فَخُذُوا مِنْ قَوْلِهِمْ، وَذَرُوا فِعْلَهُمْ**»، وَكُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ جَالِسًا فَجَاءَ ابْنُهُ مِنَ الْكُتَّابِ، فَقَرَأَ آيَةً مِنَ الإِنْجِيلِ فَعَرَفْتُهَا -أَوْ فَهِمْتُهَا- فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ أَمِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ فَوَاللهِ إِنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: أَنَّ اللَّعْنَةَ تَكُونُ فِي الْأَرْضِ إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُهَا الصِّبْيَانَ(١).

والمقصود أن الله رفع نزول آيات التصديق، وكذلك العذاب العام، وأمهل عباده.

كما روى أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنُ بِكَ، قَالَ: «**وَتَفْعَلُونَ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٥٣٦) (ج٢٤ص٢٩٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَالَ: «**بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**»، زاد في رواية: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩][1].

وشرع مكان ذلك الجهاد في سبيله، قال ابن كثير في قَوْلِهِ: «﴿مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص:٤٣] يَعْنِي: أَنَّهُ بَعْدَ إِنْزَالِ التَّوْرَاةِ لَمْ يُعَذِّبْ أُمَّةً بِعَامَّةٍ، بَلْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». انتهى.

ومن هذا ما أمر الله به بني إسرائيل على لسان موسى من جهاد الجبارين ودخول الأرض المقدسة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢٠-٢٢].

* * *

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢١٦٦) (ج٤ص٦٠)، وقال الأرناؤوط: صحيح الإسناد.

فصل

ومنه استنصار عيسى لقومه

وقد قصها القرآن في ثلاث مواضع:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٣-٥٧].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٥-١٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

والآيات على ترتيب وضعها في المصحف وكذلك هو ترتيب معاني أحداثها، فالأولى بشارةٌ، والثانية ردٌّ على شبهة اليهود، والثالثةُ: أمرٌ لأهل الإيمان من بعدهم بنصرة دين ربهم.

أمَّا الأولى ففيها إخبار عيسى بما سيكون وهو بشارةٌ له كما سبقت من الله البشارة لمريم في ذات السورة، ثم وجدت ابن عطية أشار إلى ذلك فقال في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾: قَبل هذه الآيةِ متروكٌ به يتم اتساق الآيات، تقديرُه: فجاء عيسى عليه السلام كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبني إسرائيل، فَلَمَّا أَحَسَّ... ومعنى أحس، علم من جهة الحواس بما سمع من أقوالهم في تكذيبه ورأى من قرائنِ الأحوالِ وشدَّة العداوة والإعراضِ، يُقال أَحسستُ بالشيء وحسيت به، أصله، حسست فأبدلت إحدى السينين ياء. انتهى.

وقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

قال الطبري: ويعني بقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، مع الله.

وإنما حَسُن أن يقال: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، بمعنى: مع الله؛ لأن من شأنِ العربِ إذا ضموا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبرَ عنهما بضم أحدهما مع الآخرِ إذا ضُمّ إليه، جعلوا مكان (مع) (إلى) أحيانًا، وأحيانًا تخبر عنهما بـ (مع) فتقول: (الذود إلى الذود إبل)، بمعنى: إذا ضممتَ الذود إلى الذود صارت إبلا. فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بـ (إلى)، ولم يجعلوا مكان (مع) (إلى).

غيرُ جائز أن يقال: (قَدِم فلانٌ وإليه مالٌ)، بمعنى: ومعه مال.

عن السدي قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يقول: مع الله.

عن ابن جريج: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، يقول: مع الله.

قال ابن كثير: قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ مَنْ يَتبعني إلى اللَّهِ؟

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُ: مَنْ أَنْصَارِي مَعَ اللَّهِ؟

وَقَوْلُ مُجَاهِدٍ أقربُ.

والصحيحُ قول مجاهد، وهو حمل (إلى) على بابها وأنه يعني الغايةَ. قال ابن عطية: وقولُه: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: من ينصرني في السبيل إلى الله؟ فتكون إلى دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها.

والمَعنى الثاني: أن يكون التقديرُ من يضيف نصرَته إلى نصرةِ الله لي؟ فيكون بمنزلة قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ [النساء:١]، فإذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية؛ لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء، وقد عبر عنها ابن جريج والسدي بأنها بمعنى: مع ونعم، إن (مع) تسد في هذه المعاني مسد (إلى) لكن ليس يباح من هذا أن يقال إن إلى بمعنى مع حتى غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦]؛ فقال: (إلى) بمعنى (مع)، وهذه عجمة بل (إلى) في هذه الآية غاية مجردة، وينظر هل يدخل ما بعد (إلى) فيما قبلها من طريق آخر.

قلت: أصلُ القضيةِ الخلافُ بين النحاةِ البصريين والكوفيين في فهم المعاني، فالبصريونَ يميلون إلى فهم المعاني على ظاهر الكلام بدلالة المطابقةِ ابتداءً، ثم التضمين لمعرفة خفاياه، ثم دلالة الالتزام لمعرفة ما يتعلق به ويلزمه؛ والأخيرة هي بابة أهل العلم لا غيرَهم، ويذهب الكوفيون إلى حمل معنى الحروف بعضها على بعض؛ ومذهب البصريين أصح وأقرب.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى وهو يتكلم على معنى الباء في قوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة:٦]: «وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ مَنْ قَالَ بِإِجْزَاءِ الْبَعْضِ؛ لأَنَّ الْبَاءَ لِلتَّبْعِيضِ، أَوْ دَالَّةٌ عَلَى الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ فَهُوَ خَطَأٌ أَخْطَأَهُ عَلَى الأَئِمَّةِ وَعَلَى اللُّغَةِ، وَعَلَى دَلالَةِ الْقُرْآنِ، وَالْبَاءُ لِلإِلْصَاقِ، وَهِيَ لا تَدْخُلُ إلَّا لِفَائِدَةٍ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى فِعْلٍ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ أَفَادَتْ قَدْرًا زَائِدًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٦]؛ فَإِنَّهُ لَوْ قِيلَ: يَشْرَبُ مِنْهَا لَمْ تَدُلَّ عَلَى الرِّيِّ، فَضَمَّنَ يَشْرَبُ مَعْنَى يُرْوَى. فَقِيلَ: يَشْرَبُ بِهَا، فَأَفَادَ ذَلِكَ أَنَّهُ شُرْبٌ يَحْصُلُ مَعَهُ الرِّيُّ.

وَبَابُ تَضْمِينِ الْفِعْلِ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ حَتَّى يَتَعَدَّى بِتَعَدِّيَتِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص:٢٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء:٧٧]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة:٤٩].

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ يُغْنِي عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ مِنْ النُّحَاةِ عَمَّا يَتَكَلَّفُهُ الْكُوفِيُّونَ مِنْ دَعْوَى الاشْتِرَاكِ فِي الْحُرُوفِ.

وَكَذَلِكَ الْمَسْحُ فِي الْوُضُوءِ وَالتَّيَمُّمِ، لَوْ قَالَ: فَامْسَحُوا رُءُوسَكُمْ أَوْ وُجُوهَكُمْ، لَمْ تَدُلَّ عَلَى مَا يَلْتَصِقُ بِالْمَسْحِ، فَإِنَّك تَقُولُ: مَسَحْت رَأْسَ فُلانٍ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِيَدِك بَلَلٌ. فَإِذَا قِيلَ: فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَبِوُجُوهِكُمْ، ضَمَّنَ الْمَسْحَ مَعْنَى الإِلْصَاقِ، فَأَفَادَ أَنَّكُمْ تُلْصِقُونَ بِرُءُوسِكُمْ وَبِوُجُوهِكُمْ شَيْئًا بِهَذَا الْمَسْحِ(١).

وبين رحمه الله في مجموع الفتاوى أن هذه طريقة العرب في كلامها فقال: وَالْعَرَبُ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَتَهُ وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ تَقُومُ مَقَامَ

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ج١ص٢٧٧).

بَعْضٍ كَمَا يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، أَيْ مَعَ نِعَاجِهِ، و﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَيْ مَعَ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَالتَّحْقِيقُ مَا قَالَهُ نُحَاةُ الْبَصْرَةِ مِنْ التَّضْمِينِ، فَسُؤَالُ النَّعْجَةِ يَتَضَمَّنُ جَمْعَهَا وَضَمَّهَا إلى نِعَاجِهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء:٧٣] ضُمِّنَ مَعْنَى يُزِيغُونَكَ وَيَصُدُّونَكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ [الأنبياء:٧٧]، ضُمِّنَ مَعْنَى نَجَّيْنَاهُ وَخَلَّصْنَاهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، ضُمِّنَ يُرْوَى بِهَا وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ[1].

ورد ؒ في مجموع الفتاوى على من جعل في القرآن حروفا زائدة فقال: «وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ لَفْظٌ إلَّا مَقْرُونٌ بِمَا يُبَيِّنُ بِهِ الْمُرَادَ. وَمَنْ غَلِطَ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ فَمِنْ قُصُورِهِ أَوْ تَقْصِيرِهِ. فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أَنَّ الْبَاءَ زَائِدَةٌ كَانَ مِنْ قِلَّةِ عِلْمِهِ؛ فَإِنَّ الشَّارِبَ قَدْ يَشْرَبُ وَلَا يُرْوَى فَإِذَا قِيلَ: يَشْرَبُ مِنْهَا: لَمْ يَدُلَّ عَلَى الرِّيِّ وَإِذَا ضُمِّنَ مَعْنَى الرِّيِّ فَقِيلَ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ كَانَ دَلِيلًا عَلَى الشُّرْبِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ الرِّيُّ وَهَذَا شُرْبٌ خَاصٌّ دَلَّ عَلَيْهِ لَفْظُ الْبَاءِ.

كَمَا دَلَّ لَفْظُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ عَلَى إلْصَاقِ الْمَمْسُوحِ بِهِ بِالْعُضْوِ؛ لَيْسَ الْمُرَادُ مَسْحَ الْوَجْهِ. فَمَنْ قَالَ: الْبَاءُ زَائِدَةٌ جَعَلَ الْمَعْنَى امْسَحُوا وُجُوهَكُمْ وَلَيْسَ فِي مُجَرَّدِ مَسْحِ الْوَجْهِ إلْصَاقُ الْمَمْسُوحِ مِنْ الْمَاءِ وَالصَّعِيدِ وَمَنْ قَرَأَ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ فَإِنَّهُ عَائِدٌ عَلَى الْوَجْهِ وَالْأَيْدِي؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ وَلَوْ كَانَ عَطْفًا عَلَى الْمَحَلِّ لَفَسَدَ الْمَعْنَى وَكَانَ يَكُونُ فَامْسَحُوا رُءُوسَكُمْ.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج١٣ص٣٤٢).

وَأَيْضًا فَكُلُّهُمْ قَرَأُوا قَوْلَهُ فِي التَّيَمُّمِ: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ وَلَفْظُ الْآيَتَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فَلَوْ كَانَ الْمَعْطُوفُ عَلَى الْمَجْرُورِ مَعْطُوفًا عَلَى الْمَحَلِّ لَقَرَأُوا أَيْدِيكُمْ بِالنَّصْبِ فَلَمَّا لَمْ يَقْرَأُوهَا كَذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ عُطِفَ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَيْدِي. انتهى(١).

* * *

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج٢٠ص٤٧٤).

فصل
وعلى أي وجه كان استنصار عيسى عليه السلام

وإنما فرض على بني إسرائيل جهاد الدفع، ولا يعلم جهاد دعا إليه عيسى، بل لا يعلم أن عيسى طلب من الحواريين دفعا عن نفسه، قال ابن كثير:

«وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ مَنْ أَنْصَارِي فِي الدَّعْوَةِ إلى اللهِ؟ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ، قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ: «**مَنْ رَجُل يُؤْوِينِي عَلى أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي، فإنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي**»(١).

وَهَكَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، انْتَدَبَ لَهُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَآمَنُوا بِهِ وَآزَرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٢-٥٣].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، قَالَ مع أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. قال ابن كثير: وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ» انتهى من ابن كثير(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤]:

ومكرَ كفارُ بني إسرائيل من اليهود ليقتلوا عيسى عليه السلام، ومكرَ الله بهم استدراجًا

---

(١) الصحيحة (٦٣).

(٢) أثر ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٦٦٨٢) (ج٤ص١١٨٥)، تحقيق أسعد الطيب، ط. نزار الباز، قال محققه: أخرجه الحاكم (٢/٣١٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقد أخبر نبيه بنجاته ورفعه، ويضاف لذلك أنهم قتلوا يحي وحاولوا قتلَ زكريا عليهما السلام، وسيأتي عن ابن عباس: طلبُ عيسى من حوارييه أيُّهم يفديه بنفسه ويكون رفيقه في الجنة.

وكلُّ هذا يدل على أن طلبَ النصرةِ قرب رفع عيسى؛ أو يقال النصرة قد تكون عامه وعليها يحمل كلام ابن كثير، وقد تكون خاصه وعليها يحمل معنى آية ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ والله أعلم.

ومكرُه تعالى بهم قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران:٥٥].

واختلفوا في قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ ﴾ على معنيين: الوفاة، والموت.

واختلفوا في الوفاةِ على معنيين: المعنى اللغوي -أي التوفي- وهو القبض، والمعنى الثاني -أي الشرعي- وهو الوفاة على حقيقتها، لكنهم حملوها على الوفاة الصغرى وهي النوم.

وعلى معنى الموت كلام ابن عباس ووهب بن منبه، وزعمته النصارى:

قال ابن كثير عند هذه الآية: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أَيْ: «مُمِيتُكَ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بن إسحاق، عمن لَا يَتَّهِمُ، عَنْ وَهْب بْنِ مُنَبِّه، قَالَ: «تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَالنَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَوَفَّاهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ ثُمَّ أَحْيَاهُ».

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ إِدْرِيسَ، عَنْ وَهْبٍ: «أَمَاتَهُ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ بَعَثَهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ».

وبمعنى التوفية والقبض:

قَالَ مَطَرٌ الْوَرَّاقُ: «مُتَوَفِّيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ بِوَفَاةِ مَوْتٍ».

وَكَذَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «تَوَفِّيهِ هُوَ رَفْعُهُ».

قال ابن كثير: «وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ: الْمُرَادُ بِالْوَفَاةِ هَاهُنَا: النَّوْمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزُّمَر:٤٢]، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول -إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ-: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**».

قال ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية: «والقول بأن ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ متوفيك: بمعنى مميتك بعيد؛ لأن عيسى عليه السلام لم يمت، وسينزل في آخر الزمان، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]؛ أي: قبل موت عيسى على أحد القولين، وذلك إذا نزل في آخر الزمان. وقيل: قبل موت الواحد؛ يعني: ما من أحد من أهل الكتاب إلا إذا حضرته الوفاة؛ أمن بعيسى، حتى وإن كان يهوديًا. وهذا القول ضعيف.

بقي النظرُ بين وفاةِ القبضِ ووفاة النومِ، فنقول: إنه يمكن أن يُجمَع بينهما فيكون قابضًا له حال نومه؛ أي أن الله تعالى ألقى عليه النوم؛ ثم رفعه، ولا منافاة بين الأمرين»(١).

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ج١ص٣٨٧).

قلت: «قد ذكر الله في قصة عيسى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. وقد جمعت معاني الوفاة من القبض والرفع والوفاة وكلها مذكورة مع رفع عيسى؛ وأما نزوله في آخر الزمان فذكر معها الموت الصريح قال تعالى ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾.

والكلامُ في آخر سورة النساء على غدراتِ اليهود، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٥].

بكفرهم بالتوراة لما أعرضوا عن عيسى ورموا أمه بالبهتان، عن ابن عباس: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾، يعني: أنهم رموها بالزنا.

وهم مع ذلك يجدون صفة مريم وابنها في التوراة، ولم يؤمنوا.

ومن بَديع الترتيب في الآيات قوله: ﴿وَكُفْرِهِم﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا﴾ ثم ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ﴾... ثم أفرد القول دون الكفر في شأن عيسى، فجمع لهم بين القول والفعل فيما سبق، وأثبت قولا دون فعل في شأن عيسى فهم لم يقتلوه حقيقة.

ومما يدلُّ على كفرِهم بالتوراة إثباتُهم صفةَ المقتولِ كاملةً، فقالوا:

﴿ٱلْمَسِيحَ﴾: وهذه صفته، قال الطبري: «وأصل المسيح: الممسوح، مُسِح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين، ولذلك قال مجاهد ومن قال مثل قوله: المسيح: الصدّيق.

قلت: والمسيح: صفةٌ، وأما المسيح الدجال: فإنه أيضًا بمعنى: الممسوح العين؛ فمعنى: المسيح في عيسى ﷺ: الممسوحُ البدنِ من الأدناس والآثام. ومعنى المسيحُ في الدجالِ: الممسوحُ العين اليمنى أو اليسرى؛ كالذي روي عن رسول الله ﷺ في ذلك.

﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: وهذا اسمه ونسبه. ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: وهذا عمله.

وهذا منهم على سبيلِ التهكم والتعريضِ، أو على سبيل الإعراضِ والاستكبارِ وهو الصحيح.

وتشيرُ الآيات إلى حقيقة الأمر: فثمة مرفوعٌ وهو عيسى ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾، ومأخوذٌ وهو الشبيه ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وهو الذي جرى عليه القتل والصلب، والمشبه عليهم في الآية هم اليهود فالسياق فيهم، فهؤلاء أطراف القضية الثلاثة، ثم طرف مسكوت عنه.

والمسكوتُ عنه هاهنا أنواعٌ:

فنهم أتباعُ عيسى عليه السلام، وهم بالنسبة للواقعة ثلاثة:

الحواريون: الذين كانوا مع عيسى وهو محصور من اليهود، وهؤلاء شهدوا رفع عيسى وعلموا حقيقة الأمر، وهم أئمة بني إسرائيل بعد عيسى والأَمنةُ على دينه.

من كانوا قريبا من البيت وشهدوا الشرط من اليهود، وكذلك من شهد القتل والصلب.

عوَّامُ بني إسرائيل من النصارى، ومنهم أهلُ المصلوب وبيته.

ومن المسكوت عنه أيضا: عوام بني إسرائيل من اليهود.

ومن المسكوت عنه ولم يُذكر: السَّاعي بالوشايةِ في أمرِ عيسى وهم اليهود إجماعا.

ومن المسكوتِ عنه: الآمر بالقتل.

فائدة: وهل كان روميا وثنيا، كما يقول أهل التاريخ؟

فإن صح ففيها إشارة إلى غلبة الرومان على بيت المقدس في ذلك الزمان، وأن الأنبياءَ الثلاثة الذين وجدوا في ذلك الزمان زكريا ويحي وعيسى إنما اهتموا بالدعوة إلى التوحيد لما رأوا من فسادِ بني اسرائيل، مع الوضع في الاعتبارِ أنهم كانوا مأمورين بجهاد الدفع، فاشتغلوا بالأهم عن المهم... والله أعلم.

روى أحمد والترمذي عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي**».

قَالَ: «**فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ.**

أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا. وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ.

وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ ﷻ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ ﷻ».

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ ﷻ»(١).

* * *

---

(١) أحمد في المسند (١٧١٧٠) (ج٢٨ص٤٠٤)، وصحيح الجامع (١٧٢٤)، وصحيح الترغيب والترهيب (٥٥٢)، قال الارناؤوط: حديث صحيح، والله أعلم.

فصل
في رفع عيسى عليه السلام

إذا تقرَّر ذلك، قرأنا الواقعةَ..

فثمَّةُ عددٌ محصورٌ بالبيت، وقد نقص هذا العددُ واحدًا، ثم عندنا غائب افتقده أهله... فأين ذهب؟

وقد قرر القرآنُ أن ثمة جماعة اختلفوا في أمر عيسى، ولازم الكلام أن ثمة جماعه لم تختلف، وهم المسلمون حقا وأتباع عيسى صدقًا.

ومن عدا المسلمين هم الذين اختلفوا؛ بدءا من يهود وانتهاء بمن زعم إيمانًا بعيسى لكنهم بدلوا وحرفوا، وهؤلاء جميعا بنوا أمرهم على الظن لا اليقين؛ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾، وهم الذين يذعنون بالإيمان في آخر الزمان إذا نزل عيسى عليه السلام، قال ابن كثير: وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ عَائِدٌ عَلَى عِيسَى عليه السلام أَيْ: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يُؤْمِنُ بِعِيسَى قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، وَذَلِكَ حِينَ يَنْزِلُ إلى الْأَرْضِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾، قال: «قبل موت عيسى ابن مريم».

وعنه قوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾، قال: «لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى».

وعند البغوي في تفسيره[1]: «قِيلَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ هَلْ تَجِدُ نُزُولَ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ؟

---

(١) (٤٦/٢).

قَالَ نَعَمْ: ﴿وَكَهْلًا﴾ وَلَمْ يَكْتَهِلْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ وَكَهْلًا بَعْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ».

وموضع سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد(١):

عن ابن أبي شيبة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى عليه السلام إلى السَّمَاءِ، خَرَجَ إلى أَصْحَابِهِ -وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا- مِنْ غَيْرِ الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ سَيَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ سَيُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلُ مَكَانِي، وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟

فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَى: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ ذَاكَ.

قَالَ: فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى.

قَالَ: وَرُفِعَ عِيسَى عليه السلام مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَتْ فِي الْبَيْتِ إلى السَّمَاءِ.

قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَخَذُوا الشَّبِيهَ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ، وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ. فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ.

قَالَ: فَقَالَ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللَّهُ مَا شَاءَ، ثُمَّ صَعِدَ إلى السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ.

---

(١) (٤٧٣/٢١).

فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ، فَقَاتَلُوهَا فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يَعْنِي: الطَّائِفَةَ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَنِ عِيسَى، ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾، يَعْنِي: الطَّائِفَةَ الَّتِي كَفَرَتْ فِي زَمَنِ عِيسَى ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فِي زَمَانِ عِيسَى ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ (١).

وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تفسيره عند ذكر آية الرفع من سورة النساء بَعْدَ أَنْ سَاقَ الحديث بِهَذَا اللَّفْظِ عَنِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَذَكَرَهُ: وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إلى ابْنِ عَبَّاسٍ(٢).

وقال الشوكاني في فتح القدير: وَصَدَقَ ابْنُ كَثِيرٍ، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ. انتهى(٣).

اختلفوا كما قال الله بعد رَفع عيسى، وطُمسَ الإسلام، وأتباعُ عيسى في تبديلٍ وتحريفٍ بفعل شاؤول اليهودي الذي تسمى ببولس ليُفسدَ على النصارى دينهم، ومرَّت ثلاثمائةُ عام ودخلَ قسطنطينُ في النصرانية، فصارت الدين الذي ابتدعه قسطنطين لا الدين الذي جاء به المسيح كما سبق ذكره من كلام ابن كثير رحمه الله.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٨٧٦)، والنسائي (١١٥٩١)، والحاكم (٣٨٠٧)، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) ابن كثير في التفسير (٤٥٠/٢)، ط. سلامة.

(٣) الشوكاني في فتح القدير (٦١٧/١).

فصل
في بدعة الرهبانية

وكان مما ابتدعوه -ونكلوا به عن الجهاد في سبيل الله- الرهبانية:

قال تعالى في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٥-٢٩].

قَالَ الْبُخَارِيُّ: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: جُنَّةٌ وَسِلَاحٌ.

وقَالَ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: لِيَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ(١).

والمعنى الإجمالي للآيات: أن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأمر بإقامة العدل، ولا يكون إلا بالتوحيد وهو المقصود، وأنزل الحديد لمعان أعلاها صيانة جناب التوحيد بالجهاد.

---

(١) البخاري (ج٦ص١٤٧)، ط. مصطفى البغا.

واقتضت حكمته تعالى أنه ما أذن بالجهاد أولا وإليها الإشارة بذكر نوح وإبراهيم؛ ثم أذن بجهاد الدفع لبني إسرائيل كما في قصة الأمر بدخول الأرض المقدسة في سورة المائدة مع موسى؛ ثم مع طالوت؛ وكان أتم جهاد لهم مع داوود وسليمان عليهما السلام.

ثم تجرأوا على رسل الله فقتلوهم بدلا من قتل أعدائهم، وختموا ذلك بقتل يحيى ثم محاولة قتل زكريا وعيسى عليهما السلام؛ وتركوا الجهاد.

وكان شأنهم كما روى النسائي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَتْ مُلُوكٌ بَعْدَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام بَدَّلُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ.

فَقِيلَ لِمُلُوكِهِمْ: مَا نَجِدُ شَتْمًا أَشَدَّ مِنْ شَتْمٍ هَؤُلَاءِ، إِنَّهُمْ يَقْرَءُونَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. وَهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ يَعِيبُونَ بِهَا أَعْمَالَنَا فِي قِرَاءَتِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَلْيَقْرَءُوا كَمَا نَقْرَأُ، وَلْيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا. فَدَعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلَ، أَوْ يَتْرُكُوا قِرَاءَةَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، إِلَّا مَا بَدَّلُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: مَا تُرِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ؟ دَعُونَا.

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا أُسْطُوَانَةً، ثُمَّ ارْفَعُونَا إِلَيْهَا، ثُمَّ أَعْطُونَا شَيْئًا نَرْفَعُ بِهِ طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا، فَلَا نَرِدُ عَلَيْكُمْ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: دَعُونَا نَسِيحُ فِي الْأَرْضِ وَنَهِيمُ، وَنَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُ الْوَحْشُ، فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاقْتُلُونَا. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: مِنْهُمْ ابْنُوا لَنَا دُورًا فِي الْفَيَافِي وَنَحْتَفِرُ الْآبَارَ، وَنَحْتَرِثُ الْبُقُولَ، فَلَا نَرِدُ عَلَيْكُمْ وَلَا نَمُرُّ بِكُمْ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْقَبَائِلِ إِلَّا وَلَهُ حَمِيمٌ فِيهِمْ.

قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧].

وَالْآخَرُونَ قَالُوا: نَتَعبدُ كَمَا تَعَبَّدَ فُلَانٌ، وَنَسِيحُ كَمَا سَاحَ فُلَانٌ، وَنَتَّخِذُ دُورًا كَمَا اتَّخَذَ فُلَانٌ، وَهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِإِيمَانِ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِ.

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، انْحَطَّ رَجُلٌ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَجَاءَ سَائِحٌ مِنْ سِيَاحَتِهِ، وَصَاحِبُ الدَّيْرِ مِنْ دَيْرِهِ، فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]، يَعْنِي: أَجْرَيْنِ، بِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى وَبِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَبِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِمْ.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ قَالَ: الْقُرْآنَ وَاتِّبَاعَهُمُ النَّبِيَّ ﷺ.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قَالَ: يَتَشَبَّهُونَ بِكُمْ.

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(١).

وتملكت النصارى -على تحريفهم- مغرب الأرض، وكانت أعظم كنائسهم في الشام -وهي بيت ملكهم- ومصر والحبشة، وكما كان محل صراعهم مع الفرس شمالا، كان لهم صراع من نوع أخر جنوبا ومحله اليمن.

جرت تلك الوقائع ثم تتابعت فصولها قبل ميلاد النبي عليه السلام بأقل من مائة عام. وكانت اليمن غلبت عليها اليهودية، ثم وجدت فيها الوثنية، ثم دخلتها النصرانية على يد رجل من صالحي أهل الشام.

ذكر خبره ابن إسحق في سيرته كما نقله عنه ابن كثير ومنه قوله:

قَالَ: «حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَحَدَّثَنِي أَيْضًا بَعْضُ أَهْلِ نَجْرَانَ عَنْ أَهْلِهَا أَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَكَانَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا

---

(١) قال الألباني في سنن النسائي (٥٤٠٠): صحيح، الإسناد موقوف (ج٨ص٢٣١).

قَرِيبًا مِنْ نَجْرَانَ -وَنَجْرَانُ هِيَ الْقَرْيَةُ الْعُظْمَى الَّتِي إِلَيْهَا جِمَاعُ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ- سَاحِرٌ يُعَلِّمُ غِلْمَانَ أَهْلِ نَجْرَانَ السِّحْرَ، فَلَمَّا نَزَلَهَا فَيْمِيُونُ -وَلَمْ يُسَمُّوهُ لِي بِالِاسْمِ الَّذِي سَمَّاهُ ابْنُ مُنَبِّهٍ قَالُوا: رَجُلٌ نَزَلَهَا- فَابْتَنَى خَيْمَةً بَيْنَ نَجْرَانَ وَبَيْنَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي فِيهَا السَّاحِرُ، وَجَعَلَ أَهْلُ نَجْرَانَ يُرْسِلُونَ غِلْمَانَهُمْ إِلَى ذَلِكَ السَّاحِرِ يُعَلِّمُهُمُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ الثَّامِرُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الثَّامِرِ مَعَ غِلْمَانِ أَهْلِ نَجْرَانَ فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِصَاحِبِ الْخَيْمَةِ أَعْجَبَهُ مَا يَرَى مِنْ عِبَادَتِهِ وَصَلَاتِهِ فَجَعَلَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ، وَيَسْمَعُ مِنْهُ حَتَّى أَسْلَمَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَعَبَدَهُ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ حَتَّى إِذَا فَقُهَ فِيهِ، جَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ وَكَانَ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ إِيَّاهُ. وَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ لَنْ تَحْمِلَهُ أَخْشَى ضَعْفَكَ عَنْهُ» انتهى[1].

ثم جرت خطوب قصة من قصص أصحاب الأخدود، واستوفى ابن كثير رحمه الله خبرها عند تفسير سورة البروج، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه:

قال: «حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ

---

(١) ابن كثير (٨/٣٦٨).

آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ.

وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ.

فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ؛ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،

فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[١].

ثم تبع ذلك خطوب أخرى، قال ابن كثير ﷺ في سورة الفيل:

«هَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ وَالتَّقْرِيبِ، قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ أَنَّ ذَا نُوَاس -وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حِمْيَرَ، وَكَانَ مُشْرِكًا- هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ، وَكَانُوا نَصَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ

(١) أخرجه مسلم (٧٣) (٣٠٠٥) (ج٤ص٢٢٩٩).

إِلَّا دَوس ذُو ثُعْلُبَانٍ، فَذَهَبَ فَاسْتَغَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ -وَكَانَ نَصْرَانِيًّا- فَكَتَبَ لَهُ إِلى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ: أَرِيَاطَ وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ أَبَا يَكْسُومَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَاسْتَلَبُوا الْمُلْكَ مِنْ حِمْيَرَ، وَهَلَكَ ذُو نُوَاسٍ غَرِيقًا فِي الْبَحْرِ.

وَاسْتَقَلَّ الْحَبَشَةُ بِمُلْكِ الْيَمَنِ وَعَلَيْهِمْ هَذَانِ الْأَمِيرَانِ: أَرِيَاطُ وَأَبْرَهَةُ، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا وَتَصَاوَلَا وَتَقَاتَلَا وَتَصَافَّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلى اصْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا، وَلَكِنِ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزُ إِلَيْكَ، فَأَيُّنَا قَتَلَ الْآخَرَ، اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمُلْكِ. فَأَجَابَهُ إِلى ذَلِكَ فَتَبَارَزَا، وَخَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاةٌ، فَحَمَلَ أَرِيَاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَفَمَهُ وَشَقَّ وَجْهَهُ، وَحَمَلَ عَتُودَةُ مَوْلَى أَبْرَهَةَ عَلَى أَرِيَاطَ فَقَتَلَهُ، وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ جَرِيحًا، فَدَاوَى جُرْحَهُ فَبَرَأَ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ جَيْشِ الْحَبَشَةِ بِالْيَمَنِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ يَلُومُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَحْلِفُ لَيَطَأَنَّ بِلَادَهُ وَيَجُزَّنَّ نَاصِيَتَهُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ يَتَرَقَّقُ لَهُ وَيُصَانِعُهُ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِهِ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ، وَبِجِرَابٍ فِيهَا مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ فَأَرْسَلَهَا مَعَهُ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لِيَطَأِ الْمَلِكُ عَلَى هَذَا الْجِرَابِ فَيَبَرَّ قَسَمَهُ، وَهَذِهِ نَاصِيَتِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ.

فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِهِ. وَأَرْسَلَ أَبْرَهَةُ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيِّ: إِنِّي سَأَبْنِي لَكَ كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يُبْنَ قَبْلَهَا مِثْلُهَا. فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ، رَفِيعَةِ الْبِنَاءِ، عَالِيَةِ الْفِنَاءِ، مُزَخْرَفَةِ الْأَرْجَاءِ. سَمَّتْهَا الْعَرَبُ الْقُلَّيْسَ؛ لِارْتِفَاعِهَا؛ لِأَنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهَا تَكَادُ تَسْقُطُ قَلَنْسُوَتُهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنَ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا.

وَعَزَمَ أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحَجُّ إِلى الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ، فَكَرِهَتِ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ وَالْقَحْطَانِيَّةُ ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ

قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا. فَأَحْدَثَ فِيهَا وَكَرَّ رَاجِعًا. فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَةُ ذَلِكَ الْحَدَثَ، رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لِبَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةُ لَيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ، وَلَيُخَرِّبَنَّهُ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ فِتْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا فَأَجَّجُوا فِيهَا نَارًا، وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ فَأَحْرَقَتْهُ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ...» إلى آخر تلك القصة[1].

قلت: فهذا رجل جاء مجاهدًا، قد جاوز البحر لينصر الدين وأهل الإيمان ثم لم يلبث أن فتنته الدنيا، وقاتل بعضهم بعضًا، ثم أتبع ذلك ببناء بيت تعظيمًا لربه زعم، فخرج إلى البدعة والضلالة، وانتهى أمره صادا عن سبيل الله؛ اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

* * *

(١) تفسير ابن كثير، سورة الفيل (ج٨ص٤٥٩).

فصل

بعثة نبيه عليه السلام

روى أحمد عن العرباض بن سارية، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ لَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وسَأُخبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي...**» فذكر الحديث(١).

جاء عليه السلام والحال كما روى مسلم في صحيحه عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ، وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، فَقَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ»(٢).

أما العجم فقد مر من ذكر حالهم بعض الشيء.

* * *

---

(١) أحمد في المسند (١٧١٥٠) (ج٢٨ص٣٧٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٧٥٩)، والصحيحة في غير ما موضع.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) (ج٤ص٢١٩٧).

فصل
دين العرب

فقد كانت فيهم ملة إبراهيم وفيهم العهد الذي عهد الله به إلى إبراهيم وإسماعيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

وفيهم دعوة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]، وذلك قبل أن يوجد البلد، ثم دعا والبلد قائم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٧].

وأيضا فدعوته بالإمامة والإسلام، هي فيهم أولا، وهي لهم آخرا، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨-١٢٩].

وجعل الكعبة قواما لأمر دينهم، قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧]؛ ولعل ذلك كان في مقابل ارسال الكثرة من الرسل إلى

بني إسرائيل، وقد قيل إن الله بعث أربعة وعشرين ومائة ألف نبي[(١)]؛ فإن كان ذلك فإن أغلبهم إلى بني إسرائيل، وقد كانوا إذا هلك فيهم نبي خلفه نبي. والله أعلم.

لكن العرب اجتالتهم الشياطين عن الحنيفية السمحة، وكان ذلك بفعل عمرو بن لحي الخزاعي؛ روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة**»[(٢)].

وهو أول من سيب السوائب ونصب الأوثان حول الكعبة، في البخاري: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»[(٣)].

وقصبه: أمعاءه وقيل ما كان أسفل البطن من الأمعاء.

بعث النبي والعرب تعظم قريشا من أجل الحرم، وذاك بقدر الله تعالى، بعث ﷺ وقريش تعظم أهل الكتاب، وتراهم أهل العلم، قال تعالى مستدلا عليهم بذلك: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٦-١٩٧].

وأيضا فقد استدلوا هم بذلك، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧]؛ والملة الآخرة أي النصرانية كما قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَالسُّدِّيُّ؛ وهو أحد القولين في الآية.

---

(١) صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣٣) (١٢٩٧/٣)، باب قصة خزاعة.

وقد كثر سؤال قريش لأهل الكتاب عن النبي كما في سورة الكهف وغيرها، وقد مضى قريبا ما كان من أبرهة الحبشي معهم.

وقد احتجوا على النبي بأمر عيسى كما جاء في سورتي الأنبياء والزخرف:

في شرح معاني الآثار للطحاوي(١): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل لَا يَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْهَا، وَلَا أَدْرِي، أَعَرَفُوهَا فَلَا يَسْأَلُونِي عَنْهَا؟ أَمْ جَهِلُوهَا فَلَا يَسْأَلُونِي عَنْهَا؟».

قِيلَ: وَمَا هِيَ؟

قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٠]؛ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَقَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا، فَقَامَ ابْنُ الزِّبَعْرَيِّ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا، قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالُوا: قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، قَالَ: ادْعُوهُ لِي، فَدُعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَيِّ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَيْءٌ لِآلِهَتِنَا خَاصَّةً، أَمْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ؟ قَالَ: «**بَلْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ** عز وجل»، فَقَالَ: خَصَمْنَاهُ وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ صَالِحٌ، وَعُزَيْرًا عَبْدٌ صَالِحٌ، وَالْمَلَائِكَةَ عِبَادٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَهَذِهِ النَّصَارَى يَعْبُدُونَ عِيسَى، وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ تَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ مَكَّةَ، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢] أَيْ: عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرًا،

---

(١) (رقم ٩٨٦).

وَمَنْ عَبَدُوا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ، الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ».

قَالَ: «وَنَزَلَتْ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٧-٥٨] [١]».

تنبيه:

قال الألباني في صحيح السيرة: «وهذا الجدل الذي سلكوه باطل، وهم يعلمون ذلك، لأنهم قومٌ عرب، ومن لغتهم أن (ما) لِمَا لا يَعقِل، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ إنما أراد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صُوَر أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة، الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح، ولا عُزيرا، ولا أحدا من الصالحين، لأن الآية لا تتناولهم، لا لفظا ولا معنى، فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل، جدلٌ باطلٌ كما قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: بنبوتنا ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء، حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى، وخلقنا آدم، لا من هذا ولا من هذا، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم:٢١] نرحم بها من نشاء» اهـ.

قلت: وسبب الإشكال اعتبار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ﴾ بمعنى (إلا) على معنى الاستثناء

(١) صحيح السيرة للألباني (ص١٩٨).

كما رواه الطبري عن ابن جريج: قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾.

وهو قول عكرمة، والحسن البصري ومقتضى قول مجاهد، وهو اختيار البغوي في تفسيره.

قال الطبري: «والأولى بالصواب قول من قال: عني بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ما كان من معبود، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفّار؛ لأن قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم، على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس؛ فكأن المشركين قالوا لنبيّ الله ﷺ إذ قال لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: ما الأمر كما تقول، لأنا نعبد الملائكة، ويعبد آخرون المسيح وعُزَيرا، فقال ﷻ ردا عليهم قولهم: بل ذلك كذلك؛ وليس الذي سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون، لأنهم غير معنيين بقولنا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فقول لا معنى له؛ لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جانٌ، وكلّ هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بـ(من)، لا بـ(ما)، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حَصَب جهنم بـ(ما)، قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب، لا من كان من الملائكة والإنس، فإذا كان ذلك كذلك

لما وصفنا، فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ.

والصحيح: أن الله ما رد قولهم بالكلية، بل أثبت تخصيصا بالنجاة لعباده الصالحين الذين لم يرضوا بهذه العبادة، ومقتضى هذا أن المعبود إما أن يكون عاقلًا، وإما أن يكون غير عاقل، والعاقل إما راض بالعبادة وإما غير راض، وحصب جهنم من رضي وهو عاقل، وكذلك الأصنام وغيرها.

و(ما) يسأل بها عن غير العاقل إذا أراد جنسه، ويسأل بها عن العاقل إذا أراد صفته.

وقد شرح شيخ الإسلام هذا المعنى واستوفاه في تفسير سورة الكافرون، ونقلته هاهنا لنفاسته. قال ﵀ في مجموع الفتاوى:

«﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، جَاءَ الْخِطَابُ فِيهَا بِـ﴿مَا﴾ وَلَمْ يَجِئْ بِـ(مَنْ) فَقِيلَ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لَمْ يَقُلْ: (لا أعبد من تعبدون)؛ لِأَنَّ (مَنْ) لِمَنْ يعلَمُ وَالْأَصْنَامُ لَا تعْلَمُ.

وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ جِدًّا، فَإِنَّ مَعْبُودَ الْمُشْرِكِينَ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يَعْلَمُ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ ومَنْ لَمْ يعْلَمْ، وَعِنْدَ الِاجْتِمَاعِ تَغْلِبُ صِيغَةُ أُولِي الْعِلْمِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور:٤٥].

فَإِذَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِحَالِ مَنْ يعلَمُ عبرَ عنْهم بِعِبَادَتِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ الْآيَةَ [الأعراف:١٩٤-١٩٥]؛ فَعَبَّرَ عَنْهُمْ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ الْمُذَكَّرِ وَهُوَ لِأُولِي الْعِلْمِ.

وأَمَّا ما لا يعلمُ فجمعه مؤنثٌ كما تقول: الأموالُ جمعتها والحجارة قذفتها. فـ(ما) هي لما لا يعلمُ ولصفات من يعلمُ، ولهذا تكون للجنس العام لأنّ شمول الجنس لما تحته هو باعتبار صفاته كما قال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] أي الذي طاب والطيب من النساء.

فلما قصد الإخبار عن الموصوف بالطيب وقصد هذه الصفة دون مجرد العين عبر بـ(ما). ولو عبر بـ(من) كان المقصود مجرد العين والصفة للتعريف حتى لو فقدت لكانت غير مقصودة كما إذا قلت: جاءني من يعرف ومن كان أمس في المسجد ومن فعل كذا ونحو ذلك.

فالمقصود الإخبار عن عينه والصلة للتعريف وإن كانت تلك الصفة قد ذهبت. ومنه قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:٥-٧] على القول الصحيح إنها اسم موصول والمعنى: وبانيها وطاحيها ومسويها ولما قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠] أخبر بـ(من)؛ لأن المقصود الإخبار عن فلاح عينه وإن كان فعله للتزكية والتدسية قد ذهب في الدنيا، فالقسم هناك بالموصوف بحيث إنه إنما أقسم بهذا الموصوف والصفة لازمة. فإنه لا توجد مبنية إلا ببانيها ولا مطحية إلا بطاحيها ولا مسواة إلا بمسويها. وأما المرء المزكي نفسه والمدسيها فقد انقضى عمله في الدنيا وفلاحه وخيبته في الآخرة ليسا مستلزمين لذلك العمل.

ونحو هذا قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل:٣]. ولهذا يستفهم بها عن صفات من يعلمُ في قوله ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]؛ كما يستفهم على وجه بها في قوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات:٨٥].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]؛ فَالاسْتِفْهَامُ عَنْ عَيْنِ الْخَالِقِ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآلِهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ. فَإِنَّ الْمُسْتَفْهِمِينَ بِهَا كَانُوا مُقِرِّينَ بِصِفَةِ الْخَالِقِ وَإِنَّمَا طَلَبَ بِالِاسْتِفْهَامِ تَعْيِينَهُ وَتَمْيِيزَهُ وَلِتُقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِاسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ الْعِبَادَةَ.

وَأَمَّا فِرْعَوْنُ فَكَانَ مُنْكِرًا لِلْمَوْصُوفِ الْمُسَمَّى فَاسْتَفْهَمَ بِصِيغَةِ (مَا)؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُقِرًّا بِهِ طَالِبًا لِتَعْيِينِهِ. وَلِهَذَا كَانَ الْجَوَابُ فِي هَذَا الِاسْتِفْهَامِ بِقَوْلِ مُوسَى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشعراء:٢٤]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:٢٦]؛ فَأَجَابَ أَيْضًا بِالصِّفَةِ. وَهُنَاكَ قَالَ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] فَكَانَ الْجَوَابُ بِالِاسْمِ الْمُمَيِّزِ لِلْمُسَمَّى عَنْ غَيْرِهِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٢-٣] يَقْتَضِي تَنْزِيهَهُ عَنْ كُلِّ مَوْصُوفٍ بِأَنَّهُ مَعْبُودُهُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَا عَبَدَهُ الْكَافِرُ وَجَبَتِ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا لَا يَكُونُ مَعْبُودُهُ الْإِلَهَ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُؤْمِنُ. إِذْ لَوْ كَانَ هُوَ مَعْبُودَهُ لَكَانَ مُؤْمِنًا لَا كَافِرًا.

وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أُمُورًا:

أَحَدُهَا: أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ بَرَاءَتَهُ مِنْ أَعْيَانِ مَنْ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ إِذَا عَبَدُوا اللَّهَ وَغَيْرَهُ فَمَعْبُودُهُمُ الْمَجْمُوعُ وَهُوَ لَا يَعْبُدُ الْمَجْمُوعَ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ. فَيَعْبُدُهُ عَلَى وَجْهِ إِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ لَا عَلَى وَجْهِ الشِّرْكِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ. وَبِهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِ الْخَلِيلِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ

عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧] بِأَنْ يُقَالَ: هُنَا نَفْيُ عِبَادَةِ الْمَجْمُوعِ وَذَلِكَ لَا يَنْفِي عِبَادَةَ الْوَاحِدِ الَّذِي هُوَ اللَّهُ، وَالْخَلِيلُ تَبَرَّأَ مِنْ الْمَجْمُوعِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْبَرَاءَةَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ فَاسْتَثْنَى.

أَوْ يُقَالُ: الْخَلِيلُ تَبَرَّأَ مِنْ جَمِيعِ الْمَعْبُودِينَ مِنْ الْجَمِيعِ فَوَجَبَ أَنْ يُسْتَثْنَى رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَلِهَذَا لَمَّا وَقَعَ مُسْتَثْنًى فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤] لَمْ يَحْتَجْ إلَى اسْتِثْنَاءٍ آخَرَ. وَأَمَّا هَذِهِ السُّورَةُ فَإِنَّ فِيهَا التَّبَرِّيَ مِنْ عِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ لَا مِنْ نَفْسِ مَا يَعْبُدُونَ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ. فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ**»، فَعِبَادَةُ الْمُشْرِكِ كُلُّهَا بَاطِلَةٌ لَا يُقَالُ: نَصِيبُ اللَّهِ مِنْهَا حَقٌّ وَالْبَاقِي بَاطِلٌ بِخِلَافِ مَعْبُودِهِمْ. فَإِنَّ اللَّهَ إلَهٌ حَقٌّ وَمَا سِوَاهُ آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ، فَلَمَّا تَبَرَّأَ الْخَلِيلُ مِنْ الْمَعْبُودِينَ احْتَاجَ إلَى اسْتِثْنَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ تَبَرُّؤُهُ مِنْ أَنْ يَعْبُدَ مَا يَعْبُدُونَ فَكَانَ الْمَنْفِيُّ هُوَ الْعِبَادَةَ تَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَةِ الْمَجْمُوعِ الَّذِينَ يَعْبُدُهُمْ الْكَافِرُونَ.

الثَّالِثُ: إنْ كَانَ النَّفْيُ عَنْ الْمَوْصُوفِ بِأَنَّهُ مَعْبُودُهُمْ لَا عَنْ عَيْنِهِ فَهُوَ لَا يَعْبُدُ شَيْئًا مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُمْ. لِأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُمْ هُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ فَوَجَبَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْ عِبَادَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ. وَلَوْ قَالَ: (مَنْ تَعْبُدُونَ) لَكَانَ يُقَالُ: إلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ وَاقِعٌ عَلَى عَيْنِ الْمَعْبُودِ. وَلَيْسَ إذَا لَمْ يَعْبُدْ مَا يَعْبُدُونَ مُتَبَرِّئًا مِنْهُ وَمُعَادِيًا لَهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إلَى الِاسْتِثْنَاءِ. بَلْ هُوَ تَارِكٌ لِعِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ.

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ: وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ نَفَى عَنْهُم عِبَادَة مَعْبُودِهِ، فَهُمْ إِذَا عَبَدُوا اللَّهَ مُشْرِكِينَ بِهِ لَمْ يَكُونُوا عَابِدِينَ مَعْبُودَهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ إِذَا عَبَدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا مَعْبُودَهُمْ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّهُمْ لَوْ عَيَّنُوا اللَّهَ بِمَا لَيْسَ هُوَ اللَّهُ وَقَصَدُوا عِبَادَةَ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ أَنَّ هَذَا هُوَ اللَّهُ كَالَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ وَالَّذِينَ عَبَدُوا الْمَسِيحَ وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ الدَّجَّالَ وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَهَوَاهُمْ وَمَنْ عَبَدَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُمْ عِنْدَ نُفُوسِهِمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَكِنَّ هَذَا الْمَعْبُودَ الَّذِي لَهُمْ لَيْسَ هُوَ اللَّهَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ كَانَ مُتَبَرِّئًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودِينَ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ الْعَابِدِينَ هُوَ اللَّهُ.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّهُمْ إِذَا وَصَفُوا اللَّهَ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ كَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَأَنَّهُ فَقِيرٌ أَوْ بَخِيلٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ وَعَبَدُوهُ كَذَلِكَ، فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْمَعْبُودِ الَّذِي لِهَؤُلَاءِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ اللَّهَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي سَبَّ قُرَيْشٍ؟ يَسُبُّونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**». فَهُمْ وَإِنْ قَصَدُوا عَيْنَهُ لَكِنْ لَمَّا وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ مُذَمَّمٌ كَانَ سَبُّهُمْ وَاقِعًا عَلَى مَنْ هُوَ مُذَمَّمٌ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَذَاكَ لَيْسَ هُوَ اللَّهَ. فَالْمُؤْمِنُونَ بُرَآءُ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا وَصَفَ بِهِ الرَّسُولُ رَبَّهُ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَعْبُدْ مَا عَبَدَهُ الرَّسُولُ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ. وَقِسْ عَلَى هَذَا فَلْتَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْمَعَانِيَ وَتُلَخَّصْ وَتُهَذَّبْ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. انتهى[1].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج١٦ص٥٩٦-٦٠١).

ومعلوم أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون خروج النبي، منهم من أخبر بيوم مولده كيهود المدينة، ومنهم من أخبر بصفته كبحيرى الراهب، ومنهم من أخبر بظهور ملكه بعد الحديبية كهرقل ملك الروم

* * *

فصل
العرب والنصرانية

بُعث النبي وأفرادٌ من العرب تنصروا كورقة بن نوفل، وآخرون لزموا الحنيفيةَ كزيد بن عمرو بن نفيل.

في البخاري: فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ- وفي رواية: يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ بِالْعَرَبِيَّةِ. وفي رواية: وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ-، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى(١).

قال الحافظ: أَشَارَ بِقَوْلِهِ (هَذَا) إلى الْمَلَكِ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ؟ فِي خَبَرِهِ، وَالنَّامُوسُ: صَاحِبُ السِّرِّ، كَمَا جَزَمَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّامُوسِ هُنَا جِبْرِيلُ عليه السلام.

وَقَوْلُهُ: (عَلَى مُوسَى) وَلَمْ يَقُلْ عَلَى عِيسَى مَعَ كَوْنِهِ نَصْرَانِيًّا؛ لِأَنَّ كِتَابَ مُوسَى عليه السلام مُشْتَمِلٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَحْكَامِ، بِخِلَافِ عِيسَى، وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ. أَوْ لِأَنَّ مُوسَى بُعِثَ بِالنِّقْمَةِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ، بِخِلَافِ عِيسَى، كَذَلِكَ وَقَعَتِ النِّقْمَةُ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ بِفِرْعَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَمَنْ مَعَهُ بِبَدْرٍ. أَوْ قَالَهُ تَحْقِيقًا لِلرِّسَالَةِ؛ لِأَنَّ نُزُولَ

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٥٣) (ج٦ص١٧٣).

جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب، بخلاف عيسى، فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته. وأما ما تمحل له السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم، فهو محال، لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل، ولم يأخذ عمن بدل. على أنه قد ورد عند الزبير بن بكار في هذه القصة أن ورقة قال: ناموس عيسى. والأصح ما تقدم. نعم في دلائل النبوة لأبي نعيم بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة أن خديجة أولا أتت ابن عمها ورقة، فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صدقتني، إنه ليأتيه ناموس عيسى، الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم[(١)].

الهجرة إلى الحبشة:

وقد كانت الهجرة إلى الحبشة لما اشتد إيذاء قريش للمسلمين؛ فأرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة يكلمان النجاشي في أمر المسلمين، وقد رواه أحمد من حديث أم سلمة، وفيه:

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم

فقال له النجاشي: اقرأه علي. فقرأ عليه صدرا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

---

(١) فتح الباري (ح٣) (ج١ص٢٥، ٢٦).

وفي رواية: إِنَّ هَذَا الْكَلامَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْمِشْكَاةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا عِيسَى. انْطَلِقَا، فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَآتِيَنَّهُ غَدًا وَلَأُنَبِّئَنَّهُ بِعَيْبِهِمْ عِنْدَهُ، وَلَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُ الَّذِي يَعْبُدُ -عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ- عَبْدٌ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ -وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا-: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، فَقَالَ عَمْرٌو: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ.

قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، دَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ.

قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا يَسْأَلُنَا عَنْهُ -وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ- فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟

فَقَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ بَطَارِقَتُهُ.

فَقَالَ لَنَا: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

قَالَتْ: فَدَلَّى النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا.

ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ.

فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ. اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -وَالسُّيُومُ: الآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ -وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ-. رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ! وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ! (١)

ومقولة عمرو يردد فيها دعوى الألوهية، وليس كلام اليهود في عيسى أنه ساحر.

تنبيه: ها هنا سؤال: هل قرأ جعفر قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم:٣٠] في أول يوم، وإذن فما الحاجة إلى بيانه ثانية؟ وهل يحتمل أن يكون هذا الموضع ما نزل بعد؟ الأول أقرب والله أعلم.

وبكاء القسس أول الأمر، ثم نكولهم ثاني يوم دال على معرفتهم بالحق، وأنهم كانوا أقرب النصارى إلى الإسلام مقارنة بفعل قساوسة هرقل وسيأتي ذكره، وقد كان من أمرهم شيء عجيب.

قال تعالى في سورة القصص: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص:٥٢-٥٤].

قال ابن كثير عند هذه الآية من تفسيره: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ

(١) أحمد في المسند (١٧٤٠) (ج٣ص٢٦٣).

أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]. وقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٩٩]. وقَالَ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٨]. وَقَالَ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٢-٨٣].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: نَزَلَتْ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْقِسِّيسِينَ بَعَثَهُمُ النَّجَاشِيُّ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَرَأَ عَلَيْهِمْ: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١-٢] حَتَّى خَتَمَهَا، فَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَأَسْلَمُوا، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ الْأُخْرَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص:٥٢-٥٣]، يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ كُنَّا مُسْلِمِينَ، أَيْ: مُوَحِّدِينَ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُسْتَجِيبِينَ لَهُ.

قَالَ اللَّهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص:٥٤] أَيْ: هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي [يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِإِيمَانِهِمْ بِالرَّسُولِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أَيْ: عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ تَجَشُّمَ مِثْلِ هَذَا شَدِيدٌ عَلَى النُّفُوسِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ ثُمَّ آمَنَ بِي، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ**

كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا»(١) انتهى(٢).

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: حَدَّثَنَا الْحَاكِمُ أَخْبَرَنَا الْأَصَمُّ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِشْرُونَ رَجُلًا وَهُوَ بِمَكَّةَ أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنَ النَّصَارَى، حِينَ ظَهَرَ خَبَرُهُ، مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَجْلِسِ فَكَلَّمُوهُ وَسَاءَلُوهُ، وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مُسَاءَلَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا سَمِعُوا فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لَهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ، فَلَمَّا قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: خَيَّبَكُمُ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ، بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ لَهُمْ فَتَأْتُونَهُمْ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فَلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدَّقْتُمُوهُ بِمَا قَالَ لَكُمْ، مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ. أَوْ كَمَا قَالُوا، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا نُجَاهِلُكُمْ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، لَا نَأْلُو أَنْفُسَنَا خَيْرًا.

فَيُقَالُ: إِنَّ النَّفَرَ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ. وَيُقَالُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-: إِنَّ فِيهِمْ نَزَلَتْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٢](٣).

---

(١) البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤).

(٢) ابن كثير في التفسير (٦/٢٤٤).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣٠٦)، والخبر في السيرة لابن هشام (١/٣٩١، ٣٩٢).

قَالَ ابن إسحق: وَقَدْ سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيمَنْ أنزلن، قَالَ: مَا زلتُ أسمع من علمائنا أنهن أنزلهن فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ ﵃ وَالْآيَاتُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٢-٨٣].

والمقصود أصل المعنى من وجود بعض أهل الكتاب على الإسلام وإن وجد في كتابهم التحريف، فلما سمعوا بالنبي آمنوا به، وإن كان أهل السير اختلفوا في عددهم وهل كانوا من عند النجاشي أو هم من نصارى نجران. والله أعلم.

ومن قصص الحبشة أيضا من رواه أحمد والبخاري ومسلم عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵁ قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ مَكَانِي وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا كَبِيرًا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا، كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا، فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفَ، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهْدِي لَهُ -وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ- فَجَمَعْنَا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا، فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

فَوَاللهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ، إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ ﵁ -وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ- فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ، رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي،

أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أُدْمًا كَثِيرًا، ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا، فَغَضِبَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوْ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ، لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ، فَقَالَ لِي: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ؟، فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَكَذَاكَ هُوَ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، فَقُلْتُ: فَبَايِعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ[1]...

وما أشار إليه عمرو بن العاص -من إرسال الرسل كعمرو بن أمية الضمري- كان بعد الحديبية، ووافق انتصار الروم على فارس، وتحقق وعد الله بذلك في سورة الروم، وقيل كان موافقا لبدر، والأول أقرب.

وقد روى ابن سعد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ، أَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَى الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ كُتُبًا، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، فَصُّهُ مِنْهُ، نَقْشُهُ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، وَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ، فَخَرَجَ سِتَّةُ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ،

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٢١٨/١٦)، وأحمد في المسند (١٧٧٧٧).

وَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ رضي الله عنه إلى النَّجَاشِيِّ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابَيْنِ، يَدْعُوهُ فِي أَحَدِهِمَا إلى الْإِسْلَامِ، وَيَتْلُو عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَأَخَذَ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَنَزَلَ مِنْ سَرِيرِهِ فَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ تَوَاضُعًا، ثُمَّ أَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ آتِيَهُ لَأَتَيْتُهُ، وَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِجَابَتِهِ وَتَصْدِيقِهِ وَإِسْلَامِهِ عَلَى يَدَيْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِي الْكِتَابِ الْآخَرِ، يَأْمُرُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ -وَكَانَتْ قَدْ هَاجَرَتْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ الْأَسَدِيِّ، فَتَنَصَّرَ هُنَاكَ وَمَاتَ- وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْكِتَابِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِمَنْ قِبَلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيَحْمِلَهُمْ، فَفَعَلَ، فَزَوَّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْدَقَ عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَأَمَرَ بِجَهَازِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا يُصْلِحُهُمْ، وَحَمَلَهُمْ فِي سَفِينَتَيْنِ مَعَ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، وَدَعَا بِحُقٍّ مِنْ عَاجٍ، فَجَعَلَ فِيهِ كِتَابَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: لَنْ تَزَالَ الْحَبَشَةُ بِخَيْرٍ، مَا كَانَ هَذَانِ الْكِتَابَانِ بَيْنَ أَظْهُرِهَا.

قَالَ: وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيَّ -وَهُوَ أَحَدُ السِّتَّةِ- إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِحِمْصَ، وَقَيْصَرُ يَوْمَئِذٍ مَاشٍ فِي نَذْرٍ كَانَ عَلَيْهِ، إِنْ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ أَنْ يَمْشِيَ حَافِيًا مِنْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ إِلَى إِيلِيَاءَ، فَقَرَأَ الْكِتَابَ، وَأَذِنَ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ؟، وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ؟ وَتَتَّبِعُونَ مَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ؟

فَقَالَتِ الرُّومُ: وَمَا ذَاكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ؟ قَالَ: تَتَّبِعُونَ هَذَا النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ.

قَالَ: فَحَاصُوا حَيصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ وَتَنَاخَرُوا وَرَفَعُوا الصَّلِيبَ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ يَئِسَ مِنْ إِسْلامِهِمْ، وَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَمُلْكِهِ، فَسَكَّنَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا قُلْتُ لَكُمْ مَا قُلْتُ، أَخْتَبِرُكُمْ لِأَنْظُرَ كَيْفَ صَلَابَتُكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الَّذِي أُحِبُّ، فَسَجَدُوا لَهُ.

قَالَ: وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ -وَهُوَ أَحَدُ السِّتَّةِ- إِلَى كِسْرَى يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُرِئَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَخَذَهُ فَمَزَّقَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَهُ»**.

وَكَتَبَ كِسْرَى إِلَى بَاذَانَ عَامِلِهِ عَلَى الْيَمَنِ أَنِ ابْعَثْ مِنْ عِنْدِكَ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ فَلْيَأْتِيَانِي بِخَبَرِهِ، فَبَعَثَ بَاذَانُ قَهْرَمَانَهُ وَرَجُلًا آخَرَ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا، فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ وَفَرَائِصُهُمَا تُرْعَدُ، فَدَفَعَا كِتَابَ بَاذَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَقَالَ: ارْجِعَا عَنِّي يَوْمَكُمَا هَذَا حَتَّى تَأْتِيَانِي الْغَدَ فَأُخْبِرَكُمَا بِمَا أُرِيدُ. فَجَاءَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ لَهُمَا: **«أَبْلِغَا صَاحِبَكُمَا أَنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّهُ كِسْرَى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِسَبْعِ سَاعَاتٍ مَضَتْ مِنْهَا»** -وَهِيَ لَيْلَةُ الثُّلَاثَاءِ لِعَشْرِ لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ- وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَلَّطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ شِيرَوَيْهِ فَقَتَلَهُ، فَرَجَعَا إِلَى بَاذَانَ بِذَلِكَ، فَأَسْلَمَ هُوَ وَالْأَبْنَاءُ الَّذِينَ بِالْيَمَنِ.

قَالَ: وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيَّ رضي الله عنه -وَهُوَ أَحَدُ السِّتَّةِ- إِلَى الْمُقَوْقَسِ صَاحِبِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، عَظِيمِ الْقِبْطِ، يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا فَأَوْصَلَ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ وَقَالَ لَهُ خَيْرًا، وَأَخَذَ الْكِتَابَ فَجَعَلَهُ فِي

حُقّ مِنْ عَاجٍ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ إلى جَارِيَتِهِ، وَكَتَبَ إلى النَّبِيِّ ﷺ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا قَدْ بَقِيَ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ، وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ عَظِيمٌ فِي الْقِبْطِ، وَقَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ كِسْوَةً، وَبَغْلَةً تَرْكَبُهَا، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، وَلَمْ يُسْلِمْ، فَقَبِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَدِيَّتَهُ، وَأَخَذَ الْجَارِيَتَيْنِ، مَارِيَةَ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأُخْتَهَا سِيرِينَ، وَبَغْلَةً بَيْضَاءَ، لَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهَا، وَهِيَ: دُلْدُلُ. قَالَ حَاطِبٌ: كَانَ لِي مُكْرِمًا فِي الضِّيَافَةِ، وَقِلَّةِ اللُّبْثِ بِبَابِهِ، مَا أَقَمْتُ عِنْدَهُ إِلَّا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ضَنَّ الْخَبِيثُ بِمُلْكِهِ، وَلَا بَقَاءَ لِمُلْكِهِ**».

قَالَ: وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الأَسَدِيَّ ﷺ -وَهُوَ أَحَدُ السِّتَّةِ- إلى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ يَدْعُوهُ إلى الإِسْلَامِ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا، قَالَ شُجَاعٌ: فَأَتَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِغُوطَةِ دِمَشْقَ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِتَهْيِئَةِ الإِنْزَالِ وَالإِلْطَافِ لِقَيْصَرَ وَهُوَ جَاءٍ مِنْ حِمْصَ إلى إِيلِيَاءَ، فَأَقَمْتُ عَلَى بَابِهِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، فَقُلْتُ لِحَاجِبِهِ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَا تَصِلُ إِلَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَجَعَلَ حَاجِبُهُ -وَكَانَ رُومِيًّا- يَسْأَلُنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكُنْتُ أُحَدِّثُهُ عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ فَيَرِقُّ حَتَّى يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ، وَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ قَرَأْتُ الإِنْجِيلَ، فَأَجِدُ صِفَةَ هَذَا النَّبِيِّ بِعَيْنِهِ، فَأَنَا أُومِنُ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ، وَأَخَافُ مِنَ الْحَارِثِ أَنْ يَقْتُلَنِي، قَالَ شُجَاعٌ: وَكَانَ يُكْرِمُنِي وَيُحْسِنُ ضِيَافَتِي، وَخَرَجَ الْحَارِثُ يَوْمًا، فَجَلَسَ وَوَضَعَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ، فَأَذِنَ لِي عَلَيْهِ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ ثُمَّ رَمَى بِهِ وَقَالَ: مَنْ يَنْتَزِعُ مِنِّي مُلْكِي؟، أَنَا سَائِرٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ بِالْيَمَنِ جِئْتُهُ، عَلَيَّ بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْرِضُ حَتَّى قَامَ، وَأَمَرَ بِالْخُيُولِ تُنْعَلُ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ مَا تَرَى.

وَكَتَبَ إلى قَيْصَرَ يُخْبِرُهُ خَبَرِي وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ: أَلَّا تَسِيرَ إِلَيْهِ،

وَالَهَ عَنْهُ وَوَافَنِي بِإِيلِيَاءَ. فَلَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ كِتَابِهِ دَعَانِي فَقَالَ: مَتَى تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى صَاحِبِكَ؟، فَقُلْتُ: غَدًا، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ مِثْقَالٍ ذَهَبٍ، وَوَصَلَنِي حَاجِبُهُ، وَأَمَرَ لِي بِنَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ، وَقَالَ لِي: أَقْرِئْ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنِّي السَّلَامَ، فَقَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**بَادَ مُلْكُهُ**» وَأَقْرَأْتُهُ مِنْ حَاجِبِهِ السَّلَامَ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَدَقَ**»، وَمَاتَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شِمْرٍ عَامَ الْفَتْحِ، قَالَ: وَكَانَ فَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو الْجُذَامِيُّ عَامِلًا لِقَيْصَرَ عَلَى عَمَّانَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، فَلَمْ يَكْتُبْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ فَرْوَةُ، وَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِ وَأَهْدَى لَهُ، وَبَعَثَ مِنْ عِنْدِهِ رَسُولًا مِنْ قَوْمِهِ، يُقَالُ لَهُ: مَسْعُودُ بْنُ سَعْدٍ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابَهُ، وَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ جَوَابَ كِتَابِهِ، وَأَجَازَ مَسْعُودًا بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا -وَذَلِكَ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ-...(١).

* * *

(١) أخرجه ابن سعد (١/٢٥٨-٢٦٠)، وهو في الصحيحة (١٤٢٩).

فصل
في قدوم نصارى نجران

ولم يأت النبي من النصارى إلا ما ذكر قبل من نصارى الحبشة أو نجران، وذلك في مكة؛ ثم أتاه نصارى نجران في آخر حياته الشريفة بالمدينة، جاؤوا يفاوضونه في أمر عيسى عليه، ونزل فيهم صدر سورة آل عمران.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ وَأَبُو سَعِيد مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ابْنِ الْفَضْلِ قَالَا: ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ يَسُوعَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ يُونُسُ -وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿طسٓ﴾ سُلَيْمَانَ [سورة النمل]: «**بِاسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أُسْقُفِّ نَجْرَانَ وَأَهْلِ نَجْرَانَ. إِنْ أَسْلَمْتُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ؛ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجِزْيَةُ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ، آذَنْتُكُمْ بِحَرْبٍ وَالسَّلَامُ**»(١).

روى الطبري بسنده عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة، عن محمد بن جعفر في أول سورة آل عمران قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران: ستون راكبًا، فيهم أربعة عشرَ رجلا من أشرافهم، في الأربعة عشر ثلاثةٌ نفر إليهم يؤول أمرُهم: (العاقب) أميرُ القوم وذو رأيهم وصاحبُ مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمهُ (عبد المسيح)، و(السيد) ثِمالهم وصاحب رَحْلهم ومجتمعهم، واسمه (الأيهم)،

(١) دلائل النبوة للبيهقي (ج٥ص٣٨٥).

وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، أسقفُّهم وحَبْرهم وإمامهم وصاحبُ مِدْرَاسهم. وكان أبو حارثة قد شرُف فيهم ودَرَس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدَموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

قال ابن إسحاق قال، محمد بن جعفر بن الزبير: قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر، عليهم ثيابُ الحِبَرَات جُبب وأَرْدية، في [جمال رِجال] بلْحارث بن كعب، قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ: ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم! وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**»! فصلوا إلى المشرق.

فكلم رسولَ الله ﷺ منهم: أبو حارثة بن علقمة، والعاقب، وعبد المسيح، والأيهم السيد؛ وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف من أمرهم.

يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية.

فهم يحتجون في قولهم: هو الله؛ بأنه كان يُحيي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا، وذلك كله بإذن الله، ليجعله آية للناس.

ويحتجون في قولهم: إنه ولد الله؛ أنهم يقولون: لم يكن له أب يُعلم، وقد تكلم في المهد، شيءٌ لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجون في قولهم: إنه ثالث ثلاثة؛ بقول الله ﷻ: فعلنا، وأَمَرنا، وخلقنا، وقضينا.

فيقولون: لو كان واحدًا ما قال: إلا فعلت، وأمرتُ وقضيتُ، وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومريم.

ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن، وذكر الله لنبيه ﷺ فيه قولهم.

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما! قالا قد أسلمنا. قال: إنكما لم تسلما، فأسلما! قالا بَلَى قد أسلمنا قَبلك! قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ﷻ ولدًا، وعبادتكما الصليبَ، وأكلكما الخنزير.

قالا فمَنْ أبوه يا محمد؟

فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله، صدرَ سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، فافتتح السورة بتبرئته نفسَه تبارك وتعالى مما قالوا، وتوحيده إياه بالخلق والأمر، لا شريك له فيه رَدًّا عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد واحتجاجًا عليهم بقولهم في صاحبهم، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: ليس معه شريك في أمره[(١)]...

قلت: ونصف سورة آل عمران الأخير نزل في أحد في السنة الثالثة من الهجرة، وظل المسلمون يقرؤونها هكذا حتى كانت السنة التاسعة وأنزل الله تبارك وتعالى صدر السورة، وأخبر الله فيها نبيه بما لم يخبره من قبل في شأن عيسى عليه السلام، فقرأها النبي أول ما قرأها على نصارى نجران، فإذا قرئت السورة على أصل الوضع وقف المرء على كثير من معانيها، ثم النظر بعد في عموم المعنى وقد وقف على خصوص السبب.

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٢-٢٢٥).

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران:١-٢]؛ فأثبت الألوهية مقترنة باسمي: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ و﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ وعيسى وإن كان حيًّا في السماء لكنه عبد مربوب، وليست له القيومية، والله قائم على كل نفس بما كسبت، كل يوم هو في شأن.

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٣-٤]؛ فأنزل الانجيل مصدقا للتوراة فآمنت النصارى وكفرت يهود، ثم أنزل الله القرآن مصدقا للتوراة والانجيل فآمن المسلمون، وفعلت النصارى فعل اليهود معهم من قبل فلم يؤمنوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٥-٦]؛ وعيسى مصور في الرحم قولا واحدا، فكيف يكون الها.

ثم أشار إلى سبب ضلال النصارى:

الأول: وهو من باب الشبهة، وسبب ذلك اتباع المتشابه من العلم دون المحكم؛ وحملهم على ذلك ما وجد في قلوبهم من زيغ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران:٧-٩].

وعلاج ذلك اتباع المحكم دون المتشابه في أمر عيسى، بمتابعة الراسخين في العلم، ثم قد ضرب الله لهم آية محكمة قديمة، وآية حديثة تثبتهم في ذلك.

القديمة: قصة فرعون ومن معه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٠-١٢].

والحديثة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران:١٣].

والسبب الثاني لضلال النصارى فهو الشهوة:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:١٤].

وعلاج الشهوة النظر إلى ما أعد الله لأوليائه في الآخرة:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:١٥].

وصفات هؤلاء العباد:

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٦-١٧].

ولا تصح العبودية إلا بشهادة التوحيد والإسلام:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٨-١٩].

فإن أبوا فليس على النبي إلا البلاغ، وحسابهم على الله:

﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران:٢٠-٢٢].

وليسوا على الإسلام الذي جاء به عيسى بل هو دين مفترى ليست له عند الله حقيقة:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٢٣-٢٥].

وما وجد في قلوبهم من حسد على النبي بسبب انتقال النبوة عنهم، فذاك فضل الله يعطيه من يشاء: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

والملك: هاهنا ملك الدين، لذا حذر المسلمين -وقد اجتباهم- أن يرفعوا خسيسة من وضعهم الله، فقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٨-٣٠]؛ فحذرهم نفسه مرتين، ونبه أن أمر الولاء والبراء ليس على مجرد الظاهر وحسب، بل مداره القلب والعقاب منوط به. نسأل الله السلامة.

والذي أوقع النصارى في الشبهة والشهوة مخالفتهم هدي نبيهم، فحملوا علما بلا هدي، والهدي هو السنة، فوقعوا في البدعة والضلالة، فدعاهم ودعا المسلمين إلى اتباع السنة:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢].

فإن كانت المعارضة في الاصطفاء فهذا أصله، وهذه قصة عيسى على حقيقتها:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٣٣-٣٤].

وبيت آل عمران بيت مبارك:

أما عمران وامرأته: فقال ابن كثير في البداية والنهاية: وَكَانَ أَبُوهَا عِمْرَانُ صَاحِبَ صَلَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهَا، وَهِيَ حَنَّةُ بِنْتُ فَاقُودَ بْنِ قُبَيْلَ، مِنَ

الْعَابِدَاتِ، وكَانَ زَكَرِيَّا نَبِيُّ ذَلِكَ الزَّمَانِ زَوجَ أُخْتِ مَرْيَمَ أَشْيَاعَ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَقِيلَ: زَوْجُ خَالَتِهَا أَشْيَاعَ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ(١).

ولهما ثلاثة أولاد:

هارون: روى مسلم عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى نَجْرَانَ فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ [مريم:٢٨] وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وكَذَا. فَلَمْ أَدْرِ مَا أُجِيبُهُمْ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: «**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**»(٢).

قال ابن كثير في البداية:

وَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّهَا قَدْ كَانَ لَهَا أَخٌ نَسَبِيٌّ اسْمُهُ هَارُونُ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٨]، أَيْ: لَسْتِ مِنْ بَيْتٍ هَذَا شِيمَتُهُمْ وَلَا سَجِيَّتُهُمْ؛ لَا أَخُوكِ وَلَا أُمُّكِ وَلَا أَبُوكِ، فَاتَّهَمُوهَا(٣).

مريم وأختها، وأختها هي امرأة زكريا عليه السلام:

في الصحيح في حديث الإسراء: «**ثُمَّ عَرَجَ بِي إلى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ، عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا**

---

(١) ابن كثير في البداية (٤١٨/٢).

(٢) مسلم (٢١٣٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤١٨/٢).

فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»(١).

وروى أحمد والترمذي عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي: مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، فَنَالَتْ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّيَ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ انْفَتَلَ، فَتَبِعْتُهُ فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ، فَنَاجَاهُ ثُمَّ ذَهَبَ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ، قَالَ: «**مَا حَاجَتُكَ؟**»، فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: «**غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ؟**»، فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «**إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَاسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا ابْنَيِ الْخَالَةِ: عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا**»(٢).

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٥-٣٦].

عن قتادة كما عند الطبري في هذه الآية قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾... الآية، كانت امرأة عمران حَرّرت لله ما في بطنها، وكانوا إنما يحرّرون

(١) البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

(٢) أحمد (٢٣٣٢٩)، والترمذي (٣٧٨١)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح، وهو في صحيح الجامع (٣١٨١)، والصحيحة تحت حديث (٧٩٦).

الذكور، وكان المحرَّر إذا حُرِّر جعل في الكنيسة لا يبرَحها، يقوم عليها ويكنُسها. وأنها قالت -اعتذارًا إلى ربها مما كانت نذرتْ في حملها لخررته لخدمة ربها-: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدْس والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعتريها من الحيض والنفاس.

في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ مِنْ بَنِي آدَمَ، إِلَّا يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلى الصَّبِيِّ حِينَ يَسْقُطُ كَيْفَ يَصْرُخُ؟**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَذَاكَ حِينَ يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ فِي حِضْنَيْهِ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ، وَابْنَهَا عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام ذَهَبَ يَطْعُنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ**»، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1].

عن عكرمة قال: ثم خرجت بها يعني: أمّ مريم بمريم في خِرَقها تحملها إلى بني الكاهن بن هارون، أخي موسى بن عمران. قال: وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبةُ من الكعبة، فقالت لهم: دُونكم هذه النذيرة، فإنِّي حرّرتها، وهي ابنتي، ولا يدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردُّها إلى بيتي! فقالوا: هذه ابنة إمامنا -وكان عمران يؤُمهم في الصلاة- وصاحب قُرْباننا! فقال زكريا: ادفعوها إلى، فإن خالتها عندي. قالوا: لا تطيب أنفسنا، هي ابنة إمامنا! فذلك حين اقترعوا، فاقترعوا بأقلامهم عليها -بالأقلام التي يكتبون بها التوراة- فقرعهم زكريا، فكفلها.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

---

(١) البخاري (٣١١٢، ٣٢٤٨، ٤٢٧٤)، ومسلم (٢٣٦٦)، وأحمد في المسند (٨٨٠١).

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران:٣٧-٤١].

قال الطبري: فإن قال قائل: وكيف قال زكريا وهو نبيّ الله: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾، وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمر الله إياها به؟ أشكّ في صدقهم؟ فذلك ما لا يجوز أن يوصفَ به أهل الإيمان بالله! فكيف الأنبياء والمرسلون؟ أم كان ذلك منه استنكارًا لقدرة ربه؟ فذلك أعظم في البلية!

قيل: كان ذلك منه ﷺ على غير ما ظننتَ، بل كان قِيله ما قال من ذلك، كما: حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: لما سمع النداء -يعني زكريا، لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى- جاءه الشيطان فقال له: يا زكريا، إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله، إنما هو من الشيطان يسخرُ بك! ولو كان من الله أوحاه إليك كما يُوحى إليك في غيره من الأمر! فشكّ مكانه، وقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾، ذكرٌ؟ يقول: من أين؟ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾.

عن قتادة، قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾، إنما عوقب بذلك، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك، فبشَّرته بيحيى، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه. فأخذَ عليه بلسانه، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار، فقال الله تعالى ذكره، كما تسمعون: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٤٢-٤٦].

فاصطفى مريم فعصمها من الشيطان، ثم قبلها من أمها وأنبتها نباته حسنا، وكفلها زكريا، ثم اصطفاها بالنداء والاختيار آمرا إياها بلزوم العبادة وطول القنوت، يعاجل بها بين يدي الابتلاء.

ثم بشرها بأمر عيسى تهيئة لما سيكون، ولذلك كان ردها في هذه السورة رد المُخبَر لا المُعاين: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران:٤٧-٥١].

فذكرت الربوبية، ونبهت بذكر الولد، ولا بد له من والد؛ كأنما تستشكل مسألة علمية، بعكس سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ

يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم:١٦-٢١]؛ فكانت معاينة لا إخبارًا، وهو وقت النفخة، فاستعاذت، وقالت أنى يكون، ولم تذكر الرب، غلام أسعى به ويراه الناس وليس قصة أن يولد ولد، فكانت كما قال الله صديقة: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٩١]، وقال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢].

طلب زكريا الآية، ثم كان الشك كما مر عن قتادة والسدي، فكان موضعي ذكر الولد لزكريا في مريم وآل عمران على البشارة، ثم أخرست منه الآلة وهي صحيحة اضطرارًا فلا ينطلق لسانه إلا بالذكر، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران:٤٠-٤١]، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم:٨-١١].

وأما مريم فصدقت واستسلمت؛ فقيل لها: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم:٢٦]؛ فسكتت الآلة اختيارا، وكان أمرها صياما.

في البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه، يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**»(١).

وكان مما قال الله لنبيه: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾.

ثم قال له آمرا إياه بملاعنتهم: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران:٥٨-٦١].

أخرج أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ، قَالَ: وَأَرَادَا أَنْ يُلَاعِنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تُلَاعِنْهُ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا، لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا أَبَدًا، فَأَتَيَاهُ فَقَالَا: لَا نُلَاعِنُكَ، وَلَكِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَ، فَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**»، قَالَ: فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ**»، فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»(٢).

والمتأمل في قصة نجران، ذاكرًا ما كان من أمر أصحاب الأخدود، ودخولهم في النصرانية، وقصة أبرهة الأشرم وما فعل الله به، وكل ذلك كان قبل ميلاد النبي بيسير، ثم تعنتهم مع النبي حتى روي عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي: أنه سمع

(١) البخاري (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠).

(٢) أحمد (٣٩٣٠)، ومسلم (٢٤١٩).

النبي ﷺ يقول: «**ليتَ بيني وبيني أهل نجرانَ حجابًا فلا أراهم ولا يروني**»[(١)]! من شدّة ما كانوا يمارون النبي ﷺ. كل هذا وهم العرب الأقحاح من أهل اليمن، وهم أصحاب اللغة، وانتقلت إليهم النصرانية من الحبشة، وفيها كثير من الحق؛ لذلك انتبهوا من رقاد غفلتهم وعلموا أنهم أوتوا من قبل السنة وهي الطريقة لا من قبل العلم ذاته، ولم يكن في أتباع عيسى من ينقل لهم هدي عيسى عليه السلام خاصة وقد كانت مدة مكوثه في الأرض قليلة فما طلبوا إلا أمينا، يعلمهم السنة كما يعلمهم الإسلام، فطلبوا الهدي كما طلبوا العلم. فيا ليت قومي يعلمون.

* * *

(١) الطبري (٧١٧٥)، تحقيق أحمد شاكر.

فصل
نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١].

قال ابن كثير: ذهب ابْنِ إِسْحَاقَ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ: مَا بُعِثَ بِهِ عِيسَى عليه السلام مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْقَامِ. وَفِي هَذَا نَظَرٌ. وَأَبْعَدُ مِنْهُ مَا حَكَاهُ قَتَادَةُ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَيِ الضَّمِيرُ فِي ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، عَائِدٌ عَلَى الْقُرْآنِ، بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهُ عَائِدٌ عَلَى عِيسَى [عليه السلام]، فَإِنَّ السِّيَاقَ فِي ذِكْرِهِ، ثُمَّ الْمُرَادُ بِذَلِكَ نُزُولُهُ قَبْلَ يومِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أَيْ: قَبْلَ موتِ عِيسَى، عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩]، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى الْقِرَاءَةَ الْأُخْرَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أَيْ: أَمَارَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَى وُقُوعِ السَّاعَةِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أَيْ: آيَةٌ لِلسَّاعَةِ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَبْلَ يومِ الْقِيَامَةِ. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه]، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَعِكْرِمَةَ، والحسن وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمْ. انتهى(١).

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**كَيْفَ بِكُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»(٢).

روى أبو نعيم في كتاب المهدي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

---

(١) ابن كثير في التفسير (٧/٢٣٦).

(٢) البخاري (٣٤٤٩).

«مِنَّا الَّذِي يُصَلِّي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ»(١).

روى أحمد والبخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﵇ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ، وَإِنِّي لَأَرْجُو إِنْ طَالَتْ بِي حَيَاةٌ أَنْ أَلْقَاهُ، فَإِنْ عَجِلَ بِي مَوْتٌ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِمَامًا مُقْسِطًا، وَحَكَمًا عَدْلًا مَهْدِيًّا يَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَالْخَرَاجَ وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ، الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ وَتَكُونَ الدَّعْوَةُ وَاحِدَةً، وَيَنْزِلُ بِفَجِّ الرَّوْحَاءَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ مِنْهَا حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا جَمِيعًا ثُمَّ لَئِنْ قَامَ عَلَى قَبْرِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، لَأُجِيبَنَّهُ»(٢).

جاء عيسى متمما للتوراة في أول الزمان، وداعيا للاستمساك بالإسلام، ومبشرا بالنبي أحمد، فحاول اليهود قتله، وانحرف أتباعه عن الإسلام، ثم ينزل في آخر الزمان فيقتل مسيحَ الضلالةِ، ويقتلُ معه اليهودَ، ولا يقبلُ إلا الإسلامَ، وتبطلُ الآراءُ ويمتنع التأويلُ، ويُصلَى خلف إمامِ المسلمين.

روى أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ الْمَدِينَةَ، فَيَغْلِبُ عَلَى خَارِجِهَا، وَيُمْنَعُ دَاخِلَهَا، ثُمَّ يَأْتِي إِيلِيَاءَ فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ

(١) صحيح الجامع (٥٩٢٠)، والصحيحة (٢٢٩٣).

(٢) الصحيحة (٢٧٣٣)، نقلته من الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٣٣٦/١).

الدُّخَانِ بِالشَّامِ، فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ...» فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةُ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ فَانْسَاخَ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِفِلَسْطِينَ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ، وَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ، إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةً إِلَّا قَالَ يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ يَخْتَبِئُ وَرَائِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ لَا تَنْطِقُ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ»(١).

وقوله: «فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ صَلِّ لَنَا».

قال الألباني: فالأميرُ في هذه الرواية هو المهدي كما في حديث الترجمة، وهو مُفسِّرٌ لها، واعلم أيها الأخ المؤمن أن كثيرا من الناس تطيش قلوبهم عن حدوث بعض الفتن، ولا بصيرة عندهم تجاهها، بحيث إنها تُوَضِّح لهم السبيل الوسط الذي يجب عليهم أن يسلكوه إبانها، فيَضلون عنه ضلالا بعيدًا، فمنهم مثلا من يتبع من ادعى أنه المهدي أو عيسى، كالقاديانيين الذين اتبعوا ميرزا غلام أحمد القادياني، الذي ادعى

---

(١) أحمد (١٤٩٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم، وبسط ابن كثير أحاديث الدجال في البداية والنهاية (١٠٣/١).

المهدوية أولا، ثم العيسوية ثم النبوة، ومثل جماعة (جهيمان) السعودي الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة (١٤٠٠) هجرية، وزعم أن معه المهدي المنتظر، وطلب من الحاضرين في الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتبعه بعض البسطاء والمغفَّلين والأشرار من أتباعه، ثم قضى الله على فتنتهم بعد أن سفكوا كثيرا من دماء المسلمين، وأراح الله تعالى العباد من شرِّهم، ومنهم من يشاركنا في النقمة على هؤلاء المدَّعين للمهدوية، ولكنه يبادر إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج المهدي في آخر الزمان، ويدعي بكل جُرأة أنها موضوعة وخرافة!! ويُسَفِّه أحلام العلماء الذين قالوا بصحتها، يزعم أنه بذلك يقطع دابر أولئك المدعين الأشرار! وما عَلِمَ هذا وأمثالُه أن هذا الأسلوب قد يؤدي بهم إلى إنكار أحاديثِ نزول عيسى عليه السلام أيضا مع كونها متواترة!، وهذا ما وقع لبعضهم، فهل يؤدي ذلك بهم إلى إنكار ألوهية الرب تبارك وتعالى، لأن بعض البشر ادعوها كما هو معلوم؟!

نسأل الله السلامة من فِتَنِ أولئك المدَّعين، وهؤلاء المنكِرين للأحاديث الصحيحة الثابتة عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. اهـ[١].

* * *

(١) الألباني في الصحيحة (٢٢٣٦).

فصل
في خروج يأجوج ومأجوج

وكما كان أكرم سد وأنفعه للبشر ردم ذي القرنين الذي جعله سدًّا بين البشرية ويأجوج ومأجوج، فإن عيسى بإذن الله يكون بركة على أهل الأرض بقتل يأجوج ومأجوج، كما رواه مسلم عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدجال...

وفيه: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ.

فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ.

فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ

النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

* * *

(١) مسلم (٢٩٣٧).

فصل
عيسى بين يدي الله يوم القيامة

وكما كان أمر عيسى عجيبا في الدنيا فإنه في الآخرة أعجب، ويبدأ ذكر عيسى عند الشفاعة الكبرى أن يأتي الله لفصل الخطاب، روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وأبي سَعِيدٍ رضي الله عنهما قَالَا: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ... فذكر الشفاعة... وفيها:

«فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ -وَلَمْ يَذْكُرْ عِيسَى ذَنْبًا- نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ»(١).

وعند أحمد: «عَبْدٌ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»(٢).

وفي رواية صحح إسنادها أيضا: **«وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، فَإِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ. قَالَ عِيسَى: أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِي وِعَاءٍ قَدْ خُتِمَ عَلَيْهِ، هَلْ كَانَ يُقْدَرُ عَلَى مَا فِي الْوِعَاءِ حَتَّى يُفَضَّ الْخَاتَمُ؟ فَيَقُولُونَ: لَا»**(٣). قَالَ: فَإِنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَيَأْتُونِي، وَإِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ عَلَى الصِّرَاطِ، إِذْ جَاءَنِي عِيسَى فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيَدْعُونَ اللهَ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الْأُمَمِ إلى حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ، فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ فَيَقُولُونَ:**

---

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) أحمد (٢٥٤٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أحمد (١٣٦١٥)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ...» (١) إلى آخر الحديث.

فإذا كان ذلك:

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٦٩].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر:٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف:٦].

وقال في سؤال الأمم: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص:٦٥-٦٧].

وقال في سؤال الرسل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١٠٩].

عن السديّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾، قال: فذلك أنهم نزلوا منزلا ذَهِلت فيه العقول، فلما سئلوا قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾، ثم نزلوا منزلا آخر، فشهدوا على قومهم (٢).

---

(١) أحمد في المسند (١٢٨٤٧)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٦٣٩).

(٢) الطبري (١٢٩٨٦) (ج١١ص٢٢٠)، نسخة شاكر.

فيُسألُ النبيُّ، وتُسألُ أمتهُ، روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** [آل عمران:١٤٣] **وَالوَسَطُ: العَدْلُ**»(١).

والنارُ بارزةٌ، والجحيمُ مسعرةٌ، والأممُ عند السؤالِ نوعان:

أولهما: أمة تثبت الشهادة لنبيها، وهما أمتان:

أمة محمد ﷺ، فتشهد لنبيها وتشهد لبقية الأنبياء.

وأمة تتهم نبيها فتزعم أنه جاءها، وأنهم أطاعوه، وهو سبب ضلالهم وهم أمة النصارى. وذلك لما عاينوا النار وأيقنوا بالهلاك فكذبوا طلباً للنجاة واتهموا نبيهم فكيف يطلبون شفاعته.

ثانيهما: بقية الأمم تثبت الشهادة على أنبيائها، وتنكر مجيئهم.

وقد عاين عيسى في الدنيا قبل موته ضلال من انتسبوا إليه، وهو الرسول الوحيد الذي ذكر عرضه بين يدي الله في القرآن؛ فلا يسأل عن أصل البلاغ، وإنما على ما زعمه قومه من الإضلال في البلاغ، ولعل هذا من الموانع أنه لم يذكر ذنباً في الشفاعة، إذ التهمة في حقه قائمة.

فيذكره نعمته عليه تفصيلا:

---

(١) البخاري (٣٣٣٩).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٠-١١٥].

ثم يذكر التهمة:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١١٦-١٢٠].

وعند الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**يُلَقَّى عِيسَى حُجَّتَهُ لَقَّاهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ:** ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَلَقَّاهُ اللهُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾»(١).

روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وَقَوْلَ عِيسَى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي، أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ -وَهُوَ أَعْلَمُ- فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**»(٢).

وعند أحمد والنسائي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَرَأَ بِآيَةٍ فَرَدَّدَهَا حَتَّى أَصْبَحَ يَرْكَعُ بِهَا، وَيَسْجُدُ بِهَا وَالْآيَةُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فَلَمَّا أَصْبَحَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا زِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ، تَرْكَعُ بِهَا وَتَسْجُدُ بِهَا، فَقَالَ: «**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ ﷻ شَيْئًا**»(٣).

---

(١) الترمذي (٣٠٦٢) وقال: حديث حسن صحيح، وصحيح الجامع (٨١٥٩)، والصحيحة (٢٤٥٤).

(٢) مسلم (٢٠٢) (١/١٩١).

(٣) أحمد (٢١٣٦٦، ٢١٤٢٥)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، والنسائي (١٠١٠).

وعند البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]»، قَالَ: «**فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**». وَفِي حَدِيثِ وَكِيعٍ وَمُعَاذٍ: «**فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(١).

وفيما سبق إيزان بانقطاع الشفاعة ورفعها، فما بقي إلا مشرك، ومن تدبر ذلك علم سبب بكاء النبي وكيف قام بهذه الآية ليلة كاملة، نسأل الله أن يرزقنا شفاعته.

تنبيه:

اختلف أهل التفسير متى كانت تلك المراجعة؟

فذهب ابن جريج، وعليه الجمهور: أنها يوم القيامة.

وذهب السدي واختاره ابن حرير: أنها كانت بعد رفع عيسى.

قال أبو جعفر عند هذا الموضع من التفسير: «وأولى القولين عندنا بالصواب في ذلك، قولُ من قال بقول السدي، وهو أن الله تعالى ذكره قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه، وأن الخبرَ خبرٌ عما مضى، لعلَّتين:

---

(١) البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥).

إحداهما: أن (إذْ) إنما تصاحب -في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها- الماضيَ من الفعل، وإن كانت قد تدخلها أحيانًا في موضع الخبر عما يحدث، إذا عرف السامعون معناها. وذلك غير فاشٍ، ولا فصيح في كلامهم، وتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل، أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر.

والأخرى: أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الأنبياء، أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، فيجوز أن يُتَوهم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيبًا لربه تعالى ذكره: إن تعذّب من اتخذني وأمي إلهين من دونك فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم».

ورد هذا ابن القيم في بدائع الفوائد فقال:

«قال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾، فهذا شرط دخل على ماضي اللفظ وهو ماضي المعنى قطعا لأن المسيح إما أن يكون هذا الكلام قد صدر منه بعد رفعه إلى السماء أو يكون حكاية ما يقوله يوم القيامة وعلى التقديرين فإنما تعلق الشرط وجزاؤه بالماضي وغلط على الله من قال إن هذا القول وقع منه في الدنيا قبل رفعه والتقدير إن أكن أقول هذا فإنك تعلمه وهذا تحريف للآية لأن هذا الجواب إنما صدر منه بعد سؤال الله له عن ذلك والله لم يسأله وهو بين أظهر قومه ولا اتخذوه وأمه إلهين إلا بعد رفعه بمئين من السنين فلا يجوز تحريف كلام الله انتصارا لقاعدة نحوية هدم مائة أمثالها أسهل من تحريف معنى الآية»[1].

---

(١) بدائع الفوائد (١/٤٥).

فهذا بعض أمر عيسى عليه السلام على وجه الاختصار من أوله حتى منتهاه كما أخبرنا القرآن وجاءت به السنن، تذكيرًا لمؤمن وردًّا لغافل، نسأل الله أن يختم لنا بالتوحيد وجميع المسلمين.

* * *

وأخيرًا

بشارة نبوية لكل غريب

أخرج البخاري ومسلم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ».

وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»[١].

* * *

نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، اللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار. اللهم آمين..

* * *

(١) البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

الجزء فيه
من كلام أبي جعفر
أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي رحمه الله تعالى
في
التسوية بين «حدَّثنا» وبين «أخبرنا»
وذكر الحجة فيه من الكتاب والسنة

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
أبو الأشبال الكفراوي
محمد بن محمد بن أحمد بن بدوي

الإهداء

إلى سماحة الوالد شيخنا الهمام حسنة الأيام المحدث الإمام أبي إسحاق الحويني الذي لو أقسمت بين الركن والمقام ما رأت عيناي مثله علمًا وحلمًا وأدبًا وفهمًا وخلقًا وتواضعًا وودًّا وتسننًا أرجو ألا أكون حانثًا.

إلى شيخي الحبيب أهدي هذا الجزء.

وكتبه

محمد بن محمد بن أحمد آل بدوي

أبو الأشبال الكفراوي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذا هو جزء التسوية بين حدثنا وبين أخبرنا وذكر الحجة في ذلك للإمام أبي جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة حققت أصله وخرجت أحاديثه وعلقت على بعض المواضع فيه وقدمت له بمقدمة تكلمت فيها عن معنى حدثنا وأخبرنا من حيث اللغة والاصطلاح وأقوال أهل العلم في رواية من تَحَمَّل عن طريق القراءة على العالم (العرض) ماذا يقول عند الرواية وبينت أهمية الجزء وتكلمت عن طبعة الأستاذ سمير الزهيري وترجمت للمؤلف ولرواة الجزء ولا يفوتني أن أشكر صهري الأستاذ أحمد درغام الغفلول والأستاذ محمد شِدّو على ما بذلاه من جهد لتصوير هذا المخطوط فلهما جزيل الشكر.

والحمد لله أولًا وآخرًا ظاهرًا وباطنًا حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وكتبه

أبو الأشبال الكفراوي

عامله الله بلطفه الخفي

أخبرنا من حيث اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب (١٢/٣): أخبرت بالأمر أي علمته.

وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته وقوله: ﴿فَسْـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ أي اسأل عنه خبير يخبره.

والخَبَرُ بالتحريك واحد الأخبار.

والخبر أتاك من نبأ عمن تستخبر.

قال ابن سيده: الخبر النبأ والجمع أخبار.

فأما قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عُمل عليها.

وخبّره بكذا وأخبره نبأه.

واستخبره: سأله عن الخبر وطلب أن يخبره.

وفي حديث الحديبية: أنه بعث عيناً من خزاعة يتخبر له خبر قريش أي يتعرف.

يقال: تخبر الخبر واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها.

حدثنا من حيث اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب (٣٥٠/٢): الحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير والجمع: أحاديث.

والحديث ما يحِّدث به المحِّدث تحديثا وقد حدَّثه الحديث وحدَّث به.

والمحادثة والتحادث والتحدُّث والتحديث معروفان كما قال الجوهري.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾: أي بلغ ما أُرسلت به.

مما سبق تبين ألا فرق بين التحديث والإخبار من حيث اللغة وفي ادعاء الفرق بينهما تكلف شديد وأن التحديث والإخبار والإنباء عندهم سواء وهذا لا خلاف فيه عند أهل العلم بالنسبة إلى اللغة ومن أصرح الأدلة فيه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

والخبر والحديث من حيث الاصطلاح:

قال ابن حجر في نزهة النظر (ص١٧-١٨): الخبر عند علماء الحديث مرادف للحديث وقيل الحديث ما جاء عن النبي ﷺ والخبر ما جاء عن غيره.

وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق. فكل حديث خبر من غير عكس وعلى هذا فالحديث: ما أضيف للنبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

والخبر هو ما جاء عن غير النبي ﷺ.

وقيل هو مرادف للحديث وقيل غير هذا.

كما قال السيوطي في الألفية:

....	.... والحديث قيدوا
بما أضيف للنبي قولا أو	فعلا وتقريرا ونحوها حكوا
وقيل: لا يختص بالمرفوع	بل جاء للموقوف والمقطوع
فهو على هذا مرادف الخبر	وشهروا شمول هذين الأثر

أقوال أهل العلم في القراءة على العالم ماذا يقول فيها القارئ عند الرواية على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: التسوية في ذلك بين حدثنا وبين أخبرنا وأنهما في ذلك سواء وبه قال:

١- الحسن البصري: كما أخرجه الفسوي في المعرفة (٢٢٨/٢)، والخطيب في الكفاية في معرفة أصول الرواية (٩٨١/٢، ٩٨٢، ٩٨٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٢٦٩/٢) بإسناد صحيح.

٢- الزهري: أخرجه الفسوي في المعرفة (٨٢٧/١)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٤٧٦)، والخطيب في الكفاية في معرفة أصول الرواية (٩٦٦/٢، ٩٨٤) وابن عبد البر في الجامع (٢٢٧١/٢، ٢٢٨٠) بإسناد صحيح.

٣- أبو حنيفة النعمان: أخرجه المصنف عنه كما سيأتي رقم (١)، وأخرجه الخطيب في الكفاية (٩٧٤/٢، ٩٩٠، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤) من طرق وهو صحيح عنه.

٤- سفيان الثوري: أخرجه البخاري في الصحيح (٢٦/١)، والرامهرمزي (٤٦٤)، والخطيب في الكفاية (٩٨٧/٢، ٩٨٨، ٩٩٠، ٩٩١) من طرق عنه وهو صحيح عنه.

٥- مالك بن أنس: أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦/١)، والفسوي في المعرفة (٨٢٨/٢)، والمصنف رقم (١، ٢) وهو صحيح، والخطيب في الكفاية (٩٩٥/٢، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠)، وابن عبد البر (٢٢٧٦/٢).

٦- شعبة بن الحجاج: أخرجه الخطيب في الكفاية (٩٦٦) بإسناد صحيح.

٧- سفيان بن عيينة: أخرجه البخاري (٢٥/١) معلقًا، ووصله أبو نعيم في مستخرجه كما في التغليق (٦٢/٢).

٨- الشافعي: أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٥١)، وابن عبد البر في الجامع (٢٢٩٢/٢). وإسناده صحيح.

٩- أحمد بن حنبل: أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٥٠)، والخطيب في الكفاية (١٠٠٥/٢) وإسناده فيه عبد الله بن أحمد بن معدان ولم أجد له ترجمة.

١٠- يزيد بن هارون: أخرجه الخطيب في الكفاية (١٠٠٣/٢) وإسناده فيه عبد الله بن أحمد بن معدان ولم أجد له ترجمة.

١١- يحيي القطان: أخرجه الخطيب في الكفاية (١٠٠٢/٢) وإسناده فيه عبد الله بن أحمد بن معدان ولم أجد له ترجمة.

١٢- النضر بن شميل: أخرجه الخطيب في الكفاية (١٠٠٣/٢) وإسناده فيه عبد الله بن أحمد بن معدان ولم أجد له ترجمة.

١٣- أبو عاصم النبيل: أخرجه الخطيب في الكفاية (١٠٠٣/٢) وإسناده فيه عبد الله بن أحمد بن معدان ولم أجد له ترجمة.

١٤- وهب بن جرير: أخرجه الخطيب في الكفاية (١٠٠٣/٢) وإسناده فيه عبد الله بن أحمد بن معدان ولم أجد له ترجمة.

١٥- ثعلب أحمد بن يحيي: أخرجه الخطيب في الكفاية (٩٤٢/٢، ١٠٠٦) وإسناده حسن.

١٦- عبد الرزاق الصنعاني: أخرجه الخطيب في الكفاية (٩٦٨/٢) وإسناده صحيح.

١٧- منصور بن المعتمر: أخرجه الفسوي في المعرفة (٨٢٧/٢) بإسناد صحيح.

١٨- البخاري: كما في صحيحه (٢٦/١).

وعزاه ابن الملقن في التوضيح (٢٧٠/٣) وابن حجر في الفتح (١٧٥/١) إلى أكثر الحجازيين والكوفيين وصححه ابن الحاجب -زاد ابن حجر- واستمر عليه عمل المغاربة.

المذهب الثاني: التفريق بين حدثنا وبين أخبرنا فيقول أخبرنا في العرض وحدثنا في السماع.

١- ابن جريج: أخرجه الرامهرمزي (٢٩٢)، ومن طريقه الخطيب في الكفاية (٩٧٢/٢)، وفي إسناده عبد الله بن أحمد بن معدان الغزاء لم أجد له ترجمة.

٢- الأوزاعي: أخرجه الرامهرمزي (٤٨٩)، ومن طريقه القاضي عياض في الإلماع (ص١٢٧)، والخطيب في الكفاية (٩٦٥/٢، ٩٧٣) بإسناد حسن.

٣- رواية أخرى عن الشافعي: أخرجه الرامهرمزي (٤٨٦)، والخطيب في الكفاية (٩٧٥/٢، ٩٧٦)، وابن عبد البر (٢٢٩٣/٢) من طرق عن الشافعي وهو صحيح عنه.

٤- يحيى بن معين: أخرجه الدوري في تاريخه (١٠٨٤/٢٣١/٣)، والخطيب في الكفاية (٩٦٢/٢) وإسناده صحيح.

٥- أحمد بن صالح: أخرجه الخطيب في الكفاية (٩٥٤/٢، ٩٦٣) وإسناده حسن.

٦- وكيع بن الجراح: أخرجه الخطيب في الكفاية (٩٦٤/٢) وإسناده صحيح.

٧- محمد بن عبد الله الأنصاري: أخرجه الخطيب في الكفاية (٩٦٧/٢) وإسناده صحيح.

وعزاه ابن الملقن وابن حجر لابن وهب وجمهور أهل المشرق وزاد ابن الملقن مسلم بن الحجاج والنسائي.

المذهب الثالث: المنع من قول حدثنا وأخبرنا في القراءة على الشيخ إلا مقيدًا مثل أن يقول حدثنا فلان قراءة عليه وأخبرنا فلان قراءة عليه.

وعزاه ابن الملقن لابن المبارك ويحيي بن يحيي التميمي.

وعزاه ابن حجر لإسحاق بن راهويه وابن حبان وابن مندة والنسائي قال ابن الملقن: وهو المشهور عنه.

وقد رجح الإمام الطحاوي المذهب الأول القائل بالتسوية وجعل يدلل عليه من الكتاب والسنة كما ستراه في هذا الجزء.

قلت: وهو الصحيح.

ومسألة التحمل والأداء لا ينفك عنها طالب علم فهو لا ينفك عن أن يكون طالبا للعلم يتحمل وإذا تحمل وتعلم لابد أن يقوم بحق العلم ويؤدي هذا الذي تحمله إلى من يحمله ومن هنا أخذت هذه المسألة أهميتها واهتمام أهل العلم بها ومن هؤلاء الذين اهتموا بهذه المسألة واحد من الأعلام الفحول الكبار ألا وهو الإمام أبو جعفر الطحاوي كما في هذا الجزء.

وترجع أهمية هذا الجزء إلى:

١- أهمية المسألة التي يحملها بين دفتيه فهي لا يستغني عنها طالب علم ولا عالم في أي مرحلة من مراحل الطلب والأداء.

٢- إلى فضل وعلم مؤلفه لما له من اليد الطولى في خدمة العلم والإسلام عموما وعلم الحديث خصوصا فهو ممن تبحر في هذا العلم وممن رسخت أقدامهم فيه فإذا كتب في مسألةٍ كهذه رأيت الأعناق تشرأب إلى ما كتب للانتفاع به ولهذا كان هذا الجزء موضع اهتمام أهل العلم ومن ذلك:

١- الخطيب البغدادي في الكفاية روي بإسناده إلى الطحاوي بعض كلامه في هذا الجزء (٢/٢٤٦/١٠٠٧).

٢- ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله نقل جل الجزء أيضا بإسناده إليه (٢/١١٤٦/١١٥٠).

٣- ابن المقير ﷺ نقل جله أو بعضه في فوائده بسنده إلى الإمام الطحاوي.

٤- العراقي في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث له (ص١٨٨) وذكر أنه سمع هذا الجزء متصلًا.

٥- ابن الملقن في التوضيح (٣/٢٧١).

٦- السخاوي في فتح المغيث (٢/١٨١) وذكر أنه سمع هذا الجزء.

٧- السيوطي في تدريب الراوي (٢/١٧) وغيرهم.

وقد طبع هذا الجزء قبل ذلك وممن وقفت على تحقيقه الأستاذ سمير الزهيري فلما وجدت أن الجزء قد نشر وتم تحقيقه هممت أن أحجم عن تحقيقه مرة أخرى بقصد

عدم التكرار والبحث عما لم ينشر فهو كثير لتتضافر الجهود لإخراج ما لم يخرج فلما تأملت التحقيق وجدت به عدة أخطاء ولا أقصد بهذه الكلمات ويعلم ربي سوى بيان الحق فقط لا أبغي ذمًّا ولا تشهيرًا ولقد كان أحب إلى إيصال هذا إليه بدون هذا السبيل لكن لم أستطع الوصول إليه.

القصد أنني لما نظرت في التحقيق وجدت به عدة أخطاء تحتاج إصلاحًا وتعديلًا وسدًّا للخلل ومن ذلك:

١- أخطاء في المتن ولا أدرى أهي ممن نسخ المخطوط مع أن النسخة في غاية الوضوح وحسن الخط ظاهر عليها أم هي من الطباعة وسيراها قارئ هذه النشرة.

٢- في الحكم على الأحاديث فقد جانبه الصواب كما في:

أ- رقم (١٢) قال فيه إسناده حسن والصحيح أن إسناده ضعيف جدًّا.

ب- رقم (١٣) قال فيه إسناده صحيح والصواب أن إسناده ضعيف.

٣- سقط منه حديث في المطبوعة مع أنه موجود في النسخة المخطوطة التي اعتمد عليها وهو رقم (١٦) من هذه النشرة.

٤- وهناك آثار وأحاديث لم يخرجها (٢، ٣، ٢٠) وأخرى لم يحكم عليها (١، ٢، ٣).

٥- واختلاف اعتبره مكررا لما قبله كما في (١٥).

ترجمة المؤلف

هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي صاحب التصانيف.

من أهل قرية طحا من أعمال مصر(صعيد مصر).

ولد سنة ٢٣٩ هجرية.

ونشأ في بيت علم فأبوه كان من أهل العلم والبصر بالشعر وروايته.

وأمه كانت معدودة من أصحاب الشافعي الذين كانوا يحضرون مجلسه.

وخاله المزني من أجل أصحاب الشافعي وناشر علمه.

من أبرز شيوخه:

- أبو أميه محمد بن إبراهيم بن مسلم البغدادي الطراسوسي.
- أحمد بن سنان أبو جعفر الواسطي القطان.
- أحمد بن شعيب النسائي.
- أحمد بن أبي عمران.
- إبراهيم بن أبي داود.
- إبراهيم بن مرزوق.
- إسماعيل بن يحيي بن إسماعيل أبو إبراهيم المزني خاله صاحب الشافعي.

- بحر بن نصر.

- بكار بن قتيبة أبو بكرة البصري.

- الربيع بن سليمان المرادي.

- الربيع بن سليمان الأزدي الجيزي.

- روح بن الفرج.

- سليمان بن شعيب.

- عبد الرحمن بن عمرو النصري أبو زرعة الرازي.

- يزيد بن سنان البصري.

- يونس بن عبد الأعلى.

ومن أبرز تلاميذه:

- محمد بن إبراهيم بن علي المشهور بابن المقرئ صاحب المعجم وهو راوي شرح معاني الآثار وسنن الشافعي عن الطحاوي.

- الحسين بن أحمد الهروي صاحب المستخرج على صحيح مسلم.

- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني.

- أبو أحمد عبد الله بن عدي صاحب الكامل في ضعفاء الرجال.

- ابنه علي بن أحمد بن محمد بن سلامة وهو راوي السنن عن النسائي.

- مسلمة بن القاسم أبو القاسم الأندلسي.

والطحاوي إمام مجتهد ثقة ثبت جليل القدر فقيه عالم محدث الديار المصرية وفقيهها ومن نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم وسعة معارفه كما قال الذهبي.

وقال سبط ابن الجوزي: اتفقوا على فضله وصدقه وزهده وورعه.

مصنفاته:

١- مشكل الآثار.

٢- شرح معاني الآثار.

٣- سنن الشافعي.

٤- اختلاف الفقهاء.

٥- العقيدة الطحاوية.

٦- التسوية بين حدثنا وبين أخبرنا وذكر الحجة في ذلك وهو كتابنا هذا.

وفاته:

توفي الإمام الطحاوي سنة ٣٢١ هجرية.

ترجمة رواة الجزء

١- محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن مميل الصدر الكبير.

عماد الدين أبو الفضل ابن القاضي شمس الدين ابن الشيرازي الدمشقي صاحب الخط المنسوب.

ولد سنة ٦٠٥ هجرية.

سمع: أباه وداود بن ملاعب وأبا القاسم بن الحرستاني وجماعة.

روى عنه: ابن الخباز وابن العطار والمزي والبرزالي وطائفة.

كان رئيسا محتشما متمولا متواضعا وقورا مهيبا وافر الحرمة كما قال الذهبي.

٢- أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن إسماعيل بن أبي طالب الهمداني أبو المعالي الأبرقوهي شهاب الدين.

مُسْنِد مصر.

والأبرقوهي بفتح الهمزة والموحدة وسكون الراء وضم القاف وبالهاء.

نسبة إلى أبرقوه وهي بلدة بأصبهان.

ولد في سنة ٦١٥ هجرية.

سمع من أبي بكر عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي وأبي العباس أحمد بن صِرْمَا (بكسر الصاد وسكون الراء وفتح الميم) بن عبد السلام وابن أبي لقمة وأبي البركات عبد القوي بن عبدالعزيز الحُباب وغيرهم.

٣- محمد بن أبي الفضل السيد بن فارس بن سعد بن حمزة أبو المحاسن الأنصاري الدِّمَشْقي الصفار النَّحاس المعروف بابن أبي لقمة.

ولد في شعبان سنة ٥٢٩ هجرية.

وسمعوه: من أبي الفتح نصر الله المِصيصي وهبة الله بن طاووس وعبدان بن زَرِّين الدُّويني ونصر بن مقاتل السوسي وبهجة الملك علي بن عبد الرحمن الصوري وأبي القاسم الخضر بن عبدان وأبي المعالي محمد بن علي القرشي.

وكان أسند من بقي بالشام.

روى عنه:

البرزالي والسيف بن المجد والتاج بن سيف الأمناء والشهاب الأبرقوهي وآخرون.

قال عمر ابن الحاجب: كان رجلا صالحا كثير الخير والتلاوة وكان لسانه رطبا بذكر الله محبا للغرباء وطلبة العلم كريم النفس عُمِّر حتي تفرد عن جماعة مُمَتَّعًا بسمعه وبصره وقوته إلى أن توفي ولده قَبْلَهُ بقليل فوجد عليه وجدا عظيما فانحطم لذلك وقعد في بيته واستولت عليه زَمَانَة وثقل سمعه قبل موته بقليل في الشتاء وكان ينصلح في الصيف ولم يسمع على قدر سنه.

وكانت سماعاته في أصول الناس.

مات في ثالث ربيع الأول سنة ٦٢٣ هجرية.

٤- نصر بن أحمد بن مقاتل بن مطكود (بفتح الميم وإهمال الطاء وضم الكاف) أبو القاسم السوسي ثم الدمشقي.

سمع من: جده وأبي القاسم بن أبي العلاء المِصيصي وأبي عبد الله بن أبي الحديد وسهل بن بشر الاسفراييني.

روى عنه: أبو القاسم بن عساكر وابنه القاسم والحافظ أبو المواهب بن صَصْرَى وأخوه أبو القاسم وطُرخان بن ماضي الشاغوري وآخرون.

قال ابن عساكر: كان شيخا مستورا لم يكن الحديث من شأنه.

توفي في التاسع عشر من ربيع الأول سنة ٥٤٨ هجرية.

قال الذهبي: هو راوي جزء علي بن حرب راوية البلديين.

٥- سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد أبو الفرج الإسفراييني الصوفي المحدث.

قال ولدت ببسطام سنة ٤٠٩ هجرية.

سمع علي بن حِمّصَة وعلي بن منير وعلي بن ربيعة ومحمد بن الحسين الطفال والحسن بن خلف الواسطي صاحب ابن ماسي بمصر في آخرين.

روى عنه ابناه: طاهر والفضل وهبة الله بن طاوس ونصر الله المصيصي الفقيه وأحمد بن سلامة وجماعة.

توفي في ربيع الأول سنة ٤٩١ هجرية.

قال أبو بكر الحافظ: كيس صدوق.

٦- سعيد بن محمد بن الحسن المروزي الإدريسي.

إمام وخطيب جامع صور.

روى عن: أحمد بن فراس العبقسي وأبي الحسين بن بشران المعدل وجماعة.

روى عنه مكي الرُّمَيْلي وأجاز لهبة الله بن الأكفاني.

توفي في شعبان سنة ٤٥٩ هجرية.

٧- محمد بن الحسن بن عمر أبو عبد الله الناقد المصري البزاز ويعرف بابن عين الغزال.

روى عن: ابن حَيَوَيَّة النيسابوري.

وعنه: أبو طاهر بن أبي الصقر.

قال ابن ماكولا: توفي سنة نيف وثلاثين وأربعمائة.

٨- أحمد بن سليمان بن عمرو الجَرِيرِي.

صاحب ابن جرير الطبري.

روى عن: محمد بن محمد الباغندي وأبي جعفر الطحاوي وجماعة.

روى عنه: محمد بن الحسن الناقد وأحمد بن عمر بن محفوظ المصريان.

توفي بمصر سنة ٣٧١ هجرية.

قال الذهبي: كان كثير الحديث.

وصف النسخة الخطية

اعتمدت على صورة مصورة من المكتبة المركزية لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض بالسعودية وهي مصورة عن الأصل المحفوظ بتشستربتي بأيرلندا.

عنوان المخطوط: التسوية بين حدثنا وبين أخبرنا وذكر الحجة في ذلك.

اسم المصنف: أبو جعفر الطحاوي، محمد بن أحمد بن سلامة الطحاوي.

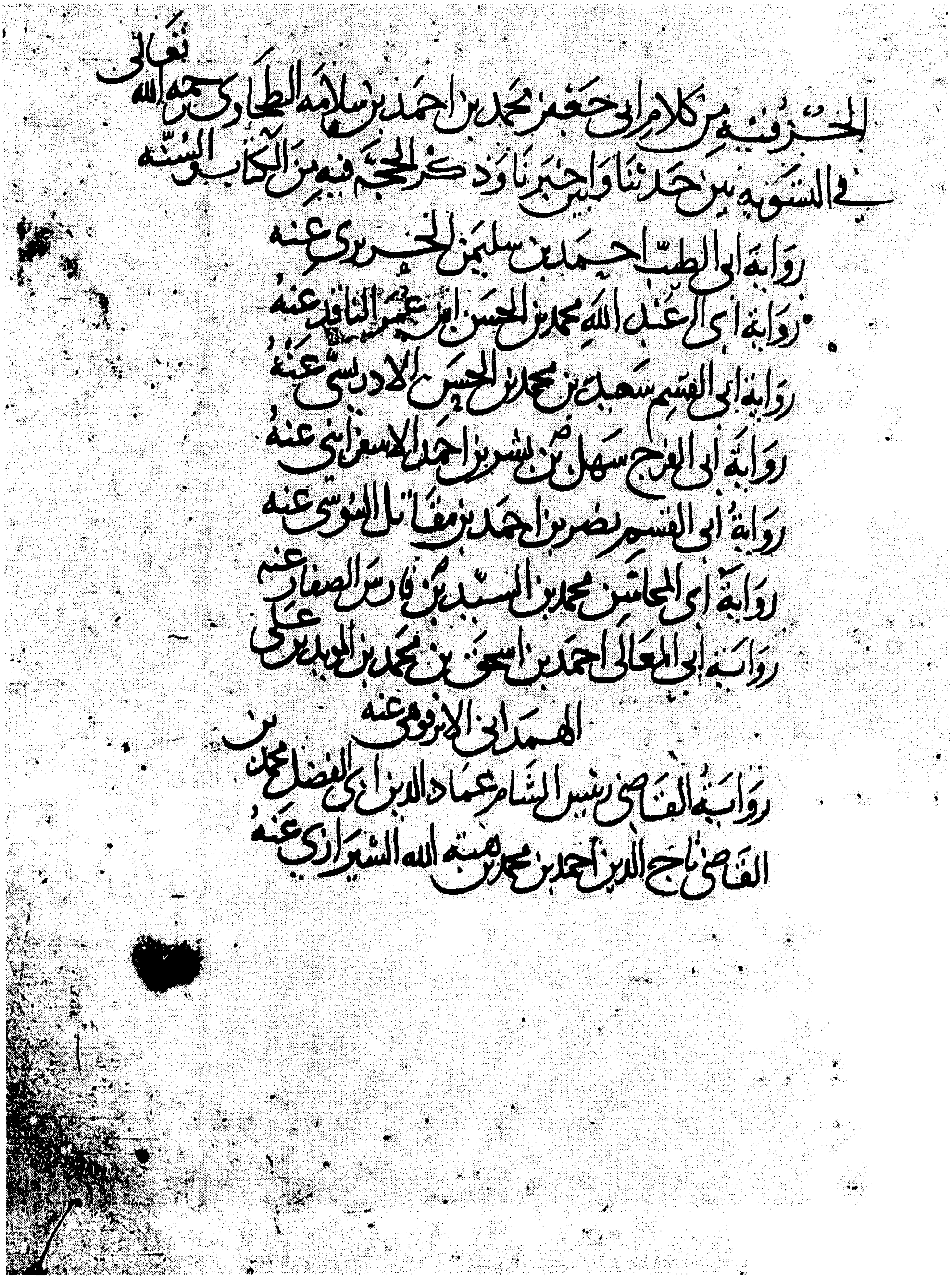
بداية النسخة: بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسّر، أخبرنا الشيخ العالم المسند الأصيل شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن الحافظ رفيع الدين أبي محمد إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمداني...

نهاية النسخة:... أن يكون ذلك في الحديث كذلك، والله أعلم بالصواب، تم الفصل من كلام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله.

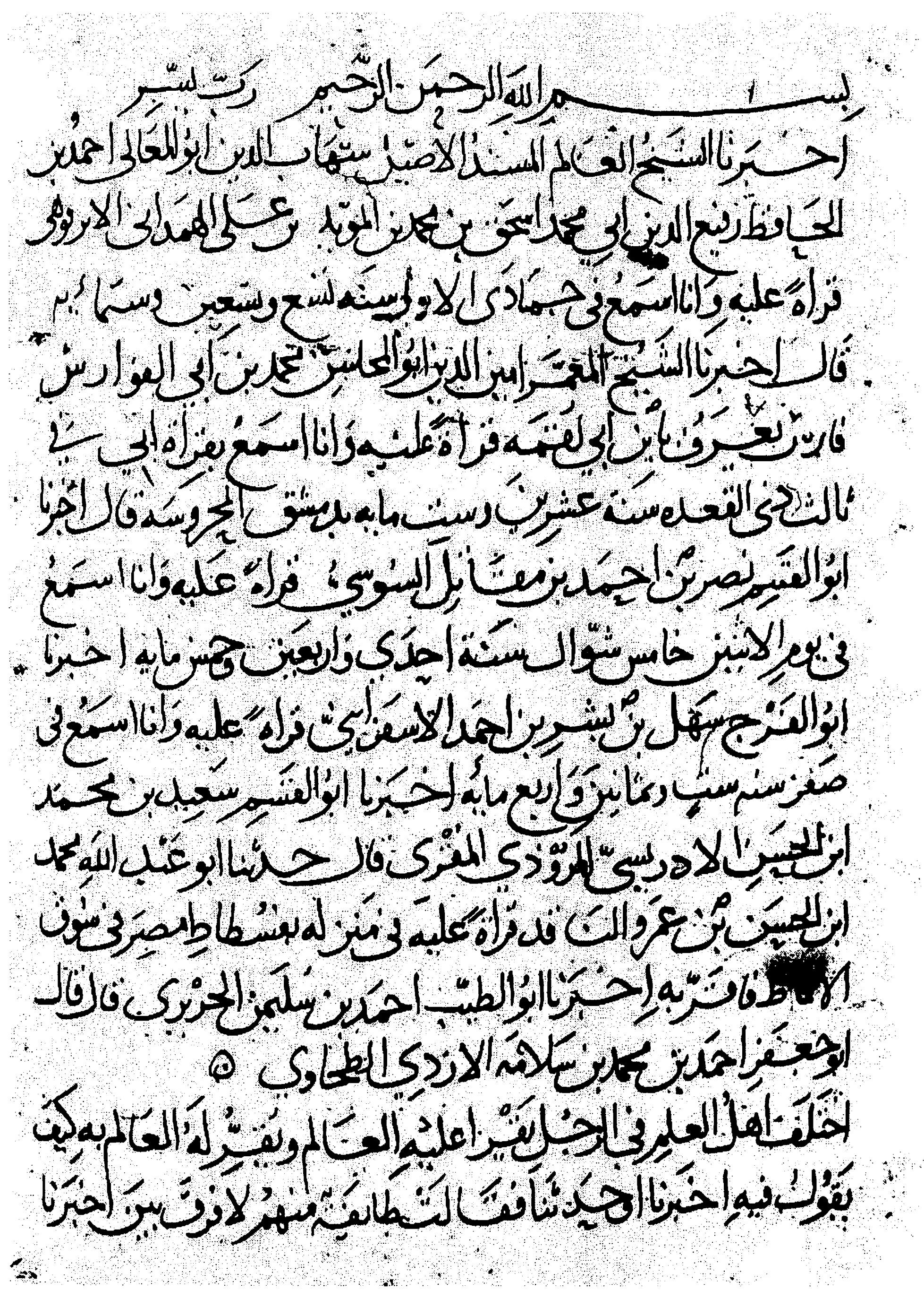
عدد الأوراق: ٠٧.

عدد أسطر الورقة: ١٧.

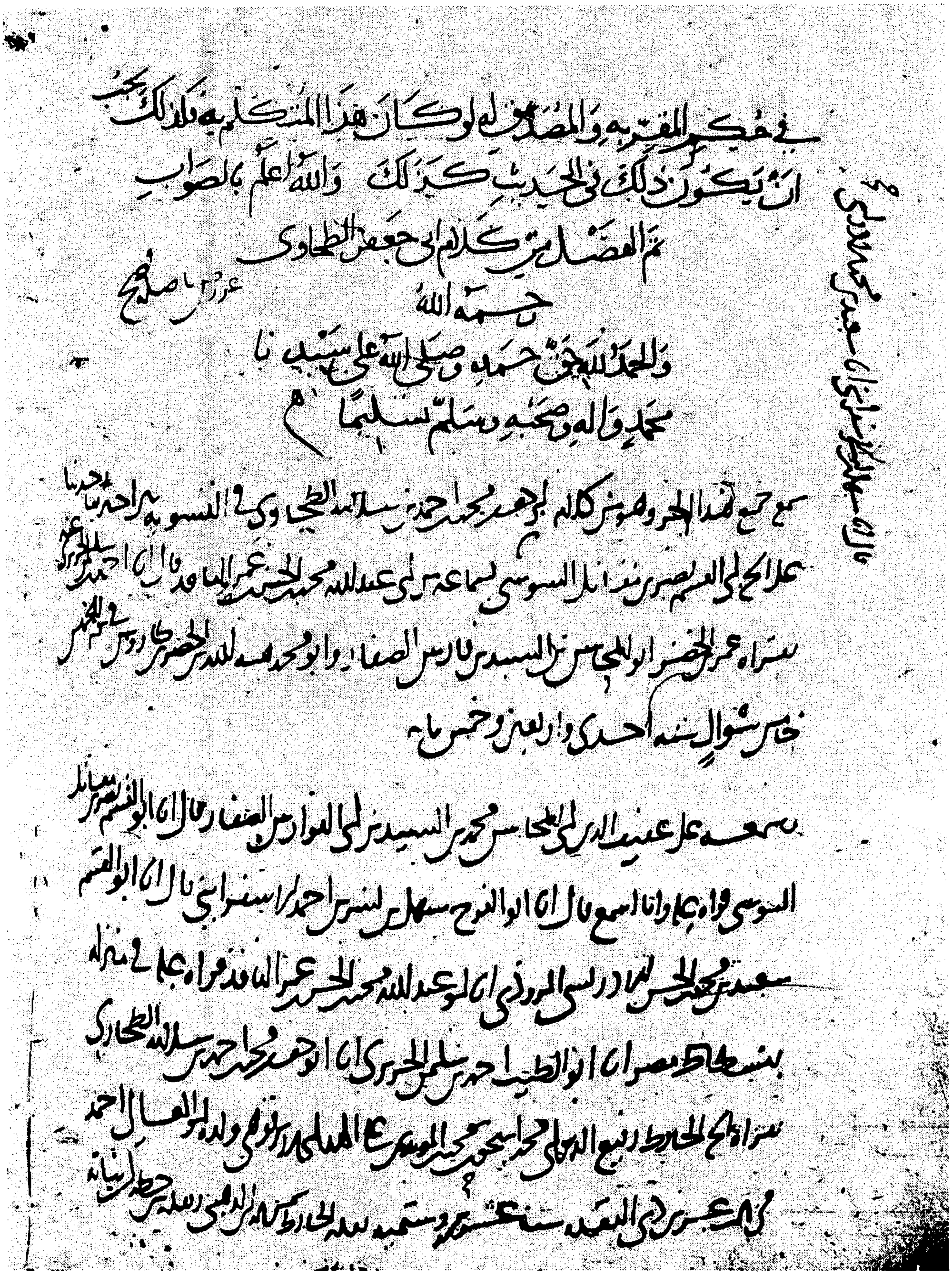
وهي نفيسة للغاية، وخطها جميل ومضبوطة بالقلم وفي آخرها سماعات، لجمع من العلماء.


الجزء فيه من كلام ابي جعفر محمد بن احمد بن سلامه الطحاوي رحمه الله تعالى
في التسويه بين حدثنا واخبرنا وذكر الحجه فيه من الكتاب والسنه
رواية ابي الطيب احمد بن سليمن الحريري عنه
رواية ابي عبد الله محمد بن الحسن ابن عمر الناقد عنه
رواية ابي القسم سعد بن محمد بن الحسن الادريسي عنه
رواية ابي الفرج سهل بن بشر بن احمد الاسفرايني عنه
رواية ابي القسم نصر بن احمد بن مقاتل السوسي عنه
رواية ابي المحاسن محمد بن السيد بن فارس الصفار عنه
رواية ابي المعالي احمد بن اسحق بن محمد بن المؤيد بن علي
الهمداني الابرقوهي عنه
رواية القاضي رئيس الشام عماد الدين ابي الفضل محمد بن
القاضي تاج الدين احمد بن محمد بن هبة الله الشيرازي عنه

الورقة الأولى من المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر
أخبرنا الشيخ العالم المسند الأصيل شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن
الحافظ رفيع الدين أبي محمد إسحق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمداني الأبرقوهي
قراءة عليه وأنا أسمع في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة
قال أخبرنا الشيخ المعمر أمين الدين أبو المحاسن محمد بن أبي الفوارس
فارس بن يعرف بابن أبي لقمة قراءة عليه وأنا أسمع بقراءة أبي في
ثالث ذي القعدة سنة عشرين وستمائة بدمشق المحروسة قال أخبرنا
أبو القسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسي قراءة عليه وأنا أسمع
في يوم الاثنين خامس شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أخبرنا
أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الإسفرائيني قراءة عليه وأنا أسمع في
صفر سنة ست وثمانين وأربعمائة أخبرنا أبو القسم سعيد بن محمد
ابن الحسين الإدريسي المروذي المقرئ قال حدثنا أبو عبد الله محمد
ابن الحسن بن عمر الناقد قراءة عليه في منزله بفسطاط مصر في سوق
الأنماط وأقر به أخبرنا أبو الطيب أحمد بن سليمان الحريري قال قال
أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي
اختلف أهل العلم في الرجل يقرأ عليه العالم ويقرأ له العالم به كيف
يقول فيه أخبرنا أو حدثنا فقالت طائفة منهم لا فرق بين أخبرنا

الصفحة الأولى من الورقة الثانية



في حكم المقرب والمصدق له لو كان هذا المتكلم به كذلك يجب
أن يكون ذلك في الحديث كذلك والله أعلم بالصواب
تم الفصل من كلام أبي جعفر الطحاوي
رحمه الله
والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الصفحة الأولى من الورقة الأخيرة

الجزء فيه من كلام أبي جعفر أحمد بن محمد[١] بن سلامة الطحاوي رحمه الله تعالى:

(في التسوية بين حدثنا وبين أخبرنا وذكر الحجة فيه من الكتاب والسنة)

رواية أبي الطيب أحمد بن سليمان الحريري عنه.

رواية أبي عبد الله محمد بن الحسن بن عمر الناقد عنه.

رواية أبي القاسم سعيد بن محمد بن الحسن الإدريسي عنه.

رواية أبي الفرج سهل بن بشر بن أحمد الاسفراييني عنه.

رواية أبي القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسي عنه.

رواية أبي المحاسن محمد بن السيد بن فارس الصفار عنه.

رواية أبي المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمداني الأبرقوهي عنه.

رواية القاضي رئيس الشام عماد الدين أبي الفضل محمد بن القاضي تاج الدين أحمد[٢] بن محمد بن هبة الله الشيرازي عنه (١ب).

---

(١) في الأصل: (محمد بن أحمد بن سلامة)، وهو خطأ، والصحيح ما أثبته.

(٢) في تاريخ الإسلام للذهبي (٤٨٣/١٥): محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن مميل عماد الدين أبو الفضل ابن القاضي شمس الدين ابن الشيرازي الدمشقي.

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

أخبرنا الشيخ العالم المسند الأصيل شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن الحافظ رفيع الدين أبي محمد إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمداني الأبرقوهي قراءة عليه وأنا أسمع في جُمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة قال أخبرنا الشيخ المعمر أمين الدين أبو المحاسن محمد بن أبي الفوارس فارسي يعرف بابن أبي لقمة قراءة عليه وأنا أسمع بقراءة أبي في ثالث ذي القعدة سنة عشرين وستمائة بدمشق المحروسة قال أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم الاثنين خامس شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أخبرنا أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الإسفراييني قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة ست وثمانين وأربعمائة أخبرنا أبو القاسم سعيد بن محمد بن الحسن الإدريسي المروذي المقرئ قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عمرو الناقد قراءة عليه في منزله بفسطاط مصر في سوق الأنماط فأقر به أخبرنا أبو الطيب أحمد بن سليمان الحريري قال:

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي: اختلف أهل العلم في الرجل يَقرأ على[١] العالم ويُقِرُّ له العالم به كيف يقول فيه أخبرنا أو حدثنا.

فقالت طائفة منهم لا فرق بين أخبرنا (٢أ) وبين حدثنا وله أن يقول أخبرنا وحدثنا فمن قال ذلك بينهم: أبو حنيفة ومالك بن أنس وأبو يوسف ومحمد بن الحسن[٢].

---

(١) في الأصل: (عليه)، وهو خطأ، ولعله سبق قلم، والصواب ما أثبته، وقد رواه ابن عبد البر بإسناد صحيح إلى المصنف على الصواب.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٤٦/٢) بإسنادٍ صحيح إلى الطحاوي.

١- كما حدثنا أحمد بن أبي عمران ثنا سليمان بن بكار ثنا أبو قطن قال: قال لي أبو حنيفة: اقرأ عليَّ وقل حدثني وقال لي مالك بن أنس: اقرأ عليَّ وقل حدثني[١].

٢- وكما حدثنا روح بن الفرج ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: لما فرغنا من قراءة الموطأ علي مالك بن أنس قام إليه رجل فقال له: يا أبا عبد الله كيف تقول في هذا؟ فقال: إن شئت فقل حدثني وان شئت فقل أخبرني وإن شئت فقل أخبرنا: قال وأراه قد قال: وإن شئت فقل سمعت[٢].

---

(١) صحيح.

أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/١١٤٦/٢٢٥٩) أنا عبد الرحمن بن مروان ثنا أبو الطيب أحمد بن سليمان بن عمرو البغدادي ثنا أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي ثنا أحمد بن أبي عمران ثنا سليمان بن بكار ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم بن قطن به.

قلت: رجال إسناده ثقات إلا سليمان بن بكار فلم أجد له ترجمة لكنه توبع، تابعه:

١- يحيى بن أيوب:

أخرجه الخطيب في الكفاية (٢/١٥٩/٩٩٣) من طريق ابن أبي خيثمة وهذا في أخبار المكيين من تاريخه (٣٦٥) قال: ثنا يحيى بن أيوب سمعت أبا قطن بنحوه مقتصرًا على قول أبي حنيفة وحده.

قلت: وإسناده صحيح.

٢- الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني:

أخرجه الخطيب في الكفاية (٢/٢٥٩/٩٩٢).

٣- أبو ثور إبراهيم بن خالد الفقيه:

أخرجه الخطيب في الكفاية (٢/١٦٠/٩٩٤).

(٢) إسناده صحيح.

أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/١١٤٦/٢٢٦٠) بسنده إلى أبي جعفر الطحاوي ثنا روح به سواء.

قلت: إسناده صحيح.

يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي صدوق واسع العلم تُكلم في روايته عن مالك ولكن روايته هنا رواية لواقعة حضرها، ومما لا شك فيه أن فيها من دواعي الحفظ ما ليس في غيرها.

وتوبع روح بن الفرج.

أخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة (٢/٨٢٨) ثنا ابن بكير به.

٣- وكما حدثنا سليمان بن شعيب عن أبيه أن أبا يوسف أملي عليهم هذه المعاني كما ذكرناه(١).

وقالت طائفة منهم: يقول في ذلك أخبرنا ولا يجوز أن يقول في ذلك حدثنا إلا فيما سمِعه من لفظ الذي يُحدِث به عنه.

قال أبو جعفر: ولما اختلفوا في ذلك نظرنا فيما اختلفوا فيه منه فلم نجد بين الحديث وبين الخبر في هذا فرقًا في كتاب الله ﷻ ولا في سنة رسول الله ﷺ.

فأما في كتاب الله ﷻ فقوله عز اسمه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة:٤-٥] فذكرها بالحديث عما وقعت عليه(٢) أمور بني (٢ب) أدم قبل ذلك فوجب بهذا أن الحديث معناه معنى الخبر(٣) وقوله عز ذكره: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبة:٩٤] وهي الأشياء التي كانت منهم.

وقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج:١٧] أي ما كان من الجنود وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢] أي ولا يكتمونه شيئًا وقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر:٢٣] وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية:١] وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤] قال أبو جعفر: فكان المراد في هذه الأشياء المذكورة في هذه الآي التي تلونا أنه سمى في بعضها خبرًا وسمى في بعضها حديثًا.

وكذلك روي عن رسول الله ﷺ.

---

(١) في إسناده والد سليمان بن شعيب، لم أجد له ترجمة.

(٢) في المطبوعة: (عليها)، وما أثبتُّه من المخطوط وهو الصواب.

(٣) أخرجه الخطيب في الكفاية (١٠٠٧/٢٦٤/٢)، وابن عبد البر في الجامع (١١٤٦/٢) بإسناد حسن إلي أبي جعفر الطحاوي.

٤- كما حدثنا يزيد بن سنانٍ ثنا محمد بن عبيد بن حِسَابٍ ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الخليل الضُبَعي عن مجاهدٍ عن بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه: «أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ، مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ» قال: فجعل القوم يذكرون شجر البوادي وألقي في نفسي أو في روعي أنها النخلة فجعلت أريد أن أقولها فأرى أسنان القوم فأهاب أن أتكلم فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»(١).

---

(١) **إسناده صحيح.**

أخرجه ابن المقيِّر في فوائده (٧٩) من طريق أبي الطيب أحمد بن سليمان الحريري قال: قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي به سواء.

قلت: إسناده صحيح.

وأخرجه مسلم (٦٤/٢٨١١)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٧٧٣) -ومن طريقه ابن مندة في الإيمان (١٨٩)-.

كلاهما قالا: ثنا محمد بن عبيد به.

وتوبع محمد بن عبيد.

تابعه:

١- فضيل بن حسين أبو كامل الجحدري:

أخرجه بن حبان(٢٤٥) أنا أبو الطيب محمد بن علي الصيرفي عنه.

٢- أبو النعمان محمد بن الفضل عارم:

أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٥١٧) ثنا علي بن عبد العزيز عنه.

وتوبع أبو الخليل صالح بن أبي مريم.

تابعه:

١- عبد الله بن أبي نجيح المكي:

أخرجه البخاري (٧٢)، ومسلم (٦٤/٢٨١١)، وأحمد (١٢/٢)، والدارمي(٢٨٢)، والحميدي (٦٧٦)، وابن جرير في التفسير (٢٠٦٩٦)، والطبراني في الكبير (١٣٥٠٨) من طريق سفيان بن عيينة عنه به.

٢- سليمان بن مهران الأعمش:

أخرجه البخاري (٥١٣٣)، وأحمد (٤٢/٢)، وابن حبان (٢٤٤)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٧٧١)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٩٦٥) من طرق عنه به.=

=٣- أبو بشر جعفر بن إياس:
أخرجه البخاري (٢٠٩٥)، وابن نصر في التعظيم (٧٧٢)، والطبراني في الكبير (١٣٥١٣)، وأبو الشيخ في الأمثال (٣٥٤، ٣٥٦)، والرامهرمزي في الأمثال (٣٧)، والبغوي في الشمائل (٩٨٤) من طرق عنه بنحوه.
٤- زبيد بن الحارث بن عبد الكريم اليامي:
أخرجه البخاري (٥١٣٣)، وعلي بن الجعد في مسنده (٢٧٠٩)، والطبراني في الأوسط (٥٠٩٥) من طرق عن محمد بن طلحة عنه.
٥- أبو سليمان المكي سيف بن سليمان:
أخرجه مسلم (٦٤/٢٨١١) ثنا ابن نمير ثنا أبي عنه بنحوه.
٦- سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي:
أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٩١٦) من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عنه به.
وقال الطبراني: لم يروه عن سلمة إلا يحيى.
قلت: يرحمك الله فقد رواه غيره.
فأخرجه أحمد (١١٥/٢)، وأنت في الكبير (١٣٥٢٠، ١٣٥٢١) من طريق شريك بن أبي نمر عن سلمة به.
٧- لَيْثُ بنُ أبي سُلَيْم:
أخرجه الرامهرمزي في الأمثال (٣٥) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عنه به.
٨- إبراهيم بن ميسرة:
أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٣٦٩) من طريق محمد بن مسلم الطائفي عنه به.
وتوبع مجاهد بن جبر.
تابعه:
١- نافع مولى بن عمر:
أخرجه البخاري (٤٤٢١، ٥٧٩٢)، وفي الأدب المفرد (٣٦٠)، ومسلم (٦٤/٢٨١١)، وابن جرير في التفسير (٢٠٧٠٠، ٢٠٧٠١)، وابن نصر في التعظيم (٧٧٠)، والطبراني في مكارم الأخلاق (٩٣)، والرامهرمزي في الأمثال (٣٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٩٦٦)، وابن مندة في الإيمان (١٨٧) من طريق عبيد الله بن عمر.
وأخرجه الطبراني في الصغير (٥٧٨) من طريق محمد بن سوقة.
كلاهما عن نافع به.
٢- عبد الله بن دينار:
أخرجه البخاري (٦١)، ومسلم(٦٣/٢٨١١)، والنسائي في الكبرى (١١٢٦١)، والترمذي (٢٨٦٧)، ومالك في الموطأ (٩٦٣)-رواية محمد بن الحسن-، وإسماعيل بن جعفر في حديثه (٣٢)، وأحمد (٦١/٢، ١٢٣، ١٥٧)،=

قال أبو جعفر: فكان (٣أ) قول رسول الله ﷺ عن هذا الحديث: أخبروني في معنى قوله: حدثوني.

٥- وكما حدثنا محمد بن عمرو[1] بن يونس قال حدثني أسباط بن محمد عن الشيباني عن عامر عن فاطمة ابنة قيس قالت بينما الناس بالمدينة آمنين ليس لهم

=والحميدي في مسنده (٦٧٧)، ومحمد بن نصر في التعظيم (٧٦٩)، وابن جرير في التفسير (٢٠٦٩٨، ٢٠٦٩٩)، وابن حبان (٢٤٣، ٢٤٦)، وأبو الشيخ في الأمثال (٣٥٦)، وابن مندة في الإيمان (١٨٨)، والبغوي في الشرح (١٤٣)، وفي التفسير (٣٤٨/٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٥٥٨) من طرق عنه.

٣- محارب بن دثار السدوسي:

أخرجه البخاري (٥٧٧١)، وأحمد (٣١/٢)، وعلي بن الجعد في مسنده (٧٢١)، وابن مندة في الإيمان (١٩٠)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢٩٤/١)، والبيهقي في المدخل(٥٦٢)، والخطيب في التاريخ (٤٥٤/٦) من طرق عن شعبة عنه بنحوه.

٤- محمد بن أبي حكيم:

أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٢٩٣)، وفي الأوسط (٤٥٣٤) من طريق أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن عنه بلفظ: «إنما مثل المؤمن مثل شجرة لا يسقط ورقها: النخلة».

قلت: وهذا إسناده ضعيف.

أولًا: محمد بن أبي حكيم ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٤١/٧) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

ثانيًا: قد تفرد به ابن لهيعة كما قال الطبراني وهو سيئ الحفظ وكان اختلط والراوي عنه هنا ليس ممن نص العلماء على سماعه منه قبل احتراق كتبه واختلاطه.

٥- محمد بن ربيع:

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب العالية (٣٤١٦) ثنا أبو النضر ثنا كثير بن هشام ثنا الحكم عن محمد بن ربيع بنحوه.

قلت: محمد بن ربيع هذا لم أجد له ترجمة ولعل اسمه وقع فيه تصحيف أو تحريف، والله أعلم.

٦- حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب:

أخرجه ابن مندة في الإيمان (١٩٠) من طريق شبابة بن سَوَّار عن شعبة بن الحجاج عن خبيب بن عبد الرحمن عنه بنحوه.

قلت: إسناده صحيح لو كان شيخ ابن مندة عبد الله بن إبراهيم بن الصباح ثقة فإني لم أجد له ترجمة.

(١) في الأصل (عمر)، وما أثبته من الهامش مصححًا.

فزع إذ خرج رسول الله ﷺ فصلى الظهر ثم أقبل يمشي حتى صعد المنبر ففزع الناس فلما رأى ذلك في وجوههم قال: «إني لم أفزعكم، ولكن أتاني أمر فرحتُ به، فأحببتُ أن أخبركُم[1] بفرح نبيكُم، إن تميمًا الداري أخبرني أن قومًا من بني عمٍ له، ركِبوا في سفينةٍ في البَحرِ» ثم ذكر حديث الجساسة بطوله.

قال: فلقيت عبد الرحمن بن أبي بكر فحدثته فقال: أشهد أن عائشة حدثتني بهذا قال: فلقيت محرز بن أبي هريرة فقال: أشهد على أبي أنه حدثني بهذا[2].

---

(١) في الأصل: (أفرحكم)، وما أثبته من الهامش مصححًا ومن مصادر التخريج.

(٢) إسناده ضعيف وهو صحيح.

أخرجه المصنف في مشكل الآثار (٢٩٤٧) ثنا محمد بن عمرو بن يونس به سواء.

قلت: إسناده ضعيف.

محمد بن عمرو بن يونس:

قال عنه العقيلي: يذهب إلى الرفض حدث بمناكير.

لكنه توبع.

فأخرجه ابن مندة في الإيمان (١٠٥٧/٩٥٠/٢) أنا محمد بن الحسين بن الحسن ثنا أحمد بن الأزهر النيسابوري ثنا أسباط بن محمد.

وأخرجه إبراهيم الحربي في الغريب (٢٢٩/١)، والطبراني في الكبير (٩١٦٠/٣٩٢/٢٤)، وابن مندة في الإيمان (٢/ ٩٥٣) من طرق عن محمد بن فضيل.

كلاهما عن الشيباني سليمان بن أبي سليمان عن الشعبي عن فاطمة.

قلت: إسناده صحيح.

وأخرجه مسلم (٢٩٤٢)، وأبو داود (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، والنسائي في الكبرى (٤٢٥٨)، والترمذي (٢٢٥٣)، وابن ماجة (٤٠٧٤)، وأحمد (٣٧٣/٦-٣٧٤)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٣٦١)، والحميدي في مسنده (٣٦٤)، وابن أبي شيبة (٣٧٥٢٠، ٣٧٦٣٦)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٠١٨)، وحنبل في الفتن (١)، وابن حبان(٦٧٨٨، ٦٧٨٩)، وأبو يعلى (٢٨٢)، والروياني في مسنده (١٥٢٩)، وأبو عمرو الداني في الفتن (٦٢٥، ٦٢٦)، وتمام في الفوائد (١٥٨٧)، والخطابي في الغريب (١٥٢/١)، والطبراني (٩٥٦/٢٤، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠)، والآجري في الشريعة (٨٧٥، ٨٧٦)، وابن مندة في الإيمان (١٠٥٧/٩٥٠/٢)، (٩٥٥/٩٥٣/٢)،=

قال أبو جعفر: فذكر رسول الله ﷺ عن تميم ما ذكره له بالإخبار لا بالحديث.

٦- وكما حدثنا بكار بن قتيبة وإبراهيم بن مرزوق قالا ثنا أبو عاصم عن الأوزاعي عن حسان بن عطيه عن أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٣ب) قال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن يكذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»(١).

=(١٠٦٠/٩٥٥/٢)، والبيهقي في الدلائل (٢١٥٠)، والبغوي في الشرح (٤٢٦٨)، وعبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا (١٤٦) من طرق عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس بنحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث قتادة عن الشعبي وقد رواه غير واحد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس.

قلت: وقد رواه عن الشعبي: «مجالد بن سعيد، وعبد الله بن بريدة، وداود بن أبي هند، وأبو الزناد عَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَانَ، وقتادة بن دعامة السدوسي، وسيار أبو الحكم العنزي، وغيلان بن جرير، وعمارة بن غزية، وعمران بن سليمان المرادي، وجعفر بن حيان العطاردي، وعيسى بن أبي عيسى الحناط، وعبد الملك بن عمير، وزياد بن كليب، ومحمد بن أيوب الثقفي، وسلمة بن كهيل».

(١) إسناده صحيح.

أخرجه أبو طاهر السِّلفي في معجم السفر (٨٠٧)، وابن المُقَيَّر في فوائده (٨٠) من طريق أبي الطيب أحمد بن سليمان أنا أبو جعفر الطحاوي، وهذا في مشكل الآثار (١٣٤، ٣٩٨)، وفي شرح معاني الآثار (٥٥٧٠/١٢٨/٤).

ثنا بكار بن قتيبة وإبراهيم بن مرزوق قالا: ثنا أبو عاصم به سواء.

قلت: إسناده صحيح.

وأخرجه البخاري (٣٢٧٤).

وأخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٥٢٢/٢)-ومن طريقه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٢)-.

وأخرجه الترمذي (٤٠/٥) ثنا محمد بن بشار.

وأخرجه الحاكم (١٠٤/١)، وعنه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٢٠) من طريق أبي قِلابة الرقاشي عبد الملك بن محمد البصري.

وأخرجه الطبراني في جزء طرق حديث من كذب علي متعمدًا (٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٧٨/٦) من طريق=

=أبي مسلم الكشي.
وأخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٢)، وعبد الغني المقدسي في نهاية المراد (١٣٣) من طريق إبراهيم بن عبد الله البصري.
جميعًا عن أبي عاصم النبيل الضحاك بن مخلد الشيباني به.
وتوبع أبو عاصم.
فأخرجه أحمد (١٥٩/٢) -ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٥٧/٨-٩)-، وأبو خيثمة في العلم (٤٥)، وابن حبان (٦٢٥٦)، والخطيب في التاريخ (٢٠٣/١٥)، وفي شرف أصحاب الحديث (١٢)، والأطربلسي في المعجم (١٠٧)، والأزدي في أوهام مدخل الحاكم (٢٠) من طريق الوليد بن مسلم.
وأخرجه أحمد (٢٠٢/٢)، وابن أبي شيبة (٢٦٦٤٤، ٢٦٨٩٧)، وأحمد بن الفرات في جزئه (١٠)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/٢)، والبيهقي في الآداب (٨٦٤)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٢)، وابن عبد البر في الجامع (١٤٨٣)، وابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (٤٥٩/٢) من طريق عبد الله بن نمير.
وأخرجه أحمد (٢١٤/٢)، والدارمي (٥٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٧٨/٦) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخوْلاني.
وأخرجه أحمد(٢٠٢/٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (٦٦٢) من طريق عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وهذا في المصنف (١٠١٥٧، ١٩٢١٠)، وفي التفسير (٢٠٥/٢).
وأخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/٢)، وابن عساكر في التاريخ (٣٧/٦٤) من طريق الوليد بن مزيد البيروتي.
وأخرجه ابن المقرئ في المعجم (٨٥٨)، والطبراني (١٥٢٥)، وفي الصغير (٤٦٢)، وعبد الغني المقدسي في نهاية المراد (١٣٢) من طريق سفيان الثوري.
وأخرجه المصنف في مشكل الآثار (١٣٣، ٣٩٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/٢) من طريق بشر بن بكر.
وأخرجه الطبراني في جزء طرق حديث من كذب علي متعمدًا (٥٩)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٧٨/٦)، والبغوي في الشرح (١١٣)، وفي التفسير (١٣٤/٣) من طريق يحيى بن عبد الله البابلتي.
وأخرجه ابن حذلم في حديث الأوزاعي (١٢) من طريق إسماعيل بن عبد الله بن سماعة.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧٨/٦) من طريق محمد بن كثير الصنعاني.
وأخرجه الحاكم في المدخل (٨٣/١)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٢) من طريق محمد بن مصعب القرقاسي.=

قال أبو جعفر: فذكر رسول الله ﷺ ما يكون منهم من ذكر أمور بني إسرائيل بالحديث لا بالإخبار.

٧- وكما حدثنا الربيع بن سليمان المرادي حدثنا شعيب بن الليث ثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال له أعرابي جاءه: إني حَلَمتُ أن رأسي قُطع فإني أتبعه، فزجره النبي ﷺ وقال: «**لا تخبر بتلاعب الشيطانِ بك في المنام**»(١).

=وأخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٢) من طريق أبي إسحاق الفزاري ومحمد بن القاسم الأسدي والحسن بن علي.

جميعًا عن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو عن حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو بنحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: صحيح مشهور من حديث الأوزاعي عن حسان.

وقال البغوي: هذا حديث صحيح.

وتوبع الأوزاعي.

تابعه ابن ثوبان عبد الرحمن بن ثابت.

فأخرجه الترمذي (٢٦٦٩) -ومن طريقه ابن العديم في بغية الطلب (١٠٥/٣)-، والخطيب في الجامع (١٣٥٠)، وفي شرف أصحاب الحديث (١٣)، والذهبي في التذكرة (١١٩٧/٣) من طريق ابن ثوبان ومحمد بن يوسف بن ثابت عن حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو بنحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه مسلم (١٢/٢٢٦٨، ١٤)، وأخرجه النسائي في الكبرى (٧٦٠٩، ٧٦١٠، ١٠٦٨٢).

وأخرجه ابن حبان (٦٠٥٦) من طريق قتيبة بن سعيد.

وأخرجه مسلم (١٢/٢٢٦٨)، (١٤/٢٢٦٨)، وابن ماجة (٣٩١٣) قالا: ثنا محمد بن رمح المهاجري.

وأخرجه أحمد (٣٥٠/٣) ثنا حجين بن المثني اليمامي ويونس بن محمد المؤدب.

وأخرجه عبد بن حميد (١٠٤٦) ثنا أحمد بن يونس.

وأخرجه أبو يعلى الموصلي (٢٢٦٢) ثنا كامل بن طلحة الجحدري.=

=وأخرجه الحاكم (٤/٣٩٢) من طريق سعيد بن عفير وعبد الله بن صالح.
وأخرجه الخطيب في التاريخ (١٤/١٦١/٦٦٤٣) من طريق شجاع بن الأشرس بن ميمون السرخسي.
وأخرجه الخطيب في التاريخ (١٤/١٦١/٦٦٤٣) من طريق أبي الجهم العلاء بن موسى بن عطية الباهلي وهذا في جزئه (٥).
عشرتهم قالوا: ثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير جابر به.
قلت: إسناده حسن.
أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس صدوق ومدلس وقد انتفت علة تدليسه برواية الليث بن سعد عنه.
وتوبع الليث بن سعد.
تابعه:
١- سفيان بن عيينة:
فأخرجه أحمد (٣/٣٠٧).
وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٩٩٠).
وأخرجه الحميدي في المسند (١٣٢٣).
وأخرجه أبو يعلى (١٨٤٠) ثنا أبو خيثمة.
وأخرجه أبو يعلى (١٨٥٨) ثنا داود بن عمر بن زهير الضبي.
خمستهم قالوا: ثنا سفيان بن عيينة.
٢- زكريا بن إسحاق المكي:
وأخرجه أحمد (٣/٣٨٣) ثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن إسحاق المكي.
كلاهما عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه بنحوه.
قلت: إسناده حسن.
أبو الزبير صدوق ومدلس وقد صرح بالسماع كما في رواية زكريا بن إسحاق فأَمِنَّا من علة تدليسه.
وتوبع أبو الزبير عن جابر.
تابعه أبو سفيان طلحة بن نافع المكي.
أخرجه مسلم (٢٢٦٨/١٥، ١٦)، وابن ماجة (٣٩١٢)، وأحمد (٣/٣١٥)، وابن أبي شيبة (٣٠٩١) -وعنه عبد بن حميد (١٠٣١)-، وأبو يعلى (٢٢٧٤)، والبغوي في الشرح (٣٢٨٠) من طرق عن الأعمش سليمان بن مهران عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر رضي الله عنه بنحوه.
قلت: إسناده حسن.
طلحة بن نافع صدوق وسماعه من جابر رضي الله عنه ثابت، فالحمد لله.

قال أبو جعفر: فذلك بالخبر لا بالحديث.

٨- وكما حدثنا إبراهيم بن مرزوق ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ثنا حماد بن سلمه ثنا ثابت وحميد عن أنس عن عبادة أن رسول الله ﷺ أراد أن يخبرهم بليلة القدر فتلاحا رجلان فاخْتُلِجَت منه «**ولعل ذلك خير لكم اطلبوها في العشر الأواخر في التاسعة والسابعة والخامسة**»(١).

---

(١) إسناده صحيح.

أخرجه ابن المُقَيَّر في فوائده (٨١) من طريق أبي الطيب أحمد بن سليمان عن المصنف، وهذا في شرح معاني الآثار (٤٢٧٥/٣) ثنا إبراهيم بن مرزوق به سواء.

قلت: إسناده صحيح.

وحميد وإن كان مدلسًا وذكره ابن حجر في كتاب تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص١٣٣) المرتبة الثالثة وهم الذين أكثروا من التدليس فلم يقبل العلماء منهم إلا ما صرحوا فيه.

فقد صرح بالسماع عند المصنف في شرح معاني الآثار، وعند البخاري (٢٠٢٣)، وابن حبان (٣٦٧٩).

وتابعه ثابت كما ترى وروايته أعني ثابت هنا عن أنس بن مالك وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: أنه أثبت الناس في أنس.

ثم الراوي عنه هنا هو حماد بن سلمة وهو من أثبت الناس في ثابت كما قال الإمام أحمد.

والحديث أخرجه الطيالسي في مسنده (٥٧٦) -ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٦٧٩)-.

وأخرجه ابن عساكر (٣٠٧١/١٧٥/٢٦) من طريق هدبة بن خالد البصري.

كلاهما (الطيالسي وهدبة بن خالد) قالا ثنا حماد بن سلمة به.

وأخرجه البخاري (٤٩، ٢٠٢٣، ٦٠٤٩) -ومن طريقه البغوي في التفسير (٤٩٧/٨)-، والنسائي في الكبرى (٣٣٩٤، ٣٣٩٥)، وأحمد (٥ /٣١٣، ٣١٩)، والدارمي (١٨٢٢)، وإسماعيل بن جعفر في حديثه (٧٤)، وابن أبي شيبة (٨٦٨٢، ٩٥١١)، وابن خزيمة (٢١٩٨)، وابن حبان (٣٦٧٩)، والهيثم بن كليب في المسند (١٠٨٦)، والمصنف في شرح معاني الآثار (٢٧٥٣)، والطبراني في الأوسط (٤٤٠٩)، وفي مسند الشاميين (٣٦٧٩)، والبيهقي (٨٨١٣/٣١١/٤)، وفي معرفة السنن والآثار (٢٧٥٣)، وفي شعب الإيمان (٣٦٧٨)، وفي فضائل الأوقات (٩٢، ٩٣)، والبغوي في الشرح (١٨٢١)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٠٠/٢) من طرقٍ عن حميد الطويل ثنا أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت به.

قلت: وقد رواه عن حميد «خالد بن الحارث، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وإسماعيل بن جعفر، ويزيد بن=

قال أبو جعفر: فذكر ذلك بالخبر لا بالحديث.

٩- وكما حدثنا إبراهيم بن أبي داود (٤أ) ثنا محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني ثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت حميدًا عن أنس أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ ما أول[1] أشراط الساعة فقال: «**أخبرني جبريل** عليه السلام **أن نارًا تحشرهم من المشرق**»[2].

=هارون، وبشر بن المفضل، ومعتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد، وزهير بن معاوية، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ويزيد بن زريع، وإبراهيم بن عبد الحميد بن ذي حماية» عنه به.

وخالف هؤلاء جميعًا مالك بن أنس فرواه عن حميد عن أنس مرفوعًا دون ذكر عبادة بن الصامت.

أخرجه النسائي في الكبرى (٣٣٩٦) من طريق عبد الرحمن بن القاسم.

وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٢٧٥٢) من طريق محمد بن إدريس الشافعي.

كلاهما عن مالك، وهذا في الموطأ (٢٧٢/١) عن حميد الطويل عن أنس مرفوعًا بنحوه.

قلت: والراجح الوجه الأول لأنه رواية الجماعة.

وقد رجح هذا ابن عبد البر فقال في التمهيد (١٠٠/٢):

«هكذا روى مالك هذا الحديث لا خلاف في إسناده ومتنه وفيه عن أنس: خرج علينا رسول الله ﷺ، وإنما الحديث لأنس عن عبادة بن الصامت».

(١) في الأصل: (أوَّان)، والصحيح ما أثبته وهو الثابت في كل مصادر تخريج الحديث وهو الذي يقتضيه المعنى فلعله تصحيف من الناسخ والذي يؤكد هذا أن ابن عبد البر قد روى جل هذا الجزء مختصرًا في جامع بيان العلم وفضله (٢٥٠٠٥) بلفظ (أول).

(٢) **إسناده حسن والحديث صحيح.**

أخرجه ابن المُقَيِّر في فوائده (٨٢) بسنده إلى المصنف ثنا إبراهيم بن أبي داود به سواء.

وأخرجه أبو يعلى (٣٧٤٢) ثنا محمد بن عبد الله بن نمير.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٣١٦).

وأخرجه أبو يعلى (٣٧٨٢) ثنا سفيان بن وكيع.

ثلاثتهم قالوا: ثنا أبو خالد الأحمر سليمان بن حيان سمعت حميدًا عن أنس بن مالك به.

قلت: إسناده حسن.

أبو خالد الأحمر صدوق وقد أمنا تدليس حميد بتصريحه بالسماع كما عند البخاري (٣٩٣٨).=

=وبمتابعة ثابت البناني له كما سيأتي.
واختلف على أبي خالد الأحمر فيه.
فرواه يحيى بن سليمان الجعفي عنه عن حميد عن أنس عن عبد الله بن سلام فجعله من مسند عبد الله بن سلام.
أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٥٨) ثنا أحمد بن يحيى بن خالد الرقي ثنا يحيى بن سليمان الجعفي ثنا سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر عن حميد عن أنس عن عبد الله بن سلام بنحوه.
قلت: والوجه الأول أقوى وأرجح من وجهين:
الأول: هو رواية الأحفظ والأكثر عددًا.
الثاني: يحيى بن سليمان هذا هو الجعفي وقد قال عنه النسائي: ليس بثقة.
وقال أبو حاتم: شيخ.
وقال العقيلي: ثقة له أحاديث مناكير.
وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما أخطأ.
وقال مسلمة بن القاسم: لا بأس به.
وتوبع أبو خالد الأحمر.
فأخرجه البخاري (٤٤٨٠) -ومن طريقه البغوي في الشرح (٧٦٩)، وفي التفسير (٢٥٤/١)، وفي الشمائل (٥٧)-، وابن أبي شيبة (٣٥٩٨٧)، وتمام في الفوائد (٢٢٠)، والبيهقي في الدلائل (٧٨٢)، وابن عساكر في التاريخ (٤٣٩/١٦) من طريق عبد الله بن بكر السهمي.
وأخرجه عبد بن حميد (١٧٨٩)، وابن أبي شيبة (٣٥٩٨٧)، وأبو يعلى (٣٨٥٦)، وابن حبان (٧١٦١) من طرق عن يزيد بن هارون.
وأخرجه البخاري (٣٣٢٩) من طريق أبي إسحاق الفزاري.
وأخرجه البخاري (٣٩٣٨) من طريق بشر بن المفضل.
وأخرجه أحمد (١٠٨/٣) -ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (١٠٦/٢٩)- من طريق محمد بن أبي عدي.
وأخرجه أبو يعلى (٣٤١٤) من طريق حماد بن سلمة.
وأخرجه الدينوري في المجالسة (٧٢٤)، وإسماعيل الأصبهاني في دلائل النبوة (١٦٧)، والبيهقي في الدلائل (٢٥٢٢) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري.
وأخرجه ابن أبي عاصم في الأوائل (١٩٣) من طريق معتمر بن سليمان.
وأخرجه النسائي في الكبرى (٨٢٥٤/٥)، (١٠٩٩٢/٦) من طريق خالد بن الحارث.
وأخرجه أحمد (١٨٩/٣)، والبيهقي في الدلائل (٢٥٢٢) من طريق إسماعيل بن علية.
عشرتهم عن حميد الطويل عن أنس بن مالك ﷺ به مطولًا.
قال البغوي: هذا حديث صحيح.=

قال أبو جعفر: فذكر ذلك بالإخبار عن جبريل لا بالحديث عنه.

١٠- وكما حدثنا محمد بن خزيمة ثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمه عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بخير دور الأنصار**» قالوا: بلى قال: «**دور بني النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو حارثة**»(١).

١١- وكما حدثنا إبراهيم بن مرزوق ثنا عبد الله بن بكر عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير دور الأنصار دار بني النجار ثم دار بني الأشهل ثم دار بني الحارث ثم الخزرج ثم دار بني ساعدة وكل دار الأنصار**

=وتوبع حميد.

تابعه:

ثابت البناني:

أخرجه الطيالسي (٢٠٥٠)، وأبو يعلى (٣٤١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٢/٦) من طرق عن حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه.

قلت: وإسناده صحيح.

حماد بن سلمة من أوثق الناس في ثابت البناني، وثابت من أوثق الناس في أنس بن مالك رضي الله عنه كما قال الإمام أحمد رحمه الله.

وفي الباب عن أبي حميدٍ الساعدي، وأبي أسيد الأنصاري، وأبي هريرة، وسهل بن سعدٍ الساعدي، وجابر بن عبد الله، وأبي أسيدٍ الساعدي رضي الله عنهم أجمعين.

(١) إسناده صحيح.

أخرجه أحمد (٢٦٧/٢) ثنا عبدالرزاق ثنا معمر أخبرني ثابت أنه سمع أنس بن مالك بنحوه.

قلت: إسناده صحيح.

محمد بن خزيمة هو ابن راشد أبو عمرو البصري، وثقه ابن يونس، وذكره ابن حبان في الثقات (١٣٣/٩) وقال: مستقيم الحديث.

وتوبع ثابت البناني.

تابعه قتادة.

أخرجه أحمد (٢٦٧/٢) ثنا عبد الرزاق ثنا معمر أخبرني قتادة أنه سمع أنس بن مالك بنحوه.

قلت: وإسناده صحيح أيضًا.

خير»(١).

قال أبو جعفر: فذكر الأخبار عن الدور لا بالحديث عنها.

١٢- وكما حدثنا إبراهيم بن أبي داود ثنا يزيد بن عبد ربه ثنا بقية بن الوليد قال: حدثني عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان(٢) قال: حدثني رفاعة بن رافع بن خديج عن

---

(١) **إسناده صحيح.**

وعنعنة حميد يجبرها متابعة ثابت وقتادة كما سبق في حديث رقم (١٠).

والحديث أخرجه ابن المقير في فوائده (٨٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٨/٢١) من طريق أبي الطيب أحمد بن سليمان الحريري عن المصنف، وهذا في مشكل الآثار (٢٨٠٩) ثنا إبراهيم بن مرزوق به سواء.

وأخرجه النسائي في الكبرى (٤٣٣٨)، وابن حبان (٧٢٨٥)، والبغوي في الشرح (٣٩٧٦) من طريق إسماعيل بن جعفر وهذا في حديثه (٥٧).

وأخرجه عبد بن حميد (١٤٠٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٧٩٨)، وأبو يعلى (٣٨٥٠، ٣٨٥٥) من طريق يزيد بن هارون.

وأخرجه أحمد (١٠٥/٣)، وفي فضائل الصحابة (١٤٤٦) -ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٩/٢١)- ثنا محمد بن أبي عدي.

وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٧٩٧، ١٧٩٩) من طريق خالد بن الحارث.

وأخرجه ابن حبان (٧٢٨٤) من طريق يحيى بن سعيد القطان.

خمستهم عن حميد بن أبي حميد الطويل عن أنس مرفوعًا بنحوه.

وتوبع حميد.

تابعه:

١- يحيى بن سعيد الأنصاري:

أخرجه البخاري (٤٩٩٤)، ومسلم (١٩٥٠)، والنسائي في الكبرى (٨٣٣٦، ٨٣٣٧)، والترمذي(٣٩١٠)، وأحمد (٥٦/١)، (٢٠٢/٣)، والحميدي (١٢٣١)، وأبو يعلى (٣٨٥٠، ٣٨٥٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٧٩٦)، ووكيع في أخبار القضاة (٣٣٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٥٤/٦) من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري.

٢- يحيى الصواف:

أخرجه عبد بن حميد (١٤٠٠) من طريق يحيى الصواف.

كلاهما عن أنس بن مالك بنحوه.

(٢) سَقَطَ من الأصل (أبو مدرك) وهي موجوده في مصادر التخريج مثل الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ومسند=

رافع بن خديج قال: مر علينا رسول (٤ب) الله ﷺ ونحن نتحدث قال: «ما تحدثون» قلنا: نتحدث عنك يا رسول الله قال: **«تحدثوا وليتبوأ من يكذب عليَّ مقعده من جهنم»**[(١)].

قال أبو جعفر فذكر ذلك بالحديث عنه لا بالخبر.

=الشهاب للقضاعي (٥٥٦)، والطبراني في الكبير (٤٤١٠)، ومسند الشاميين (٢٢٧) وفي جزء طرق حديث من كذب علي متعمدًا (١٤٤)، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠٣/٦٧) فلعله سهو أو انتقال بصر من الناسخ.

(١) **إسناده ضعيف جدًّا.**

أخرجه ابن المقير في فوائده (٨٤) بسنده إلى أبي الطيب الحريري أحمد بن سليمان عن المصنف به سواء.

واختلف على بقية بن الوليد فيه.

فرواه حيوة بن شريح، ويزيد بن عبد ربه قالا: نا بقية عن عبد الرحمن بن ثابت ثني أبو مدرك عن عباية بن رافع بن خديج عن أبيه مرفوعًا بنحوه.

أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/٢) نا أبي عنهما به.

وخولف هذين في إسناده.

خالفهما جماعة فرووه عن بقية عن عبد الرحمن بن ثابت ثني أبو مدرك عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج بنحوه.

أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص٣٦٩)، والطبراني (٤٤١٠)، والخطيب في تقييد العلم (ص٧٣) من طريق محمد بن مصفى.

وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٥٥٦)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٢٧)، وفي جزء طرق حديث من كذب علي متعمدًا (١٤٤) من طريق عطية بن بقية بن الوليد.

وأخرجه الطبراني (٤٤١٠) من طريق حيوة بن شريح.

وأخرجه الطبراني (٤٤١٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠٣/٦٧) من طريق محمد بن عمرو بن حنان الحمصي.

أربعتهم قالوا: ثنا بقية بن الوليد ثني أبو مدرك ثني عباية بن رفاعة بن رافع ثني رافع بن خديج بنحوه.

قلت: مدار هذه الأسانيد على بقية بن الوليد وهو صدوق وحاله لا يحتمل كل هذا الاختلاف فلعل كل هذا الاختلاف منه.

ثم إن أبا مدرك عبد الله بن مدرك قال الدارقطني فيه: متروك.

١٣- وكما حدثنا يوسف بن يزيد ثنا علي بن معبد ثنا عبيد الله بن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن محمد بن قيس النخعي قال سمعت أبا الحكم(١) البجلي يقول: دخلت علي أبي هريرة وهو يحتجم فقال لي يا أبا الحكم(١) أتحتجم فقلت: ما احتجمت قط فقال: أخبرنا أبو القاسم ﷺ **«أن جبريل عليه السلام أخبره أن الحجم من أنفع ما يتداوى به الناس»**(٢).

---

(١) في الأصل: (أبا الحاكم)، وهو تصحيف، والصحيح: (أبو الحكم) كما في تهذيب الكمال (٣٩٧٩/٤٥٦/١٧)، (٢٥٥/٣٣) وكذلك مصادر التخريج.

(٢) **إسناده ضعيف.**

أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٥١)، والحاكم في المستدرك (٢٠٩/٤) من طريق زكريا بن عدى بن رزيق بن إسماعيل.

وأخرجه أبو زرعة الرازي في الفوائد المعللة (١٠٤)، والطبري في تهذيب الآثار (٢٨٤٢، ٢٨٤٣) من طريق عبدالله بن جعفر بن غيلان الرقى.

وأخرجه الطبري في تهذيب الآثار (٢٨٤٢) حدثنا هلال بن العلاء الرقى ثنا أبى.

وأخرجه الخطيب في التاريخ (٧٩٩/٦٨٢/٣) من طريق محمد بن عبدالمجيد التميمي.

أربعتهم عن عبيد الله بن عمرو الرقى عن زيد بن أبى أنيسة عن محمد بن قيس حدثنا أبو الحكم البجلي قال: دخلت على أبي هريرة فذكره.

قلت: إسناده ضعيف.

فيه محمد بن قيس النخعي ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٦٦٧/٢١٣/١)، وابن أبى حاتم في الجرح والتعديل (٢٧٨/٦٢/٧) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ولا ذكرا من الرواة عنه سوى زيد بن أبي أنيسة ولم أجد من عدَّله سوى ابن حبان ذكره في الثقات (٣٧٦-٣٧٥/٧) وقال: يخطئ ويخالف.

وتوبع عبيد الله بن عمرو الرقى.

تابعه:

أبو عبد الرحيم خالد بن أبى يزيد:

أخرجه الطبري في تهذيب الآثار (٢٨٤٢) حدثنا هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبدالملك الحرَّاني حدثنا محمد بن سلمة عن أبى عبد الرحيم خالد بن أبى يزيد بنحوه.

قلت: إسناده ضعيف.=

فذكر رسول الله ﷺ عن جبريل ما ذكره له من ذلك بالخبر لا بالحديث.

١٤- وكما حدثنا أبو أمية ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا زيد بن وهب قال: ثنا والله أبو ذر بالرْبذة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل** عليه السلام **فأخبرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة**» فقلت: يا رسول الله وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن زنا وإن سرق**» قلت: يا رسول الله وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن زنا وإن سرق**»[1].

=أولًا: فيه محمد بن قيس، وتقدم الكلام فيه.

ثانيًا: وفيه سعيد بن عبد الملك بن واقد قال عنه أبو حاتم: يتكلمون فيه ورأيت فيما حدَّث أحاديث كذب.

وقال الدارقطني: ضعيف لا يحتج به.

(١) **إسناده صحيح.**

أخرجه البخاري (٦٢٦٨).

وأخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة (٧٧٠/٢) -ومن طريقه البيهقي في البعث (٢٦) مطولًا-.

وأخرجه ابن بشران في الأمالي (١٣٦)، وأبو عبد الله الدقاق في مجلس إملاء في رؤية الله تعالى (١٣٦) من طريق أحمد بن مُلاعب.

وأخرجه البيهقي (٢١٢٨٧/١٨٩/١٠) من طريق السَّري بن خزيمة.

أربعتهم قالوا: ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا زيد بن وهب ثنا والله أبو ذر بالربذة بنحوه.

قلت: إسناده صحيح.

وتوبع حفص بن غياث.

تابعه:

١- شعبه بن الحجاج:

وسيأتي تخريجه في الحديث (١٧) قريبًا إن شاء الله تعالى.

٢- أبو معاوية الضرير:

أخرجه مسلم (٣٢/٩٤).

وأخرجه أحمد (١٥٢/٥، ١٦١، ١٦٦)، والبزار (٣٩٧٥)، وابن جرير في تهذيب الآثار (١٩٣٠)، وابن مندة في الإيمان (٢٢٢/١، ٢٢٣) من طرق عنه بنحوه.

٣- عيسي بن يونس:

أخرجه ابن حبان (١٧٠، ٣٣٢٦).=

=٤- جرير بن حازم:
أخرجه البزار (٣٩٧٦)، وابن جرير في تهذيب الآثار (١٩٣١)، وابن حبان (٣٣٢٦).
جميعًا عن الأعمش ثنا زيد بن وهب ثنا أبو ذر بنحوه.
واختلف على الأعمش فيه.
فرواه جماعه عنه عن أبي صالح عن أبي الدرداء بنحوه.
فأخرجه البخاري (١٩٦/٣/عقب/٦٢٦٨)، وابن بشران في الأمالي (١٣٧)، والبيهقي (٢١٢٨٨/١٨٩/١٠)، وفي البعث والنشور (ص٢٩)، وأبو عبد الله الدقاق الأصبهاني في مجلس في رؤية الله تعالى (١٣٧) من طريق حفص بن غياث.
وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٩٩) من طريق أحمد أبي معاوية الضرير.
وأخرجه أحمد (٤٤٧/٦) من طريق عبد الله بن نمير الهمداني.
وأخرجه ابن حبان (٣٣٢٦) من طريق جرير بن حازم.
وأخرجه ابن حبان (١٧٠) من طريق عيسى بن يونس.
خمستهم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي الدرداء مرفوعًا به.
قلت: هذا الوجه محفوظ أيضًا عن الأعمش فقد رواه عنه أربعة ممن رووا عنه الوجه الأول عن زيد عن أبي ذر وهذا دليل على أن الحديث محفوظ عن الأعمش على الوجهين ولكن أبا صالح لم يسمع من أبي الدرداء كما قال البخاري في الصحيح (٢٣٤/٣-٢٣٥/عقب/٦٤٤٣): حديث أبي صالح عن أبي الدرداء مرسل لا يصح إنما أردناه للمعرفة.
وقال أبو القاسم الحُرْفِي في الفوائد (٥) بعد حديث من رواية أبي صالح ذكوان عن أبي الدرداء: هذا حديث محفوظ بهذا الإسناد من حديث أبي صالح ذكوان وهو لم يسمع من أبي الدرداء شيئًا وهو مرسل.
واختلف علي أبي معاوية الضرير فيه.
فرواه أحمد بن عبد الجبار العطاردي عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ لأبي الدرداء فذكر نحوه.
أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٢٥) أنا أبو بكر الحيري نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي به.
قلت: إسناده ضعيف جدًا.
أحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعيف وقد سلك فيه طريق المجرة مخالفًا من هو أقوى منه وهو أحمد بن حرب الموصلي وهو صدوق ولذلك رواية العطاردي منكرة.
قلت: لكن أبا صالح توبع عن أبي الدرداء.
تابعه [زيد بن وهب، وسويد بن غَفَلَةَ، وعبد الله بن أبي حبيبة، وواهب بن عبد الله المعافري، ومحمد بن سعد بن=

=أبي وقاص، وعمرو بن الأسود، وأبو مريم المدائني، وأم الدرداء، وعطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن أبي ليلى].

١- زيد بن وهب:

أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٩٧)، وابن الفاخر في موجبات الجنة (٢٨) من طريق قتيبة بن سعيد.

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٥)، ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٤١-٢٤٢) من طريق أبي هشام المغيرة بن سلمة.

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٥) من طريق موسى بن إسماعيل.

وأخرجه تمام في الفوائد (١، ٤٢٦) من طريق عفان بن مسلم.

خمستهم قالوا: ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله بن عروة النخعي ثنا زيد بن وهب سمعت أبا الدرداء مرفوعًا بنحوه.

قلت: إسناده صحيح.

والحسن بن عبيد الله بن مالك: وثقه يحيى بن سعيد والنسائي وأبو حاتم والعجلي.

وقال ابن معين: ثقة صالح وقال الساجي: صدوق.

قال البزار كما في الكشف (١/١١): وهذا أحسن أسانيد أبي الدرداء لأن الحسن كوفي مشهور وزيد ثقة.

وتوبع الحسن بن عبيد الله بن مالك.

تابعه عيسى بن عبد الله بن مالك.

أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٩٨) أخبرني عمرو بن هشام.

وأخرجه المزي في تهذيب الكمال (٢٢/٦٢٥) من طريق أبي جعفر النفيلي.

كلاهما حدثني محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عيسى بن عبد الله بن مالك عن زيد بن وهب عن أبي الدرداء بنحوه.

قلت: إسناده ضعيف.

أولًا: عيسى بن عبد الله بن مالك بن عروة النخعي:

قال ابن المديني عنه: مجهول لم يرو عنه غير ابن إسحاق.

قلت: قد روى عنه جماعة غير ابن إسحاق ذكرهم المزي في تهذيب الكمال (٢٢/٦٢٤) وهم [الحسن بن الحر، عبد الله بن لهيعة، وعقبة بن أبي حكيم، وفليح بن سليمان، ومحمد بن عبد الله بن مالك الدار أخوه].

ومن ثمَّ ذكره ابن حبان في الثقات (٧/٢٣١).

وقال الذهبي في الكاشف (٢/٣١٦/٤٤٥٠): وُثق.

وقال ابن حجر في التقريب (٥٣٢٠): مقبول.

أي إذا توبع وقد توبع كما تقدم.=

=ثانيًا: محمد بن إسحاق بن يسار:

صدوق ولكنه مدلس مكثر من التدليس حتى وضعه ابن حجر في المرتبة الرابعة من كتابه تعريف أهل التقديس (ص١٦٨-١٦٩):

«وهم من اتفق على أنه لا يحتج بشيءٍ من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم عن الضعفاء والمجاهيل».

وهو لم يصرح هنا بالسماع.

٢- سُوَيْدُ بن غَفَلَةَ:

أخرجه ابن الفاخر في موجبات الجنة (٢٩) ثنا محمد بن عمر اليوسفي بقراءتي عليه ببغداد غير مرة ثنا عبد الصمد بن علي ثنا أبو الحسن الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الزنجي ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد العزيز بن رفيع عن سويد بن غفلة عن أبي الدرداء -وقال عن أبي ذر- رضي الله عنهما مرفوعًا: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**»، قال: قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**».

قلت: إسناده صحيح.

لو كان شيخ ابن الفاخر محمد بن عمر اليوسفي ثقة فإني لم أجد له ترجمة.

٣- عبد الله بن أبي حبيبة:

أخرجه أبو يوسف في الآثار (٨٨٠/٢).

وأخرجه الفاداني في العجالة في الأحاديث المسلسلة (٣٨/١) من طريق محمد بن الحسن الشيباني.

كلاهما عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت عن عبد الله بن أبي حبيبة سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: كنت رديف النبي ﷺ فقال ﷺ: «**يا أبا الدرداء من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله مخلصًا وجبت له الجنة**»، قال: فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء**».

قلت: إسناده ضعيف.

أبو حنيفة النعمان ضعيف لسوء حفظه رحمه الله تعالى.

٤- عطاء بن يسار:

أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢٩٦/٤) من طريق إسماعيل بن عُلَيَّة.

وأخرجه أحمد (٣٥٧/٢)، وعلي بن حجر في حديث إسماعيل بن جعفر -ومن طريقه النسائي في الكبرى (١١٤٩٦) والبغوي في الشرح (٤١٨٩)- من طريق إسماعيل بن جعفر.

وأخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧/٢٣)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٧) من طريق محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.

ثلاثتهم قالوا: ثنا محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار أخبرني أبو الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ يومًا هذه الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «**وإن رغم أنف أبي الدرداء**».=

=قلت: إسناده صحيح وشيخ البيهقي الحسن بن محمد بن حبيب قد ذكره الذهبي في السير (٢٣٧/١٧) ثم قال: تكلم فيه الحاكم في رقعة نقلها عنه السِّجزي مسعود بن علي.

قلت: ثمَّ وقفت على ترجمته في كتاب المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور لأبي الحسن الفارسي (رقم ٤٨٢).

ولم يذكر فيه أي جرح مطلقًا ولو كان متكلمًا فيه عند الحاكم ﷺ لذكر في هذا الكتاب فهو خاص بعلماء نيسابور.

ومما يؤكد ذلك أن البيهقي تلميذه في كتاب البعث والنشور (٢٧) لما ذكر هذا الحديث عنه قال بعده وكأنه يرد على كلام البخاري في عطاء بن يسار عن أبي الدرداء مرسل فقال: «قد ذكر فيه عطاء سماعه من أبي الدرداء».

والحسن بن محمد هذا شيخ البيهقي وهو أدرى بشيخه ولو كان فيه جرح لما احتج بما رواه مستدلًا به على إثبات سماع عطاء من أبي الدرداء فاستدلاله بما رَوَى دليل قوي أن هذا الراوي معدل عنده وغير مجروح، والله أعلم.

٥- واهب بن عبد الله المعافري:

أخرجه أحمد (٤٤٢/٦) ثنا حسن هو ابن موسى الأشيب ثنا عبد الله بن لهيعة عن واهب بن عبد الله المعافري أن أبا الدرداء قال بنحوه.

قلت: إسناده ضعيف.

أولًا: عبد الله بن لهيعة وإن كان صدوقًا إلا أنه اختلط لما احترقت كتبه وليس الراوي عنه هنا ممن نص العلماء على أنه روى عنه قبل الاختلاط وهم العبادلة.

ثانيًا: الإرسال فإن واهب بن عبد الله المعافري لم يرو عن أبي الدرداء لأن أبا الدرداء مات سنة ٣٢هـ، وواهب مات سنة ١٣٧هـ، فبين وفاتيهما ١٠٥ سنة، فكيف يكون روى عنه؟ والله أعلم.

٦- عمرو بن الأسود:

أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨١١) ثنا الحوطي ثنا بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو ثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير وشريح بن عبيد عن عمرو بن الأسود قال: خرج من منزله وخرج أبو الدرداء من منزله وهو يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فذكر عن النبي ﷺ: **«وإن زنى وإن سرق»**.

قلت: إسناده ضعيف.

رجال إسناده كلهم ثقات سوى بقية بن الوليد فهو صدوق ولكنه كثير التدليس عن الضعفاء حتى وضعه ابن حجر في المرتبة الرابعة من مراتب الموصوفين بالتدليس كما في تعريف أهل التقديس (ص١٦٣): «وهم من اتفق على أنه لا يُحتج بشيءٍ من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع».

قلت: وبقية لم يصرح بالسماع هنا.

٧- أبو مريم الثقفي المدائني واسمه قيس:

أخرجه أبو يعلى الموصلي كما في إتحاف الخيرة للبوصيري (٦١٢٦/١) من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي.

وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٤٢/٩) من طريق مسدد بن مسرهد.

كلاهما قالا: ثنا يحيى بن سعيد القطان عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم سمعت عن أبي الدرداء يحدث عن النبي ﷺ=

=قال: «**ما من رجل يشهد أن لا إله إلا الله ومات لا يشرك بالله إلا دخل الجنة -أو: لم يدخل النار-**»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء**».

قلت: إسناده ضعيف.

أبو مريم الثقفي واسمه قيس المدائني قال عنه الدارقطني وابن حجر: مجهول.

٨- محمد بن سعد بن أبي وقاص:

أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٩٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٥٣٣) ثنا مؤمل بن هشام ثنا إسماعيل بن علية عن سعيد بن إياس الجريري ثني موسى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص أن أبا الدرداء كان إذا قرأ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، قال: «وإن زنا وإن سرق» ثم قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ «**وإن زنى وإن سرق**»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**نعم رغم أنف أبي الدرداء**».

قلت: إسناده ضعيف.

أولًا: موسى عن محمد بن سعد غير منسوب.

قال الذهبي في الميزان (٨٩٤٧/٢٢٨/٤): ما روى عنه سوى الجريري، وقال ابن حجر: مجهول.

ثانيًا: سعيد بن إياس الجريري كان قد اختلط.

لكن إسماعيل بن عليَّة من الرواة الذين صح سماعهم منه كما قال العجلي.

واختُلِف على الجريري فيه فرواه جماعة عنه بغير ذكر موسى.

فأخرجه ابن أبي شيبة في المسند (٣٧) من طريق حماد بن سلمة.

وأخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧/٢٣) من طريق شعبة بن الحجاج.

وأخرجه البخاري في التاريخ (٢٩٦/٤) معلقًا، وأبو يعلى كما في الإتحاف (٥٨٤٧/٣) من طريق صدقة بن هرمز.

ثلاثتهم عن سعيد الجريري عن محمد بن سعد عن أبي الدرداء بنحوه.

وخالفهم عبد الله بن المبارك فرواه عن الجريري عن رجل عن أبي الدرداء موقوفًا بنحوه.

أخرجه ابن جرير في التفسير (٥٨/٢٣) ثنا ابن حميد ثنا مهران عن ابن المبارك عن سعيد الجريري عن رجل عن أبي الدرداء بنحوه موقوفًا.

قلت: وعبد الله بن المبارك ممن روى عن الجريري بعد الاختلاط لذا فهذا الوجه مردود.

٩- أم الدرداء رضي الله عنها.

أخرجه أبو يعلى كما في الإتحاف (٦١٢٦/٣٦٤/٦)، والطبراني كما في قطعة كانت مفقودة منه (١٧٦٥)، وفي الأوسط (٢٩٣٢)، وفي مسند الشاميين (٢١٤/٣) من طريق عبد الله بن عرادة الشيباني.

وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٥٣٦)، والعقيلي (١٦٢٢/٦٨/٤)، وابن عدي في الكامل (٤٤٧/٦) من طريق مرجى بن رجاء اليشكري.=

= كلاهما قال: ثنا محمد بن الزبير الحنظلي عن رجاء بن حيوة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**»، فقال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء**».

قلت: إسناده ضعيف جدًّا.

أولًا: محمد بن الزبير الحنظلي التميمي: متروك.

قال فيه البخاري: منكر الحديث، وفيه نظر.

وقال يحيى بن معين: ضعيف لا شيء.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن عدي: قليل الحديث والذي يرويه غرائب وأفراد.

ثانيًا: عبد الله بن عرادة الشيباني لكنه توبع كما مر قريبًا.

قال العقيلي: لا يصح هذا... هذا يُروى من غير هذا الوجه بإسناد أصلح من هذا.

قال الطبراني: لم يروه عن رجاء إلا محمد بن الزبير ولا رواه عن محمد إلا عبد الله بن عرادة.

قلت: يرحمك الله قد رواه مُرَجَّى بن رجاء اليشكري كما تقدم.

١٠- عبد الرحمن بن أبي ليلى:

أخرجه الخطيب في التاريخ (٣٦٧/٣١٦/٢) من طريق محمد بن سنان بن سرح الشيرازي ثنا إبراهيم بن حِبَّان بن البراء بن النضر ثنا شعبة عن الحكم بن عُتيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي**»، قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء**».

قلت: إسناده تالف.

أولًا: إبراهيم بن حبان بن البراء بن النضر بن مالك أبو إسحاق الأنصاري، قال الذهبي عنه في تاريخ الإسلام (٥١٧/٥): متهم بالكذب.

ثانيًا: محمد بن سنان الشيرازي، قال الذهبي عنه في الميزان (٧٦٥٠/٥٧٥/٣): «صاحب مناكير يُتأنى فيه».

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ.

أخرجه محمد بن فضيل الضبي في الدعاء (١٣) حدثني يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب عن أبيه أنه سمع أبا هريرة يقول: كنا عند النبي ﷺ فقال لأبي الدرداء: «**اخرج فناد في الناس أنه من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله مخلصًا بهما من قبل قلبه فقد حرمه الله على النار وأدخله الجنة**»، فقال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق؟ فذكره مطولًا وفيه مراجعة عمر للنبي ﷺ.

قلت: إسناده ضعيف جدًّا.

أولًا: يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب: متروك.=

=ثانيًا: عبيد الله بن عبد الله بن موهب القرشي، قال الشافعي وأحمد: لا يُعرف.
وقال ابن القطان الفاسي: مجهول.
وقال ابن حجر في التقريب (٢/٦٣٥/٤٣٢٧): مقبول.
قلت: أي إذا توبع.
وقد توبع عبيد الله بن عبد الله بن موهب.
تابعه عبد الرحمن بن مهران المدني:
أخرجه الخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (٩٠٢) أنا الحسن بن الحسين النعالي أنا أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي ثنا موسى بن إسحاق الأنصاري ثنا سعيد بن عمرو ثني مروان بن معاوية الفزاري عن محمد بن عبد الرحمن بن مهران المدني عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه.
قلت: إسناده ضعيف.
الحسن بن الحسين النعالي شيخ الخطيب.
قال عنه الخطيب في تاريخ الإسلام (٩/٥٠٢): بغدادي ضعيف.
مما سبق تبين أن الحديث ثابت عن أبي ذر وأبي الدرداء كليهما كما تقدم بيانه من ذكر الطرق إليهما وقد جمعت طرقًا أكثر من هذه في جزء مفرد بعنوان: (التقاط الدر في ثبوت حديث: وإن زنى وإن سرق من طريق أبي الدرداء وأبي ذر) يسر الله إتمامه.
وقد وقفت على عدد من الأئمة قالوا بثبوت الحديث عن أبي الدرداء وهم:
١- أبو بكر البزار:
قال في كشف الأستار (١/١١): وهذا قد روي عن أبي ذر وأبي الدرداء.
وهذا أحسن أسانيد أبي الدرداء[1].
٢- أبو جعفر العقيلي:
قال في الضعفاء (٤/٦٨) بعد ذكر طريق محمد بن الزبير الحنظلي عن رجاء بن حيوة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء: لا يصح هذا وفيه أسانيد جياد....... هذا يُروى من غير هذا الوجه بإسناد أصلح من هذا.
٣- أبو الحسن الدارقطني:
قال في العلل (٦/٢٣٩/١١٠٢): يشبه أن يكون القولان صحيحين.
٤- أبو بكر البيهقي:
قال في البعث والنشور (ص٣٠): وهذا غير حديث أبي ذر وإن كان يؤدي معناه وروي من وجه آخر عن زيد بن وهب عن أبي الدرداء ثم ذكر طريق المتابعة رقم (١) هنا في هذا البحث.=

(١) يقصد المتابعة رقم (١) في هذا البحث وتقدمت (ص٤٣).

١٥- وكما حدثنا أبو أمية ثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش (٥أ) قال حدثني أبو صالح عن أبي الدرداء نحوه قال: قلت يا رسول الله وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن زنا وإن سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء**»(١).

١٦- وكما حدثنا أبو أمية حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش قال: قلت لزيد: إنه بلغني أن أبا الدرداء قال: أشهد لحدثنيه أبو ذر بالربذة(٢).

١٧- وكما حدثنا أبو أمية ثنا روح بن عبادة عن حاتم بن أبي صغيرة ثنا حبيب بن أبي ثابت أن أبا سليمان الجهني حدثنا قال: حدثني أبو ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت الملك فأخبرني أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله كان له الجنة فما زلت**

=٥- **أبو عمر ابن عبد البر النمري:**

قال في التمهيد (٩/٢٤١): ورواه أبو ذر وأبو الدرداء فقالا جميعًا عن النبي ﷺ فيه: وإن زنى وإن سرق؟

٦- **ابن حجر العسقلاني:**

قال في فتح الباري (١١/٢٧٢): وهما قصتان متغايرتان وإن اشتركا في المعنى الأخير وهو سؤال الصحابي بقوله: وإن زنى وإن سرق؟ واشتركا أيضًا في قوله: «وإن رغم».

(١) **إسناده صحيح.**

أخرجه البخاري (٦/٤٢٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٩٩)، وابن حبان (١٧٠، ٣٣٢٦)، والبيهقي (١٠/١٨٩/ ٢١٢٨٨)، وفي البعث والنشور (ص٢٩)، وأبو عبد الله الدقاق في مجلس في رؤية الله (١٣٧) من طرق عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي الدرداء به.

وقد تقدم تفصيل الكلام فيه في الحديث رقم (١٤).

(٢) **إسناده صحيح.**

وانظر حديث رقم (١٤) وقد سقط هذا الحديث من طبعة أ. سمير الزهيري.

أخرجه البخاري (٦٢٦٨).

وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة (٢/٧٧٠)، ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور (٢٦).

وأخرجه ابن بشران في الأمالي (١٣٨)، ومحمد بن عبد الواحد بن محمد الدقاق الأصبهاني في مجلس في رؤية الله تعالى (١٣٨) من طريق محمد بن ملاعب ثلاثتهم قالوا: ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش بنحوه.

قلت: إسناده صحيح.

أقول وإن وإن» حتى قلت له: وإن زنا وإن سرق؟ قال: «وإن زنا وإن سرق»[1].

---

(١) إسناده صحيح.
أخرجه ابن عساكر (٢٢٢/٤١) من طريق أبي الطيب أحمد بن سليمان الحريري نا أبو جعفر الطحاوي نا أبو أمية به سواء.
وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٩١)، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (١٩٣٤)، وابن مندة في الإيمان (٨٥) من طرق عن عبد الله بن بكر السهمي ثنا حاتم بن أبي صغيرة عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا سليمان الجهني زيد بن وهب حدثه أن أبا ذر حدثه.
قلت: وإسناده صحيح.
وتوبع حاتم بن أبي صغيرة.
تابعه شعبة بن الحجاج.
أخرجه البخاري (٣٢٢٢-٦٤٤٣)، ومسلم (٣٢٩٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٩٣، ١٠٨٩٤، ١٠٨٩٥)، والترمذي (٢٦٤٤)، وأحمد (١٦٦/٥)، (١٥٢/٥، ١٦١، ١٦٦، ٢١٣)، والطيالسي (٤٤٥)، وابن خزيمة في التوحيد (٥٣٤)، وابن جرير في تهذيب الآثار (١٩٢٨، ١٩٢٩)، والبزار في المسند (٣٩٧٦، ٣٩٧٨)، وابن حبان (١٦٩)، والبيهقي (١٠/ ٢١٢٨٩/١٨٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٧١/٧، ١٧٢)، وابن مندة (٨٣، ٨٤).
من طرق عن شعبة بن الحجاج عن حبيب عن زيد عن أبي ذر مرفوعًا بنحوه.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وتوبع حبيب بن أبي ثابت.
تابعه:
١- الأعمش: سليمان بن مهران:
أخرجه البخاري (٢٣٨٨، ٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤، ٣٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٩٣، ١٠٨٩٤، ١٠٨٩٥)، والترمذي (٢٦٤٤)، وأحمد (١٦٦/٥، ٢١٣)، وابن خزيمة في التوحيد (٥٣٤)، والطيالسي (٤٤٥)، وابن جرير في تهذيب الآثار (١٩٢٨)، والبزار في المسند (٣٩٧٥، ٣٩٧٦، ٣٩٧٧)، وابن حبان (١٦٩١)، والبيهقي (١٢٢٨٩/١٨٩/١٠)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٢/١٧١/٧)، وابن مندة في الإيمان (٨٣، ٨٤) من طرق عنه بنحوه.
٢- عبد العزيز بن رفيع:
أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، والطيالسي (٤٤٥)، ومسلم (٣٣، ٩٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٩٤، ١٠٨٩٥)، والترمذي (٢٦٤٤)، وأحمد (٢١٣/٥)، وابن خزيمة في التوحيد (٥٣٤)، وابن جرير في تهذيب=

١٨- وكما حدثنا محمد بن خزيمة ثنا مسلم بن إبراهيم الأزدي ثنا هشام بن أبي عبد الله عن حماد بن[1] عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبرني جبريل لأمتي أنه من شهد منهم أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله دخل الجنة» قال: قلت يا رسول الله وإن زنا وإن سرق؟ قال: «وإن زنا وإن سرق»[2].

=الآثار (١٩٢٨)، والبزار (٣٩٧٥)، وابن حبان (٦٦٩)، والبيهقي (٢١٢٨٩/١٨٩/١٠)، وفي البعث (٢٤، ٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (١٧١/٧، ١٧٢، ٣١٠)، وابن مندة (٨٣، ٨٤) من طرق عنه بنحوه.

٣- بلال بن مرداس الفزاري:

أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٩٥) أخبرني عمران بن بكار ثنا يزيد بن زريع ثنا بقيه عن شعبة عن بلال سمعت زيد بن وهب سمعت أبا ذر مرفوعًا بنحوه.

قلت: إسناده ضعيف.

بلال هذا مجهول كما قال ابن حجر.

وبقيه مدلس مكثر وخصوصًا من التسوية ولم يصرح بالسماع.

٤- حماد بن أبي سليمان:

أخرجه البزار في مسنده (٣٩٧٧) ثنا خلاد بن أسلم نا النضر بن شميل نا شعبة عن حماد به بنحوه.

(١) بياض بالأصل. وهو حماد بن أبي سليمان.

(٢) **إسناده صحيح.**

أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار (١٩٣٦) من طريق عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني.

وأخرجه ابن حبان (١٩٥)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٠٨٥/٢٢٧/٤) من طريق الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب أبي خليفة الجمحي.

كلاهما قال: ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا هشام ثنا حماد بن أبي سليمان عن زيد بن وهب عن أبي ذر به.

قلت: إسناده صحيح.

وتوبع مسلم بن إبراهيم.

فأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٢٦) ثنا معاذ بن فضالة.

وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٩٦) من طريق معاذ بن هشام الدستوائي.

كلاهما عن هشام الدستوائي عن حماد بن أبي سليمان ثني زيد بن وهب أبو سليمان الجهني عن أبي ذر سمع النبي بنحوه.

وتوبع هشام الدستوائي.=

١٩- وكما حدثنا أبو أمية ثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي وعبيد الله بن موسي العبسي حدثنا مهدي بن ميمون عن واصل الأحدب عن المعرور بن سويد (٥ب) عن أبي ذر قال كنا مع رسول الله ﷺ في مسيرٍ له فلما كان بعض الليل تنحى فلبث طويلًا ثم أتانا فقال: «**أتاني آت من ربي** ﷻ **فأخبرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**» قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن زنا وإن سرق**»(١).

=تابعه حماد بن سلمة.

أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار (١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٥) من طرق عن حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن زيد بن وهب عن أبي ذر مرفوعًا وفيه طول وقصة.

(١) **إسناده صحيح.**

أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٨٩) أنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم.

وأخرجه ابن مندة في الإيمان (٨٠) من طريق محمد بن عبيد الله بن أبي داود.

كلاهما قالا: ثنا عبد الله بن بكر السهمي.

وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٢٣) من طريق عبيد الله بن موسي العبسي.

كلاهما ثنا مهدي بن ميمون عن واصل الأحدب عن المعرور بن سويد عن أبي ذر به.

قلت: إسناده صحيح.

وأخرجه البخاري (١٢٣٧) ثنا موسي بن إسماعيل.

وأخرجه أحمد (١٥٩/٥) ثنا عفان بن مسلم.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنه (٤٨٢/٢) من طريق عبد الله بن محمد بن إسماعيل.

وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٥٣٥) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد.

وأخرجه ابن مندة في الإيمان (٨١) من طريق شيبان بن فرُّوخ.

خمستهم قالوا: ثنا مهدي بن ميمون به.

قال ابن مندة: هذا حديث صحيح.

قلت: وهو كما قال.

وتوبع مهدي بن ميمون.

تابعه شعبة بن الحجاج.=

قال أبو جعفر: فذكر رسول الله ﷺ ما كان جبريل عليه السلام قاله من ذلك بالخبر لا بالحديث.

٢٠- وكما حدثنا بكار بن قتيبة ثنا أبو داود الطيالسي ثنا المسعودي حدثنا إسماعيل ابن أوسط البجلي عن محمد بن أبي كبشة الأنماري أنمار غطفان عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فتنازع الناس إلى أهل الحِجْر ليدخلوا عليهم فنودي في الناس: الصلاة جَامعَة فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو ممسك بعنزة فقال: **«ما يدخلون علي قومٍ قد غضب الله عليهم»** فناداه رجل تعجباً منهم برسول الله فقال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأعجب** -كأنه يعني من ذلك- **رجل من أنفسكم يخبركم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً ثم يأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا»**(١).

=أخرجه البخاري(٧٤٨٧)، ومسلم (٩٤/١٥٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٨٩)، وأحمد (١٦١/٥)، وابن منذة في الإيمان (٨٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٦٠٠)، والفاداني في العجالة في الأحاديث المسلسلة (٧٨/١) من طرق عن شعبة بن الحجاج عن واصل الأحدب عن المعرور بن سويد سمعت أبا ذر مرفوعًا بنحوه.

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه المصنف في المشكل (٣٧٤١)، والدولابي في الكنى (٥٠/١) قالا: ثنا بكار بن قتيبة ثنا أبو داود الطيالسي(١) ثنا المسعودي ثنا إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه مرفوعًا به.

قلت: إسناده ضعيف.

أولًا: محمد بن أبي كبشة.

ذكره البخاري في التاريخ (١٧٦/١) وذكر أن إسماعيل بن أوسط العجلي روي عنه ولم يذكر جرحًا ولا تعديلًا وذكره ابن حبان في الثقات (٣٧١/٥-٣٧٢).

وذكر راويًا آخر عنه وهو سالم بن أبي الجعد ولم أجد معتبرًا وثقه فهو مجهول الحال.=

(١) سقط ذكر أبي داود الطيالسي من رواية الدولابي في الكنى وهو خطأ من الناسخ أو في الطباعة لأن الطحاوي رواه في المشكل وهنا بإثباته وهو الصحيح لأن بكار بن قتيبة لم يدرك المسعودي فبكار ولد سنه اثنتين وثمانين ومائه (١٨٢) وكان المسعودي قد مات فقد مات سنة ستين ومائة (١٦٠) فكيف يروي عنه بكار وهو لم يدركه.==

قال (٦أ) أبو جعفر: فذكر رسول الله ﷺ ما يذكر لهم في ذلك من الأشياء الماضية بالإخبار عنها لا بالحديث عنها وفيما ذكرنا عن رسول الله ﷺ في هذا الباب ما قد دل على أن الحديث عن الشيء هو الإخبار عنه وعلى أن لا فرق بين حدثنا واخبرنا في المواضع التي ذكرناها في أول هذا الباب وعلى أنه ما جاز أن يقال فيه حدثنا فجائز أن يقال فيه أخبرنا وما جاز أن يقال فيه أخبرنا جائز أن يقال فيه حدثنا وقد ذهب قوم فيما قرئ على العالم فأجازه وقبله وأقر أنه يقال فيه قرئ على فلان ولا يقال فيه حدثنا ولا أخبرنا.

==فأخرجه أحمد (٢٣١/٤) ثنا يزيد بن هارون.

فأخرجه أحمد (٢٣١/٤)، والبيهقي في الدلائل (١٩٩٠) من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم.

وأخرجه الطبراني (١٥٢/٢٢) من طريق إسماعيل بن عياش.

جميعًا قالوا: ثنا المسعودي به بنحوه.

= ثانيًا: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي.

صدوق اختلط في آخر حياته لما دخل بغداد.

وأبو داود الطيالسي ممن سمع منه بعد الاختلاط كما قال العراقي رحمه الله.

قلت: فإن كان أبو داود الطيالسي سمع من المسعودي بعد الاختلاط كما قال العراقي رحمه الله تعالى.

فقد توبع ممن سماعه من المسعودي قديم.

فأخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٠١٢)، وابن أبي الدنيا في العقوبات (١٤١)، والطبراني (١٥٢/٢٢) من طريق جعفر بن عون.

وأخرجه الطبراني (٨٥١/٢٢) من طريق عبد الله بن رجاء الفداني.

وأخرجه الطبراني (٨٥١/٢٢) وأبو نعيم في الحلية (٢٠/٢) من طريق عمرو بن مرزوق.

ثلاثتهم قالوا ثنا المسعودي ثنا إسماعيل بن أوسط البجلي عن محمد بن أبي كبشة عن أبيه مرفوعًا بنحوه.

وهؤلاء الثلاثة ممن سمعوا من المسعودي قبل الاختلاط.

ورواه جماعة أخرون عن المسعودي ممن سمع بعد الاختلاط أو ممن اختلف فيه.

قلت: وإسناده ضعيف.

لأن العلة الثانية وإن ارتفعت فما زالت العلة الأولى موجودة ألا وهي جهالة محمد بن أبي كبشة الأنماري والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

قال أبو جعفر: ولا وجه لهذا القول منه عندنا ولا بأس أن يقول في ذلك أخبرنا وحدثنا وهو في معنى القراءة على العالم على من يأخذ ذلك عنه وجائز أن يقول في ذلك ما يقوله فيما قرأه على العالم عليه.

ألا ترى أن رجلًا لو قرأ صكًا على رجل فأقر له بفهم ثم أشهده على ما فيه على نفسه أنه جائز له أن يقول أقر عندي كما يجوز له أن يقول ذلك لو كان المكتوب عليه قرأه على نفسه عليه بنفسه فصار الإقرار بالشيء والتصديق به وإن كان المتكلم به غير المقروء غير المصدق (٦ب) في حكم المقرّ به والمصدّق له لو كان المتكلم به فكذلك يجب أن يكون ذلك في الحديث كذلك والله أعلم بالصواب.

تم الفصل من كلام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله.

والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

التبيان لما ورد من النزول والمغفرة

ليلة النصف من شعبان

كتبه

مندور بن عبد الوهاب

إهداء

إلى شيخ الحديث في زمانه

إلى من ذلل هذا العلم بحسن بيانه

إلى سلوان الغرباء والمستضعفين

إلى حادي المحبين لرب العالمين

إلى من فتح الله به قلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا وآذانًا صمًّا

إلى سماحة شيخنا المحدث أبي إسحاق الحويني

أبقاك ربي ناشرًا للسنة ذخرًا لأهلها قامعًا للبدعة حربًا على أعدائها

المجدُ عوفيَ إذ عوفيتَ والكَرَمُ... وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

وما أخصّك في بُرء بتهنئةٍ... إذا سلِمْت فكل الناسِ قد سلِموا

أقول له وقد طالت وشقت علينا غربته:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها... كأنكم في بقاع الأرض أمطار

وتشتهي العين فيكم منظرًا حسنًا... كأنكم في عيون الناس أزهار

ونوركم يهتدي الساري برؤيته... كأنكم في ظلام الليل أقمار

لا أوحش الله ربعًا من زيارتكم... يا من لهم في الحشا والقلب تذكار

بسم الله الرحمن الرحيم

إنْ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن تمييز ما ثبت من سنة النبي ﷺ، مما لم يثبت، من أعظم القربات، ومن أنفس ما تنفق فيه الأوقات، إذ به تنقى شريعة الرحمن من البدع والخرافات.

وقد أكثر المتزيِّدة على الشريعة، من تخصيص بعض الأيام والليالي والشهور، بالكثير من الفضائل والعبادات، مما لم يثبت في كتاب ربنا، ولا سنة نبينا ﷺ.

وكانت ليلة النصف من شعبان، من تلك الليالي التي خصت بأنواع من العبادات، كقيام ليلها وصيام نهارها، والاستغفار والدعاء فيها، والصلاة فيها بمائة ركعة تقرأ في كل ركعة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات. وخصُّوها كذلك بكثير من الفضائل، كالعتق فيها من النار، وأن الدعوة فيها لا ترد، ونسخ الأرزاق والآجال فيها، وأن الله ﷻ ينزل فيها، فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن.

ويستندون في كل هذا إلى أحاديث موضوعة ومنكرة، قد أنكرها أهل العلم قديمًا وحديثا، لا يكاد يختلف قولهم في ذلك، إلا ما كان من بعض المعاصرين؛ حيث خالفوا جماهير الأئمة السالفين في الحكم على حديث واحد من هذه الأحاديث، وهو حديث: «**إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان، فيغفر لخلقه كلهم أجمعين، إلا لمشرك أو مشاحن**» فصححه بعضهم وحسنه آخرون في حين أن أئمة الشأن المتقدمين قد أعلُّوه؛ لذا رأيت إفراده بالبحث.

وقد روي هذا الحديث عن أربعة عشر صحابيًّا هم: أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وأبي بن كعب وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري وأبو أمامة الباهلي وأبو ثعلبة الخشني وعوف بن مالك وعثمان بن أبي العاص ويزيد بن جارية وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

كما روي مرسلًا عن كثير بن مرة ومكحول وراشد بن سعد ويحيى بن أبي كثير.

وروي موقوفًا على كثير بن مرة وأبي إدريس الخولاني ومكحول وكعب الأحبار وعطاء، رحمهم الله جميعًا.

وقد ظن البعض ممن صحح الحديث أو حسنه، أن هذه الروايات في كثرتها عن الصحابة، متباينة المخارج سالمة من الضعف الشديد؛ فقوَّى بعضها ببعض. وهذا ما لم يكن؛ فتعدد هذه الروايات يرجع في أغلبه إلى اضطراب بعض الرواة الضعفاء ممن لم يضبط الحديث، أو إلى إرسال أو تدليس بعضهم؛ فتعددها لا يقويها بل يزيدها ضعفا، ثم هي في كل ذلك لم تسلم من الضعف الشديد الذي يتعذر معه التقوية.

وقد قدمت الكلام على رواية عبد الله بن عمرو بن العاص؛ إذ كانت أقوى الروايات عندهم.

حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٦٤٢)، والحسن الخلال في «أماليه» (٢)، ومن طريقه ابن الدبيثي في «أحاديث ليلة النصف من شعبان» (٢)، والشجري في «الأمالي الخميسية» (١٥٣٩)، من طريق الحسن بن موسى الأشيب، قال حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «**يطلع الله ﷻ إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا لاثنين: مشاحن، وقاتل نفس**».

وإسناد هذا الحديث شديد الضعف:

أولًا: تفرد به حيي بن عبد الله بن شريح المعافري:

وأحاديثه مناكير، كما قال أحمد بن حنبل. وقال البخاري: فيه نظر، وهذا من البخاري طعن شديد، فقد نقل عنه الذهبي في «السير» (٤٤١/١٢): إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم واهٍ.

وقال في «ميزان الاعتدال» (٤١٥/٢-٤١٦) في ترجمة عبد الله بن داود الواسطي: قال ابن عدي: هو ممن لا بأس به إن شاء الله. قلت (الذهبي): بل كل البأس به، ورواياته تشهد بصحة ذلك. وقد قال البخاري: فيه نظر، ولا يقول هذا إلا فيمن يتهمه غالبًا.

وقال في «الموقظة» (ص:٨٣): وكذا عادته إذا قال: «فيه نظر»، بمعنى أنه: «متهم»، أو: «ليس بثقة»، فهو عنده أسوأ حالًا من «الضعيف».

وقال ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص:١٠١): ومن ذلك أن البخاري إذا قال، في الرجل: «سكتوا عنه»، أو «فيه نظر»، فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، لكنه لطيف العبارة في التجريح، فليعلم ذلك.

وقال العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة» (٣٧٧/١): و«فلان فيه نظر»، و«فلان سكتوا عنه» وهاتان العبارتان يقولهما البخاري فيمن تركوا حديثه.

وقال ذهبي العصر المعلمي اليماني في «التنكيل» (٢٧٨/١): وكلمة «فيه نظر» معدودة من أشد الجرح في اصطلاح البخاري[١].

وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال في «السنن الكبرى» (٣٨٢/٢) عقب حديث (١٩٧١): حيي بن عبد الله ليس ممن يعتمد عليه وهذا الحديث عندنا غير محفوظ.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين: «ليس به بأس»، وهذا ما دفع بعض أهل العلم لتحسين حديث حيي؛ ظنًّا منهم أن ابن معين قد وثقه، وهذا ما لم يكن، ولكن جريا منهم على القول بأن كل من قال فيه ابن معين «ليس به بأس» فهو ثقة عنده.

ومرجع هذا القول إلى ما قاله ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» له (١٩٢/٣): قلت ليحيى (أي ابن معين): إنك تقول: فلان ليس به بأس، وفلان ضعيف، قال: إذا قلت لك: ليس به بأس فهو ثقة، وإذا قلت لك ضعيف فليس هو بثقة لا يكتب حديثه.

---

(١) عارض بعض المعاصرين هذا الفهم بمواضع يكون عود الضمير في قوله: «فيه نظر» على حديث بعينه لضعفه أو على إسناد لم يثبت فيه السماع. وإنما بحثنا فيما كان عود الضمير على الراوي. كما عارضوا بعدم موافقة بعض الأئمة للبخاري على شدة الطعن في بعض من قال فيهم: «فيه نظر» وليس بشيء؛ إذ لا يلزم أن يوافق البخاري في كل اجتهاده، على أنه يوافق غالبًا في هذا الباب، وقد قال الذهبي: ولا يقول هذا إلا فيمن يتهمه غالبًا.

فهذا الكلام وإن كان فيه التعديل في الغالب من ابن معين لمن قال فيه: «ليس به بأس» إلا أنه ليس فيه التسوية بينه وبين من قال فيه «ثقة» فالثاني أعلى بلا شك.

قال العراقي في شرح ألفيته (٣٧٣/١): ولم يقل ابن معين: إن قولي: «ليس به بأس»، كقولي: ثقة، حتى يلزم منه التساوي بين اللفظين، إنما قال: إن من قال فيه هذا فهو ثقة، وللثقة مراتب. فالتعبير عنه بقولهم: ثقة، أرفع من التعبير عنه بأنه لا بأس به، وإن اشتركا في مطلق الثقة.

واستحسن هذا السخاوي فقال في «فتح المغيث» (٣٦٨/١): وهو حسن، وكذا أيده غيره بأنهم قد يطلقون الوصف بالثقة على من كان مقبولًا ولو لم يكن ضابطًا، فقول ابن معين هنا يتمشى عليه.

وأوضح من هذا في عدم التسوية بينهما ما قاله عبد الله بن أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٢١/٣): سألت يحي قلت التيمي عن الحضرمي فقال شيخ روى عنه معتمر عن أبيه عن الحضرمي قلت ليحي: «ثقة» قال: «ليس به بأس».

قلت: لو كانتا سواءً لأجاب بنعم.

كما أنه تعديل في الغالب وليس بمطرد في كل الرواة الذين يقول فيهم ابن معين «لا بأس به» فقد يقول في الراوي: «لا بأس به» ثم يضعفه فلا تحمل «لا بأس به» حينها على التوثيق.

فمن أمثلة ذلك:

ما قاله عباس الدوري في «تاريخ ابن معين» بروايته (٤١١/٤): سمعت يحي يقول: الإفريقي ليس به بأس وفيه ضعف وهو أحب إليَّ من أبي بكر بن أبي مريم الغساني.

وقد نقل العقيلي تصريح ابن معين بضعف الإفريقي في «الضعفاء الكبير» (٢/٣٣٢): قال حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: سمعت يحيى بن معين، وسأله محمد بن عبدوس عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (الإفريقي)، فقال: هو ضعيف.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في «تاريخ ابن معين» بروايته (ص:٩٢): وسألته عن مندل بن علي فقال: «ليس به بأس»، قلت وأخوه حبان بن علي فقال: صدوق، قلت: أيهما أحب إليك، فقال: كلاهما وتَمَرَّى كأنه يضعفهما.

وفي «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (١/٣٩٤) بعد أن نقل قول ابن معين في إبراهيم بن هارون الصنعاني: «ليس به بأس، يكتب حديثه» - قال ابن عدي: وقول يحيى بن معين: «يكتب حديثه» معناه: أنه في جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم.

بل وأبعد من هذا ما ذكره المعلمي اليماني في كتابه «التنكيل» (١/٢٥٨): وقد اختلف كلام ابن معين في جماعة، يوثق أحدهم تارة ويضعفه أخرى، منهم إسماعيل بن زكريا الخلقاني، وأشعث بن سوار، والجراح بن مليح الرواسي،... وغيرهم. وجاء عنه توثيق جماعة ضعفهم الأكثرون منهم تمام بن نجيح، ودراج ابن سمعان، والربيع بن حبيب الملاح...، وهذا يشعر بأن ابن معين كان ربما يطلق كلمة «ثقة» لا يريد بها أكثر من أن الراوي لا يتعمد الكذب.

وهذا ما وقع في ترجمة حيي بن عبد الله ففي «تاريخ ابن معين» - رواية ابن محرز (١/٦٨)- قال: سمعت يحيى يقول: حيي بن عبد الله «صالح الحديث ليس بذاك القوى».

فهذا تليين وتضعيف صريح -وإن كان خفيفًا- من ابن معين لحيي بن عبد الله، لا يمكن معه حمل قوله: «ليس به بأس» على التوثيق.

ومع ذلك فلعل كلام أحمد بالجرح الشديد أولى بالتقديم -والله أعلم- إذ هو أكثر بيانًا لحال أحاديثه، وقد وافقه على مثل شدته البخاري رضي الله عن الجميع.

ثانيًا: فيه عبد الله بن لهيعة:

وهو ضعيف الحديث على كل حال، قبل احتراق كتبه وبعد احتراقها، هذا إن كانت قد احترقت حقًّا، وإلا فقد نفى ذلك بعض أهل العلم وأثبته آخرون. وهو مع ضعفه يدلس.

وأما ما قيل عن رواية العبادلة عنه، فهي أقوى من غيرها ولكن يشملها جميعا الضعف إذا انفرد لضعفه هو وتدليسه.

قال مسلم: تركه ابن مهدي ويحيى ووكيع. وقال أحمد بن حنبل: ما حديث ابن لهيعة بحجة.

وقال ابن المديني: قال لي بشر بن السرى: لو رأيت ابن لهيعة لم تحمل عنه.

وقال يحيى بن معين: أنكر أهل مصر احتراق كتب ابن لهيعة، والسماع منه واحد القديم والحديث، هو ضعيف قبل أن تحترق كتبه وبعد احتراقها.

وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث.

وما أوفى وأدقَّ قولَ ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٢-١٣): قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه؛ فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودًا، وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرًا؛ فرجعت إلى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفاء، عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات؛ فالتزقت تلك الموضوعات به... وأما رواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه، ففيها مناكير كثيرة؛ وذاك أنه كان

لا يبالي ما دُفع إليه قرأه، سواء كان ذلك من حديثه، أو غير حديثه؛ فوجب التنكب عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه؛ لما فيها من الأخبار المدلسة عن الضعفاء والمتروكين، ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه؛ لما فيه مما ليس من حديثه.

وقد توبع ابن لهيعة:

تابعه رشدين بن سعد عن حيي به. أخرجه ابن حيويه في «حديثه» (١٠/و).

ولكن هذه المتابعة لا تصلح لتقوية حديث ابن لهيعة وذلك لأمرين:

أولهما: عدم ثبوتها عن رشدين بن سعد؛ ففي السند إليه:

أحمد بن عيسى المصري: وهو ممن استنكر أبو زرعة الرازي وابن وارة على مسلم الإخراج له في الصحيح بل قال أبو زرعة: ما رأيت أهل مصر يشكون في أن أحمد بن عيسى وأشار أبو زرعة إلى لسانه كأنه يقول: الكذب.

وقال أبو داود: سمعت يحيى بن معين يحلف بالله الذي لا إله إلا هو: إنه كذاب.

وقال أبو حاتم: تكلم الناس فيه، قيل لي بمصر إنه قدمها واشترى كتب ابن وهب، وكتاب المفضل بن فضالة، ثم قدمت بغداد، فسألت: هل يحدث عن المفضل بن فضالة؟ فقالوا: نعم، فأنكرت ذلك، وذلك أن الرواية عن ابن وهب والمفضل لا يستويان.

- وفي السند إليه أيضا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي: قال فيه الدارقطني: كان كثير التدليس يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث. وقال أيضا: مخلط مدلس يكتب عن بعض أصحابه ثم يسقط بينه وبين شيخه ثلاثة وهو كثير الخطأ.

وقال ابن مظاهر: هذا رجل لا يكذب ولكن يحمله الشره على أن يقول: حدثنا، ووجدت في كتبه مواضع: ذكره فلان، وفي كتابي عن فلان، ثم يقول: أخبرنا.

وقال الإسماعيلي: لا أتهمه في قصد الكذب، ولكنه خبيث التدليس ومصحف أيضا، أو قال: كثير التصحيف.

ثانيهما: أن رشدين بن سعد شديد الضعف أشد ضعفًا من ابن لهيعة.

قال أبو حاتم: منكر الحديث، وفيه غفلة، ويحدث بالمناكير عن الثقات، ضعيف الحديث، ما أقربه من داود بن المحبر، وابن لهيعة أستر، ورشدين أضعف. وعن يحيي بن معين: لا يكتب حديثه. وقال مرة: ليس من حمال المحامل. وضعفه أحمد بن حنبل، وقدم ابن لهيعة عليه. وقال الجوزجاني: عنده معاضيل، ومناكير كثيرة. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال مرة: ضعيف الحديث، لا يكتب حديثه. وقال ابن حبان: كان ممن يجيب في كل ما يسأل، ويقرأ كلما دفع إليه سواء كان من حديثه أم من غير حديثه، فغلبت المناكير في أخباره.

ثالثًا: اضطراب ابن لهيعة فيه:

فقد اضطرب فيه على خمسة أوجه مختلفة؛ تدل على عدم ضبطه له:

فتارة يرويه عن حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ، كما سبق.

وتارة يرويه عن الضحاك بن أيمن، عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب، عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ به. وسيأتي الكلام على حديث أبي موسى.

وتارة يرويه عن الزبير بن سليم، عن الضحاك بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي موسى عن النبي ﷺ.

وتارة يرويه عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عبادة بن نسي عن كثير بن مرة، عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ. وسيأتي الكلام عليه.

وتارة يرويه عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن مكحول، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، قال: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ يحدثون عن رسول الله ﷺ. وسيأتي الكلام عليه.

حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠) وابن أبي عاصم في «السنة»(٥١٠) والدارقطني في النزول (٩٤) والبيهقي في «الشعب» (٣٥٥٣) وفي «فضائل الأوقات» (٢٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٦/١٨ و٣٢٧) وابن الأخضر في «فضل شعبان» كما في «الأجوبة المرضية» للسخاوي (٣٢٦/١) وابن الدبيثي في «ليلة النصف من شعبان وفضلها» (٧) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٣١/و) من طريق أبي الأسود النضر بن عبد الجبار.

واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٦٣) من طريق مروان بن محمد.

وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٦/١٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٠٩/٩) من طريق سعيد بن عفير.

وابن فيل البالسي في «حديثه» (٩/ظ) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٦/١٨) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٣٢/و) من طريق عبيد بن أبي قرة، كلهم الأربعة عن ابن لهيعة عن الزبير بن سليم عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبيه عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان، فيغفر لخلقه كلهم أجمعين، إلا لمشرك أو مشاحن**».

وهذا هو الوجه الثاني عن ابن لهيعة وفيه:

الزبير بن سليم:

قال ابن عساكر: أظنه مصريًّا، ولكن لم أجد له ذكرًا في تاريخهم، ولم يذكره البخاري ولا ابن أبي حاتم.

وقال الذهبي: شيخ لا يعرف، ما روى عنه غير ابن لهيعة، حديثه في نزول ليلة النصف. وقال مرة: شيخ لابن لهيعة، مجهول. وقال ابن حجر: مجهول.

- **وعبد الرحمن بن عرزب**: قال فيه ابن حجر: مجهول.

وقد خالف الوليد بن مسلم هؤلاء الأربعة:

فرواه عن ابن لهيعة عن الضحاك بن أيمن عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبي موسى الأشعري به؛ فجعل الضحاك بن أيمن بدل الزبير بن سليم، ولم يقل عن أبيه.

أخرجه هكذا ابن ماجه (١٣٩٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩٢٢).

وهذا هو الوجه الثالث عن ابن لهيعة وفيه:

الضحاك بن أيمن:

قال ابن عساكر: الضحاك بن أيمن الكلبي من بني عوف كان مع الوليد بن يزيد حين قتل، له ذكر. وقال الذهبي: لا يدري من ذا. وقال ابن حجر: مجهول.

والضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب:

قال العجلي: شامي تابعي ثقة. وذكره ابن حبان في «الثقات». وكذا ابن خلفون كما قال مغلطاي. وقال أبو مسهر: كان من خير الولاة. وقال ابن زبر: سمعته يخطب على منبر دمشق. قال الذهبي: هكذا كان من تولى إمرة دمشق أو نحوها، هو الذي يخطب بالناس.

والضحاك وإن كان قد وثق إلا أنه لم يسمع من أبي موسى:

قال أبو حاتم: روى عن أبي موسى الأشعري، مرسل. وقال البيهقي: لم يثبت سماعه من أبي موسى. وقال السمعاني: روى عن أبي موسى مرسلا. وقال البوصيري: الضحاك لم يسمع من أبي موسى. وقال المزي: يقال: لم يلقه. وقال ابن حجر: يقال: لم يسمع منه.

وقال البخاري: الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب الأشعري، ويقال: ابن عرزم. سمع أبا موسى، وعبد الرحمن بن غنم.

قلت: وهذا من البخاري ليس فيه إثبات للسماع من أبي موسى؛ ولكنه يفعل هذا كثيرا من باب حكاية الإسناد الذي وقع له لا أكثر، وعليه فلا يعارض هذا ما سبق عن العلماء من نفي السماع.

حديث عوف بن مالك رضي الله عنه

أخرجه البزار (٢٧٥٤) قال: حدثنا أحمد بن منصور، قال: أخبرنا أبو صالح الحراني يعني عبد الغفار بن داود، قال: أخبرنا عبد الله بن لهيعة، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عبادة بن نسي، عن كثير بن مرة، عن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطلع الله تبارك وتعالى على خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لهم كلهم إلا لمشرك أو مشاحن**».

وهذا هو الوجه الرابع عن ابن لهيعة وفيه:

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي:

قال عبد الرحمن بن مهدى: أما الأفريقي فما ينبغي أن يروى عنه حديث.

وقال أحمد بن حنبل: ليس بشيء. وقال مرة: لا أكتب حديثه. وقال مرة: منكر الحديث.

وقال يحيى بن معين: ضعيف ويكتب حديثه، وإنما أنكر عليه الأحاديث الغرائب التي يجيء بها. وقال على ابن المديني: كان أصحابنا يضعفونه، وأنكر أصحابنا عليه أحاديث، تفرد بها لا تعرف. وقال صالح بن محمد البغدادي: منكر الحديث، ولكن كان رجلا صالحا.

وقال الترمذي: ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه يحيى القطان وغيره. وقال ابن خراش: متروك. وقال أبو أحمد بن عدى: عامة حديثه لا يتابع عليه.

وقال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات، ويدلس عن محمد بن سعيد المصلوب.

وقد تابع الإفريقي محمد بن سعيد المصلوب:

أخرجه أبو محمد الجوهري في «أماليه» (٤/ظ-٥/و) من طريق أحمد بن خالد بن عمرو السلفي، قثنا أبي قال: حدثني عكرمة بن يزيد الألهاني، قال: حدثني الأبيض، عن محمد بن سعيد، عن عبادة بن نسي به.

وهذه متابعة من كذبة هالكين؛ فلا تنفع الإفريقي بشيء، بل تضره:

فيها أحمد بن خالد بن عمرو، أبو عمرو السُّلَفي:

قال الخطيب: ورد بغداد، وحدث بها عن أبيه أحاديث غرائب، كتبها عنه الحفاظ. وقال ابن عدي ولابن أبي الأخيل أحاديث أيضا مناكير. وقال الدارقطني: عثمان وأحمد ابنا خالد بن عمرو السلفي من أهل حمص ثقتان وأبوهما ضعيف.

خالد بن عمرو أبو الأخيل السُّلَفي:

قال جعفر الفريابي: رأيت أبا الأخيل هذا بحمص ولم أكتب عنه لأنه كان يكذب.

وقال ابن عدي: روى أحاديث منكرة عن ثقات الناس؛ كتبنا عن ابنه أحمد، عن أبيه، عن عكرمة بن يزيد عن الأبيض بن الأغر عن مشايخه مقدار جزء لم نكتب ذلك عن غيره.

قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن القيسراني: كذاب.

وعكرمة بن يزيد الألهاني: قال الأزدي: ضعيف.

والأبيض وهو ابن الأغر:

قال البخاري: يكتب حديثه. وقال الدارقطني: ليس بالقوي.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وسكت، ثم أعاده وقال: كان ممن يخطئ.

وقال الأزدي: مجهول ضعيف. وقال ابن عبد الهادي: له مناكير.

ومحمد بن سعيد هو ابن حسان بن قيس الأسدي المصلوب:

قال أحمد بن حنبل: قتله أبو جعفر في الزندقة حديثه حديث موضوع. وقال: عمدا كان يضع. وقال أحمد بن صالح المصري: زنديق، ضربت عنقه، وضع أربعة آلاف حديث عند هؤلاء الحمقى فاحذروها. وقال ابن حبان: كان يضع الحديث؛ لا يحل ذكره إلا على وجه القدح فيه.

- وأخشى أن يكون الأفريقي، إنما أخذ هذا الحديث عن محمد بن سعيد المصلوب، ودلسه عنه؛ فقد كان يفعل هذا، كما سبق عن ابن حبان في ترجمته.

الوجه الخامس والأخير عن ابن لهيعة:

أخرجه ابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (٣) عن الوليد بن مسلم عن عبد الله بن لهيعة، قال: حدثني إسحاق بن عبد الله، عن مكحول، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، قال: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ يحدثون عن رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه: «**أن الله ﷻ يغفر في ليلة النصف من شعبان لكل عبد، إلا لمشرك أو مشاحن**».

وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة:

قال البخاري: تركوه. وقال أحمد: لا تحل عندي الرواية عنه وقال: ما هو بأهل أن يحمل عنه ولا يروى عنه. وقال ابن معين: لا يكتب حديثه. وقال على بن المديني: منكر الحديث. وقال عمرو بن على وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: متروك الحديث.

وقال الدارقطني والبرقاني: متروك.

وقال الخليلي: ضعفوه جدا، تكلم فيه مالك والشافعي وتركاه.

وقد اضطرب ابن أبي فروة في هذا الحديث؛ فرواه على وجه آخر، سيأتي ذكره في أوجه الحديث عن مكحول.

- وهذه الأوجه المضطربة عن ابن لهيعة، محال أن يكون حفظها جميعًا مع ضعفه، بل هي البرهان على عدم ضبطه لهذا الحديث؛ ومن العبث أن نقوي بعضها ببعض -كما فعل بعض المعاصرين- بل الصواب أنها يُعِلُّ بعضها بعضًا.

وهذا الوجه الأخير عن ابن لهيعة، يرجع بالحديث إلى مكحول، وبه يُعرف الحديث؛ وعليه مدار أكثر رواياته، وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**يطلع الله على خلقه في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**».

وهو حديث منكر:

أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٢)، ومن طريقه عبد الغني المقدسي في «حديثه» (٤٥/و) وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٨-١٠٩) وفي «الأوسط» (٦٧٧٦) وفي «مسند الشاميين»(٢٠٣ و٣٥٧٠)، والدارقطني في «أحاديث النزول» (٧٧) وفي «العلل» (٩٧٠) وأبو الحسن القزويني في «أماليه» (٤/ظ) وأبو محمد الجوهري في «أماليه» (٣/ظ)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٢) وفي «فضائل الأوقات» (٢٢)، والشجري في «أماليه» (١٣٢٠ و١٥٢٥ و١٨٨١)وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣٥/٣٨ و٩٧/٥٤)، وابن المحب في «صفات رب العالمين» (٨/ظ) (٧٥)، و(١٢٩/ظ) وابن الدبيثي في «جزء أحاديث ليلة النصف من شعبان» (٤) وابن الأخضر في «فضل شعبان» كما في «الأجوبة المرضية» للسخاوي (٣٢٨/١)جميعا عن هشام بن خالد الأزرق عن أبي خليد عتبة بن حماد عن الأوزاعي عن مكحول، وعن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبيه[(١)] عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**يطلع الله على خلقه في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**».

---

(١) سقطت (عن أبيه) من «السنة» لابن أبي عاصم المخطوط (٤١/ظ) وكذلك من المطبوعة بتحقيق الشيخ الألباني وقال السخاوي إنها سقطت من «فضل شعبان» لابن الأخضر وقد روى عبد الغني المقدسي الحديث من طريق ابن أبي عاصم فأثبتها وأضافها باسم الجوابرة في تحقيقه.

وهشام بن خالد الأزرق:

قال عنه أبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال مسلمة في «الصلة»: ثقة. وذكره أبو زرعة الدمشقي في أهل الفتوى بدمشق.

وقد توبع على بعض هذا الإسناد دون بعض؛ فرواه أزهر بن المرزبان عن أبي خليد عن الأوزاعي -وحده دون ذكر ابن ثوبان- به.

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٩١/٥) ومن طريقه ابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٢٩/ظ) من طريق أزهر بن المرزبان، قال ثنا عتبة بن حماد أبو خليد عن الأوزاعي (وحده)، عن مكحول، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل به.

وأزهر بن المرزبان: لم أجد فيه جرحا ولا تعديلا.

وقد توبع أبو خليد في روايته عن الأوزاعي وحده؛ تابعه محمد بن كثير المصيصي:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٢) من طريق المصيصي عن الأوزاعي به.

ومحمد بن كثير المصيصي:

ضعفه أحمد جدًّا وقال: هو منكر الحديث، وقال: يروي أشياء منكرة. وقال: ليس بشيء يحدث بأحاديث مناكير ليس لها أصل. وقال البخاري: لين جدًّا. وقال النسائي: ليس بالقوى، كثير الخطأ. وقال أبو حاتم الرازي: كان رجلًا صالحًا، وفى حديثه بعض الإنكار.

وقال أبو أحمد بن عدى: له روايات عن معمر، والأوزاعي خاصة عداد لا يتابعه عليها أحد.

وقد خولف هشام بن خالد، خالفه سليمان بن أحمد الواسطي:

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٠٥) من طريق سليمان بن أحمد عن أبي خليد عن ابن ثوبان عن أبيه عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن معاذ به.

وسليمان بن أحمد الواسطي:

كذبه ابن معين، وقال البخاري: فيه نظر. وقال صالح جزرة: كان يتهم في الحديث وقال مرة: كذاب. قال ابن عدي: هو عندي ممن يسرق الحديث وله أفراد.

وقال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبي وأحمد ويحيى ثم تغير وأخذ في الشرب والمعازف فترك.

قال الدارقطني: كلاهما غير محفوظ. أي طريق سليمان بن أحمد وطريق هشام بن خالد.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن حديث رواه أبو خليد القارئ، عن الأوزاعي، عن مكحول -وعن ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول- عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطلع الله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان إلى خلقه...**».

قال أبي: هذا حديث منكر بهذا الإسناد، لم يرو بهذا الإسناد غير أبي خليد، ولا أدري من أين جاء به! قلت: ما حال أبي خليد؟ قال: شيخ.

وأبو خليد عتبة بن حماد: وثقه أبو علي النيسابوري، والخطيب البغدادي. وذكره ابن حبان في «الثقات» وليس ينفعه ذلك بشيء مع توهين أبي حاتم إياه، واستنكاره الحديث عليه.

وقد خولف أبو خليد في روايته عن ابن ثوبان؛ خالفه الثقة الورع محمد بن يوسف الفريابي:

أخرجه الدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٤) من طريق محمد بن يوسف الفريابي عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة من قوله.

وهذا الوجه أصح الوجوه عن ابن ثوبان، وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان:

ضعفه ابن معين والنسائي. وقال أحمد: أحاديثه مناكير. ووثقه أبو حاتم ودحيم وابن حبان. وقال على ابن المديني وأبو زرعة وأبو داود والعجلي ليس به بأس.

وقال صالح جزرة: أنكروا عليه أحاديث يرويها عن أبيه، عن مكحول مسندة.

ويخشى أن يكون حديثنا هذا منها.

قال ابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٢٩/ظ): قال الذهبي: مكحول لم يلق مالك بن يخامر. وعقب بعض أهل العلم المعاصرين قائلا: ولولا ذلك لكان الإسناد حسنا؛ فإن رجاله ثقات.

قلت: لو لم يلق مكحول مالك بن يخامر، كما نقل عن الذهبي[(١)]؛ لكانت علة ثانية، وإن لقيه فسيبقى الحديث منكرا كما قال أبو حاتم وغير محفوظ كما قال الدارقطني.

وقد روي هذا الحديث، عن مكحول عن كثير بن مرة، من قوله، بغير واسطة خالد بن معدان:

---

(١) عبارة الذهبي في السير (٤٧٢/٥) وروى أيضا عن طائفة من قدماء التابعين، ما أحسبه لقيهم، كأبي مسلم الخولاني ومسروق، ومالك بن يخامر.

أخرجه عبد الرزاق (٣١٦/٤) عن محمد بن راشد عن مكحول عن كثير بن مرة «إن الله يطلع ليلة النصف من شعبان إلى العباد، فيغفر لأهل الأرض إلا رجلا مشركا أو مشاحنا».

ومحمد بن راشد: وثقه أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي وغيرهم، وقال عبد الرزاق: ما رأيت رجلا في الحديث أورع منه، وقال أبو حاتم كان صدوقا حسن الحديث.

وقال الساجي: صدوق، إنما تكلموا فيه لموضع القدر لا غير.

فهذا وجه صحيح عن مكحول، ولا يعارض الوجه السابق عنه؛ فلربما أخذه عن كثير بن مرة بواسطة خالد بن معدان مرة، ثم أخذه عنه بغير واسطته مرة أخرى.

وقد توبع محمد بن راشد؛ تابعه حجاج بن أرطاة في أحد الوجوه عنه:

أخرجه ابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (٥) والدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٣) من طريق حجاج بن أرطاة عن مكحول به.

والحجاج بن أرطاة تكلم العلماء في سماعه من مكحول:

قال أبو زرعة: لم يسمع من مكحول شيئا. وقال العجلي: يرسل عن مكحول ولم يسمع منه وأثبت له أبو داود السماع منه. وقال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: قد سمع حجاج بن أرطاة من مكحول وفى بعض حديثه: سمعت مكحولا.

وهو أحد المكثرين من التدليس، يدلس عن الضعفاء، ولم يصرح بالسماع. كما أنه ليس بالقوي عندهم؛ قال محمد بن نصر المروزي: والغالب على حديثه الإرسال والتدليس وتغيير الألفاظ.

وقد اضطرب الحجاج في هذا الحديث على خمسة أوجه:

فرواه عن مكحول عن كثير بن مرة من قوله. كما سبق.

ورواه عن مكحول عن كثير بن مرة مرسلا.

وعن مكحول، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا.

وعن يحيى بن أبي كثير عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا.

وعن يحيى بن أبي كثير مرسلا. وسيأتي بيان هذه الأوجه في حديث عائشة رضي الله عنها.

أما روايته عن مكحول عن كثير بن مرة الحضرمي مرسلا:

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٨/٦)، والدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٢) والبيهقي في «الشعب» (٣٥٥٠)، وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٣٠/ظ) و(١٣١/ظ) من طرق عن حجاج بن أرطاة عن مكحول عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ فِيهَا الذُّنُوبَ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ**».

وقد توبع الحجاج بن أرطاة على هذا الوجه، تابعه قيس بن سعد:

أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣١٧/٤) عن المثنى بن الصباح قال: حدثني قيس بن سعد، عن مكحول به.

والمثنى بن الصباح ضعيف اختلط بأخرة:

قال ابن عدي: قد ضعفه الأئمة المتقدمون، والضعف على حديثه بين. وقال يحيى القطان ترك حديثه لاختلاط منه. وقال ابن حبان كان ممن اختلط في آخر عمره حتى

كان لا يدري ما يحدث به فاختلط حديثه الذي فيه الأوهام والمناكير بحديثه القديم الذي فيه الأشياء المستقيمة عن أقوام مشاهير فبطل الاحتجاج به.

وقد توبع مكحول على هذا الوجه، تابعه خالد بن معدان عن كثير بن مرة مرسلا:

أخرجه الحارث في مسنده كما في «بغية الباحث» (٣٣٨) حدثنا عبد الله بن عون، ثنا أبو عبيدة، ثنا عبد الله، ثنا خالد بن معدان، عن كثير بن مرة به مرسلا.

وعبد الله هو ابن بسر السكسكي الحبراني:

قال الترمذي: ضعيف، ضعفه يحي بن سعيد وغيره. وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال أبو حاتم، والدارقطني: ضعيف الحديث. وقال أبو داود: ليس بالقوى.

وكثير بن مرة: تابعي ليس إلا، وهو عن النبي ﷺ مرسل؛ كما قال البيهقي والعلائي. وقال ابن حجر: وهم من عده صحابيا. وقد وثقه ابن سعد والعجلى وابن حبان وغيرهم.

ولذا فهذا الوجه مع ضعفه مرسل. وأصح الوجوه عن كثير بن مرة الموقوف عليه.

ذكر أوجه الحديث عن مكحول

قد روي هذا الحديث عن مكحول على أوجه كثيرة متباينة، بلغت في مجموعها اثني عشر وجها، ويرجع ذلك إلى ضعف رواتها عنه واضطرابهم تارة، وكثرة إرساله وتدليسه(١) تارة أخرى.

الوجه الأول: عن مكحول، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، قال: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ يحدثون عن رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه.

الوجه الثاني: عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل مرفوعا.

الوجه الثالث: عن مكحول عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة من قوله.

الوجه الرابع: عن مكحول عن كثير بن مرة من قوله.

الوجه الخامس: عن مكحول عن كثير بن مرة الحضرمي مرسلا.

وقد سبقت هذه الأوجه الخمسة.

الوجه السادس: عن مكحول عن كثير بن مرة عن يزيد بن جارية مرفوعا:

---

(١) قال ابن حبان في «الثقات»: ربما دلس. وقال الذهبي: هو صاحب تدليس. وقال العلائي: وهو يدلس أيضا. وقال ابن حجر: ولم أره للمتقدمين الا في قول بن حبان.

حديث يزيد بن جارية رضي الله عنه

وهو الوجه السادس: عن مكحول عن كثير بن مرة عن يزيد بن جارية مرفوعا.

أخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢٢٧/٣) من طريق فرات بن سليمان، عن إسحاق بن أبي فروة، عن مكحول، عن كثير بن مرة، عن يزيد بن جارية أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يَعْنِي إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا الْمُشَاحِنَ**».

وفرات بن سليمان: هو الجزري الرقي وصوابه سلمان بغير ياء، كذا ترجمه البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان وغيرهم. وثقه أحمد وابن معين. وقال أبو حاتم: لا بأس به محله الصدق، صالح الحديث. وقال ابن عدي: ولم أر المتقدمين صرحوا بضعفه وأرجو أنه لا بأس به.

وقد وهم ابن الجوزي، فنقل فيه قول ابن حبان: منكر الحديث جدا، يأتي بما لا يشك أنه معمول. وإنما قال ابن حبان ذلك في فرات بن سليم، كما في «المجروحين» (٢٠٧/٢).

وأما فرات بن سلمان فذكره في «مشاهير علماء الأمصار» وقال: وكان ثبتا. وذكره في «الثقات» وسكت عنه. ثم عاد وقال في «الثقات» أيضا في ترجمة محمد بن علوان: روى عنه فرات بن سلمان، وفرات ضعيف.

وإسحاق بن أبي فروة: متروك الحديث، كما سبق في ترجمته. وقد اضطرب في هذا الحديث فرواه على وجه آخر: عن مكحول عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة عن أصحاب رسول الله ﷺ.

الوجه السابع: عن مكحول، عن أبي إدريس الخولاني قوله:

أخرجه الدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٥) من طريق زيد بن أبي أنيسة عن جنادة بن أبي خالد عن مكحول عن أبي إدريس الخولاني قال: «**إن الله ﷻ يهبط ليلة النصف إلى السماء الدنيا فيغفر لكل مسلم إلا رجلا بينه وبين أخيه شحناء**».

قال أبو مسهر: لا يثبت أن مكحولا سمع من أبي إدريس.

وفيه جنادة بن أبي خالد:

قال الهيثمي: لم أجد من ترجمه. وقال الذهبي: لا يعرف.

وقد ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير»، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، ولكنه روى له خبرًا. وقد قال المعلّمي اليماني في تعليقه على «الفوائد المجموعة» للشوكاني: «وإخراج البخاري في «التاريخ» لا يفيد الخبر شيئًا، بل يضره؛ فإن من شأن البخاري ألا يخرج الخبر في «التاريخ» إلا ليدل على وهن راويه».

وترجمه أيضا ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال في صحيحة (٣٩٥/٥): وجنادة بن أبي أمية: من التابعين أقدم من مكحول وجنادة بن أبي خالد: من أتباع التابعين وهما شاميان ثقتان.

الوجه الثامن: عن مكحول عن كعب الأحبار من قوله:

أخرجه الدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٨) من طريق برد بن سنان، وابن المحب في «صفات رب العالمين» (٨/ظ) (٧٧) من طريق عمارة بن ميمون وقيس بن سعد

جميعا عن مكحول، عن كعب -وقال برد بن سنان أراه عن كعب- قال: «**إن الله ﷻ يطلع إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لهم جميعا إلا لمشرك أو مشاحن**».

وكعب الأحبار توفي سنة ٣٢ في آخر خلافة عثمان. ولم يدرك مكحول من هم دونه؛ وقد توفي مكحول سنة ١١٢ وقيل بعدها. ولكنه كان يرسل كثيرا.

الوجه التاسع: عن مكحول مرسلا:

أخرجه الدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٧) من طريق بقية بن الوليد قال عتبة بن أبي حكيم، قال: حدثني مكحول قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يطلع في كل ليلة النصف من شعبان، فيغفر لكل عبد له إلا مشركا ومشاحنا**».

فيه بقية بن الوليد ولم يصرح بالسماع:

وقد وثقه الجمهور فيما سمعه من الثقات وصرح فيه بالسماع؛ قال النسائي: إذا قال: حدثنا وأخبرنا، فهو ثقة، وإذا قال: عن فلان فلا يؤخذ عنه، لأنه لا يدرى عمن أخذه.

عتبة بن أبي حكيم:

الأكثرون على تضعيفه: ضعفه ابن المديني وابن معين[١] والنسائي. وقال الجوزجاني: غير محمود في الحديث وقال الدارقطني: ليس بقوي. ووهنه أحمد قليلا.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يعتبر حديثه من غير رواية بقية بن الوليد عنه. والراوي عنه هنا بقية كما ترى.

---

(١) اختلف قول ابن معين فيه فوثقه تارة وضعفه أخرى بل قال فيه: والله الذى لا إله إلا هو إنه لمنكر الحديث. وسبق عن المعلمي اليماني أن هذا يشعر بأن ابن معين كان ربما يطلق كلمة «ثقة» لا يريد بها أكثر من أن الراوي لا يتعمد الكذب.

الوجه العاشر: عن مكحول من قوله:

وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٧٢) من طريق برد بن سنان والبيهقي في «الشعب» (٣٥٤٩) من طريق الحسن بن الحر -واللفظ له- كلاهما عن مكحول قال: «**إن الله يطلع على أهل الأرض، في النصف من شعبان، فيغفر لهم إلا لرجلين إلا كافر أو مشاحن**». وفي حديث برد: «**فيغفر للمستغفرين ويتوب على التائبين ويدع أهل الحقد بحقدهم، فيغفر إلا لمشرك أو مشاحن**».

وهذا الوجه إسناده صحيح.

الوجه الحادي عشر: عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني، وسيأتي الكلام عليه.

حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه

أخرجه أبو جعفر بن أبي شيبة في «العرش» (٨٧) عن بشر بن عمارة، والدارقطني في «أحاديث النزول» (٨١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥١) وفي «السنن الصغير» (١٤٢٦) وفي «فضائل الأوقات» (٢٣) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (٨/ظ، ١٣٠/و) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي كلاهما عن الأحوص بن حكيم عن المهاصر بن حبيب[1] عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَطْلُعُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى عِبَادِهِ فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ**».

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٠، ٦٧٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥١) من طريق المحاربي عن الأحوص بن حكيم عن حبيب بن صهيب عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني به.

ومكحول لم يدرك أبا ثعلبة الخشني:

قال البيهقي: وهو بين مكحول وأبي ثعلبة مرسل جيد.

وقال الذهبي: أرسل عن عدة من الصحابة ولم يدركهم وذكر منهم أبا ثعلبة الخشني.

وقال العلائي: يحتمل أن يكون أرسل كعادته، وهو يدلس أيضا.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٣) والدارقطني في «أحاديث النزول» (٧٨، ٧٩) وأبو القاسم الأزجي في «حديثه» (٢/و)، (٤) والشجري في «أماليه»

---

(١) تصحف هذا الاسم في بعض الكتب إلى «المهاجر بن حبيب» والصواب ما أثبتناه.

(١٨٩٥) والجوهري في «أماليه» (٣/و) وابن الدبيثي في «ليلة النصف من شعبان» (٥) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٣٠/و)من طريق عيسى بن يونس، ثنا الأحوص بن حكيم، عن حبيب بن صهيب، عن أبي ثعلبة الخشني.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١١) والدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٠) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٦٠) من طريق محمد بن حرب، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٦٠/١) من طريق بشر بن عمارة، وابن أبي الصقر في «مشيخته» (١٠) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي ثلاثتهم عن الأحوص بن حكيم عن المهاصر بن حبيب عن أبي ثعلبة الخشني به.

وثم وجه خامس عن الأحوص بن حكيم فقد رواه عن أبي أمامة الباهلي كما سيأتي.

وهذا الاضطراب عن الأحوص بن حكيم سببه الأحوص نفسه وذلك لأمور:

أولها: أن رواة هذه الأوجه عنه -عدا الوجه الخامس- ثقات (عبد الرحمن بن محمد المحاربي وعيسى بن يونس ومحمد بن حرب).

ثانيها: أن أحد هؤلاء الثقات وهو المحاربي قد رَوَى عنه ثلاثة من هذه الأوجه.

ثالثها: أن الأحوص بن حكيم في ضعف حاله لا يحتمل مثل هذا التعدد والاختلاف، قال أبو بكر بن عياش قيل للأحوص: ما هذه الأحاديث التي تحدث بها عن النبي ﷺ؟ قال: أوليس الحديث كله عن النبي ﷺ.

قال أحمد بن حنبل: لا يروى حديثه، يرفع الأحاديث إلى النبي ﷺ وقال مرة: لا يسوى حديثه شيئا. وقال أبو حاتم: الأحوص بن حكيم ليس بقوى، منكر الحديث.

وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال ابن المديني: ليس بشيء لا يكتب حديثه.

وقال الجوزجاني: ليس بالقوى في الحديث. وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: ليس بثقة. وقال الساجي: ضعيف عنده مناكير. وقال ابن حبان: لا يعتبر بروايته.

وسئل الدارقطني كما في العلل له (١١٦٩) عن حديث حبيب بن صهيب، عن أبي ثعلبة الخشني، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يطلع إلى عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد لحقدهم، حتى يدعوه**».

فقال: يرويه الأحوص بن حكيم، واختلف عنه:

فرواه عيسى بن يونس، عن الأحوص، عن حبيب بن صهيب، عن أبي ثعلبة.

وخالفه مخلد بن يزيد، فرواه عن الأحوص، عن مهاصر بن حبيب، عن أبي ثعلبة

والحديث مضطرب، غير ثابت.

حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

أخرجه الحسن الخلال في «أماليه» (٢/و)، (٣) ومن طريقه ابن الدبيثي في «ليلة النصف من شعبان» (٣) وأبو طاهر السلفي في «المشيخة البغدادية» (٤/ظ) من طريق عبد العزيز بن موسى عن سيف بن محمد الثوري عن الأحوص بن حكيم عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَهْبِطُ اللَّهُ عز وجل إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَطَّلِعُ إِلَيْهِمْ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، إِلَّا كَافِرًا أَوْ كَافِرَةً، أَوْ مُشْرِكًا أَوْ مُشْرِكَةً، أَوْ رَجُلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ مُشَاحَنَةٌ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ لِحِقْدِهِمْ»**.

وفيه سيف بن محمد الثوري:

قال أحمد بن حنبل: لا يكتب حديثه ليس بشيء، كان يضع الحديث.

وعن ابن معين: كذاب خبيث وقال أبو داود: كذاب.

وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك ليس بثقة.

وقال الدارقطني وغيره: متروك.

وأخرجه الشجري في «أماليه» (١٨٨٠) من طريق المسيب بن شريك، عن جعفر ابن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، أن النبي ﷺ، قال: **«إذا كانت ليلة النصف من شعبان هبط الرب تبارك وتعالى إلى السماء فيطلع اطلاعه على أهل الأرض، فيغفر لأهل الأرض جميعا إلا لكافر أو مشاحن»**.

وفيه جعفر بن الزبير:

قال أبو حاتم وعمرو بن على والبخاري النسائي والدارقطني ويعقوب بن سفيان: متروك الحديث. وقال الجوزجاني: نبذوا حديثه.

وقال ابن حبان: يروى عن القاسم وغيره أشياء موضوعة، وكان ممن غلب عليه التقشف حتى ثار وهمه شبيها بالوضع. تركه أحمد ويحيي وروى جعفر عن القاسم عن أبى أمامة نسخة موضوعة. وقال الحافظ أبو نعيم: لا يكتب حديثه ولا يساوى شيئا، روى عن القاسم عن أبى أمامة غير حديث لا أصل له.

والمُسَيَّب بن شريك:

قال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال الفلاس: متروك الحديث، قد أجمع أهل العلم على ترك حديثه. وقال يحي بن معين: ليس بشيء.

وقال عبد الله بن علي بن المديني، عن أبيه: ما أقول: إنه كذاب. قال عبد الله: ولم يحدث عنه بشيء.

حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٨٣٨) وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣٦) وابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٩) والبزار في «مسنده» (٢٠٦/١-٢٠٧) وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (١٠٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٨) والعقيلي في «الضعفاء» (٢٩/٣) وابن عدي في «الكامل» (٥٣٥/٦-٥٣٦) وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (١٤٩/٢) وأبو الحسن القزويني في «أماليه» (٤/و-٤/ظ) والدارقطني في «أحاديث النزول» (٧٥، ٧٦) وابن بطة في «الإبانة» (٢٢٢/٧) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٥٠) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٤٢٦/١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٤٦ و٣٥٤٧ و٣٥٤٨) والشجري في «الأمالي الخميسية» (١٩١٧ و١٩١٨) وأخرجه البغوي في «التفسير» (١٨٩٨) وفي «شرح السنة» (٩٩٣) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩١٦) وابن الدبيثي في «ليلة النصف من شعبان» (١) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٢٩/و) وابن حجر في «الأمالي المطلقة» (١٢٢) وفي «لسان الميزان» (١١/٦) من طرق عن عبد الله بن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن عبد الملك بن عبد الملك، حدثه، عن المصعب بن أبي ذئب(١)، عن القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه(٢)، عن جده أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل الله تبارك وتعالى ليلة النصف**

---

(١) وقع في كتاب «الرد على الجهمية» لعثمان الدارمي: (مصعب بن أبي الحارث)! كما في أصله المخطوط بمكتبة كوبرلي (١٢/و) وكذلك في المطبوع بتحقيق بدر البدر والمطبوع بتحقيق زهير الشاويش.

(٢) وقع في كتاب «أخبار مكة» للفاكهي و«الكامل» لابن عدي (عن عمه أو غيره).

من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنسانا في قلبه شحناء، أو مشركا بالله ﷻ».

إسناده منكر:

فيه عبد الملك بن عبد الملك:

قال البخاري: عبد الملك بن عبد الملك، عن مصعب بن أبي ذئب، في حديثه نظر. يريد حديثنا هذا كما بين ذلك العقيلي في كتابه «الضعفاء الكبير» (٤٩٣/٣) ثم قال العقيلي: وفى النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين، والرواية في النزول في كل ليلة أحاديث ثابتة صحاح، فليلة النصف من شعبان داخلة فيها إن شاء الله.

وقال ابن أبي حاتم: مصعب بن أبى ذئب روى عن القاسم بن محمد، روى عنه عبد الملك بن أبى ذئب، وروى عمرو بن الحارث عن عبد الملك بن عبد الملك عن مصعب بن أبى ذئب هذا، سمعت أبي يقول ذلك، ويقول لا يعرف منهم إلا القاسم بن محمد يعنى في الإسناد.

وقال ابن عدي: وعبد الملك بن عبد الملك معروف بهذا الحديث، ولا يرويه عنه غير عمرو بن الحارث، وهو حديث منكر بهذا الإسناد.

وقال ابن حبان: منكر الحديث جدا؛ يروي ما لا يتابع عليه؛ فالأولى في أمره ترك ما انفرد به من الأخبار. وقال الدارقطني: مدني متروك.

ومصعب بن أبي ذئب:

جهَّله أبو حاتم، وقال الدارقطني: مدني متروك.

وقال البزار: وقد روى مصعب بن أبي ذئب، عن القاسم بن محمد، عن أبيه، أو عمه، عن أبي بكر وذكر الحديث ثم قال: وهذه الأحاديث التي ذكرت عن محمد بن أبي بكر، عن أبيه في بعض أسانيدها ضعف وهي عندي والله أعلم مما لم يسمعها محمد بن أبي بكر من أبيه لصغره ولكن حدث بها قوم من أهل العلم فذكرنا وبينا العلة فيها.

وللبزار كلام آخر في هذا الحديث فقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي بكر إلا من هذا الوجه وقد روي عن غير أبي بكر، وأعلى من رواه عن النبي ﷺ أبو بكر، وإن كان في إسناده شيء فجلالة أبي بكر تحسنه، وعبد الملك بن عبد الملك ليس بمعروف، وقد روى هذا الحديث أهل العلم ونقلوه واحتملوه فذكرناه لذلك.

قلت: وهذا التحسين بجلالة أبي بكر الصديق لا يجري على قواعد المحدثين كما هو ظاهر، إلا أن يراد -على تكلف- حسن الجمع والإخراج لا تقوية إسناده، وإلا فقد تعقبه الهيثمي وقال: هذا كلام ساقط.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح ولا يثبت.

وقال ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص:١٢٢):

هذا حديث حسن إن كان من رواية القاسم عن عمه وهو عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه سمع منه وسمع عبد الرحمن من أبيه ولم يسمع القاسم من أبيه ولا أبوه من جده.

قلت: قد بان لنا بما سبق، أن الحديث لم يثبت عن القاسم، بل استنكره الأئمة على عبد الملك بن عبد الملك؛ فهو آفته وسبب ضعفه؛ فقد قال البخاري فيه نظر. وجهَّله وشيخَه مصعب بن أبي ذئب أبو حاتم الرازي. وحكم عليهما الدارقطني بالترك.

فليست العلة رواية القاسم عن أبيه الذي لم يسمع منه، بل لو كان من رواية القاسم عن عمه الذي سمع منه -مع أنه لم يكن؛ فقد وردت الرواية بالشك «عن أبيه أو عمه»- فلن يكون الحديث حسنا أيضا فإنه منكر؛ سبب نكارته عبد الملك بن عبد الملك.

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرجه ابن ماجه (١٣٨٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٨٣٧)،

وابن بشران في «أماليه» (٧٠٣) من طريق الحسين بن أبي علي النجار،

والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٤٢) وفي «فضائل الأوقات» (٢٤)، من طريق محمد بن علي بن زيد الصائغ،

والشجري في «أماليه» (١٣٢١)، وقوام السنة في «الترغيب والترهيب» (١٨٦٠)، ومن طريقه السخاوي في «الأجوبة المرضية» (٣٣١/١)، من طريق أحمد بن محمد البزار،

وعبد الغني المقدسي في «الترغيب في الدعاء» (٣٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٠٧/٣٣)، وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٢٩/و)، من طريق أبي بكر محمد بن هارون بن المجدر،

كلهم (الستة) عن الحسن بن علي الخلال قال: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا أبو بكر بن أبي سبرة، عن إبراهيم بن محمد، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا، حتى يطلع الفجر**».

وليس في رواية محمد بن علي بن زيد الصائغ ذكر النزول، وفيها «ألا من سائل فأعطيه» بدلا من «ألا مبتلى فأعافيه».

وخالف إبراهيم بن أبي طالب الجماعة (الستة) في هذا الحديث، فرواه عن الحسن بن علي الحلواني، غير أنه قال: عن محمد بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه مرسلا، ولم يذكر عليا:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٤٢) من طريقه.

وتوبع الحسن بن علي الحلواني على وصله:

أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٣٤٩/٨) من طريق أبي حصين بن يحيى بن سليمان، عن عبد الرزاق به موصولا.

وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة:

قال أحمد: ليس بشيء، كان يضع الحديث ويكذب، وقال البخاري وابن المديني: منكر الحديث، وقال النسائي متروك الحديث، وقال ابن عدى: عامة ما يرويه غير محفوظ، وهو فى جملة من يضع الحديث. وقال ابن حبان: كان ممن يروى الموضوعات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به.

وإبراهيم بن محمد:

نسبه المزي: إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر، ثم قال: فلا أدرى هو هذا أو غيره.

وقال الذهبي: فإن كان إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال فيه ابن أبي حاتم: روى عن أبيه، وعنه سعد بن زياد وابن عيينة، ويعقوب بن عبد الرحمن، ولعله ابن أبي يحيي، وإلا فليس بالمشهور.

وقال ابن حجر: أظنه ابن أبى يحيي، وهو من أقران ابن أبى سبرة.

وابن أبي يحيى هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى أبو إسحاق الأسلمي:

كذبه يحيى بن سعيد القطان وابن معين وعلى بن المديني وأبو حاتم والبزار وابن حبان.

وقال بشر بن المفضل: سألت فقهاء أهل المدينة عنه، فكلهم يقولون: كذاب أو نحو هذا. وقال أحمد بن حنبل: كان قدريا معتزليا جهميا، كل بلاء فيه.

وقال البخاري قدري جهمي تركه ابن المبارك والناس.

وأما إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر:

فترجمه البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا. وذكره ابن حبان في «الثقات».

وقال الذهبي: شيخ. وقال وهو مقل، عداده في أهل المدينة. وقال ابن حجر: صدوق.

وأخرجه قوام السنة في «الترغيب والترهيب» (١٨٥٨)، وعبد القادر الجيلاني في «الغنية» (١/٣٤٥)، من طريق إسماعيل بن عمرو البجلي، ثنا عمر بن موسى الوجيهي، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل مسلمٍ إلا لمشركٍ أو مشاحن أو قاطع رحمٍ أو امرأة تبغي في فرجها**».

وفيه عمر بن موسى الوجيهي:

قال ابن معين: كذاب ليس بشيء. وقال أبو حاتم: متروك الحديث ذاهب الحديث كان يضع الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: هو ممن يضع

الحديث متنا وإسنادا. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال الجوزجاني رأيتهم يرمون حديثه. وقال الدارقطني: متروك.

وإسماعيل بن عمرو بن نجيح البجلي:

قال أبو حاتم والدارقطني: ضعيف. وقال ابن عدي: حدث بأحاديث لا يتابع عليها. وقال العقيلي في حديثه مناكير، ويحيل على من لا يحتمل. وقال الخطيب: صاحب غرائب ومناكير. وقال ابن عقدة: ضعيف ذاهب الحديث. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يغرب كثيرًا. وقال أبو الشيخ: غرائب حديثه تكثر. وقال الأزدي: منكر الحديث.

وأخرجه الشجري في «أماليه» (١٩١٩) من طريق محمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد العزيز يعني ابن إسحاق، قال: حدثني المغيرة بن محمد، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص، قال: حدثنا عبد العزيز بن شيخ، قال: كان ينزل بني الشعير، قال: حدثني الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده**».

ومحمد بن جعفر هو أبو الفضل الخزاعي الجرجاني:

قال الخطيب: كان شديد العناية بعلم القراءات، ورأيت له مصنفا يشتمل على أسانيد القراءات المذكورة فيه عدة من الأجزاء فأعظمت ذلك واستنكرته، حتى ذكر لي بعض من يعتنى بعلوم القراءات أنه كان يخلط تخليطا قبيحا، ولم يكن على ما يرويه مأمونا.

وحكى لي القاضي أبو العلاء الواسطي عنه: أنه وضع كتابا في الحروف ونسبه إلى أبي حنيفة، قال أبو العلاء: فأخذت خط الدارقطني وجماعة من أهل العلم كانوا في ذلك الوقت بأن ذلك الكتاب موضوع لا أصل له، فكبر عليه ذلك وخرج من بغداد إلى الجبل، ثم بلغني بعد أن حاله اشتهرت عند أهل الجبل، وسقطت هناك منزلته.

وقال الذهبي: كان غير صادق، ولا ثقة. وقال: ضعفوه.

وعبد العزيز بن إسحاق ويعرف بابن البقال:

قال محمد بن أبي الفوارس: كان له مذهب خبيث، ولم يكن في الرواية بذاك، سمعت منه أجزاء فيها أحاديث رديئة.

وقال أبو القاسم التنوخي: كان أحد المتكلمين من الشيعة، وله كتب مصنفة على مذاهب الزيدية تجمع حديثا كثيرا.

قلت: هو جامع المسند المنحول على زيد بن علي، ويسمى بـ«المجموع الفقهي»، وراويه عن زيد عمرو بن خالد الواسطي، وقد كذبه أحمد وابن معين وأبو زرعة وإسحاق بن راهويه.

وأما عبد العزيز بن شيخ:

فلم أجد له ذكرا، ولعله تصحيف، وقد اشتهرت أمالي المرشد الشجري بذلك.

وأخرجه الشجري في «أماليه» (١٨٨٤) من طريق أبي الحسين عمر بن الحسن بن علي بن مالك الأشناني، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن زكريا المروروذي، قال: حدثنا موسى بن إبراهيم المروزي الأعور، قال: حدثنا موسى بن جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن

علي، عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا سبحانه هو أجل، وأعظم من أن يزول عن مكانه، ولكن نزوله على الشيء إقباله عليه لا يجسم - فيقول: هل من سائل، فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأقبل توبته؟ هل من مدين فأسهل عليه قضاء دينه؟ فاغتنموا هذه الليلة، وسرعة الإجابة فيها**».

وموسى بن إبراهيم المروزي:

قال ابن معين: كذاب وقال الدارقطني: متروك وقال العقيلي: منكر الحديث لا يتابع على حديثه وقال ابن حبان: كان مغفلا يلقن فيتلقن فاستحق الترك وقال ابن عدي: هو شيخ مجهول يحدث بالمناكير عن قوم ثقات، وهو بيِّنُ الضعف.

وعمر بن الحسن بن علي بن مالك أبو الحسين الأشناني:

قال الدارقطني: كان يكذب وقال مرة: ضعيف. وقال الحسن بن محمد الخلال: ضعيف تكلموا فيه. وقال الذهبي: ليس بثقة. وقال: أنا أتهمه بوضع حديث: «أسلمت وتحتي أختان».

وأما محمد بن زكريا فهو ابن يحيى بن الصلت بن رزين بن عبد الرحمن أبو بكر المؤدب:

ترجمه الخطيب ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

وهذه الرواية على شدة ضعفها أقحمت فيها زيادة باطلة موضوعة كما ترى.

وقد رويت هذه الزيادة من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

أخرجه الخطيب (٣/ ٣٩) ومن طريقه الجورقاني في «الأباطيل والمناكير»

(٢١٦/١) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٢٣/١) والذهبي في «ميزان الاعتدال» (٦٢٣/٢) من طريق عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر البقال الزيدي.

وأخرجه الجورقاني في «الأباطيل والمناكير» (٢١٥/١-٢١٦) من طريق أبي علي الزجاجي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد،

كلاهما عن أبي سعيد الحسن بن عبد الصمد البزار، قال: حدثنا بحر بن يحيى بن بحر، قال: حدثنا عبد الكريم بن روح، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن نزول الله تعالى إلى الشيء إقباله عليه من غير نزول**».

قال الجورقاني: هذا حديث باطل، قال أبو حاتم الرازي: قال عمرو بن رافع: دخلت على عبد الكريم بن روح بالبصرة، ولم أسمع منه لأنه متروك الحديث، وقال محمد بن أبي الفوارس: أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر الزيدي كان له مذهب خبيث، ولم يكن في الرواية بذلك، سمعت منه أجزاء فيها أحاديث ردية، وأبو الحسن علي بن محمد، الذي روى عنه أبو علي الزجاجي مجهول لا يعرف في أصحاب الحديث، وأبو علي الزجاجي هذا منكر الحديث.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع لا أصل له.

وقال الذهبي: إسناد مظلم، ومتنه مختلق.

وقال ابن رجب الحنبلي: حديث موضوع.

حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه

أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٤٦٧) والحسن الخلال في «أماليه» (٢/و)، (٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٥) وفي «فضائل الأوقات» (٢٥) وابن الدبيثي في «ليلة النصف من شعبان» (٦) من طريق مرحوم بن عبد العزيز العطار، عن داود بن عبد الرحمن، عن هشام، عن الحسن، عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان ليلة النصف من شعبان، نادى مناد: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه؟ فلا يسأل الله عز وجل أحد شيئا إلا أعطاه، إلا زانية بفرجها أو مشرك**».

وهذا الحديث ليس فيه ذكر نزول المولى تبارك وتعالى، كما أن المغفرة فيه مشروطة بالاستغفار.

وقد خالف عبد الرحمن بن سلام الجمحي، مرحوم العطار في إسناد هذا الحديث، فجعله عن هشام عن محمد بن سيرين، وفي متنه فلم يذكر فيه «ليلة النصف من شعبان»:

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٣٩١)، وفي «الأوسط» (٢٧٦٩) ومن طريقه الشجري في «أماليه» (٩٨٩) عن إبراهيم بن هاشم البغوي، عن عبد الرحمن بن سلام الجمحي، عن داود بن عبد الرحمن العطار، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، عن النبي ﷺ قال: «**تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه، فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له، إلا زانية تسعى بفرجها، أو عشارا**».

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا داود، تفرد به عبد الرحمن.

ومرحوم بن عبد العزيز العطار، أوثق من عبد الرحمن بن سلام الجمحي؛ وروايته أولى بالصواب ومع ذلك فهي منقطعة:

هشام بن حسان: ثقة حافظ، ولكنه كان يدلس؛ وصفه بذلك علي بن المديني وأبو حاتم.

وأحاديثه عن الحسن البصري أخذها عن حوشب بن مسلم:

قال علي بن المديني: أحاديث هشام عن الحسن عامتها تدور على حوشب.

وقال أبو داود: إنما تكلموا في حديثه عن الحسن وعطاء لأنه كان يرسل، وكانوا يرون أنه أخذ كتب حوشب.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل، عن علي بن المديني عن عرعرة بن البرند، سألت عباد بن منصور قلت يا أبا سلمة تعرف أشعث مولى آل حمران، قال نعم قلت كان يقاعد الحسن؟ قال نعم كثيرا، قلت هشام بن حسان القردوسي؟ قال ما رأيته عند الحسن، قط قال عرعرة فأخبرت بذلك جرير بن حازم بعد موت عباد؛ فقال لي جرير: قاعدت الحسن سبع سنين ما رأيت هشاما عنده قط، فقلت: يا أبا النضر قد حدثنا عن الحسن بأشياء ورويناها عنه، فعمن تراه أخذها؟ أخذها عن حوشب.

وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن علية قال: كنا لا نعد هشام بن حسان في الحسن شيئا.

وقال نعيم بن حماد: سمعت بن عيينة يقول لقد أتى هشام أمرا عظيما بروايته عن

الحسن، قيل لنعيم لم قال أنه كان صغيرا. قال نعيم قال ابن عيينة وكان هشام أعلم الناس بحديث الحسن.

وقال علي عن يحيى بن سعيد: هشام بن حسان في ابن سيرين أحب إلي من عاصم الأحول وخالد الحذاء، وهو عندي في الحسن دون محمد بن عمرو يعني الأنصاري.

وقال الآجري في «سؤالاته» (٤/الورقة ٧) سمعت أبا داود يقول: أربعة كانوا لا يرون الرواية عن هشام عن الحسن: يحيى بن سعيد وابن علية ويزيد بن زريع ووهيب، لا يرون الرواية عن هشام عن الحسن[١].

ولهذا ما أخرج البخاري ومسلم لهشام عن الحسن، إلا في الشواهد والمتابعات.

وحوشب هو ابن مسلم الثقفي:

قال ابن سعد: وكان ثقة إن شاء الله، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال أبو داود: كان من كبار أصحاب الحسن. وقال ابن حجر: صدوق.

وقال الأزدي ليس بذاك. وقال الذهبي لا يدرى من هو.

والحسن البصري مع جلالته فهو من المشهورين بالتدليس، واختلف في سماعه من عثمان:

قال الحاكم: إن الحسن لم يسمع من عثمان بن أبي العاص.

وقال المزي: يقال: لم يسمع منه. وجزم ابن حجر بعدم سماعه.

---

(١) انظر حاشية تهذيب الكمال (١٩٤/٣٠).

وقال ابن معين: يقال إنه رأى عثمان بن أبي العاص.

وقال ابن أبي الأسود: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا أبو عامر، عن الحسن، قال: كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص، وقد أخلى بيتا للحديث.

وقال البزار: وروى عن عثمان بن أبي العاص، وسمع منه».

هذا ولو قيل بسماع الحسن من عثمان في الجملة، إلا أنه روى هنا بالعنعنة وهو كثير التدليس وقد قال الذهبي: كان الحسن كثير التدليس، فإذا قال في حديث «عن فلان» ضعف سماعه، ولا سيما عمن قيل إنه لم يسمع منهم.

وقد روي الحديث من طرق أخرى عن عثمان، ولكن ليس فيها ذكر ليلة النصف من شعبان، ومع ذلك لم تسلم من الضعف.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أخرجه البزار في «مسنده»(٩٢٦٨) وابن سمعون في «أماليه» (٦٦، ١٦٨) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤١٧/١٦) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩٢١) من طريق عبد الله بن غالب حدثنا هشام بن عبد الرحمن عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله لعباده إلا لمشرك أو مشاحن**».

وليس فيه ذكر نزول ربنا سبحانه وتعالى.

وإسناده منكر:

تفرد به **هشام بن عبد الرحمن** وهو مجهول، عن الأعمش وهو إمام مشهور الحديث!.

قال البزار: وأحاديث هشام بن عبد الرحمن هذه الثلاثة لا نعلم أحدا شاركه فيها عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعبد الله بن غالب هذا فرجل ليس به بأس، وهشام لا نعلم حدث عنه إلا عبد الله بن غالب.

قال ابن الجوزي: وهذا لا يصح وفيه مجاهيل.

وفيه **عبد الله بن غالب هو العباداني**: روى له ابن ماجه ولم يذكر فيه المزي جرحا ولا تعديلا، وقال الذهبي: لم يضعف، وقال ابن حجر: مستور.

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه

أخرجه عبد الغني المقدسي في «حديثه»[(١)] (٢٧) أخبرنا روح، أنبا غانم بن محمد، أنبا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد بن النيسابوري، هو ابن حيوة، ثنا هشام بن عمار، ثنا محمد بن مسروق، ثنا أبو العطوف الجراح بن المنهال، عن عبد الله بن يزيد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ليلة النصف من شعبان يهبط الرحمن** عز وجل **إلى سماء الدنيا فينظر إلى أعمال العباد فيغفر للمستغفرين ويتوب على التوابين ويستجيب للسائلين ويكفي المتوكلين، ويدع أهل الصغائر لا يفعل بهم شيئا من ذلك، ويغفر الذنوب جميعا لمن يشاء إلا لمشرك أو قاتل نفس حرمها الله** عز وجل **أو مشاحن**».

وإسناده تالف بمرة، فيه هلكى:

عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقي:

قال أحمد: أحاديثه موضوعة. وقال الجوزجاني: أحاديثه منكرة.

وقال ابن أبي حاتم: عبد الله بن يزيد بن آدم، روى عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل كيف تبعث الأنبياء؟ روى عنه فياض بن محمد الرقي. سألت أبي عنه فقال: لا أعرفه، وهذا حديث باطل.

أبو العطوف الجراح بن المنهال الجزري:

قال أحمد: كان صاحب غفلة. وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء. وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه. وقال أبو حاتم: متروك الحديث ذاهب لا يكتب حديثه.

---

(١) جزء مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم ولم أقف عليه بنفسي.

وقال البخاري ومسلم: منكر الحديث. وقال النسائي والدارقطني: متروك.

وقال ابن حبان: كان يكذب في الحديث، ويشرب الخمر.

محمد بن مسروق:

قال أبو زرعة: شيخ. وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال أبو بكر الضبي في «أخبار القضاة» (٢٣٨/٣):

ثم ولي محمد بن مسروق الكندي من أهل الكوفة، قالوا: ولم يكن بالمحمود في ولايته وكان فيه تجبر وعتو، فلم يزل على القضاء إلى سنة أربع وثمانين ومائة، ثم عزل. وقد حدث محمد بن مسروق الكندي وعنده أحاديث فيها نكير.

قال سعيد بن عفير: قدم علينا قاضيا، وكان متجبرا، فاعتدى على العمال وأنصف منهم.... واتخذ قومًا للشهادة، وأوقف سائر الشهود، فوثبوا به وشتموه وشتمهم، وكانت منه هَنات إلى أشرافهم.

وقال يحيى بن بكير: ما كان بأحكام محمد بن مسروق بأس إلا أنه كان من أعظم الناس تكبرا.

وقال الحارث بن مسكين: كان محمد بن مسروق يذل الجبارين فما فضحه إلا ابنه يعني أن ابنه لما قدم عليه صار يأتي إلى من عنده مال من الودائع فيقول: أعطنيه حتى أتجر فيه فآخذ الفضل وأعيد لك الأصل! فتلف على يديه شيء كثير.

حديث أبي بن كعب رضي الله عنه

أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/٧٢) من طريق حامد بن محمود الهمداني، حدثنا إبراهيم بن عبد الله البصري، حدثنا محمد بن حازم عن الضحاك بن مزاحم، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن جبريل أتاني ليلة النصف من شعبان، قال قم فصل وارفع رأسك ويديك إلى السماء، قال فقلت يا جبريل ما هذه الليلة؟ قال يا محمد يفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة ثلاثمائة باب؛ فيغفر لجميع من لا يشرك بالله شيئا غير مشاحن أو عاشر أو مدمن خمر أو مصر على زنى، فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا، فأما مدمن الخمر فإنه يترك له باب من أبواب الرحمة مفتوحا حتى يتوب، فإذا تاب غفر الله له وأما المشاحن فيترك له باب من أبواب الرحمة حتى يكلم صاحبه، فإذا كلمه غفر له**». قال النبي (ﷺ): يا جبريل فإن لم يكلمه حتى يمضي عنه النصف؟ قال لو مكث إلى أن يتغرغر بها في صدره فهو مفتوح، فإن تاب قبل منه. فخرج رسول الله (ﷺ) إلى بقيع الغرقد، فبينا هو ساجد قال وهو يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك جل ثناؤك لا أبلغ الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. فنزل جبريل عليه السلام في ربع الليل، فقال يا محمد ارفع رأسك إلى السماء فرفع رأسه فإذا أبواب الرحمة مفتوحة، على كل باب ملك ينادي طوبى لمن تعبد في هذه الليلة، وعلى الباب الآخر ملك ينادي طوبى لمن سجد في هذه الليلة، وعلى الباب الثالث ملك ينادي طوبى لمن ركع في هذه الليلة، وعلى الباب الرابع ملك ينادي طوبى لمن دعا ربه هذه الليلة، وعلى الباب الخامس ملك ينادي طوبى لمن ناجى ربه في هذه الليلة، وعلى الباب السادس ملك ينادي طوبى للمسلمين في هذه الليلة، وعلى الباب السابع

ملك ينادي طوبى للموحدين، وعلى الباب الثامن ملك ينادي هل من تائب يتب عليه، وعلى الباب التاسع ملك ينادي هل من مستغفر فيغفر له، وعلى الباب العاشر ملك ينادي هل من داعي فيستجاب له. ثم إن رسول الله (ﷺ) قال: يا جبريل إلى متى أبواب الرحمة مفتوحة؟ قال من أول الليل إلى صلاة الفجر. فقال رسول الله (ﷺ): فيها من العتقاء أكثر من شعور الغنم، فيها ترفع أعمال السنة وفيها تقسم الأرزاق.

إسناده مظلم جدا:

محمد بن حازم: قال فيه أبو أحمد الحاكم مجهول.

وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة»: فيه محمد بن حازم مجهول وعنه إبراهيم بن عبد الله البصري وعن هذا حامد بن محمود الهمداني لم أعرفهما.

والضحاك بن مزاحم الهلالي: مع ثقته كثير الإرسال ولم يشافه أحدا من الصحابة.

ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: لقى جماعة من التابعين، ولم يشافه أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ. وقال العجلي: ثقة وليس بتابعي.

قال الذهبي: كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه. وكان مدلسا.

وقال أحمد بن حنبل: ثقة مأمون. وقال يحيى بن معين وأبو زرعة والدارقطني: ثقة.

وعن يحيى بن سعيد: كان الضحاك عندنا ضعيفا.

وقال أبو أحمد بن عدى: عرف بالتفسير، فأما رواياته عن ابن عباس، وأبى هريرة، وجميع من روى عنه، ففي ذلك كله نظر، وإنما اشتهر بالتفسير.

قال ابن حجر: صدوق كثير الإرسال.

وروي من وجه آخر عن الضحاك أشد ضعفا:

أخرجه ابن بلبان المقدسي في «المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية» (ص٢٢٩-٢٣١) (الحديث/٣٨) من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن أبي بن كعب بنحوه

وإسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري:

كذبه علي بن المديني. وقال مسلم بن الحجاج: أبو حذيفة ترك الناس حديثه. وقال الدارقطني: كذاب متروك. وقال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب.

وقال ابن عدي: أحاديثه منكرة إما إسنادا وإما متنا لا يتابعه عليها أحد.

وقال العقيلي: مجهول، حدَّث بمناكير ليس لها أصل.

قال أحمد بن سيار المروزي: كان يروي عمن لم يدرك وكانت فيه غفلة مع أنه يزن بحفظ.

قال إسحاق الكوسج: قدم علينا أبو حذيفة فكان يحدث، عن ابن طاووس وكبار من التابعين ممن مات قبل حميد الطويل فقلنا له: كتبت، عن حُمَيد الطويل؟ ففزع وقال: جئتم تسخرون بي جدي لم ير حميداً! فقلنا: فأنت تروي عمن مات قبل حميد! فعلمنا ضعفه وأنه لا يدري ما يقول.

جويبر بن سعيد، المفسر صاحب الضحاك:

قال ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: لا يشتغل به.

وقال النسائي والدارقطني وعلي بن الحسين بن الجنيد: متروك الحديث.

وقال عبد الله بن علي ابن المديني: وسألته يعني أباه عن جويبر، فضعفه جدا، قال: وسمعت أبي يقول: جويبر أكثر على الضحاك، روى عنه أشياء مناكير.

وقال أبو حاتم بن حبان البستي: يروي عن الضحاك أشياء مقلوبة.

حديث عائشة رضي الله عنها

أخرجه أحمد في «المسند» (٢٦٠١٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٨/٦) وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٨٥٠ و١٧٠٠) وعبد بن حميد في «المسند» (١٥٠٩) والترمذي في «السنن» (٧٣٩) وابن ماجه في «السنن» (١٣٨٩) وابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (٤) والطوسي في «مستخرجه على سنن الترمذي» (٦٨٤) والدارقطني في «أحاديث النزول» (٨٩ و٩٠ و٩١) وابن بطة في «الإبانة» (٢٢٥/٧) وابن منده في «أماليه» (٣٦٢) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٦٤) وأبو القاسم الحرفي في «أماليه» (٥٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٤٣ و٣٥٤٥) وفي «فضائل الأوقات» (٢٨) وابن أبي الصقر في «مشيخته» (٩) وطراد الزينبي في «أماليه» (١٣) وفي «مجلس يوم الجمعة» (٢) والشجري في «أماليه» (١٨٧٩) والبغوي في «شرح السنة» (٩٩٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩١٥) وعبد الغني المقدسي في «حديثه» (٢٦) وابن الدبيثي في «ليلة النصف من شعبان» (٨) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٣١/و) من طرق عن الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبي كثير عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فخرجت، فإذا هو بالبقيع، رافع رأسه إلى السماء، فقال لي: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله، قالت: قلت: يا رسول الله ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «**إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب**».

وليس فيه استثناء للمشاحن ولا للمشرك ولا قاتل نفس ولا قاطع رحم.

والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير، كما قال البخاري والعجلي.

ويحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة[1]، كما قال البخاري وأبو زرعة والمزي.

وقال أبو حاتم: يحيى بن أبي كثير ما أراه سمع من عروة بن الزبير، لأنه يدخل بينه وبينه رجل أو رجلان ولا يذكر سماع ولا رؤية ولا سؤاله عن مسألة.

وبه أعله ابن الجوزي. وقال الترمذي: سمعت محمدا يضعف هذا الحديث.

والحجاج بن أرطاة لين الحديث، وقد اضطرب في هذا الحديث على خمسة أوجه:

فرواه عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا كما سبق.

ورواه عن مكحول عن كثير بن مرة مرسلا مرة.

ورواه عن مكحول عن كثير بن مرة من قوله مرة أخرى.

وقد سبق الكلام على هذين الوجهين الأخيرين، في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ورواه عن مكحول، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٨٣٩) من طريق الحجاج بن أرطأة، عن مكحول، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قال: **«ولكن إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيغفر من الذنوب أكثر من عدد شعر غنم كلب».**

وهذا هو الوجه الثاني عشر عن مكحول في هذا الحديث.

---

(١) أثبت له ابن معين السماع منه.

ورواه عن يحيى بن أبي كثير مرسلا:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٤٤) من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبي كثير، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة وخرجت عائشة تطلبه في البقيع، فرأته رافعا رأسه إلى السماء، فقال: «**أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟**»، قالت: فقلت: يا رسول الله ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «**إن الله يغفر ليلة النصف من شعبان أكثر من عدد شعر غنم كلب**».

قال أبو عبد الله الحاكم: إنما المحفوظ هذا الحديث من حديث الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبي كثير مرسلا.

والذي يظهر لي والله أعلم، أن الآفة من الحجاج نفسه، وأنه اضطرب فيه ولم يضبطه؛ إذ كان لين الحديث كثير التدليس، وقد روى عنه هذه الأوجه أئمة ثقات: منهم من قد روى عنه وجهين كعبد الله بن المبارك، ومنهم من روى عنه ثلاثة أوجه كيزيد بن هارون.

وقد روي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٦٠٦) والدارقطني في «أحاديث النزول» (٩٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٧) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩١٧) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٣١/ظ) وابن الدبيثي في «ليلة النصف من شعبان» (١١) وابن حجر في «الأمالي المطلقة» (١٠٧) من طريق عمرو بن هاشم البيروتي، عن سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، فبات رسول الله ﷺ عندي، فلما كان

في جوف الليل فقدته، فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة فتلفعت بمرطي، أما والله ما كان مرطي خزا ولا قزا ولا حريرا ولا ديباجا ولا قطنا ولا كتانا، قيل: ومم كان يا أم المؤمنين؟ قالت: كان سلاوه شعرا ولحمته من أوبار الإبل، قالت: فطلبته في حجر نسائه فلم أجده، فانصرفت إلى حجرتي، فإذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجدا، وهو يقول في سجوده: «سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي، هذه يدي وما جنيت بها على نفسي، يا عظيم يرجى لكل عظيم، اغفر الذنب العظيم، سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره» ثم رفع رأسه فعاد ساجدا فقال: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود عليه السلام: أعفر وجهي في التراب لسيدي، فحق له إن سجد» ثم رفع رأسه فقال: «اللهم ارزقني قلبا من الشر نقيا لا كافرا ولا شقيا» قالت: ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال فقال: «ما هذا النفس يا حميراء؟» فأخبرته فطفق يمسح بيده عن ركبتي ويقول: «وبئس هاتين الركبتين ماذا لقيتا في هذه الليلة النصف من شعبان، ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن».

قال ابن الجوزي: **هذا حديث لا يصح.**

فيه سليمان بن أبي كريمة:

قال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير. وقال العقيلي: يحدث بمناكير ولا يتابع على كثير من حديثه. وقال البزار: ليس معروفا بالنقل وإن كان معروفا بالنسب.

وعمرو بن هاشم البيروتي:

قال ابن واره: كان قليل الحديث، وليس بذاك، وقال العقيلي: مجهول بالنقل ولا يتابع على حديثه. وقال ابن عدي: لا بأس به.

وروي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عروة عن عائشة:

أخرجه الدارقطني في «أحاديث النزول» (٩٣) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٥١٧/٢) وأبو الحسن الإخميمي في «حديثه» (٤/و) والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٣٠) وفي «فضائل الأوقات» (٢٦) وقوام السنة في «الترغيب والترهيب» (١٨٥٤) من طرق عن نضر بن كثير، عن يحيى بن سعيد، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان، انسل رسول الله ﷺ من مرطي، ثم قالت: والله ما كان مرطنا من خز، ولا قز، ولا، كرسف، ولا كتان، ولا صوف فقلنا: سبحان الله فمن أي شيء؟ قالت: إن كان سداه لشعر، وإن كانت لحمته لمن وبر الإبل، قالت: فخشيت أن يكون أتى بعض نسائه، فقمت ألتمسه في البيت فتقع قدمي على قدميه وهو ساجد، فحفظت من قوله وهو يقول: سجد لك سوادي وخيالي، وآمن لك فؤادي، أبوء لك بالنعم، وأعترف بالذنوب العظيمة، ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ برحمتك من نقمتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك قالت: فما زال رسول الله ﷺ يصلي قائما وقاعدا حتى أصبح، فأصبح وقد اضمغدت قدماه، فإني لأغمزها، وأقول: بأبي أنت وأمي، أتعبت نفسك، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ أليس قد فعل الله بك؟ أليس أليس؟ فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا؟ هل تدرين ما

في هذه الليلة؟ قالت: ما فيها يا رسول الله؟ فقال: فيها أن يكتب كل مولود من مولود بني آدم في هذه السنة، وفيها أن يكتب كل هالك من بني آدم في هذه السنة، وفيها ترفع أعمالهم، وفيها تنزل أرزاقهم، فقالت: يا رسول الله: ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله؟ قال: ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ فوضع يده على هامته فقال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، يقولها ثلاث مرات.

والنضر بن كثير، أبو سهل البصري:

قال أبو حاتم والبخاري والدارقطني: فيه نظر. وقال البخاري في موضع آخر: عنده مناكير.

وقال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات على قلة روايته؛ لا يجوز الاحتجاج به بحال. وأورد الذهبي هذا الحديث فيما استنكر عليه.

وروي عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة:

وأخرجه أبو بكر الإسماعيلي في «معجم شيوخه» (١/٤٠٧-٤٠٨) ومن طريقه ابن المحب في «صفات رب العالمين» (١٣١/ظ) من طريق عباد بن أحمد بن عبد الرحمن العرزمي، حدثني عمي، عن أبيه، عن مطرف، عن الشعبي، عن مسروق[١]، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ينزل في النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيعتق من النار عدد معزى كلب -**أو قال: **شعر معزى كلب- وينزل أرزاق**

(١) وقع في «معجم شيوخ الإسماعيلي» المطبوع والمخطوط (الشعبي عن عروة) ولا يعرف للشعبي رواية عن عروة بن الزبير وقد جاء على الصواب عند ابن المحب كما أثبته وكما هو في الرواية الأخرى عن الشعبي.

السنة، ويكتب للحاج، ولا يترك أحدا إلا غفر له، إلا قاطع رحم، أو مشركا، أو مشاحنا».

وعباد بن أحمد بن عبد الرحمن العرزمي: قال الدارقطني: متروك.

وعمه هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العرزمي:

قال الدارقطني: متروك، وأبوه وجده.

وعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الفزاري العرزمي:

قال الدارقطني: متروك، وقال عثمان بن أبي شيبة: ذكرت لأبي نعيم: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي، فقال: كان هؤلاء أهل بيت يتوارثون الضعف قرنًا بعد قرن.

وقال أبو حاتم ليس بقوي وقال ابن حبان يعتبر حديثه من غير روايته عن أبيه.

وأخرجه أبو محمد الجوهري في «أماليه» (٤/و-٤/ظ) (٩) وأبو طاهر السلفي في «المشيخة البغدادية» (٢٨/ظ-٢٩/و) (٥١) من طريق محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، نا إبراهيم بن عبد الله بن حاتم، نا علي بن ثابت الجزري مولى بني هاشم، قال: أخبرني عمرو أبي[1] عبد الله، عن مطرف بن طريف، عن عامر الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى ليلة النصف من شعبان يعتق من النار عدد شعر يعني غنم كلب وينزل أرزاق السنة ويكتب الحاج ولا يترك أحدا إلا غفر له إلا قاطع رحم أو مشركا أو مشاحنا**».

وليس فيه ذكر النزول.

---

(١) وقع في «أمالي الجوهري»: «عمرو بن عبد الله».

وعمرو أبو عبد الله هو عمرو بن شمر، كما علقه عنه الدارقطني في «العلل».

قال ابن معين: ليس بشيء. وقال: لا يكتب حديثه. وقال أبو حاتم: منكر الحديث جدا، ضعيف الحديث لا يشتغل به، تركوه. وقال البخاري: منكر الحديث.

وقال الجوزجاني: زائغ كذاب. وقال النسائي والدارقطني، وغيرهما: متروك الحديث. وقال ابن حبان: رافضي يشتم الصحابة، ويروي الموضوعات عن الثقات. قال السليماني: كان عمرو يضع للروافض.

وفيه محمد بن محمد بن سليمان الباغندي:

تقدمت ترجمته وفيها قول الدارقطني: كان كثير التدليس يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث. وقال: مخلط مدلس يكتب عن بعض أصحابه ثم يسقط بينه وبين شيخه ثلاثة وهو كثير الخطأ.

وروي عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩١٩) من طريق سعد بن الصلت(١) عن عطاء بن عجلان عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت: استيقظت ليلة فإذا رسول الله ﷺ ليس في البيت، فأخذني ما تقدم وما تأخر، فخرجت أطلب رسول الله ﷺ، فظننت إنما خرج إلى بعض ما ظننت، فبينما أنا كذلك إذا برسول الله ﷺ قد أقبل، فكرهت أن يراني فرجعت إلى البيت وأنا أسعى، فانتهى إلي رسول الله ﷺ

---

(١) وقع في «العلل المتناهية»: «سعيد بن الصلت» والصواب «سعد» بغير ياء، كذا ترجم له ابن أبي حاتم وابن حبان والذهبي وغيرهم وقال قاسم ابن قطلوبغا: وذكره مسلمة في «سعيد». قلت: وسعيد بن الصلت هو راو آخر عالي الطبقة يروي عن ابن عباس.

وقد علا نفسي فقال: «**كلا ولكن هذه ليلة يعتق الله فيها من النار أكثر من عدد شعر غنم كلب، ويطلع الله فيها إلى أهل الأرض، فيغفر فيها لمن يشاء إلا أنه لا يغفر لمشرك ولا لمشاحن، وتلك ليلة النصف من شعبان**».

فيه عطاء بن عجلان:

كذبه يحيى بن معين وعمرو بن علي والجوزجاني. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث جدًا وهو متروك الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الدارقطني: متروك الحديث. وقال ابن عدي: عامة رواياته غير محفوظة.

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار.

سعد بن الصلت هو ابن برد بن أسلم البجلي الكوفي:

قال الذهبي: ما رأيت لأحد فيه جرحا، فمحله الصدق.

قلت: ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما أغرب. وقال مسلمة بن القاسم: كان قاضياً بشيراز، وهو لا بأس به لولا كثرة خطئه.

وروي عن العلاء بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٤): أخبرنا أبو نصر بن قتادة، حدثنا أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، حدثنا الحسين بن إدريس، حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي، حدثنا معاوية بن صالح، عن العلاء بن

الحارث، أن عائشة، قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل يصلي فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك، فرجعت، فلما رفع رأسه من السجود، وفرغ من صلاته، قال: «**يا عائشة أو يا حميراء ظننت أن النبي خاس بك**[١]؟»، قلت: لا والله يا رسول الله ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك، فقال: «**أتدرين أي ليلة هذه؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله ﷻ يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم**».

قال البيهقي: هذا مرسل جيد ويحتمل أن يكون العلاء بن الحارث أخذه من مكحول والله أعلم، وقد روي في هذا الباب أحاديث مناكير، رواتها قوم مجهولون.

قال المنذري: يعني أن العلاء لم يسمع من عائشة.

قلت: **العلاء بن الحارث** مات سنة ست وثلاثين ومائة عن سبعين سنة؛ فيكون مولده سنة ست وستين، وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين وقيل: ثمان وخمسين؛ فيكون مولده بعد وفاتها بثمان أو تسع سنين.

وكان ثقة ثم اختلط وتغير عقله كما قال ابن سعد وأبو داود وغيرهما.

وأبو عبيد الله بن أخي ابن وهب، وهو أحمد بن عبد الرحمن بن وهب:

قال ابن حبان: كان يحدث بالأشياء المستقيمة قديمًا حيث كتب عنه ابن خزيمة وذووه، ثم جعل يأتي عن عمه بما لا أصل له، كأن الأرض أخرجت له أفلاذ كبدها».

---

(١) قال الأزهري: «قوله قد خاس بك يقال للرجل إذا غدر بصاحبه فلم يؤته حقه قد خاس به».

وقال الحاكم لا يشك في اختلاطه بعد الخمسين، حدث بأحاديث لا يقبلها العقل وأهل الصنعة، من تأملها منهم علم أنها مخلوقة أدخلت عليه فقبلها. وقال ابن يونس: لا تقوم بحديثه حجة.

وأبو نصر بن قتادة وهو عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة النعماني من ولد النعمان بن بشير:

قال الشيخ مشهور بن حسن: لم أظفر له بترجمة، وروى عنه البيهقي في كثير من مصنفاته، وسمع منه بخسروجرد من أصل كتابه، وكان البيهقي يقرأ عليه، وبلغت مروياته في «السنن الكبرى» عنه (٦٧٨) رواية.

وقال عنه البيهقي: قدم علينا بيهق وهو صحيح السماع، وصَحَّحَ وحَسَّن بعض الأسانيد التي رواها عنه. وصَحَّحَ له ابن كثير في «البداية والنهاية». وحَسَّن له ابن حجر في «الأمالي المطلقة».

طريق أبي سعيد الخدري عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٦) من طريق محمد بن عيسى بن حيان المدائني، حدثنا سلام بن سليمان، أخبرنا سلام الطويل، عن وهيب المكي، عن أبي رهم، أن أبا سعيد الخدري، دخل على عائشة، فقالت له عائشة: يا أبا سعيد حدثني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، وأحدثك بما رأيته يصنع، قال أبو سعيد: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى صلاة الصبح، قال: «**اللهم املأ سمعي نورا، وبصري نورا، ومن بين يدي نورا، ومن خلفي نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وعظم لي النور برحمتك**». وفي رواية محمد: «**وأعظم لي**

نورا» ثم اتفقا قالت عائشة: دخل علي رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء، فقلت: بأبي وأمي أنت في حاجة ربك، وأنا في حاجة الدنيا فانصرفت، فدخلت حجرتي ولي نفس عال، ولحقني رسول الله ﷺ، فقال: **«ما هذا النفس يا عائشة؟»**، فقلت: بأبي وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة، ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع، قال: **«يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله، بل أتاني جبريل عليه السلام، فقال: هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر»** قال: ثم وضع عنه ثوبيه، فقال لي: **«يا عائشة تأذنين لي في قيام هذه الليلة؟»**، فقلت: نعم بأبي وأمي، فقام فسجد ليلا طويلا حتى ظننت أنه قبض فقمت ألتمسه، ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول في سجوده: **«أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**، فلما أصبح ذكرتهن له فقال: **«يا عائشة تعلمتهن؟»**، فقلت: نعم، فقال: **«تعلميهن وعلميهن، فإن جبريل عليه السلام علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود»**.

إسناده ضعيف جدا.

وقال البيهقي: هذا إسناد ضعيف.

قلت: والتعبير بـ«ضعيف» عما هو شديد الضعف، شائع في استعمال الأئمة.

وسلام وهو ابن سلم الطويل:

قال أبو حاتم: ضعيف الحديث تركوه. قال البخاري: تركوه. وقال ابن معين: ضعيف، لا يكتب حديثه. وقال أحمد: روى أحاديث منكرة. وقال النسائي: متروك. وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الموضوعات كأنه كان المعتمد لها. وقال ابن خراش: كذاب.

وقال الحاكم: روى أحاديث موضوعة. وقال أبو نعيم: متروك بالاتفاق.

وسلام بن سليمان بن سوّار أبو العباس المدائني الضرير:

قال أبو حاتم: ليس بالقوي وقال ابن عدي: منكر الحديث. وقال العقيلي[1]: في حديثه عن الثقات مناكير.

ومحمد بن عيسى بن حيان أبو عبد الله المدائني:

قال الدارقطني: متروك الحديث، وقال مرة: لا شيء. وقال أبو أحمد الحاكم: حدث عن مشايخه بما لا يتابع عليه، وسمعت من يحكي أنه كان مغفلا لم يكن يدري ما الحديث. وقال الحاكم: متروك. وقال العقيلي واللالكائي: ضعيف.

وروي عن أنس بن مالك، عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه ابن بشران في «أماليه» (١٤١٦) والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٣١) وفي «فضائل الأوقات» (٢٧) وطراد الزينبي في «أماليه» (٦٠) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩١٨) وابن دحية الكلبي في «ما وضح واستبان في فضائل شهر

---

(١) قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال (٢٨٧/١٢): قال محمد بن عمرو العقيلي: لا يتابع على حديثه.
قلت: إنما قال العقيلي هذا في ترجمة سلام بن سليمان، أبي المنذر القارئ، البصري.

شعبان» (٣٤-٣٦) والذهبي في «ميزان الاعتدال» (١٤٩/٢-١٥٠) من طريق سعيد ابن عبد الكريم الواسطي، عن أبي النعمان السعدي، عن أبي الرجاء العطاردي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بعثني النبي ﷺ إلى منزل عائشة رضي الله عنها في حاجة، فقلت لها: أسرعي فإني تركت رسول الله ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان، فقالت: يا أنيس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان، إن تلك الليلة كانت ليلتي من رسول الله ﷺ فجاء النبي ﷺ ودخل معي في لحافي، فانتبهت من الليل فلم أجده، فقمت فطفت في حجرات نسائه فلم أجده فقلت لعله ذهب إلى جاريته مارية القبطية فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو ساجد وهو يقول: سجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، وهذه يدي التي جنيت بها على نفسي، فيا عظيم، هل يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم، فاغفر لي الذنب العظيم قالت: ثم رفع رأسه وهو يقول: اللهم هب لي قلبا تقيا نقيا من الشر، بريئا لا كافرا ولا شقيا ثم عاد فسجد، وهو يقول: أقول لك كما قال أخي داود عليه السلام: أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لوجه سيدي أن تعفر الوجوه لوجهه، ثم رفع رأسه فقلت: بأبي وأمي أنت في واد وأنا في واد، قال: يا حميراء، أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان؟ إن لله في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب قلت: يا رسول الله، وما بال شعر غنم كلب؟ قال: لم يكن في العرب قبيلة قوم أكبر غنما منهم، لا أقول ستة نفر: مدمن خمر، ولا عاق لوالديه، ولا مصر على زنا، ولا مصارم، ولا مضرب، ولا قتات.

قال ابن دحية الكلبي: هذا حديث موضوع مصنوع.

وقال ابن الجوزي: وهذا الطريق لا يصح؛ قال أبو الفتح الأزدي الحافظ سعيد بن

عبد الكريم متروك. وقد ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته في «ميزان الاعتدال».

قال البيهقي: في هذا الإسناد بعض من يجهل.

ولعله أراد بذلك أبا النعمان السعدي؛ فلم أقف له على ترجمة، وفي نفس طبقته أبو النعمان -غير منسوب- يروي عن أبي وقاص عن زيد بن أرقم وسلمان، وجهله أبو حاتم والترمذي والدارقطني، فلا أدري هل هو أم لا.

وروي عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه مسلم (٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٤١)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، وابن خزيمة (٦٥٥) و(٦٧١)، وابن حبان (١٩٣٢) من طريق الأعرج، عن أبي هريرة، عن عائشة، قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**».

وهذا هو الوجه الصحيح عن عائشة، وليس فيه ذكر ليلة النصف من شعبان، ولا النزول والمغفرة فيها.

وقد روي عن راشد بن سعد مرسلا:

أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٩٤٤) من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن راشد بن سعد، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى يطلع إلى عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر لخلقه كلهم؛ إلا المشرك والمشاحن، وفيها يوحي الله تبارك وتعالى إلى ملك الموت لقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة**».

أبو بكر بن أبي مريم: مجمع على ضعفه.

ضعفه أحمد وأبو زرعة وابن معين.

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، طرقته لصوص فأخذوا متاعه فاختلط.

وقال ابن عدي: الغالب على حديثه الغرائب وقلما يوافقه الثقات، وقال الدارقطني متروك.

وروي عن الوضين بن عطاء معضلا:

أخرجه إسحاق بن راهويه في «المسند» (١٧٠٢) قال أخبرنا عبد الرزاق، أنا إبراهيم ابن عمر الأنباري، أنه سمع الوضين بن عطاء، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر الذنوب لأهل الأرض إلا لمشرك أو مشاحن وله في تلك الليلة عتقاء عدد شعر مسوك غنم كلب**».

قال إسحاق: فسره الأوزاعي أن المشاحن المبتدع الذي يفارق أمة.

والوضين بن عطاء: من الذين عاصروا صغار التابعين، ولم يدرك أحدا من الصحابة.

وإبراهيم بن عمر الأنباري: قال ابن عساكر: لا أعرفه، وقال ابن حجر: مستور.

وروي عن عطاء بن يسار من قوله:

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٦٩) من طريق أبي معشر، عن أبي حازم، ومحمد بن قيس، عن أبي حازم، عن عطاء بن يسار، قال: «**ما من ليلة**

بعد ليلة القدر أفضل منها، يعني ليلة النصف من شعبان؛ ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، فيغفر إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم».

وهذا موقوف على عطاء وفيه:

أبو معشر نجيح السندي:

قال ابن معين: ليس بقوي، كان أميا يتقى من حديثه المسند.

وقال ابن مهدي: يعرف وينكر.

وقال ابن أبي شيبة: سألت ابن المديني عن أبي معشر، فقال: ذاك شيخ ضعيف.

ثم قال: كان يحدث عن محمد بن قيس، وعن محمد بن كعب بأحاديث صالحة.

وكان يحدث عن المقبري، ونافع بأحاديث منكرة.

وقال النسائي والدارقطني: ضعيف. وقال البخاري وغيره: منكر الحديث.

خاتمة

قد بان لنا بما سبق، أن تخصيص ليلة النصف من شعبان، بنزول ربنا ﷻ فيها إلى السماء الدنيا، ومغفرة الذنوب لجميع الخلق إلا لمشرك أو مشاحن أو غيرهم، لم يصح فيه حديث، وأنها كغيرها من سائر الليالي، إنما ينزل ربنا ﷻ في الثلث الأخير من الليل، كما جاء في الصحيحين وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«يَنْزِلُ رَبُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»**.

فالنزول يكون في كل ليلة، وفي الثلث الأخير خاصة لا مطلق الليلة، والمغفرة تكون لمن يستغفر الله ﷻ، وليست للخلق جميعًا إلا لمشرك أو مشاحن.

وقد أوردنا فيما سبق، كلام الأئمة الذين ضعفوا الحديث، منهم من ضعفه بإطلاق: كالبخاري -فيما يظهر- والدارقطني والعقيلي وابن الجوزي.

ومنهم من ضعف بعض رواياته: كأبي حاتم الرازي والبزار وابن عدي والحاكم، والجورقاني.

ومما لم نورده ممن ضعفه بإطلاق:

أبو بكر بن العربي حيث قال: وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها.

وقال أيضًا: «وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه».

وقال ابن دحية الكلبي: قال أهل التعديل والتجريح: «وليس في حديث ليلة النصف من شعبان حديث يصح».

وقال ابن داود العطار في «الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد» (ص:٢٠٦): حديث ليلة نصف شعبان، ضعيف باتفاق الحفاظ.

وقال ابن رجب: وفي فضل ليلة نصف شعبان، أحاديث أخر متعددة، وقد اختلف فيها فضعفها الأكثرون، وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه[1].

إنكار تعظيم ليلة النصف من شعبان:

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: لم أدرك أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم ندرك أحدًا منهم يذكر حديث مكحول، ولا يرى لها فضلًا على سواها من الليالي. قال ابن زيد: والفقهاء لم يكونوا يصنعون ذلك.

وقيل لابن أبي مليكة: إن زيادًا المنقري -وكان قاصًّا- يقول: إن أجر ليلة النصف من شعبان، مثل أجر ليلة القدر، فقال: ابن أبي مليكة: لو سمعته يقول ذلك وفي يدي عصًا لضربته بها.

وسئل عبد الله بن المبارك، عن نزول الله تعالى ليلة النصف من شعبان، قال للسائل: «يا ضعيف! ليلة النصف!؟ ينزل في كل ليلة».

وقال ابن رجب في لطائف المعارف (ص:١٣٧):

وليلة النصف من شعبان، كان التابعون من أهل الشام، كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم، يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل أنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية، فلما اشتهر ذلك عنهم

(١) في تصحيح ابن حبان بحث لا سيما إذا خالف؛ ليس لأنه يوثق كثيرًا من المجاهيل فحسب، بل لشرطه في الصحيح أيضًا، ولا يتسع المقام هنا لبيانه.

في البلدان، اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها، منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز، منهم عطاء وابن أبي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم، وقالوا: ذلك كله بدعة.

هذا ولا يفوتني أن أصف حالي، في هذا البحث وفي غيره، متمثلا بقول القائل:

أسير خلف ركاب النُّجب ذا عرج ... مؤملًا جبر ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورى في ذاك من فرج

وإن بقيت بظهر الأرض منقطعًا ... فما على عَرِجٍ في ذاك من حرج

وأسأل الله ﷻ القبول والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله والصحب الكرام أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

أبو عبد الرحمن مندور بن عبد الوهاب

طليعة بذل الجود

في الرد على من تعقب الحويني في غوث المكدود

تأليف

أبي بكر
مؤمن بن البدوي بن إسماعيل آل ياسين
المصري الأثري

كَلِمَتِي

لِسَمَاحَةِ شَيْخِي وَأُسْتَاذِي وَأَحَبِّ مَشَايِخِي إِلَى قَلْبِي، وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيَّ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ

(حَفِظَهُ اللهُ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ، وَنَفَعَ بِعِلْمِهِ، وَشَفَاهُ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِ الْعَافِيَةَ)

فَمُنْذُ مَا يَقْرُبُ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً، وَأَنَا مُلَازِمٌ لِشَيْخِي وَأُسْتَاذِي، أَنْهَلُ مِنْ عِلْمِهِ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْ أَدَبِهِ، وَهَدْيِهِ، وَسَمْتِهِ، وَدَلِّهِ، مَا رَأَيْتُهُ فِيهَا إِلَّا عَلَى السُّنَّةِ، إِمَامًا فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، رَافِعًا لِلِوَائِهِ، مُعْتَصِمًا بِمِنْهَاجِ أَئِمَّتِهِ، أَلَانَ اللهُ لَهُ الْحَدِيثَ، وَرَزَقَهُ حِشْمَةَ أَهْلِهِ، فَرَقِيَ فِيهِ أَسْمَى الْمَرَاقِي، نَحْسَبُهُ كَذَلِكَ وَاللهُ حَسِيبُهُ.

عَرَفْتُهُ... فَارِسًا نَبِيلًا، قَلِيلَ الْكَلَامِ، عَفِيفَ اللِّسَانِ، خَافِضًا لِجَنَاحِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ، صَارِمًا مَسْلُولًا عَلَى أَعْدَاءِ السُّنَّةِ، وَاقِفًا عَلَى ثَغْرِ الدِّفَاعِ عَنْهَا، وَكَمْ نَكَّلَ وَشَفَى بِالرَّدِّ عَلَى الْمُبْطِلِينَ وَالْجَاهِلِينَ.

عَرَفْتُهُ... يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِهِ، وَلَا يَغْضَبُ فَيَثْأَرَ لِنَفْسِهِ، صَابِرًا مُحْتَسِبًا فِي وَقْتِ مِحْنَتِهِ، تَرَبَّيْنَا فِي مَدْرَسَتِهِ عَلَى مِنْهَاجِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُوَلِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا، وَعَنِ الْأُمَّةِ خَيْرًا.

فَنِعْمَ الْعَالِمُ الْعَامِلُ وَالْمُرَبِّي...

كَتَبَهُ تِلْمِيذُكَ

أَبُو بَكْرٍ

مُؤْمِنُ بْنُ الْبَدَوِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ آلُ يَاسِينَ الْمِصْرِيُّ

مِصْرُ - كَفْرُ الشَّيْخِ - يَوْمُ السَّبْتِ - ٧ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَّفَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَفَضَّلَهَا بالإسْنَادِ، وَقَيَّضَ لِحِفْظِ دِينِهِ، وَالذَّبِّ عَنْهُ؛ أَهْلَ الضَّبْطِ، وَالْعَدَالَةِ، وَجَهَابِذَةَ النُّقَّادِ، فَقَمَعَ بِهِمْ زَيْغَ أَهْلِ الْبِدَعِ، والْكُفْرِ، والإلْحَادِ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ، الَّذِي لَا تُعَدُّ وَلا تُحْصَى نِعَمُهُ عَلَى الْعِبَادِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْهَادِي بِإِذْنِ رَبِّهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَمْجَادِ(١).

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا هُوَ طَلِيعَةُ كِتَابِي: «**بَذْلُ الْجُودِ فِي الرَّدِ عَلَي مَنْ تَعَقَّبَ الْحُوَيْنِيَّ فِي غَوْثِ الْمَكْدُودِ**»، أُهْدِيهِ لِسَمَاحَةِ شَيْخِي وَأُسْتَاذِي وَأَحَبِّ مَشَايِخِي إِلَي قَلْبِي، وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيَّ؛ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ -حَفِظَهُ اللهُ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ، وَنَفَعَ بِعِلْمِهِ، وَشَفَاهُ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِ الْعَافِيَةَ-.

وَأَصْلُ كِتَابِي «بَذْلُ الْجُودِ»، أُعِدُّهُ الْآنَ لِلطَّبْعِ، وَسَيَصْدُرُ فِي مُجَلَّدَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى؛ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَهَذِهِ هِيَ مُشَارَكَتِي الثَّانِيَةِ فِي كِتَابِ: «**مِنْحَةُ الْوَدُودِ فِي تَكْرِيمِ حَارِسِ الْحُدُودِ فَضِيلَةِ**

---

(١) مُقَدِّمَتِي «لِشَرْحِ الْمُوقِظَةِ فِي عِلْمِ مُصْطَلَحِ الحَدِيثِ»، للإِمَامِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الذَّهَبِيِّ، وَالَّذِي سَمَّيْتُهُ: «مَعْرِفَةُ الرَّاوِي والمَرْوِي شَرْحِ مُوقِظَةِ الذَّهَبِيِّ».

الشَّيْخِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ، وَهِيَ بُحُوثٌ عِلْمِيَّةٌ مُهْدَاةٌ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ»، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ مُشَارَكَتِي الْأُولَى فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، بِكِتَابِي: «**طَلِيعَةُ سِيرَةُ حَارِسِ الْحُدُودِ الْأَثَرِيِّ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ**»، وَهِيَ كَمَا ذَكَرْتُ تَرْجَمَةً مُجْمَلَةً لِسَمَاحَةِ شَيْخِي وَأُسْتَاذِي فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ -حَفِظَهُ اللهُ- لِلتَّعَرُّفِ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى السِّيرَةِ الصَّحِيحَةِ لِشَيْخِنَا، وَتَفْصِيلُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ فِي أَصْلِ الْكِتَابِ، أَسْأَلُ اللهَ ﷻ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، وَأَنْ يُتِمَّهُ عَلَى خَيْرٍ، فَمَادَّتُهُ كَمَا ذَكَرْتُ أَجْمَعُهَا مُنْذُ مُلَازَمَتِي لِشَيْخِنَا -حَفِظَهُ اللهُ-، أَيْ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ يَزِيدُ، وَقَدْ نُشِرَتْ خُلَاصَةُ طَلِيعَةِ كِتَابِي: «**سِيرَةُ حَارِسِ الْحُدُودِ الْأَثَرِيِّ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ**» -أَيْ مُخْتَصَرُ الطَّلِيعَةِ كَمَا ذَكَرْتُ أَيْضًا- عَلَى الْمَوْقِعِ الرَّسْمِيِّ الْجَدِيدِ لِشَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ (alheweny.me)، وَقَدْ أَعْطَيْتُهَا لِأَخِي الْحَبِيبِ أَبِي يَحْيَى الْحُوَيْنِيِّ -حَفِظَهُ اللهُ- الْمُشْرِفِ الْمَسْئُولِ عَنِ الْمَوْقِعِ، وَنُشِرَتْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى الْمَوْقِعِ كَأَوَّلِ تَرْجَمَةٍ مُعْتَمَدَةٍ لِسَمَاحَةِ شَيْخِنَا -حَفِظَهُ اللهُ-.

وَعَنْ مُشَارَكَتِي الثَّانِيَةِ بِبَحْثٍ أُهْدِيهِ لِسَمَاحَةِ شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ، كُنْتُ بَيْنَ خِيَارَيْنِ بَعْدَ الْمُشَارَكَةِ الْأُولَى «**بِطَلِيعَةِ سِيرَتِهِ -حَفِظَهُ اللهُ-**»:

الْأَوَّلُ: أَنْ أُشَارِكَ بِأَحَدِ أَعْمَالِي عَلَى مَخْطُوطَةٍ قَدْ حَقَّقْتُهَا، وَخَرَّجْتُ أَحَادِيثَهَا، أَوْ بِمُؤَلَّفٍ مُسْتَقِلٍّ كَجُزْءٍ حَدِيثِيٍّ مَثَلًا، مِنْ سِلْسِلَةِ كِتَابِي: «**سِلْسِلَةُ الْأَجْزَاءِ الْحَدِيثِيَّةِ لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْأَسَانِيدِ وَالْمُتُونِ الْمَرْوِيَّةِ**»، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ صَدَّنِي عَنْ هَذَا الِاخْتِيَارِ طُولُ هَذِهِ الْأَبْحَاثِ، وَالْمُؤَلَّفَاتِ، وَأَنَّ الْمَقَامَ لَا يَتَّسِعُ لِمِثْلِ ذَلِكَ.

الثَّانِي: أَنْ أُشَارِكَ بِطَلِيعَةِ كِتَابِي «**بَذْلُ الْجُودِ**»، وَلِي أُسْوَةٌ فِي بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَا سِيَّمَا عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ مِنْهُمْ فِي هَذَا الصَّنِيعِ؛ أَنْ يُخْرِجَ طَلِيعَةَ الْكِتَابِ، ثُمَّ أَصْلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقَدْ اسْتَخرتُ اللهَ فِي هَذَا الْأَمرِ، وَانْشرح صَدْرِي لِلاخْتِيَارِ الثَّانِي، فَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَرْزُقَنَا السَّدَادَ، وَالتَّوْفِيقَ فِي مَبْدَأ الأَمْرِ وَمُنْتَهَاهُ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

وَعَنْ سَبَبِ تَأْلِيفِي لِكِتَابِ «بَذْلُ الْجُودِ»، وَالَّذِي أُشَارِكُ «بِطَلِيعَتِهِ»:

فَقَدْ نَمَى إِلَى عِلْمِي أَنَّ كَاتِبًا أَلَّفَ رَدًّا عَلَى كِتَابِ «غَوْثُ الْمَكْدُودِ بِتَخْرِيجِ مُنْتَقَى ابْنِ الْجَارُودِ» لِسَمَاحَةِ شَيْخِنَا الْمُحَدِّثِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ حَفِظَهُ اللهُ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ، وَعِلْمِهِ، وَنَفَعَ بِهِ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِ الْعَافِيَةَ.

وَقَدْ سَمَّى الْمُؤَلِّفُ كِتَابَهُ: «مِنْحَةَ الْمَعْبُودِ فِي الرَّدِ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ فِي كِتَابِهِ غَوْثِ الْمَكْدُودِ»، فَتَمَنَّيْتُ لَوْ وَقَفْتُ عَلَى نُسْخَةٍ مِنْهُ لأَرَى عَمَلَ الْمُؤَلِّفِ فِي كِتَابِهِ، فَلَعَلَّهُ يُفِيدُ فِي شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَقَدَّرَ اللهُ ﷻ بَعْدَ أَيَّامٍ أَنْ وَصَلَتْ لِي نُسْخَةٌ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، أَرْسَلَهَا لِي سَمَاحَةُ شَيْخِنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ، فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، عَقِبَ صَلَاةِ الْعَصْرِ.

وَعِنْدَمَا اطَّلَعْتُ عَلَى الْكِتَابِ لِمُؤَلِّفِهِ الْأُسْتَاذِ عِمَادِ بْنِ حَسَنٍ الْمِصْرِيِّ -غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَيَسَّرَ لَهُ الْخَيْرَ- وَجَدْتُ فِيهِ مِنَ التَّجَاوُزِ، وَعَدَمِ الْإِنْصَافِ فِي مَوَاضِعَ، وَاضْطِرَابٍ أَحْيَانًا، مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْوُقُوفِ مَعَهُ، وَمُنَاقَشَتِهِ، بِطَرِيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ وِفْقَ أُصُولِ أَئِمَّتِنَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَنُبَيِّنُ إِنْ أَصَابَ فِي مَوَاضِعَ مِمَّا أَشَارَ إِلَيْهَا، إِلَّا أَنَّهُ أَبْعَدَ فِي التَّأْصِيلِ لِحُجَّتِهِ فِي مَوَاطِنَ مِنَ اسْتِدْرَاكَاتِهِ.

وَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلَى الْمُؤَلِّفِ، وَمُشَارَكَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، عَجِبْتُ! أَنَّ جُلَّ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ لَهُ -غَفَرَ اللهُ لَهُ- مِنْ مُؤَلَّفَاتٍ، أَوْ مَقَالَاتٍ، يَغْلُبُ عَلَيْهَا الرَّدُّ وَالِاسْتِدْرَاكُ وَالتَّعَقُّبُ،

وَهَذَا لَا يُعَابُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِنْ كَانَ لَهُ مُقْتَضَى، وَلَكِنْ يُعَابُ إِنْ كَانَ مَنْهَجًا مُتَّبَعًا لَا يَتَعَدَّاهُ لِغَيْرِهِ، فَرُبَّمَا يُسَاءُ الظَّنُّ بِفَاعِلِهِ، وَيُقَالُ عَنْهُ أَنَّهُ مُفْلِسٌ فِي التَّصْنِيفِ فِيمَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يُحْسِنُهُ مِنَ الْعِلْمِ! وَلَا يُذْكَرُ إِلَّا بِجُهُودِ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ فَمَا أَسْهَلَ الصُّعُودَ عَلَى أَكْتَافِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا سِيَّمَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ، وَالتَّعَلُّقَ بِأَسْمَائِهِمْ!! وَهَذَا مَا رَاقَ لِلْبَعْضِ أَنْ يُسَمِّيَهُ بِالْمُرَاهَقَةِ الْعِلْمِيَّةِ!.

قَالَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ الطَّبْعَةِ الْأُولَى مِنْ «تَنْبِيهِ الْهَاجِدِ» (٤٤)، وَالَّتِي قَدَّمَ لَهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَثَمَانِي عَشْرَةَ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ مَا وَرَدَ فِيهَا كَتَبَهُ شَيْخُنَا فِي عَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَتِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ: «وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ التَّعَقُّبَ عَلَى الْكُتُبِ الطَّوِيلَةِ سَهْلٌ بِالنِّسْبَةِ لِتَأْلِيفِهَا، وَوَضْعِهَا وَتَرْصِيفِهَا، كَمَا يُشَاهَدُ فِي الْأَبْنِيَةِ الْقَدِيمَةِ، وَالْهَيَاكِلِ الْعَظِيمَةِ، حَيْثُ يُعْتَرَضُ عَلَى بَانِيهَا مَنْ عَرَى فَنَّهُ الْقُوَى وَالْقُدَرِ، بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى وَضْعِ حَجَرٍ عَلَى حَجَرٍ!» اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ أَيْضًا (٣٢)، فِي ذَبِّهِ عَنِ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ: «وَسَامَحَ اللَّهُ الْقَائِلَ: «إِذَا كُنْتَ خَامِلًا، فَتَعَلَّقْ بِعَظِيمٍ»! فَقَدْ تَعَلَّقَ كَثِيرٌ مِنَ الْخَامِلِينَ الْبَاحِثِينَ عَنِ الشُّهْرَةِ بِكُتُبِ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ، وَفَتَّشُوا فِيهَا رَجَاءَ الْوُقُوعِ عَلَى أَغْلَاطٍ لَهُ، وَظَفِرُوا بِبَعْضِهَا، وَكَانُوا مُحِقِّينَ فِي تَعَقُّبِهَا، لَكِنَّهُمْ أَضَافُوا إِلَيْهَا أَشْيَاءَ أُخْرَى عَدُّوهَا غَلَطًا، وَوَهْمًا مِنَ الشَّيْخِ، وَهُمُ الْغَالِطُونَ عَلَيْهِ، إِمَّا لِسُوءِ فَهْمِهِمْ وَتَسَرُّعِهِمْ فِي فَهْمِ كَلَامِ الشَّيْخِ، وَإِمَّا لِأَنَّ الشَّيْخَ أَجْمَلَ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، فَوَقَعَ الْإِشْكَالُ، وَهَذَا أَغْلَبُ مَا تَعَقَّبُوا الشَّيْخَ بِهِ، فَذَكَّرَنِي صَنِيعُهُمْ هَذَا بِمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ قَالَ: «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا**

فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ» اهـ.

وَحَتَّى لَا أُطِيلَ أُشِيرُ لِأَمْرٍ كَانَ يَنْبَغِي عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ عَلَى كِتَابِ «غَوْثِ الْمَكْدُودِ» أَنْ يَذْكُرَهُ لِلْقَارِئِ حَتَّى يُعْطِيَ نُمُوذَجًا لِلْإِنْصَافِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ!.

وَهَذَا الْأَمْرُ: أَنَّ الْأُسْتَاذَ لَمْ يَذْكُرْ لَنَا لِمَاذَا اخْتَارَ كِتَابَ «غَوْثِ الْمَكْدُودِ بِتَخْرِيجِ مُنْتَقَى ابْنِ الْجَارُودِ» لِلتَّعْلِيقِ عَلَيْهِ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ، أَنَّهُ قَصَّرَ، أَوْ تَغَافَلَ! فِي تَتَبُّعِ كَلَامِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ عَنْ كِتَابِهِ الَّذِي اعْتَنَى بِتَخْرِيجِهِ وَكَتَبَ مُقَدِّمَةَ طَبْعِهِ فِي غُرَّةِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ بِدَايَةُ عَمَلِهِ فِي عَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَاثْنَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ[(١)]، وَكَانَ مِمَّا قَالَ الشَّيْخُ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ: «وَإِنِّي أَعْلَمُ -يَقِينًا- أَنِّي أَخْطَأْتُ فِي بَعْضِ مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ بَشَرٌ، وَلَسْتُ أَسْتَنْكِفُ أَنْ أُرَاجِعَ الصَّوَابَ، إِنْ بَانَ لِي، فَإِنْ وَقَعَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ عَلَى مُؤَاخَذَةٍ فِي الْكِتَابِ، فَلْيُرْسِلُوا إِلَي دَارِ النَّشْرِ الَّتِي تَوَلَّتْ نَشْرَ الْكِتَابِ، وَسَتَكُونُ مُلَاحَظَتُهُمْ مَحَلَّ عِنَايَتِي، وَاهْتِمَامِي، وَلَهُمْ شُكْرِي سَلَفًا» اهـ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي مُقَدِّمَةِ «النَّافِلَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ» (١٧)، وَالَّتِي قَدَّمَ لَهَا فِي الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَدُفِعَ لِلطَّبْعِ فِي عَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ: «أَنَّ مَا ذَكَرْتُهُ فِي كِتَابِي إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ مَا ظَهَرَ لِي بَعْدَ إِعْمَالِ الْقَاعِدَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ خَلَلٌ فِي بَعْضِ مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، فَأَنَا لَا أُؤَكِّدُ الثِّقَةَ بِهِ، وَكُلُّ مَنْ عَثَرَ عَلَى حَرْفٍ مِنْهُ، أَوْ مَعْنًى يَجِبُ تَغْيِيرُهُ فَإِنِّي

---

(١) ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ طَبْعَتِهِ الْأُولَى لِكِتَابِ «لُؤْلُؤِ الْأَصْدَافِ بِتَرْتِيبِ الْمُنْتَقَى عَلَى الْأَطْرَافِ»، وَالَّتِي قَدَّمَ لِطَبْعِهَا فِي غُرَّةِ ذِي الْحِجَّةِ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، مَعَ ذِكْرِهِ لِقِصَّةِ تَخْرِيجِهِ لِكِتَابِ «الْمُنْتَقَى»، فَرَاجِعْهَا لِمَا فِيهَا مِنْ فَوَائِدَ، وَعِبَرٍ لِطَالِبِ الْعِلْمِ صَاحِبِ الْهِمَّةِ.

أُنَاشِدُهُ اللهَ فِي إِصْلَاحِهِ، وَأَدَاءِ حَقِّ النَّصِيحَةِ فِيهِ، وَمَا أَبْرَأُ مِنَ الْعَثْرَةِ وَالزَّلَّةِ، وَمَا أَسْتَنْكِفُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الصَّوَابِ عَنِ الْغَلَطِ، فَإِنَّ هَذَا الْفَنَّ لَطِيفٌ، وَابْنُ آدَمَ إِلَى الْعَجْزِ، وَالضَّعْفِ، وَالْعَجَلَةِ أَقْرَبُ، فَرَحِمَ اللهُ أَخًا نَظَرَ فِيهِ نَظْرَةَ تَجَرُّدٍ وَإِنْصَافٍ، وَدَعَا لِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ عَلَى صَوَابٍ وَفَّقَنِي اللهُ إِلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرَ لِي زَلَّاتِي الْكَثِيرَةَ فِيهِ» اهـ.

وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الشَّيْخِ -حَفِظَهُ اللهُ- صَرِيحٌ فِي عَدَمِ اسْتِنْكَافِهِ أَنْ يُرَاجَعَ فِي بَعْضِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ الْأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ كُلَّمَا تَعَرَّضَ لِلرَّدِّ عَلَى أَحَدٍ قَدَّمَ بِمُقَدِّمَةٍ ثَابِتَةٍ فِي الْغَالِبِ، وَهِيَ كَلِمَةُ حَقٍّ، وَلَكِنْ يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّ الْأَصْلَ أَنْ يُسَاءَ بِهِ الظَّنُّ، وَأَنَّ الْأَصْلَ أَنَّهُ مُتَّهَمٌ، وَهَذَا سُوءُ ظَنٍّ مِنْهُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ عَالِمٌ وَلَا طَالِبُ عِلْمٍ تَرَبَّى عَلَى مِنْهَاجِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ، وَتَرَكَ حَظَّ نَفْسِهِ، يَسْتَنْكِفُ أَنْ يُرَاجَعَ، إِلَّا إِنْ كَانَ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ الْعِصْمَةَ!!، وَحِينَئِذٍ لَا حَظَّ لَهُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ، بَلْ هَذَا قَادِحٌ فِي إِيمَانِهِ؛ إِذْ أَنْكَرَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ؛ وَهُوَ: أَنَّ الْعِصْمَةَ انْتَهَتْ بِمَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي.

وَقَالَ الشَّيْخُ أَيْضًا فِي مُقَدِّمَةِ الطَّبْعَةِ الْأُولَى مِنْ «تَنْبِيهِ الْهَاجِدِ» (٣١): «فَإِذَا كَانَ الْخَطَأُ مُلَازِمًا لِلْبَشَرِ، لَا يَعْرَى عَنْهُ مَخْلُوقٌ مَهْمَا اجْتَهَدَ وَاحْتَاطَ لِنَفْسِهِ فِي تَحَرِّي الْحَقِّ، فَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ يُعَيَّرَ الْمَرْءُ بِهِ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ؛ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ أَهْلًا لِلنَّظَرِ، وَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ لَا يُخْطِئَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَمُوتَ وَعِلْمُهُ فِي صَدْرِهِ، فَلَيْسَ إِلَى الْعِصْمَةِ مِنَ الْخَطَأِ سَبِيلٌ إِلَّا بِتَفَضُّلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عَبْدِهِ» اهـ.

وَانْظُرْ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا فِي مُقَدِّمَةِ «النَّافِلَةِ» (١٦)، وَفِي مُقَدِّمَةِ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ «بَذْلِ الْإِحْسَانِ» (٢/ص٣-١٠).

وَحُفِظَ لَنَا عَنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ فِي الرُّوَاةِ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى، الَّذِي يَنْسَحِبُ عَلَى

كُلِّ مَنْ كَتَبَ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ:

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمه الله: «وَمَنْ يَعْرَى مِنَ الْخَطَأِ وَالتَّصْحِيفِ!».

وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ رحمه الله: «لَسْتُ أَعْجَبُ مِمَّنْ يُحَدِّثُ فَيُخْطِئُ، إِنَّمَا أَعْجَبُ مِمَّنْ يُحَدِّثُ فَيُصِيبُ».

وَقَالَ مُسْلِمٌ رحمه الله: «فَلَيْسَ مِنْ نَاقِلِ خَبَرٍ، وَحَامِلِ أَثَرٍ مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ إِلَى زَمَانِنَا -وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحْفَظِ النَّاسِ، وَأَشَدِّهِمْ تَوَقِّيًا وَإِتْقَانًا لِمَا يَحْفَظُ وَيَنْقُلُ- إِلَّا الْغَلَطُ وَالسَّهْوُ مُمْكِنٌ فِي حِفْظِهِ وَنَقْلِهِ».

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ رحمه الله: «لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْخَطَأِ، وَالْغَلَطِ كَبِيرُ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ مَعَ حِفْظِهِمْ».

فَإِنْ قَالَ الْأُسْتَاذُ: إِنَّ اسْتِدْرَاكِي يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ الشَّيْخِ عَلَى الْأَخْبَارِ.

قُلْنَا: وَمَعَ اسْتِدْرَاكِهِ لِأُمُورٍ لَا عَلَاقَةَ لَهَا بِأَحْكَامِ الشَّيْخِ عَلَى الْأَخْبَارِ، وَلَا بِالْمَنْهَجِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الرَّدِّ، وَلَكِنْ كَانَ رَدُّنَا عَلَى كِتَابِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ فِي الْأَصْلِ لِمَا اعْتَرَضَ بِهِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ فِي بَعْضِ أَحْكَامِهِ، وَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا الْفَهْمَ، وَالْإِنْصَافَ.

فَلَيْسَ رَدِّي عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ؛ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ قَامَ بِالرَّدِّ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ، فَكَمْ تَعَقَّبَ الشَّيْخُ الْأَئِمَّةَ كَغَيْرِهِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا حَدَّثَنِي شَيْخُنَا فِي مُنَاسَبَاتٍ عِدَّةٍ عِنْدَمَا كُنْتُ أَسْأَلُهُ أَوْ يُسْأَلُ أَمَامِي عَنْ تَعَقُّبِ الْأَئِمَّةِ، كَانَ يَقُولُ: لَكَ هَذَا بِشَرْطَيْنِ:

الْأَوَّلُ: إِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَى مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ.

وَالثَّانِي: الْأَدَبُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْأَئِمَّةِ.

وَعِنْدَمَا كَانَ يُسْأَلُ شَيْخُنَا عَنِ الرَّدِ عَلَى الْمُخَالِفِينَ لِمَنْهَجِ الْأَئِمَّةِ، كَانَ يُوصِي بِالرِّفْقِ بِهِمْ؛ إِلَّا مَنْ كَانَ جَاهِلًا مُتَكَبِّرًا، لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ، مُتَشَبِّعًا بِمَا لَمْ يُعْطَ، أَوْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

وَقَالَ شَيْخُنَا فِي مُقَدِّمَةِ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ «بَذْلِ الْإِحْسَانِ بِتَقْرِيبِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ» (٢/١٠): «أَمَّا الشِّدَّةُ فَيَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ مَعَ الْمُكَابِرِ الَّذِي يَدْفَعُ بِرَأْيِهِ الْفَاسِدِ فِي نَحْرِ النُّصُوصِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا فِي مُقَدِّمَةِ الطَّبْعَةِ الْأُولَى مِنْ «تَنْبِيهِ الْهَاجِدِ» (٤٥): «وَتَعْقِيبِي يَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

أ - إِمَّا أَنْ أَكُونَ مُصِيبًا فِي قَوْلِي، فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يُقْبَلَ الصَّوَابُ مِنِّي؟

ب- وَإِمَّا أَنْ أَكُونَ مُخْطِئًا، فَعَلَى الْمُعْتَرِضِ أَنْ يُبَيِّنَ ذَلِكَ بِالدَّلِيلِ، فَلَيْسَ قَوِيمًا، وَلَا فِي مِيزَانِ الْعَدْلِ كَرِيمًا أَنْ يُقْبَلَ الْقَوْلُ مِنْ إِنْسَانٍ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ قَدِيمٌ، وَأَنْ يُرَدَّ عَلَى الْمُصِيبِ قَوْلُهُ لِكَوْنِهِ حَدِيثًا!» اهـ.

فَهَذَا مَذْهَبُ الشَّيْخِ يَا أُسْتَاذُ عِمَادُ! فَلَا حَرَجَ أَبَدًا مِنِ اسْتِدْرَاكِكَ عَلَى الشَّيْخِ، وَلَكِنْ بِالتَّأْصِيلِ الْعِلْمِيِّ، وِفْقَ مَنْهَجِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَفَّقَكَ اللَّهُ.

وَعِنْدَمَا كَانَ يُسْأَلُ الشَّيْخُ عَنْ مَنْهَجِهِ فِي «تَنْبِيهِ الْهَاجِدِ إِلَي مَا وَقَعَ مِنَ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْأَمَاجِدِ» الَّذِي بَنَاهُ عَلَى تَعَقُّبِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ، كَانَ يَقُولُ: جَمَعْتُ هَذِهِ التَّعَقُّبَاتِ فِي أَثْنَاءِ بَحْثِي، وَلَمْ أَقْصِدْ أَنْ أَتَتَبَّعَ أَخْطَاءَ الْأَئِمَّةِ، كَمَا تَوَهَّمَ الْبَعْضُ، وَهَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ شَيْخِنَا مِرَارًا.

وَقَالَ شَيْخُنَا فِي مُقَدِّمَةِ الطَّبْعَةِ الْأُولَي مِنْ «تَنْبِيهِ الْهَاجِدِ» أَيْضًا (٤٣): «وَأَنَا عِنْدَمَا

نبهت على أشياء ركب فيها بعض المتقدمين، أو المتأخرين خلاف الصواب، وتجلد بعضهم فيها، حتى ضاق عطنه عن تحرير الجواب، ما كنت بطاعن في أحد منهم، ولا قاصد بذلك تنديدًا له، وإزراءً عليه، وغضًّا منه، بل استيضاحًا للصواب، واسترباحًا للثواب، مع وافر التوقير لهم والإجلال، إذ «ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال»(١)، وأنا مع وضعي هذا الكتاب، ما أبرئ نفسي، ولا كتابي من الخطأ الذي لا يكاد يخلو منه تصنيف، ولا يخلص من توغله تأليف، وأنا أعوذ بالله -بارئ النسم- من كل ما طغى فيه القلم، وجرى مني على الوهم، وأعوذ به من كل متكلف يتتبع فيه علي العثرات، ويحصي ما وقع فيه من الفلتات، وجل همه إظهار الغلطات، وطي الحسنات، مع أنه لو أراد إنسان أن لا يخطئ في شيء من العلم لما حصل مراده مهما فعل، وهيهات؛ فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل، إلا بتفضل رب الأرض والسموات، بل؛ إني أعترف فيه بكمال القصور، وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور، وأقول للناظر في كتابي هذا: لا تأخذن في نفسك علي شيئًا وجدته فيه مغايرًا لفهمك فإن الفهوم تختلف، ولقلما تتفق العقول كلها وتأتلف، ولولا اختلاف الأنظار لبارت السلع، وهدمت صوامع وبيع، فإن رمت الوقوف على زلة ليفي مثل هذا العمل الذي هو كالبحر العيلم، فلا شك أنك واجد، وليس هذا مما يستحيا منه، بل هو من المحامد، والسعيد من عدت غلطاته، وحسبت سقطاته، وأحصوا عليه هناته، لأن هذا يدل على ندرتها بجنب حسناته والجواد يكبو، والنار - بعد أوارها - تخبو، والصارم ينبو، والفتى قد يصبو» اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا فِي مُقَدِّمَةِ الطَّبعَةِ الأُولَى لِلمُجَلَّدَاتِ السِّتَّةِ مِنْ «تَنْبِيهِ الهَاجِدِ» (٣):

---

(١) قَالَ شَيْخُنَا مُعلِّقًا: هَذَا قَوْلُ أَبِي عَمْرِو بْنِ العَلاءِ، رَوَاهُ عَنْهُ الخَطِيبُ فِي مُقَدِّمَةِ «مُوضِحِ الأَوْهَامِ» (١/٥).

«فَجَمَعْتُ مَادَّتَهُ مِنْ مُصَنَّفَاتِي الَّتِي لَمْ تُطْبَعْ، وَمِمَّا عَرَضَ لِي أَثْنَاءَ تَحْقِيقَاتِي وَتَخْرِيجَاتِي، فَجَاءَ كِتَابًا حَافِلًا فِي سِتَّةِ مُجَلَّدَاتٍ وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَقَدْ وَجَدْتُهَا فُرْصَةً سَانِحَةً لِي أَنْ أُثْبِتَ فِيهِ بَعْضَ مُصَنَّفَاتِي الْقَدِيمَةِ، وَالَّتِي فَقَدْتُ جُزْءًا مِنْهَا، فَلَمْ أَنْشَطْ لِلنَّظَرِ فِيهَا، لِأَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى جُهْدٍ جَهِيدٍ، وَوَقْتٍ مَدِيدٍ، وَعَزْمٍ حَدِيدٍ، لَا أَجِدُ لَهُ مِنْ فَرَاغِ الْبَالِ مَا يُمَكِّنُنِي مِنْ إِتْمَامِ النَّقْصِ الْوَاقِعِ فِيهِ» اهـ.

حَتَّى فِي تَعَقُّبِ شَيْخِنَا لِلْمُعَاصِرِينَ كَانَ لَا يَقْصِدُ أَنْ يَتَتَبَّعَ ذَلِكَ عَنْ عَمْدٍ، وَلَكِنْ يَتَعَرَّضُ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ -حَفِظَهُ اللهُ- إِلَى مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ(١).

---

(١) وَهُنَاكَ قِصَّةٌ لِشَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ مَعَ أَحَدِ الْمُعَاصِرِينَ! ذَكَرَهَا فِي مُقَدِّمَةِ تَحْقِيقِهِ وَتَخْرِيجِهِ لِكِتَابِ «الصَّمْتِ وَآدَابِ اللِّسَانِ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا -وَالَّذِي طُبِعَ فِي عَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَعَشْرٍ مِنَ الْهِجْرَةِ- فَقَالَ (ص٥)، بَعْدَمَا أَشَارَ إِلَى بِدَايَتِهِ فِي تَحْقِيقِ الْكِتَابِ: «ثُمَّ يُسِّرَ لِي، فَبَدَأْتُ فِي تَحْقِيقِ الْكِتَابِ، وَلَمْ أَقْطَعْ فِيهِ شَوْطًا طَوِيلًا حَتَّى وَصَلَتْنِي نُسْخَةٌ مِنْ تَحْقِيقِ كِتَابِ «الصَّمْتِ» لِلْأَخِ نَجْمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَلَف، وَأَخَذَ بِهِ دَرَجَةَ الدُّكْتُورَاه، الْحَلْقَةَ الثَّالِثَةَ بِدَرَجَةِ حَسَنٍ جِدًّا مِنَ الْكُلِّيَّةِ الزَّيْتُونِيَّةِ بِتُونُسَ، فَكِدْتُ أَنْ أُحْجِمَ عَنْ تَكْمِيلِ عَمَلِي لَوْلَا أَنَّنِي تَعَاقَدْتُ عَلَيْهِ، وَوَعَدْتُ بِهِ مِنْ قَبْلُ، وَكُنْتُ أَنْظُرُ فِي عَمَلِ الْأَخِ نَجْمٍ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، فَكُنْتُ أَجِدُ فِيهِ أَخْطَاءً مُنْكَرَةً، وَعَظَائِمَ، حَتَّى جَرَّنِي ذَلِكَ إِلَى إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي كِتَابِهِ، فَرَأَيْتُ فِيهِ أَهْوَالًا، وَأَوَابِدَ كَثِيرَةً، فَعَلِمْتُ أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ عَلَى صَوَابٍ فِي مُجَرَّدِ تَفْكِيرِي فِي الْإِحْجَامِ عَنْ إِخْرَاجِ الْكِتَابِ.

وَمِمَّا جَعَلَنِي أَتَعَاظَمُ هَذِهِ الْأَخْطَاءَ أَنَّهَا -أَوَّلًا- كَثِيرَةٌ جِدًّا.

ثَانِيًا: أَنَّنِي كُنْتُ أُحْسِنُ الظَّنَّ بِالْأَخِ الْمَذْكُورِ قَبْلَ صُدُورِ هَذَا الْكِتَابِ، وَكُنْتُ أَتَصَوَّرُ أَنَّهُ مِمَّنْ يَفْهَمُ شَيْئًا، فَبَدَا لِي غَيْرُ ذَلِكَ.

ثَالِثًا: أَنَّهُ يُوَضِّحُ لَنَا قِيمَةَ بَعْضِ رَسَائِلِ الدُّكْتُورَاه، وَغَيْرِهَا، وَأَنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى عِلْمٍ وَلَا تَحْصِيلٍ كَمَا سَأُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ خَطَرَ لِي -إِحْسَانًا لِلظَّنِّ بِالْأَخِ الْمَذْكُورِ- أَنَّهُ أَعْطَى بَعْضَ النَّاسِ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ نَظِيرَ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ الْكِتَابَ، كَمَا هُوَ كَائِنٌ فِي بَعْضِ الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ رَسَائِلَ الدُّكْتُورَاه.

وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْخَاطِرَ لَا أَصْلَ لَهُ مِنَ الصِّحَّةِ، فَيَبْقَى الشَّيْءُ الْآخَرُ، وَهُوَ أَشَدُّ وَأَنْكَى، وَهُوَ أَنَّ صَاحِبَنَا لَا يَعْرِفُ شَيْئًا فِي هَذَا الْعِلْمِ!.

وَقَدْ تَعَقَّبْتُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَخْطَائِهِ، وَلَمْ أَتَفَرَّغْ لِنَقْدِهَا كُلِّهَا، فَإِنَّ هَذَا شَيْءٌ يَطُولُ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ لَهْجَتِي مَعَهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ، لِأَنَّ خَطَأَهُ كَانَ فَادِحًا، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَادَتِي فِي الْمُحَاوَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ أَنْ أُشَدِّدَ اللَّهْجَةَ مَعَ أَحَدٍ، وَلَكِنْ عَزَّ عَلَيَّ جِدًّا أَنْ يَصِيرَ الرَّجُلُ «دُكْتُورًا»!! فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يُصَحِّحُ إِسْنَادًا أَوْ يُضَعِّفُهُ...=

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، سَأَلْتُ شَيْخَنَا عَنْ تَعَقُّبِهِ، وَاسْتِدْرَاكَاتِهِ عَلَى الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ ﵀، حَيْثُ ذَكَرَ لِي أَنَّ مِنَ الْأَجْزَاءِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، الْجُزْءُ الْخَامِسُ، وَلِهَذَا كَانَ سُؤَالِي لِشَيْخِنَا -حَفِظَهُ اللهُ-.

فَأَجَابَ شَيْخُنَا: قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ «الثَّمَرِ الدَّانِي فِي الذَّبِّ عَنِ الْأَلْبَانِيِّ»، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَتَحَرَّ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ، وَلَمْ أَتَعَمَّدْ أَنْ أَتَعَقَّبَ الشَّيْخَ ﵀، وَأَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِطُولِ بَحْثٍ، فَلَا زَالَتِ الْمَخْطُوطَاتُ تَظْهَرُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.

وَكَانَ شَيْخُنَا يَبْسُطُ الْعُذْرَ فِيمَا فَاتَ الشَّيْخَ الْأَلْبَانِيَّ، وَغَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الْفَنِّ، مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدُوا طَفْرَةَ انْتِشَارِ الْمَخْطُوطَاتِ، وَطِبَاعَةِ الْكُتُبِ.

= إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ، وَمَا أَوْرَدَهُ مِنْ أَمْثِلَةٍ لِأَخْطَائِهِ الَّتِي لَا يُسْكَتُ عَلَى مِثْلِهَا».

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ: «أَسْأَلُ سُؤَالًا: هَلْ أُسْتَاذُهُ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى الرِّسَالَةِ، طَالَعَهَا مُطَالَعَةَ مُتَدَبِّرٍ، مُتَيَقِّظٍ، أَمْ أَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا؟!.

وَالْجَوَابُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا طَامَّةٌ مِنَ الطَّامَّاتِ، فَإِمَّا أُسْتَاذُهُ جَاهِلٌ بِهَذَا الْعِلْمِ، أَوْ أَنَّهُ لَا يَتَّقِي اللهَ فَيُعْطِي دَرَجَةَ الدُّكْتُورَاه -بِأَيِّ حَلْقَةٍ- لِأَيِّ مَخْلُوقٍ يُقْدِمُ عَلَى تَحْقِيقِ كِتَابٍ...!!.

فَالْمُشْتَكَى للهِ وَحْدَهُ مِنْ ضَيْعَةِ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى مَوَائِدِ مَنْ لَا يَتَعَلَّمُونَهُ تَدَيُّنًا.

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّنِي مَا قَصَدْتُ إِلَا الذَّبَّ عَنْ هَذَا الْعِلْمِ الْغَرِيبِ الَّذِي مَا عَادَ يُحْسِنُهُ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِي مَعَ أَنَّهُ أَوْلَى الْعُلُومِ بِالْعِنَايَةِ وَالِاهْتِمَامِ» اهـ.

ثُمَّ شَعَرَ شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ شَدَّدَ عَلَى مُخَالِفِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَاعْتَذَرَ لَهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِهِ «بَذْلِ الْإِحْسَانِ» (٢/ص١٠)، وَقَالَ فِي الْحَاشِيَةِ: «فَإِنَّ الرِّفْقَ فِي إِسْدَاءِ النُّصْحِ إِلَى الْمُخَالِفِ مِنْ أَعْظَمِ الدَّوَافِعِ إِلَى قَبُولِ الْحَقِّ، وَقَدْ كُنْتُ ارْتَكَبْتُ مَا يُخَالِفُ هَذَا الْمَنْهَجَ مَعَ الْأَخِ نَجْمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَلَف، فَأَغْلَظْتُ لَهُ فِي النُّصْحِ فِي مُقَدِّمَتِي لِكِتَابِ «الصَّمْتِ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا ' فَإِنِّي اعْتَذِرُ لَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَعْنَى الْعِلْمِيِّ، وَقَدِ اعْتَذَرْتُ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَبَلَغَهُ، وَهَا أَنَا أَعْتَذِرُ لَهُ عَلَنًا، بِرَجَاءِ أَنْ تَطِيبَ نَفْسُهُ، فَيَقْبَلَ عُذْرِي، أَمَّا الشِّدَّةُ فَيَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ مَعَ الْمُكَابِرِ الَّذِي يَدْفَعُ بِرَأْيِهِ الْفَاسِدِ فِي نَحْرِ النُّصُوصِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ» اهـ.

قُلْتُ: وَهَذَا هُوَ مَا عَهِدْنَاهُ مِنْ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ حَفِظَهُ اللهُ.

بَلْ كَانَ يَقُولُ أَيْضًا: لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُحَاكَمَ الْأَلْبَانِيُّ لِمَا طُبِعَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَمْ يُشْرِفْ عَلَى طِبَاعَتِهِ بِنَفْسِهِ، لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ تَكُونُ مُسَوَّدَةً، لَمْ يُعِدَّهَا الشَّيْخُ لِلطَّبْعِ، وَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ لَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ صَوْتًا وَلَا رَدًّا عَلَى الْأَلْبَانِيِّ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَعِنْدِي فِي هَذَا الْبَابِ كَلَامٌ طَوِيلٌ لِشَيْخِنَا، وَلَكِنْ فِيمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَةَ مَوْقِفِ الشَّيْخِ -حَفِظَهُ اللهُ- مِنْ تَعَقُّبِ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَالْمُعَاصِرِينَ أَيْضًا.

وَمَا قَدَّمْتُ بِذِكْرِهِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَنَقْلِ بَعْضِ كَلِمَاتِ شَيْخِنَا، ذَكَّرَنِي بِعِبَارَاتٍ رَائِقَةٍ لِإِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الزَّمَانِ، وَهُوَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ ﷺ، فِي كِتَابِهِ «مُوضِحِ أَوْهَامِ الْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ» (١/١٢)، وَالَّذِي تَعَقَّبَ فِيهِ الْإِمَامَ الطَّوْدَ الشَّامِخَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ ﷺ فِي كِتَابِهِ «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ»، وَكَذَا تَعَقَّبَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: «وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَنْظُرُ فِيمَا سَطَّرْنَاهُ، وَيَقِفُ عَلَى مَا لِكِتَابِنَا هَذَا ضَمَّنَّاهُ، يُلْحِقُ سَيِّئَ الظَّنِّ بِنَا، وَيَرَى أَنَّا عَمَدْنَا لِلطَّعْنِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَنَا، وَإِظْهَارِ الْعَيْبِ لِكُبَرَاءِ شُيُوخِنَا، وَعُلَمَاءِ سَلَفِنَا، وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ؟! وَبِهِمْ ذُكِرْنَا، وَبِشُعَاعِ ضِيَائِهِمْ تَبَصَّرْنَا، وَبِاقْتِفَائِنَا وَاضِحَ رُسُومِهِمْ تَمَيَّزْنَا، وَبِسُلُوكِ سَبِيلِهِمْ عَنِ الْهَمَجِ تَحَيَّزْنَا، وَمَا مَثَلُهُمْ، وَمَثَلُنَا إِلَّا مَا ذَكَرَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ فِيمَا أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْمُقْرِئُ، أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ، حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو: «مَا نَحْنُ فِيمَنْ مَضَى إِلَّا كَبَقْلٍ فِي أُصُولِ نَخْلٍ طِوَالٍ»، وَلَمَّا جَعَلَ اللهُ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ أَعْلَامًا، وَنَصَبَ لِكُلِّ قَوْمٍ إِمَامًا، لَزِمَ الْمُهْتَدِينَ بِمُبِينِ أَنْوَارِهِمْ، وَالْقَائِمِينَ بِالْحَقِّ فِي اقْتِفَاءِ آثَارِهِمْ، مِمَّنْ رُزِقَ الْبَحْثَ، وَالْفَهْمَ، وَإِنْعَامَ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ؛ بَيَانُ مَا أَهْمَلُوا، وَتَسْدِيدُ مَا أَغْفَلُوا،

إِذْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا آمِنِينَ مِنْ مُقَارَفَةِ الخَطَأ، وَالخَطَلِ، وَذَلِكَ حَقُّ الْعَالِمِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ، وَوَاجِبٌ عَلَى التَّالِي لِلْمُتَقَدِّمِ، وَعَسَى أَنْ يَضِحَ الْعُذْرُ لَنَا عِنْدَ مَنْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِنَا الْمُصَنَّفِ فِي «تَارِيخِ مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَأَخْبَارِ مُحَدِّثِيهَا وَذِكْرِ قُطَّانِهَا الْعُلَمَاءِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا وَوَارِدِيهَا» فَإِنَّا قَدْ أَوْرَدْنَا فِيهِ مِنْ مَنَاقِبِ الْبُخَارِيِّ، وَفَضَائِلِهِ مَا يَنْفِي عَنَّا الظِّنَّةَ فِي بَابِهِ، وَالتُّهْمَةَ فِي إِصْلَاحِنَا بَعْضَ سَقَطَاتِ كِتَابِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى» اهـ.

وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ شَيْخِنَا أَيْضًا مِرَارًا: أَنَّهُ لَامَ نَفْسَهُ عَلَى بَعْضِ عِبَارَاتٍ ذَكَرَهَا عِنْدَ تَعَقُّبِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ فِي بِدَايَةِ حَيَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، وَقَالَ لَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْ جَمْعِ مَا طُبِعَ مِنْ كُتُبِي لِرَفْعِ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ مَحَبَّتِي لِهَذَا الْعِلْمِ، وَشِدَّةُ إِقْبَالِي عَلَيْهِ، وَشَغَفِي بِجَمْعِهِ وَتَحْصِيلِهِ، جَعَلَتْنِي آنَذَاكَ لَا أَلْتَفِتُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ طَالَمَا اعْتَقَدْتُ أَنَّ مَعِي الدَّلِيلَ.

وَعِنْدِي مِنْ كَلَامِ شَيْخِنَا فِي هَذَا الْبَابِ مَا أَكْتُبُ فِيهِ مُجَلَّدًا ضَخْمًا، وَلَكِنْ فِيمَا ذَكَرْتُهُ مَا يَكْفِي كُلَّ لَبِيبٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

وَأَظُنُّ أَنَّنِي أَسْدَيْتُ جَمِيلًا لِلْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ، بِذِكْرِ كَلَامِ شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ وَعُذْرِهِ فِي تَعَقُّبِهِ لِلْأَئِمَّةِ، لِأَنَّنِي أَظُنُّكَ سَتَقُولُ هَذَا عَيْنُ جَوَابِي فِي رَدِّي عَلَى الْحُوَيْنِيِّ! فَأَقُولُ: وَهَذَا عَيْنُ الْجَوَابِ فِي الرَّدِّ عَلَيْكَ أَيْضًا، مَعَ فَارِقٍ جَوْهَرِيٍّ؛ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ كَانَ فِي أَئِمَّةٍ مَلَؤُوا الدُّنْيَا عِلْمًا، وَلَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَضَعَ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، أَوْ أَنْ يَتَتَبَّعَ عَثَرَاتِهِمْ، وَفِيمَا نَقَلْتُهُ عَنِ الشَّيْخِ فِي هَذَا الْبَابِ كِفَايَةٌ لِكُلِّ مُنْصِفٍ، وَهَذَا عَلَى خِلَافِ مَنْهَجِكَ أَنْتَ -فِيمَا قَرَأْتُهُ لَكَ!- وَالَّذِي يَسْتَهْوِيكَ فِيهِ تَتَبُّعُ الْعَثَرَاتِ، وَالْأَخْطَاءِ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِكَ! وَإِلْزَامِ الْمُخَالِفِ لَكَ بِمَا لَيْسَ بِلَازِمٍ لَهُ، وَإِنْ أَصَبْتَ فِي مَوْطِنٍ، كَانَ تَقْلِيدًا لِإِمَامٍ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ كَمَا تَزْعُمُ أَنَّكَ لَسْتَ مُقَلِّدًا أَحَدًا، وَلَكِنِ الْأَمْرُ كَمَا بَيَّنْتُهُ فِيمَا تَقَدَّمَ.

فَجَاءَ رَدِّي عَلَى الْأُسْتَاذِ لِمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ تَجَاوُزَاتٍ، وَاضْطِّرَابٍ، يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ مَعَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ.

كَمَا نَوَّهَ شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ أَيْضًا فِي مُنَاسَبَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ عَنْ أَخْطَاءٍ وَقَعَتْ فِي كِتَابِ «غَوْثِ الْمَكْدُودِ»، وَالطَّبْعَةِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا لِتَخْرِيجِ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ فِي طَبْعَتِهِ الْأُولَى «لِلْمُنْتَقَى» (أ) عَلَى نُسْخَةٍ خَطِّيَّةٍ، وَقَدْ قَدَّمَ لَهَا فِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَالَ: «كُنْتُ قَدْ نَشَرْتُ هَذَا الْكِتَابَ -أَيِ الْمُنْتَقَى- قَبْلَ ذَلِكَ مَعَ تَخْرِيجٍ وَسَطٍ، وَسَمَّيْتُهُ «غَوْثَ الْمَكْدُودِ بِتَخْرِيجِ مُنْتَقَى ابْنِ الْجَارُودِ» فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، وَاعْتَمَدْتُ فِيهَا عَلَى الْمَطْبُوعَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا السَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ هَاشِمٍ الْيَمَانِيُّ الْمَدَنِيُّ وَنُشِرَتْ عَامَ (١٣٨٢هـ)، وَلَمْ يَذْكُرْ ﷺ -كَعَادَتِهِ- شَيْئًا عَنِ الْأَصْلِ الَّذِي اعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ فِي إِخْرَاجِ هَذَا السِّفْرِ الْقَيِّمِ، وَمَبْلَغُ عِلْمِي أَنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ الَّتِي نُشِرَتْ فِي الْهِنْدِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ فِي مُقَدِّمَتِهِ: «فَنَسَخْتُ أَوَّلًا، وَقَابَلْتُ ثَانِيًا...»، فَهَلْ قَوْلُهُ: «فَنَسَخْتُ» يَعْنِي بِهِ: الْمَطْبُوعَ أَوِ الْمَخْطُوطَ؟ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدِ اعْتَنَى بِالْكِتَابِ فَرَقَّمَ أَحَادِيثَهُ، وَضَبَطَ نَصَّهُ، فَاعْتَمَدْتُ عَلَى النُّسْخَةِ، وَخَرَّجْتُهَا.

وَلَمَّا طُبِعَتْ وَرَأَيْتُهَا، رَكِبَنِي غَمٌّ كَبِيرٌ، إِذْ رَأَيْتُ فِيهَا مِنَ التَّصْحِيفَاتِ مَا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ خَجَلًا، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاشِرِينَ فِي بَيْرُوتَ -آنَذَاكَ- كَانُوا لَا يُرْجِعُونَ إِلَيْنَا تَجَارِبَ الْكِتَابِ إِهْمَالًا مِنْهُمْ، وَيَكِلُونَ ذَلِكَ إِلَى ثُلَّةٍ مِنَ الْفَتَيَاتِ كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْضُ النَّاشِرِينَ هُنَاكَ... ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَمَنَّيْتُ لَوْ أَعَدْتُ نَشْرَ الْكِتَابِ مَرَّةً أُخْرَى؛ لِأَتَدَارَكَ هَذِهِ الْأَخْطَاءَ، فَكَانَ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ عَجْزِي عَنِ الظَّفَرِ بِالْأَصْلِ الْمَخْطُوطِ» اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا أَيْضًا فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ «لُؤْلُؤُ الْأَصْدَافِ بِتَرْتِيبِ الْمُنْتَقَى عَلَى الْأَطْرَافِ» (٦)،

وَالَّذِي قَدَّمَ لَهُ فِي غُرَّةِ ذِي الْحِجَّةِ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبَعْدَ ذِكْرِ قِصَّةِ تَخْرِيجِ الْمُنْتَقَى، وَمَا تَكَبَّدَهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ: «فَالَّذِي يَنْظُرُ فِي تَخْرِيجِ هَذَا الْكِتَابِ مَعَ مَا حَكَيْتُهُ، يَعْلَمُ مَا كَابَدْتُهُ فِي هَذَا التَّخْرِيجِ آنَذَاكَ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ بَعْضُ مُلَاحَظَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، إِمَّا لِقِلَّةِ مَرَاجِعِي، أَوْ لِحَدَاثَةِ سِنِّي فِي هَذَا الْفَنِّ، وَقَدْ تَلَافَيْتُ هَذَا -إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى- فِي تَخْرِيجِي الْمُوَسَّعِ، وَالَّذِي سَأَذْكُرُهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَقَدِ اعْتَمَدْتُ عَلَى طَبْعَةِ السَّيِّدِ الْيَمَانِيِّ فِي إِثْبَاتِ نَصِّ الْكِتَابِ، فَلَمَّا طُبِعَ «غَوْثُ الْمَكْدُودِ» رَأَيْتُ فِيهِ تَصْحِيفَاتٍ كَثِيرَةً، وَأَغْلَاطًا فَاحِشَةً شَرَحْتُ بَعْضَهَا فِي مُقَدِّمَةِ تَحْقِيقِي لِكِتَابِ «الْمُنْتَقَى»، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ أَظْفَرَ بِالْأَصْلِ الْمَخْطُوطِ، وَأَسْأَلُ عَنْهُ كُلَّ مَنْ لَقِيتُ، حَتَّى يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى لِي ذَلِكَ سَنَةَ (١٤٢٧هـ)» اهـ.

وَنَقْلًا عَنِ النُّسْخَةِ الْخَاصَّةِ لِشَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ بِخَطِّ يَدِهِ مِنْ كِتَابِ «غَوْثِ الْمَكْدُودِ»[(١)]، أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥/٥٨٦)، عَنْ كِتَابِي «غَوْثُ الْمَكْدُودِ» أَنَّهُ «كِتَابٌ قَيِّمٌ»، فَقَالَ: وَنَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ صَدِيقُنَا الْفَاضِلُ أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ فِي كِتَابِهِ الْقَيِّمِ: «غَوْثُ الْمَكْدُودِ بِتَخْرِيجِ مُنْتَقَى ابْنِ الْجَارُودِ»، وَقَدْ أَهْدَى إِلَيَّ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْهُ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا. اهـ.

قُلْتُ -أَيِ الْحُوَيْنِيَّ-: وَيَقْصِدُ شَيْخُنَا -حَفِظَهُ اللهُ- مَا ذَكَرْتُهُ عِنْدَ تَخْرِيجِ الْحَدِيثِ رَقْمِ (٢٤٢)، وَكُنْتُ قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ «الْجُزْءَ الْأَوَّلَ» بِخَطِّ يَدِي مَعَ زَوْجِ ابْنَتِهِ الْأَخِ نِظَامِ سَكَّجَهَا عِنْدَمَا زَارَنِي فِي مَنْزِلِي سَنَةَ (١٤٠٨هـ)، وَلَكِنِ التَّنْبِيهُ الَّذِي أَرَادَهُ شَيْخُنَا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ الْمَطْبُوعِ، فَلَعَلَّهُ سَقَطَ مِنْهُ، وَقَدْ حَدَثَ مِثْلُ هَذَا، وَاسْتَدْرَكْتُهُ،

(١) وَقَدْ كَتَبَ شَيْخُنَا عَلَيْهَا: «نُسْخَتِي الْخَاصَّةُ، وَكَتَبَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ، دُبَي، الْجُمُعَةُ، ١٥/رَمَضَان/١٤٠٩هـ، ١٩٨٩/٤/٢٢م».

وَالطَّبْعُ فِي بَيْرُوتَ سَيِّءٌ جِدًا لِعَدَمِ وُجُودِ مُصَحِّحِينَ، وَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ إِلَيْنَا تَجَارِبَ الْكُتُبِ، وَلِذَلِكَ أَوْقَفْتُ التَّعَامُلَ مَعَهُمْ مُنْذُ دَهْرٍ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَخُذْ مِثَالًا عَلَى ذَلِكَ: فَفِي الْحَدِيثِ (١٨٠)، وَ(٤٥٦)، حَقَّقْتُ الْقَوْلَ فِيهِ، وَانْفَصَلْتُ عَلَى أَنَّهُ ضَعِيفٌ، وَرَغْمَ ذَلِكَ تَجِدُ أَوَّلَ عِبَارَةٍ فِي تَخْرِيجِ الْحَدِيثِ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ»، وَهَذَا مِنَ الْأَخْطَاءِ الْكَثِيرَةِ فِي الْكِتَابِ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَكَتَبَهُ: أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ، رَبِيعٌ أَوَّلُ/١٤١٢هـ». انْتَهَى النَّقْلُ عَنْ شَيْخِنَا مِنْ نُسْخَتِهِ الْخَاصَّةِ.

وَلَعَلَّ الْأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ بَعْدَ مَا ذَكَرْتُهُ يَعْذُرُ! مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَمْ يُوَفَّقْ فِي الْقَدْرِ الْأَكْبَرِ مِنَ اسْتِدْرَاكَاتِهِ.

وَإِنْ قِيلَ إِنَّ هَذَا لَا يُعْفِي مِنَ التَّعَقُّبِ وَالِاسْتِدْرَاكِ، قُلْنَا: صَدَقْتَ، وَلَكِنِ الْإِنْصَافُ، الَّذِي زَكَّيْتَ نَفْسَكَ بِاتِّبَاعِهِ، كَانَ يَسْتَلْزِمُ مِنْكَ أَنْ تَذْكُرَ كَلَامَ الشَّيْخِ إِنْ كُنْتَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ!، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَرُبَّمَا ظَنَنْتَ بَعْدَهَا أَنْ هَذِهِ هِيَ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ؛ إِذْ أَقَرَّ الشَّيْخُ بِبَعْضِ الْأَخْطَاءِ!!.

تَنْبِيهٌ: بَعْدَ اقْتِرَابِي مِنَ الِانْتِهَاءِ مِنْ كِتَابِي: «بَذْلِ الْجُودِ»، بَلَغَنِي أَنَّ الْأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ صَدَرَ لَهُ كِتَابًا بِعُنْوَانِ «التَّبْيِينِ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»، طَبَعَهُ دَارُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِالْمَنْصُورَةِ، فَأَرْسَلْتُ أَحَدَ إِخْوَانِي جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا لِدَارِ النَّشْرِ، لِشِرَاءِ نُسْخَةٍ مِنَ الْكِتَابِ، وَ أَرْسَلَهَا إِلَيَّ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ، وَلَمَّا اطَّلَعْتُ عَلَى الْكِتَابِ أَزْعَجَنِي مَا قَدْ أَزْعَجَنِي فِي كِتَابِهِ «مِنْحَةِ الْمَعْبُودِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ فِي كِتَابِهِ غَوْثِ الْمَكْدُودِ»، وَزِيَادَةً!! وَلَا يَتَّسِعُ الْمَقَامُ هُنَا لِلْبَسْطِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ لَنَا مَعَهُ وَقْفَةٌ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، فَفِي هَذَا الْكِتَابِ عَجَائِبُ!!.

وَلَكِنِ الشَّاهِدُ هُنَا، أَنَّ الْمُعْتَرِضَ جَعَلَ نَصِيبًا لِشَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ مِنَ اسْتِدْرَاكَاتِهِ!!

فَذَكَرَ (ص٥٥٠): «الْمُحَدِّثُ السَّادِسُ عَشَرَ: أَوْهَامُ الْمُحَدِّث الْحُوَيْنِيِّ»، وَزَعَمَ أَوْهامًا ثَلاثًا لِشَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ فِي كِتَابِهِ «النَّافِلَةِ فِي الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ»، وَسَوْفَ أَرُدُّ عَلَى الْمُعْتَرِضِ فِي نِهَايَةِ «الطَّلِيعَةِ» فِيمَا يَتَعلَّقُ بِمَا زَعَمَهُ مِنْ أَوْهَامٍ لِلشَّيْخِ فِي «النَّافِلَةِ»!.

وَذَكَرَ الْمُعْتَرِضُ أَيْضًا أَوْهَامًا سِتًّا لِشَيْخِنَا فِي كِتَابِهِ «غَوْث الْمَكْدُودِ بِتَخْرِيجِ مُنْتَقَى ابْنِ الْجَارُودِ»!! وَهِيَ فِي كِتَابِهِ «مِنْحَةِ الْمَعْبُودِ»، مِنَ الاسْتِدْرَاكِ الأَوَّلِ، إِلَى الاسْتِدْرَاكِ السَّادِسِ، وَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهَا رَدًّا شَافِيًا مُوَسَّعًا فِي أَصْلِ كِتَابِي «بَذْلِ الْجُودِ»، وَالْحَمْدُ للهِ.

ثُمَّ أَقُولُ...

سَوْفَ أُجْمِلُ لِلْقَارِئِ جُمْلَةً مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ، دُونَ إِثْقَالِ الْمُقَدِّمَةِ بِأَمْثِلَةٍ عَلَى ذَلِكَ، حَيْثُ يُوجَدُ مُفَصَّلًا فِي رَدِّي عَلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَيَسَّرَ لَهُ الْخَيْرَ، وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ:

١- يُخْطِئُ الأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ فِي النَّقْلِ عَنِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ أَحْيَانًا، وَفِي الْعَزْوِ لِبَعْضِ الْمَصَادِرِ، مَعَ وُجُودِ أَخْطَاءٍ وَتَصْحِيفَاتٍ لَا يُمَرَّرُ مِثْلُهَا لِغَيْرِهِ!، وَفِي الطَّلِيعَةِ مَا يَكْفِي لِبَيَانِ ذَلِكَ.

٢- يَنْقُلُ بَحْثَ الشَّيْخِ كَامِلًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ فِي اسْتِدْرَاكِهِ مَعَ ذِكْرِ السَّنَدِ، وَالْمَتْنِ كَامِلًا، وَهُوَ فِي صَنِيعِهِ هَذَا مِنْ مَبْدَأِ كِتَابِهِ إِلَى مُنْتَهَاهُ! وَهَذَا عَلَى خِلَافِ الصَّنْعَةِ الْحَدِيثِيَّةِ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، إِذْ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى مَوْطِنِ التَّعَقُّبِ فَقَطْ؛ لَخَرَجَ الْكِتَابُ فِي وَرَقَاتٍ مَعْدُودَةٍ!.

٣- طَرِيقَةُ الأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ فِي الْحُكْمِ عَلَى الرِّوَايَةِ تُشْبِهُ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ طَرِيقَةَ الْمُبْتَدِئِينَ فِي طَلَبِ عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ بَيِّنٌ فِي اسْتِدْرَاكَاتِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ،

وَكَذَا فِي مَقَالَاتِهِ الَّتِي وَقَفْتُ عَلَيْهَا وَأَخِيرًا فِي كِتَابِهِ «التَّبْيِينِ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ».

٤- تَحَامَلَ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ عَلَى الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ مُنْصِفًا، حَيْثُ لَا يَذْكُرُ مَنْ وَافَقَهُ الشَّيْخُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ، أَوِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَمَنْ عَاصَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَأَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ!!.

٥- فِي كَلَامِ الْأُسْتَاذِ عَنِ الرُّوَاةِ، يَتَجَنَّبُ ذِكْرَ كَلَامِ الْأَئِمَّةِ الْمُؤَيِّدِ لِتَرْجِيحِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ حَتَّى لَا يَنْتَقِلَ التَّعَقُّبُ مِنَ الشَّيْخِ لِلْأَئِمَّةِ، وَحَتَّى لَا يَضْطَرَّ إِلَى بَسْطِ الْعُذْرِ، وَبَيَانِ وَجْهِ الْقَوْلِ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ فِي الرَّاوِي، أَوْ أَنْ يُخَالِفَهُمْ، فَيَفْتَحُ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغْلِقَهُ.

وَرُبَّمَا ظَنَّ الْمُعْتَرِضُ أَنَّ صَنِيعَهُ فِي «التَّبْيِينِ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»، يَشْفَعُ لَهُ! لَا سِيَّمَا وَقَدْ بَدَأَ بِبَيَانِ أَوْهَامِ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْمُحَلَّى»، وَأَفْرَدَ لَهُ مِنْ (ص٢١)، إِلَى (ص٦٨)، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ، وَكَمَا ذَكَرْتُ، فَسَيَكُونُ لِي مَعَ هَذَا الْكِتَابِ وَقَفَاتٌ، بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

٦- يَنْظُرُ الْأُسْتَاذُ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا يَبْدُو لِنَقْدِهِ لِلشَّيْخِ، حَيْثُ لَا يَبْحَثُ عَنْ كَلَامِ الشَّيْخِ فِي مُؤَلَّفٍ آخَرَ لَهُ، رُبَّمَا وَجَدَ أَنَّ الشَّيْخَ بَسَطَ الدَّلِيلَ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، أَوْ تَرَاجَعَ عَنْ حُكْمٍ، أَوْ بَيَّنَ خَطَأً، وَلَكِنَّ الْأُسْتَاذَ عِمَادَ فِيمَا يَبْدُو، يَخْشَى أَنْ يَفُوتَ عَلَيْهِ الِاسْتِدْرَاكُ، غَفَرَ اللهُ لَهُ.

٧- يُكْثِرُ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ مِنْ قَوْلِهِ: «وَفَاتَ الْحُوَيْنِيُّ كَذَا وَكَذَا...»، وَهَذَا الزَّعْمُ، بِمُحَاكَمَةِ الْأُسْتَاذِ لِمَا فَاتَهُ هُوَ، تَعْلَمُ بِهِ قَدْرَ الْفَارِقِ بَيْنَ مَا فَاتَ الشَّيْخُ، وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ!!، وَفِي طَلِيعَةِ هَذَا الْكِتَابِ مَا يَكْفِي لِإِثْبَاتِ ذَلِكَ.

٨- رُبَّمَا تَعَرَّضَ الْأُسْتَاذُ لِعَمَلٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ مُؤَلِّفَيْنِ؛ فَيُصَرِّحُ بِأَحَدِهِمَا وَيُخْفِي الْآخَرَ، وَهَذَا لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالتَّدْلِيسِ، وَعَدَمِ الْإِنْصَافِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ!؟، كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ صَنِيعِهِ مَعَ شَيْخِنَا بَشَّارٍ، وَشَيْخِنَا شُعَيْبٍ فِي كِتَابَيْهِمَا «تَحْرِيرُ تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ».

٩- رُبَّمَا تَعَقَّبَ الْحَدِيثَ الْوَاحِدَ فِي عِدَّةِ اسْتِدْرَاكَاتٍ، كَمَا صَنَعَ فِي الْحَدِيثِ رَقَمْ (١٠٧)، بَدَأَ بِالِاسْتِدْرَاكِ السَّابِعِ (ص٦٠)، ثُمَّ الِاسْتِدْرَاكِ الثَّامِنِ (ص٧٦)، ثُمَّ الِاسْتِدْرَاكِ التَّاسِعِ (ص٧٧)!!.

١٠- الِاضْطِرَابُ، وَالتَّنَاقُضُ بَيْنَ الْبَحْثِ النَّظَرِيِّ، وَالتَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ.

فَمَثَلًا: يُنَظِّرُ لِنَفْيِ تَدْلِيسِ أَبِي الزُّبَيْرِ، وَإِذَا لَقِيَهُ فِي سَنَدٍ، حَكَمَ بِإِعْلَالِ السَّنَدِ لِتَدْلِيسِ أَبِي الزُّبَيْرِ! كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي «الْوَقْفَةِ الْأُولَى» مَعَ مُقَدِّمَةِ الْمُعْتَرِضِ.

١١- يَبْدُو لِي مِنْ بَعْضِ عِبَارَاتِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ أَنَّهُ ظَاهِرِيُّ الْمَذْهَبِ!.

ثُمَّ تَأَكَّدَ لَدَيَّ ذَلِكَ الْأَمْرُ، لَا سِيَّمَا بَعْدَمَا وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِهِ «التَّبْيِينِ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»، وَقَدْ كَتَبَ بَعْدَ خُطْبَتِهِ لِلْكِتَابِ (ص١٩): «كَتَبَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الظَّاهِرِيُّ»! وَكُلَّمَا أَرَادَ الِاسْتِدْرَاكَ، وَالتَّعْلِيقَ، قَالَ: «قُلْتُ الظَّاهِرِيُّ»!.

وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ الَّذِي دَفَعَهُ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ لِلرَّدِ عَلَى الشَّيْخِ، مَا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ رَدِّ الشَّيْخِ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ ﷺ فِي تَضْعِيفِهِ لِأَحَدِ الرُّوَاةِ!!.

وَأَكْتَفِي هُنَا بِمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَيَأْتِي تَفْصِيلُ مَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَا وَزِيَادَةٌ، فِي دَاخِلِ الْكِتَابِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

وَقَدِ اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِي الرَّدِ عَلَى مُؤَلِّفِ هَذَا الْكِتَابِ -عَفَا اللهُ عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ- بِمُنَاقَشَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُنْصِفَةٍ، وَتَجَرُّدٍ، بِحَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَإِنْ أَصَابَ الْأُسْتَاذُ فِي شَيْءٍ ذَكَرْنَاهُ لَهُ، وَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ تَعَالَى يُحِبُّ الْإِنْصَافَ.

وَهُنَا أَذْكُرُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ سَمَاحَةُ شَيْخُنَا الْمُحَدِّثُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ؛ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَقَالَ لِي سَجِّلْ عَنِّي: «أَنَّنِي حَرِيصٌ مِنْ قَلْبِي إِذَا قَالَ الْمُتَعَقِّبُ حَقًّا أَنْ نَذْكُرَهُ لَهُ، وَنَشْكُرَهُ عَلَيْهِ».

وَأَوْصَانِي أَيْضًا فِي يَوْمِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَسِتٍّ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ؛ بِالرِّفْقِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِ، وَأَنْ أَتَجَنَّبَ عِبَارَاتِ التَّجْرِيحِ.

وَهَذَا عَهْدِي بِشَيْخِنَا مُنْذُ مُلَازَمَتِي لَهُ مُنْذُ مَا يَقْرُبُ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً؛ لَا يَمَلُّ مِنَ التَّعْلِيمِ، وَالنُّصْحِ، حَفِظَ اللهُ شَيْخَنَا الْحُوَيْنِيَّ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ، وَنَفَعَ بِعِلْمِهِ، وَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ.

ثُمَّ أَقُولُ: وَقَدْ سَمَّيْتُ كِتَابِي هَذَا كَمَا قَدَّمْتُ: «بَذْلُ الْجُودِ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ تَعَقَّبَ الْحُوَيْنِيَّ فِي غَوْثِ الْمَكْدُودِ»، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَرْزُقَنِي الْإِخْلَاصَ، وَالْفَهْمَ، وَالْإِنْصَافَ، وَالتَّجَرُّدَ؛ فِي مَبْدَأِ الْأَمْرِ وَمُنْتَهَاهُ.

وَأَذْكُرُ شَيْئًا مِمَّا سَلَكْتُهُ فِي التَّعْلِيقِ، وَالرَّدِّ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ فِي أَصْلِ الْكِتَابِ، وَهَذَا سَوْفَ يَظْهَرُ لِلْقَارِئِ فِي الطَّلِيعَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا:

١- بَدَأْتُ بِخُطْبَةٍ لِلْكِتَابِ؛ كَمُقَدِّمَةٍ -كَمَا مَرَّ- تَتَعَلَّقُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بِتَأْلِيفِ «كِتَابِ غَوْثِ الْمَكْدُودِ»، وَمَا تَعَرَّضَ لَهُ الْكِتَابُ عَنْ طَرِيقِ دَارِ النَّشْرِ مِنْ أَخْطَاءٍ كَثِيرَةٍ، وَرَدِّ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ عَلَى ذَلِكَ، وَشَرْطِهِ فِي تَخْرِيجِ الْكِتَابِ، وَمَوْقِفِهِ مِنَ الْمُخَالِفِينَ لَهُ، وَطَرِيقَتِهِ

فِي الرَّدِ عَلَيْهِم، وَعدَمِ اسْتِنْكَافِه أَنْ يُتَعَقَّبَ كَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، وَكُنْتُ حَرِيصًا أَنْ أَنْقُلَ مِنْ كُتُبِ شَيْخِنَا، وَمَا حَدَّثَنِي بِهِ، مَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ لِكُلِّ لَبِيبٍ مُنْصِفٍ، مَعَ ذِكْرِ تَّارِيخِ مَا نُقِلَ، لِتَعْلَمَ أَنَّ الأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ لَمْ يَتَكَلَّفْ أَنْ يَتَتَبَّعَ كَلَامَ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي الْكِتَابِ، وَالَّذِي خَرَّجَهُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً حَتَّي لَا يُفَوِّتَ عَلَى نَفْسِهِ اسْتِدْرَاكِهِ عَلَى الْكِتَابِ!.

وَأُعِيذُكَ بِاللهِ أَنْ تَكُونَ فِي رَدِّكَ عَلَى الْمُحَدِّثِ الْحُوَيْنِيِّ، مُتَلَبِّسًا بِمَا يَتَنَافَى مَعَ صَفَاءِ الطَّوِيَّةِ، وَكُنْ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

صَافِي الطَّوِيَّةِ مِنْ غِلٍّ يُكَدِّرُهَا وَأَوَّلُ الْمَجْدِ أَنْ تَصْفُو الطَّوِيَّاتُ

٢- جَعَلْتُ تَعْلِيقِي، وَرَدِّي عَلَى الأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ، وِفْقَ تَرْتِيبِهِ لِكِتَابِهِ «مِنْحَةِ الْمَعْبُودِ فِي الرَّدِ عَلَي أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ فِي كِتَابِهِ غَوْثِ الْمَكْدُودِ»، فَبَدَأْتُ بِوَقَفَاتٍ مَعَ مُقَدِّمَةِ الأُسْتَاذِ، ثُمَّ أَتْبَعْتُهَا بِالأَجْزَاءِ الثَّلَاثِ، وَهَذَا فِي أَصْلِ الْكِتَابِ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِـ«طَلِيعَةِ بَذْلِ الْجُودِ» فَكَمَا تَقَدَّمَ، قَدْ اكْتَفَيْتُ فِيهَا بِالرَّدِ عَلَى مُقَدِّمَةِ الأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ لِكِتَابِهِ «مِنْحَةِ الْمَعْبُودِ»، وَمَا اسْتَدْرَكَهُ -زَعَمَ- عَلَى الشَّيْخِ مِنْ أَوْهَامٍ ثَلَاثٍ فِي كِتَابِهِ «النَّافِلَةِ فِي الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ»، وَسَطَّرَهَا الْمُعْتَرِضُ فِي كِتَابِهِ «التَّبْيِينِ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»!! وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِاسْتِدْرَاكَاتِهِ عَلَى «غَوْثِ الْمَكْدُودِ» فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ رَدًّا شَافِيًا فِي أَصْلِ الْكِتَابِ، وَالْحَمْدُ للهِ.

٣- لَا أَشْتَرِطُ أَنْ أَسْتَقْصِي جَمِيعَ طُرُقِ الرِّوَايَاتِ، إِلَّا مَا كَانَ لَابُدَّ مِنْهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْبَيَانُ إِلَّا بِهِ، فَحِينَئِذٍ قَدْ يَطُولُ بِنَا التَّعْلِيقُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِفَائِدَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالرِّوَايَةِ، وَتُجَلِّي مَا قَدْ يُسْتَشْكَلُ عَلَى الْبَعْضِ.

٤- أُحَاكِمُ الْأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ -وَفَّقَهُ اللهُ إِلَى الرُّشْدِ- إِلَى مَذْهَبِهِ فِي الرَّدِّ وَالتَّعْلِيقِ أَحْيَانًا، لِأُبَيِّنَ لَهُ أَنَّ مَا تَكَلَّفَهُ فِي طَرِيقَةِ اسْتِدْرَاكِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، لا يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ!.

فَبَيَّنْتُ أَخْطَاءً فِي النَّقْلِ، وَالْعَزْوِ، وَتَصْحِيفَاتٍ، وَفَوْتٍ؛ لَا يُمَرِّرُ مَا هُوَ دُونَهَا بِكَثِيرٍ فِي اسْتِدْرَاكِهِ!.

٥- ذَكَرْتُ مَنْ كَانَ سَلَفًا لِلشَّيْخِ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ يُظْهِرُ فِي تَعَقُّبِهِ كَأَنَّ الْحُوَيْنِيَّ تَفَرَّدَ بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ! مَعَ مُحَاوَلَتِهِ أَحْيَانًا أَنْ يَكُونَ مُحَايِدًا فِي بَعْضِ الْأَحْرُفِ!! فَيَرُدُّ عَلَى بَعْضِ الْمُوَافِقِينَ لِلشَّيْخِ حَتَّى يُبَيِّنَ أَنَّهُ لَا يَسْتَثْنِي أَحَدًا فِي الرَّدِّ، وَلَكِنَّهُ وَبِكُلِّ أَسَفٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْتَزِمَ بِهَذِهِ الْحِيَادِيَّةِ!.

٦- اعْتَمَدَ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ فِي تَرْجِيحَاتِهِ عَلَى النَّقْلِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ، فَحَاكَمْتُهُ لِمَذْهَبِهِ وَذَكَرْتُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مَنِ اتَّفَقَ مَعَ الشَّيْخِ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، مِمَّنْ يُعْتَبَرُ بِهِ، وَعُرِفَ بِجُهُودِهِ فِي هَذَا الْفَنِّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِكُلِّ أَحَدٍ.

٧- بَيَّنْتُ بَعْضَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي كَالَ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ فِيهَا بِمِكْيَالَيْنِ، فَمَا شَدَّدَ فِيهِ أَثْنَاءَ رَدِّهِ عَلَى الشَّيْخِ غَفَلَ عَنْهُ مَعَ غَيْرِهِ، أَوْ تَرَفَّقَ فِي رَدِّهِ، فَكَانَ لِزَامًا أَنْ أُبَيِّنَ شَيْئًا مِنْ هَذَا، لِيَكُونَ الْأُسْتَاذُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِ.

٨- فِي تَعْلِيقِي وَرَدِّي عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ، أَقُومُ بِتَلْخِيصِ كَلَامِ شَيْخِنَا، وَكَذَا بِتَلْخِيصِ كَلَامِ الْأُسْتَاذِ، وَرُبَّمَا ذَكَرْتُهُ أَحْيَانًا بِتَمَامِهِ لِعِلَّةٍ، ثُمَّ أُعَلِّقُ بِمَا أُوَفَّقُ إِلَيْهِ، بِتَجَرُّدٍ وَإِنْصَافٍ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وَبِطَرِيقَةٍ يَسْهُلُ أَنْ يُدْرِكَ مَعَهَا مَا يَتَرَجَّحُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَأَيْضًا لِيَتَّضِحَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَطَلَبَتِهِ قَدْرُ الْفَارِقِ بَيْنَ شَيْخِنَا الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ، وَبَيْنَ الْأُسْتَاذِ، وَإِنْ أَصَابَ فِي تَرْجِيحِهِ أَحْيَانًا!.

٩- مَا أَصَابَ فِيهِ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ بيَّنتُه، وَإِنْ بَانَ لِي مِنْ خِلَالِ طَرِيقَةِ الْأُسْتَاذِ، أَنَّهُ لَا يَلْتَزِمُ بِطَرِيقَةِ الْأَئِمَّةِ فِي صَنْعَتِهِمُ الْحَدِيثِيَّةِ، فَأَسِفْتُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مُتَأَثِّرًا بِطَرِيقَةِ الْمُبْتَدِئِينَ فِي طَلَبِ عِلْمِ الْحَدِيثِ، مِنْ إِعَادَةِ نَقْلِ الْقَوْلِ، وَذِكْرِ الْأَسَانِيدِ، وَالْمُتُونِ كَامِلَةً فِي التَّخْرِيجِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ حَاجَةٌ؛ عَلَى خِلَافِ طَرِيقَةِ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ أَتَّفِقُ مَعَهُ فِي النَّتِيجَةِ أَحْيَانًا، مَعَ مُخَالَفَتِي لَهُ فِي طَرِيقَتِهِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهَا!.

١٠- وَضَعْتُ أَمَامِي فِيمَا ذَكَرْتُهُ مَنْهَجَ أَئِمَّتِنَا مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ فِي رَدِّي عَلَى الْمُعْتَرِضِ، وَسَعَيْتُ جَاهِدًا لِتَطْبِيقِهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وُفِّقْتُ فِي الْتِزَامِ هَذَا الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ عِنْدَ أَئِمَّتِنَا، لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْأَخْبَارِ شَدِيدٌ، وَلَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ.

وَخِتَامًا لِهَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ:

أَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ، أَنْ يَحْفَظَ سَمَاحَةَ شَيْخِنَا الْمُحَدِّثَ الْفَاضِلَ أَبَا إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيَّ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَأَنْ يَشْفِيَهُ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا، وَأَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي عِلْمِهِ، وَعَمَلِهِ، وَأَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَطَلَبَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وُدًّا، وَأَنْ يَخْتِمَ لَنَا وَلَهُ بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُوَفِّقَ الْمُؤَلِّفَ لِلرُّشْدِ، فَإِنَّنَا نَرْجُو الْخَيْرَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، لَا سِيَّمَا مَنْ حَصَّلَ عِلْمًا، وَإِنْ خَالَفْنَاهُ فِي بَعْضِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَالْحَمْدُ للهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَتَبَهُ

أَبُو بَكْرٍ

مُؤْمِنُ بْنُ الْبَدَوِيِّ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ آلْ يَاسِينَ

كَفْرُ الشَّيْخِ - مِصْرُ - شَهْرُ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ

وَقَفَاتٌ
مَعَ
مُقَدِّمَةِ عِمَادِ بْنِ حَسَنٍ
الظَّاهِرِيِّ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ
فِي كِتَابِهِ
«مِنْحَةِ الْمَعْبُودِ»

(وَقَفَاتٌ مَعَ مُقَدِّمَةِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ، عَفَا اللهُ عَنْهُ) (١)

فَمِنَ الْمُلَاحَظِ فِي اسْتِدْرَاكَاتِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ أَنَّهُ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِهِ: «فَاتَ الْحُوَيْنِيَّ كَذَا، وَكَذَا...»، دُونَ أَنْ يُؤَثِّرَ هَذَا الِاسْتِدْرَاكُ فِي الْغَالِبِ عَلَى قَبُولِ الْخَبَرِ أَوْ رَدِّهِ، مَعَ أَنَّ شَيْخَنَا الْحُوَيْنِيَّ لَمْ يَشْتَرِطْ عَلَى نَفْسِهِ الِاسْتِقْصَاءَ، وَلَكِنِ اهْتَمَّ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بِطُرُقِ ابْنِ الْجَارُودِ رحمه الله فِي «الْمُنْتَقَى»، وَلَمْ يُطِلْ إِلَّا فِيمَا لَابُدَّ مِنْهُ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ فِي خِتَامِ تَخْرِيجِهِ عَلَى كِتَابِ «غَوْثِ الْمَكْدُودِ» (٣/٣٦٠): «وَبِهَذَا يَتِمُّ تَخْرِيجُنَا لِكِتَابِ «مُنْتَقَى ابْنِ الْجَارُودِ» وَهُوَ تَخْرِيجٌ وَسَطٌ، لَا هُوَ بِالطَّوِيلِ الْمُمِلِّ، وَلَا بِالْمُخْتَصَرِ الْمُخِلِّ، رَجَوْتُ بِهِ خِدْمَةَ سُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَالْحَمْدُ للهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا» اهـ.

وَذَكَرَ نَحْوَهُ فِي تَخْرِيجِهِ لِكِتَابِ «الْمُنْتَقَى» عَلَى نُسْخَتِهِ الْخَطِّيَّةِ (أ).

---

(١) سَوْفَ أَتَجَاوَزُ التَّفْصِيلَ فِي الرَّدِّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ فِي «مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ» مِنْ تَزْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ، وَعَدَمِ احْتِيَاطِهِ فِي انْتِقَاءِ بَعْضِ الْعِبَارَاتِ، وَانْتِقَائِهِ أَحْيَانًا لِعِبَارَاتٍ رَكِيكَةٍ، وَمُخَالَفَتِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ لِمَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِهِ، وَمُحَاوَلَتِهِ افْتِعَالَ خُصُومَةٍ مَعَ مُخَالِفِيهِ! وَكَأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَا صَنَعَ الْحَدَّادُ كَمَا يُقَالُ!!، وَالْأَمْرُ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ -يَا رَعَاكَ اللهُ- وَأَكْتَفِي هُنَا بِذِكْرِ مِثَالَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص٩): سُقْتُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ لِأُبَيِّنَ لِأَحِبَّتِي، وَمَشَايِخِي وَ[مِمَّنْ](١) يَأْخُذُ الْعِلْمَ عَنِّي؛ أَنَّنِي لَسْتُ مُقَلِّدًا أَحَدًا، وَلَنْ أُقَلِّدَهُ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَأَنَّنِي -مُذْ وَعَيْتُ الْعِلْمَ- سَبِيلِي أَنَّنِي لَنْ أَسْكُتَ عَلَى خَطَأٍ حَتَّى لَوْ كَلَّفَنِي هَذَا الْأَمْرُ نَفْسِي الَّتِي أَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبَيَّ، وَسَأَبْقَى أُبَيِّنُ الْعِلْمَ حَتَّى أُقَابِلَ مَوْلَايَ، وَحَسْبِي أَنَّنِي رَاضٍ عَنْ نَفْسِي، وَقَبْلَهُ مُرْضِيًا لِرَبِّي. اهـ.

الثَّانِي: قَوْلُهُ (ص١٦): وَلَقَدْ دَأَبْتُ فِي كُلِّ رُدُودِي عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ الْأَدَبُ زَادِي، وَالرِّفْقُ صَدِيقِي، وَأَنْ لَا أُحَمِّلَ النُّصُوصَ مَا لَا تَحْتَمِلُ، وَأَرْفُقَ بِمُخَالِفِي مَهْمَا [كَانَ ذَهَبَ] فِي تَرْجِيحِهِ. اهـ.

---

(١) لَعَلَّهُ يَقْصِدُ: وَمَنْ.

لَكِنْ مِنَ الْبَيِّنِ فِي اسْتِدْرَاكَاتِ الْأُسْتَاذِ أَنَّهُ يلْزِمُ الشَّيْخَ بِمَا لَمْ يلْزِمْ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ شَرْطًا لَهُ فِي كِتَابِهِ.

وَعَلَيْهِ، نُحَاكِمُ الْأُسْتَاذَ لِمَذْهَبِهِ هَذَا فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ، وَإِنْ كَانَ ثَقِيلًا عَلَى نَفْسِي هَذَا الْأُسْلُوبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَثَرٌ فِي الْبَحْثِ، وَإِنْ كَانَ يَدُلُّ هَذَا الْفَوْتُ فِي مَوَاطِنَ عَلَى الْخَلَلِ وَالتَّقْصِيرِ! وَلَكِنْ، اللهُ الْمُسْتَعَانُ.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

- **الْوَقْفَةُ الْأُولَى:**

بَدَأَ الْأُسْتَاذُ فِي «مُقَدِّمَتِهِ» بِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**».

وَبِغَضِّ الطَّرْفِ عَنْ مُطَابَقَةِ تَعْلِيقِهِ عَلَى الْحَدِيثِ مَعَ تَعْلِيقِ شَيْخِنَا شُعَيْبٍ الْأَرْنؤُوط -حَفِظَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» (١٨٤/٩)، إِلَّا فِي أَحْرُفٍ يَسِيرَةٍ!.

وَكِتَابَةِ (ابْنِ مَاجَهْ) بِالتَّاءِ (ابْنِ مَاجَة)، وَلَيْسَ بِالْهَاءِ، وَفِيهَا خِلَافٌ، وَالرَّاجِحُ أَنَّهَا بِالْهَاءِ فِي حَالِ الْوَقْفِ وَالْوَصْلِ.

وَالْخَطَأِ فِي الْعَزْوِ لِلنَّسَائِيِّ فِي «الْمُجْتَبَى» (٢٩٦/٥)، وَالصَّوَابُ: (٢٦٨/٥)، وَلِلطَّبَرَانِيِّ فِي «الْكَبِيرِ» بِرَقْمِ (٢٧٤٧)!، وَالصَّوَابُ: (١٢٧٤٧/٢).

وَقَدْ أَشَرْتُ إِلَي مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ الَّذِي لَا أَثَرَ لَهُ فِي الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، وَأَعْتَذِرُ لِلْقُرَّاءِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَلَكِنْ جَرْيًا عَلَى مَذْهَبِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ، حَيْثُ يَسْتَهْوِيهِ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالَّتِي قَلَّمَا يَسْلَمُ مِنْهَا كِتَابٌ!!.

أَمَّا الْغَفْلَةُ الَّتِي لَحِقَتْ الْأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ، أَنَّهُ أَشَارَ لِرِوَايَةِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ، وَغَفَلَ عَنْ رِوَايَةِ هَوْذَةَ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ عَوْفٍ الَّتِي تَسْبِقُهَا -وَسَتَأْتِي مَعَنَا-، وَالَّتِي أَحَالَ الطَّبَرَانِيُّ رِوَايَةَ سُفْيَانَ عَلَيْهَا.

وَلَنْ أَسْتَخْدِمَ طَرِيقَةَ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ فِي نَقْلِ كَلَامِهِ كَامِلًا -إِلَّا لِحَاجَةٍ- كَمَا فَعَلَ مَعَ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ، فَيَنْقُلُ بَحْثَ الشَّيْخِ كَامِلًا لِيُعَلِّقَ فِي كُلَيْمَةٍ أَوْ لِبَيَانِ سَقْطٍ، أَوْ تَصْحِيفٍ، وَإِذَا قَامَ بِبَحْثِ مَسْأَلَةٍ؛ تَكُونُ تَعْلِيقًا عَلَى جُزْئِيَّةٍ مِنْ بَحْثِ الشَّيْخِ، كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَذْكُرَهَا، جَرْيًا عَلَى طَرِيقَةِ الْأَئِمَّةِ؛ فَجَاءَتْ تَعْلِيقَاتُهُ أَقَلَّ مِنْ عُشْرِ مَادَّةِ الْكِتَابِ!! وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا النَّقْلَ كَامِلًا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ! أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَخْرُجُ مُجَلَّدًا، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَخْرُجَ فِي عِدَّةِ وُرَيْقَاتٍ هِيَ حَصِيلَةُ اسْتِدْرَاكَاتِهِ.

ثُمَّ أَقُولُ: فَاتَ الْأُسْتَاذُ بَعْضَ الْمَصَادِرِ الْهَامَّةِ، وَكَلَامَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الرِّوَايَةِ، وَالْكَلَامُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ، اخْتِصَارًا لَا اسْتِقْصَاءً:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ؛ أَنَّ الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥/٢٩٦)!، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١/٢١٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (٢/١٠٠٨)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «الْإِحْسَانِ» (٣٠٢٩)، وَابْنُ الْجَارُودِ (٤٧٣)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٢٧٤٧)!، وَالْحَاكِمُ (١/٤٦٦).

جَمِيعُهُمْ؛ عَنْ عَوْفٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَالَّذِينَ رَوَوْهُ عَنْ عَوْفٍ ثِقَاتٌ أَثْبَاتٌ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ[1]،

---

(١) وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ» (٩٨)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْمُتَّفِقِ وَالْمُفْتَرِقِ» (٢/٩٩٨).
وَهَذَا الِاسْتِدْرَاكُ وِفْقَ مَذْهَبِ الْمُعْتَرِضِ فِي التَّعَقُّبِ، وَإِلْزَامٌ مُخَالِفَهُ بِمَا لَا يَلْزَمُهُ!!.

وَ[عِيسَى بْنُ يُونُسَ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ](١).

قُلْتُ: فَاتَ الْأُسْتَاذُ، أَنَّ مِنَ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ الَّذِينَ رَوَوْهُ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ أَيْضًا، أَبِي أُسَامَةَ حَمَّادِ بْنِ أُسَامَةَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَهُ!.

وَأَخْرَجَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَيْضًا الْفَاكِهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» (٢٦٣٩).

وَفَاتَهُ أَيْضًا: أَنَّ مِنَ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ الَّذِينَ رَوَوْهُ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ أَيْضًا، هُشَيْمَ بْنَ بَشِيرٍ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَهُ!.

وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَخْرَجَهُ أَيْضًا أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٤٧٢)، وَالضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (٢٩/١٠).

وَفَاتَهُ أَيْضًا: أَنَّ مِنَ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ الَّذِينَ رَوَوْهُ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ أَيْضًا، مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ، عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَهُ! وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ مَعَنَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ.

وَفَاتَهُ أَيْضًا: أَنَّ الْبَزَّارَ أَخْرَجَهُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٥٣٣٨)، مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِلَفْظِ: «**إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَحْسَبُهُ قَالَ: بِالتَّعَمُّقِ فِي الدِّينِ**».

ثُمَّ قَالَ الْبَزَّارُ: «وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ عَوْفٍ، فَذَكَرْنَاهُ عَنِ الثَّوْرِيِّ، وَاجْتَزَأْنَا بِهِ».

---

(١) فَاتَ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ، أَنَّ أَبَا يَعْلَى أَخْرَجَهُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٤٢٧)، وَمِنْ طَرِيقِهِ الضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (٣١/١٠)، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَعِيسَى ابْنِ يُونُسَ، وَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ الْمُبَارَكِ مُنْفَرِدًا، أَخْرَجَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ «الْوَسِيطِ» (١٤٢/٢).
وَهَذَا الِاسْتِدْرَاكُ وِفْقَ مَذْهَبِ الْأُسْتَاذِ فِي التَّعَقُّبِ، وَإِلْزَامِ مُخَالِفِهِ بِمَا لَا يَلْزَمُهُ!!.

وَفَاتَهُ أَيْضًا: أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ «الْمُسْنَدِ» (٣٤٧/١)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ أَخْرَجَهُ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٨٦٧)، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى ابْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: يَحْيَى لَا يَدْرِي عَوْفٌ عَبْدَ اللهِ، أَوِ الْفَضْلُ؟».

وَقَرَنَ أَحْمَدُ رِوَايَةَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، بِرِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُلَيَّةَ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ مُعَلِّقًا (٣٨٧/٣): «وَشَكُّ عَوْفٍ هُنَا فِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ هُوَ عَبْدُ اللهِ، أَوْ أَخُوهُ الْفَضْلُ، لَا يُؤَثِّرُ، لِأَنَّ أَبَا الْعَالِيَةِ تَابِعِيٌّ قَدِيمٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَرَوَى عَمَّنْ هُوَ أَقْدَمُ مِنَ الْفَضْلِ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَالْحَدِيثُ مُكَرَّرٌ(١٨٥١)» اهـ.

وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٤٠٥١)، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، مُنْفَرِدًا دُونَ ذِكْرِ الشَّكِّ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ.

وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى» (٢٦٨/٥)، وَفِي «الْكُبْرَى» (٤٠٤٩)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ حَزْمٍ فِي «حَجَّةِ الْوَدَاعِ» (١٣٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (١٤٠٨١)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ» (٥٢٩)، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُلَيَّةَ مُنْفَرِدًا بِدُونِ الشَّكِّ.

فَإِنْ سَلَّمَ الْأُسْتَاذُ بِهَذَا الْفَوْتِ! فَقَدْ فَاتَهُ مِنَ الرُّوَاةِ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ الْأَعْرَابِيِّ، رِوَايَةُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُلَيَّةَ، وَغَيْرِهِمْ كَمَا سَيَأْتِي.

وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ أَيْضًا: أَنَّ ابْنَ خُزَيْمَةَ أَخْرَجَهُ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٨٧٦)، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَدِيٍّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ، وَالضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ أَيْضًا (٣١/١٠) مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (١٣٨/٢)،

مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَطَاءٍ، وَالْمَحَامِلِيُّ فِي «أَمَالِيه» (٣٣)، مِنْ طَرِيقِ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْمَرَ[١]، والطبراني في «الْكَبِيرِ» (١٢٧٤٦)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (٢٩/١٠)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٢٢٣/٢)، مِنْ طَرِيقِ هَوْذَةَ بْنِ خَلِيفَةَ.

كُلُّهُمْ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ، بِسَنَدِهِ سَوَاءً، وَبِتَمَامٍ، وَنَحْوِ لَفْظِهِ، وَدُونَ الشَّكِ.

وَنَكْتَفِي بِمَا ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: فَاتَ الْأُسْتَاذُ أَنْ يَذْكُرَ كَلَامَ الْحَاكِمِ عَلَى الرِّوَايَةِ، حَيْثُ قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

وَذَكَرَ شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ الشَّطْرَ الْأَوَّلَ مِنْ كَلَامِ الْحَاكِمِ، وَقَالَ: «وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ»!! ثُمَّ عَلَّقَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: «لَا، وَزِيَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ إِنَّمَا أَخرجَ لَهُ مُسْلِمٌ وَحْدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَهُ حَدِيثٌ وَاحِدٌ عِنْدَهُ».

وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ الْمِزِّيُّ فِي تَرْجَمَةِ زِيَادٍ، وَهَذَا الْأَثَرُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ لَهُ فِي «كِتَابِ الْإِيمَانِ» (٢٨٦، ٢٨٥)، وَوَقَعَ لِلْمِزِّي بَدَلًا عَالِيًا فَرَوَاهُ، مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣]، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ».

وَشَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ لَمْ يَتَفَرَّدْ بِتَعْلِيقِهِ عَلَى كَلَامِ الْحَاكِمِ:

قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٧٨/٣)، مُعَلِّقًا عَلَى عِبَارَةِ الْحَاكِمِ: «وَلَيْس

---

(١) وَيَرْوِي أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ، عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ بِوَاسِطَةٍ أَيْضًا، كَمُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ.

كَذَلِكَ، فَإِنَّ زِيَادَ بْنَ حُصَيْنٍ لَمْ يُخَرِّجْ لَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فَهُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ فَقَطْ، وَكَذَلِكَ صَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي «الْمَجْمُوعِ» (١٧١/٨)، وَابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي «الِاقْتِضَاءِ» (ص٥١)» اهـ.

قلتُ: وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوِى» (٣٨٣/٣): حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَصَحَّحَهُ جَمْعٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

وَأَشَرْتُ إِلَي هَذَا لِأَنَّ الْأُسْتَاذَ الْمُعْتَرِضَ عِنْدَهُ إِشْكَالٌ فِي تَحْرِيرِ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ كَمَا سَيَأْتِي مَعَنَا بِإِذْنِ اللهِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: قَالَ الْأُسْتَاذُ: وَخَالَفَ هَؤُلَاءِ الثِّقَاتُ الْأَثْبَاتُ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ كَمَا عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ (٧٤٢/١٨)، وَالْبَيْهَقِيِّ (١٢٧/٥)، فَرَوَاهُ عَنْ عَوْفٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَخِيهِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ (٢٨٩/١٨): وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ جَمَاعَةٌ عَنْ عَوْفٍ، مِنْهُمْ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَخِيهِ، إِلَّا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَلَا رَوَاهُ عَنْ جَعْفَرٍ إِلَّا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَذِكْرُ الْفَضْلِ هَا هُنَا أَظُنُّهُ وَهْمًا مِنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ.

قُلْتُ: وَهَكَذَا أَدْرَجَ الْأُسْتَاذُ كَلَامَهُ بِصُورَتِهِ الْمَذْكُورَةِ: «وَذِكْرُ الْفَضْلِ هَا هُنَا أَظُنُّهُ وَهْمًا مِنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ»، فِي كَلَامِ الْإِمَامِ الطَّبَرَانِيِّ، وَالَّذِي يَنْتَهِي عِنْدَ قَوْلِهِ: «إِلَّا عَبْدُ الرَّزَّاقِ»!!، وَفِي هَذَا تَلْبِيسٌ عَلَى الْقَارِئِ.

كَمَا فَاتَ الْأُسْتَاذُ: أَنَّ الطَّبَرَانِيَّ أَيْضًا أَخْرَجَهُ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢١٨٩)، وَعَلَّقَ بِنَحْوِ عِبَارَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي «الْكَبِيرِ».

وَفَاتَهُ أَيْضًا: أَنْ يُبَيِّنَ فِي أَيِّ كِتَابٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ؟ لِأَنَّهُ كَمَا رَوَاهُ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (١٢٧/٥)، رَوَاهُ أَيْضًا فِي «السُّنَنِ الصَّغِيرِ» (١٦٨١)، بِهِ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: قَالَ الْأُسْتَاذُ: وَأَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (٢٨٧٤) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الْفَضْلِ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ مُدَلِّسٌ، لَكِنْ تَابَعَهُ يَحْيَى بْنُ هِنْدٍ عِنْدَ ابْنِ خُزَيْمَةَ.

قُلْتُ: أَخْطَأَ الْأُسْتَاذُ فِي الْعَزْوِ، فَرِوَايَةُ أَبِي الزُّبَيْرِ بِرَقْمِ (٢٨٧٣)، أَمَّا رِوَايَةُ يَحْيَى ابْنِ هِنْدٍ هِيَ الَّتِي بِرَقْمِ (٢٨٧٤)!.

وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ: أَنَّ الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٢٨٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى» (٢٥٨/٥)، وَفِي «الْكُبْرَى» (٤٠٤٢)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٨٧٢)، وَأَحْمَدُ (٢١٠/١)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (٦٧٢٤)، وَأَبُو عَوَانَةَ فِي «مُسْتَخْرَجِهِ» (٣٥٤٢)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٧٢/١٨)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (٢٠٧/٥)، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.

وَالدَّارِمِيُّ (١٩٣٣)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى» (٢٦٧/٥، ٢٦٩)، وَفِي «الْكُبْرَى» (٤٠٥٠)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ (٢٨٤٣)، وَأَحْمَدُ (٢١٣/١، ٢١٠)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (٦٧٣٠)، وَأَبُو عَوَانَةَ فِي «مُسْتَخْرَجِهِ» (٣٥٤١، ٣٥٤٠)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٧٣/١٨)، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جُرَيْجٍ.

وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٨٥٥)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٧٤/١٨)، مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ.

وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٧٤/١٨)، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْأَسْلَمِيِّ.

أَرْبَعَتُهُمْ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي عَشِيَّةِ عَرَفَةَ، وَغَدَاةِ جَمْعٍ لِلنَّاسِ حِينَ دَفَعُوا: «**عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ**»، وَهُوَ كَافٌّ نَاقَتَهُ، حَتَّى دَخَلَ مُحَسِّرًا -وَهُوَ مِنْ مِنًى- قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِحَصَى الْخَذْفِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ الْجَمْرَةُ**»، وَقَالَ: لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّي، حَتَّى رَمَى الْجَمْرَةَ».

وَخَالَفَهُمْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ فَرَوَاهُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مَرْفُوعًا: «**ارْفَعُوا عَنْ مُحَسِّرٍ، وَعَلَيْكُمْ بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ**»، هَكَذَا مُخْتَصَرًا، وَهَذَا أَخْرَجَهُ أَبُو طَاهِرٍ الْمُخَلِّصِ فِي «الْمُخَلِّصِيَّاتِ» (٣٢٢).

وَالْحَدِيثُ فِيهِ تَفْصِيلٌ طَوِيلٌ، وَاخْتِلَافَاتٌ غَيْرَ مَا ذَكَرْتُ، لَا يَتَّسِعُ الْمَقَامُ لِذِكْرِهَا هُنَا، وَنَكْتَفِي بِمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: قَالَ الْأُسْتَاذُ: وَأَبُو الزُّبَيْرِ مُدَلِّسٌ.

قُلْتُ: أَوَّلًا: هَذَا اضْطِرَابٌ مِنَ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ، حَيْثُ ذَهَبَ فِي التَّعَقُّبِ السَّادِسِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ (ص٢٠٨)، إِلَى نَفْيِ تَدْلِيسِ أَبِي الزُّبَيْرِ، وَقَالَ: «إِنَّ اتِّهَامَ أَبِي الزُّبَيْرِ بِالتَّدْلِيسِ تُهْمَةٌ بَاطِلَةٌ لَابُدَّ مِنْ تَجْلِيَةِ الشُّبْهَةِ فِيهَا!!».

فَكَيْفَ عَلَّلْتَ الرِّوَايَةَ بِتَدْلِيسِ أَبِي الزُّبَيْرِ، وَأَنْتَ قَلَّدْتَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْحُكْمِ عَلَى تَدْلِيسِ أَبِي الزُّبَيْرِ بِالْبُطْلَانِ!!.

وَسَيَأْتِي الرَّدُّ عَلَيْهِ، وَالتَّفْصِيلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ اسْتِدْرَاكِهِ الْمَذْكُورِ.

ثَانِيًا: صَرَّحَ أَبُو الزُّبَيْرِ الْمَكِّيُّ بِالتَّحْدِيثِ كَمَا عِنْدَ أَبِي عَوَانَةَ (٣٥٤٠)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: «أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مَعْبَدٍ».

وَعِنْدَ ابْنِ خُزَيْمَةَ (٢٨٤٣)، وَأَحْمَدَ (٢١٣/١، ٢١٠)، وَغَيْرِهِمَا: «عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْبَدٍ».

فَانْتَفَتْ شُبْهَةُ تَدْلِيسِ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ هُنَا بِتَصْرِيحِهِ بِالتَّحْدِيثِ، وَبِانْتِقَاءِ مُسْلِمٍ لِرِوَايَتِهِ.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: قَالَ الْأُسْتَاذُ: لَكِنْ تَابَعَهُ يَحْيَى بْنُ هِنْدٍ عِنْدَ ابْنِ خُزَيْمَةَ.

قُلْتُ: هَكَذَا زَعَمَ الْأُسْتَاذُ! وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ (٢٨٧٤): ثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ زِيَادُ بْنُ يَحْيَى، وَبِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَا: حَدَّثَنَا بِشْرٌ وَهُوَ ابْنُ الْمُفَضَّلِ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ابْنُ حَرْمَلَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ هِنْدٍ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا وَقَفْنَا بِعَرَفَاتٍ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاضِعًا إِحْدَى أُصْبُعَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَقُلْتُ لِعَمِّي: يَا عَمِّ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: **«ارْمُوا الْجِمَارَ بِمِثْلِ حَصَى الْخَاذِفِ»**.

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ هِنْدٍ عَنْ حَرْمَلَةَ قَالَ: حَجَجْتُ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ -هُوَ ابْنُ خُزَيْمَةَ-: عَمُّ حَرْمَلَةَ بْنِ عَمْرٍو سِنَانُ بْنُ سَنَّةَ سَمَّاهُ وُهَيْبٌ. اهـ.

وَهَذَا طَرِيقٌ مُخْتَلِفٌ تَمَامًا عَنْ طَرِيقِ أَبِي الزُّبَيْرِ، فَأَيْنَ الْمُتَابَعَةُ إِذًا؟!!.

هَذَا مِنْ وَجْهٍ، وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَإِنَّ يَحْيَى بْنَ هِنْدٍ هَذَا، ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ»، وَهُوَ إِلَى الْجَهَالَةِ أَقْرَبُ.

وَهَذَا الْوَجْهُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٤٣/٤)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (٦٠٢)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٢٣٧/٤)، وَابْنُ قَانِعٍ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» (٣١٩/١)،

وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (١٤٢٥/٣)، وَعَنْهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ فِي «اللَّطَائِفِ مِنْ عُلُومِ الْمَعَارِفِ» (ق٨٧/أ)، مِنْ طَرِيقِ وُهَيْبِ ابْنِ خَالِدٍ[(١)]، وَالَّذِي قَرَنَهُ أَبُو نُعَيْمٍ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ فِي مَوْضِعٍ مُعَلَّقًا.

وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٤/٥/ح٣٤٧٣)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٨٦٢/٢)، وَالْبَغَوِيُّ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» (١٨٠/٢)، وَأَبُو طَاهِرٍ الْمُخَلِّصِ فِي «الْمُخَلِّصِيَّاتِ» (١٣٨٢)، وَالْمَحَامِلِيُّ فِي «أَمَالِيهِ» (١٧٤)، مِنْ طَرِيقِ بِشْرِ ابْنِ الْمُفَضَّلِ.

وَابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ فِي «تَارِيخِهِ» (١٧٥/١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٨٦٣/٢، ١٤٢٦/٣)، وَعَنْهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ فِي «اللَّطَائِفِ مِنْ عُلُومِ الْمَعَارِفِ» (ق٨٧/أ)، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيِّ.

وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٨٦٣/٢)، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمَدِينِيِّ.

وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الْآحَادِ وَالْمَثَانِي» (٢٨٥٣)، مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَعْشَرٍ يُوسُفَ ابْنِ زَيْدٍ.

وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٤/٥/ح٣٤٧٤)، وَعَنْهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٨٦٣/٢)، وَعَنْهُ أَبُو مُوسَي الْمَدِينِيُّ فِي «اللَّطَائِفِ مِنْ عُلُومِ الْمَعَارِفِ» (ق٨٧/أ)، وَالطَّبَرَانِيُّ أَيْضًا فِي «الْأَوْسَطِ» (٩١٣٥)، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ.

---

(١) جَاءَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦٠٢): «نَا عَقِيلٌ، قَالَ: نَا وُهَيْبٌ، قَالَ: نَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ».
وَأَحْسَبُ أَنَّ ذِكْرَ «عَقِيلٍ» هُنَا تَصْحِيفٌ، وَالصَّوَابُ «عَفَّانُ».
وَوَرَدَ بِلَفْظِ: «حَجَجْتُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مُرْدِفِي عَمِّي سِنَانٌ، فَلَمَّا وَقَفْنَا بِعَرَفَاتٍ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ارْمُوا الْجَمْرَةَ بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ»».
فَظَهَرَ هُنَا أَنَّهُ مِنْ مُسْنَدِ حَرْمَلَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ مِنْ مُسْنَدِ سِنَانِ بْنِ سَنَّةَ الْأَسْلَمِيِّ.

كُلُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ هِنْدٍ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ، بِهِ.

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» مُعَلِّقًا عَلَى رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ: «لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ هِنْدٍ، عَنْ [حَرْمَلَةَ](١) بْنِ عَمْرٍو إِلَّا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ وَهْبٍ، وَرَوَاهُ النَّاسُ عَنِ ابْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ يَحْيَى ابْنِ هِنْدٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ» اهـ.

قُلْتُ: وَلَيْسَ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرَانِيُّ رحمه الله:

فَقَدْ تُوبِعَ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، كَمَا مَرَّ مَعَنَا، تَابَعَهُ وُهَيْبُ ابْنُ خَالِدٍ، وَبِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنِ الْمَدِينِيُّ، وَأَبُو مَعْشَرٍ يُوسُفُ ابْنُ زَيْدٍ.

كَمَا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ وَهْبٍ لَمْ يَتَفَرَّدْ بِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ، فَقَدْ تَابَعَهُ سَعِيدُ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ نَفْسُهُ! فِي «الْكَبِيرِ» (٤/٥/ح٣٤٧٤)، قَالَ: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْعَلَّافُ الْمِصْرِيُّ، ثنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ... » بِسَنَدِهِ سَوَاءً.

وَالْحَدِيثُ كَمَا قُلْتُ يَحْتَاجُ إِلَي مَزِيدٍ مِنَ الْبَسْطِ، وَلَكِنْ أَكْتَفِي هُنَا بِمَا ذَكَرْتُ، وَأُنَبِّهُ أَنَّ الْحَدِيثَ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، فَقَدْ ثَبَتَ مَرْفُوعًا مِنْ وُجُوهٍ أُخَرَ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

وَأَقُولُ لِلْأُسْتَاذِ، أَنْ هَذَا التَّعْلِيقَ الْمُتَقَدِّمَ، جَاءَ عَلَى بِضْعَةِ أَسْطُرٍ ذَكَرْتَهَا فِي تَخْرِيجِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ، فَمَا بَالُكَ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَتَبَّعَ لَكَ مُؤَلَّفًا كَامِلًا! رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ الْفَهْمَ وَالْإِنْصَافَ.

---

(١) جَاءَ فِي المطبوع من «الْأَوْسَطِ»: «حَمْزَةَ»، وَهَذَا خَطَأٌ.

• الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ:

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص٧): وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، وَلَكِنْ قُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ».

وَعَلَّقَ فِي الْحَاشِيَةِ بِقَوْلِهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٤٥)، وَأَحْمَدُ (٢٣/٤)، وَالدَّارِمِيُّ (٣٣٥/٢). اهـ.

قُلْتُ: وَمَعَ زُهْدِ الْأُسْتَاذِ فِي عَزْوِ الْحَدِيثِ إِلَى مَظَانِّهِ، فَقَدْ فَاتَهُ أَنَّ الْبُخَارِيَّ أَخْرَجَهُ أَيْضًا (٦٨٣٠)، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، ذُكِرَ فِيهِ الْكَلَامُ عَنْ بَيْعَةٍ بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ ﷺ، وَفِيهِ حَدِيثُ الرَّجْمِ، وَقِصَّةُ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ.

وَفِي لَفْظِ الْبُخَارِيِّ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ».

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٣/١)، (٢٤/١)، وَفِيهِ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ»، وَكَذَا فِي (٤٧/١)، وَفِيهِ ذِكْرُ الرَّجْمِ، و(٥٥/١)، مُطَوَّلًا بِمِثْلِ الْمَوْضِعِ الثَّانِي عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، وَفِيهِ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ».

وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ جَمْعٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، مِنْ أَصْحَابِ الصِّحَاحِ، وَالْمَسَانِيدِ، وَالسُّنَنِ، وَالْمَعَاجِمِ، وَغَيْرِهَا.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

• الْوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ:

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص٧): وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا».

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٠٤٢)، وَأَحْمَدُ (٣٦٧/٢). اهـ.

قُلْتُ: وَجَرْيًا عَلَى مَذْهَبِ الْأُسْتَاذِ! فَالْحَدِيثُ لَهُ تَتِمَّةٌ فِي الْمَوْضِعَيْنِ الَّذَيْنِ أَشَارَ إِلَيْهِمَا الْأُسْتَاذُ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**».

وَالْحَدِيثُ بِفِقْرَاتِهِ لَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَغَيْرِهِمَا.

وَرُبَّمَا قَالَ الْأُسْتَاذُ: أَنَا أَقْتَصِرُ عَلَى مَوْضِعِ الشَّاهِدِ فَقَطْ.

فَيُقَالُ لَهُ: وَلِمَاذَا أَلْزَمْتَ الشَّيْخَ الْحُوَيْنِيَّ بِمِثْلِ هَذَا، إِذَا اقْتَصَرَ عَلَى طَرِيقِ مُصَنِّفِ الْكِتَابِ؟! مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ فِي مَجَالِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ لَا يُلَامُ مَنْ ذَكَرَ فِقْرَةً مِنْ حَدِيثٍ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْعَزْوِ لِلشَّاهِدِ الَّذِي ذَكَرَهُ، مَا دَامَ هَذَا الِاجْتِزَاءُ لَا يُخِلُّ بِالْمُرَادِ.

إِلَّا أَنَّنِي أَوْرَدْتُ هَذِهِ الْوَقْفَةَ أَيْضًا لِذِكْرِ فَائِدَةٍ لِطَلَبَةِ الْحَدِيثِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ الْحَدِيثَ فِي «الْأَوْسَطِ» (٨٠٣٠)، وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، نَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْحَذَّاءُ الْمَدِينِيُّ، نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ مَا كُنْتُمْ**».

لَمْ يَصِلْ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: مُسْلِمُ ابْنُ عَمْرٍو. اهـ.

وَأَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمِ بْنِ عَمْرٍو أَيْضًا، أَبُو طَاهِرٍ الْحَسَنُ بْنُ فِيلٍ فِي «جُزْءٍ لَهُ» (١١٣).

قُلْتُ: وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَمَا قَالَ الطَّبَرَانِيُّ رحمه الله:

فَلَمْ يَتَفَرَّدْ بِهِ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو، بَلْ تَابَعَهُ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَوْضِعِ الْمُتَقَدِّمِ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٣٨٦٥)،

وَفِي «حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ» (١٤)، وَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَسَاكِرٍ فِي «إِتْحَافِ الزَّائِرِ» (٥٥-٦٦)، قَالَ أَبُودَاوُدَ: «حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا».

وَتَابَعَهُ أَيْضًا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ الْجَوْهَرِيُّ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمَوْضِعِ الْمُتَقَدِّمِ، وَقَالَ: «حَدَّثَنَا سُرَيْجٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، بِسَنَدِهِ سَوَاءً».

وَذَكَرَ مُحَقِّقَا الْجُزْءِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ «الْمُسْنَدِ» (٤٠٣/١٤)، الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ، وَالشَّيْخُ عَادِلُ مُرْشِدُ، تَخْرِيجَ الطَّبَرَانِيِّ لِلْخَبَرِ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَلَمْ يَذْكُرَا كَلَامَهُ! وَهَذَا مِمَّا فَاتَهُمَا، لِأَنَّ رِوَايَةَ الطَّبَرَانِيِّ فِي «الْأَوْسَطِ» فِي الْغَالِبِ لَا تَخْلُو مِنْ إِشْكَالٍ، وَإِنْ صَحَّ الْخَبَرُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ.

وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٥٠٩)، وَقَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ اللَّيْثِ الْبَغْدَادِيُّ، قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: نَا عِيسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّالِبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، وَسَلِّمُوا فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»**.

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَدْ رُوِيَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ أَحَادِيثُ صَالِحَةٌ فِيهَا مَنَاكِيرُ، فَذَكَرْنَا هَذَا الْحَدِيثَ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ: **«لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»**، قَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ. اهـ.

قُلْتُ: إِنْ قَصَدَ الْبَزَّارُ رحمه الله أَنَّ الْحَدِيثَ عَنْ عَلِيٍّ لَا يُرْوَى مِنْ هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ مَبْدَئِهِ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ.

فَقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِه» (٧٦١٦)، وَعَنْهُ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِه» (٤٦٩)، وَعَنْهُ الضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي «الْمُخْتَارَة» (٤٩/٢)، وَأَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيّ فِي «الْجُزْءِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنَ الْمَشْيَخَةِ الْبَغْدَادِيَّةِ» (١)، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: ثَنَا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، مِنْ وَلَدِ ذِي الْجَنَاحَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَدَعَاهُ فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ**».

فَظَهَرَ هُنَا أَنَّ عِيسَى بْنَ جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّالِبِيَّ لَمْ يَتَفَرَّدْ بِهِ، وَتُوبِعَ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

تَنْبِيهٌ: فِي «رِسَالَتَانِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»، لِلشَّيْخِ مُحَمَّد الشُّقَيْرِيِّ، وَشَيْخِنَا عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْعَبَّادِ، بِتَحْقِيقِ شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ، ذَكَرَ شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ فِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى (ص٢٤)، تَعْلِيقًا عَلَى قَوْلِ الْمُصَنِّفِ: «وَفِيهِ أَيْضًا بِرَمْزِ أَبِي يَعْلَى، وَالضِّيَاءِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا......** الْحَدِيثُ».

قَالَ شَيْخُنَا: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى سَنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، وَلَكِنَّهُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ»، ثُمَّ خَرَّجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَقَالَ: «سَنَدُهُ صَحِيحٌ، وَلِكُلِّ فَقَرَاتِ الْحَدِيثِ شَوَاهِدُ صَحِيحَةٌ».

قُلْتُ: وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ لَا يُعْرَفُ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما مَرْفُوعًا، وَالصَّوَابُ

فِي ذَلِكَ: أَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مَرْفُوعًا كَمَا تَقَدَّمَ، وَفِيهِ ضَعْفٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَعَلَّهُ شَيْخُنَا حُسَيْنُ أَسَدُ فِي «مُسْنَدِ» أَبِي يَعْلَى (٣٦٢/١)، بِقَوْلِهِ: «إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِانْقِطَاعِهِ، عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَوَى عَنْ جَدِّهِ مُرْسَلًا» اهـ.

قُلْتُ: وَلَيْسَ الْأَمْرُ هُنَا كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ حُسَيْنُ -حَفِظَهُ اللهُ- فَقَدْ رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، كَمَا فِي الْوَجْهِ الَّذِي حَكَمَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

● **الْوَقْفَةُ الرَّابِعَةُ:**

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص٧): وَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**».

أَخْرَجَهُ مَالِكٌ (١٨٥/١)، وَعَنْهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» (٢٤٠/٢-٢٤١)، عَنْ عَطَاءٍ مُرْسَلًا، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ (٤٠٦/١)، وَزَادَ «**وَثَنًا يُصَلَّى إِلَيْهِ**»، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٤٥/٣)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ مُرْسَلًا، وَوَصَلَهُ أَحْمَدُ (٢٤٦/٢)، وَالْحُمَيْدِيُّ (٤٤٥/٢). اهـ.

قُلْتُ: وَاللَّفْظُ عِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

يَرْوِيهِ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، مُرْسَلًا.

ثُمَّ ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ، رِوَايَةَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ مُرْسَلًا.

وَهَذَا مُوهِمٌ أَنَّ هَذَا مُرْسَلٌ آخَرُ، وَلَا عَلَاقَةَ لِزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ بِمُرْسَلِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ!،

وَكَانَ يَنْبَغِي عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ أَنْ يُشِيرَ إِلَي مِثْلِ هَذَا، وَلَا يَكْتَفِي بِالْإِجْمَالِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ: أَنَّ ابْنَ أَبِي شَيْبَةَ أَخْرَجَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فِي مَوْضِعٍ مُتَقَدِّمٍ عَلَى الَّذِي ذَكَرَهُ، وَهُوَ: (٧٦١٨)، أَوْ (٢/٣٧٥).

وَذَكَرَ بَعْدَ ذِكْرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَنَّهُ زَادَ: «**وَثَنًا يُصَلَّى إِلَيْهِ**»، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ ابْنَ أَبِي شَيْبَةَ أَخْرَجَهُ، وَكَأَنَّ الزِّيَادَةَ لَيْسَتْ عِنْدَهُ!.

وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَكَمَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ زَيْدٍ، مُرْسَلًا، أَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ زَيْدٍ، مُرْسَلًا، بِزِيَادَةِ «**وَثَنًا يُصَلَّى لَهُ**».

وَأَوْهَمَ الْأُسْتَاذُ بَعْدَ ذِكْرِ الرِّوَايَةِ الْمُرْسَلَةِ لِزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ أَحْمَدَ، وَالْحُمَيْدِيَّ وَصَلَاهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ!.

كَمَا تَقَدَّمَ قَوْلُهُ: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ مُرْسَلًا، وَوَصَلَهُ أَحْمَدُ (٢/٢٤٦)، وَالْحُمَيْدِيُّ (٢/٤٤٥). اهـ.

وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ، نَعَمْ أَسْنَدَهُ -وَهِيَ أَجْوَدُ مِنْ وَصَلَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ- أَحْمَدُ، وَالْحُمَيْدِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٧/٣١٧)، بَعْدَ رِوَايَتِهِ لِلْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ الْحُمَيْدِيِّ: «غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ حَمْزَةَ، تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ سُفْيَانُ».

وَبِهِ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «أَطْرَافِ الْغَرَائِبِ وَالْأَفْرَادِ» (٥/٣٤٧).

وَقَدْ رَوى هَذَا الْحَدِيثَ جَمْعٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَلَكِنْ فَاتَ الْأُسْتَاذُ، رِوَايَةَ الْوَصْلِ [الصَّحِيحَةِ][1] لِلْوَجْهِ الْمُرْسَلِ، فَهُنَاكَ مَنْ وَصَلَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، فَجَاءَ مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ (٤٤٠-كَشْفُ الْأَسْتَارِ)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ» (٤٢/٥-٤٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ يُوسُفَ الْحَرَّانِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ الْحَرَّانِيُّ، ثَنَا عُمَرُ بْنُ صُهْبَانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ يُتَّخَذَ قَبْرِي وَثَنًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**.

قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَحْفَظُهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَادِ.

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (٢٨/٢): رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ صُهْبَانَ، وَقَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى ضَعْفِهِ.

قُلْتُ: وَحَالُهُ تَجَاوَزَ الضَّعْفُ، إِلَى نَكَارَةِ حَدِيثِهِ، وَتَرْكِهِ، مَعَ اكْتِفَاءِ الْبَعْضِ بِالتَّضْعِيفِ وَفَقَطْ!.

وَلِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رحمه الله تَعْلِيقٌ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ فِي «التَّمْهِيدِ» (٤١/٥-٤٥)، فَلْيُرَاجَعْ.

وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ، أَنَّ عَبْدَ الرَّزَّاقِ رَوَاهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مُرْسَلٍ (٤٦٤/٨)، وَقَالَ: عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي يَحْيَى، وَابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ يُتَّخَذَ قَبْرِي وَثَنًا، وَمِنْبَرِي عِيدًا»**.

---

(١) وَأَقْصِدُ بِالصِّحَّةِ هُنَا: صِحَّةَ الْوُرُودِ لَا الثُّبُوتِ، فَتَأَمَّلْ.

وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ يُكْنَى بِأَبِي السُّمَيْطِ، وَلَيْسَ هُوَ الْمَقْبُرِيُّ، فَهَذَا مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ.

وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ، أَنَّهُ وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، وَقَدْ سُئِلَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْعِلَلِ» (٢/٢٢١): عَنْ حَدِيثِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

فَقَالَ: يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الْأَعْمَشِ عَنْهُ، عَنِ الْمَعْرُورِ، عَنْ عُمَرَ مَوْقُوفًا.

وَأَسْنَدَهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ، عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمَعْرُورِ، عَنْ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهِ، وَالْمَحْفُوظُ هُوَ الْمَوْقُوفُ. اهـ.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو طَاهِرٍ الْمُخَلِّصِ فِي «الْمُخَلِّصِيَّاتِ» (١٤٦٤)، وَقَدْ عَطَفَهُ عَلَى سَنَدِ الْحَدِيثِ (١٤٦٢)، وَقَالَ فِيهِ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمَعْرُورِ يَعْنِي ابْنَ سُوَيْدٍ، أَنَّ عُمَرَ ﷺ، وَذَكَرَ آثَارًا لَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ (١٤٦٤): «وَرَأَى النَّاسَ يَبْتَدِرُونَ مَسْجِدًا فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِيهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّبَعُوا آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ، مَنْ عَرَضَتْ لَهُ صَلَاةٌ فَلْيُصَلِّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا**»، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

• **الْوَقْفَةُ الْخَامِسَةُ:**

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص٧-٨): وَجَاءَ نَاسٌ إِلَيْهِ (ﷺ) فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا، وَسَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِينَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**».

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٣/٣)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (١٠٣/٩)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٣٠٩). اهـ.

قُلْتُ: وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ، أَنَّ أَحْمَدَ أَخْرَجَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ (٢٤١/٣) مُخْتَصَرًا سَنَدًا، وَمَتْنًا، مُحَالًا عَلَى مَا سَبَقَهُ، مِنْ حَدِيثِ الْأَشْيَبِ حَسَنِ بْنِ مُوسَى، مَقْرُونًا بِعَفَّانَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، وَبِتَمَامِهِ (٢٤٩/٣)، مِنْ حَدِيثِ عَفَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، بِسَنَدِهِ سَوَاءً، وَفِيهِ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا..... الْحَدِيثُ».

وَفِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأُسْتَاذُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، رَوَاهُ عَنْ حَسَنِ بْنِ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، بِتَمَامِهِ.

وَرِوَايَةُ حَسَنِ بْنِ مُوسَى هَذِهِ، فَاتَتِ الْأُسْتَاذُ أَيْضًا! عِنْدَ الْإِمَامِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، كَمَا سَيَأْتِي.

كَمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٤١/٣)، وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.

وَحُمَيْدٌ هُنَا هُوَ الطَّوِيلُ، وَلَيْسَ ابْنَ هِلَالٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٩/١٠٣/ح١٠٠٠٦)، مِنْ حَدِيثِ ثَابِتٍ مَقْرُونًا بِحُمَيْدٍ، فَقَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، وَحُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ.

وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وَفَاتَ الْأُسْتَاذُ، أَنَّ عَبْدَ بْنَ حُمَيْدٍ أَخْرَجَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ «الْمُنْتَخَبِ» (١٣٣٧)، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ اللَّفْظُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْأُسْتَاذُ!، قَالَ عَبْدٌ: ثنا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، ثنا حَمَّادُ ابْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ**».

أَمَّا فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ عِنْدَ عَبْدٍ، وَالَّذِي رَوَاهُ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ مِنْهَالٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِنَحْوِهِ، فَفِيهِ الشَّطْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْحَدِيثِ فَقَطْ دُونَ قَوْلِهِ ﷺ: «**وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ**».

وَقَدْ أَشَرْتُ إِلَى هَذَا الْفَوْتِ، لِأَنَّ الْأُسْتَاذَ لَمْ يَذْكُرْ مَوَاضِعَ الْحَدِيثِ فِي كُتُبٍ عَزَا إِلَيْهَا، كَمَا ذَكَرَ لَفْظًا هُوَ فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي الْعَزْوِ!.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى فُرُوقِ اللَّفْظِ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُطَبِّقَ ذَلِكَ!.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

● الْوَقْفَةُ السَّادِسَةُ:

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص٨): وَفِي رِوَايَةٍ: «**لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ، وَلَا يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ**».

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٢١١)، وَأَبُو دَاودَ (٤٨٠٦)، بِلَفْظِ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ**» اهـ.

قُلْتُ: بِغَضِّ الطَّرْفِ عَنْ تَقْدِيمِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ لِرِوَايَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، عَلَى رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ، بِاعْتِبَارِهِ مَذْهَباً لِلْبَعْضِ!.

فَقَدْ فَاتَ الْأُسْتَاذُ، أَنَّ اللَّفْظَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**».

وَهُوَ مِنْ حَدِيثِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ أَبِيهِ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

وَفَاتَهُ: أَنَّ الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (١٠٢/٩/ح١٠٠٠٣)، وَأَحْمَدُ (٢٥/٤، ٢٤)، وَغَيْرُهُمَا، مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ**»، قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُنَا قَوْلًا، وَأَعْظَمُنَا فِيهَا طَوْلًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلَا يَسْتَجِرَّهُ الشَّيْطَانُ، أَوِ الشَّيَاطِينُ**».

وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ أَيْضًا (١٠٢/٩/ح١٠٠٠٤): مِنْ طَرِيقِ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: أَنْتَ وَالِدُنَا، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَأَنْتَ أَفْضَلُنَا عَلَيْنَا فَضْلًا، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، لَا تَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيَاطِينُ**».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

• **الْوَقْفَةُ السَّابِعَةُ:**

ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ، خَبَرًا لِأَبِي عَاصِمٍ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَدْ طَلَبَ أَعْلَى أُمُورِ الدُّنْيَا، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ».

الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ (١/١)!. اهـ.

قُلْتُ: إِنْ سَلِمَ هَذَا الْعَزْوُ مِنْ خَطَأٍ فِي الصَّفِّ، فَلَا أَدْرِي مَاذَا يَقْصِدُ الْأُسْتَاذُ بِهَذَا الْعَزْوِ! فَالْخَبَرُ، فِي أَشْهَرِ طَبَعَاتِ الْكِتَابِ كَالرِّسَالَةِ، وَمَكْتَبَةِ الْمَعَارِفِ، وَدَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، وَدَارِ الْوَفَاءِ، وَدَارِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ (مَحْذُوفُ الْأَسَانِيدِ)، وَجَمِيعُهَا بِرَقْمِ (٦)، مَعَ اخْتِلَافِ رَقْمِ الصَّفْحَةِ.

وَذَكَرَ الْأُسْتَاذُ، خَبَرًا عَنِ الزُّهْرِيِّ ﷺ: «لَا يَطْلُبُ الْحَدِيثَ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا ذُكْرَانُهَا، وَلَا يَزْهَدُ فِيهِ إِلَّا إِنَاثُهَا».

الْإِلْمَاعُ لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (١/٢٥)، وَالنُّكَتُ عَلَى مُقَدِّمَةِ ابْنِ الصَّلَاحِ (١/١٤)، وَعُلُومُ الْحَدِيثِ لِابْنِ الصَّلَاحِ (١/٣)، وَتَكْمِلَةُ الْإِكْمَالِ (٣/٤٨٤). اهـ.

قُلْتُ: كَانَ الْأَوْلَى بِالْأُسْتَاذِ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ الْخَبَرَ أَخْرَجَهُ الرَّامَهُرْمُزِيُّ فِي «الْمُحَدِّثِ الْفَاصِلِ» (ص٣١/١٧٩)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمَدْخَلِ إِلَى مَعْرِفَةِ كِتَابِ الْإِكْلِيلِ» (ق ٢/أ-ب)، وَبِنَحْوِهِ أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «الْمَجْرُوحِينَ» (٢٦/١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٣٦٥/٣)، وَكَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (١٤٠/١)، وَالدِّينَوَرِيُّ فِي «الْمُجَالَسَةِ» (٤٢٥/٣)، وَغَيْرُهُمْ.

وَمَعَ تَقْدِيمِهِ لِكِتَابِ «النُّكَتِ عَلَى ابْنِ الصَّلَاحِ» عَلَى أَصْلِ الْكِتَابِ! فَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا أَيَّ النُّكَتِ قَصَدَ! وَلَعَلَّهُ قَصَدَ «نُكَتَ الزَّرْكَشِيِّ» (١٣/٢).

وَلِأَنَّ الْأُسْتَاذَ يُعَوِّلُ كَثِيرًا فِي بَحْثِهِ عَلَى «جِهَازِ الْكُمْبِيوتَرِ»، فَقَالَ فِي عَزْوِهِ «لِلْإِلْمَاعِ» (٢٥/١).

فَيُقَالُ لَهُ: إِنْ «كِتَابَ الْإِلْمَاعِ» جُزْءٌ وَاحِدٌ! فَلِمَاذَا ذَكَرْتَ الْجُزْءَ هُنَا؟، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَهُ كَمَا ظَهَرَ لَهُ فِي الْمَوْسُوعَةِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ!.

وَذَكَرَ الْأُسْتَاذُ، خَبَرًا عَنِ الْأَعْمَشِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لَا أَعْلَمُ لِلَّهِ قَوْمًا أَفْضَلَ مِنْ قَوْمٍ يَطْلُبُونَ هَذَا الْحَدِيثَ، وَيُحْيُونَ هَذِهِ السُّنَّةَ، وَكَمْ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ؟ وَاللَّهِ لَأَنْتُمْ أَقَلُّ مِنَ الذَّهَبِ»، الْإِلْمَاعُ (٢٧/١). اهـ.

قُلْتُ: أَمَّا عَنْ عَزْوِهِ «لِلْإِلْمَاعِ» بِالْجُزْءِ! فَقَدْ بَيَّنَّا سَبَبَهُ.

وَكَانَ الْأَوْلَى بِالْأُسْتَاذِ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ الْخَبَرَ أَخْرَجَهُ الرَّامَهُرْمُزِيُّ فِي «الْمُحَدِّثِ الْفَاصِلِ» (ص١٧٧/٢٦)، وَرُوِيَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِهِ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

• **الْوَقْفَةُ الثَّامِنَةُ:**

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص١١) فِي مَعْرِضِ ثَنَائِهِ عَلَى أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ كَلَامًا كَانَ مِنْهُ:... وَمَاتُوا وَهُمْ يَلْفِظُونَ آخِرَ أَنْفَاسِهِمْ، يُصَحِّحُونَ مَا غَلِطَ النَّاسُ بِهِ، لَحَرِيٌّ بِهِمْ أَنْ يَخْلُدُوا مَعَ الْخَالِدِينَ فِي سِجِلِّ التَّارِيخِ.

ثُمَّ عَلَّقَ فِي الْحَاشِيَةِ بِقَوْلِهِ: ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ فِي تَصْحِيحِهِ حَدِيثَ **«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»** فَفَاضَتْ رُوحُهُ وَهُوَ يُصَحِّحُ لِطَلَبَتِهِ إِسْنَادَ الْحَدِيثِ.

يُنظرُ الإرْشَادَ (٦٧٨/٢)[١]، وَمُقَدِّمَةَ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ (٣١٠/١)[٢]. اهـ.

قُلْتُ: وَفِي اسْتِدْلَالِ الْأُسْتَاذِ بِقِصَّةِ أَبِي زُرْعَةَ فِي إِصْلَاحِ غَلَطِ النَّاسِ فِي الرِّوَايَةِ؛ نَظَرٌ، لِأَنَّ أَبَا زُرْعَةَ أَتَمَّ لَهُمْ مَا أُرْتِجَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَسَكَتُوا عَنْ إِتْمَامِهِ، وَلَمْ يُصَوِّبْ خَطَأً مِنْهُمْ فِي سَنَدِ الْحَدِيثِ أَوْ مَتْنِهِ، وَلِمَزِيدٍ مِنَ الإِيضَاحِ نَذْكُرُ خَبَرَ الإِمَامِ أَبِي زُرْعَةَ مَعَ أَقْرَانِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «مُقَدِّمَةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ» (٣٤٥/١-٣٤٦): «سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: مَاتَ أَبُو زُرْعَةَ مَطْعُونًا، مَبْطُونًا، يَعْرَقُ جَبِينُهُ فِي النَّزْعِ فَقُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ: مَا تَحْفَظُ فِي تَلْقِينِ الْمَوْتَى لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: يُرْوَى عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَتِمَّ رَفَعَ أَبُو زُرْعَةَ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي النَّزْعِ فَقَالَ: رَوَى عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي عَرِيبٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مُعَاذٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**، فَصَارَ الْبَيْتُ ضَجَّةً بِبُكَاءِ مَنْ حَضَرَ».

وَبِلَفْظٍ أَوْسَعَ، أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (ص٧٦)، وَعَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٨٨٠٠)، وَغَيْرُهُ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ السَّاوِيِّ وَرَّاقِ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ، يَقُولُ: حَضَرْتُ أَبَا زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السَّوْقِ، وَعِنْدَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ شَاذَانَ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَذَكَرُوا حَدِيثَ التَّلْقِينِ، وَاسْتَحْيَوْا مِنْ أَبِي زُرْعَةَ أَنْ يُلَقِّنُوهُ التَّوْحِيدَ، فَقَالُوا: تَعَالَوْا نَذْكُرُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: نَا الضَّحَّاكُ ابْنُ مَخْلَدٍ أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ صَالِحٍ، وَجَعَلَ يَقُولُ ابْنُ ابْنُ وَلَمْ يُجَاوِزْ، فَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ:

---

(١) يَقْصِدُ: (٦٧٦/٦-ط. مَكْتَبَةِ الرُّشْدِ).

(٢) يَقْصِدُ: (٣٤٥/١-ط. دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِالْهِنْدِ)، وَالَّذِي بَيَّنَ لِي اعْتِمَادُ الْأُسْتَاذِ عَلَى هَذِهِ الطَّبْعَةِ، مَا عَزَاهُ عَلَى الصَّوَابِ «لِمُقَدِّمَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ» (ص١٣)، وَقَالَ فِي الْحَاشِيَةِ: (٣٤٩/١).

نا بُنْدَارٌ، قَالَ: نا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَسَكَتَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ، وَالْبَاقُونَ سَكَتُوا، فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السَّوْقِ: نَا بُنْدَارٌ، نَا أَبُو عَاصِمٍ، نَا عَبْدُ الْحَمِيدِ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَرِيبٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، وَتُوُفِّيَ أَبُو زُرْعَةَ رَحِمَهُ اللهُ.

وَأَخْرَجَهُ الْخَلِيلِيُّ فِي «الْإِرْشَادِ» (ص٢٢٦-ط. الْفِكْرِ)، وَابْنُ الْبَنَّاءِ فِي «فَضْلِ التَّهْلِيلِ» (ص٨٠)، وَغَيْرُهُمَا، مِنْ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ وَارَه.

وَفِي لَفْظِ ابْنِ الْبَنَّاءِ جَاءَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: فَبَدَأْتُ، فَقُلْتُ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، فَأُرْتِجَ عَلَيَّ الْحَدِيثُ حَتَّى كَأَنِّي مَا سَمِعْتُهُ وَلَا قَرَأْتُهُ، فَبَدَأَ أَبُو حَاتِمٍ، وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ جَعْفَرٍ، فَأُرْتِجَ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَا قَرَأَهُ وَلَا سَمِعَهُ.

وَفِي آخِرِهِ عِنْدَ الْخَلِيلِيِّ: «وَخَرَجَ رُوحُهُ مَعَهُ»، وَعِنْدَ ابْنِ الْبَنَّاءِ: «وَخَرَجَتْ رُوحُهُ مَعَ الْهَاءِ»، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُولَ: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وَهَذَا خَبَرٌ ثَابِتٌ مَشْهُورٌ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، رَوَاهُ جَمْعٌ، وَفِيهِ عِبَرٌ.

فَظَهَرَ مِنْ أَلْفَاظِ الْخَبَرِ أَنَّ الْحَامِلَ عَلَى مَا أَلَمَّ بِابْنِ وَارَه، وَأَبِي حَاتِمٍ، مَا كَانَ مِنْ عِظَمِ الْمَوْقِفِ، وَهَيْبَةِ أَبِي زُرْعَةَ، وَأَنْ يَبْقَى لِهَذَا الْإِمَامِ ذِكْرًا حَسَنًا، وَأَنْ يَجْرِيَ عَلَى لِسَانِهِ بُشْرَةُ خَيْرٍ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ فِي آخِرِ أَنْفَاسِهِ، وَلَعَلَّهُ خُتِمَ لَهُ بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ، لِأَنَّ الَّذِي يَظْهَرُ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِيهَا كَرَامَةٌ لِأَبِي زُرْعَةَ رَحِمَهُ اللهُ.

فَلَيْسَتِ الْقَضِيَّةُ هُنَا كَمَا أَشَارَ الْأُسْتَاذُ، أَنَّ الرُّوَاةَ أَخْطَأُوا، وَلَكِنْ أَتَمَّ لَهُمْ أَبُو زُرْعَةَ

مَا تَوَقَّفُوا فِيهِ، وَسَكَتُوا عَنْ إِتْمَامِهِ، لِيَظْهَرَ لَنَا بِتَقْدِيرِ اللهِ ﷻ نُمُوذَجًا لِحُسْنِ خَاتِمَةِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الزَّمَانِ، أَفْنَى عُمُرَهُ فِي خِدْمَةِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَمَّا ضَرْبُ الْمَثَلِ عَلَى تَصْحِيحِ الْأَئِمَّةِ لِأَخْطَاءِ الرُّوَاةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

• **الْوَقْفَةُ التَّاسِعَةُ:**

نَقَلَ الْأُسْتَاذُ كَلَامًا (ص١٤)، مِنْ مُقَدِّمَةِ كِتَابِ «تَحْرِيرِ تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ»، فِي مَعْرِضِ كَلَامِهِ عَنْ مَرْحَلَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ أَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي النَّقْدِ، فَقَالَ: قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ «التَّحْرِيرِ» (١/٣٧)!:

الْمَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ: الْجَمْعُ بَيْنَ أَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الرُّوَاةِ، وَبَيْنَ جَمْعِ حَدِيثِ الرَّاوِي، وَسَبْرِهِ، وَإِصْدَارِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ... إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ. اهـ.

قُلْتُ: كِتَابُ «التَّحْرِيرِ» الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ، هُوَ: «تَحْرِيرُ تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ»، تَأْلِيفُ [شَيْخِنَا الدُّكْتُورِ بَشَّارِ عَوَّادٍ، وَشَيْخِنَا الشَّيْخِ شُعَيْبِ الْأَرْنَؤُوطِ][(١)]، فَمَا كَانَ مِنَ الْأُسْتَاذِ

---

(١) الْتَقَيْتُ بِالْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ بَشَّارِ عَوَّادٍ -حَفِظَهُ اللهُ- لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي مَكْتَبَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ -هَدَى اللهُ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا- فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ نَفْسُ الْيَوْمِ الَّذِي الْتَقَيْتُ فِيهِ بِالشَّيْخِ الْفَاضِلِ شُعَيْبِ الْأَرْنَؤُوطِ -حَفِظَهُ اللهُ- وَقَدْ أَجَازَنِي الدُّكْتُورُ بَشَّارُ بِخَطِّ يَدِهِ أَنْ اسْتَفِيدَ مِنْ تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ، كَمَا أَجَازَنِي بِمَا قَرَأَ وَدَرَسَ وَرَوَى عَنْ شُيُوخِهِ الْكِبَارِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

وَذَكَرْتُ هَذَا فِي شَرْحِي لِكِتَابِ: «الْمُوقِظَةِ فِي عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ»، لِلْإِمَامِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الذَّهَبِيِّ، وَالَّذِي سَمَّيْتُهُ: «مَعْرِفَةُ الرَّاوِي وَالْمَرْوِي شَرْحُ مُوقِظَةِ الذَّهَبِيِّ».

وَكَانَ اللِّقَاءُ بِالشَّيْخَيْنِ نَافِعًا، حَيْثُ تَكَلَّمَا عَنْ «أُصُولِ تَحْقِيقِ التُّرَاثِ»، وَطَرَحْتُ عَلَيْهِمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ عِدَّةَ مَسَائِلَ مَعَ جَمْعٍ مِنْ إِخْوَانِي، فَانْتَفَعْتُ بِلِقَائِهِمَا، فَجَزَاهُمَا اللهُ خَيْرًا.

الْمُعْتَرِضِ إِلَّا أَنْ حَجَبَ ذِكْرَ اسْمِ شَيْخِنَا الدُّكْتُورِ بَشَّارٍ، وَذَكَرَ شَيْخَنَا شُعَيْبًا فَقَطْ، وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْأُسْتَاذِ!.

فَلِمَاذَا أَقْدَمَ الْأُسْتَاذُ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ؟ هَلْ أَسَرَّ لَهُ شَيْخُنَا شُعَيْبٌ أَنَّ الدُّكْتُورَ بَشَّارًا، لَمْ يُشَارِكْ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ؟!.

عَلَى الرَّغْمِ أَنَّ الْأُسْتَاذَ لَمْ يَجْحَدْ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْمُشَارَكَةِ!! فِي مَقَالٍ عَنْوَنَ لَهُ بِقَوْلِهِ: «مَا فَاتَ شَيْخِي الْعَلَّامَةُ شُعَيْبٌ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ وَكَذَا د. بَشَّارٌ عَوَّادٌ»، وَكَانَ مِمَّا قَالَ: وَفِي «تَحْرِيرِ التَّقْرِيبِ» (١٢/٢) لِشَيْخِنَا الْفَاضِلِ الْعَلَّامَةِ شُعَيْبٍ الْأَرْنؤوط، وَالدُّكْتُورِ بَشَّارِ مَعْرُوفٍ»!.

وَمَنْ يَقْرَأْ هَذَا الْمَقَالَ يَجِدْ فَرْقًا كَبِيرًا بَيْنَ رَدِّهِ الرَّفِيقِ عَلَى شَيْخِنَا شُعَيْبٍ، وَنَقْدِهِ لِشَيْخِنَا بَشَّارٍ!!.

وَأُنَبِّهُ أَيْضًا: أَنَّ كَلَامَ شَيْخِنَا شُعَيْبٍ، وَشَيْخِنَا بَشَّارٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي نَقَلَهُ الْأُسْتَاذُ مِنَ «الْمُقَدِّمَةِ» جَاءَ فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، بِرَقْمِ (٢٢/١)، وَلَيْسَ بِرَقْمِ (٣٧/١)! وَهَذِهِ الطَّبْعَةُ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْأُسْتَاذُ فِي مَرَاجِعِهِ (ص٢١٨)، وَقَالَ: تَحْقِيقُ شُعَيْبٍ الْأَرْنؤوط، وَد. بَشَّارِ عَوَّادٍ مَعْرُوفٍ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوت، ط١، ١٩٩٤!.

وَهُنَا خَطَأٌ فِي مَوْضِعَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْكِتَابَ تَأْلِيفٌ، وَلَيْسَ تَحْقِيقًا.

الثَّانِي: طَبْعَةُ الْكِتَابِ الْأُولَى لِمُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ فِي عَامِ ١٩٩٧م، كَمَا ذَكَرْنَا، وَلَيْسَ فِي عَامِ ١٩٩٤م! كَمَا ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ.

وَسَوفَ أَتَجَاوَزُ عَنْ تَصْحِيفَاتٍ وَرَدَتْ فِي نَقْلِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ، كَنَقْلِهِ: وَابْنُ حِبَّانَ (٣٤٥هـ)!، وَجَاءَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي نَقَلَ مِنْهُ عَلَى الصَّوَابِ (ت٣٥٤هـ)، وَتَتَبُّعُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّصْحِيفَاتِ يَطُولُ جِدًّا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

• **الْوَقْفَةُ الْعَاشِرَةُ:**

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص١٨): صَدَرَ مِنَ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ كَلَامٌ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ فِي (ج٣/ص٨٣) مِنْ كِتَابِهِ غَوْثِ الْمَكْدُودِ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى تَضْعِيفِ ابْنِ حَزْمٍ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ فَقَالَ:

(وَقَعقَعَ ابْنُ حَزْمٍ، [فقال][1] فِي الْمُحَلَّى (١٠/٢٧٧): لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ طَهْمَانَ ضَعِيفٌ!! وَهَذَا نَاتِجٌ مِنْ تَسَرُّعِهِ).

وَأَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ كَبِيرَةٌ فِي حَقِّ إِمَامِنَا -إِمَامَ الظَّاهِرِيَّةِ- مِنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَامَحَهُ اللهُ، وَعِنْدَ اللهِ تَلْتَقِي الْخُصُومَةُ. اهـ.

قُلْتُ: وَالنَّظَرُ فِي كَلَامِ الْأُسْتَاذِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْأُسْتَاذَ لَمْ يُتِمَّ نَقْلَ كَلَامِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ، حَيْثُ زَادَ الشَّيْخُ بَعْدَ رَدِّهِ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ رحمه الله: «فَإِبْرَاهِيمُ ثِقَةٌ، احْتَجَّ بِهِ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ».

الثَّانِي: أَنَّهُ هَابَ -لِظَاهِرِيَّتِهِ فِيمَا يَبْدُو، وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنْ يَرُدَّ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ رحمه الله هَذَا التَّضْعِيفَ، وَانْشَغَلَ بِعِبَارَةِ الشَّيْخِ فِي رَدِّهِ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ، وَالَّتِي قَصَدَ مِنْهَا

(١) سَقَطَ فِي نَقْلِ الْأُسْتَاذِ.

أَنَّ الإِمَامَ كَأَنَّمَا أَشْهَرَ سِلاحَهُ، كِنَايَةً عَنْ شِدَّتِهِ فِي تَضْعِيفِ الرَّاوِي بِلَا حُجَّةٍ، وَلَوْ تَمَهَّلَ رَحِمَهُ اللهُ لَظَهَرَ لَهُ مَا خَفِيَ عَنْهُ.

مَعَ عِلْمِي أَنَّ شَيْخَنَا -كَمَا ذَكَرْتُ فِي الْمُقَدِّمَةِ- لَامَ نَفْسَهُ عَلَى بَعْضِ عِبَارَاتٍ ذَكَرَهَا عِنْدَ تَعَقُّبِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ فِي بِدَايَةِ حَيَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، مَعَ قَنَاعَتِهِ بِمَا تَرَجَّحَ لَدَيْهِ، وَقَدْ تَرَاجَعَ أَيْضًا عَنْ أَشْيَاءَ، بَسَطَهَا فِيمَا طُبِعَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ، أَوْ يُعَدُّ لِلطَّبْعِ، أَوْ مَا زَالَ مَخْطُوطًا.

وَحَتَّى لَا تُبَادِرُ بِالْقَوْلِ: وَكَيْفَ لِي بِالْمَخْطُوطِ؟، فَنَقُولُ: قَدْ بَيَّنَ شَيْخُنَا هَذَا فِي مَجَالِسِهِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَنْشُورَةِ، وَلَكِنْ يَا أُسْتَاذُ: مَنْ يَقْرَأُ، وَيَسْمَعُ؟!.

الثَّالِثُ: أَنَّ رَدَّ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ عَلَى الإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ لَا يَعْنِي انْتِقَاصًا لَهُ، أَوْ قَدْحًا فِيهِ؛ كَمَا يَرُوقُ لِكُلِّ مُتَعَصِّبٍ أَنْ يُصَوِّرَ الأَمْرَ، فِي حِينِ أَنَّ هَذَا الْمُتَعَصِّبَ يَتَبَرَّأُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى مُخَالِفِيهِ!!.

وَأَقُولُ لِلْمُعْتَرِضِ: هَلْ تَعْتَقِدُ مَثَلًا؛ أَنَّ الإِمَامَ الذَّهَبِيَّ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنَ الإِمَامِ ابْنِ حِبَّانَ عِنْدَمَا قَالَ فِي تَرْجَمَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّرَائِفِيِّ مِنْ «الْمِيزَانِ» (٣/٤٥/رَقْم٥٥٣٢): «وَأَمَّا ابْنُ حِبَانَ فَإِنَّهُ يُقَعْقِعُ كَعَادَتِهِ؛ فَقَالَ فِيهِ: يَرْوِي عَنْ قَوْمٍ ضِعَافٍ أَشْيَاءَ يُدَلِّسُهَا عَنِ الثِّقَاتِ، حَتَّى إِذَا سَمِعَهَا الْمُسْتَمِعُ لَمْ يَشُكَّ فِي وَضْعِهَا، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِهِ الْتَزَقَتْ بِهِ تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْجَرْحِ، فَلَا يَجُوزُ عِنْدِي الاحْتِجَاجِ بِرِوَايَاتِهِ كُلِّهَا بِحَالٍ»؟

لَا أَظُنُّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الذَّهَبِيَّ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنَ ابْنِ حِبَّانَ، وَقَدْ نَقَلَ الذَّهَبِيُّ عِلْمَ ابْنِ حِبَّانَ فِي «مُصَنَّفَاتِهِ»، وَلَكِنَّهُ اسْتَخْدَمَ عِبَارَةً تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ الشِّدَّةِ مِنَ ابْنِ حِبَّانَ؛

كَمَا تُحْدِثُ قَعْقَعَةَ السِّلَاحِ صَوْتًا لِحَرَكَتِهَا مِنَ السُّكُونِ، فَقَدْ أَحْدَثَ ابْنُ حِبَّانَ هَذِهِ الْقَعْقَعَةَ بِهَذَا الْكَلَامِ فِي الرَّاوِي، عَلَى خِلَافِ بَاقِي مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِنَفَسٍ هَادِئٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ نَأْتِي لِبَيَانِ كَلَامِ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ، فِي الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ ﵀:

وَقَدْ حَدَّثَنَا شَيْخُنَا كَثِيرًا عَنْ إِمَامَةِ ابْنِ حَزْمٍ ﵀، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ، وَأَنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْشُرَ مَذْهَبَهُ وَحْدَهُ عَلَى أَكْتَافِ الْمَالِكِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ عَامَّةُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، فَاسْتَطَاعَ بِمُفْرَدِهِ أَنْ يَجْعَلَ الْأَنْدَلُسَ ظَاهِرِيَّةً، وَقَدْ عُرِفَ الْمَذْهَبُ بِهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحَرْبُ، وَشُرِّدَ، وَأُحْرِقَتْ كُتُبُهُ، وَكَانَ لَهُ أَبْيَاتٌ يَتَوَجَّعُ فِيهَا؛ أَنَّ النَّاسَ لَا تُقَدِّرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ تَرَكَ الْأَنْدَلُسَ وَخَرَجَ إِلَى الْمَشْرِقِ، لَتَوَجَّعَ النَّاسُ، وَأَحَسُّوا بِفَقْدِهِ، فَقَالَ فِي أَبْيَاتٍ طَوِيلَةٍ، كَانَ مِنْهَا:

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوِّ الْعُلُومِ مُنِيرَةٌ ... وَلَكِنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِيَ الْغَرْبُ
وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِعٌ ... لَجَدَّ عَلَيَّ مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِيَ النَّهْبُ
وَلِي نَحْوَ أَكْنَافِ الْعِرَاقِ صَبَابَةٌ ... وَلَا غَرْوَ أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلِفُ الصَّبُّ
فَإِنْ يُنْزِلِ الرَّحْمَانُ رَحْلِيَ بَيْنَهُمْ ... فَحِينَئِذٍ يَبْدُو التَّأَسُّفُ وَالْكَرْبُ
فَكَمْ قَائِلٍ أَغْفَلْتُهُ وَهُوَ حَاضِرٌ ... وَأَطْلُبُ مَا عَنْهُ تَجِيءُ بِهِ الْكُتُبُ
هُنَالِكَ يُدْرَى أَنَّ لِلْبُعْدِ قِصَّةً ... وَأَنَّ كَسَادَ الْعِلْمِ آفَتُهُ الْقُرْبُ

وَكَانَ الشَّيْخُ يُفْتِي فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ بِقَوْلِ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ إِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّلِيلَ مَعَهُ، وَقَدْ يَتَوَقَّفُ عَنِ الْفُتْيَا بِقَوْلِهِ فِي نَفْسِ الْمَسْأَلَةِ إِنْ عَرَضَ لَهُ مَا يُلْزِمُ بِذَلِكَ، كَضَعْفِ الدَّلِيلِ الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ.

كَقَوْلِ الشَّيْخِ فِي زَكَاةِ الْحُلِيِّ بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ حَزْمٍ مِنْ أَنَّ الزَّكَاةَ وَاجِبَةٌ فِي حُلِيِّ الْفِضَّةِ، وَالذَّهَبِ إِذَا بَلَغَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْمِقْدَارُ، وَكَانَ الشَّيْخُ يَنْقُلُ تَرْجِيحَ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ فِي الْفَتْوَى بِذَلِكَ، ثُمَّ تَوَقَّفَ الشَّيْخُ عَنِ الْقَوْلِ بِالْوُجُوبِ، فِي آخِرِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ شَيْخِنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

الرَّابِعُ: وَمَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ إِجْلَالِ الْحُوَيْنِيِّ؛ لا بْنِ حَزْمٍ فَاعْلَمْ؛ أَنَّ مُخَالَفَةَ شَيْخِنَا -حَفِظَهُ اللهُ- لِلْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ؛ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ، الْحَدِيثِيَّةِ، وَالْفِقْهِيَّةِ، وَالْأُصُولِيَّةِ، وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ مَقَالَةٍ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ مَعْلُومَةٌ، لَا تَخْفَى عَلَى الْمُتَابِعِينَ لِلشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ مِنَ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْعِلْمِ، وَالْحَدِيثُ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ.

كَرَدِّهِ عَلَيْهِ فِي تَضْعِيفِ كَثِيرٍ مِنَ الثِّقَاتِ، وَأَنَّهُ تَوَرَّطَ فِي ذَلِكَ، وَإِغْرَابِهِ فِي رَدِّ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الثَّابِتَةِ[1]، وَكَانَ الشَّيْخُ قَدْ صَنَّفَ كِتَابًا فِي أَوَّلِ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ، أَسْمَاهُ: «الْجَزْمُ بِشُذُوذِ ابْنِ حَزْمٍ»، ثُمَّ اوْدَعَ هَذَا الْكِتَابَ فِي «تَنْبِيهِ الْهَاجِدِ إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْأَمَاجِدِ»، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ هَذَا فِي «تَنْبِيهِ الْهَاجِدِ» (٤/ص١٢٤).

وَرَدَّ عَلَيْهِ أَيْضًا فِي مَسْأَلَةِ الْغِنَاءِ وَالْمَعَازِفِ، وَمُخَالَفَتِهِ لِلْأَئِمَّةِ، وَذَكَرَ أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ عَلَى جَلَالَتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ظَاهِرِيًا فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الْحَدِيثِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَحْكَامِهِ، وَقَدْ كَثُرَتْ زَلَّاتُهُ فِي الْحَدِيثِ، مَعَ سِعَةِ فَهْمِهِ، وَسِعَةِ مَحْفُوظِهِ.

وَاعْتَبَرَ الشَّيْخُ أَنَّ فَتْوَى الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ فِي جَوَازِ الْغِنَاءِ وَالْمَعَازِفِ!! مِمَّا زَلَّ فِيهِ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) مِثَالُ ذَلِكَ: فِي «غَوْثِ الْمَكْدُودِ» (١/ص١١٥/ح١٠٨)، مَا نَقَلَهُ شَيْخُنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ -حَفِظَهُ اللهُ- عَنْ حُكْمِ لِلْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى حَدِيثٍ مِنْ رِوَايَةِ مِقْسَمِ بْنِ بُجْرَةَ، وَيُقَالُ: ابْنُ نَجْدَةَ، أَنَّهُ: «خَبَرٌ سَاقِطٌ! وَمِقْسَمٌ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ...»، وَقَدْ عَلَّقَ شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ بِقَوْلِهِ: «أَغْرَبَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا جِدًّا -وَكَمْ لَهُ مِنْ مِثْلِهِ- يَغْفِرُ اللهُ لَهُ».

وَكَانَ الشَّيْخُ يَتَعَجَّبُ مِنْ نَفْيِ ابْنِ حَزْمٍ لِلْقِيَاسِ خِلَافًا لِلْقَوْلِ بِهِ عِنْدَ سَائِرِ الْأَئِمَّةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ الْأَعْجَبُ، فَمَعَ حِدَّةِ ذَكَاءِ ابْنِ حَزْمٍ، وَغَزَارَةِ عِلْمِهِ، وَسَعَةِ حِفْظِهِ، كَانَ ظَاهِرِيًّا!.

الْخَامِسُ: كَمَا ذَكَرْتُ فِي الْمُقَدِّمَةِ أَنَّنِي أَشْعُرُ أَنَّ السَّبَبَ فِي رَدِّ الْأُسْتَاذِ الْغَاضِبِ عَلَى الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ، هُوَ انْتِصَارُهُ لِلْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ! فِيمَا يَظُنُّ؛ لِرَدِّ الشَّيْخِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ حَوَّلَ الْأُسْتَاذُ هَذَا الرَّدَّ مِنَ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ إِلَى خُصُومَةٍ! وَمَا أَدْرِي مَاذَا يَقُولُ الْأُسْتَاذُ أَيْضًا فِي أَئِمَّةٍ رَدُّوا عَلَى ابْنِ حَزْمٍ لِشِدَّتِهِ الْمُفْرِطَةِ مَعَ الْمُخَالِفِينَ لَهُ؟!.

وَمَعَ عِلْمِي بِإِمَامَةِ ابْنِ حَزْمٍ ﷺ، وَسَعَةِ عِلْمِهِ، وَكَثْرَةِ مَحْفُوظِهِ، وَسَيَلَانِ ذِهْنِهِ، وَأَيْضًا مَعَ عَدَمِ إِقْرَارِهِ عَلَى مَا زَلَّ فِيهِ، وَعَدَمِ مُوَافَقَتِهِ عَلَى حِدَّتِهِ الْمُفْرِطَةِ أَحْيَانًا مَعَ مُخَالِفِيهِ لَا سِيَّمَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ، وَالْحَنَفِيَّةِ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُحَاكِمَ الْأُسْتَاذَ إِلَى مَذْهَبِهِ، وَلَيْسَ انْتِقَاصًا أَوْ غَمْزًا وَلَمْزًا -مَعَاذَ اللهِ-.

وَهَذَا، مَعَ عِلْمِي أَيْضًا بِثَنَاءِ أَئِمَّةٍ عَلَى ابْنِ حَزْمٍ، حَتَّى مِنَ الْمُخَالِفِينَ لَهُ، وَهُنَاكَ مَنْ غَلَا فِيهِ حَتَّى قَدَّمَهُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِمْ!!.

وَلَكِنَّنِي هُنَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَكْشِفَ مَا عِنْدَ الْأُسْتَاذِ فِي حَقِّ مَنْ رَدَّ عَلَى ابْنِ حَزْمٍ ﷺ، وَأَذْكُرُ أَمْثِلَةً مِنْ رَأْسِ الْقَلَمِ دُونَ اسْتِقْصَاءٍ، أَوْ تَتَبُّعٍ، أَوْ تَقْسِيمٍ لِمَوَاضِعِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ، بَلِ الشَّاهِدُ هُوَ ذِكْرُ عِبَارَاتٍ لِبَعْضِ الْأَئِمَّةِ حَالَ خِلَافِهِمْ مَعَ ابْنِ حَزْمٍ، دُونَ النَّظَرِ لِنَوْعِ مَسْأَلَةِ الْخِلَافِ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ ﷺ فِي «تَذْكِرَةِ الْحُفَّاظِ» (١١٥٣/٣): «ابْنُ حَزْمٍ؛ رَجُلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ، فِيهِ أَدَوَاتُ الِاجْتِهَادِ كَامِلَةً، تَقَعُ لَهُ الْمَسَائِلُ الْمُحَرَّرَةُ، وَالْمَسَائِلُ الْوَاهِيَةُ

كَمَا يَقَعُ لِغَيْرِهِ، وَكُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَدْ امْتُحِنَ هَذَا الرَّجُلُ، وَشُدِّدَ عَلَيْهِ، وَشُرِّدَ عَنْ وَطَنِهِ، وَجَرَتْ لَهُ أُمُورٌ، وَقَامَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ لِطُولِ لِسَانِهِ، وَاسْتِخْفَافِهِ بِالْكِبَارِ، وَوُقُوعِهِ فِي أَئِمَّةِ الاجْتِهَادِ بِأَفَجِّ عِبَارَةٍ، وَأَفَظِّ مُحَاوَرَةٍ، وَأَبْشَعِ رَدٍّ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ مُنَاظَرَةٌ وَمُنَافَرَةٌ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ: كَانَ لِسَانُ ابْنِ حَزْمٍ وَسَيْفُ الْحَجَّاجِ شَقِيقَيْنِ» اهـ.

وَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ فِي «سِيَرِ الْأَعْلَامِ» (١٨/١٩٨).

وقال أيضًا في «سِيَرِ الْأَعْلَامِ» (١٨/١٨٦): «وَكَانَ قَدْ مَهَرَ أَوَّلًا فِي الْأَدَبِ وَالْأَخْبَارِ وَالشِّعْرِ، وَفِي الْمَنْطِقِ، وَأَجْزَاءِ الْفَلْسَفَةِ، فَأَثَّرَتْ فِيهِ تَأْثِيرًا لَيْتَهُ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَقَدْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى تَأْلِيفٍ يَحُضُّ فِيهِ عَلَى الاعْتِنَاءِ بِالْمَنْطِقِ، وَيُقَدِّمُهُ عَلَى الْعُلُومِ، فَتَأَلَّمْتُ لَهُ، فَإِنَّهُ رَأْسٌ فِي عُلُومِ الْإِسْلَامِ، مُتَبَحِّرٌ فِي النَّقْلِ، عَدِيمُ النَّظِيرِ عَلَى يُبْسٍ فِيهِ، وَفَرْطِ ظَاهِرِيَّةٍ فِي الْفُرُوعِ لَا الْأُصُولِ، قِيلَ: إِنَّهُ تَفَقَّهَ أَوَّلًا لِلشَّافِعِيِّ، ثُمَّ أَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى الْقَوْلِ بِنَفْيِ الْقِيَاسِ كُلِّهِ جَلِيِّهِ وَخَفِيِّهِ، وَالْأَخْذِ بِظَاهِرِ النَّصِّ، وَعُمُومِ الْكِتَابِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْقَوْلِ بِالْبَرَاءَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَاسْتِصْحَابِ الْحَالِ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ كُتُبًا كَثِيرَةً، وَنَاظَرَ عَلَيْهِ، وَبَسَطَ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ، وَلَمْ يَتَأَدَّبْ مَعَ الْأَئِمَّةِ فِي الْخِطَابِ، بَلْ؛ فَجَّجَ الْعِبَارَةَ، وَسَبَّ، وَجَدَّعَ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْ جِنْسِ فِعْلِهِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْ تَصَانِيفِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَهَجَرُوهَا، وَنَفَرُوا مِنْهَا، وَأُحْرِقَتْ فِي وَقْتٍ، وَاعْتَنَى بِهَا آخَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَفَتَّشُوهَا انْتِقَادًا وَاسْتِفَادَةً، وَأَخْذًا وَمُؤَاخَذَةً، وَرَأَوْا فِيهَا الدُّرَّ الثَّمِينَ مَمْزُوجًا فِي الرَّصْفِ بِالْخَرَزِ الْمَهِينِ، فَتَارَةً يَطْرَبُونَ، وَمَرَّةً يَعْجَبُونَ، وَمِنْ تَفَرُّدِهِ يَهْزَؤُونَ، وَفِي الْجُمْلَةِ فَالْكَمَالُ عَزِيزٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ» اهـ.

وَهَذَا هُوَ الذَّهَبِيُّ؛ الَّذِي نَافَحَ عَنِ ابْنِ حَزْمٍ مِنْ هَجْمَةٍ عَاتِيَةٍ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ،

ذَكَرَهَا الذَّهَبِيُّ فِي نَفْسِ التَّرْجَمَةِ، فَبَعْدَ أَنْ نَقَلَ كَلَامَ ابْنِ الْعَرَبِيِّ فِي ابْنِ حَزْمٍ، وَالظَّاهِرِيَّةِ، قَالَ: «لَمْ يُنْصِفِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ رحمه الله شَيْخَ أَبِيهِ فِي الْعِلْمِ، وَلَا تَكَلَّمَ فِيهِ بِالْقِسْطِ، وَبَالَغَ فِي الِاسْتِخْفَافِ بِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ فَعَلَى عَظَمَتِهِ فِي الْعِلْمِ لَا يَبْلُغُ رُتْبَةَ أَبِي مُحَمَّدٍ، وَلَا يَكَادُ، فَرَحِمَهُمَا اللهُ، وَغَفَرَ لَهُمَا».

وقال أيضًا في «سِيَرِ الْأَعْلَامِ» (٢٠١/١٨): «وَقَدْ أَخَذَ الْمَنْطِقَ -أبعده اللهُ مِنْ عِلْمٍ- عَنْ: مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ المَذْحِجِيِّ، وَأَمْعَنَ فِيهِ، فَزَلْزَلَهُ فِي أَشْيَاءٍ، وَلِي أَنَا مَيْلٌ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ لِمَحَبَّتِهِ فِي الْحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أُوَافِقُهُ فِي كَثِيْرٍ مِمَّا يَقُوْلُهُ فِي الرِّجَالِ، وَالْعِلَلِ، وَالمَسَائِلِ البَشِعَةِ فِي الْأُصُوْلِ، وَالْفُرُوعِ، وَأَقْطَعُ بِخَطَئِهِ فِي غَيْرِ مَا مَسْأَلَةٍ، وَلَكِنْ لَا أُكَفِّرُهُ، وَلَا أُضَلِّلُهُ، وَأَرْجُو لَهُ الْعَفْوَ، وَالْمُسَامَحَةَ، وَلِلْمُسْلِمِيْنَ، وَأَخْضَعُ لِفَرْطِ ذَكَائِهِ، وَسَعَةِ عُلُومِهِ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ أيضًا في «ذَيْلِ دِيوَانِ الضُّعَفَاءِ» (ص٤٤): «ابْنُ حَزْمٍ مُتَشَدِّدٌ لَا يُقْبَلُ قَدْحُهُ».

فَأَقُولُ لِلْأُسْتَاذِ: هَلْ يَشْفَعُ لِلذَّهَبِيِّ عِنْدَكَ، مَا ذَكَرَهُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَى ابْنِ حَزْمٍ، مَعَ انْتِقَادِهِ لَهُ؟!!.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (١٩/٤): «وَإِنْ كَانَ أَبُو مُحَمَّدِ ابْنُ حَزْمٍ فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْقَدَرِ أَقْوَمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَعْلَمَ بِالْحَدِيثِ، وَأَكْثَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَلِأَهْلِهِ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنْ؛ قَدْ خَالَطَ مِنْ أَقْوَالِ الْفَلَاسِفَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ مَا صَرَفَهُ عَنْ مُوَافَقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي مَعَانِي مَذْهَبِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَوَافَقَ هَؤُلَاءِ فِي اللَّفْظِ وَهَؤُلَاءِ فِي الْمَعْنَى، وَبِمِثْلِ هَذَا صَارَ يَذُمُّهُ مَنْ يَذُمُّهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ

بِاتِّبَاعِهِ لِظَاهِرٍ لَا بَاطِنَ لَهُ كَمَا نَفَى الْمَعَانِيَ فِي الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالِاشْتِقَاقِ، وَكَمَا نَفَى خَرْقَ الْعَادَاتِ، وَنَحْوَهُ مِنْ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ، مَضْمُومًا إِلَى مَا فِي كَلَامِهِ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي الْأَكَابِرِ وَالْإِسْرَافِ فِي نَفْيِ الْمَعَانِي، وَدَعْوَى مُتَابَعَةِ الظَّوَاهِرِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ وَالْعُلُومِ الْوَاسِعَةِ الْكَثِيرَةِ مَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ، وَيُوجَدُ فِي كُتُبِهِ مِنْ كَثْرَةِ الِاطِّلَاعِ عَلَى الْأَقْوَالِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْوَالِ، وَالتَّعْظِيمِ لِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ، وَلِجَانِبِ الرِّسَالَةِ مَا لَا يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ» اهـ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -الَّذِي لَقَّبَ ابْنَ حَزْمٍ بِمَنْجَنِيقِ الْغَرْبِ[1]- فِي «زَادِ الْمَعَادِ» (١/٣٦٤)، بَعْدَ ذِكْرِ تَعْلِيلِ ابْنِ الْقَطَّانِ لِحَدِيثِ لِمَطَرٍ الْوَرَّاقِ: «وَعَلَّلَهُ ابْنُ الْقَطَّانِ بِمَطَرٍ الْوَرَّاقِ، وَقَالَ: كَانَ يُشْبِهُهُ فِي سُوءِ الْحِفْظِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، وَعِيبَ عَلَى مُسْلِمٍ إِخْرَاجُ حَدِيثِهِ».

ثُمَّ عَلَّقَ ابْنُ الْقَيِّمِ، وَقَالَ: «وَلَا عَيْبَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي إِخْرَاجِ حَدِيثِهِ، لِأَنَّهُ يَنْتَقِي مِنْ أَحَادِيثِ هَذَا الضَّرْبِ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حَفِظَهُ، كَمَا يَطْرَحُ مِنْ أَحَادِيثِ الثِّقَةِ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ غَلِطَ فِيهِ، فَغَلِطَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَنِ اسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ إِخْرَاجَ جَمِيعِ حَدِيثِ الثِّقَةِ، وَمَنْ ضَعَّفَ جَمِيعَ حَدِيثِ سَيِّئِ الْحِفْظِ، فَالْأُولَى: طَرِيقَةُ الْحَاكِمِ وَأَمْثَالِهِ، وَالثَّانِيَةُ: طَرِيقَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ حَزْمٍ وَأَشْكَالِهِ، وَطَرِيقَةُ مُسْلِمٍ هِيَ طَرِيقَةُ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» اهـ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ أَيْضًا فِي «زَادِ الْمَعَادِ» (٥/٤٧٩)، فِي قِصَّةِ حَضَانَةِ بِنْتِ حَمْزَةَ، وَاخْتِصَامِ عَلِيٍّ، وَزَيْدٍ، وَجَعْفَرٍ ﵃ فِيهَا، وَحُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَا لِجَعْفَرٍ، فَإِنَّ هَذِهِ

---

(١) انْظُرْ «زَادَ الْمَعَادِ» (٥/٥٢٢)، وَالْبَعْضُ ضَبَطَهَا «الْعَرَبُ».

الْحُكُومَةَ كَانَتْ عَقِيبَ فَرَاغِهِمْ مِنْ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ تَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي يَا عَمُّ يَا عَمُّ، فَأَخَذَ عَلِي بِيَدِهَا، ثُمَّ تَنَازَعَ فِيهَا هُوَ، وَجَعْفَرٌ، وَزَيْدٌ، وَذَكَرَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ تَرْجِيحًا، فَذَكَرَ زَيْدٌ أَنَّهَا ابْنَةُ أَخِيهِ لِلْمُؤَاخَاةِ الَّتِي عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَمْزَةَ، وَذَكَرَ عَلِيٌّ كَوْنَهَا ابْنَةَ عَمِّهِ، وَذَكَرَ جَعْفَرٌ مُرَجِّحَيْنِ: الْقَرَابَةَ، وَكَوْنَ خَالَتِهَا عِنْدَهُ، فَتَكُونُ عِنْدَ خَالَتِهَا، فَاعْتَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مُرَجِّحَ جَعْفَرٍ دُونَ مُرَجِّحِ الْآخَرِينَ، فَحَكَمَ لَهُ، وَجَبَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَطَيَّبَ قَلْبَهُ بِمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَخْذِ الْبِنْتِ.

وَذَكَرَ (٤٨١/٥) حَدِيثَ الْبُخَارِيِّ[١] عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، وَفِيهِ: «فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ**».

وَذَكَرَ أَيْضًا حَدِيثَ أَبِي دَاودَ[٢] مِنْ طُرُقٍ عَنْهُ كَانَ مِنْهَا: طَرِيقُ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هَانِئِ بْنِ هَانِئٍ، وَهُبَيْرَةَ بْنِ يَرِيمَ.

ثُمَّ قَالَ: «وَاسْتَشْكَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ هَذَا وَهَذَا، فَإِنَّ الْقَضَاءَ إِنْ كَانَ لِجَعْفَرٍ فَلَيْسَ مَحْرَمًا لَهَا، وَهُوَ وَعَلِي فِي الْقَرَابَةِ مِنْهَا سَوَاءٌ، وَإِنْ كَانَ لِلْخَالَةِ فَهِيَ مُزَوَّجَةٌ، وَالْحَاضِنَةُ إِذَا تَزَوَّجَتْ سَقَطَتْ حَضَانَتُهَا، وَلَمَّا ضَاقَ هَذَا عَلَى ابْنِ حَزْمٍ طَعَنَ فِي الْقِصَّةِ بِجَمِيعِ طُرُقِهَا، وَقَالَ أَمَّا حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ فَمِنْ رِوَايَةِ إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَأَمَّا حَدِيثُ هَانِئٍ، وَهُبَيْرَةَ فَمَجْهُولَانِ...... إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ».

ثُمَّ عَلَّقَ ابْنُ الْقَيِّمِ عَلَى مَقَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ (٤٨٢/٥)، بِقَوْلِهِ: «وَهَذَا مِنْ تَهَوُّرِهِ رحمه الله وَإِقْدَامِهِ

---

(١) بِرَقْمِ (٤٢٥١، ٢٦٩٩)، وَقَالَ: «حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا، بِتَمَامِهِ».

(٢) بِرَقْمِ (٢٢٨٠)، وَقَالَ: «حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مُوسَى، أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ، حَدَّثَهُمْ عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هَانِئٍ، وَهُبَيْرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه».

عَلَى تَضْعِيفِ مَا اتَّفَقَتِ النَّاسُ عَلَى صِحَّتِهِ، نخَالَفَهُمْ وَحْدَهُ، فَإِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ شُهْرَتُهَا فِي الصِّحَاحِ، وَالسُّنَنِ، وَالْمَسَانِيدِ، وَالسِّيَرِ، وَالتَّوَارِيخِ تُغْنِي عَنْ إِسْنَادِهَا، فَكَيْفَ وَقَدِ اتَّفَقَ عَلَيْهَا صَاحِبُ الصَّحِيحِ، وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْ أَحَدٍ قَبْلَهُ الطَّعْنُ فِيهَا الْبَتَّةَ، وَقَوْلُهُ: إِسْرَائِيلُ ضَعِيفٌ، فَالَّذِي غَرَّهُ فِي ذَلِكَ تَضْعِيفُ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ لَهُ، وَلَكِنْ أَبَى ذَلِكَ سَائِرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَاحْتَجُّوا بِهِ، وَوَثَّقُوهُ وَثَبَّتُوهُ، قَالَ أَحْمَدُ: ثِقَةٌ، وَتَعَجَّبَ مِنْ حِفْظِهِ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَهُوَ مِنْ أَتْقَنِ أَصْحَابِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، وَكَانَ يَحْفَظُ حَدِيثَهُ كَمَا يَحْفَظُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَرَوَى لَهُ الْجَمَاعَةُ كُلُّهُمْ مُحْتَجِّينَ بِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ هَانِئًا، وَهُبَيْرَةَ مَجْهُولَانِ، فَنَعَمْ، مَجْهُولَانِ عِنْدَهُ، مَعْرُوفَانِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَنِ، وَثَّقَهُمَا الْحُفَّاظُ، فَقَالَ النَّسَائِيُّ: هَانِئُ بْنُ هَانِئٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَهُبَيْرَةُ رَوَى لَهُ أَهْلُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ، وَقَدْ وُثِّقَ...... إِلَى آخِرِ رَدِّهِ عَلَيْهِ».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (١٢/٩٢): «وَكَانَ ابْنُ حَزْمٍ كَثِيرَ الْوَقِيعَةِ فِي الْعُلَمَاءِ بِلِسَانِهِ، وَقَلَمِهِ، فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ حِقْدًا فِي قُلُوبِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى بَغَّضُوهُ إِلَى مُلُوكِهِمْ، فَطَرَدُوهُ عَنْ بِلَادِهِ، حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي قَرْيَةٍ لَهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ، وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْهُ! أَنَّهُ كَانَ ظَاهِرِيًّا حَائِرًا فِي الْفُرُوعِ، لَا يَقُولُ: بِشَيْءٍ مِنَ الْقِيَاسِ لَا الْجَلِيِّ وَلَا غَيْرِهِ، وَهَذَا الَّذِي وَضَعَهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَأَدْخَلَ عَلَيْهِ خَطَأً كَبِيرًا فِي نَظَرِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَكَانَ مَعَ هَذَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَأْوِيلًا فِي بَابِ الْأُصُولِ، وَآيَاتِ الصِّفَاتِ، وَأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلًا قَدْ تَضَلَّعَ مِنْ عِلْمِ الْمَنْطِقِ، أَخَذَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَذْحِجِيِّ الْكِنَانِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، ذَكَرَهُ ابْنُ مَاكُولَا، وَابْنُ خِلِّكَانَ، فَفَسَدَ بِذَلِكَ حَالُهُ فِي بَابِ الصِّفَاتِ» اهـ.

وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي «النُّكَتِ» (٢/٣٣٣)، رَدًّا عَلَى ابْنِ حَزْمٍ فِي مَذْهَبِهِ رِوَايَةَ الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ: «وَشَذَّ ابْنُ حَزْمٍ عَنِ الْجُمْهُورِ، فَقَالَ: وَلَوْ بَلَغَتْ طُرُقُ الضَّعِيفِ أَلْفًا لَا يُقَوَّى، وَلَا يَزِيدُ انْضِمَامُ الضَّعِيفِ إِلَى الضَّعِيفِ إِلَّا ضَعْفًا، وَهَذَا مَرْدُودٌ، لِأَنَّ الْهَيْئَةَ الِاجْتِمَاعِيَةَ لَهَا أَثَرٌ، أَلَا تَرَى أَنَّ خَبَرَ الْمُتَوَاتِرِ يُفِيدُ الْقَطْعَ، مَعَ أَنَّا لَوْ نَظَرْنَا إِلَى آحَادِهِ لَمْ يُفِدْ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ مَا لَا يُفِيدُ الْقَطْعَ بِانْفِرَادِهِ يُفِيدُهُ عِنْدَ الِانْضِمَامِ؛ فَأَوْلَى أَنْ يُفِيدَ الِانْضِمَامُ الِانْتِقَالَ مِنْ دَرَجَةِ الضَّعْفِ إِلَى دَرَجَةِ الْقُوَّةِ» اهـ.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ ﵀ فِي «لِسَانِ الْمِيزَانِ» (٥/٤٨٨): «وَكَانَ وَاسِعَ الْحِفْظِ جِدًّا، إِلَّا أَنَّهُ لِثِقَتِهِ بِحَافِظَتِهِ كَانَ يَهْجُمُ بِالْقَوْلِ فِي التَّعْدِيلِ، وَالتَّجْرِيحِ، وَتَبْيِينِ أَسْمَاءِ الرُّوَاةِ، فَيَقَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْهَامٌ شَنِيعَةٌ، وَقَدْ تَتَبَّعَ كَثِيرًا مِنْهَا الْحَافِظُ قُطْبُ الدِّينِ الْحَلَبِيُّ ثُمَّ الْمِصْرِيُّ؛ مِنَ «الْمُحَلَّى» خَاصَّةً» اهـ.

وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ حَجَرٍ كَثِيرًا فِي كِتَابِهِ هَذَا، وَغَيْرِهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ.

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ ﵀ فِي «الضَّعِيفَةِ» (١٣/٦٤٢): «فَمَا أَرَى ابْنَ حَزْمٍ إِلَّا كَابْنِ الْجَوْزِيِّ؛ لَهُ شَخْصِيَّتَانِ: فَشَخْصِيَّتُهُ فِي «الْمُحَلَّى»، شَخْصِيَّةُ عَالِمٍ نَاقِدٍ، لَا يَرْوِي حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنْ صِحَّتِهِ، وَشَخْصِيَّةٌ أُخْرَى فِي كُتُبِهِ الْأُخْرَى «كَالسِّيرَةِ»، وَغَيْرِهِ كَهَذَا «الطَّوْقِ»؛ فَهُوَ يَرْوِي فِيهِ مَا هَبَّ وَدَبَّ، كَهَذَا[1] وَغَيْرِهِ! وَلِذَلِكَ فَقَدْ بَدَا لِي أَنْ أَتَتَبَّعَ الْأَحَادِيثَ الَّتِي مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَالْمُنْكَرَةِ؛ حَتَّى لَا يُغْتَرَّ بِهَا» اهـ.

---

(١) يُشِيرُ إِلَى حَدِيثِ: «مَنْ تَأَمَّلَ خَلْقَ امْرَأَةٍ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهُ حَجْمُ عِظَامِهَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا وَهُوَ صَائِمٌ فَقَدْ أَفْطَرَ»، الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي «طَوْقِ الْحَمَامَةِ»، جَازِمًا بِنِسْبَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا: «وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَأَمَّلَ..... الْحَدِيثُ»!، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ مُبَيِّنًا شِدَّةَ تَسَاهُلِ ابْنِ حَزْمٍ فِي ذَلِكَ مُقَارَنَةً بِصَنِيعِ عَبْدِ الْحَقِّ الْإِشْبِيلِيِّ فِي «الْأَحْكَامِ»؛ الَّذِي رَدَّ الْخَبَرَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْكُمْ بِوَضْعِهِ.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ وَإِنْ طَالَتْ بَعْضَ الشَّيْءِ، أَقُولُ لِلْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ: مَا ظَنُّكَ بِهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ، هَلْ وَقَعُوا فِي كَبِيرَةٍ، بِرَدِّهِمْ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ، وَأَصْبَحُوا خُصُومًا لَهُ، وَلَكَ أَنْتَ أَيْضًا؟!!.

وَهَلْ قَرَّرْتَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِمْ! لَا أَظُنُّكَ تَفْعَلُ، وَإِنْ فَعَلْتَ، كُنْتَ كَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ الْمُحِيطَ سَابِحًا ضِدَّ تَيَّارِهِ، فَكُنْ مُنْصِفًا يَا أُسْتَاذُ.

وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَبْسُطَ عِبَارَاتٍ لِابْنِ حَزْمٍ ﵀ فِي الرَّدِّ عَلَى مُخَالِفِيهِ، لِلنَّظَرِ فِي رَدِّ الْأُسْتَاذِ عَلَى مِثْلِهَا!.

وَلَكِنْ حَتَّى لَا أُطِيلَ، أَذْكُرُ مِثَالًا وَاحِدًا، عَرَضَ لِي، وَأَنَا أُرَاجِعُ حَدِيثًا فِي كِتَابِي «طِيبُ الْأَنْسَامِ بِتَخْرِيجِ بُلُوغِ الْمَرَامِ»، وَقَدْ بَدَأْتُ الْعَمَلَ فِيهِ فِي يَوْمِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ هُوَ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄ مَرْفُوعًا: «**مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ عَتَقَ**».

وَفِي الْبَابِ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَائِشَةَ، وَغَيْرِهِمْ ﵃، وَرُوِيَ مَوْقُوفًا، وَمُرْسَلًا، وَمَقْطُوعًا، وَفَصَّلْتُ هَذَا فِي بَحْثٍ مُطَوَّلٍ فِي مَوْضِعِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ فِي «الْمُحَلَّى» (٨/ ١٩٠)، رِوَايَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، وَقَالَ: «عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ [سَعِيدٍ](١)، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ عَتَقَ**»، فَهَذَا خَبَرٌ صَحِيحٌ، كُلُّ رُوَاتِهِ ثِقَاتٌ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ، وَقَدْ تَعَلَّلَ فِيهِ الطَّوَائِفُ الْمَذْكُورَةُ بِأَنَّ ضَمْرَةَ انْفَرَدَ بِهِ

---

(١) هَكَذَا فِي الْمَطْبُوعِ مِنَ «الْمُحَلَّى»!! وَالصَّوَابُ فِيهِ: «رَبِيعَةَ»، وَلَعَلَّهُ أَخَذَهُ مِنَ «الْإِرْشَادِ» لِلْخَلِيلِيِّ، وَقَدْ مَاتَ ابْنُ حَزْمٍ بَعْدَهُ بِعَشْرِ سَنَوَاتٍ، سَنَةَ: (٤٥٦هـ)، وَقَدْ أَشَارَ مُحَقِّقُ طَبْعَةِ دَارِ الْفِكْرِ (ص١٣٣)، إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ وَقَعَ فِيهِ: «ضَمْرَةُ بْنُ سَعِيدٍ».

وَأَخْطَأَ فِيهِ، فَقُلْنَا: فَكَانَ مَاذَا إِذَا انْفَرَدَ بِهِ؟ وَمَتَى لَحِقْتُمْ بِالْمُعْتَزِلَةِ فِي أَنْ لَا تَقْبَلُوا مَا رَوَاهُ الْوَاحِدُ عَنْ الْوَاحِدِ، وَكَمْ خَبَرٌ انْفَرَدَ بِهِ رَاوِيهِ فَقَبِلْتُمُوهُ، وَلَيْتَكُمْ لَا تَقْبَلُونَ مَا انْفَرَدَ بِهِ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، كَابْنِ لَهِيعَةَ، وَجَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، وَغَيْرِهِ» اهـ.

قُلْتُ: قَدْ فَصَّلْتُ الرَّدَّ عَلَى ابْنِ حَزْمٍ ﵀ فِي مَوْضِعِهِ، وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي حَدِيثِ ضَمْرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» (٣/٤١٨): «وَلَمْ يُتَابَعْ ضَمْرَةُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَهُوَ حَدِيثٌ خَطَأٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ».

وَقَالَ النَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٤٨٩٧-ط. الْعِلْمِيَّةِ): «لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سُفْيَانَ غَيْرَ ضَمْرَةَ، وَهُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

وَقَالَ أَبُودَاوُدَ فِي «مَسَائِلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (١٩٩٩): «سَمِعْتُ أَحْمَدَ، ذُكِرَ لَهُ حَدِيثُ ضَمْرَةَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ فَهُوَ حُرٌّ**» فَقَالَ أَحْمَدُ: لَيْسَ مِنْ ذَا شَيْءٌ، وَهِمَ ضَمْرَةُ».

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» (١/٤٥٩): «قُلْتُ لِأَحْمَدَ: فَإِنَّ ضَمْرَةَ يُحَدِّثُ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «**مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ فَهُوَ حُرٌّ**»، فَأَنْكَرَهُ وَرَدَّهُ رَدًّا شَدِيدًا».

وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا: «لَوْ قَالَ رَجُلٌ أَنَّ هَذَا كَذِبٌ لَمَا كَانَ مُخْطِئًا»، وَرَاجِعْ فِي ذَلِكَ «تَارِيخَ دِمَشْقَ» لِابْنِ عَسَاكِرٍ (٢٤/٤٠٨)، وَاللَّفْظُ فِي «تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ» لِابْنِ حَجَرٍ (٤/٤٦١).

وَقَالَ الْخَلِيلِيُّ فِي «الْإِرْشَادِ» (ص١٣٣): «لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ عَنْ سُفْيَانَ غَيْرُ ضَمْرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ

وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الرَّمْلَةِ، يَتَفَرَّدُ بِأَحَادِيثَ، غَيْرُ مُخَرَّجٍ فِي الصَّحِيحِ، وَلا يُرْوَى عَنِ ابْنِ دِينَارٍ إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَادِ».

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «مَعْرِفَةِ السُّنَنِ» (٤٠٧/١٤): «فَهَذَا وَهْمٌ فَاحِشٌ، وَالْمَحْفُوظُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ حَدِيثُ النَّهْيِ عَنْ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَعَنْ هِبَتِهِ، وَضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ لَمْ يَحْتَجَّ بِهِ صَاحِبَا الصَّحِيحِ».

وَبِنَحْوِهِ قَالَهُ فِي «الْكُبْرَى» (٢٨٩/١٠)، وَاكْتَفِي هُنَا بِهَذَا النَّقْلِ.

وَهَذَا الْحُكْمُ مِنَ الأَئِمَّةِ، بِخَطَأِ ضَمْرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَتَفَرُّدِهِ، وَمِنْ ثَمَّ الْحُكْمُ عَلَى حَدِيثِهِ بِالنَّكَارَةِ؛ خِلَافًا لِقَوْلِ مَنْ أَثْبَتَ الرِّوَايَةَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ كَابْنِ حَزْمٍ، وَعَبْدِ الْحَقِّ الإِشْبِيلِيِّ، وَابْنِ الْقَطَّانِ، كَمَا فِي «نَصْبِ الرَّايَةِ» لِلزَّيْلَعِيِّ (٢٧٩/٣)، وَابْنِ التُّرْكُمَانِيِّ فِي «الْجَوْهَرِ النَّقِيِّ» (٢٩٠/١٠)، وَمِنَ الْمُعَاصِرِينَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» (١٧٠/٦)، وَالْحُوَيْنِيُّ فِي «غَوْثِ الْمَكْدُودِ» (٩٧٢).

وَكَمَا قُلْتُ أَنَّ الشَّاهِدَ مِنْ ذِكْرِ الْحَدِيثِ هُنَا؛ هُوَ مَا قَالَهُ ابْنُ حَزْمٍ، وَلَيْسَ تَحْقِيقُ النِّزَاعِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَقَدْ لَخَّصْتُ الرَّاجِحَ الَّذِي أَعْتَقِدُهُ فِي مَطْلَعِ الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ هُنَا أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلَى رَأْيِ الْأُسْتَاذِ فِي عِبَارَاتِ ابْنِ حَزْمٍ ﷺ مَعَ مُخَالِفِيهِ، وَهِيَ مِنْ أَرْفَقِ عِبَارَاتِهِ هُنَا إِذَا قِيسَتْ بِغَيْرِهَا!.

فَهَلْ قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ أَنَّ مَنْ أَعَلَّ الرِّوَايَةَ بِتَفَرُّدِ ضَمْرَةَ، وَخَطَّأَهُ، كَأَنَّهُ لَحِقَ بِالْمُعْتَزِلَةِ فِي عَدَمِ قَبُولِ رِوَايَةِ الْوَاحِدِ عَنِ الْوَاحِدِ، وَكَمْ مِنْ خَبَرٍ انْفَرَدَ بِهِ رَاوِيهِ فَقَبِلُوهُ!.

السُّؤَالُ هُنَا: هَلْ يَحْتَجُّ عَلَى الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَصَّلُوا لِقَبُولِ خَبَرِ الْأَحَادِ، وَتَفَرُّدِ الْأَثْبَاتِ، بِمِثْلِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ؟! - وَإِنْ أَرَادَ غَمْزَ الشَّافِعِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ-

وَهل غَابَ عَنْ أَئِمَّة النَّقْد مثْلَ هَذه الْبَديهيَّة! ومعلُومٌ أَنَّ الخطأَ واردٌ في رِوَايَة أَكَابِرِ الْحُفَّاظ، وَلا يُتَرَدَّدُ بِالْحُكْمِ عليها بِالنَّكَارَة، مع التَّسْلِيمِ بِإِمَامَتِهِم عدالةً وَضَبْطًا، ثُمَّ، هَلْ يُحَاكَمُ الْأَئِمَّةُ للقواعد التي أُخذَتْ من أحكامِهِمْ عَلَى الرِّوَايَات؟! إِنَّ هَذا مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ! وَالَّذي أَتَمَنَّى أَنْ يُدْلِي الْأُسْتَاذُ بِدَلْوه في هَذه الْمَسْأَلَة، وَلا يحيد بِذِكْرِ مَنْ وافق ابْنَ حَزْمٍ فِي إِثْبَات الخبر، فَقَدْ نَبَّهتُ أَنَّ الشَّاهدَ من ذِكْرِ هَذَا الْمِثَالِ أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَئِمَّة رُبَّمَا شَدَّدَ في رَدِّه على مُخَالفيه، وَكَانَ التَّرْكُ لِذَلِكَ أَوْلَى بِلا رَيْبٍ.

وَلِلعِلْمِ: فَقَدْ أَخبرَنِي شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ عِبَارَاتِهِ الشَّدِيدَة أَحْيَانًا في رَدِّه عَلَى مُخَالفيه في صَدْرِ شَبَابِه، كَانتْ بِسَبَبِ ارتبَاطه بِمؤلَّفات ابْن حَزْمٍ، وَذَلِكَ لِتَأَثُّرِه بِحِدَّه ذَكَائه، وسعة علمه، ولَيْس لموافقته عَلَى مَذْهَبِه وَظَاهِرِيَّته، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا تدارك شَيْخُنَا الْأَمْرَ، وَحَفظ لِلإمام قدْرَه، مع رَدِّه عَلَيْه في أَكْثَر من مسألة، ولكن وجد أَنَّ الرِّفْقَ فِي الرَّد عَلَى مُخَالفه أَوْلَى لقبول الحقِّ، وَأَسْلَمَ لصيانة النَّفْسِ أَنْ يُسَاءَ بِهَا الظَّنُّ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْبَعْض لا يَكُفُّ عَنْ إِسَاءَة الظَّن، كَهَذَا الَّذي أَرسَلَ لِشَيْخِنَا ذَاتَ مَرَّةٍ عتَابًا شَديدًا عندما ذَكَرَ ابْنَ حَزْمٍ وَلَمْ يَقُلْ: رحمه الله، فَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يَتَرَحَّمُ عَلَى ابْنَ حَزْمٍ، وَابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَغيرِهِم من الْأَئِمَّة رَغْمَ أَنف التَّكفيريِّين - كَمَا ذَكَرَ شَيْخُنَا- الذين يقعُونَ فِي الْأَئِمَّة، ويرمُونهم بِالضَّلَالِ وَالْبِدْعَة، وَالانحرَاف، وَلا يَعْذُرُونَهُمْ فِيمَا زَلُّوا فيه، وَلَا يَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِمْ، وَأَسْهَبَ شَيْخُنَا فِي الاسْتِدْلَالِ بِكَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رحمه الله فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»، وَغَيْرِهِ فِي هَذَا الْبَابِ.

وَخِتَامًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَقُولُ لِلْأُسْتَاذِ:

هَوِّنْ عَلَيْكَ، إِنَّ رُدُودَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتَقْيِيمَ هَذِهِ الرُّدُودِ بِالتَّشَدُّدِ تَارَةً، وَبِالتَّسَاهُلِ أُخْرَى، فَهَذَا مَا تَفْنَى دُونَهُ الْأَعْمَارُ، فَكُنْ مُنْصِفًا، وَتَحَلَّ بِمَا أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ بِهِ

فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِكَ؛ مِنَ الرِّفْقِ وَعَدَمِ التَّعَصُّبِ، وَ... وَ...، وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَ الْمُخَالِفِ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

● الْوَقْفَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص١٨): وَلَقَدْ انْتَقَدَ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْخَ الْعَلَّامَةَ مُقْبِلَ بْنَ هَادِي الْوَادِعِيَّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ (ج٣/ص٧-١١)، فَقَالَ:

وَلَقَدْ وَصَلَنِي -حَدِيثًا- كِتَابُ: «قُرَّةُ الْعَيْنَيْنِ بِرَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ» لِلْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، نَشَرَتْهُ دَارُ الْأَرْقَمِ، الْكُوَيْتُ، وَكُتِبَ عَلَى لَوْحَتِهِ: تَحْقِيقُ (...)، رَاجَعَهُ: مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الْوَادِعِيُّ.

فَلَمَّا نَظَرْتُ فِي الْكِتَابِ، لَمْ يُعْجِبْنِي تَحْقِيقُهُ، وَوَجَدْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ الَّتِي أَشَرْتُ إِلَيْهَا فِيمَا سَبَقَ.

ثُمَّ نَقَلَ الْأُسْتَاذُ عَنْ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ مَا دَلَّلَ بِهِ عَلَى كَلَامِهِ الْمُتَقَدِّمِ، وَمَا مَثَّلَ بِهِ لِذَلِكَ، حَتَّى خَتَمَ شَيْخُنَا الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ: وَإِنِّي أَسْأَلُ أَخَانَا مُقْبِلَ بْنَ هَادِي: هَلْ رَاجَعْتَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً؟ أَمْ هُوَ مُجَرَّدُ وَضْعِ اسْمِكَ عَلَى لَوْحَةِ الْكِتَابِ رَجَاءَ كَثْرَةِ التَّوْزِيعِ؟

وَالَّذِي أَكَادُ أَجْزِمُ بِهِ -تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِالْأَخِ مُقْبِلٍ- أَنَّهُ إِنَّمَا تَصَفَّحَ الْكِتَابَ عَلَى عَجَلٍ، وَلَمْ يَتَدَبَّرْ مَا صَنَعَهُ الْمُحَقِّقُ، فَوَقَعَتْ فِيهِ الْأَغَالِيطُ الْعَدِيدَةُ الَّتِي يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ مَطْبَعِيَّةً، لِأَنَّ الْمُحَقِّقَ بَنَى عَلَيْهَا أَحْكَامَهُ.

وَمَبْلَغُ عِلْمِي عَنِ الْأَخِ مُقْبِلٍ أَنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ عَلَى السُّنَّةِ، يُنَافِحُ عَنْهَا مَا أَمْكَنَهُ، وَيَعْلَمُ خُطُورَةَ التَّلَاعُبِ بِكُتُبِهَا -وَلَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ- وَكَمْ مِنْ كِتَابٍ كُتِبَ عَلَى لَوْحَتِهِ: رَاجَعَهُ:

مُقْبِلُ بْنُ هَادِي، وَهُو يَحْتَاجُ إِلَى مُرَاجَعَةٍ فِعْلًا.

فَأُنَاشِدُ أَخَانَا الْعَزِيزَ أَنْ يُرَاجِعَ الْكُتُبَ الَّتِي تَأْتِيهِ مُرَاجَعَةً دَقِيقَةً، فَإِنْ كَانَ الْوَقْتُ عَزِيزًا عِنْدَهُ، فَلْيَعْتَذِرْ، وَلَا يَسْمَحْ بِكِتَابَةِ اسْمِهِ عَلَى لَوْحَةِ الْكِتَابِ، فَإِنَّ هَذَا أَنْفَى لِلتُّهْمَةِ، وَأَرْجَى لِقَبُولِ الْعُذْرِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ. اهـ.

قُلْتُ: وَفِي كَلَامِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ نَظَرٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نَقْلِهِ لِكَلَامِ الشَّيْخِ كَامِلًا، إِلَّا أَنَّهُ أَوْهَمَ مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ مِنْ الْقُرَّاءِ عَلَى قِرَاءَةِ كَلَامِ الْمُتَعَقَّبِ، وَيَكْتَفُونَ بِكَلَامِ الْمُتَعَقِّبِ! أَنَّ الشَّيْخَ يَرُدُّ عَلَى أَخْطَاءِ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ فِي تَحْقِيقِهِ لِلْكِتَابِ!!.

وَهَذِهِ غَفْلَةٌ عَجِيبَةٌ! أَرَادَ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ أَنْ يُؤَكِّدَهَا، فَقَالَ (ص٢١): «وَإِنِّي سَأَضَعُ فِي الْمُقَدِّمَةِ هَذَا الْخَطَأَ مِنْ جُمْلَةِ أَخْطَاءِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ، وَهُوَ الْمُؤَلِّفُ، وَلَيْسَ الْمُحَقِّقُ كَمَا هُوَ شَأْنُ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ الْوَادِعِيِّ» اهـ.

وَقَالَ أَيْضًا (ص٢١)، قَبْلَ الْفِقْرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ: «وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا فَعَلَهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ مَعَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَادِعِيِّ، فَإِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَي الشَّيْخِ بِنَفْسِ النَّصِيحَةِ الَّتِي نَصَحَ بِهَا الشَّيْخَ مُقْبِلَ بْنَ هَادِى الْوَادِعِيَّ، أَنْ يُشْرِفَ بِنَفْسِهِ عَلَى كِتَابَاتِهِ، وَتَخْرِيجَاتِهِ، حَتَّى لَا يَقَعَ بِمَا وَقَعَ بِهِ -الْوَادِعِيُّ كَمَا زَعَمَ الْحُوَيْنِيُّ-» اهـ.

هَكَذَا زَعَمَ، وَتَجَاوَزَ الْأُسْتَاذُ!!.

وَالشَّيْخُ مُقْبِلُ بْنُ هَادِى ﵀ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِتَحْقِيقِ الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا رَاجَعَهُ -هَكَذَا قَالُوا- وَهُوَ مَا كُتِبَ عَلَى لَوْحَتِهِ الْأُولَى: رَاجَعَهُ مُقْبِلُ بْنُ هَادِى الْوَادِعِيُّ، وَهَذَا صَرِيحٌ بَيِّنٌ فِي كَلَامِ شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ.

فَهَلْ غَرَّهُ أَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ الْمُحَقِّقِ؟!

فَكِتَابُ «قُرَّةِ الْعَيْنَيْنِ بِرَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ» لِلْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ ﵀، تَحْقِيقُ: أَحْمَدَ الشَّرِيفِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأَخْطَاءِ الَّتِي أَلْمَحَ لَهَا شَيْخُنَا الْحُوَيْنِيُّ، وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُحَقِّقَ لَمْ يَذْكُرْ مُقَدِّمَةً لِلْكِتَابِ، وَلَا مُقَدِّمَةً لِمُرَاجِعِهِ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ، وَقَدْ طُبِعَ هَذَا الْكِتَابُ فِي عَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

الثَّانِي: أَنَّ الشَّيْخَ أَرَادَ زَيْنَ الشَّيْخِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي ﵀ لِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ وَمَا عُرِفَ بِهِ مِنْ غَيْرَةٍ عَلَى السُّنَّةِ، أَنْ يُسْتَغَلَّ اسْمُهُ مِنْ قِبَلِ أَحَدٍ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، كَدَارِ نَشْرٍ، أَوْ مُؤَلِّفٍ، أَوْ مُحَقِّقٍ لِكِتَابٍ مِنْ كُتُبِ أَئِمَّتِنَا مِنَ السَّلَفِ.

كَمَا أَنَّنِي لَا أَنْفِي أَنَّ الشَّيْخَ مُقْبِلًا ﵀ قَدَّمَ بَعْضَ الْكُتُبِ لِجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ هُنَا عَنْ هَذَا الصِّنْفِ مِمَّنْ خَرَجَتْ كُتُبُهُمْ مُقْتَرِنَةً بِاسْمِ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ ﵀، وَبِهَا مَا بِهَا مِنْ أَخْطَاءٍ عِلْمِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَى خَلَلٍ فِي التَّأْصِيلِ الْعِلْمِيِّ عِنْدَهُمْ آنَذَاكَ، فَكَأَنَّ شَيْخَنَا أَرَادَ أَنْ يَصُونَ الشَّيْخَ مُقْبِلًا نَفْسَهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا، فَمَا هِيَ الْمُشْكِلَةُ إِذًا؟!

وَالشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ شَهِدَ بِمَا عَلِمَ مِنْ صَنِيعِ الْمُحَقِّقِ - غَفَرَ اللهُ لَهُ- فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَحَالُهُ فِي غَيْرِهِ لَا شَأْنَ لَنَا بِهِ هُنَا.

الثَّالِثُ: مَا أَخَذَهُ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ -حَفِظَهُ اللهُ- عَلَى مُحَدِّثِ الْيَمَنِ الشَّيْخِ مُقْبِلِ ابْنِ هَادِي ﵀ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ، فَعَلَهُ مُحَدِّثُ بِلَادِ الشَّامِ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ ﵀، كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٨٦/٧)، حَيْثُ قَالَ: «وَحَقًّا، إِنَّ عَجَبِي لَا يَكَادُ يَنْتَهِي مِنْ أَخِينَا الْفَاضِلِ الشَّيْخِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي؛ كَيْفَ يَحُضُّ هَذَا وَأَمْثَالَهُ مِنَ النَّاشِئِينَ- مِثْلَ

الْعَدَوِيّ(١) وَالْمُؤَذِّن وَنَحْوِهِمَا- عَلَى أَنْ يَتَسَلَّقُوا سُلَّمَ النَّقْدِ فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَهُم-بَعْدُ- فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ؟! وَأَنْ يَشْغَلُونَا عَمَّا نَحْنُ فِي صَدَدِهِ -مِنْ خِدْمَةِ كُتُبِ السُّنَّةِ- بِالرَّدِّ عَلَى أَمْثَالِهِمْ، وَلَوْ بِقَدْرٍ ضَئِيلٍ مِنَ الْوَقْتِ؟!

وَلَا يَشْفَعُ لَهُ ذَلِكَ، قَوْلُهُ فِي تَقْدِيمِهِ لِلرِّسَالَةِ (ص٩): «وَالْأَخ عَادِل -حَفِظَهُ اللهُ- وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِمَنْزِلَةِ مُحَدِّث الْعَصْرِ الشَّيْخ نَاصِرِ الدِّين...».

(١) وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَيْخَنَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيّ -حَفِظَهُ اللهُ- لَهُ رُدُودٌ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْحَدِيثِيَّة، وَالْفِقْهِيَّة، عَلَى الْإِمَامِ الْمُحَدِّث مُحَمَّد نَاصِرِ الدِّين الْأَلْبَانِيِّ ﵀، لَا سِيَّمَا فِي مَطْلَعِ طَلَبِ شَيْخِنَا الْعَدَوِيّ لِلْعِلْمِ، وَوَرَدَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الرُّدُودِ عِبَارَات مِنْ شَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي حَقِّ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ لَا نُقِرُّهُ عَلَيْهَا بِحَالٍ، مَعَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَكَانَ سَمَاحَةُ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيّ مَعَ مَحَبَّتِهِ وَتَقْدِيرِهِ لِشَيْخِنَا الْعَدَوِيّ، إِذَا سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْعِبَارَات، يَقُولُ: مَا كَانَ يَنْبَغِي أَبَدًا أَنْ تُقَالَ فِي مِثْلِ شَيْخِنَا الْأَلْبَانِيِّ لِجَلَالَةِ قَدْرِهِ، وَفَضْلِهِ عَلَى الْمُخَالِفِينَ لَهُ قَبْلَ الْمُحِبِّينَ؛ حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَ مُخَالِفِهِ.
مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ شَيْخَنَا الْعَدَوِيّ -حَفِظَهُ اللهُ وَنَفَعَ بِهِ-حَاوَلَ فِي مُنَاسَبَات عِدَّة أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ مَا قَصَدَ انْتِقَاصَ الشَّيْخ الْأَلْبَانِيِّ ﵀، وَلَعَلَّ ذِكْرَ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ لَهُ هُنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِكِتَابِهِ «نَظَرَاتٌ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، مَعَ خَالِدِ ابْنِ أَحْمَدَ الْمُؤَذِّن.
وَقَدْ سَأَلْتُ شَيْخَنَا الْعَدَوِيّ-حَفِظَهُ اللهُ-عَنْ مَسَائِل؛ فِي زِيَارَةٍ لَهُ فِي بَيْتِهِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ السَّادِسِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لِعَامِ أَلْف وَأَرْبَعمِئَة وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَكَانَ مِنْ أَسْئِلَتِي لَه-حَفِظَهُ اللهُ-: مَا قَوْلُكَ فِيمَا يُقَالُ: «أَنَّكَ تَتَحَامَلُ عَلَى الشَّيْخِ الْأَلْبَانِي ﵀؟!».
فَأَجَابَ شَيْخُنَا الْعَدَوِيُّ: هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَأَنَا أُجِلُّ الْإِمَامَ الْأَلْبَانِيَّ ﵀، وَأَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ، وَإِنَّمَا غَرَّهُمْ رَدِّي عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ، وَقَدْ أَوْضَحْتُ رَأْيِي فِي الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ فِي كِتَابٍ لِي طُبِعَ مُؤَخَّرًا بِعُنْوَانِ «التَّرْشِيد»، سَجَّلْتُ فِيهِ مَا أَدِينُ للهِ بِهِ فِي حَقِّ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ، وَعِنْدَمَا جَلَسْنَا فِي غُرْفَةٍ مِنَ الْمَنْزِلِ قَالَ شَيْخُنَا الْعَدَوِيُّ سَوْفَ آتِيكَ «بِكِتَابِ التَّرْشِيد» لِتَرَى بِنَفْسِكَ، ثُمَّ جَاءَنِي بِهِ، وَقَالَ اقْرَأْ مَا قُلْتُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكِتَابِ، فَقَرَأْتُ: «**كَلِمَةُ حَقٍّ فِي الْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ ﵀: إِنَّ الشَّيْخَ نَاصِرَ الدِّينِ الْأَلْبَانِيَّ -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ، وَأَنَارَ لَهُ قَبْرَهُ، وَوَسَّعَ لَهُ فِيهِ، وَيَشْهَدُ اللهُ عَلَى مَحَبَّتِنَا لَهُ، وَدُعَائِنَا لَهُ- مِنَ الْمَنْزِلَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِمَكَانٍ كَرِيمٍ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يُنْكِرُ فَضْلَهُ إِلَّا الْجَاحِدُونَ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْعَصْرِ فِيمَا عَلِمْتُ، وَشَهِدْتُ بِهِ؛ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا، فَاللهُ حَسِيبُهُ**»، فَقَالَ شَيْخُنَا الْعَدَوِيُّ: وَهَذَا فَصَّلْتُهُ، وَبَيَّنْتُهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ لِي: بِكُلِّ أَسَفٍ لَا يُوجَدُ عِنْدِي الْآنَ مِنْ كِتَابِ «التَّرْشِيدِ» إِلَّا هَذِهِ النُّسْخَة، وَسَوْفَ آتِيكَ بِغَيْرِهَا، فَأَعْطَانِي بَعْضَ مُؤَلَّفَاتِهِ، وَكَانَ مِنْهَا «يَوَاقِيتُ الْفَلَاةِ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ»، حَفِظَ اللهُ شَيْخَنَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ، وَنَفَعَ بِعِلْمِهِ.

فهذا حق وصدق، بل أنا أشهد على نفسي أنني دون ذلك بكثير، ولكني -مع ذلك- أرى أن من الواجب على الشيخ مقبل أن ينصح أولئك الناشئين أن يدأبوا على دراسة هذا العلم حتى ينبغوا فيه، وأن ينشروا ما ينفع الأمة من البحوث الحديثية والفقهية، مما يعلمون أن الناس بحاجة إليه، حتى يطلع الناس على ثمرة علمهم، ويشهد لهم به!

ألا يعلم هؤلاء، أنهم إذا قاموا بالرد على من يزعمون بأنه: «محدث العصر»، أن هذا يدفعنا للرد عليهم، وبيان عوارهم وجهلهم بهذا العلم، وأنهم تزببوا قبل أن يتحصرموا؟!» اهـ.

فما فعله شيخنا الحويني ليس متفردًا به، وكان ملاحظًا عند بعض أهل العلم، خلافًا لمن أقر الشيخ مقبل على طريقته في التقديم، والمراجعة، للناشئة في الطلب.

ومع ذلك فرد الشيخ الحويني عليه لم يكن تمهيدًا لتتبع أخطائه، وتعقبه في مؤلفاته، كما يروق للبعض!

ولا أنسى بعد وفاة فضيلة الشيخ مقبل بن هادي بعد غروب شمس يوم السبت، في الثلاثين من شهر ربيع الآخر لعام ألف وأربعمئة واثنين وعشرين من الهجرة، كان لسماحة شيخنا الحويني مجلس في «شرح صحيح مسلم»، وقد افتتحه، بعدما حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وآله وصحبه، بذكر خبر وفاة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وأثنى عليه خيرًا، وعلى جهوده في خدمة السنة، وذكر لنا موقفًا مع الشيخ مقبل، أن شابًا أرسل له رسالة تجاوز فيها معه حد النصح! بسبب رده على الشيخ مقبل في «مقدمة غوث المكدود»، فأرسل الشيخ مع أحد الإخوة رسالة للشيخ مقبل، وبين له ما قد كان، فما كان من الشيخ مقبل إلا أنه رد على الرسالة بمثلها،

وَأَعْتَذَرَ فِيهَا لِلشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ عَمَّا بَدَرَ مِنْ تَجَاوُزٍ مِنْ هَذَا الشَّابِّ.

وَفِي مُكَالَمَةٍ هَاتِفِيَّةٍ مِنْ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ -وَكَانَ فِي جِدَّةَ- لِلشَّيْخِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي، قَالَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ: وَكَانَ الشَّيْخُ مُقْبِلُ ﷺ قَدْ ثَقُلَ سَمْعُهُ، فَأَخَذْتُ أَرْفَعُ صَوْتِي، وَجَاءَ ذِكْرُ مَا كَانَ مِنَ الْوَاقِعَةِ الْمَذْكُورَةِ، فَقَالَ الشَّيْخُ مُقْبِلٌ لِشَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ: لَوْ وَصَلْتُ إِلَى هَذَا الشَّابِّ لَعَنَّفْتُهُ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ تَجَاوُزٍ.

وَهَذَا خُلُقٌ مَحْمُودٌ مِنَ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَنْكِفُ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ، وِفْقَ قَانُونِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَذَا مِنْ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ؛ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ مَقْصِدَهُ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي أَنْكَرَهُ الْبَعْضُ عَلَيْهِ! وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ تُغْلِقُ الْبَابَ عَلَى مَنْ يُرِيدُ الْوَقِيعَةَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَمْ مِنْ كَلَامٍ نُقِلَ لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ، وَلِغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَعَلَّقُوا الْجَوَابَ عَلَى صِحَّةِ النَّقْلِ، وَنُشِرَ بَعْدَ بَتْرِ السُّؤَالِ مِنَ الْجَوَابِ، وَلَمْ يُذْكَرْ تَارِيخُ السُّؤَالِ، وَيَقُولُونَ: هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ الدَّامِغُ فِي شَأْنِ كَذَا وَكَذَا، وَبَيَانِ حَالِ فُلَانٍ...... بِصَوْتِ الشَّيْخِ!

وَقَدْ حَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ بِمَوْقِفِهِ الْمُتَقَدِّمِ مَعَ الشَّيْخِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي مَرَّةً أُخْرَى مُنْذُ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ لِعَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، بِمَنْزِلِهِ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

وَأَتَمَنَّى أَنْ يَعِيَ الْأُسْتَاذُ الرِّسَالَةَ، غَفَرَ اللهُ لَنَا وَلَهُ.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

• الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:

قَالَ الْأُسْتَاذُ (ص٢١): «وَإِنِّي سَأَضَعُ فِي الْمُقَدِّمَةِ هَذَا الْخَطَأَ مِنْ جُمْلَةِ أَخْطَاءِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ، وَهُوَ الْمُؤَلِّفُ، وَلَيْسَ الْمُحَقِّقُ كَمَا هُوَ شَأْنُ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ الْوَادِعِيِّ».

ثُمَّ ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ الْحَدِيثَ (٣/ص١٨١/٨٩٦)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁، فِي قِصَّةِ «**الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي نَحَرَ نَاقَتَهُ بِوَتَدٍ**»، كَمَا فِي كِتَابِ الذَّبَائِحِ، وَتَصْحِيحِ الشَّيْخِ لِإِسْنَادِهِ، وَذِكْرِ الشَّيْخِ لِشَاهِدٍ لَهُ مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﵁، رَوَاهُ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، عَنْهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ الْحَاكِمِ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ»، وَسُكُوتَ الذَّهَبِيِّ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: وَلَيْسَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ مُرِّيَّ بْنَ قَطَرِيٍّ فَضْلًا عَنْ أَنَّ مُسْلِمًا لَمْ يُخَرِّجْ لَهُ شَيْئًا، فَهُوَ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ.

ثُمَّ نَقَلَ الشَّيْخُ كَلَامَ الْحَافِظِ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ كَمَا سَيَأْتِي مُفَصَّلًا فِي التَّعْلِيقِ عَلَى الِاسْتِدْرَاكِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ (ص١٩٩).

وَاسْتَدْرَكَ الْمُعْتَرِضُ بِقَوْلِهِ: «وَفَاتَ الْحُوَيْنِيَّ أَنَّ مُرِّيَّ بْنَ قَطَرِيٍّ ثِقَةٌ، فَقَدْ وَثَّقَهُ إِمَامُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ كَمَا فِي «تَارِيخِ ابْنِ مَعِينٍ - رِوَايَةُ عُثْمَانَ الدَّارِمِيِّ»، قَالَ الدَّارِمِيُّ (٧٦٦): وَسَأَلْتُ يَحْيَى عَنْ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، فَقَالَ: ثِقَةٌ.

فَمَاذَا [أَنَا]! قَائِلٌ أَبَا إِسْحَاقَ؟

وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ كَامِلًا فِي مَوْقِعِهِ» اهـ.

قُلْتُ: حَاوَلَ الْأُسْتَاذُ بِضَرْبِ هَذَا الْمِثَالِ أَنْ يُقَلِّدَ الشَّيْخَ فِي تَعَقُّبِهِ لِمُحَقِّقِ كِتَابِ «قُرَّةُ الْعَيْنَيْنِ بِرَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ»، وَأَنْ يُلْزِمَهُ بِمِثْلِ صَنِيعِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَخْفَقَ فِي مَوَاضِعَ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْأُسْتَاذَ انْتَقَى مِثَالًا يَتَعَلَّقُ بِرَاوٍ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُوَ مُرِّيُّ بْنُ قَطَرِيٍّ، وَلِلشَّيْخِ سَلَفٌ فِي حُكْمِهِ عَلَيْهِ كَمَا سَأَذْكُرُ، أَمَّا مَا مَثَّلَ بِهِ شَيْخُنَا فِي رَدِّهِ عَلَى الْمُحَقِّقِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ، تَتَعَلَّقُ بِأَخْطَاءٍ، وَتَصْحِيفَاتٍ فِي أَسْمَاءِ الرُّوَاةِ وَتَعْيِينِهِمْ، قَدْ أَثَّرَتْ

فِي الْحُكْمِ عَلَى الْأَخْبَارِ، مِمَّا يُسْتَبْعَدُ مَعَهُ أَنْ تَكُونَ أَخْطَاءً مَطْبَعِيَّةً كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ.

الثَّانِي: أَوْهَمَ الْأُسْتَاذُ هُنَا أَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يُسْبَقْ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ مُرِّيَّ بْنَ قَطَرِيٍّ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ، وَجَزَمَ بِخَطَئِهِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ تَرَاجَعَ الْمُعْتَرِضُ -فِي ظَاهِرِ صَنِيعِهِ- عَنْ إِفْرَادِ الْحُوَيْنِيِّ بِالْخَطَأِ فِي الْقَوْلِ بِجَهَالَةِ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، وَأَلْحَقَ بِهِ الْأَلْبَانِيَّ، وَشُعَيْبَ الْأَرْنَؤُوطِ فِي «الِاسْتِدْرَاكِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ»! وَهَذَا، عَلَى الرَّغْمِ أَنَّ حَالَ الرَّاوِي مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَمِنْ تَمَامِ الْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيَانُ ذَلِكَ وَعَدَمُ كِتْمَانِهِ، فَإِنْ وَقَعَ فِي هَذَا، فَكَأَنَّهُ يَتَجَاهَلُ قَوْلَ الْمُخَالِفِ!

وَسَوْفَ يَأْتِي مَعَنَا التَّعْلِيقُ عَلَى نَقْلِ الْمُعْتَرِضِ لِتَوْثِيقِ الْإِمَامِ ابْنِ مَعِينٍ، وَكَذَا مَنْ قَالَ بِجَهَالَةِ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ غَيْرَ مَنْ ذَكَرَهُمْ!

وَلَكِنْ، أُشِيرُ هُنَا أَنَّ هَذَا التَّوْثِيقَ عَنِ ابْنِ مَعِينٍ لَمْ يَنْتَشِرْ عَنْهُ، إِذْ لَا يُعْرَفُ ذَلِكَ إِلَّا فِي «رِوَايَةٍ لِتَارِيخِهِ».

وَذَكَرَ الْبُوصِيرِيُّ أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ لَا يُعْرَفُ، وَتَوَسَّطَ ابْنُ حَجَرٍ فَقَالَ: مَقْبُولٌ.

أَمَّا قَوْلُ الْمُعْتَرِضِ لِلشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ: فَمَاذَا [أَنَا]! قَائِلٌ أَبَا إِسْحَاقَ؟

فَإِنْ سَلَّمْنَا بِصِحَّةِ عِبَارَةِ الْمُعْتَرِضِ، لَظَهَرَ لَنَا كَمْ هُوَ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ!!

وَرُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: فَمَاذَا [أَنْتَ]! قَائِلٌ أَبَا إِسْحَاقَ؟

وَسَيَأْتِيكَ قَوْلُ الشَّيْخِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَأَمَّا قَوْلُ الْمُعْتَرِضِ: وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ كَامِلًا فِي مَوْقِعِهِ. اهـ.

فَأَقُولُ لَهُ: وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ التَّفْصِيلُ فِي الرَّدِ عَلَيْكَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ «الِاسْتِدْرَاكِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ».

الثَّالِثُ: فِي «اسْتِدْرَاكِهِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ»، ذَكَرَ تَخْرِيجَ شَيْخِنَا كَامِلًا، ثُمَّ تَخْرِيجَ شَيْخِنَا شُعَيْبٍ لِلْحَدِيثِ كَامِلًا فِي «الْمُسْنَدِ»، وَ«صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ»، ثُمَّ تَخْرِيجَ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الْإِرْوَاءِ»، لِبَيَانِ مُوَافَقَتِهِمَا لِشَيْخِنَا بِالْقَوْلِ بِجَهَالَةِ مُرِّيٍّ.

وَخُلَاصَةُ ذَلِكَ: قَالَ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي تَعْلِيقِهِ[1] عَلَى «الْمُسْنَدِ» (٣٠/١٨٦): «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لِجَهَالَةِ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «الْمِيزَانِ»: «لَا يُعْرَفُ، تَفَرَّدَ عَنْهُ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ»، وَلَمْ يَرِدْ تَوْثِيقُهُ عَنْ غَيْرِ ابْنِ حِبَّانَ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ، غَيْرَ سِمَاكٍ -وَهُوَ ابْنُ حَرْبٍ الْمَذْكُورُ- فَمِنْ رِجَالِ مُسْلِمٍ، وَهُوَ صَدُوقٌ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ: هُوَ ابْنُ مَهْدِيٍّ، وَسُفْيَانُ: هُوَ الثَّوْرِيُّ... إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ».

وَقَالَ أَيْضًا (٣٠/٢٠١): «صَحِيحٌ، وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لِجَهَالَةِ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، وَسَلَفَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ بِرَقْمِ (١٨٢٥٠)، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ، غَيْرَ سِمَاكٍ، فَمِنْ رِجَالِ مُسْلِمٍ، وَهُوَ صَدُوقٌ.

وَأَخْرَجَهُ بِتَمَامِهِ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ (١٠٣٣-١٠٣٤)، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ فِي «الْجَعْدِيَّاتِ» (٥٦٢-٥٦٣-٥٦٤)، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْمِزِّيُّ فِي «تَهْذِيبِ الْكَمَالِ» (٢٧/٤١٤-٤١٥)، وَابْنُ حِبَّانَ (٣٣٢)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٧/٢٤٧-٢٥٠-٢٥١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ» (٧/٢٧٩) مِنْ طُرُقٍ، عَنْ شُعْبَةَ، بِهِ... إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ».

---

(١) قُلْتُ: وَفِي نِسْبَةِ هَذَا التَّعْلِيقِ لِشَيْخِنَا شُعَيْبٍ نَظَرٌ، لِأَنَّ الْجُزْءَ الثَّلَاثِينَ مِنْ «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» شَارَكَهُ فِي تَحْقِيقِهِ، وَتَخْرِيجِهِ ثَلَاثَةٌ غَيْرُهُ، فَلِمَاذَا أَحَالَ عَلَيْهِ هُوَ فَقَطْ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ لَهُ الْإِشْرَافُ الْعَامُّ عَلَى تَحْقِيقِهِ؟! وَسَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ- مَزِيدٌ مِنَ الْبَيَانِ عَنْ هَذَا فِي التَّعْلِيقِ عَلَى «اسْتِدْرَاكِهِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ»!

وَقَالَ فِي تَحْقِيقِهِ «لابْنِ حِبَّانَ» (٤١/٢): «سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ حَسَنُ الْحَدِيثِ، إِلَّا فِي رِوَايَتِهِ عَنْ عِكْرِمَةَ، فَإِنَّهَا مُضْطَرِبَةٌ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ مُسْلِمٍ، وَرَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا، وَشَيْخُهُ مُرَيٌّ -بِالتَّصْغِيرِ- بْنُ قَطَرِيٍّ -بِفَتْحَتَيْنِ وَكَسْرِ الرَّاءِ مُخَفَّفًا- لَمْ يُوَثِّقْهُ غَيْرُ الْمُؤَلِّفِ (٤٥٩/٥)، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «لَا يُعْرَفُ، تَفَرَّدَ عَنْهُ سِمَاكٌ»... إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ».

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٦٦/٨): «وَلِلْحَدِيثِ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ مُرَيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرْسِلُ كَلْبِي، فَآخُذُ الصَّيْدَ فَلَا أَجِدُ مَا أُذَكِّيهِ بِهِ، فَأَذْبَحُهُ بِالْمَرْوَةِ وَالْعَصَا، قَالَ: «**أَنْهِرِ الدَّمَ بِمَا شِئْتَ، وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ** ﷻ».

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٨٢٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٠٦/٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (٣١٧٧)، وَالْحَاكِمُ (٢٤٠/٤)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ»، وَهَذَا مِنْ أَوْهَامِهِ الَّتِي لَمْ يُنَبِّهْ عَلَيْهَا الذَّهَبِيُّ، فَإِنَّ مُرَيَّ بْنَ قَطَرِيٍّ لَمْ يُخَرِّجْ لَهُ مُسْلِمٌ شَيْئًا، ثُمَّ هُوَ لَا يُعْرَفُ كَمَا قَالَ الذَّهَبِيُّ» اهـ.

وَهُنَا أُورِدُ إِشْكَالًا عَلَى الْمُعْتَرِضِ يَتَعَلَّقُ بِتَحْقِيقِ، وَتَخْرِيجِ الشَّيْخِ شُعَيْبٍ عَلَى «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، وَ«سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»، فَأَقُولُ لَهُ: مَا قَوْلُكَ فِيمَا جَاءَ فِي تَحْقِيقِ وَتَخْرِيجِ «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (٤٦٤/٤/ح٢٨٢٤)، لِلشَّيْخِ شُعَيْبٍ وَآخَرَ مَعَهُ: «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ مِنْ أَجْلِ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، فَهُوَ صَدُوقٌ، حَسَنُ الْحَدِيثِ، وَمُرَيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ، فَهُوَ ثِقَةٌ، حَمَّادٌ: هُوَ ابْنُ سَلَمَةَ،... إِلَى آخِرِ مَا ذُكِرَ فِي التَّخْرِيجِ».

وَأَيْضًا (٦٠٣/٥/ح٣٧٨٤)، جَاءَ فِي تَخْرِيجِهِ: «... أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٢٦٢)، وَابْنُ حِبَّانَ (٣٣٢)، مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ مُرَيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَجَعَلَهُ مِنْ «مُسْنَدِ عَدِيٍّ»، وَهَذَا سَنَدٌ حَسَنٌ، وَمُرَيُّ بْنُ قَطَرِيٍّ

وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ».

وَمَا قَوْلُكَ أَيْضًا فِيمَا جَاءَ فِي تَحْقِيقِ وَتَخْرِيجِ «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ» لِلشَّيْخِ شُعَيْبٍ وَجَمَاعَةٍ مَعَهُ (٤/ص١٠٠/ح٢٨٣٠)، عَنْ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، حَيْثُ قِيلَ فِيهِ: «وَمُرِّيُّ بْنُ قَطَرِيٍّ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ الدَّارِمِيِّ».

وَأَيْضًا فِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ» (٤/ص٣٤٦/ح٣١٧٧): «وَمُرِّيُّ بْنُ قَطَرِيٍّ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ؛ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ (٧٦٦)».

لَيْسَ هَذَا فَقَطْ! فَقَدْ قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٧/٢/ح٣٢٦٣): «وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا بَأْسَ بِهِ فِي الشَّوَاهِدِ؛ فَإِنَّ مُرِّيَّ بْنَ قَطَرِيٍّ حَالُهُ تَقْرِيبًا كَحَالِ ابْنِ حُبَيْشٍ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ وَثَّقَهُ أَيْضًا ابْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ فِيهِ الذَّهَبِيُّ: «لَا يُعْرَفُ، تَفَرَّدَ عَنْهُ سِمَاكٌ»...» اهـ.

فَمَاذَا أَنْتَ قَائِلٌ يَا أُسْتَاذُ عِمَادُ؟!!

هَلْ يُنْسَبُ هَذَا التَّخْرِيجُ لِلشَّيْخِ شُعَيْبٍ، أَمْ يُنْسَبُ لِمَنْ شَارَكُوهُ فِي التَّحْقِيقِ وَالتَّخْرِيجِ، وَمَنْ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ يُنْسَبُ لَهُ هَذَا الْكَلَامُ؟! وَإِنْ نَسَبْتَهُ لِلشَّيْخِ شُعَيْبٍ -وَهَذَا افْتِرَاضٌ لِتَعَذُّرِ تَأْكِيدِهِ- فَأَيُّ قَوْلٍ لَهُ فِي مُرِّيٍّ يُعْتَمَدُ عَنْهُ؛ هَلِ الْقَوْلُ بِجَهَالَةِ مُرِّيٍّ، أَمِ الْقَوْلُ بِتَوْثِيقِ ابْنِ مَعِينٍ لَهُ؛ وَهَذَا مَا سُقْتَ اسْتِدْرَاكَكَ لِأَجْلِهِ، أَمْ أَنَّكَ سَوْفَ تَنْظُرُ فِي طَبْعَةِ الْكُتُبِ، وَأَيُّهَا صَدَرَ قَبْلَ الْآخَرِ؟!!

وَظَهَرَ لَنَا أَيْضًا أَنَّ الْأَلْبَانِيَّ عَلِمَ أَنَّ مُرِّيَ بْنَ قَطَرِيٍّ، وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ! وَبِهَذَا يُسْتَدْرَكُ عَلَى الْمُعْتَرِضِ هَذَا الْفَوْتَ!

فَإِنْ قَالَ الْمُعْتَرِضُ: أَنَا ذَكَرْتُ كَلَامَ الْأَلْبَانِيِّ، وَشُعَيْبٍ؛ فِي مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ فِي حَدِيثٍ بِعَيْنِهِ!

فيُقَالُ لَهُ: إِنَّ مَدَارَ كَلَامِكَ عَنْ مُرِّيّ بْنِ قَطَرِيّ وَنَقْلَكَ لِتَوْثِيقِ ابْنِ مَعِينٍ لَهُ، هُوَ نَقْلٌ لِكَلَامٍ عَامٍّ فِي مُرِّيّ مُتَعَلِّقٌ بِحَالِهِ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَلَيْسَ كَلَامًا خَاصًّا بِرِوَايَةٍ بِعَيْنِهَا، وَلِذَلِكَ، كَانَ عَلَى الْمُعْتَرِضِ أَنْ يُفَتِّشَ فِي مُصَنَّفَاتِ مَنْ نَقَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ عَنِ الْكَلَامِ فِي مُرِّيّ بْنِ قَطَرِيّ إِنْ وُجِدَ، لِيَعْلَمَ مَبْلَغَ عِلْمِهِمْ فِي مُرِّيّ، وَهَلْ فَاتَهُمْ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِحَالِهِ، أَمْ لَا؟!

كَمَا تَغَافَلَ عَنْ ذِكْرِ مَنْ سَبَقَهُ بِالْكَلَامِ عَنْ حَالِ مُرِّيّ، وَالْإِشَارَةِ لِتَوْثِيقِ الْإِمَامِ ابْنِ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لَهُ، كَشَيْخِنَا حُسَيْنٍ أَسَد! حَيْثُ قَالَ فِي تَخْرِيجِهِ لِكِتَابِ «مَوَارِدِ الظَّمْآنِ إِلَى زَوَائِدِ ابْنِ حِبَّانَ» (١/ص١٦٦)، وَبِمِثْلِهِ قَالَ فِي (٥/ص٣٧٦)، وَاللَّفْظُ لِلْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ: «مُرِّيّ بْنُ قَطَرِيّ، تَرْجَمَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ» (٨/٥٧)، وَلَمْ يُورِدْ فِيهِ جَرْحًا وَلَا تَعْدِيلًا، وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ» (٨/٤٢٨)، وَمَا رَأَيْتُ فِيهِ جَرْحًا، وَوَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» (ص٢٠٦): «وَسَأَلْتُ يَحْيَى عَنْ مُرِّيّ بْنِ قَطَرِيّ، فَقَالَ: ثِقَةٌ»، وَصَحَّحَ الْحَاكِمُ حَدِيثَهُ (٤/٢٤٠)، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، ثُمَّ قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «مِيزَانِ الِاعْتِدَالِ» (٤/٢٤٠): «لَا يُعْرَفُ، تَفَرَّدَ عَنْهُ سِمَاكٌ»، وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «التَّقْرِيبِ»: «مَقْبُولٌ»، وَقَدْ فَاتَهُمَا تَوْثِيقُ ابْنِ مَعِينٍ لَهُ، وَهُوَ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ بِرَقَمِ (٣٣٢) بِتَحْقِيقِنَا...» اهـ.

الرَّابِعُ: قَصَّرَ الْأُسْتَاذُ فِي التَّفْتِيشِ عَنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي مُرِّيّ، إِذْ فَاتَهُ أَنَّ ابْنَ حِبَّانَ ذَكَرَهُ فِي «الثِّقَاتِ».

وَأَنَّ الْإِمَامَ ابْنَ حَزْمٍ، قَالَ فِي «الْمُحَلَّى» (٧/٤٥٢): **مَجْهُولٌ!!**

وَلَفْظُهُ: «... فَإِنْ ذَكَرُوا مَا رُوِّينَاهُ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ مُرِّيّ بْنِ قَطَرِيّ، عَنْ عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**أَنْهِرِ الدَّمَ بِمَا شِئْتَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ**»،

قُلْنَا: هَذَا خَبَرٌ سَاقِطٌ، لِأَنَّهُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، وَهُوَ يَقْبَلُ التَّلْقِينَ عَنْ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، وَهُوَ مَجْهُولٌ...» اهـ.

وَقَالَ أَيْضًا (٤٧٢/٧): «وَأَمَّا الْخَبَرُ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: فَأَحَدُ طَرِيقَيْهِ: مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَقَدْ رَوَى الْكَذِبَ الْمَحْضَ عَنِ الثِّقَاتِ، عَنْ أَسَدِ بْنِ مُوسَى وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، وَالْأُخْرَى: مِنْ طَرِيقِ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، وَهُوَ يَقْبَلُ التَّلْقِينَ عَنْ مُرِّيِّ بْنِ [قَطَرِيٍّ](١)، وَهُوَ مَجْهُولٌ...» اهـ.

وَهُنَا، فَاتَ الْمُعْتَرِضُ -وَهُوَ ظَاهِرِيٌّ- أَنْ يَنْقُلَ كَلَامَ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ فِي كِتَابِ «الْمُحَلَّى»!! وَمِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلَوِيَّاتِهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْلَ أَشْهَرِ إِمَامٍ فِي الْمَذْهَبِ الَّذِي زَعَمَ الِانْتِسَابَ إِلَيْهِ، فِي الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا إِنْ وُجِدَ لِلْإِمَامِ فِيهَا قَوْلٌ!

قَدْ بَيَّنْتُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ أَنَّ الْمُعْتَرِضَ ظَاهِرِيُّ الْمَذْهَبِ، وَهَذَا فَهِمْتُهُ مِنْ رُدُودِهِ وَتَعْلِيقَاتِهِ، عِنْدَ ذِكْرِ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ ﷺ، حَتَّى تَأَكَّدَ لِي ذَلِكَ، لَا سِيَّمَا مَعَ تَصْرِيحِهِ هُوَ، وَتَعْرِيفِهِ لِنَفْسِهِ بِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الظَّاهِرِيِّ!

وَهُنَا أَلْزَمَ الْمُعْتَرِضُ نَفْسَهُ بِمَسْؤُولِيَّةِ نَقْلِ كَلَامِ رَأْسِ الْمَذْهَبِ ابْنِ حَزْمٍ -وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ مَنْ أَسَّسَهُ- فِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ يَتَعَرَّضُ لَهَا، وَلِلظَّاهِرِيَّةِ فِيهَا قَوْلٌ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ لِابْنِ حَزْمٍ!

وَعَلَيْهِ، أَقُولُ لِلْمُعْتَرِضِ: أَيْنَ كَلَامُ ابْنِ حَزْمٍ فِي مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، وَقَدْ سَطَّرَهُ فِي «الْمُحَلَّى»!

وَلَا أَنْفِي أَنَّ الْمُعْتَرِضَ تَعَقَّبَ ابْنَ حَزْمٍ فِي مَوَاضِعَ، كَانَ مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ

(١) وَقَعَ فِي طَبْعَةِ الْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ - دَارُ التُّرَاثِ: «قَطَن»!! وَهَذَا تَصْحِيفٌ.

«التَّبيين في أوهام المُحدِّثين»، وقد تتبَّع فيه ابن حزم في أربعة وثلاثين موضعًا وهم فيها -كما زعم المُعترض-! وسيكون لي مع هذا الكتاب وقفات -إن شاء الله-، وقد تقدَّم معنا الإشارة إلي ذلك.

وسيأتي تفصيل ذلك، ورد ابن الملقن عليه في «البدر المنير» (٩/٢٥٣)، بقوله: «وقد رواه عن سماك: شعبة، وسفيان الثوري، وحمَّاد بن سلمة، وصححه الحاكم من حديث الثوري -كما تقدَّم- وسماك يكفينا احتجاج مسلم به، وقد تقدَّم أنَّ ابن حبان وثَّق مُرِّيَّ بن قطري، وصحَّح الحديث من جهته، وكذا الحاكم فزالت الجهالة» اهـ.

فكان على المُعترض ألَّا يُفرد الشَّيخ الحُويني بالرَّدِّ والتَّخطئة!!

الخامس: أضف إلى ما تقدَّم، عدم دقَّة الأُستاذ في النَّقل، فقد قال الشَّيخ الحُويني عن مُرِّي: مجهول، لا يُعرف.

ونقل الأُستاذ، بتصرُّف: مجهول الحال!

ويأتي تفصيل ما أجملناه في موضعه من «الاستدراك الخامس والأربعين» كما ذكرنا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وبهذا نكون قد انتهينا من الوقفات المُتعلِّقة بالتَّعليق على مُقدِّمة الأُستاذ -عفا الله عنه-، والله المُوفِّق.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

قُلْنَا: هَذَا خَبَرٌ سَاقِطٌ، لِأَنَّهُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، وَهُوَ يَقْبَلُ التَّلْقِينَ عَنْ مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، وَهُوَ مَجْهُولٌ....» اهـ.

وَقَالَ أَيْضًا (٤٧٢/٧): «وَأَمَّا الْخَبَرُ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: فَأَحَدُ طَرِيقَيْهِ: مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَقَدْ رَوَى الْكَذِبَ الْمَحْضَ عَنْ الثِّقَاتِ، عَنْ أَسَدِ بْنِ مُوسَى وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، وَالْأُخْرَى: مِنْ طَرِيقِ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، وَهُوَ يَقْبَلُ التَّلْقِينَ عَنْ مُرِّيِّ بْنِ [قَطَرِيٍّ][1]، وَهُوَ مَجْهُولٌ....» اهـ.

وَهُنَا، فَاتَ الْمُعْتَرِضَ -وَهُوَ ظَاهِرِيٌّ- أَنْ يَنْقُلَ كَلَامَ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ فِي كِتَابِ «الْمُحَلَّى»!! وَمِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلَوِيَّاتِهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْلَ أَشْهَرِ إِمَامٍ فِي الْمَذْهَبِ الَّذِي زَعَمَ الِانْتِسَابَ إِلَيْهِ، فِي الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا إِنْ وُجِدَ لِلْإِمَامِ فِيهَا قَوْلٌ!

قَدْ بَيَّنْتُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ أَنَّ الْمُعْتَرِضَ ظَاهِرِيُّ الْمَذْهَبِ، وَهَذَا فَهِمْتُهُ مِنْ رُدُودِهِ وَتَعْلِيقَاتِهِ، عِنْدَ ذِكْرِ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ ﵀، حَتَّى تَأَكَّدَ لِي ذَلِكَ، لَا سِيَّمَا مَعَ تَصْرِيحِهِ هُوَ، وَتَعْرِيفِهِ لِنَفْسِهِ بِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الظَّاهِرِيِّ!

وَهُنَا أَلْزَمَ الْمُعْتَرِضُ نَفْسَهُ بِمَسْئُولِيَّةِ نَقْلِ كَلَامِ رَأْسِ الْمَذْهَبِ ابْنِ حَزْمٍ -وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ مَنْ أَسَّسَهُ- فِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ يَتَعَرَّضُ لَهَا، وَلِلظَّاهِرِيَّةِ فِيهَا قَوْلٌ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ لِابْنِ حَزْمٍ!

وَعَلَيْهِ، أَقُولُ لِلْمُعْتَرِضِ: أَيْنَ كَلَامُ ابْنِ حَزْمٍ فِي مُرِّيِّ بْنِ قَطَرِيٍّ، وَقَدْ سَطَّرَهُ فِي «الْمُحَلَّى»!

وَلَا أَنْفِي أَنَّ الْمُعْتَرِضَ تَعَقَّبَ ابْنَ حَزْمٍ فِي مَوَاضِعَ، كَانَ مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ

(١) وَقَعَ فِي طَبْعَةِ الْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ - دَارُ التُّرَاثِ: «قَطَن»!! وَهَذَا تَصْحِيفٌ.

«التَّبيِينِ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»، وَقَدْ تَتَبَّعَ فِيهِ ابْنَ حَزْمٍ فِي أَرْبعَةٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا وَهِمَ فِيهَا -كَمَا زَعَمَ الْمُعْتَرِضُ-! وَسَيَكُونُ لِي مَعَ هَذَا الْكِتَابِ وَقَفَاتٌ -إِنْ شَاءَ اللهُ-، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعَنَا الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ.

وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ، وَرَدُّ ابْنِ الْمُلَقِّنِ عَلَيْهِ فِي «الْبَدْرِ الْمُنِيرِ» (٢٥٣/٩)، بِقَوْلِهِ: «وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ سِمَاكٍ: شُعْبَةُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ -كَمَا تَقَدَّمَ- وَسِمَاكٌ يَكْفِينَا احْتِجَاجُ مُسْلِمٍ بِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ حِبَّانَ وَثَّقَ مُرِّيَّ بْنَ قَطَرِيٍّ، وَصَحَّحَ الْحَدِيثَ مِنْ جِهَتِهِ، وَكَذَا الْحَاكِمُ فَزَالَتِ الْجَهَالَةُ» اهـ.

فَكَانَ عَلَى الْمُعْتَرِضِ أَلَّا يُفْرِدَ الشَّيْخَ الْحُوَيْنِيَّ بِالرَّدِّ وَالتَّخْطِئَةِ!!

الْخَامِسُ: أَضِفْ إِلَى مَا تَقَدَّمَ، عَدَمُ دِقَّةِ الْأُسْتَاذِ فِي النَّقْلِ، فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ عَنْ مُرِّيٍّ: مَجْهُولٌ، لَا يُعْرَفُ.

وَنَقَلَ الْأُسْتَاذُ، بِتَصَرُّفٍ: مَجْهُولُ الْحَالِ!

وَيَأْتِي تَفْصِيلُ مَا أَجْمَلْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ «الِاسْتِدْرَاكِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ» كَمَا ذَكَرْنَا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدِ انْتَهَيْنَا مِنَ الْوَقَفَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالتَّعْلِيقِ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْأُسْتَاذِ -عَفَا اللهُ عَنْهُ-، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وَقَفَاتٌ مَعَ

عِمَادِ بْنِ حَسَنٍ الظَّاهِرِيِّ

عَفَا اللهُ عَنْهُ

فِي كِتَابِهِ: «التَّبْيِينُ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»

الْجُزْءُ الْمُتَعَلِّقُ بِاسْتِدْرَاكِهِ

عَلَى سَمَاحَةِ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ فِي كِتَابِهِ

«النَّافِلَةِ فِي الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ»

فَهَذِهِ وَقَفَاتٌ يَسِيرَةٌ مِنْ رَأْسِ الْقَلَمِ مَعَ الْأُسْتَاذِ عِمَادِ بْنِ حَسَنٍ الظَّاهِرِيِّ -عَفَا اللهُ عَنْهُ- فِي كِتَابِهِ: «التَّبْيِينُ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»، الْجُزْءُ الْمُتَعَلِّقُ بِاسْتِدْرَاكِهِ عَلَى سَمَاحَةِ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ فِي كِتَابِهِ: «النَّافِلَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ».

❁❁❁❁❁

- **الْوَقْفَةُ الْأُولَى:**

- مَعَ الْوَهْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي نَسَبَهُ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ (ص٥٥١)، لِلشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي الْحَدِيثِ رَقَم (١٤٨) مِنْ «النَّافِلَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ»: «**النَّفقةُ فِي الحَجِّ، مِثلُ النَّفقةِ فِي سَبيلِ اللهِ، الدِّرهمُ سَبعمائةٍ**».

- **خُلَاصَةُ قَوْلِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي «النَّافِلَةِ»، مَا يَلِي:**

١- ضَعِيفٌ.

٢- أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ، مِنْ طُرُقٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ الضُّبَعِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعًا... فَذَكَرَهُ.

وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ عَطَاءٍ، مَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، وَأَبُو عَوَانَةَ، وَأَبُو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ.

٣- سَنَدٌ ضَعِيفٌ لِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: اخْتِلَاطُ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ.

الثَّانِي: جَهَالَةُ حَالِ أَبِي زُهَيْرٍ الضُّبَعِيِّ، وَاسْمُهُ [حَرْبُ بْنُ زُهَيْرٍ][1].

الثَّالِثُ: الِاخْتِلَافُ فِي سَنَدِهِ عَنْ عَطَاءٍ...

---

(١) جَاءَ فِي الْمَطْبُوعِ مِنَ «النَّافِلَةِ» (٢/ص١٣٢): «زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ»، وَهَذَا خَطَأٌ.

رَوَاهُ مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ... فَذَكَرَهُ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»....، وَرِوَايَةُ الْجَمَاعَةِ عَنْ عَطَاءٍ أَوْلَى.

٤- وَقَدْ اخْتُلِفَ عَنْ حَرْبِ بْنِ زُهَيْرٍ فِيهِ:

أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَغْرَاءَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا حَرْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «**النَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ**»...... قَالَ الْبَزَّارُ: «لَا نَعْلَمُ رَوَى ابْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ أَنَسٍ إِلَّا هَذَا».

كَذَا رَوَى ابْنُ مَغْرَاءَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، وَخَالَفَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، فَرَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَرْبِ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُهَيْرٍ الضُّبَعِيِّ، عَنْ أَنَسٍ فَذَكَرَهُ مَرْفُوعًا، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ»، فَكَانَ الِاخْتِلَافُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ جَعَلَ شَيْخَ حَرْبِ بْنِ زُهَيْرٍ، هُوَ: «يَزِيدُ بْنُ زُهَيْرٍ»، وَلَيْسَ «أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ».

الثَّانِي: أَنَّهُ رَفَعَهُ، فِي حِينِ أَنَّ ابْنَ مَغْرَاءَ رَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ مَوْقُوفًا.

وَحَرْبُ بْنُ زُهَيْرٍ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ مَجْهُولُ الْحَالِ، [أَمَّا يَزِيدُ بْنُ زُهَيْرٍ فَلَمْ أَعْرِفْهُ].

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (٣/٢٠٨) عَنْ رِوَايَةِ الْبَزَّارِ: «وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُ».

ثُمَّ تَعَقَّبَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ الْإِمَامَ الْهَيْثَمِيَّ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ.

- **خُلَاصَةُ قَوْلِ الْمُعْتَرِضِ، مَا يَلِي:**

قَوْلُ الْحُوَيْنِيِّ الثَّانِي: «أَمَّا يَزِيدُ بْنُ زُهَيْرٍ فَلَمْ أَعْرِفْهُ»، فَمُسْتَغْرَبٌ مِنْهُ؛ فَيَزِيدُ تَرْجَمَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» (٨/٣٣٢/ت٣٢١٢)، يَزِيدُ بْنُ زُهَيْرٍ الضُّبَعِيُّ: عَنْ أَنَسٍ،

رَوَى عَنْهُ حَرْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَكَذَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «الْجَرْح» (٢٦٢/٩)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «ثِقَاتِهِ» (٥٤٠/٥)، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ جَرْحًا أَوْ تَعْدِيلًا.

❁❁❁❁❁

● قُلْتُ: التَّعْلِيقُ عَلَى كَلَامِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَوَّلًا: مَا عَلَاقَةُ هَذَا الِاسْتِدْرَاكِ بِالْوَهْمِ؟! وَالَّذِي أَبْعَدَ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ فِي «مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ» عَنْ بَيَانِ تَعْرِيفِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ! فَتَعَرَّضَ لِتَعْرِيفِ الْوَهْمِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، لُغَةً، وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ، وَاصْطِلَاحًا أَيْضًا، وَهَذَا عَجِيبٌ مِنْهُ!!.

فَكَانَ لِزَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْوَهْمِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَيُبَيِّنَ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْخَطَأِ، وَالْغَلَطِ، وَالْخَلَلِ فِي ضَبْطِ الرَّاوِى لِلرِّوَايَةِ.

وَمَعَ عَدَمِ وُجُودِ تَعْرِيفٍ صَرِيحٍ فِي كُتُبِ أُصُولِ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَالرِّوَايَةِ لِلْوَهْمِ، فَقَدْ تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنِ الْأَئِمَّةِ فِي وَصْفِهِمْ لِخَطَأِ الرَّاوِي، أَوْ غَلَطِهِ فِي مَوَاضِعَ بِالْوَهْمِ.

وَعَلَيْهِ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ أَنَّ الْوَهْمَ أَبْيَنَ مِنْ أَنْ يُبَيَّنَ، فَهُوَ مُصْطَلَحٌ ظَاهِرُ الْمُرَادُ مِنْ إِطْلَاقِهِ لِكُلِّ بَصِيرٍ بِهَذَا الْفَنِّ، وَغَيْرِهِ.

وَتَعْلِيقِي هُنَا لِعُنْوَانِ كِتَابِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ: «التَّبْيِينُ فِي أَوْهَامِ الْمُحَدِّثِينَ»!! فَكَانَ لِزَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي بَيَانِ مَعْنَى وَهْمِ الرَّاوِي، وَأَنْ يُوَفِّيَ بِمَا أَوْرَدَهُ فِي الْعُنْوَانِ، فَإِنَّ الْعَنَاوِينَ أَنْسَابُ الْكُتُبِ، وَلَكِنْ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْأُسْتَاذَ سَجَعَ عُنْوَانًا لِلْكِتَابِ، وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِهِ، فَهُنَاكَ مَوَاضِعَ مِنَ اسْتِدْرَاكَاتِهِ فِي كِتَابِهِ -زَعَمَ- لَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَوْهَامًا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

فَإِنْ قَالَ الْمُعْتَرِضُ أَنَّ شَرْطَهُ أَوْسَعُ مِنْ مَعْنَي الْوَهْمِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، وَلِذَلِكَ

فَقَدْ نَقَلَ كَلَامَ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَالَ (ص١٥): «وَقَبْلَ الْبَدْءِ فِي تَتَبُّعِ أَوْهَامِ الْعُلَمَاءِ، لَابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَى الْوَهْمِ لُغَةً، وَاصْطِلَاحًا...». فَيُقَالُ لَهُ: وَمَا عَلَاقَةُ هَذَا إِذًا بِعُنْوَانِ كِتَابِكَ!!.

ثَانِيًا: أَصَابَ الْأُسْتَاذُ فِيمَا أَشَارَ إِلَيْهِ عَنْ تَرْجَمَةِ يَزِيدَ بْنِ زُهَيْرٍ الضُّبَعِيِّ، وَبَيَّنَ أَنَّ الشَّيْخَ الْحُوَيْنِيَّ وَهِمَ فِي تَعْيِينِهِ، وَهُوَ لَمْ يَعْرِفْهُ أَصْلًا!!.

وَلَكِنْ نَقُولُ لِلْمُعْتَرِضِ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا عَلَى هَذَا الْبَيَانِ، وَلَكِنْ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْوَكِيلُ -حَفِظَهُ اللهُ- مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِ سَنَوَاتٍ فِي كِتَابِهِ الْمَاتِعِ: «نَثْلُ النِّبَالِ بِمُعْجَمِ الرِّجَالِ الَّذِينَ تَرْجَمَ لَهُمْ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْمُحَدِّثُ أَبُو إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيُّ» (٣/ص١٥٨١/ ت٣٩٢١- طَبْعَةُ دَارِ الْمُحَدِّثِينَ ١٤٢٨هـ)، وَ(٣/ص٥٧٣/ت٤٣٦٢-طَبْعَةُ دَارِ ابْنِ عَبَّاسٍ ١٤٣٣هـ)، فَقَالَ مُعَلِّقًا عَلَى عِبَارَةِ شَيْخِنَا الْحُوَيْنِيِّ: «رَاجِعْ تَرْجَمَتَهُ فِي: «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (٨/٣٣٢)، وَفِي «الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ» (٩/٢٦٢)، وَفِي «ثِقَاتِ ابْنِ حِبَّانَ» (٥/٥٤٠)؛ وَلَمْ يَحْكِ فِيهِ شَيْءٌ» اهـ.

وَلَوْ وَقَفَ الْأُسْتَاذُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ فِي «نَثْلِ النِّبَالِ»، لَوَجَدْتَ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ الْحُوَيْنِيَّ خَرَّجَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي «الْفَوَائِدِ الْمُنْتَقَاةِ» لِأَبِي عَمْرٍو السَّمَرْقَنْدِيِّ (ح٥١).

وَتَخْرِيجُ «النَّافِلَةِ» مُتَقَدِّمٌ، فَقَدْ طُبِعَ فِي جُزْئَيْنِ بِدَارِ الصَّحَابَةِ لِلتُّرَاثِ فِي مِصْرَ - ١٤٠٨هـ، وَأَمَّا «الْجُزْءُ فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ الْمُنْتَقَاةِ الْحِسَانِ الْعَوَالِي»، لِأَبِي عَمْرٍو السَّمَرْقَنْدِيِّ؛ فَقَدْ طُبِعَ بِمَكْتَبَةِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فِي مِصْرَ، وَتَوْزِيعِ مَكْتَبَةِ الْخَرَّازِ فِي جِدَّةَ- ١٤١٨هـ.

ثَالِثًا: اعْتَمَدَ الْمُعْتَرِضُ فِي نَقْلِهِ مِنْ كِتَابِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ عَلَى نُسْخَةٍ لَيْسَتْ مُوَافِقَةً لِلْمَطْبُوعِ إِلَّا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ فَقَطْ! فَقَالَ: «قَالَ الْحُوَيْنِيُّ فِي «النَّافِلَةِ» (٢/٣٥)»!!،

وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْعَزْوَ الصَّحِيحَ (٢/ص١٣٢/ح١٤٨)، عَلَى الرَّغْمِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَتَبَ رَقَمَ الْحَدِيثِ لَوَافَقَ الْمَطْبُوعَ، فَهُوَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ وَاحِدٌ!!.

وَاعْتِمَادُ الْأُسْتَاذِ عَلَى نُسَخٍ لَيْسَتْ مُوَافِقَةً لِلْمَطْبُوعِ ظَاهِرَةٌ فِيمَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابَاتٍ لَهُ، لَا سِيَّمَا فِي أَثْنَاءِ رَدِّي عَلَيْهِ فِي «بَذْلِ الْجُودِ»، وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ إِرْهَاقٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْمَوْضِعِ الصَّحِيحِ الَّذِي أَحَالَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ.

❁❁❁❁❁

- **الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ:**

- وَمَعَ الْوَهْمِ الثَّانِي الَّذِي نَسَبَهُ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضِ (ص٥٥٤)، لِلشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي الْحَدِيثِ رَقَم (١١٠)(١) مِنْ «النَّافِلَةِ فِي الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ»: **«مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ».**

- **خُلَاصَةُ قَوْلِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي «النَّافِلَةِ»، مَا يَلِي:**

١- ضَعِيفٌ، لِأَجْلِ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي حَزْمٍ.

٢-أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «فضائل القرآن»، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرِيُّ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَابْنُ عَدِيٍّ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي «الْمَصَاحِفِ»، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»، وَفِي «تَفْسِيرِهِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»، وَالْخَطِيبُ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ»،

---

(١) وَدُونَ النَّظَرِ لِتَرْتِيبِ الْمُعْتَرِضِ! حَيْثُ عَلَّقَ فِي «النَّافِلَةِ» عَلَى (٢/ص١٣٢/ح١٤٨)، ثُمَّ (٢/ص٣٣/ح١١٠)، ثُمَّ (١/ص٨٣/ح٦٦)، فَالْعَزْوُ الصَّحِيحُ لِلنُّسْخَةِ الْمَطْبُوعَةِ كَمَا بَيَّنَّا فِي الْمَوْضِعِ الثَّانِي (٢/ص٣٣)، وَلَيْسَ كَمَا ذَكَرَ الْمُعْتَرِضُ (٢/٧)!، وَلَوِ اقْتَصَرَ عَلَى رَقَمِ الْحَدِيثِ لَأَصَابَ! كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْوَقْفَةِ الْأُولَى، وَلَا يَظُنُّ الْقَارِئُ أَنَّ هَذَا مِنَ التَّعَنُّتِ مَعَ الْمُعْتَرِضِ، فَقَدْ فَعَلَ مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ مَعَ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ! فَأَنَا هُنَا أُحَاكِمُهُ لِمَذْهَبِهِ، فَهَلْ يَرْتَضِي ذَلِكَ؟! وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي أَصْلِ كِتَابِ «بَذْلِ الْجُودِ».

وَابْنُ النَّجَارِ فِي «ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادَ»، مِنْ طُرُقٍ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي حَزْمٍ، ثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ مَرْفُوعًا فَذَكَرَهُ.

٣- قَالَ الْبَغَوِيُّ: «غَرِيبٌ»، وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ فِي «الْعِلَلِ» عِلَّةً أُخْرَى لَهُ.

٤- نَقَلَ بَعْضُهُمْ عَنِ التِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي نُسْخَتِي مِنَ «السُّنَنِ»، فَلَعَلَّهُ سَقَطَ مِنَ الطَّابِعِ، أَوْ هُوَ فِي نُسْخَةٍ أُخْرَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٥- وَلِلْحَدِيثِ شَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ»، وَهَذَا حَدِيثٌ سَاقِطٌ، وَالْمُتَّهَمُ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ.

وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي «مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ»، وَالنَّقَّاشُ فِي «تَفْسِيرِهِ»، وَهَذَا حَدِيثٌ سَاقِطٌ أَيْضًا، وَالْمُتَّهَمُ بِهِ نُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ.

وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا، أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي «مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ»، وَالْمُتَّهَمُ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ مَطَرٍ.

• **خُلَاصَةُ قَوْلِ الْمُعْتَرِضِ، مَا يَلِي:**

هُوَ فِي التِّرْمِذِيِّ -أَيْ قَوْلُهُ غَرِيبٌ- مِنْ نُسْخَتَيِ الْمُحَدِّثِ الْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ (٢٩٥٢)، حَدَّثَنَا عَبْدُ ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي حَزْمٍ، أَخُو حَزْمٍ الْقُطَعِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»**.

وَكَذَا نُسْخَةُ الدُّكْتُورِ بَشَّارٍ عَوَّادٍ (٢٩٥٢)، وَذَكَرَ الْمُعْتَرِضُ السَّنَدَ وَالْمَتْنَ كَامِلًا! ثُمَّ قَوْلَ التِّرْمِذِيِّ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ».

وَأَوْرَدَ الْمُعْتَرِضُ كَلَامَ الْمِزِّيِّ فِي «التُّحْفَةِ» (٢/٤٤٤)، وَأَعَادَ أَيْضًا السَّنَدَ وَالْمَتْنَ كَامِلًا!، وَقَوْلُ التِّرْمِذِيِّ: «غَرِيبٌ».

۞۞۞۞۞

• قُلْتُ: التَّعْلِيقُ عَلَى كَلَامِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَوَّلًا: عَلَى غَيْرِ عَادَةِ الْمُعْتَرِضِ أَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ بَحْثَ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ كَامِلًا! وَاكْتَفَى بِالشَّاهِدِ وِفْقَ رُؤْيَتِهِ أَيْضًا! إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى عَادَتِهِ فِي كَثْرَةِ الْإِعَادَةِ وَالتِّكْرَارِ، فَنَقَلَ كَلَامَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ ثَلَاثِ كُتُبٍ كَامِلًا سَنَدًا، وَمَتْنًا، وَكَانَتْ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ.

ثَانِيًا: أَنَّ هَذَا لَا يَنْدَرِجُ تَحْتَ الْوَهْمِ كَمَا زَعَمَ الْمُعْتَرِضُ! وَقَدْ قَالَ الْحُوَيْنِيُّ: «نَقَلَ بَعْضُهُمْ عَنِ التِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي نُسْخَتِي مِنَ «السُّنَنِ»، فَلَعَلَّهُ سَقَطَ مِنَ الطَّابِعِ، [أَوْ هُوَ فِي نُسْخَةٍ أُخْرَى]، وَاللهُ أَعْلَمُ»، فَتَأَمَّلْ كَلَامَ الشَّيْخِ.

ثَالِثًا: عَزْوُ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ لِنُسْخَةِ الْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ وَهْمٌ مِنْهُ!! فَإِنَّ الْعَلَّامَةَ شَاكِرَ لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ عَمَلِهِ فِي «الْجَامِعِ الْكَبِيرِ» لِلتِّرْمِذِيِّ، وَقَدْ أَتَمَّ بَعْدَهُ مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدُ الْبَاقِي الْجُزْءَ الثَّالِثَ، وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ عَطْوَةُ عِوَضُ الْجُزْءَ الرَّابِعَ وَالْخَامِسَ، وَلَمْ يَعْتَنِ بِهِمَا! وَالْحَدِيثُ فِي آخِرِ جُزْءٍ مِنَ الْكِتَابِ يَا أُسْتَاذُ!! فَلَعَلَّكَ وَقَفْتَ عَلَى النُّسْخَةِ الَّتِي اسْتَكْمَلَهَا مُصْطَفَى الذَّهَبِيُّ، وَقَدْ عَالَجَ فِيهَا بَعْضَ الْأَخْطَاءِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الطَّبَعَاتِ الَّتِي خَرَجَتْ لِاسْتِكْمَالِ عَمَلِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ رحمه الله.

رَابِعًا: مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُعْتَرِضُ سَبَقَهُ إِلَيْهِ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ بَشَّارُ عَوَّادُ، إِلَّا أَنَّ الْمُعْتَرِضَ كَتَمَ هَذَا فِيمَا يَظْهَرُ، مَعَ إِشَارَتِهِ لِنُسْخَةِ شَيْخِنَا بَشَّارٍ!! وَرُبَّمَا لِعَدَمِ وُجُودِ حَاشِيَةِ شَيْخِنَا بَشَّارٍ

عَلَى بَعْضِ بَرَامِجِ الْحَاسِبِ الْآلِيِّ الَّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا الْأُسْتَاذُ! وَهَذَا مِنْ آفَاتِ اعْتِمَادِ نَسْخِ الْكُتُبِ عَلَى الْحَاسِبِ الْآلِيِّ!.

قَالَ شَيْخُنَا بَشَّارٌ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى حُكْمِ التِّرْمِذِيِّ الْمُتَقَدِّمِ عَلَى الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا (٥/ص٦٦/ح٢٩٥٢): «هَذِهِ الْعِبَارَةُ سَقَطَتْ كُلُّهَا مِنْ (م)، وَأَثْبَتْنَاهَا مِنَ (التُّحْفَةِ)، وَ (س)، وَ(ي)» اهـ.

لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، قَالَ شَيْخُنَا بَشَّارٌ فِي تَخْرِيجِهِ لِلْحَدِيثِ: «وَانْظُرْ تُحْفَةَ الْأَشْرَافِ (٢/ ٤٤٤، حَدِيثُ (٣٢٦٢)،......».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

• **الْوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ:**

• وَمَعَ الْوَهْمِ الثَّالِثِ الَّذِي نَسَبَهُ الْأُسْتَاذُ الْمُعْتَرِضُ (ص٥٥٦)، لِلشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي الْحَدِيثِ رَقَمِ (٦٦) مِنْ «النَّافِلَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْبَاطِلَةِ»: **«أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ، عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى، يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ وَالْجَحِيمِ، يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ النَّارِ لِبَعْضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَدْ آذَوْنَا، عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟! قَالَ: فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ، وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ!!، فَيُقَالُ لِلَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَهُ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ بِالْغِيبَةِ، وَيَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ».**

• **خُلَاصَةُ قَوْلِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي «النَّافِلَةِ»، مَا يَلِي:**

١- ضَعِيفٌ.

٢- أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» (زَوَائِدُ نُعَيْمٍ)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ»،

وَفِي «ذَمِّ الْغِيبَةِ»، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي «أُسْدِ الْغَابَةِ»، وبَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ فِي «مُسْنَدِهِ»، وكَذَا ابْنُ شَاهِينٍ - كَمَا فِي «الْإِصَابَةِ» -، مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، حَدَّثَنِي ثَعْلَبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْخَثْعَمِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ بَشِيرٍ الْعِجْلِيِّ، عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَانِعٍ الْأَصْبَحِيِّ مَرْفُوعًا... فَذَكَرَهُ.

٣-شُفَيُّ بْنُ مَانِعٍ مُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ، قَالَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَابْنُ الْأَثِيرِ، وَيَظْهَرُ أَنَّ أَبَا نُعَيْمٍ اعْتَمَدَ صُحْبَتَهُ، وَجَزَمَ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَابْنُ حِبَّانَ بِأَنَّهُ تَابِعِيٌّ، فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ لِإِرْسَالِهِ.

٤- وَعِلَّةٌ أُخْرَى، وَهِيَ: «أَيُّوبُ بْنُ بَشِيرٍ الْعِجْلِيُّ»، فَتَرْجَمَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ»، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ جَرْحًا وَلَا تَعْدِيلًا، فَهُوَ مَجْهُولُ الْحَالِ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: «رِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ»، وَهُوَ يُشِيرُ بِقَوْلِهِ هَذَا إِلَى ضَعْفِ التَّوْثِيقِ فِي بَعْضِهِمْ، فَلَعَلَّ أَيُّوبَ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

- **خُلَاصَةُ قَوْلِ الْمُعْتَرِضِ، مَا يَلِي:**

هُوَ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ فِي «ثِقَاتِهِ»، وَقَالَ: أَيُّوبُ بْنُ بَشِيرٍ شَامِيٌّ، يَرْوِي عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَانِعٍ، رَوَى عَنْهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

- **قُلْتُ**: التَّعْلِيقُ عَلَى كَلَامِ الْأُسْتَاذِ الْمُعْتَرِضِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَوَّلًا: لَا يَخْفَى عَلَى الْأُسْتَاذِ أَنَّ اعْتِمَادَ قَوْلِ النَّاقِدِ صَاحِبِ التَّصَانِيفِ الْمُتَعَدِّدَةِ، أَوِ الْعَالِمِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، فِي مَسْأَلَةٍ مَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَتَبُّعِ كَلَامِهِ فِي مُصَنَّفَاتِهِ، فَرُبَّمَا أَشَارَ إِلَى شَيْءٍ فَاتَهُ فِي مَوْضِعٍ، فَذَكَرَهُ فِي آخَرَ، وَرُبَّمَا فَصَّلَ فِي مَوْضِعٍ مَا أَجْمَلَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ،

وَرُبَّمَا قَالَ قَوْلًا فِي مَوْضِعٍ، وَتَرَاجَعَ عَنْهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ..... إِلَى آخِرِهِ.

وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْإِنْصَافِ، وَهُوَ الْمُتَّبَعُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَا سِيَّمَا أَهْلُ النَّقْدِ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنَّ الْأُسْتَاذَ لَمْ يَلْتَزِمْ بِهَذَا مَعَ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ فِي مَوَاضِعَ.

ثَانِيًا: تَعَامَلَ الْأُسْتَاذُ مَعَ عِبَارَةِ الشَّيْخِ الْحُوَيْنِيِّ، «فَلَعَلَّ أَيُّوبَ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ»، أَنَّهَا وَهْمٌ مِنْهُ، فَلَمْ يَعْرِفْ هَلْ ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي ثِقَاتِهِ أَمْ لَا، وَلَمْ يَقِفِ الشَّيْخُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ! فَكَانَ لِزَامًا عَلَى الْمُعْتَرِضِ أَنْ يُبَيِّنَ هَذَا الْوَهْمَ!!.

إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا ظَنَّ الْمُعْتَرِضُ، وَهُنَا بَيْتُ الْقَصِيدِ، وَانْظُرْ ثَالِثًا.

ثَالِثًا: خَرَّجَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ فِي مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ كُتُبِهِ، مِنْهَا:

١- كِتَابُ «الصَّمْتِ» لِلْإِمَامِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (ح١٨٦)، قَالَ الشَّيْخُ مُعَلِّقًا عَلَى كَلِمَةِ الْإِمَامِ الْهَيْثَمِيِّ «رِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ»: «وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ التَّوْثِيقَ فِي بَعْضِهِمْ ضَعِيفٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَأَيُّوبُ بْنُ بَشِيرٍ تَرْجَمَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٢٤٢/١/١)، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ جَرْحًا وَلَا تَعْدِيلًا، فَهُوَ مَجْهُولُ الْحَالِ».

وَهُنَا لَمْ يَتَعَرَّضِ الشَّيْخُ لِذِكْرِ الْإِمَامِ ابْنِ حِبَّانَ، فَيُقَالُ لِلْمُعْتَرِضِ: هَلْ هَذَا الْمَوْضِعُ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَعَقُّبٍ؟!!.

٢- كِتَابُ «بَذْلِ الْإِحْسَانِ بِتَقْرِيبِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ» (١/ص٢٩٢/ ح٣١)، قَالَ الشَّيْخُ بَعْدَ ذِكْرِ التَّعْلِيقِ السَّابِقِ فِي «الصَّمْتِ»: «...... وَقَدْ صَرَّحَ الذَّهَبِيُّ بِأَنَّهُ مَجْهُولُ الْحَالِ فِي «الْمِيزَانِ» (٢٨٤/١)، وَفِي «الضُّعَفَاءِ»، وَهُوَ الصَّوَابُ، وَإِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ» (٥٨/٦)، وَالْغَرِيبُ أَنْ يَقُولَ الْحَافِظُ فِي «التَّقْرِيبِ»: «صَدُوقٌ»!......».

وَهُنَا صَرَّحَ الشَّيْخُ الْحُوَيْنِيُّ بِمَوْضِعِ التَّرْجَمَةِ عِنْدَ الْإِمَـامِ ابْنِ حِبَّانَ، وَسَبَقَكَ أَيُّهَا الْمُعْتَرِضُ بِأَكْثَرَ مِنْ سِتٍّ وَعِشْرِينَ سَنَةً!!.

٣- كِتَابُ «الزُّهْدِ» لِلْإِمَامِ أَسَدِ بْنِ مُوسَى (ح ٤٠)، قَالَ الشَّيْخُ بِمِثْلِ قَوْلِهِ فِي «بَذْلِ الْإِحْسَانِ»، وَفِيهِ: «... وَإِنْ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٦/٥٨) كَعَادَتِهِ».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وَخِتَامًا...

أَسْأَلُ اللهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ، وَلَا يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا، وَأَنْ يَتَقَبَّلَهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْ يُبَارِكَ فِي سَمَاحَةِ شَيْخِي وَأُسْتَاذِي فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحُوَيْنِيِّ -حَفِظَهُ اللهُ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ، وَنَفَعَ بِعِلْمِهِ، وَشَفَاهُ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِ الْعَافِيَةَ-.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

كَتَبَهُ

أَبُو بَكْرٍ

مُؤْمِنُ بْنُ الْبَدَوِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ آلُ يَاسِينَ

الْمِصْرِيُّ الْأَثَرِيُّ

مِصْرُ - كَفْرُ الشَّيْخِ - فَجْرُ يَوْمِ الْخَمِيسِ - ١٩ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٦هـ

شرط الإمام البخاري في الرواة

وأثره في اختياره أحاديث جامعه الصحيح

إعداد

الدمراني عبد الله عبد الغني سعد

مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية

بدمياط الجديدة - جامعة الأزهر

الإهداء

إلى شيخي، وسيدي، ومطوق عنقي بالفضل..

إلى من أبصرت به بعد العمى..

إلى من علمني محبة الحديث والسنة..

إلى فضيلة الشيخ/أبي إسحاق الحويني..

ألبسه الله حلل السعادة وكافأه بالحسنى وزيادة..

أهدي هذا البحث..

متمثلا بقول هبة الله بن الحسين البغدادي، وقد أهدى هدية لأحد الأمراء:

أهدي لمجلسك الكريم وإنما ... أهدي له ما حزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وما له ... فضل عليه لأنه من مائه

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله، وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد شرف الله ﷻ أمة النبي ﷺ بالوحي قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٣-٤٤]، وقال تبارك وتعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١]، والوحي قرآن وسنة، قال عز اسمه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]، والسنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي المبينة للمصدر الأول وهو القرآن، فبدونها لا يُفهم كتاب الله تعالى على الوجه الصحيح، قال تعالى جده: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

ولما كانت السنة النبوية الشريفة بهذه المكانة العظيمة كان من أشرف ما يسعى إليه المرء خدمتها والعناية بها، وقد بذل علماء الحديث - رحمهم الله تعالى - جهودا مضنية في خدمة سنة النبي ﷺ فارتحلوا إلى الآفاق لجمع الأحاديث، وألفوا الصحاح، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها من كتب السنة، وتناولوا رواة السنن جرحا وتعديلا فألفوا كتبا في الثقات، وأخرى في الضعفاء، وغير ذلك من كتب الرجال، فصان الله ﷻ بهم هذا الدين، قال الإمام الشافعي: «لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر»[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧٠/١٠).

وقد كان من أئمة الحديث الذين شرفهم الله تعالى بخدمة السنة النبوية المطهرة الإمام العبقري المجود أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله تعالى- فقد برع في حفظ الحديث، ونقد الرجال، ومعرفة العلل حتى شهد له شيوخه وأقرانه، وصنف جامعه الصحيح فتلقته الأمة بالقبول، وأذعنت لجودة تصنيفه، واشتهر بأنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

قال الإمام السبكي(١) رحمه الله تعالى مادحا البخاري وجامعه الصحيح:

علا عن المدح حتى ما يزان به ... كأنما المدح من مقداره يضع

له الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى ... هذي السيادة طودا ليس ينصدع

ورغم عظمة الكتاب، وجلالة مصنفه فإنه لم يسلم من بعض الحاقدين أو الجاهلين الذين أرادوا أن يسقطوا السنة بطعنهم في أصح كتبها، وهيهات هيهات، لقد هلك من هلك منهم، وبقيت السنة شامخة لا تلين لها قناة، وستظل تشج جباههم وأقفيتهم كما فعلت بمن قبلهم ممن رام الاقتراب من حياضها.

وجدير بالذكر أني أقدم هذا البحث في وقت كثر فيه الطعن على صحيح الإمام البخاري من أناس لا علم لهم بالسنة زاعمين - فض الله أفواههم - أنهم يعلمون الناس صحيح الدين في زمن كثر فيه الجهل، وقل فيه العلم، ووسد الأمر إلى غير أهله، فإلى الله المشتكى!

وقد بلغ الأمر ببعض المخذولين - لا بارك الله في سعيهم - أن اتهموا الإمام البخاري بوضع الحديث، وحاشاه - رحمات الله، ورضوانه عليه - أن يفعل، كيف

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢١٢).

وهو الذي صان ما ورثه من علم النبوة أن يبتذل عند أبواب السلاطين، وقال لرسول الأمير لما طلب منه أن يحمل إليه كتاب الجامع والتاريخ: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فكان هذا سبب الوحشة بينهما، ونفاه فمات بعيدا عن بلده رحمه الله تعالى(١).

ولو كان الإمام البخاري حيًّا في زماننا لحق له أن يتمثل بقول المتنبي في أبي الفرج السامري الذي حاول أن يذمه بين يدي سيف الدولة لما أنشد قصيدته التي مطلعها (واحر قلباه ممن قلبه شبم)؛ قال:

صغرتَ عن المديح فقلتَ أُهْجَي كأنك ما صغرتَ عن الهجاء
وما فكرتُ قبلك في محال وما أعملتُ سيفي في هباء

وما أظنه -رحمه الله تعالى- يفعل، فقد كان عف اللسان نظيف العبارة، وحسب الإمام البخاري أن علماء الأمة قاطبة تلقوا كتابه بالقبول، وأثنى عليه شيوخه وأقرانه، وهم الأئمة العدول، أفيترك كلامهم، ويلتفت إلى هؤلاء الخوالف؟!

وسيظل صحيح الإمام البخاري شامخًا تتحطم على صخوره الصلاب رؤوس أهل البدع والأهواء، وإنه لحقيق بقول الحسن بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليكلِمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل(٢)

ومنذ أن أكرمني الله تعالى بمحبة السنة وأهلها وأنا أرجو أن يشرفني بخدمة هذا

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٧١/١٩).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١١/٢)، وفي مغاني الأخيار (١٦٠/٥) (الحسين بن حميد)، وهو الحسن بن حميد المنبجي، ويقال له: (الحسين) أيضا، شاعر مجيد تنسب إليه القصيدة اليتيمة، ترجمته في بغية الطلب (٢٣٤٢/٥).

الكتاب المبارك، حتى يسر لي - بفضله ومنِّه - تقديم أطروحة علمية للحصول على درجة العالمية (الدكتوراة) في الحديث الشريف وعلومه بعنوان **[الرواة الذين أخرج لهم الإمام البخاري في الشواهد والمتابعات وأحاديثهم في جامعه الصحيح - جمع ودراسة]**(١).

وقد رأيت أن أستل فصلًا من فصولها يعالج قضية من القضايا الحديثية المهمة التي تتعلق بصحيح الإمام أبي عبد الله البخاري -رحمه الله تعالى- وهي [شرط البخاري في الرواة - وأثره في اختياره لأحاديث جامعه الصحيح]، وأرجو أن يكون هذا البحث جوابا شافيا عن الشبهة التي طرحها، ولا زال يطرحها أعداء السنة، والتي مفادها: كيف يخرج البخاري للرواة الضعفاء في كتابه الذي سماه بالجامع الصحيح؟

ومحصل الجواب عن هذه الشبهة أن الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- اشترط صحة الحديث، ولم يشترط ثقة الرواة، ولا يخفى على من له أدنى إلمام بعلوم الحديث الشريف أنه لا تلازم بين صحة الحديث وثقة الرواة، وكذا العكس، فربما كان حديث الثقة شاذا لأنه ليس معصوما من الخطأ، وكذلك قد يكون حديث الضعيف، ومن خف ضبطه صحيحا إذا وافقه الثقات، أو وجدت القرائن التي تشهد أنه لم يخطئ في هذا الحديث.

وقد تحريت في هذا البحث الاختصار ما استطعت، وتركت البسط لأصله، وأرجو أن يقع من مشايخي، وإخواني من طلبة العلم موقعا حسنا، ولا أدَّعي أنني

---

(١) نوقشت هذه الرسالة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة جامعة الأزهر -حرسها الله تعالى- يوم الأربعاء ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ، الموافق ٢٠١٥/٣/٤ م، وقررت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة منح الباحث درجة العالمية (الدكتوراة) في الحديث الشريف وعلومه مع مرتبة الشرف الأولى، فالحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا.

بلغت فيه الغاية، ولا قاربتها، وحسبي أنني بذلت فيه جهدي، واستفرغت وسعي فما كان من توفيق فمنه وحده ﷻ، وما كان من خلل فمن نفسي، وإني لأستغفر الله تعالى من كل ما زل به قلمي، ومما أخفقت في تحقيق الإخلاص فيه، وإليه تبارك وتعالى أضرع أن يكتب لنا التوفيق في الدنيا والآخرة، وأن يرتضينا خادما لسنة نبيه الأكرم ﷺ.

إنه بكل جميل كفيل وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

الدمراني عبد الله عبد الغني سعد

مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية

بدمياط الجديدة

دمياط الجديدة - غرة رجب ١٤٣٦هـ

المبحث الأول

مفهوم الشرط عند المحدثين، وكيف يعرف؟

- معنى الشرط في اللغة

قال ابن فارس: الشين، والراء، والطاء أصل يدل على عَلَمٍ، وعَلَامة، وما قارب ذلك، ومن ذلك الشَّرَط: العَلاَمة، وأشراط الساعة: علاماتها[١].

وقال ابن سيدة: الشرط: إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه[٢].

- معنى الشرط في اصطلاح المحدثين

لم أجد تعريفا للشرط عند المحدثين إلا ما ذكره الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تقديمه لشروط الأئمة الستة لابن طاهر قال: وحينما يقول العلماء (شروط الأئمة الخمسة) أو (شروط الأئمة الستة) أو (شرط البخاري) أو (شرط الشيخين) فلا يعنون به ذلك المعنى المعروف للشروط، وإنما الشروط هنا عبارة عن مناهج هؤلاء الأئمة في كيفية اختيار الأحاديث لتخريجها في كتبهم، وعن التزاماتهم في ذلك، وتلتحق بذلك أغراضهم، وأهدافهم في تصانيفهم[٣].

وفي تعريف الشيخ عبد الفتاح -رحمه الله تعالى- توسع فالشرط عند المحدثين فيما يظهر لي أضيق من المنهج.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٦٠) (شرط).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٨/١٣) (شرط).

(٣) مقدمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة لشروط الأئمة الستة (٥٨).

وفي قول الحازمي: «وهذا باب نذكر فيه الشروط المعتبرة عند الأئمة التي من احتوى عليها وتحلى بحليتها لزم قبول خبره، واستحق إخراج حديثه في الصحيح»(١) ما يمكننا من استخراج تعريف الشرط في اصطلاح المحدثين فنقول: هو الضوابط التي ألزم المصنف نفسه بها في اختياره لأحاديث كتابه أو رواته.

وبناءا على هذا التعريف فقول المحدثين: «على شرط البخاري» مثلا تعني أن الضوابط التي اختارها الإمام البخاري لاختيار الأحاديث في كتابه الجامع الصحيح متوفرة فيه.

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي واضحة لا لبس فيها فهذه الشروط التي ارتضاها الإمام البخاري مثلا للأحاديث التي سيدرجها في صحيحه هي بتعبير آخر علامات على هذه الأحاديث، وهي بتعبير آخر: الالتزامات التي التزمها في ذلك.

وشروط العلماء في مصنفاتهم تعرف بأحد أربعة أمور(٢):

الأول: تصريحهم بهذا الشرط في نفس الكتاب كما فعل الإمام مسلم فقد أفصح عن شرطه في مقدمة كتابه.

الثاني: تصريحهم بهذا الشرط في كتاب آخر كما فعل أبو داود في رسالته إلى أهل مكة فقد أبان فيها عن شرطه في سننه.

الثالث: بسبر كتبهم لمعرفة ما شرطوه فيها كما فعل الأئمة بصحيح البخاري قال ابن طاهر: اعلم أن البخاري ومسلما ومن ذكرنا - يعني أصحاب السنن الأربعة - لم

(١) شروط الأئمة الخمسة (١٤٣).

(٢) أفاد ابن طاهر واحدا منها كما سيأتي، والثلاثة الباقية أفادها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تعليقه على كلام ابن طاهر.

ينقل عن واحد منهم أنه قال: شرطت أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم(١).

الرابع: من خلال تدقيق النظر في العناوين التي اختاروها لكتبهم فقد أفصح البخاري عن شرطه في عنوان كتابه حيث سماه [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه].

وقد استخدم ابن حجر هذا العنوان في استخراج شرط الإمام البخاري(٢) كما سيأتي قريبا.

* * *

(١) شروط الأئمة الستة (٨٥).

ولا يسلم له هذا الكلام على عمومه فقد ذكر مسلم شرطه في مقدمة صحيحه، وكذا أبو داود في رسالته إلى أهل مكة، قال الحازمي في شروط الأئمة الخمسة (١٦٤): وأما شرط مسلم فقد صرح به في خطبة كتابه.

(٢) النكت على صحيح البخاري (٧٥/١).

المبحث الثاني
شرط الإمام البخاري في صحيحه

لم يفصح الإمام البخاري عن شرطه في كتابه هذا إلا اشتراطه الصحيح المسند كما هو واضح من عنوان كتابه، قال ابن طاهر المقدسي: اعلم أن البخاري ومسلما ومن ذكرنا بعدهم (يعني أصحاب السنن الأربعة) لم ينقل عن واحد منهم أنه قال: شرطت أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يعرف ذلك بسبر كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم[(١)].

وقد اختلفت أراء العلماء في تحديد شرط الإمام البخاري في صحيحه، فقمت بجمعها وتحريرها، وعرضت مناقشاتهم، ثم رجحت ما أفضى إليه سبر هذه الآراء وتمحيصها ورتبتها على تاريخ وفياتهم على النحو التالى:

أولا: رأي أبي عبد الله ابن منده المتوفى سنة (٣٩٥هـ)

قسم ابن منده الرواة إلى ثلاث طبقات

الطبقة الأولى: هي المقبولة بالاتفاق وبعلمهم يحتج على سائر الناس.

الطبقة الثانية: هم الذين قبلهم جماعة من أهل المعرفة والتمييز وردهم آخرون.

قال: وهؤلاء أخرج عنهم محمد بن إسماعيل البخاري وتركهم مسلم بن الحجاج أو أخرج عنهم مسلم وتركهم البخاري لكلام في حديثه أو غلو في مذهبه.

الطبقة الثالثة: وهي المتروكة باتفاق من محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج

---

(١) شروط الأئمة الستة (٨٥). وقد سبق التنبيه على أن هذا الكلام لا يسلم على عمومه.

وغيرهما.

قال: هذه الطبقة متروكة إما لكثرة الوهم في حديثهم أو لسوء حفظهم أو لعلة دخلت عليهم فاضطربوا في الروايات أو لجهالة فيهم أو للتهمة الواقعة عليهم أو لشهرتهم بالكذب(١).

ونقل ابن طاهر المقدسي عن ابن منده أنه قال: «من حكم الصحابي إذا روى عنه تابعي واحد وإن كان مشهورا مثل الشعبي، وسعيد بن المسيب ينسب إلى الجهالة، فإذا روى عنه رجلان صار مشهورا واحتج به، وعلى هذا بنى محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج كتابيهما الصحيحين إلا أحرفا تبين أمرها»(٢).

*** ويمكننا أن نلخص شرط البخاري من كلام ابن منده السابق على النحو التالي:**

أولا: يخرج البخاري أحاديث الطبقة الأولى من الرواة، وهم المتفق على توثيقهم، وقد يخرج عن بعض الطبقة الثانية، وهم المختلف فيهم أحيانا، ولا يلتفت إلى الطبقة الثالثة، وهي المتفق على ضعفها.

ثانيا: لا يخرج حديث الراوي إلا إذا روى عنه رجلان فأكثر إلا في مواضع يسيرة.

ثانيا: رأي الحاكم النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥هـ)

قال الحاكم: والصحيح من الحديث منقسم على عشرة أقسام: خمسة متفق عليها، وخمسة منها مختلف فيها، فالقسم الأول من المتفق عليها اختيار البخارى ومسلم،

(١) شروط الأئمة الموسوم بـ فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار (٦٨-٧٤) باختصار.

(٢) شروط الأئمة الستة (٩٩-١٠٠).

وهو الدرجة الأولى من الصحيح، ومثاله: الحديث الذى يرويه الصحابى المشهور بالرواية عن رسول الله ﷺ وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه التابعى المشهور بالرواية عن الصحابة وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور وله رواة ثقات من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ البخارى أو مسلم حافظا متقنا مشهورا بالعدالة فى روايته فهذه الدرجة الأولى من الصحيح.

ثم ساق الأقسام الباقية، ونفى أن يكون في الصحيحين شيء منها(١).

*** ويمكننا أن نلخص شرط البخاري من كلام الحاكم السابق على النحو التالي:**

أولا: البخاري ومسلم يخرجان أحاديث الثقات شريطة أن يكون معروفا برواية ثقتين عنه(٢).

ثانيا: لابد من توفر هذا الشرط في طبقة شيوخ شيوخهما حتى طبقة الصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثا: يكفي في شيخ صاحب الصحيح أن يكون معروفا بالحفظ والإتقان مشهورا بالعدالة.

وقد تتابع أهل العلم على نقض كلام الحاكم، قال ابن طاهر المقدسي: «الجواب: أن البخاري ومسلما لم يشترطا هذا الشرط، ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك،

(١) المدخل إلى كتاب الإكليل (٣٣).

(٢) فهم البعض من كلام الحاكم أنه يرى أن الشيخين لا يخرجان الحديث إذا انفرد به أحد الرواة، ورد ذلك الحافظ ابن حجر في النكت على كتاب ابن الصلاح (١/ ٢٤٠) قال: الظاهر أن الحاكم لم يرد ذلك وإنما أراد كل راو في الكتابين من الصحابة فمن بعدهم، يشترط أن يكون له راويان في الجملة، لا أنه يشترط أن يتفقا في رواية ذلك الحديث بعينه عنه.

والحاكم قدر هذا التقدير، وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن، ولعمري إنه شرط حسن لو كان موجودًا في كتابيهما، إلا أنا وجدنا هذه القاعدة التي أسسها الحاكم منتقضة في الكتابين جميعا».

ثم ساق أمثلة من الصحيحين تدل على بطلان ما قاله الحاكم، ثم قال: وقد صرح الإمام المتقن أبو عبد الله محمد بن منده بأن شرطهما خلاف ما قاله الحاكم فقال: «من حكم الصحابي إذا روى عنه تابعي واحد، وإن كان مشهورا مثل الشعبي، وسعيد ابن المسيب ينسب إلى الجهالة، فإذا روى عنه رجلان صار مشهورا واحتج به، وعلى هذا بنى محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج كتابيهما الصحيحين إلا أحرفا تبين أمرها» قال ابن طاهر: فاستثنى أبو عبد الله بن مندة أحرفا، وهو هذا النوع الذي أشرت إليه(١).

وانتقده كذلك الحازمي، وبالغ في نقده فقال: ولم يصب في قسم من هذه الأقسام، وسنبين أوهامه فيما بعد(٢)، وقال أيضا: هذا حكم من لم يمعن الغوص في خبايا الصحيح، ولو استقرأ الكتاب حق استقرائه لوجد جملة من الكتاب ناقضة عليه دعواه... ثم أخذ في نقض كلام الحاكم(٣).

وقد انتقد كلام الحاكم غير واحد ممن جاء بعدهما بما لا يخرج عن كلامهما، ونقل السيوطي عن ابن المواق أنه حمل كلام الحاكم على الغالب من صنيع الشيخين، ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه عقب كلام ابن المواق بقوله: «هذا كلام مقبول

---

(١) شروط الأئمة الستة (٩٩).

(٢) شروط الأئمة الخمسة (١٢٢).

(٣) شروط الأئمة الخمسة (١٢٩).

وبحث قوي»[١].

وبهذا يلتقي كلام الحاكم مع قول ابن منده السابق: «إلا أحرفا تبين أمرها».

وقال الحافظ ابن حجر: والشرط الذي ذكره الحاكم وإن كان منتقضا في حق بعض الصحابة الذين أخرج لهم، فإنه معتبر في حق من بعدهم فليس في الكتاب حديث أصل من رواية من ليس له إلا راو واحد قط[٢].

ومما يؤيد كون الحاكم إنما قصد الغالب على صنيع الشيخين أن له كلاما يفيد أن الشيخين لم يشترطا ذلك في كتابيهما، فقد قال في المستدرك: قد أخرجا جميعا عن جماعة من الثقات لا راوي لهم إلا واحد[٣]، وقال أيضا: قد اتفقا جميعا على إخراج جماعة من الصحابة ليس لكل واحد منهم إلا راو واحد[٤].

ولكن كلامه السابق يناقض ما سبق نقله عن المدخل، ويناقض أيضا قوله عن حديث أخرجه: وهو من النوع الذي قدمت ذكره أن الصحابي إذا لم يكن له راويان

(١) البحر الذي زخر (٩٦٥/١)، تدريب الراوي (١٢٦/١).

(٢) هدي الساري (١١).

الظاهر من كلام الحافظ هنا أن البخاري لا يخرج حديث من ليس له إلا راو واحد في الأصول، وفيه نظر فإن الإمام البخاري أخرج لهند بنت الحارث الفراسية حديثين تفردت بهما، ولم يرو عنها إلا الزهري، ولم تذكر بجرح ولا تعديل، إلا أن ابن حبان ذكرها في الثقات (٥١٧/٥)، ولأجل هذا أوردها الإمام الذهبي في المجهولات من الميزان (٦١٠/٤)، وقال: ما علمت روى عنها سوى الزهري لكن خرج لها البخاري، ولم ينصفها الإمام الذهبي إذ ساواها بالمجهولات، وهي معروفة، وكانت تدخل على أزواج النبي ﷺ، ووصفت بكونها من صواحبات أم سلمة، وقد احتج بها البخاري، وأخرج لها حديثين انفردت بهما، الأول في مواضع متعددة منها كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل (١١٥/٢٥٣/١)، والثاني في مواضع متعددة منها كتاب الأذان، باب التسليم (٨٧٣/٣٧٥/٢)، وتخريج البخاري لها في الأصول دليل على توثيقه لها.

(٣) المستدرك على الصحيحين (٥٠/١).

(٤) المستدرك على الصحيحين (١٠٢/١).

لم يخرجاه[١]، ولعله ذهب إلى أنهما لم يلتزما بما اشترطاه.

وقد حاول السخاوي الاعتذار عنه والبحث لكلامه عن مخرج فقال: وقد وجدت في كلام الحاكم التصريح باستثناء الصحابة من ذلك وإن كان مناقضًا لكلامه الأول ولعله رجع عنه إلى هذا قال: «الصحابي المعروف إذا لم نجد له راويًا غير تابعي واحد معروف احتججنا به، وصححنا حديثه إذ هو صحيح على شرطهما جميعًا، فإن البخاري احتج بحديث قيس بن أبي حازم عن كل من مرداس الأسلمي، وعدي بن عميرة، وليس لهما راو غيره، كذلك احتج مسلم بأحاديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه، وأحاديث مجزأة بن زاهر عن أبيه»[٢]، قال السخاوي «وحينئذ فكلام الحاكم قد استقام، وزال بما تمت به عنه الملام[٣].

ثالثا: رأي ابن طاهر المقدسي المتوفى سنة (٥٠٧هـ)

قال ابن طاهر المقدسي: شرط البخاري ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلا غير مقطوع، فإن كان للصحابي راويان فصاعدا فحسن وإن لم يكن إلا راو واحد إذا صح الطريق إلى ذلك الراوي أخرجاه، إلا أن مسلمًا أخرج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم لشبهة وقعت في نفسه، أخرج مسلم أحاديثهم بإزالة الشبهة، مثل: حماد بن سلمة، وسهيل بن أبي صالح، وداود بن أبي هند، وأبي الزبير، والعلاء ابن عبد الرحمن، وغيرهم. جعلنا هؤلاء الخمسة مثالا لغيرهم لكثرة روايتهم وشهرتهم،

---

(١) المستدرك على الصحيحين (١/٣٧١).

(٢) المستدرك على الصحيحين (١/٧٤).

(٣) فتح المغيث (١/٥٥).

فلما تكلم في هؤلاء بما لا يزيل العدالة والثقة ترك البخاري إخراج حديثهم معتمدا عليهم تحريا، وأخرج مسلم أحاديثهم بإزالة الشبهة[١].

*** ويمكننا أن نلخص شرط البخاري من كلام ابن طاهر على النحو التالي:**

أولا: اشترط البخاري في الحديث الذي سيخرجه في صحيحه ما يلي:

١) أن يكون راوة الحديث الذي سيخرجه متفقا على توثيقهم جميعا.

٢) أن يخلو الحديث من الاختلاف أو الاضطراب.

٣) أن يكون إسناده متصلا.

ثانيا: قد يخرج البخاري حديث من تكلم فيه بما لا يزيل عنه العدالة والثقة، ولكنه لا يعتمد عليه.

ثالثا: لم يشترط أن يكون للراوي الذي سيخرج حديثه راويان فأكثر.

وقد انتقد العراقي هذا الكلام بقوله: ليس ما قاله بجيد لأن النسائي ضعف جماعة أخرج لهم الشيخان، أو أحدهما[٢].

قال السيوطي: «وقد أجيب بأنهما أخرجا من أجمع على ثقته إلى حين تصنيفهما، ولا يقدح في ذلك تضعيف النسائي بعد وجود الكتابين، وقال شيخ الإسلام (يعني ابن حجر) تضعيف النسائي إن كان باجتهاده أو نقله عن معاصر فالجواب ذلك، وإن نقله عن متقدم فلا، قال: ويمكن أن يجاب بأن ما قاله ابن طاهر هو الأصل الذي

---

(١) شروط الأئمة الستة (٨٦-٨٧).

(٢) شرح التبصرة والتذكرة (٢١).

بنيا عليه أمرهما، وقد يخرجان عنه لمرجح يقوم مقامه»[١].

وقال السخاوي: وما ادعاه من الاتفاق على ثقة نقلتهما قد لا يخدش فيه وجود حكاية التضعيف في بعضهم ممن قبلهما لتجويز أنهما لم يرياه قادحا، فنزلا كلام الجمهور والمعتمد عندهما منزله الإجماع، وكذا قوله: «من غير اختلاف بين الثقات» ليس على إطلاقه فإنه ليس كل خلاف مؤثر، وإنما المؤثر مخالفة الثقه لمن هو أحفظ منه أو أكثر عددا من الثقات كما سيأتي في الشاذ[٢].

رابعا: رأي أبي حفص الميَّانِجِي[٣] المتوفى سنة (٥٨٣هـ)

قال أبو حفص الميانجي: إن شرطهما في صحيحهما أن لا يدخلا فيه إلا ما صح عندهما، وذلك ما رواه عن رسول الله ﷺ اثنان فصاعدا، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر وأن يكون عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة[٤].

وقد استغرب هذا الكلام ابن الملقن[٥]، والزركشي[٦]، والسيوطي[٧].

---

(١) تدريب الراوي (١/١٢٥).

(٢) فتح المغيث (١/٥٣).

(٣) الميانجي، ويقال له: (الميانشي) نسبة إلى ميانش -بالفتح، وتشديد الثاني، وبعد الألف نون مكسورة، وشين معجمة- قرية صغيرة من قرى إفريقية كما في معجم البلدان (٥/٢٣٩).

والظاهر أنها بحرف بين الجيم، والشين يوجد في بعض اللغات الأعجمية، ولهذا قيلت بالحرفين، وتوجد نسبة أخري هي (ميانج) أوردها السمعاني في الأنساب (١١/٥١٣)، ولم يذكر فيها صاحب الترجمة.

(٤) ما لا يسع المحدث جهله (٩).

(٥) المقنع في علوم الحديث (١/٦٨).

(٦) النكت على مقدمة ابن الصلاح (١/٢٦٦).

(٧) البحر الذي زخر (٢/٦٩٤).

وقال الحافظ ابن حجر:

فهذا الذي قاله الميانجي مستغن بحكايته عن الرد عليه، فإنهما لم يشترطا ذلك ولا واحد منهما، وكم في الصحيحين من حديث لم يروه إلا صحابي واحد، وكم فيهما من حديث لم يروه إلا تابعي واحد، وقد صرح مسلم في صحيحه ببعض ذلك، وإنما حكيت كلام الميانجي هنا لأتعقبه لئلا يغتر به(١).

ونقل السيوطي عن الحافظ ابن حجر أيضا قوله: هو كلام من لم يمارس الصحيحين أدنى ممارسة، فلو قال قائل: ليس في الكتابين حديث واحد بهذه الصفة لما أبعد(٢).

خامسا: رأي أبي بكر الحازمي المتوفى سنة (٥٨٤هـ)

بعد أن نقض الحازمي كلام الحاكم السابق، وذكر شروط قبول حديث الراوي قال: اعلم أنه لهؤلاء الأئمة مذاهب في كيفية استنباط مخارج الحديث نشير إليها على سبيل الإيجاز، و ذلك أن مذهب من خرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه وفيمن روى عنهم وهم ثقات أيضا، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمه إخراجه وعن بعضهم مدخول لا يصلح إخراجه إلا في الشواهد والمتابعات وهذا باب فيه غموض وطريقه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم، ولنوضح ذلك بمثال وهو أن تعلم مثلا أن أصحاب الزهري على طبقات خمس، ولكل طبقة منها مزية على التي تليها وتفاوت:

الطبقة الأولى: جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري وهي الغاية

---

(١) النكت على ابن الصلاح (٢٤١/١).

(٢) تدريب الراوي (٧١/١).

في الصحة، وهم غاية مقصد البخاري.

الطبقة الثانية: شاركت الأولى في العدالة غير أنها لم تلازم الزهري إلا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه وكانوا في الإتقان دون الطبقة الأولى، وهم شرط مسلم.

الطبقة الثالثة: جماعة لزموا الزهري كالطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول وهم شرط أبي داود والنسائي.

الطبقة الرابعة: قوم شاركوا أهل الثالثة في الجرح والتعديل، وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهري لأنهم لم يصاحبوا الزهري كثيرا وهم شرط الترمذي.

الطبقة الخامسة: نفر من الضعفاء والمجهولين لا يجوز لمن يخرج الحديث على الأبواب أن يخرج حديثهم إلا على سبيل الاعتبار والاستشهاد عند أبي داود فمن دونه فأما عند الشيخين فلا، وقد يخرج البخاري أحيانا عن أعيان الطبقة الثانية، ومسلم عن أعيان الطبقة الثالثة، وأبو داود عن مشاهير الطبقة الرابعة.

ثم قال: وعلى هذا ينبغي أن يسبر حال الشخص في الرواية بعد ثبوت عدالته، فمهما حصل الفهم بحال الراوي على النحو المذكور، وكان الراوي محتويا على الشرائط المذكورة تعين إخراج حديثه منفردا كان به أو مشاركا(١).

وقال أيضا: شرطه (يعني البخاري) أن يخرج ما صح عنده لأنه قال: «لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا، ولم يتعرض لأمر آخر، وما سلم من جهات الانقطاع والتدليس، وغير ذلك من أسباب الضعف لا يخلو إما أن يسمى صحيحا أو لا يطلق عليه اسم الصحة، فإن كان يسمى صحيحا فهو شرطه على ما صرح به، ولا عبرة بالعدد،

---

(١) شروط الأئمة الخمسة (١٥٠-١٥٦) بتصرف.

وإن لم يطلق عليه اسم الصحة فلا تأثير للعدد لأن ضم الواهي إلى الواهي لا يؤثر في اعتبار الصحة(١).

وقال أيضا: أما إيداع البخاري ومسلم كتابيهما حديث نفر نسبوا إلى نوع من الضعف فظاهر، غير أنه لم يبلغ ضعفهم حدًا يرد به حديثهم مع أنا لا نقر بأن البخاري كان يرى تخريج حديث من ينسب إلى نوع من أنواع الضعف، ولو كان ضعف هؤلاء قد ثبت عنده لما خرج حديثهم... إلى أن قال: وأما البخاري فكان وحيد دهره وقريع عصره اتقانا وانتقادا وبحثا وسبرا، وبعد إحاطة العلم بمكانته من هذا الشأن لا سبيل إلى الاعتراض عليه في هذا الباب، ثم له أن يقول: هذا السؤال لا يلزمني لأني قلت: لم أخرج إلا حديثا متفقا على صحته، ولم أقل لا أخرج إلا حديث من اتفق على عدالته لأن ذلك يتعذر لاختلاف الناس في الأسباب المؤثرة في الضعف، ثم قد يكون الحديث عند البخاري عاليا، وله طرق بعضها أرفع من بعض، غير أنه يحيد أحيانا عن الطريق الأصح لنزوله أو يسأم تكرار الطريق إلى غير ذلك من الأعذار(٢).

*** ويمكننا أن نستخلص شرط البخاري كما يراه الحازمي على النحو التالي:**

أولا: شرط البخاري هو شروط الحديث الصحيح المعروفة عند المحدثين.

ثانيا: البخاري يخرج حديث الطبقة الأولى من الرواة، وهم أهل الحفظ والإتقان، وربما خرج حديث الطبقة الثانية وهي دونهم في الحفظ والإتقان.

---

(١) شروط الأئمة الخمسة (١٦٣-١٦٤).

(٢) شروط الأئمة الخمسة (١٧٢-١٨٤) بتصرف.

ثالثا: تخريج البخاري لحديث من تكلم فيه يجاب عنه بما يلي:

١) أنه لم يثبت عنده ضعفهم.

٢) أنه لم يشترط أن يخرج حديث من اتفق على كونه ثقة، إنما اشترط أن يخرج ما اتفق على صحته، وهذا يعني أنه انتقى من حديثهم ما ثبت أنه صحيح عنده.

٣) أن أحاديثهم عنده من رواية الثقات، ولكنها بإسناد نازل، فيؤثر ذكر أسانيدهم لعلوها.

٤) أنه قد يسأم من تكرار الطريق الثابت من رواية الثقات فيذكر طريقا آخر فيه من تكلم في حفظه.

رابعا: الإمام البخاري يراعي حال الراوي في شيوخه فرب راو يكون ثقة لكنه ضعيف في شيخ معين فلا يخرج البخاري حديثه عن ذلك الشيخ.

سادسا: رأي أبي عمرو بن الصلاح المتوفى سنة (٦٤٣هـ)

قال ابن الصلاح: شرط مسلم في صحيحه أن يكون الحديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالما من الشذوذ ومن العلة وهذا هو حد الحديث الصحيح في نفس الأمر[(١)].

وكلام ابن الصلاح هذا يفيد أن شرط مسلم - والبخاري من باب أولى هو شرط الصحيح لذاته دون غيره، وفيه نظر سيأتي بيانه قريبا، وقد تابعه عليه غير واحد منهم

(١) صيانة صحيح مسلم (٧٢).

ابن الملقن في التوضيح[١]، والعيني في عمدة القاري[٢].

سابعا: رأي الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢هـ)

نقل الحافظ ابن حجر كلام الحازمي السابق مقرا له، وعقبه بقوله: وأكثر ما يخرج البخاري حديث الطبقة الثانية تعليقا، وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقا أيضا، وهذا المثال الذي ذكرناه هو في حق المكثرين فيقاس على هذا أصحاب نافع، وأصحاب الأعمش، وأصحاب قتادة، وغيرهم، فأما غير المكثرين فإنما اعتمد الشيخان في تخريج أحاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطأ، لكن منهم من قوي الاعتماد عليه فأخرجا ما تفرد به كيحيى بن سعيد الأنصاري، ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فأخرجا له ما شاركه فيه غيره وهو الأكثر[٣].

وقال في كتابه النكت على صحيح البخاري: اعلم علمني الله وإياك أن البخاري لم يوجد عنه تصريح بشرط معين، وإنما يوجد ذلك من معنى تسميته للكتاب، وبالاستقراء من تصرفه أما أولا فإنه سماه الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، فعرفنا بقوله: (الجامع) أنه لم يختص بصنف دون صنف، وبقوله: (الصحيح) أنه ليس فيه شيء ضعيف عنده، وبقوله: (المسند) أن مقصوده الأصلي تخريج الأحاديث التي اتصل إسنادها، وأما ما عرف بالاستقراء من تصرفه فيحتاج أولا إلى التعريف بالصحيح عنده، وعند غيره، وهو أن يكون متصلا، وأن يكون كل من رواته عدلا موصوفا بالضبط، فإن قصر احتاج إلى

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٨٦/٢).

(٢) عمدة القاري (١٥/١).

(٣) هدي الساري (١٢).

ما يجبر ذلك التقصير، ويكون الحديث مع ذلك قد خلا من أن يكون معلولا أي فيه علة قادحة، أو أن يكون شاذا أي خالف راويه من هو أكثر عددا منه أو أشد ضبطا مخالفة تستلزم التنافي، ويتعذر معه الجمع الذي لا يكون متعسفا، وكذا عرفنا بالاستقراء من تصرفه في الرجال الذين يخرج عنهم أنه ينتقي أكثرهم صحبة لشيخه، وأعرفهم بحديثه، وإن أخرج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فإنما يخرج في المتابعات، أو حيث يقوم له قرينة بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوي[١].

وكلام الحافظ لا يخرج عن كلام الحازمي إلا أنه زاد شيئا مهما جدا قل من يفطن إليه، وهو أن الصحيح الذي اشترطه البخاري لا يقتصر على الصحيح لذاته فقط كما يفهم من كلام بعض من سبق[٢]، ولكنه الصحيح بنوعيه لذاته، ولغيره.

*** تمحيص هذه الآراء**

إذا استبعدنا رأي أبي عبد الله الحاكم، وأبي حفص الميانجي من هذه الآراء تبين لنا أنها متقاربة، وأن المتأخر يأخذ كلام المتقدم فيزيده بيانا، وربما أضاف إليه أشياء مهمة، وكلامهم يدور حول شرط الحديث الصحيح عند المحدثين، وذلك لأن الإمام البخاري اشترط إخراج الحديث الصحيح، ولا يوجد ما يدل على أنه اشترط شيئا زائدا على الصحيح لا من قوله، ولا من صنيعه، وقد صرح بذلك الحازمي كما سبق فقال: شرطه (يعني البخاري) أن يخرج ما صح عنده لأنه قال: «لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا»، ولم يتعرض لأمر آخر[٣].

(١) النكت على صحيح البخاري (١/٧٥-٧٧) باختصار.
(٢) هو ظاهر كلام ابن الصلاح، ومن تابعه كما سبق.
(٣) شروط الأئمة الخمسة (١٦٣).

وإنما استبعدت كلام الحاكم، والميانجي لأنهما انفردا بما لم يتابعهما عليه أحد ممن جاء بعدهما من أهل العلم، بل قام الدليل على خلاف قولهما حيث ذهب الحاكم إلى أن البخاري ومسلما لم يرويا إلا لمن روى عنه راويان ثقتان، وذهب الميانجي إلى أنهما اشترطا ما رواه عن رسول الله ﷺ اثنان فصاعدا، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر وأن يكون عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة، وهذا منتقض بوجود رواة من الصحابة وغيرهم في الصحيحين ليس لهم إلا راو واحد.

وأكثر هذه الأقوال وضوحا، وتفصيلا، ومطابقة لصنيع الإمام البخاري هو قول الحازمي، وبه أخذ الحافظ ابن حجر - وحسبك به خبيرا بالجامع الصحيح - وقد زاد عليه شيئا مهما كما سبق، وهو أن الصحيح الذي اشترطه البخاري لا يقتصر على الصحيح لذاته فقط، ولكنه الصحيح بنوعيه لذاته، ولغيره، فإن كثيرا من أحاديث الصحيحين لا يتأتى الحكم بصحتها إلا بمجموع الأسانيد المتوفرة لهذا الحديث، وقد نبه الحافظ ابن حجر على هذا الأمر في غير موضع من كتبه.

من ذلك قوله في نكته على ابن الصلاح متعقبا تعريفه للحديث الصحيح: ينبغي أن يزاد في التعريف بالصحيح فيقال: (هو الحديث الذي يتصل إسناده بنقل العدل التام الضبط أو القاصر عنه إذا اعتضد عن مثله إلى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا)، وإنما قلت ذلك لأنني اعتبرت كثيرا من أحاديث الصحيحين فوجدتها لا يتم الحكم عليها بالصحة إلا بذلك[١].

(١) النكت على ابن الصلاح (٤١٧/١).

وقد مثل الحافظ لذلك بحديث أبي بن العباس[١]، وحديث معاوية بن إسحاق بن طلحة[٢] في صحيح البخاري ثم قال: في أمثلة كثيرة قد ذكرت الكثير منها في مقدمة شرح البخاري، ويوجد في كتاب مسلم منها أضعاف ما في البخاري[٣].

وقال في فتح الباري معلقا على حديث أخرجه لأسامة بن حفص المدني بمتابعة آخرين: ويؤخذ من صنيعه أنه وإن اشترط في الصحيح أن يكون راويه من أهل الضبط والإتقان، أنه إن كان في الراوي قصور عن ذلك ووافقه على رواية ذلك الخبر من هو مثله انجبر ذلك القصور بذلك وصح الحديث على شرطه[٤].

وقال في حديث لعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار أخرجه البخاري بمتابعة عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر: وعمر مختلف في الاحتجاج به، وكذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار المذكور في الطريق الموصولة فاعتضدت إحدى الطريقين بالأخرى وهو من أمثلة أحد قسمى الصحيح كما تقرر في علوم الحديث[٥].

وقال في حديث لفليح بن سليمان: تفرد به فليح وهو مضعف عند ابن معين، والنسائي، وأبي داود، ووثقه آخرون فحديثه من قبيل الحسن لكن له شواهد من حديث ابن عمر، وسعد القرظ، وأبي رافع، وعثمان بن عبيد الله التيمي، وغيرهم يعضد بعضها بعضا فعلى هذا هو من القسم الثاني من قسمى الصحيح[٦].

---

(١) انظر ترجمته رقم [١].

(٢) انظر ترجمته رقم [٨١].

(٣) النكت على ابن الصلاح (١/٢١٩).

(٤) فتح الباري (٩/٥٥٠)، وانظر ترجمة أسامة بن حفص المدني رقم [٩٣].

(٥) فتح الباري (٢/٥٧٧)، وانظر ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار رقم [١٦٠].

(٦) فتح الباري (٢/٥٤٧)، وانظر ترجمة فليح بن سليمان رقم [١٦٩].

ولكن في دعوى الحافظ كثرة الصحيح لغيره عند الإمام البخاري نظر فإن الأمثلة التي ذكرها في حدود ما وقفت عليه لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة وقد اجتمع لي عدة أحاديث أخرى لا يتأتى الحكم عليها بالصحة إلا بمجموع طرقها منها حديث لعبد الله ابن المثنى(١)، وحديثان لعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار(٢)، وحديث لفليح بن سليمان(٣).

وإذا ضممنا هذه الأحاديث إلى الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر كان مجموعها تسعة أحاديث، ومثل هذا العدد - بل وعشرة أضعافه - لا يقال له كثير في كتاب حوى ما يقارب الثلاثة آلاف حديث بغير تكرار.

* * *

(١) انظر ترجمته رقم [١٥٧].

(٢) انظر ترجمته رقم [١٦٠].

(٣) انظر ترجمته رقم [١٦٩].

المبحث الثالث
أثر شرط الإمام البخاري في اختياره لرواة جامعه الصحيح

إذا تقرر أن الإمام البخاري اشترط أن يخرج الصحيح بنوعيه فليس عجيبا أن يشتمل كتابه على حديث الثقات، ومن خف ضبطهم، بل والضعفاء أحيانا، وذلك لأنه لم يشرط أن يخرج حديث الثقات إنما اشترط أن يخرج الصحيح، والصحيح ليس قاصرا على أحاديث الثقات، فإن من خف ضبطه إذا روى حديثا، وتابعه عليه من هو مثله أو فوقه فإن حديثه يكون صحيحا لغيره كما هو مقرر في علوم الحديث[١].

قال الحازمي: شرطه (يعني البخاري) أن يخرج ما صح عنده لأنه قال: «لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا»، ولم يتعرض لأمر آخر[٢].

وكما أن حديث الثقات ليس دائما يكون صحيحا فربما عرض له شذوذ أو علة، فكذلك حديث الضعفاء ليس دائما يكون ضعيفا فلربما عرض له ما يقويه، فالحكم على الحديث بالصحة تعني أنه تحقق لدى الناقد أن راويه قد ضبطه، وطريق معرفة ضبط الراوي للحديث أمران:

الأول: أن يكون الراوي من أهل الإتقان فيقبل ما تفرد به إذا خلا عن الشذوذ والعلة، وهو ما يعرف بالصحيح لذاته.

الثاني: أن يكون راويه ممن خف ضبطه، أو ضَعُف، ويتابعه غيره حتى يرتقي إلى درجة الصحيح، وهو ما يعرف بالصحيح لغيره.

---

(١) انظر على سبيل المثال مقدمة ابن الصلاح (٥١).

(٢) شروط الأئمة الخمسة (١٦٣).

ولذا فإن تعميم الحكم على رواة من اشترط الصحة بأنهم ثقات غير صحيح لأنه لابد من التفريق بين من أخرجوا له في الأصول، ومن أخرجوا له في الشواهد والمتابعات، وعلى هذا جرى عمل المحققين من أهل العلم.

قال ابن دقيق العيد - وهو يسرد طرق معرفة كون الراوي ثقة -: ومنها تخريج الشيخين أو أحدهما في الصحيح للراوي **محتجين به**، وهذه درجة عالية لإطباق جمهور الأمة أو كلهم على تسمية الكتابين بالصحيحين، والرجوع إلى حكم الشيخين بالصحة، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو بمثابة إطباق الأمة أو أكثرهم على تعديل من ذكر فيهما وقد وجد في هؤلاء الرجال المخرج عنهم في الصحيح من تكلم فيه بعضهم، وكان شيخ شيوخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح: هذا جاز القنطرة. يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، وهكذا نعتقد به ونقول، ولا نخرج عنه إلا ببيان شاف، وحجة ظاهرة تزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه، من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما، نعم، يمكن أن يكون للترجيح مدخل عند تعارض الروايات فيكون من لم يتكلم فيه أصلا راجحا على من قد تكلم فيه، وإن كانا جميعا من رجال الصحيح. وهذا عند وقوع التعارض(١).

وقال الإمام الذهبي: من أخرج له الشيخان على قسمين: أحدهما: ما احتجا به في الأصول، وثانيهما: من خرجا له متابعة وشهادة واعتبارا، فمن **احتجا به** أو أحدهما، ولم يوثق، ولا غمز، فهو ثقة حديثه قوي، ومن احتجا به أو أحدهما، وتكلم فيه: فتارة يكون الكلام فيه تعنتا، والجمهور على توثيقه، فهذا حديثه قوي أيضا، وتارة يكون

---

(١) الاقتراح (٥٥).

الكلام في تليينه وحفظه له اعتبار، فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن التي قد نسميها: من أدنى درجات الصحيح، فما في الكتابين بحمد الله رجل احتج به البخاري أو مسلم في الأصول، ورواياته ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة، ومن خرج له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات، ففيهم من في حفظه شيء، وفي توثيقه تردد. فكل من خرج له في الصحيحين فقد قفز القنطرة، فلا معدل عنه إلا ببرهان بين(١).

وقال الحافظ ابن حجر: ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده، وصحة ضبطه، وعدم غفلته، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما، **هذا إذا خرج له في الأصول**، فأما إن خرج له في المتابعات، والشواهد، والتعاليق فهذا يتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقا، أو في ضبطه لخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح، ومنها ما لا يقدح(٢).

فقد فرق هؤلاء الأئمة بين تخريج الشيخين للراوي في الأصول محتجين به، وبين تخريجهما له في المتابعات، وإذا تفحصنا الرواة الذين خرج لهم البخاري بإسناده المتصل وجدنا أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) الموقظة (٧٩-٨١)، وسيأتي مناقشة ما يفيده كلامه من وجود الحسن في أصول الصحيحين في المبحث التالي.

(٢) هدي الساري (٤٠٣).

القسم الأول: لا مطعن فيهم بوجه من الوجوه، أو تكلم فيهم بما لا يقدح في ضبطهم وحفظهم وهؤلاء يخرج لهم البخاري في الأصول كمالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج.

القسم الثاني: من ضعف بأمر نسبي كالاختلاط والتدليس، وهؤلاء يخرج لهم البخاري في الأصول، ويتجنب ما ضعفوا فيه فإن أخرج لهم ما ضعفوا فيه كان في المتابعات دون الأصول كسعيد بن أبي عروبه ذكر فيمن اختلط(١)، وهشيم بن بشير عيب عليه التدليس(٢).

القسم الثالث: من ثبت ضعف حفظه أو خفته ممن تكلم فيه النقاد، وهؤلاء يخرج لهم البخاري في المتابعات دون الأصول، وبعض هؤلاء تكلم البخاري نفسه في حفظهم كما سيأتي قريبا.

ولا يعاب الإمام البخاري بتخريجه لبعض الضعفاء لأنه إمام ناقد يستطيع أن يميز ما أخطأ فيه ذلك الراوي مما لم يخطئ فيه، وهو معروف بتحريه في الرواية فقد صح عنه أنه لا يروي عن شخص لا يعرف صحيح حديثه من سقيمه.

قال البخاري عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: «هو صدوق، ولا أروي عنه لأنه لا يُدْرَى صحيح حديثه من سقيمه، وكل من كان مثل هذا فلا أروي عنه شيئا»(٣).

(١) قال الحافظ في هدي الساري (٤٢٦): أخرج عمن سمع منه بعد الاختلاط قليلا كمحمد بن عبد الله الأنصاري، وروح بن عبادة، وابن أبي عدي فإذا أخرج من حديث هؤلاء انتقى منه ما توافقوا عليه.

(٢) قال الحافظ في هدي الساري (٤٧٢): ذكر جماعة من الحفاظ أن البخاري كان لا يخرج عنه إلا ما صرح فيه بالتحديث، واعتبرت أنا هذا في حديثه فوجدته كذلك إما أن يكون قد صرح به في نفس الإسناد أو صرح به من وجه آخر.

(٣) سنن الترمذي (٢/١٩٩، ٤/٢١٤).

وقال عن أيوب بن عتبة: «كان لا يُعرف صحيح حديثه من سقيمه، فلا أحدث عنه»[١].

وقال عن زمعة بن صالح: «ذاهب الحديث لا يُدرى صحيح حديثه من سقيمه، أنا لا أروي عنه، وكل من كان مثل هذا فأنا لا أروي عنه»[٢].

وقال عن أبي معشر المديني نجيح مولى بني هاشم: «ضعيف لا أروي عنه شيئا ولا أكتب حديثه، وكل رجل لا أعرف صحيح حديثه من سقيمه لا أروي عنه ولا أكتب حديثه»[٣].

وللإمام البخاري كغيرة من النقاد في معرفة صحيح حديث الراوي المتكلم في حفظه من ضعيفه طريقتان يمكن استخراجهما من قول ابن عبد الهادي: وأصحاب الصحيح إذا رووا لمن تكلم فيه، فإنهم ينتقون من حديثه ما لم ينفرد به بل وافق فيه الثقات، وقامت شواهد صدقه عندهم[٤]، وقول ابن حجر: عرفنا بالاستقراء من تصرفه في الرجال الذين يخرج عنهم أنه ينتقي أكثرهم صحبة لشيخه، وأعرفهم بحديثه، وإن أخرج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فإنما يخرج في المتابعات، أو حيث يقوم له قرينة بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوي[٥].

الأولى: أن يخرج من حديثهم ما توبعوا عليه، وأكتفي هنا بذكر ثلاثة نماذج لمن تكلم البخاري في حفظهم، وأخرج لهم في المتابعات:

---

(١) علل الترمذي الكبير (٣٥).

(٢) علل الترمذي الكبير (٣٨٩).

(٣) علل الترمذي الكبير (٣٩٤).

(٤) التنقيح في أحايث التعليق (٣/٢٧٧).

(٥) النكت على صحيح البخاري (١/٧٧).

الأول: الحسن بن خلف (شاذان) الواسطي.

قال فيه البخاري: «يتكلمون فيه»، وقد أخرج له حديثا واحدا توبع عليه في نفس الباب[١].

الثاني: سعيد بن عامر الضبعي

قال فيه البخاري: «كثير الغلط»، وقد أخرج له حديثين أحدهما موقوف توبع عليهما في نفس الباب[٢].

الثالث: عباد بن راشد التميمي.

قال فيه البخاري: «يهم شيئا، وتركه يحيى القطان»، وقد أخرج له حديثا واحدا مقرونا بإسنادين توبع فيهما[٣].

الثانية: أن ينتقى من حديثهم ما ثبت عنده أنهم حفظوه، وقامت شواهد صدقه عنده، ولهذا صور منها:

أولا: أن يكون الراوي من شيوخه الذين خبرهم، وله دراية بكتبهم، وحديثهم فربما أخذ من أصل الراوي إذا كان صحيح الكتاب كما هو الحال في إسماعيل بن أبي أويس عبد الله الأصبحي، قال البخاري في كتابه القراءة خلف الإمام: وكان إسماعيل بن أبي أويس من أتبع من رأينا مالكا أخرج لي كتب ابن إسحاق عن أبيه عن المغازي وغيرهما فانتخبت منها كثيرا[٤].

---

(١) انظر الحديث عن ذلك مفصلا في ترجمته رقم [٢].

(٢) انظر الحديث عن ذلك مفصلا في ترجمته رقم [٤].

(٣) انظر الحديث عن ذلك مفصلا في ترجمته رقم [١٥].

(٤) القراءة خلف الإمام (٩١).

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته: احتج به الشيخان إلا أنهما لم يكثرا من تخريج حديثه ولا أخرج له البخاري مما تفرد به سوى حديثين... وروينا في مناقب البخاري بسند صحيح أن إسماعيل أخرج له أصوله، وأذن له أن ينتقي منها، وأن يعلم له على ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه، وهو مشعر بأن ما أخرجه البخاري عنه هو من صحيح حديثه لأنه كتب من أصوله، وعلى هذا لا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره إلا أن شاركه فيه غيره فيعتبر فيه(١).

وقال في ترجمة عثمان بن صالح السهمي: والحكم في أمثال هؤلاء الشيوخ الذين لقيهم البخاري، وميز صحيح حديثهم من سقيمه، وتكلم فيهم غيره أنه لا يدعي أن جميع أحاديثهم من شرطه فإنه لا يخرج لهم إلا ما تبين له صحته(٢).

ثانيا: أن يأخذ من حديث الراوي ما كان عن أهل بيته، فقد روى عن أبي بن العباس بن سهل حديثا عن أبيه، عن جده، قال: «كان للنبي ﷺ في حائطنا فرس يقال له اللَّحِيف» مع أنه ضعف أُبيًّا هذا، ولو نظرنا في هذا الحديث لرأينا أن هذا الحديث ليس من أحاديث الأحكام، والراوي هنا يروي قصة تتعلق بآل بيته ويبعد أن يخطئ فيها، لذا لم يشدد فيه البخاري(٣).

ومن ذلك أيضا أنه أخرج لعبد الله بن المثنى الأنصاري عدة أحاديث عن عمه ثمامة منها حديثان تفرد بهما أحدهما في الآداب، والثاني في المناقب، وقد برر ذلك الحافظ بقوله: «ولا شك أن الرجل أضبط لحديث آل بيته من غيره»(٤).

---

(١) هدي الساري (٤١٠).

(٢) هدي الساري (٤٤٥).

(٣) انظر تفصيل ذلك في ترجمة أبي بن العباس رقم [١].

(٤) انظر تفصيل ذلك في ترجمة عبد الله بن المثنى الأنصاري رقم [١٥٧].

ثالثا: أن يكون في الحديث ما يشعر بأن الراوي قد حفظه ومن ذلك أنه أخرج لإبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي حديثين تفرد بسياق أحدهما، ولعل الإمام البخاري تسامح فيه لكونه في الترغيب، ولأنه في هذا الحديث كان يروي قصة وقعت له فيبعد أن يخطئ فيها(١).

وهذا يؤكد أن قواعد المحدثين في نقد الرواة، والأحاديث ليست جامدة، بل تراعى فيها القرائن والملابسات المحيطة بقضية البحث، ولابن القيم كلام نفيس جدا في بيان هذا الأمر فقد قال: وربما يظن الغالط الذي ليس له ذوق القوم ونقدهم أن هذا تناقض منهم، فإنهم يحتجون بالرجل ويوثقونه في موضع، ثم يضعفونه بعينه ولا يحتجون به في موضع آخر، ويقولون: إن كان ثقة وجب قبول روايته جملة، وإن لم يكن ثقة وجب ترك الاحتجاج به جملة، وهذه طريقة قاصري العلم، وهي طريقة فاسدة مجمع بين أهل الحديث على فسادها، فإنهم يحتجون من حديث الرجل بما تابعه غيره عليه، وقامت شهوده من طرق ومتون أخرى، ويتركون حديثه بعينه إذا روى ما يخالف الناس أو انفرد عنهم بما لا يتابعونه عليه إذ الغلط في موضع لا يوجب الغلط في كل موضع، والإصابة في بعض الحديث أو في غالبه لا توجب العصمة من الخطأ في بعضه، ولا سيما إذا علم من مثل هذا أغلاط عديدة ثم روى ما يخالف الناس ولا يتابعونه عليه، فإنه يغلب على الظن أو يجزم بغلطه، وهنا يعرض لمن قصر نقده وذوقه هنا عن نقد الأئمة وذوقهم في هذا الشأن نوعان من الغلط ننبه عليهما لعظيم فائدة الاحتراز منهما:

أحدهما: أن يرى مثل هذا الرجل قد وثق وشهد له بالصدق والعدالة أو خرج حديثه في الصحيح فيجعل كل ما رواه على شرط الصحيح، وهذا غلط ظاهر فإنه

(١) انظر تفصيل ذلك في ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي رقم [١٣١].

إنما يكون على شرط الصحيح إذا انتفت عنه العلل، والشذوذ، والنكارة، وتوبع عليه فأما مع وجود ذلك أو بعضه فإنه لا يكون صحيحا ولا على شرط الصحيح، ومن تأمل كلام البخاري ونظرائه في تعليله أحاديث جماعة أخرج حديثهم في صحيحه علم إمامته وموقعه من هذا الشأن وتبين به حقيقة ما ذكرنا .

النوع الثاني من الغلط: أن يرى الرجل قد تكلم في بعض حديثه وضعف في شيخ أو في حديث فيجعل ذلك سببا لتعليل حديثه وتضعيفه أين وجد كما يفعله بعض المتأخرين من أهل الظاهر وغيرهم، وهذا أيضا غلط فإن تضعيفه في رجل أو في حديث ظهر فيه غلط لا يوجب تضعيف حديثه مطلقا، وأئمة الحديث على التفصيل والنقد واعتبار حديث الرجل بغيره والفرق بين ما انفرد به أو وافق فيه الثقات(١).

وقد تتبعت رواة الصحيح فوجدت الإمام البخاري قد أخرج لعدد من الضعفاء ومن جهل حاله، وعددهم بحسب ما انتهيت إليه (١٥) خمسة عشر راويا(٢) أي ما يقارب ١ % من رواة الصحيح، ولم يخرج لهم الإمام البخاري إلا ما توبعوا عليه، أو انتقى من حديثهم ما قامت الشواهد القوية على أنهم لم يخطئوا فيه.

أما الضعفاء فعددهم (١٠) عشرة رواة، وهم: أبي بن العباس بن سهل(٣)، وأسباط أبو اليسع(٤)، وزكريا بن يحيى الطائي(٥)، وعامر بن مصعب(٦)، وعمرو

---

(١) الفروسية (٢٤٠-٢٤١)، ونحوه في تهذيب سنن أبي داود (٥/٣٢٥-٣٢٦).

(٢) لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلوم الحديث أن الكلام في الرواة أمر اجتهادي تختلف فيه أنظار الباحثين كما اختلفت فيه أنظار النقاد المتقدمين، ورب راو واحد يختلف فيه رأي الناقد، أو الباحث من وقت إلى آخر.

(٣) انظر ترجمته رقم [١].

(٤) انظر ترجمته رقم [٢٦].

(٥) انظر ترجمته رقم [١٢٣].

(٦) انظر ترجمته رقم [٤٨].

ابن أبي سلمة التنيسي[١]، وفضيل بن سليمان النميري[٢]، ومحمد بن أبي حفصة البصري[٣]، وموسى بن مسعود النهدي[٤]، ونعيم بن حماد الخزاعي[٥]، ويحيى بن أبي زكريا الغساني[٦].

وأما من جهل حاله فعددهم (٥) خمسة رواة، وهؤلاء الخمسة لم يخرج لهم البخاري إلا مقرونين، وهم: عبيد بن أبي مريم[٧]، وعطاء السوائي[٨]، وعمر بن العلاء المازني[٩]، ومالك بن مالك بن جعشم[١٠]، ونبهان أبو صالح[١١].

وهذا الذي انتهيت إليه يخالف ما قرره الحافظ ابن حجر حيث قال: «فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم في الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف في دعواه أنه معروف، ولا شك أن المدعي لمعرفته مقدم على من يدعي عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم، ومع ذلك فلا تجد في رجال الصحيح أحدا ممن يسوغ إطلاق اسم الجهالة عليه أصلا كما سنبينه»[١٢].

(١) انظر ترجمته رقم [١٢٤].
(٢) انظر ترجمته رقم [١٢٥].
(٣) انظر ترجمته رقم [١٢٦].
(٤) انظر ترجمته رقم [١٢٧].
(٥) انظر ترجمته رقم [٨٥].
(٦) انظر ترجمته رقم [١٢٢].
(٧) انظر ترجمته رقم [٥٨].
(٨) انظر ترجمته رقم [٦٣].
(٩) انظر ترجمته رقم [٦٤].
(١٠) انظر ترجمته رقم [١١٥].
(١١) انظر ترجمته رقم [٨٤].
(١٢) هدي الساري (٤٠٣).

- والجواب عن كلام الحافظ من وجوه:

الأول: أن الحافظ نفسه وصف راويا من رواة الصحيح ممن وثقهم ابن حبان، وهو عامر بن مصعب بقوله: «لا يعرف، وقد وثقه ابن حبان على عادته»[(١)]، ووصف عددا غير قليل ممن أخرج لهم البخاري بقوله: «مقبول» - منهم الخمسة السابق ذكرهم - وهو يستخدم هذا المصطلح عادة فيمن كان مجهول الحال.

الثاني: أن الحافظ قرر في غير موضع من كتبه أن البخاري يخرج لمن كان سيئ الحفظ في المتابعات فما الفرق بين سيئ الحفظ والمجهول في هذا الشأن؟، وإذا قلنا: إن البخاري ربما أخرج حديث سيئ الحفظ في المتابعات فلماذا لا يقال: إن البخاري ربما أخرج حديث من جهلت حاله في المتابعات أيضا؟

الثالث: أن تخريج الإمام البخاري لمن جهلت حاله في المتابعات لا يعني أنه يدعي أنه معروف له، كما أن تخريجه للراوي في صحيحه لا يعني أنه ثقة عنده.

الرابع: أي عيب يلحق الإمام البخاري إن خرج حديثا من طريق راويين أحدهما ثقة مشهور، والآخر مجهول الحال؟ وإنما روى الحديث كما وقع له، والحديث صحيح ثابت برواية الثقة.

خامسا: أن الحافظ الذهبي وصف ثلاثة ممن أخرج لهم البخاري بقوله: «مجهول»، وهم أسباط أبو اليسع[(٢)]، وعبيد بن أبي مريم[(٣)]، ومحمد بن يزيد الحزامي[(٤)]، ووصف

(١) انظر ترجمته رقم [٤٨].
(٢) انظر ترجمته رقم [٢٦].
(٣) انظر ترجمته رقم [٥٨].
(٤) انظر ترجمته رقم [١٧٩].

أحد رواة الصحيح، وهو عطاء السوائي بقوله: «لا يعرف»[١]، وقال في عمر بن العلاء المازني: «لا يكاد يعرف»[٢]، وقال في علي بن حفص المروزي: «لا نعرفه»[٣].

وقد يقال: إذا كان الحديث صحيحا ثابتا من رواية الثقات فلماذا لا يكتفي الإمام البخاري برواياتهم، وما الذي يحوجه إلى ذكر روايات من دونهم؟

وقد تكفل الإمام مسلم بالجواب عن هذا السؤال فقال - وقد عاب عليه أبو زرعة تخريجه لبعض الضعفاء في صحيحه -: إنما أدخلت من حديث أسباط[٤]، وقطن[٥]، وأحمد[٦] ما قد رواه الثقات عن شيوخهم إلا أنه ربما وقع إلي عنهم بارتفاع ويكون عندي من رواية من هو أوثق منهم بنزول، فأقتصر على أولئك، وأصل الحديث معروف من رواية الثقات[٧].

وهذا يعني أن الإمام الناقد الذي اشترط الصحة في كتابه ربما أخرج بعض أحاديث من دون الثقات لأسباب تتعلق بالصناعة الحديثة، وقد تلمست الأسباب التي تجعل

---

(١) انظر ترجمته رقم [٦٣].

(٢) انظر ترجمته رقم [٦٤].

(٣) انظر ترجمته رقم [١٦٦].

(٤) أسباط بن نصر الهمداني -بسكون الميم- أبو يوسف، ويقال: أبو نصر، صدوق كثير الخطأ يغرب، روى له مسلم والأربعة، من الثامنة، تقريب التهذيب (٩٨).

(٥) قطن بن نسير -بنون، ومهملة مصغر- أبو عباد البصري صدوق يخطئ، روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، من العاشرة. تقريب التهذيب (٤٥٦).

(٦) أحمد بن عيسى التستري روى له وعنه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، مات سنة ٢٤٣هـ، قال ابن حجر: صدوق تكلم في بعض سماعاته، قال الخطيب: بلا حجة. قلت: لم ينصفه الحافظ ابن حجر بل هو ثقة قال الذهبي: ثقة ثبت كان عصريه يحيى بن معين يكذبه وحاشاه بل هو صادق متقن. تهذيب الكمال (١/٤١٧)، من تكلم فيه وهو موثق (٨٦)، تقريب التهذيب (٨٣).

(٧) سؤلات البرذعي لأبي زرعة (٣٧٧).

الإمام البخاري لا يكتفي بأحاديث الثقات فيورد حديث من دونهم فاجتمع لي عدة أسباب ترجع إلى خمسة:

١) الفرار من تكرار الأسانيد، فالإمام البخاري يوزع ما عنده من الطرق، والروايات على الأبواب، وقد اجتهد ألا يكرر الحديث بمتنه وإسناده في موضعين، ولم يقع هذا في الصحيح إلا نادرا حيث يضيق عليه مخرج الحديث[(١)]، فهو يخرج الحديث أحيانا من طريق الثقات ثم يخرجه من نفس الطريق فيضيف إليه إسنادا آخر فرارا من التكرار كما فعل في حديث أسباط أبي اليسع، قال الحافظ ابن حجر تعليقا على الحديث الذي أخرجه له البخاري: قد ساقه المصنف هنا على لفظ أبي اليسع، وساقه في الرهن على لفظ مسلم بن إبراهيم، والنكتة في جمعهما هنا مع أن طريق مسلم أعلى مراعاة للغالب من عادته أن لا يذكر الحديث الواحد في موضعين بإسناد واحد، ولأن أبا اليسع المذكور فيه مقال فاحتاج أن يقرنه بمن يعضده[(٢)].

٢) التنبيه على نكتة في الإسناد كتصريح بالسماع كما في حديث عباد بن راشد[(٣)]،

(١) أفاد ذلك الحافظ ابن حجر في عدة مواضع من فتح الباري منها (١/١٠٥، ٤/٣٥٤، ١١/٤١٤).
وعدد الأحاديث التي كررها البخاري متنا وإسنادا (٢١) حديثا بحسب تعداد الحافظ ابن حجر نقلها عنه القسطلاني عن ورقة بخط يده، وزاد عليها واحدا، وزاد الدكتور/نور الدين عتر حديثا آخر، وزاد عليها محمد بن ناصر العجمي خمسة أخرى، وذكر أنها أكثر من ذلك.
انظرها في إرشاد الساري (١/٢٥-٢٦)، والإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، وعادات الإمام البخاري في صحيحه [تعليق المحقق ٦٢].
(٢) فتح الباري (٤/٣٥٤)، وانظر ترجمته رقم [٢٦].
(٣) انظر ترجمته رقم [١٤].

أو علو إسناد كما في حديث عمرو بن مرزوق الباهلي(١).

٣) ليبين الاختلاف في المتن أو الإسناد كما في حديث جرير بن زيد الأزدي(٢).

٤) تقوية الطريق الذي يرجحه كما في حديث أحمد بن عمر البغدادي(٣).

٥) أن يكون في الراوي ميزة ليست في غيره كما في حديث زياد بن عبد الله البكائي فهو ثبت في المغازي، وقد أخرج له البخاري حديثا واحدا مقرونا في المغازي(٤).

أما من اشتد ضعفه من المتروكين والتلفى ونحوهم فلا يعرج الإمام البخاري على حديثهم، وهذه طريقة أئمة المحدثين أنهم لا يلتفتون إلى أحاديث هؤلاء لأنها لا تصلح لجبر الحديث، والمستفاد من صنيعهم - رضوان الله عليهم - أنه لا يعتدون بشيء من الشواهد والمتابعات إلا ما توفر فيه شرطان:

الأول: يتعلق بالراوي، وهو ألا يكون راويها شديد الضعف، لأن ضم الواهي إلى الواهي لا يزيده إلا وهاءا.

الثاني: يتعلق بالمروي، وهو ألا يثبت أنه من أخطاء الرواة لأن ما ثبت كونه خطأ لا يمكن الحكم عليه بالحسن أو الصحة.

---

(١) انظر ترجمته رقم [٦٥].

(٢) انظر ترجمته رقم [٣٠].

(٣) انظر ترجمته رقم [٢٣].

(٤) انظر ترجمته رقم [١٣].

وقد أشار الإمام الترمذي إلى هذين الشرطين، وهو يتحدث عن كتابه السنن فقال: وما ذكرنا في هذا الكتاب: «حديث حسن»، فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا، كل حديث يروى لا يكون في إسناده متهم بالكذب، ولا يكون الحديث شاذًا، ويروى من غير وجه نحو ذلك فهو عندنا حديث حسن(١).

فالشرط الأول مستفاد من قوله: «لا يكون في إسناده متهم بالكذب»، ويفسره قوله في موضع آخر من نفس الكتاب: كل من كان متهمًا في الحديث بالكذب، أو كان مغفلًا يخطئ الكثير، فالذي اختاره أهل الحديث من الأئمة أن لا يشتغل بالرواية عنه(٢).

والشرط الثاني مستفاد من قوله: «ولا يكون الحديث شاذًا»، وهو يلتقي مع قول الإمام أحمد: «الحديث عن الضعفاء قد يُحتاج إليه في وقت، والمنكر أبدًا منكر»(٣).

والشاذ والمنكر يطلقهما المحدثون على أخطاء الرواة أو تفردهم بما لا يحتمل تفردهم به(٤).

وقد سلك الشيخان في صحيحيهما هذا المسلك فلم يخرجا لمن اشتد ضعفه، ولا أخرجا المنكر من الروايات إلا لبيان علته، قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: «أما ما كان منها عن قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا نتشاغل بتخريج

---

(١) علل الترمذي الصغير [مطبوع مع كتابه السنن] (٥/٧٥٨).

(٢) علل الترمذي الصغير [مطبوع مع كتابه السنن] (٥/٧٣٩).

(٣) العلل ومعرفة الرجال [رواية المروزي ١٢٥].

(٤) لتعريف الشاذ والمنكر والفرق بينهما انظر مقدمة ابن الصلاح (١٠٠-١٠٨)، ونكت الحافظ ابن حجر عليه (٢/٦٥٢، ٦٧٤-٦٧٥).

حديثهم... وكذلك من الغـالب على حديثه المنكر أو الغلط أمسكنا أيضا عن حديثهم»(١).

ولم أجد الإمام البخاري أخرج في صحيحه بإسناده المتصل لمن اشتد ضعفه من الرواة بحسب ما انتهيت إليه إلا ثلاثة:

الأول: الحسن بن عمارة الكوفي، وهو متروك كما قال الحافظ ابن حجر(٢)، ولم يقصد الإمام البخاري تخريج حديثه إنما جاء ذكره عرضا للتنبيه على خطئه في الإسناد(٣).

الثاني: عبد الله بن زياد بن سمعان، كذبه غير واحد، وقال البخاري: سكتوا عنه، ولم يذكر الإمام البخاري اسمه في الصحيح، بل كنى عنه بقوله: «ابن فلان»، وحديثه عنده مقرون(٤).

الثالث: أسيد بن زيد الجمال، وهو ضعيف جدًّا يكادون يتفقون على شدة ضعفه روى له البخاري حديثا واحدا مقرونا، وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن تخريج البخاري له في صحيحه بقوله: «يحتمل أن لا يكون خبر أمره كما ينبغي وإنما سمع منه هذا الحديث الواحد»(٥).

* * *

---

(١) صحيح مسلم (٧/١).

(٢) تقريب التهذيب (١٦٢).

(٣) هدي الساري (٤١٧).

(٤) انظر ترجمته رقم [٧].

(٥) فتح الباري (٤١٤/١١). انظر ترجمته رقم [٢٩].

المبحث الرابع
أثر شرط الإمام البخاري في اختيار أحاديث جامعه الصحيح

إذا تقرر ما سبق من أن الإمام البخاري اشترط صحة الحديث، ولم يشترط ثقة الرجال، فما هو الصحيح الذي اشترطه؟ هل هو الصحيح بالمعنى المعروف عند المتأخرين الشامل للصحيح لذاته، ولغيره، أم هو الصحيح بحسب إطلاق كثير من المتقدمين فيشمل الحسن أيضا لذاته، ولغيره؟

والظاهر - والله أعلم - هو الأول، وأن الإمام البخاري اشترط أعلى درجات الصحة، ولأجل هذا تلقت الأمة كتابه بالقبول وقدمته على سائر كتب السنة.

وقد استنكر الحافظ العراقي على ابن سيد الناس أنه شبه صنيع أبي داود في كتابه بصنيع مسلم فقال: والجواب عنه أن مسلما شرط الصحيح، بل الصحيح المجمع عليه في كتابه فليس لنا أن نحكم على حديث في كتابه بأنه حسن عنده لما عرف من قصور الحسن عن الصحيح، وأبو داود قال: «إن ما سكت عنه فهو صالح» والصالح يجوز أن يكون صحيحا، ويجوز أن يكون حسنا عند من يرى الحسن رتبة متوسطة بين الصحيح والضعيف(١).

وصرح الحافظ العلائي بأن مسلما إنما يخرج الحسن في الشواهد والمتابعات لا في الأصول(٢).

---

(١) التقييد والإيضاح (٥٤).

(٢) النكت على ابن الصلاح لابن حجر (٤٣٣/١).

وكذا جزم الحافظ ابن حجر بأن الإمام مسلماً احتج برواة القسم الأول، فأخرج لهم ما انفردوا به، ولم يخرج شيئا مما انفرد به رواة القسم الثاني بحسب تقسيمه للرواة الذي أشار إليه في المقدمة قال: والحق أنه لم يخرج شيئا مما انفرد به الواحد منهم، وإنما احتج بأهل القسم الأول سواء تفردوا أم لا، ويخرج من أحاديث أهل القسم الثاني ما يرفع به التفرد عن أحاديث أهل القسم الأول، وكذلك إذا كان لحديث أهل القسم الثاني طرق كثيرة يعضد بعضها بعضا فإنه قد يخرج ذلك... إلى أن قال: وهذا بخلاف أبي داود فإنه يخرج أحاديث هؤلاء - يعني القسم الثاني عند مسلم - في الأصول محتجا بها[(١)].

وإذا كان هذا هو الحال في صحيح مسلم فكيف بصحيح البخاري، وقد اتفق النقاد على أن شرطه أشد من شرط مسلم؟!

ومما يستأنس به لكون الإمام البخاري لا يحتج بالحسن في صحيحه أنه احتج بمحمد بن إسحاق في كتابه القراءة خلف الإمام، ودفع الطعون التي وجهت إليه مع أنه لم يحتج به في الصحيح[(٢)].

وقد وجدت في كلام الإمام الذهبي ما يفيد أن البخاري يحتج بالحسن في صحيحه قال في الموقظة: من أخرج له الشيخان على قسمين: أحدهما: ما احتجا به في الأصول، وثانيهما: من خرجا له متابعة وشهادة واعتبارا، فمن **احتجا به** أو أحدهما، ولم يوثق، ولا غمز، فهو ثقة حديثه قوي، ومن احتجا به أو أحدهما، وتكلم فيه: فتارة يكون الكلام فيه تعنتا، والجمهور على توثيقه، فهذا حديثه قوي أيضا، وتارة يكون الكلام

---

(١) النكت على ابن الصلاح لابن حجر (١/٤٣٤-٤٣٥).

(٢) القراءة خلف الإمام (٩٠-٩٢).

في تليينه وحفظه له اعتبار، فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن التي قد نسميها: من أدنى درجات الصحيح، فما في الكتابين بحمد الله رجل احتج به البخاري أو مسلم في الأصول، ورواياته ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة، ومن خرج له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات، ففيهم من في حفظه شيء، وفي توثيقه تردد. فكل من خرج له في الصحيحين فقد قفز القنطرة، فلا معدل عنه إلا ببرهان بين[(١)].

وقال أيضا في المعجم المختص بعد أن روى حديث «من قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب»: هذا حديث صحيح غريب تفرد به فليح أخرجه البخاري من دون الجماعة عن محمد بن سنان العوقي عنه، وعن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح عن أبيه وليس فليح في الإتقان كمالك ولا هو في اللين كإبراهيم بن يحي بل هو كمسلم بن خالد الزنجي... إلى أن قال: وقد احتج به البخاري ومسلم، وحديثه من القسم الثاني من أقسام الصحيح وأشراطه[(٢)].

فقد جعل الإمام الذهبي فليح بن سليمان محتجا به عند البخاري، وشبهه بمسلم بن خالد الزنجي وقد قال الذهبي في مسلم هذا: إمام صدوق يهم[(٣)]، وقال أيضا: وثق، وضعفه أبو داود لكثرة غلطه[(٤)]، ومثله حسن الحديث، ولا يحكم لحديثه بالصحة إلا إذا توبع عليه فيكون صحيحا لغيره.

ويمكن حمل كلام الإمام الذهبي على محمل آخر لا ينافي ما سبق، وهو أن البخاري

---

(١) الموقظة (٧٩-٨١).

(٢) المعجم المختص (ص٨).

(٣) المغني في الضعفاء (٢/٦٥٥).

(٤) الكاشف (٢/٢٥٨).

يحتج بالحسن في المواعظ، والفضائل، ونحوهما، ولا يحتج به في الأحكام ففليح بن سليمان الذي مثل به الإمام الذهبي يخرج البخاري مفاريده في المواعظ، ونحوها، ولا يخرج له في الأحكام إلا ما توبع عليه كما قال الحافظ في الفتح(١)، وقال الحافظ أيضا في ترجمته من الهدي: احتج به البخاري وأصحاب السنن... ثم قال: لم يعتمد عليه البخاري اعتماده على مالك، وابن عيينة، وأضرابهما، وإنما أخرج له أحاديث أكثرها في المناقب وبعضها في الرقاق(٢).

هكذا وصفه الحافظ بكونه محتجا به عند البخاري، وقيد ذلك بالمناقب والرقاق، علما بأن الحافظ جعله ضمن القسم الثالث من تقسيمه لمن تكلم فيه من رواة صحيح البخاري، وهم من وصفوا بسوء الضبط أو الوهم أو الغلط ونحو ذلك، وقد قال فيهم: «لم يخرج لهم إلا ما توبعوا عليه عنده أو عند غيره»(٣).

هذا مع العلم بأن الحديث الذي ذكره الإمام الذهبي مع كونه في المناقب قد أورد البخاري له شاهدا في نفس الباب(٤).

وقد عد الحافظ ابن حجر محمد بن طلحة بن مصرف ضمن القسم الثالث مع أنه ذكر في الهدي أن له حديثا فردا في فضائل الأعمال، وإن كان قد ذكر له متابعات في فتح الباري(٥).

---

(١) فتح الباري (١٧٢/١).

(٢) هدي الساري (٤٥٧).

(٣) هدي الساري (٤٨٨).

(٤) انظر ترجمة فليح بن سليمان رقم [١٦٩].

(٥) انظر تفصيل ذلك في ترجمة محمد بن طلحة بن مصرف رقم [١٧٥].

وقال في ترجمة محمد بن عبد الرحمن الطفاوي من هدي الساري وهو يسوق أحاديثه في الصحيح: ثالثها في الرقاق عن علي عنه عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر حديث «**كن في الدنيا كأنك غريب...**» الحديث فهذا الحديث قد تفرد به الطفاوي، وهو من غرائب الصحيح، وكأن البخاري لم يشدد فيه لكونه من أحاديث الترغيب والترهيب والله أعلم، ثم وجدت له فيه متابعا في نوادر الأصول للحكيم الترمذي[(١)].

وصنيع الحافظ هذا يؤخذ منه أنه يرى أن البخاري إن أخرج للراوي ما انفرد به في فضائل الأعمال، ونحوها فذلك لا يعني أنه احتج به مطلقا، ولكنه مقيد بالباب الذي أخرج البخاري مفاريده فيه، وهو تصرف دقيق من الحافظ رحمه الله تعالى راعى فيه معنى الاحتجاج عند المحدثين.

وفي ضوء هذا التقرير يفهم وجود عدد ممن خف ضبطهم من رواة الصحيح لهم أحاديث، أو زيادات تفردوا بها ليس لها متابع أو شاهد يعتد به، منهم:

(١) إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي، له حديث في الترغيب لم أجد له متابعا أو شاهدا صالحا لجبره بتمامه[(٢)].

(٢) إسماعيل بن مجالد الكوفي، له حديث في المناقب لم أجد له متابعا، ولا شاهدا بتمامه[(٣)].

---

(١) هدي الساري (٤٦٣).

(٢) انظر ترجمته رقم [١٣١].

(٣) انظر ترجمته رقم [١٠].

(٣) عبد الله بن المثنى الأنصاري له حديثان تفرد بهما أحدهما في الآداب، والثاني في السير[١].

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار له زيادة في الترغيب انفرد بها[٢].

(٥) فليح بن سليمان له ثلاثة أحاديث انفرد بها أحدها في السير، والآخران في الرقاق، وله زيادة في حديث تفرد بها، وهي في الرقاق أيضا[٣].

(٦) محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري له حديث في الرقاق له طريق آخر، وشاهد لا يرقيانه إلى درجة الصحيح[٤].

(٧) محمد بن فليح بن سليمان، له زيادة تفرد بها عن أبيه، وهي في الرقاق[٥].

(٨) يحيى بن سليم الطائفي، له حديث في الترهيب تفرد به، وله شاهدان قاصران عن جبره متنا وإسنادا[٦].

* * *

(١) انظر ترجمته رقم [١٥٧].

(٢) انظر ترجمته رقم [١٦٠].

(٣) انظر ترجمته رقم [١٦٩].

(٤) انظر ترجمته رقم [١٧٦].

(٥) انظر ترجمته رقم [١٨٧].

(٦) انظر ترجمته رقم [٩].

المبحث الخامس

معنى قول المحدثين: (على شرط البخاري)

يعد الإمام أبو بكر الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ أول من استخدم هذا المصطلح فيما أعلم، وقد استعمله أيضا معاصره الإمام الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ، وجاء تلميذه الإمام الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ فتوسع في استخدام هذا المصطلح في كتابه (المستدرك).

وكما اختلف أهل العلم في تحديد شرط البخاري فقد اختلفوا في ضابط الحديث الذي يصدق عليه أنه على شرط البخاري، وقد جمعت طرائق هؤلاء الثلاثة في استخدام هذا المصطلح، وحررت الشروط الواجب توافرها في الحديث حتى يقال فيه: «على شرط البخاري» على النحو التالي:

أولا: طريقة أبي بكر الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي في المدخل: لما كان مراد البخاري إيداع الصحيح في كتابه صار من يروي عنه رواية موثوقا به، فجائز لمن حذا حذوه أن يحتج به بعينه وإن كان في غير ذلك الخبر فإذا روى مالك، والليث بن سعد، وعقيل، ويونس، وشعيب، ومعمر، وابن عيينة عن الزهري فقد صار هؤلاء بأجمعهم من شرطه في الزهري حيث وجدوا إذا صحت الرواية عنهم، فأيهم جيء بدلا عن الآخر كان شرط البخاري فيه موجودا[١].

---

(١) نقله عنه الزركشي في النكت على مقدمة ابن الصلاح (٢٥٧/١-٢٥٨)، والسيوطي في البحر الذي زخر (٨١٧/٢).

ومن خلال كلامه السابق يمكن استخلاص ضابط ما يقال فيه: «على شرط البخاري» عنده على النحو التالي:

أولا: يشترط عنده فيما يقال فيه: «على شرط البخاري» أن يكون رواته ممن خرج له في الصحيح.

ثانيا: ينبغي مراعاة طريقة البخاري في تخريجه للراوي، فينظر هل خرج له عن نفس الشيخ أم لا.

ثانيا: طريقة أبي الحسن الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ

قال الدارقطني في مقدمة الإلزامات: ذكر ما حضرني ذكره مما أخرجه البخاري ومسلم أو أحدهما من حديث بعض التابعين وتركا من حديثه شبيهاً به، ولم يخرجاه، أو من حديث نظير له من التابعين الثقات ما يلزم إخراجه على شرطهما ومذهبهما(١).

وقال أيضا: ذكر أحاديث رجال من الصحابة رضي الله عنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم، رويت أحاديثهم من وجوه لا مطعن في ناقليها ولم يخرجا من أحاديثهم شيئًا فيلزم إخراجها على مذهبهما وعلى ما قدمنا ذكره وما أخرجاه أو أحدهما(٢).

وكلامه هذا يفيد أن ما كان صحيحا من رواية الثقات حتى وإن لم يخرج لهم الشيخان جاز أن يطلق عليه أنه صحيح على شرطهما، وعلى هذا سار في كتابه الإلزامات فألزمهما بإخراج حديث بعض الرواة الذين لم يخرجا لهما، فمن الصحابة الذين ألزم الشيخين بإخراج حديثهم الصنابح بن الأعسر، ودكين بن سعيد، وأبو حازم والد

---

(١) الإلزامات (٦٤).

(٢) الإلزامات (٨٣).

قيس بن أبي حازم [١].

وقد ألزمهما بإخراج حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي قائلا: روى عنه ابن عطاء وهو ثقة حدث عنه الثوري، ومسعر[٢].

وابن عطاء هذا اسمه بكير لم يخرج له واحد منهما[٣].

وألزمهما أيضا بإخراج حديث خريم بن فاتك الأسدي قائلا: روى حديثه الركين ابن الربيع بن عميلة، عن أبيه، عن يسير بن عميلة، عن خريم رواه الثوري، وزائدة، وغيرهما كلهم ثقات[٤].

ويُسَيْر بن عَمِيلة هذا لم يخرج له واحد منهما[٥].

وقد ألزم البخاري بإخراج حديث لأن مسلما أخرج لأحد رواته لأن الطريق إليه قد صح، قال: وانفرد مسلم بإخراج حديث أبي المليح، عن نيشة، وبإخراج حديث أبي المليح، عن معقل بن يسار من رواية قتادة عنه فيلزم على مذهبهما إخراج حديث أبي المليح، عن أبيه، عن النبي ﷺ من رواية قتادة وخالد الحذاء وأبي قلابة، عن أبي المليح، عن أبيه... [٦].

وفي هذا المعنى قوله: ويلزم مسلما إخراج أبي الأحوص عوف بن مالك، عن أبيه، عن النبي ﷺ، إذ كانت طرقها صحاحا رواها أبو إسحاق السبيعي، وأبو الزعراء،

(١) الإلزامات (٦٦-٦٧).

(٢) الإلزامات (٩٦).

(٣) أخرج له الأربعة كما في تقريب التهذيب (١٢٨).

(٤) الإلزامات (٩٧).

(٥) يسير -بالتصغير- بن عميلة -بفتح المهملة، وكسر الميم- أخرج له الترمذي والنسائي كما في تقريب التهذيب (٦٠٧).

(٦) الإلزامات (٧١).

وعبد الملك بن عمير، وغيرهم، عن أبي الأحوص، عن أبيه(١).

وبناء على ما سبق يمكن استخلاص ضابط ما يقال فيه: «على شرط البخاري» عند الدارقطني على النحو التالي:

أولا: يشترط عنده أن يكون الحديث صحيحا لا مطعن في ناقليه.

ثانيا: لا يشترط عنده أن يكون رواة الحديث ممن خرج لهم البخاري، بل يكفي أن يكونوا ثقات.

ثالثا: طريقة الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ

قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين: وقد سألني جماعة من أعيان أهل العلم بهذه المدينة وغيرها أن أجمع كتابًا يشتمل على الأحاديث المروية بأسانيد يحتج محمد ابن إسماعيل، ومسلم بن الحجاج بمثلها، إذ لا سبيل إلى إخراج ما لا علة له، فإنهما رحمهما الله لم يدعيا ذلك لأنفسهما، وقد خرج جماعة من علماء عصرهما، ومن بعدهما عليهما أحاديث قد أخرجاها وهي معلولة، وقد جهدت في الذب عنهما في «المدخل إلى الصحيح» بما رضيه أهل الصنعة، وأنا أستعين الله على إخراج أحاديث رواتها ثقات، قد احتج بمثلها الشيخان رضي الله عنهما أو أحدهما(٢).

وقد اختلف العلماء في فهم كلام الحاكم على قولين:

الأول: يرى أصحابه أن الحاكم قصد بقوله: «بمثلها» نفس الرواة، وعلى هذا فلابد أن يكون الإسناد مخرجا لجميع رواته في الصحيح.

---

(١) الإلزامات (٧٢).

(٢) المستدرك (١/٤٢).

وقد ذهب إلى هذا القول ابن الصلاح[١]، والنووي[٢]، وابن دقيق العيد[٣]، والذهبي[٤].

الثاني: يرى أصحابه أن الحاكم قصد بقوله: «بمثلها» كونهم ثقات، وليس شرطا أن يكون الإسناد مخرجا لجميع رواته في الصحيح، وقد ذهب إلى هذا القول العراقي[٥]، والزركشي[٦]، والبلقيني[٧]، وابن الملقن[٨].

وقد حسم الحافظ ابن حجر هذا النزاع بقوله مقويا الرأي الأول: لكن تصرف الحاكم يقوي أحد الاحتمالين اللذين ذكرهما شيخنا -رحمه الله تعالى- فإنه إذا كان عنده الحديث قد أخرجا أو أحدهما لرواته قال: «صحيح على شرط الشيخين» أو أحدهما، وإذا كان بعض رواته لم يخرجا له قال: صحيح الإسناد حسب، ويوضح ذلك قوله -في باب التوبة- لما أورد حديث أبي عثمان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي». قال: هذا حديث صحيح الإسناد «وأبو عثمان هذا ليس هو النهدي، ولو كان هو النهدي لحكمت بالحديث على شرط الشيخين»[٩]، فدل هذا على أنه إذا لم يخرجا لأحد رواة الحديث لا يحكم به على شرطهما وهو عين ما ادعى

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (٢٩).

(٢) إرشاد طلاب الحقائق (١/١٢٤).

(٣) التقييد والإيضاح (٢٩).

(٤) التقييد والإيضاح (٢٩).

(٥) التقييد والإيضاح (٢٩)، شرح التبصرة والتذكرة (٢٢).

(٦) النكت على مقدمة ابن الصلاح (١/١٩٨).

(٧) محاسن الاصطلاح (١٦٥).

(٨) المقنع (١/٦٧).

(٩) المستدرك (٤/٢٧٧/٧٦٣٢).

ابن دقيق العيد، وغيره، وإن كان الحاكم قد يغفل عن هذا في بعض الأحيان، فيصحح على شرطهما بعض ما لم يخرجا لبعض رواته، فيحمل ذلك على السهو والنسيان ويتوجه به حينئذ عليه الاعتراض(١).

وقد استدل أيضا بأن الحاكم تارة يقول: «على شرطهما»، وتارة «على شرط البخاري»، وتارة «صحيح الإسناد» ولا يعزوه لأحدهما، فلو قصد بكلمة (مثل) معناها الحقيقي حتى يكون المراد احتج بغيرها ممن فيهم من الصفات مثل ما في الرواة الذين خرجا عنهم لم يقل قط: «على شرط البخاري» فإن شرط مسلم دونه فما كان على شرطه فهو على شرطهما لأنه حوى شرط مسلم وزاد(٢).

والحاكم لا يفرق في إطلاقه شرط البخاري على من أخرج له في الأصول أو في المتابعات، ومما يؤكد هذا قوله في حديث في إسناده فطر بن خليفة: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولعل متوهما يتوهم أن الشيخين لم يخرجاه عن فطر وليس كذلك، فإنهما قد قرنا بينه وبين آخر في إسناد واحد(٣).

وقد وسم عددا كبيرا من الرواة الذين أخرج لهم البخاري في المتابعات بأنهم على شرط البخاري، منهم: عبد العزيز بن محمد الدراوردي(٤)، وأسيد بن زيد الجمال(٥)، وسهيل بن أبي صالح(٦)، وطلحة بن نافع(٧) علما بأن هؤلاء الرواة ذكرهم الحاكم

---

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح (١/٣٢٠-٣٢١).

(٢) تدريب الراوي (١/١٢٨).

(٣) المصدر السابق (٤/٢٧٨).

(٤) المستدرك (٤/٣٩٠).

(٥) المصدر السابق (٤/٢٠٩).

(٦) المصدر السابق (٤/٤٢٥).

(٧) المصدر السابق (١/٤٨٣).

فيمن لم يعتمدهم البخاري منفردين كما سيأتي في تراجمهم من هذا البحث.

وبناء على ما سبق يمكن استخلاص ضابط ما يقال فيه: «على شرط البخاري» عند الحاكم على النحو التالي:

أولا: يشترط أن يكون رواة الإسناد ممن خرج لهم البخاري في صحيحه.

ثانيا: لا يشترط خلو الحديث من العلة.

ثالثا: لا يفرق في إطلاق شرط البخاري على من أخرج له في الأصول أو في المتابعات.

- الراجح من هذه الطرق

أولى هذه الطرق بالقبول هي طريقة الإمام الإسماعيلي، لأن طريقة الدارقطني لا تراعي رأي الإمام البخاري في الراوي، وطريقته في اختياره لأحاديثه، فقد يكون الراوي ثقة عند غير البخاري وليس بثقة عنده فلا يخرج حديثه، وربما كان ثقة عنده في بعض حديثه دون بعض.

أما الحاكم فلا يشترط خلو الحديث من العلة، وهذا منابذ لاشتراط البخاري الصحة، وخلو الحديث من الشذوذ والعلة شرط من شروط الحديث الصحيح، ثم هو لا يراعي طريقة البخاري في التخريج للراوي، وهل خرج له معتمدا عليه أم مستشهدا به، وقد انتقد طريقة الحاكم هذه غير واحد ممن جاء بعده، قال أبو عمرو بن الصلاح في صيانة صحيح مسلم: عاب عائبون مسلما بروايته في صحيحه عن جماعة من الضعفاء أو المتوسطين الواقعين في الطبقة الثانية الذين ليسوا من شرط الصحيح أيضا والجواب أن ذلك لأحد أسباب لا معاب عليه معها:

أحدها: أن يكون ذلك فيمن هو ضعيف عند غيره ثقة عنده.

الثاني: أن يكون ذلك واقعا في الشواهد والمتابعات لا في الأصول وذلك بأن يذكر الحديث أولا بإسناد نظيف رجاله ثقات ويجعله أصلا ثم يتبع ذلك بإسناد آخر أو أسانيد فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد بالمتابعة أو لزيادة فيه.

الثالث: أن يكون ضعف الضعيف الذي احتج به طرأ بعد أخذه عنه.

الرابع: أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده وهو عنده برواية الثقات نازل فيذكر العالي ولا يطول بإضافة النازل إليه مكتفيا بمعرفة أهل الشأن بذلك.

ثم قال: وفيما ذكرته دليل على أن من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه في صحيحه بأنه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل وأخطأ، بل ذلك يتوقف على النظر في أنه كيف روى عنه، وعلى أي وجه روى عنه على ما بيناه من انقسام ذلك والله سبحانه أعلم(١).

وقال الإمام الزركشي: واعلم أن ما اعتمده في تخريجه أن يرى رجلا قد وثق، وشهد له بالصدق والعدالة، أو حديثه في الصحيح فيجعل كل ما رواه هذا الراوي على شرط الصحيح، فإنه إنما يكون على شرط الصحيح إذا انتفت عنه العلل، والشذوذ، والنكارة، وتوبع عليه، فأما مع وجود ذلك أو بعضه فلا يكون صحيحا، ولا على شرط الصحيح، ومن تأمل كلام البخاري ونظر في تعليله أحاديث جماعة أخرج حديثهم في صحيحه علم إمامته وموقعه من هذا الشأن وتبين له ما ذكرنا وأن الحال ليس مطردا على قانون واحد(٢).

---

(١) صيانة صحيح مسلم (٩٤-٩٩) باختصار.

(٢) النكت على مقدمة ابن الصلاح (١/١٩٩-٢٠٠).

وقد سبق قريبا نقل مثل هذا عن ابن القيم في كلام نفيس له في نقد من يفعل هذا.

وطريقة الإمام الإسماعيلي تراعي ما انتقد على الدارقطني، والحاكم فهي موافقة لما سبق تحريره في شرط الإمام البخاري لكن الأمر يحتاج إلى زيادة تحرير، وتفصيل، وقد تكفل بهذا الحافظ ابن حجر قال في كتابه النكت على ابن الصلاح: «ينقسم المستدرك أقسامًا كل قسم منها يمكن تقسيمه:

الأول: أن يكون إسناد الحديث الذي يخرجه محتجًا برواته في الصحيحين أو أحدهما على صورة الاجتماع سالمًا من العلل، واحترزنا بقولنا: «على صورة الاجتماع» عما احتجا برواته على صورة الانفراد كسفيان بن حسين عن الزهري، فإنهما احتجا بكل منهما، ولم يحتجا برواية سفيان بن حسين عن الزهري؛ لأن سماعه من الزهري ضعيف دون بقية مشايخه، فإذا وجد حديث من روايته عن الزهري لا يقال على شرط الشيخين لأنهما احتجا بكل منهما، بل لا يكون على شرطهما إلا إذا احتجا بكل منهما على صورة الاجتماع، وكذا إذا كان الإسناد قد احتج كل منهما برجل منه ولم يحتج بآخر منه، كالحديث الذي يروى عن طريق شعبة مثلا عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - فإن مسلما احتج بحديث سماك إذا كان من رواية الثقات عنه، ولم يحتج بعكرمة، واحتج البخاري بعكرمة دون سماك، فلا يكون الإسناد والحالة هذه على شرطهما فلا يجتمع فيه صورة الاجتماع، وقد صرح بذلك الإمام أبو الفتح القشيري وغيره.

واحترزت بقولي: «أن يكون سالما من العلل» عما إذا احتجا بجميع رواته على صورة الاجتماع إلا أن فيهم من وصف بالتدليس، أو اختلط في آخر عمره، فإنا نعلم في الجملة أن الشيخين لم يخرجا من رواية المدلسين بالعنعنة إلا ما تحققا أنه مسموع لهم من جهة أخرى، وكذا لم يخرجا من حديث المختلطين عمن سمع منهم بعد

الاختلاط إلا ما تحققا أنه من صحيح حديثهم قبل الاختلاط، فإذا كان كذلك لم يجز الحكم للحديث الذي فيه مدلس قد عنعنه، أو شيخ سمع ممن اختلط بعد اختلاطه، بأنه على شرطهما، وإن كانا قد أخرجا ذلك الإسناد بعينه، إلا إذا صرح المدلس من جهة أخرى بالسماع وصح أن الراوي سمع من شيخه قبل اختلاطه، فهذا القسم يوصف بكونه على شرطهما أو على شرط أحدهما... ثم قال: القسم الثاني: أن يكون إسناد الحديث قد أخرجا لجميع رواته لا على سبيل الاحتجاج بل في الشواهد والمتابعات والتعاليق أو مقرونًا بغيره. ويلتحق بذلك ما إذا أخرجا لرجل وتجنبا ما تفرد به أو ما خالف فيه كما أخرج مسلم من نسخه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - ما لم يتفرد به، فلا يحسن أن يقال: إن باقي النسخة على شرط مسلم، لأنه ما خرج بعضها إلا بعد أن تبين أن ذلك مما لم ينفرد به، فما كان بهذه المثابة لا يلتحق أفراده بشرطهما، وقد عقد الحاكم في كتاب المدخل بابًا مستقلًا ذكر فيه من أخرج له الشيخان في المتابعات وعدد ما أخرجا من ذلك، ثم أنه مع هذا الاطلاع يخرج أحاديث هؤلاء في المستدرك زاعمًا أنها على شرطهما، ولا شك في نزول أحاديثهم عن درجة الصحيح بل ربما كان فيها الشاذ والضعيف لكن أكثرها لا ينزل عن درجة الحسن»(١).

والذي يتحصل لنا من كلام الحافظ ابن حجر أنه لابد من شروط أربعة يجب توفرها في الحديث حتى يصح وصفه بكونه على شرط البخاري هي:

الأول: أن يكون رواته جميعا ممن خرج لهم البخاري في الصحيح بإسناده المتصل.

---

(١) النكت على ابن الصلاح (١/٣١٤-٣١٦).

الثاني: أن تراعى طريقة البخاري في تخريجه للراوي، فينظر هل خرج له عن نفس الشيخ أم لا، وهل خرج له في باب دون باب أم خرج له في الأبواب كلها.

الثالث: أن يكون رواته ممن خرج لهم في الأصول احتجاجا(١) لا في الشواهد والمتابعات، ونحوها.

الرابع: أن يكون الحديث خاليا عن الشذوذ والعلة.

وقد زاد شيخنا فضيلة الشيخ/طارق عوض الله شرطا خامسا، وهو أن تقع رواية

---

(١) الاحتجاج بالرواي عند المحدثين يعني اعتمادهم على حديثه الذي ينفرد به، وقبوله في الحلال والحرام، وأن الحد الأدنى لمن يحتج بحديثه عندهم هو الراوي الذي قل خطؤه، وأن من نزل عن هذه المرتبة فلا يكون حجة عندهم في الحلال والحرام، وإن ساغ قبول حديثه في الترغيب والترهيب، ونحوهما.

ولا يخفى أن اتفاق المحدثين على أصل القاعدة لا يعني أن لا يختلفوا في تطبيقها، فهم يختلفون في الراوى هل هو حجة أم لا؟ فقد احتج البخاري بعكرمة مولى ابن عباس، وتجنبه مسلم، قال البخاري في التاريخ الكبير (٧/٤٩): «ليس أحد من أصحابنا إلا احتج بعكرمة» وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة عكرمة من هدي الساري (٤٤٦): احتج به البخاري وأصحاب السنن، وتركه مسلم فلم يخرج له سوى حديث واحد في الحج مقرونا بسعيد بن جبير، وإنما تركه مسلم لكلام مالك فيه.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي [سؤالات السلمي ٧٤]: سألت الدارقطني: لم ترك محمد بن إسماعيل البخاري سهيل ابن أبي صالح في الصحيح؟ فقال: لا أعرف له فيه عذرا، فقد كان أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي إذا مر بحديث لسهيل قال: سهيل والله خير من أبي اليمان، ويحيى بن بكير، وغيرهما، وكتاب البخاري من هؤلاء ملآن.

والمحدثون كذلك يختلفون في الاحتجاج بالراوي بحسب ما شرطوه في كتبهم، فكم من راو احتج به أصحاب السنن في الأحكام، وتجنبه أصحاب الصحاح، وربما احتج أحدهم بالراوي في كتاب دون كتاب لاختلاف شرطه فيهما، ومن ذلك أن الإمام البخاري احتج بمحمد بن إسحاق في كتابه القراءة خلف الإمام ٩٠ - ٩٢، ودفع الطعون الموجهة إليه مع أنه لم يخرج له في صحيحه شيئا مسندا، ولا يقال: إن حديثه لم يكن عنده لأنه صرح في الكتاب المذكور أنه انتخب كثيرا من حديثه من كتب شيخه إسماعيل بن أبي أويس.

وقد بسطت القول في معنى الاحتجاج عند المحدثين، وقولهم: «احتج به البخاري» في فصل خاص من الأصل، وقد سبق طرف من ذلك في المبحث السابق.

رواة هذا الحديث في الصحيح قصدا لا عرضا واتفاقا[١]، ولا حاجة لهذا الشرط لأنه مندرج في الشرط الثالث، فإن من ذكر البخاري حديثه عرضا لا يقال فيه: «احتج به البخاري».

* * *

(١) شرح لغة المحدث (٢٠٠).

الخاتمة

تتلخص أهم المسائل والنتائج التي تضمنها هذا البحث فيما يلي:

١) الشرط عند المحدثين: هو الضوابط التي ألزم المصنف نفسه بها في اختياره لأحاديث كتابه أو رواته.

٢) اشترط الإمام البخاري صحة الحديث، ولم يشترط ثقة الرواة، والصحيح الذي اشترطه يدخل فيه الصحيح لغيره، ولا يقتصر على الصحيح لذاته.

٣) تخريج الإمام البخاري الصحيح لغيره جعله يخرج حديث من خف ضبطه - وكذا من ضعف ضبطه أحيانا - في الشواهد والمتابعات.

٤) لم يعرج الإمام البخاري في صحيحه على حديث من اشتد ضعفه، وقد يخرج للضعيف، ومن خف ضبطه في المتابعات دون الأصول.

٥) أخرج الإمام البخاري لعدد قليل من الضعفاء، ومن جهل حاله في الشواهد والمتابعات، وعددهم بحسب ما انتهيت إليه (١٥) خمسة عشر راويا أي ما يقارب ١% من مجموع رواة الصحيح منهم خمسة مجاهيل، وحديثهم في الصحيح مقرون بغيره.

٦) تخريج البخاري في صحيحه لأحاديث من خف ضبطه أو ضعف من الرواة ليس منهجا اختص به البخاري، بل هو منهج عامة المحدثين لأن الحكم على الحديث صحة أو ضعفا ليس عملية حسابية، وإنما هو خاضع لعدد من الاعتبارات فربما قبلوا حديث الضعيف إذا قامت القرينة على أنه لم يخطئ فيه،

وربما ضعفوا حديث الثقة إذا قامت القرينة على أنه قد أخطأ فيه.

٧) لم يكتف البخاري بأحاديث الثقات، وأخرج حديث من دونهم لأمور تتعلق بالصناعة الحديثية كالفرار من تكرار الأسانيد، والتنبيه على نكتة في المتن أو الإسناد، وتقوية الطريق الذي يرجحه.

٨) للمحدثين - وعلى رأسهم الإمام البخاري - طريقتان في معرفة ما صح من أحاديث الضعفاء، ومن خف ضبطهم:

الأولى: أن يتابعهم عليها غيرهم من الرواة.

الثانية: أن يثبت عندهم بالقرائن أنهم حفظوه، ولم يخطئوا فيه.

٩) قد يخرج الإمام البخاري مفاريد من خف ضبطه - وهو ما يعرف بالحسن لذاته - في الرقائق، والمناقب، ونحوهما، ولا يخرج شيئا من مفاريدهم في الأحكام.

١٠) يشترط في الحديث الذي يقال فيه: «على شرط البخاري» أربعة شروط:

الأول: أن يكون رواته جميعا ممن خرج لهم البخاري في الصحيح بإسناده المتصل.

الثاني: أن تراعى طريقة البخاري في تخريجه للراوي، فينظر هل خرج له عن نفس الشيخ أم لا، وهل تجنب بعض حديثه أم لا.

الثالث: أن يكون رواته ممن خرج لهم في الأصول احتجاجا لا في الشواهد والمتابعات.

الرابع: أن يكون الحديث خاليا عن الشذوذ والعلة.

١١) احتجاج المحدثين بالراوي - ومنهم الإمام البخاري - يعني صلاحية ما انفرد به للاعتماد عليه في معرفة الحلال والحرام، وبعض من يقبل حديثه من الرواة في الترغيب، ونحوه لا يقبل حديثه في الأحكام فلا يصح وصف الراوي بكونه محتجا به عند الإمام البخاري إلا إذا ظهر أن الإمام البخاري يعتمد عليه في أحاديث الأحكام، أما من اعتمد عليه في غير الأحكام كالرقائق ونحوها فلا يطلق عليه «احتج به البخاري» إلا مقيدا.

١٢) قد يختلف المحدثون في الاحتجاج ببعض الرواة بحسب ما يظهر لهم من أحوال هؤلاء الرواة، وربما اختلف موقف المحدث من الراوي بحسب ما شرطه في كتابه فيحتج به في كتاب، ولا يحتج به في آخر.

١٣) من احتج به الإمام البخاري فهو ثقة حديثه صحيح بخلاف من أخرج له في الشواهد والمتابعات ففيهم الثقة، والصدوق، والضعيف.

* * *

فرحمة الله تعالى ورضوانه

على عبده أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

وجزاه خيرا على ما قدم من خدمة عظيمة للسنة النبوية المشرفة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

طليعة

تخريج المستجدات الفقهية المعاصرة

على نصوص الفقهاء المتقدمين وقواعدهم

إعداد

ماجد إمام شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

[إن] الحمد لله [نحمده و] نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا [ومن سيئات أعمالنا]، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده [لا شريك له]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد،

فإن الناظر إلى تراث الأمة الإسلامية سيجد ما يبهر العقول ويحير الألباب، لما حوته من مسائل نفيسة من شرع الله تعالى تخدم المسلمين في كافة الأماكن والأزمنة، ولن يجد الناظر في تراث الأمم الأخرى ما يجده في تراث هذه الأمة المباركة من تفريعات وتخريجات حيرت العقول والألباب.

ومما يدل على نفاسة هذا التراث أنه رغم بعد الزمان بيننا وبينهم إلا أننا نجد في مسائلهم وتفريعاتهم ما نستطيع أن نُخَرِّجَ عليها كثيرًا من مستجدات عصرنا التي لا تنحصر فهو من باب تخريج الفروع على الفروع؛ فلا يكاد القارئ في كتب الفقه وتراثه أن يقرأ شيئًا منه إلا أن يعلم نفاسة هذا التراث وعظمة فقهائنا الذين بذلوا

الوقت والجهد في إخراج هذه المسائل للمسلمين ليستفيد منها الكثير، بل الأعظم من ذلك أن الأمم الأخرى رأت أنها في أمس الحاجة إلى هذا التراث المبارك فنهلت منه الكثير لينظموا بها حياتهم ومعاشهم؛ فالشريعة الإسلامية نظمت للعالم كله حياتهم ومعاشهم كيف لا وهي من رب العباد وملكهم.

قال د. عبد التواب مصطفى في مقدمة رسالته (بنوك الحِليب في ضوء الشريعة الإسلامية - دراسة فقهية مقارنة):

«فمن فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين أن جعل شريعته الخاتمة تقوم على عدَّة خصائص أبرزها: اتصافها بالثبات والمرونة، قادرة على مواكبة الحياة وتطورها؛ لأن حاجات الناس وغاياتهم لا تنتهي، ولا تتوقف، وإنما تتجدَّد وتتغيَّر وتتعدَّد أشكالها وتتباين أوصافها، وشريعتنا الغرَّاء - بثبات أصولها، ومرونة فروعها - قادرة على تلبية احتياجات الناس، ومواكبة كل عصورهم، وفي ذلك دلالة على خلود الشَّريعة، وبقائها صالحة لكل زمان ومكان، غاية ما في الأمر أن يدرك أولو العلم، والراسخون منهم مقاصد الشَّريعة، وما فيها من ضروريات، وحاجيَّات، وتحسينيَّات، وأن يستنبطوا الحكم الشَّرعيَّ في ضوء كتاب ربِّهم وسنَّة نبيهم ﷺ دون إفراط أو تفريط» اهـ.

وهذا البحث سأتناول فيه بعض هذه التخريجات على نصوص الفقهاء المتقدمين، ولا أقصد بالمتقدمين التقدم الاصطلاحي للمذاهب إنما اقصد الفقهاء غير المعاصرين فربما دخل فيهم المتأخرين أيضًا؛ فلله الحمد والمنة سنجد من التراث ما يصف لنا مسائل مستجدة في عصرنا وأحكامها الفقهية، وسيتخرج على نصوصهم أحكام هذه المستجدات.

ولم أجد في الأبحاث التي تحت يدي هذه الطريقة في تخريج المستجدات على نصوص الفقهاء المتقدمين ولعل هذا الجهد يكون منارة للرجوع لهضم التراث الإسلامي جيدًا لحل مستجدات كثيرة من بين أيدينا، فهذا بحث قوي في بابه لأن تخريج الفروع المستجدة على الفروع القديمة من أهم ثمرات الملكة الفقهية في الوقت الحاضر لأن الفقيه لو كان حبيس الكتب منقطعًا عن الواقع والمستجدات الفقهية، تقل منفعته للناس وهذا لا تقوم به فروض الكفاية التي هي من مقاصد الشرع الهادي، وبذلت فيه جهدًا لأهديه لشيخي أبي إسحق الحويني الذي تعلمت منه الكثير والكثير ولولا فضله - بعد فضل الله ومنته - لضللت الطريق، فغمدني برعايته وتوجيهاته، فلم أجد منه إلا أبًا حانيًا وعالمًا مربيًا.

فأسأل الله العظيم أن يدخر ذلك له يوم القيامة ويرفع درجاته في جناته ويجزيه خيرًا في الدنيا والآخرة إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

وجعلت هذا البحث طليعة رسالة في تخريج المستجدات المعاصرة على نصوص الفقهاء المتقدمين وقواعدهم، أخذت بعض المسائل منها ولا أستطيع أن أتناول كل المسائل؛ لكن انتقيت منها بعضها، وأيضا لا أتعرض للمناقشة والترجيح؛ إنما قصدت في هذا التخريج فقط.

وأسأل الله العظيم أن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا والحمد لله رب العالمين.

* * *

تأثير منظار المعدة في تفطير الصائم

مسألة استعمال منظار المعدة في نهار رمضان للصائم هل يفطره أم لا؟

منظار المعدة عبارة عن كاميرا موصلة بسلك تدخل من الفم إلى المعدة ليرى الطبيب من خلالها ما في المعدة من أمراض.

وتناول هذه المسألة الفقهاء المتقدمين بمسألة فرضية أنه لو ابتلع رجل خيطًا طرفه بارز بيده هل يفطر أم لا؟

ويقصدون بضرب هذا المثال أن يفرعوا على قاعدة أنه هل يشترط في المفطر الذي يدخل الجوف أن يغيب بالكلية في الجوف فلو ظهر منه شيء لا يفطر أم يكفي مجرد دخوله في الجوف.

هذه المسألة يناقشها الفقهاء المتقدمين في كتاب الصيام باب المفطرات، وبالأخص باب ما يصل إلى الجوف باعتبار أن المعدة من الجوف وفيها تفصيل بين المذاهب.

فقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي رحمه الله (المتوفى: ٦٧٦هـ) في كتابه المجموع شرح المهذب (٦/٣١٤):

«{فرع}: إِذَا ابْتَلَعَ طَرَفَ الْخَيْطِ وَطَرَفُهُ الْآخَرُ بَارِزًا أَفْطَرَ بِوُصُولِ الطَّرَفِ الْوَاصِلِ، وَلَا يُعْتَبَرُ الِانْفِصَالُ مِنْ الظَّاهِرِ، وَحَكَى الْحَنَّاطِيُّ -بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ- وَجْهًا فِيمَنْ أَدْخَلَ طَرَفَ خَيْطٍ جَوْفَهُ أَوْ دُبُرَهُ، وَبَعْضُهُ خَارِجًا أَنَّهُ لَا يُفْطِرُ وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ، وَبِهِ قَطَعَ جُمْهُورُ الْأَصْحَابِ، وَلَوْ ابْتَلَعَ طَرَفَ خَيْطٍ فِي اللَّيْلِ، وَطَرَفُهُ الْآخَرُ خَارِجًا فَأَصْبَحَ كَذَلِكَ -فَإِنْ تَرَكَهُ بِحَالِهِ- لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ حَامِلٌ لِطَرَفِهِ الْبَارِزِ - وَهُوَ

مُتَّصِلٌ بِنَجَاسَةٍ، وَإِنْ نَزَعَهُ أَوْ ابْتَلَعَهُ بَطَلَ صَوْمُهُ، وَصَحَّتْ صَلَاتُهُ إِذَا غَسَلَ فَمَهُ بَعْدَ النَّزْعِ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: فَيَنْبَغِي أَنْ يُبَادِرَ غَيْرُهُ إِلَى نَزْعِهِ وَهُوَ غَافِلٌ فَيَنْزِعُهُ بِغَيْرِ رِضَاهُ فَإِنْ لَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ فَوَجْهَانِ أَصَحُّهُمَا: يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَاةِ فَيَنْزِعُهُ أَوْ يَبْلَعُهُ، وَالثَّانِي: يَتْرُكُهُ عَلَى حَالِهِ مُحَافَظَةً عَلَى الصَّوْمِ، وَيُصَلِّي كَذَلِكَ، وَيَجِبُ إِعَادَةُ الصَّلَاةِ لِأَنَّهُ عُذْرٌ نَادِرٌ، وَقَدْ سَبَقَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَبْسُوطَةً فِي بَابِ مَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ» اهـ.

تخريج كلامه:

بين رحمه الله أنه لو ابتلع طرف الخيط وطرفه الآخر بارزًا بيد الصائم يفطر ولا يعتبر أن يغيب في الجوف لأن العبرة بالدخول (على أشهر الوجهين عند الشافعية).

وكذلك لو أدخله بالليل واستمر حتى أذن الفجر لا يصح صومه لو ابتلعه أو نزعه، ولا صلاته.

أما عدم صحة الصوم حيث أن بقاؤه هكذا لا يبطل به الصوم لأنه لم يدخل وهو صائم بل يفطر لو نزعه قياسًا على القيء ويفطر لو ابتلعه لأنه ابتلاع شيء قياسًا على الأكل.

أما الصلاة فلا تصح لأنه متصل بنجس وهو ما في المعدة تفريعًا على نجاسة القيء؛ فالحل أن ينزعه أحد وهو غافل فيدخل فيمن ذرعه القيء.

كذلك قال الإمام النووي رحمه الله في روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢/٣٥٨):

«{فرع}: لَوِ ابْتَلَعَ طَرَفَ خَيْطٍ بِاللَّيْلِ، وَطَرَفُهُ الْآخَرُ خَارِجٌ، فَأَصْبَحَ كَذَلِكَ، فَإِنْ تَرَكَهُ لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ، وَإِنْ نَزَعَهُ أَوِ ابْتَلَعَهُ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ» اهـ.

يقول الإمام زكريا الأنصاري ﷺ (٩٢٦هـ) في أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٤١٦/١):

«[{فَرْعٌ} لَوْ ابْتَلَعَ] بِاللَّيْلِ [طَرَفَ خَيْطٍ فَأَصْبَحَ صَائِمًا فَإِنْ ابْتَلَعَ بَاقِيَهُ أَوْ نَزَعَهُ أَفْطَرَ وَإِنْ تَرَكَهُ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ وَطَرِيقُهُ] فِي صِحَّةِ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ [أَنْ يُنْزَعَ مِنْهُ وَهُوَ غَافِلٌ] قَالَ الزَّرْكَشِيُّ وَقَدْ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ عَارِفٌ بِهَذَا الطَّرِيقِ وَيُرِيدُ هُوَ الْخَلَاصَ فَطَرِيقُهُ أَنْ يُجْبِرَهُ الْحَاكِمُ عَلَى نَزْعِهِ وَلَا يُفْطِرُ لِأَنَّهُ كَالْمُكْرَهِ بَلْ لَوْ قِيلَ أَنَّهُ لَا يُفْطِرُ بِالنَّزْعِ بِاخْتِيَارِهِ لَمْ يَبْعُدْ تَنْزِيلًا لِإِيجَابِ الشَّرْعِ مَنْزِلَةَ الْإِكْرَاهِ كَمَا إذَا حَلَفَ لَيَطَأَهَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَوَجَدَهَا حَائِضًا لَا يَحْنَثُ بِتَرْكِ الْوَطْءِ. انْتَهَى.

أَمَّا إذَا لَمْ يَكُنْ غَافِلًا وَتَمَكَّنَ مِنْ دَفْعِ النَّازِعِ فَإِنَّهُ يُفْطِرُ لِأَنَّ النَّزْعَ مُوَافِقٌ لِغَرَضِ النَّفْسِ فَهُوَ مَنْسُوبٌ إلَيْهِ عِنْدَ تَمَكُّنِهِ مِنْ الدَّفْعِ وَبِهَذَا فَارَقَ مَنْ طَعَنَهُ بِغَيْرِ إذْنِهِ وَتَمَكَّنَ مِنْ دَفْعِهِ» اهـ.

فمن كلامه ﷺ يتخرج مسائل مستجدة:

- منها استعمال منظار المعدة فهو يدخل المعدة مثل ما ذكره المتقدمون رحمهم الله، ولم يشترط فيه الاستقرار كمذهب أبي حنيفة ﷺ.

وكذلك لو فعله قبل الفجر واستمر بعده فذكر الإمام النووي ﷺ الحكم فيها وكذلك الإمام زكريا الأنصاري ذكر ذلك، وذكر الحل الفقهي عليه رحمهم الله.

ويتخرج على هذا الفرع أن من كان يعمل منظاراً بالليل واستمر إلى الفجر في رمضان فنزعه الطبيب منه لم يفطر لأنه بمنزلة المكره بشرط ألا يقاوم وينازع الطبيب فيكون له إرادة فيبطل صومه.

فإن لم يستطع فيقول لنا الإمام الرافعي -عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ) ﵀- في فتح العزيز شرح الوجيز (٦/١٣٤):

«وإن نزعه أو ابتلعه لم يصح صومه فينبغي أن يبادر فقيه إلى نزعه وهو غافل فإن لم يتفق فالمحافظة على الصلاة بنزعه أو ابتلاعه أولى لأن الصوم يترك بالعذر ويقضي بخلاف الصلاة وذكر في التتمة وجهًا آخر وهو أن الأولى أن يتركه كذلك ويصلي علي حسب حاله لأنه شارع في الصوم فلا ينبغي أن يفسده» اهـ.

ويبين لنا العلة أكثر الإمام سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ) في حاشيته ﵀ -حاشية البجيرمي على الخطيب تحفة الحبيب على شرح الخطيب- (٢/٣٨٠):

«لَوْ ابْتَلَعَ طَرَفَ خَيْطٍ مَثَلًا بِاللَّيْلِ ثُمَّ أَصْبَحَ صَائِمًا فَإِنْ ابْتَلَعَ بَاقِيَهُ أَوْ نَزَعَهُ أَفْطَرَ؛ لِأَنَّ ابْتِلَاعَهُ أَكْلٌ وَنَزْعَهُ اسْتِقَاءَةٌ» اهـ.

من كلام المؤلف ﵀ أن هناك شيء آخر جعله مفطراً وهو الاستقاءة حيث أن إخراج المنظار متعمدًا يقاس على إخراج شيء من المعدة فيكون استقاءة.

وقال الإمام أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) ﵀ في البيان في مذهب الإمام الشافعي (٣/٥٠٤):

«[مسألة: الإفطار بوصول خيط للجوف]:

لو أخذ بيده خيطًا، وأدخله في حلقه حتى وصل شيء منه إلى جوفه.. أفطر به. وقال أبو حنيفة: (لا يفطر).

وحكى صاحب (العدة): أن ذلك وجه لبعض أصحابنا وليس بمشهور؛ لأنه لو وصل إلى جوفه باختياره مع ذكره للصوم فهو كما لو ابتلعه جميعه.

وإن استاك فدخل إلى جوفه شيء من رطوبة السواك أو خشبه المتشعثة منه.. قال صاحب الإبانة: أفطر بذلك» اهـ.

أما عند مذهب الإمام أبي حنيفة ﵀ فلا يعتبر هذا مفطراً، لأنه لا يستقر في المعدة حيث أنهم اشترطوا الاستقرار في الجوف ليتم القياس على الأكل والشرب.

قال الإمام محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) ﵀ في المبسوط (٣/٩٨):

«وَلَوْ طعَنَ بِرُمْحٍ حَتَّى وَصَلَ إلَى جَوْفِهِ لَمْ يُفْطِرْهُ، لِأَنَّ كَوْنَ الرُّمْحِ بِيَدِ الطَّاعِنِ يَمْنَعُ وُصُولَهُ إلَى بَاطِنِهِ حُكْمًا فَإِنْ بَقِيَ الزُّجُّ فِي جَوْفِهِ فَسَدَ صَوْمُهُ، لِأَنَّهُ صَارَ مُغَيبًا حَقِيقَةً فَكَانَ وَاصِلًا إلَى بَاطِنِهِ، وَهُوَ قِيَاسُ مَا لَوْ ابْتَلَعَ خَيْطًا فَإِنْ بَقِيَ أَحَدُ الْجَانِبَيْنِ بِيَدِهِ لَمْ يَفْسُدْ صَوْمُهُ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فَسَدَ صَوْمُهُ» اهـ.

أفادنا المؤلف ﵀ أن كذلك الحكم ينجر على الجوف.

ويتخرج عليه العمليات الجراحية التي تصل إلى وغيرها والتي تحدث في أثناء النهار في رمضان فأدوات الطبيب لا تفطره على مذهبهم ما بقي منها شيء خارجًا ولم يستقر في الجوف (هذا يكون على تحديد الجوف عندهم وسيأتي في بحث منفصل).

ويتخرج على مفهوم هذا الكلام أن العمليات الجراحية التي تتم بتثبيت أشياء أو قطع مدعمه أنه يفطر لأنه تبقى منه شيء قياسًا على زج الرمح الباقي في الجوف، وهذا بناء على تخريجه على قواعد الحنفية أنه إن تغيب في الجوف أفسد الصوم وإن بقي منه شيء صح الصوم وهذا خلاف قواعد الجمهور بأن الكل يبطل الصوم.

وكذلك الخيط البارز حكمه نفس الحكم ويتخرج عليه المنظار:

قال الإمام ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) رحمه الله في الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٢/٣٩٧)

«[قَوْلُهُ: وَإِنْ غَيَّبَهُ] أَيْ غَيَّبَ الطَّرَفَ أَوْ الْعُودَ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْخَارِجِ [قَوْلُهُ: وَكَذَا لَوْ ابْتَلَعَ خَشَبَةً] أَيْ عُودًا مِنْ خَشَبٍ إنْ غَابَ فِي حَلْقِهِ أَفْطَرَ وَإِلَّا فَلَا [قَوْلُهُ: مُفَادُهُ] أَيْ مُفَادُ مَا ذُكِرَ مَتْنًا وَشَرْحًا وَهُوَ أَنَّ مَا دَخَلَ فِي الْجَوْفِ إنْ غَابَ فِيهِ فَسَدَ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالِاسْتِقْرَارِ وَإِنْ لَمْ يَغِبْ بَلْ بَقِيَ طَرَفٌ مِنْهُ فِي الْخَارِجِ أَوْ كَانَ مُتَّصِلًا بِشَيْءٍ خَارِجٍ لَا يُفْسِدُ لِعَدَمِ اسْتِقْرَارِهِ» اهـ.

ويتخرج على كلامهم أيضًا أحكام طبية أخرى من اتصال أدوات طبية معينة بجوف المريض ويكون جزء منها خارج عن بدنه في نهار رمضان فيحكم فيها كما ذكروا رحمهم الله.

قال الإمام علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ) في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/٩٣):

«وَكَذَا قَالُوا فِيمَنْ ابْتَلَعَ لَحْمًا مَرْبُوطًا عَلَى خَيْطٍ ثُمَّ انْتَزَعَهُ مِنْ سَاعَتِهِ؟ إنَّهُ لَا يُفْسِدُ وَإِنْ تَرَكَهُ فَسَدَ وَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدٍ فِي الصَّائِمِ إذَا أَدْخَلَ خَشَبَةً فِي الْمَقْعَدَةِ؟ إنَّهُ لَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ إلَّا إذَا غَابَ طَرَفُ الْخَشَبَةِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اسْتِقْرَارَ الدَّاخِلِ فِي الْجَوْفِ شَرْطُ فَسَادِ الصَّوْمِ، وَلَوْ أَدْخَلَ أُصْبُعَهُ فِي دُبُرِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ: يُفْسِدُ صَوْمَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يُفْسِدُ، وَهُوَ قَوْلُ الْفَقِيهِ أَبِي اللَّيْثِ لِأَنَّ الْأُصْبُعَ لَيْسَتْ بِآلَةِ الْجِمَاعِ فَصَارَتْ كَالْخَشَبِ» اهـ.

زاد الإمام الكاساني رحمه الله حكمًا آخر بأنه لا يشترط أن يكون غير مغذي إذا كان غير مستقر حيث ذكر الخيط فيه لحم وهو مغذي ولم يؤثر في الحكم لأن الشرط الاستقرار ولم يحدث.

ويتخرج على هذا الكلام فروعًا مستجدة منها أنه لو صاحب الداخل كالمنظار شيئًا مغذيًا وخرج معه لا يفطر طالما لم يستقر منه شيء وإن استقر يفطر كالمواد الجيلاتينية المصاحبة للمنظار وتبقى في المعدة.

وكذلك الحكم في الدبر كالمنظار الشرجي فالمنظار الشرجي لا يفطر طالما أن جزءًا منه خارج الجوف.

أما الحقنة الشرجية ففيها فرع آخر ينازعه لا يندرج تحت هذا الفرع أنه يدخل السائل إلى الجوف ويستقر فيه لأن الحقنة تكون طرفها الآخر بارز وينفصل السائل في الجوف ويستقر ثم يخرج بعد ذلك ولكنه يخرج بعد الانفصال عن الحقنة.

وأيضًا دخول الإصبع يتخرج عليه فحص الطبيب للبروستاتا وغيرها عن طريق الدبر.

هناك ملاحظة أن منظار المعدة يدخل معه مواد لزجة لتسهيل الدخول في المعدة وتستقر هذه المواد في الجوف فيفطر الصائم بذلك على هذا الفرع لكن هناك فرع آخر ينازع هذه المسألة وهو اعتبار التغذية في الابتلاع للجوف حتى يقاس على الأكل والشرب.

* * *

فرع آخر يتخرج عليه مسألتنا
وهي اعتبار المفطر أن يكون مغذيًا

حيث أن المنظار غير مغذي ولا يسمى أكلًا أو شربًا:

هناك خلاف بين العلماء في مسألة أنه لابد أن يكون الداخل إلى الجوف مغذيًا حتى يفطر الصائم.

قال أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد رحمه الله (المتوفى: ٥٩٥هـ) في بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٥٢/٢):

«وَاخْتَلَفُوا مِنْ ذَلِكَ فِي مَسَائِلَ: مِنْهَا مَسْكُوتٌ عَنْهَا، وَمِنْهَا مَنْطُوقٌ بِهَا.

أَمَّا الْمَسْكُوتُ عَنْهَا: إِحْدَاهَا: فِيمَا يَرِدُ الْجَوْفَ مِمَّا لَيْسَ بِمُغَذٍّ، وَفِيمَا يَرِدُ الْجَوْفَ مِنْ غَيْرِ مَنْفَذِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِثْلِ الْحُقْنَةِ، وَفِيمَا يَرِدُ بَاطِنَ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ وَلَا يَرِدُ الْجَوْفَ مِثْلُ أَنْ يَرِدَ الدِّمَاغَ وَلَا يَرِدَ الْمَعِدَةَ.

وَسَبَبُ اخْتِلَافِهِمْ فِي هَذِهِ هُوَ: قِيَاسُ الْمُغَذِّي عَلَى غَيْرِ الْمُغَذِّي، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَنْطُوقَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ الْمُغَذِّي. فَمَنْ رَأَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالصَّوْمِ مَعْنًى مَعْقُولٌ لَمْ يُلْحِقِ الْمُغَذِّي بِغَيْرِ الْمُغَذِّي، وَمَنْ رَأَى أَنَّهَا عِبَادَةٌ غَيْرُ مَعْقُولَةٍ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ الْإِمْسَاكُ فَقَطْ عَمَّا يَرِدُ الْجَوْفَ سَوَّى بَيْنَ الْمُغَذِّي وَغَيْرِ الْمُغَذِّي.

وَتَحْصِيلُ مَذْهَبِ مَالِكٍ أَنَّهُ يَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَمَّا يَصِلُ إِلَى الْحَلْقِ مِنْ أَيِّ الْمَنَافِذِ وَصَلَ، مُغَذِّيًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُغَذٍّ.

وَأَمَّا مَا عَدَا الْمَأْكُولَ وَالْمَشْرُوبَ مِنَ الْمُفْطِرَاتِ فَكُلُّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَنْ قَبَّلَ فَأَمْنَى

فَقَدْ أَفْطَرَ وَإِنْ أَمْذَى فَلَمْ يُفْطِرْ إِلَّا مَالِكٌ» اهـ.

بين ﷺ أن سبب اختلاف العلماء هو أن الأمر تعبدي أم له علة يقاس عليها مع اتفاقهم أن المغذي يفطر، فيتخرج عليه محاليل الجلوكوز والملح والرينجر المغذي يفطر الصائم.

قال الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي ﷺ (المتوفى: ٦٢٠هـ) في المغني (١١٩/٣):

«وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْفِطْرِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ بِمَا يُتَغَذَّى بِهِ، فَأَمَّا مَا لَا يُتَغَذَّى بِهِ، فَعَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْفِطْرَ يَحْصُلُ بِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ: لَا يُفْطِرُ بِمَا لَيْسَ بِطَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ، وَحُكِيَ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ الْبَرَدَ فِي الصَّوْمِ، وَيَقُولُ: لَيْسَ بِطَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ. وَلَعَلَّ مَنْ يَذْهَبُ إلَى ذَلِكَ يَحْتَجُّ بِأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ إنَّمَا حَرَّمَا الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ، فَمَا عَدَاهُمَا يَبْقَى عَلَى أَصْلِ الْإِبَاحَةِ. وَلَنَا دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ عَلَى الْعُمُومِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ مَحَلُّ النِّزَاعِ، وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدَنَا مَا نُقِلَ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، فَلَا يُعَدُّ خِلَافًا» اهـ.

أما أثر أبي طلحة فرواه الإمام أحمد بسنده عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «مُطِرْنَا بَرَدًا وَأَبُو طَلْحَةَ صَائِمٌ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُ، قِيلَ لَهُ: أَتَأْكُلُ وَأَنْتَ صَائِمٌ؟ قَالَ: «إِنَّمَا هَذَا بَرَكَةٌ»[1].

---

(١) قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه:

إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. معاذ والد عبيد الله: هو ابن معاذ بن نصر بن حسان العنبري، أبو عمرو البصري.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦/ورقة ٦٢٥) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد.=

من هذا يتبين لنا الخلاف في هذه المسألة

فالجمهور على أنه لا يشترط أن يكون الداخل إلى الجوف مغذيًا ومنهم الأئمة الأربعة(١).

إلا أن الأحناف اشترطوا استقراره، أي أن لا يبقى طرف منه في الخارج، فإن بقي منه طرف في الخارج، أو كان متصلًا بشيء خارج فليس بمستقر.

واستدلوا على ذلك بعموم الأدلة عن الإمساك عن الأكل والشرب.

وأيضًا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «إنما الفطر مما دخل وليس مما خرج»(٢).

= وأخرجه البزار (١٠٢٢- كشف الأستار)، وابن عساكر (٦/ورقة ٦٢٥) من طريق أبي عوانة، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٥/٥) من طريق خالد ابن قيس، كلاهما عن قتادة، عن أنس قال: رأيت أبا طلحة يأكل البَرَدَ وهو صائم، ويقول: إنه ليس بطعام ولا شراب. ونقل البزار عن سعيد بن المسيب أنه كرهه، وقال: إنه يقطع الظمأ. ثم قال البزار: لا نعلم هذا الفعل إلا عن أبي طلحة.

وأخرجه الطحاوي (١١٦/٥) من طريق حجاج بن منهال، عن حماد، عن ثابت، عن أنس قال: كان أبو طلحة يأكل البرد وهو صائم، فإذا سئل عن ذلك قال: بركة على بركة. في التطوع.

وأخرجه البزار (١٠٢١)، وأبو يعلى (١٤٢٤) و(٣٩٩٩)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٨٦٤)، وابن عساكر (٦/ورقة ٦٢٥) من طريق عبد الوارث بن سعيد، عن علي ابن زيد بن جدعان، عن أنس. وزادوا في آخره: فأتيت رسولَ الله ﷺ فأخبرته ذلك، فقال: خذها عن عمك.

وبعضهم جعل الحادثة في رمضان. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان.

وضعَف الطحاويُ رواية علي بن زيد بن جدعان، وقال: ما كان من أبي طلحة في حديثه الذي رويناه عنه من حديث قتادة وثابت لما لم يقف عليه النبي ﷺ فيحمده أو يذمُه منه لم يكن فيه حجة، وكان الأمر في ذلك على ما في الآية التي تلونا- يعني قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧]- مما يمنع ذلك» اهـ.

(١) انظر تبيين الحقائق للزيلعي (٣٢٦/١)، المجموع (٣١٧/٦)، الشرح الكبير (٤١٠/٧)، شرح الزرقاني على خليل (٢٠٧/١)، بداية المجتهد (١٥٣/٢)، شرح منتهى الإرادات (٤٤٨/١).

(٢) أخرجه البيهقي (٢٦١/٤)، وانظر مجمع الزوائد (٢٥٢/١)، ونصب الراية (٢٥٣/٢) وحسنه النووي في المجموع (٣٢٧/٦)، وقال ابن حجر الهيثمي: إسناده حسن أو صحيح «إتحاف أهل الإسلام» (ص١٢١).

واستدلوا أيضا بحديث أبي النعمان معبد بن هوذة الأنصاري عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ أَمَرَ بِالْإِثْمِدِ الْمُرَوَّحِ عَنْ النَّوْمِ، وَقَالَ: لِيَتَّقِهِ الصَّائِمُ(١).

وجه الاستدلال أن الذي يدخل من العين إلى الحلق، وليس في الكحل تغذية، فعلم أنه لا يشترط في الداخل أن يكون مما يغذي في العادة (شرح العمدة لشيخ الإسلام - الصيام- ١/٣٨٥).

والقول الثاني هو أنه لابد أن يكون طعامًا وشرابًا وهو قول الحسن بن صالح وبعض المالكية واختيار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (مجموع الفتاوى ٢٠/٥٢٨).

واستدلوا على ذلك بقَوْل اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

قال الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٥/٢٤٥):

«فَالصَّائِمُ نُهِيَ عَنْ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ لِأَنَّ ذَلِكَ سَبَبُ التَّقَوِّي. فَتَرْكُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ الَّذِي يُوَلِّدُ الدَّمَ الْكَثِيرَ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ الشَّيْطَانُ إنَّمَا يَتَوَلَّدُ مِنْ الْغِذَاءِ لَا عَنْ حُقْنَةٍ وَلَا كُحْلٍ وَلَا مَا يُقْطَرُ فِي الذَّكَرِ وَلَا مَا يُدَاوِي بِهِ الْمَأْمُومَةَ وَالْجَائِفَةَ وَهُوَ مُتَوَلِّدٌ عَمَّا اُسْتُنْشِقَ مِنْ الْمَاءِ لِأَنَّ الْمَاءَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الدَّمُ فَكَانَ الْمَنْعُ مِنْهُ مِنْ تَمَامِ الصَّوْمِ.

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَفِي إسْنَادِهِ مَقَالٌ قَرِيبٌ. قَالَ ابْنُ مَعِينٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا ضَعِيفٌ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: هُوَ صَدُوقٌ. أخرجه أبو داود (١/٧٢٤)، وأحمد (٣/٤٩٩)، والطبراني في الكبير (٢٠/٣٤١)، وهو حديث منكر، استنكره ابن معين، وأحمد، انظر مسائل أبي داود (ص٢٩٨)، وشرح العمدة لشيخ الإسلام -الصيام- ١/٣٨٩). وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: إنَّهُ رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ إسْحَاقَ فَقَلَبَ اسْمَهُ أَوَّلًا فَقَالَ: عَنْ إسْحَاقَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ غَلِطَ فِي الْحَدِيثِ فَقَالَ: عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، ثُمَّ النُّعْمَانُ بْنُ مَعْبَدٍ غَيْرُ مَعْرُوفٍ.

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي وَغَيْرُهَا مَوْجُودَةً فِي الْأَصْلِ الثَّابِتِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ فَدَعْوَاهُمْ أَنَّ الشَّارِعَ عَلَّقَ الْحُكْمَ بِمَا ذَكَرُوهُ مِنْ الْأَوْصَافِ» اهـ.

واستدلوا أيضًا بإطلاق الأكل في اللغة لا يشمل إلا المغذي ولهذا لما أراد الخليل أن يعرف الأكل قال: «الأكل معروف» (معجم مقاييس اللغة ١/١٢٢).

والأكل علقه كثير من أهل اللغة بالمطعوم، ففي لسان العرب (لسان العرب ١١/١٩): «أكلت الطعام أكلًا ومأكلًا» اهـ.

قال الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ﷺ في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/١٧).

«قَالَ الرُّمَّانِيُّ وَالْأَكْلُ حَقِيقَةً بَلْعُ الطَّعَامِ بَعْدَ مَضْغِهِ فَبَلْعُ الْحَصَاةِ لَيْسَ بِأَكْلٍ حَقِيقَةً» اهـ. معجم لغة الفقهاء - قلعجي (ص: ٨٥).

الأكل: بسكون الكاف، وصول ما يحتاج إلى المضغ إلى المعدة.

قال محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ﷺ في تاج العروس (٢٨/٨):

«قَالَ ابنُ الكَمال: الأَكْلُ: إيصالُ مَا يُمْضَغُ إِلَى الجوْفِ مَمْضُوغًا أَوَّلًا، فَلَيْسَ اللَّبَنُ والسَّوِيقُ مأكُولًا. قلتُ: وقولُ الشاعِرِ:

مِنَ الآكلينَ الماءَ ظُلْمًا فَمَا أَرَى ... ينالون خيرًا بعدَ أَكْلِهِمُ الماءَ

فإنّما يريدُ قَوْمًا كانُوا يَبِيعُونَ الماءَ، فيَشْتَرُونَ بثَمَنِه مَا [يأْكلُونه، فاكْتَفَى بِذِكْرِ الماءِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ] المأْكُولِ عَن ذِكْرِ المأكُولِ»

وفي المفردات للأصفهاني: «الأكل تناول المطعم».

وفي كلام هؤلاء ما يدل على أنه لا يطلق الأكل إلا على المطعوم، ويؤيد هذا قوله ﷺ: «**يدع طعامه وشرابه**». فالمطلوب ترك الطعام والشراب ليس إلا. (المفطرات المعاصرة للدكتور أحمد خليل).

ومن هذا الخلاف يتضح تخريج مسألتنا على هذه الاقوال فالجمهور يقول بأنه يفطر الصائم مطلقًا عدا الحنفية الذين اشترطوا الاستقرار في المعدة، ومعلوم أن المنظار يتصل بالخارج، فهو لا يفطر تخريجًا على قول الأحناف ويفطر تخريجًا على قول الثلاثة، أما على القول بأنه لا يفطر إلا المغذي فقط فالمنظار لا يفطر؛ لكونه جامدًا لا يغذي.

* * *

تحديد الجوف عند الفقهاء المتقدمين

وهناك أيضًا بمناسبة الصوم مسألة يتخرج عليها كثير من المستجدات المعاصرة وهي الجوف وتحديده عند الفقهاء المتقدمين فعليها يتخرج كثير من المفطرات المعاصرة.

فالجوف عند الحنفية هو الصدر، والظهر، والبطن، والجنبان، وما بين الأنثيين والدبر، ولا تكون في اليدين والرجلين ولا في الرقبة؛ لأنه لا يصل إلى الجوف.

وعند المالكية البطن والصدر.

وعند الشافعية أوسع وهو كل تجويف حتى داخل الأذن وفرج المرأة.

وعند الحنابلة البدن والدماغ.

أولًا: مذهب الحنفية:

قال علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ) في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٩٣/٢):

«وَمَا وَصَلَ إلَى الْجَوْفِ أَوْ إلَى الدِّمَاغِ عَنْ الْمَخَارِقِ الْأَصْلِيَّةِ كَالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ وَالدُّبُرِ بِأَنْ اسْتَعَطَ أَوْ احْتَقَنَ أَوْ أَقْطَرَ فِي أُذُنِهِ فَوَصَلَ إلَى الْجَوْفِ أَوْ إلَى الدِّمَاغِ فَسَدَ صَوْمُهُ، أَمَّا إذَا وَصَلَ إلَى الْجَوْفِ فَلَا شَكَّ فِيهِ لِوُجُودِ الْأَكْلِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةِ.

وَكَذَا إذَا وَصَلَ إلَى الدِّمَاغِ لِأَنَّهُ لَهُ مَنْفَذٌ إلَى الْجَوْفِ فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْجَوْفِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «قَالَ لِلَقِيطِ بْنِ صَبِرَةَ: بَالِغْ فِي الْمَضْمَضَةِ، وَالِاسْتِنْشَاقِ إلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا» وَمَعْلُومٌ أَنَّ اسْتِثْنَاءَهُ حَالَةَ الصَّوْمِ لِلِاحْتِرَازِ عَنْ فَسَادِ الصَّوْمِ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِلِاسْتِثْنَاءِ مَعْنًى» اهـ.

انظر هنا إلى الكاساني رحمه الله حدد الجوف وما يصل اليه من المنافذ كالأذن والأنف والدبر فيتخرج على كلامه رحمه الله أن قطرة الأذن وغسول الأذن وكذلك الأنف من قطرات أنف وبخاخة الأنف وجهاز الاستنشاق لمرضى الربو وعلل بذلك بأن الدماغ جوف ومنفذه الأنف للحديث.

أما بخاخة الربو فمحل خلاف بين المعاصرين بناء على أن هل يصل منها شيء إلى الجوف أم لا.

وكذلك الدبر من منظار شرجي وحقنة شرجية واللبوس الشرجي والمراهم الشرجية كل هذا يتخرج على كلامه رحمه الله.

قال أيضًا رحمه الله في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٩٣/٢):

«لَوْ وَصَلَ إِلَى الرَّأْسِ ثُمَّ خَرَجَ لَا يُفْسِدُ بِأَنْ اسْتَعَطَ بِاللَّيْلِ ثُمَّ خَرَجَ بِالنَّهَارِ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْجَوْفِ، أَوْ لَمْ يَسْتَقِرَّ فِيهِ» اهـ.

ويتخرج على كلامه رحمه الله أن لو استعمل الدواء ليلا من الأنف ولم يبقى عند الفجر أن صومه صحيح.

قال أيضًا رحمه الله في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٩٣/٢):

«وَأَمَّا مَا وَصَلَ إِلَى الْجَوْفِ أَوْ إِلَى الدِّمَاغِ عَنْ غَيْرِ الْمَخَارِقِ الْأَصْلِيَّةِ بِأَنْ دَاوَى الْجَائِفَةَ، وَالْآمَةَ، فَإِنْ دَاوَاهَا بِدَوَاءٍ يَابِسٍ لَا يُفْسِدُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْجَوْفِ وَلَا إِلَى الدِّمَاغِ وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَصَلَ يُفْسِدُ فِي قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَإِنْ دَاوَاهَا بِدَوَاءٍ رَطْبٍ يُفْسِدُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَعِنْدَهُمَا لَا يُفْسِدُهُمَا اعْتَبَرَا الْمَخَارِقَ الْأَصْلِيَّةَ لِأَنَّ الْوُصُولَ إِلَى الْجَوْفِ مِنْ الْمَخَارِقِ الْأَصْلِيَّةِ مُتَيَقَّنٌ بِهِ وَمِنْ غَيْرِهَا مَشْكُوكٌ فِيهِ، فَلَا نَحْكُمُ بِالْفَسَادِ

مَعَ الشَّكِّ وَلِأَبِي حَنِيفَةَ إنَّ الدَّوَاءَ إذَا كَانَ رَطْبًا فَالظَّاهِرُ هُوَ الْوُصُولُ لِوُجُودِ الْمَنْفَذِ إلَى الْجَوْفِ فَيُبْنَى الْحُكْمُ عَلَى الظَّاهِرِ» اهـ.

فرق هنا ﵀ بين الدواء اليابس والرطب بحيث أن اليابس لا ينتشر في الجوف كاستعمال بودرة في الجروح العميقة إلى الجوف.

أما الرطب فقال أبو حنيفة يفسد وقال صاحبيه لا يفسد لاعتبار الأصل وعدم التيقن من الوصول إلى الجوف، فيتخرج عليه التفريق بين الدواء اليابس والرطب.

قال أيضًا ﵀ في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/٩٣):

«وَأَمَّا الْإِقْطَارُ فِي الْإِحْلِيلِ فَلَا يُفْسِدُ فِي قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَهُمَا يُفْسِدُ، قِيلَ: إنَّ الِاخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ بِنَاءً عَلَى أَمْرٍ خَفِيٍّ وَهُوَ كَيْفِيَّةُ خُرُوجِ الْبَوْلِ مِنْ الْإِحْلِيلِ فَعِنْدَهُمَا أَنَّ خُرُوجَهُ مِنْهُ لِأَنَّ لَهُ مَنْفَذًا فَإِذَا قَطَرَ فِيهِ يَصِلُ إلَى الْجَوْفِ كَالْإِقْطَارِ فِي الْأُذُنِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ خُرُوجَ الْبَوْلِ مِنْهُ مِنْ طَرِيقِ التَّرَشُّحِ كَتَرَشُّحِ الْمَاءِ مِنْ الْخَزَفِ الْجَدِيدِ فَلَا يَصِلُ بِالْإِقْطَارِ فِيهِ إلَى الْجَوْفِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْبَوْلَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجَ الشَّيْءِ مِنْ مَنْفَذِهِ كَمَا قَالَا وَرَوَى الْحَسَنُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ مِثْلَ قَوْلِهِمَا، وَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ اعْتَمَدَ أُسْتَاذِي ﵀ وَذَكَرَ الْقَاضِي فِي شَرْحِهِ مُخْتَصَرَ الطَّحَاوِيِّ وَقَوْلَ مُحَمَّدٍ مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ» اهـ.

الإحليل هو فتحة الذكر فأيضًا اختلف أبو حنيفة وصاحبيه فيها على قولين والاختلاف على طريقة خروج البول حيث أنه منفذ إلى المثانة أو لا.

ويتخرج عليه منظار المثانة الذي يدخل من فتحة الذكر وكذلك الأدوية التي تصل المثانة من فتحة الذكر.

قال أيضًا ﵀ في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/٩٣):

«وَأَمَّا الْإِقْطَارُ فِي قُبُلِ الْمَرْأَةِ فَقَدْ قَالَ مَشَايِخُنَا: إنَّهُ يُفْسِدُ صَوْمَهَا بِالْإِجْمَاعِ، لِأَنَّ لِمَثَانَتِهَا مَنْفَذًا فَيَصِلُ إلَى الْجَوْفِ كَالْإِقْطَارِ فِي الْأُذُنِ» اهـ.

ويتخرج على كلامه ﵀ أن المرأة تفطر لو أدخلت السائل في فرجها مثل الدش المهبلي ولبوس المهبل وكريمات المهبل.

المبسوط للسرخسي (٦٧/٣):

«وَالْحُقْنَةُ تُفْطِرُ الصَّائِمَ لِوُصُولِ الْمُفْطِرِ إلَى بَاطِنِهِ، وَهَذَا بِخِلَافِ الرَّضِيعِ إذَا احْتَقَنَ بِلَبَنِ امْرَأَةٍ لَا يَثْبُتُ بِهِ حُرْمَةُ لِرَضَاعٍ إلَّا فِي رِوَايَةٍ شَاذَّةٍ عَنْ مُحَمَّدٍ رحمه الله تَعَالَى؛ لِأَنَّ ثُبُوتَ حُرْمَةِ الرَّضَاعِ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ إنْبَاتُ اللَّحْمِ وَإِنْشَازُ الْعَظْمِ، وَذَلِكَ بِمَا يَحْصُلُ إلَى أَعَالِي الْبَدَنِ لَا إلَى الْأَسَافِلِ فَأَمَّا الْفِطْرُ يَحْصُلُ بِوُصُولِ الْمُفْطِرِ إلَى بَاطِنِهِ لِانْعِدَامِ الْإِمْسَاكِ بِهِ وَالْإِقْطَارُ فِي الْأُذُنِ كَذَلِكَ يُفْسِدُ؛ لِأَنَّهُ يَصِلُ إلَى الدِّمَاغِ وَالدِّمَاغُ أَحَدُ الْجَوْفَيْنِ» اهـ.

ومن كلامه ﵀ يتبين أنه الأمعاء من الجوف؛ لأن الحقنة يعني: الشرجية.

وبين ﵀ أنه لا يشترط في المفطر أن ينبت اللحم كالغذاء.

قال في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢٩٦/٧):

«فَالْجَائِفَةُ: هِيَ الَّتِي تَصِلُ إلَى الْجَوْفِ، وَالْمَوَاضِعُ الَّتِي تَنْفُذُ الْجِرَاحَةُ مِنْهَا إلَى الْجَوْفِ: هِيَ الصَّدْرُ، وَالظَّهْرُ، وَالْبَطْنُ، وَالْجَنْبَانِ، وَمَا بَيْنَ الْأُنْثَيَيْنِ وَالدُّبُرِ، وَلَا تَكُونُ فِي الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَلَا فِي الرَّقَبَةِ وَالْحَلْقِ جَائِفَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إلَى الْجَوْفِ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ إنَّ مَا وَصَلَ مِنْ الرَّقَبَةِ إلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي لَوْ وَصَلَ إلَيْهِ مِنْ الشَّرَابِ قَطْرَةٌ يَكُونُ جَائِفَةً؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْطُرُ إلَّا إذَا وَصَلَ إلَى الْجَوْفِ» اهـ.

الدر المختار وحاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) (رد المحتار) (٦/٥٥٤):

«وَالْجَائِفَةُ: هِيَ الَّتِي تَصِلُ إلَى الْبَطْنِ مِنْ الصَّدْرِ أَوْ الظَّهْرِ أَوْ الْبَطْنِ» اهـ.

قال كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ) فتح القدير لابن همام (٢٣/٣٨٤):

«قَالَ فِي الْإِيضَاحِ: الْجَائِفَةُ مَا تَصِلُ إلَى الْجَوْفِ مِنْ الصَّدْرِ وَالْبَطْنِ وَالظَّهْرِ وَالْجَنْبَيْنِ وَالِاسْمُ دَلِيلٌ عَلَيْهِ، وَمَا وَصَلَ مِنْ الرَّقَبَةِ إلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي إذَا وَصَلَ إلَيْهِ الشَّرَابُ كَانَ مُفْطِرًا، وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِجَائِفَةٍ» انْتَهَى.

فتلخص من مذهب الأحناف أنهم لا يقصرون الجوف على المعدة بل يشمل كل التجويف البطني.

أما باقي المنافذ فقد جعلوا الداخل إليه مفطراً لكونه منفذًا إلى الجوف.

أما مذهب المالكية: فهو أن الجوف البطن والظهر فقط:

قال محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ) في شرح مختصر خليل للخرشي (٢/٢٥٨)

«الْجَائِفَةُ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ: مَا أَفْضَى مِنْ الْجِرَاحَاتِ إلَى الْجَوْفِ وَلَا يَكُونُ إلَّا فِي الظَّهْرِ، أَوْ الْبَطْنِ» اهـ.

قال الإمام أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي (المتوفى: بعد ٦٣٣هـ) في مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها (١٠/١٣٣):

«وأما الجائفة: فإنها من جراح البدن لا من شجاج الرأس؛ وهي ما وصل إلى الجوف،

ولو بمدخل إبرة، ولا تكون إلا في الظهر، أو في البطن» اهـ.

يتبين من كلامه ﷺ أن الدماغ ليس من الجوف فيختلف مع الحنفية في شجاج الرأس:

قال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ) في مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤٣١/٢)

«ش: ابْنُ عَرَفَةَ: وَتَجِبُ الْكَفَّارَةُ فِي إِفْسَادِ صَوْمِ رَمَضَانَ انْتِهَاكًا بِمُوجِبِ الْغُسْلِ: وَطْئًا، وَإِنْزَالًا. وَالْإِفْطَارَ بِمَا يَصِلُ إِلَى الْجَوْفِ أَوِ الْمَعِدَةِ مِنَ الْفَمِ، وَأَكْلَ النَّاسِي، وَمُخْطِئَ الْفَجْرِ، وَظَانَّ الْغُرُوبِ لَا يُوجِبُهَا» اهـ.

هنا فرق بين المعدة والجوف.

والخلاصة: أن المالكية يرون أن الجوف هو كل البطن وليس فقط المعدة.

ويفطرون بمجرد الوصول إلى الحلق ولو لم ينزل.

واختلفوا في الدماغ، أما باقي المنافذ فلابد من وصول الداخل منها إلى الجوف.

أما المنافذ الأخرى كالإحليل وفرج المرأة فيعللونها بالوصول إلى الجوف (الخرشي على خليل ٢٥٨/٢).

أما مذهب الشافعية: فعندهم كل مجوف جوف وهو أوسع المذاهب في تحديد الجوف قال الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) في الوسيط في المذهب (٥٢٤/٢):

«أما دُخُول الدَّاخِل فالضبط فِيهِ أَن كل عين وصل من الظَّاهِر إِلَى الْبَاطِن فِي منفذ

مَفْتُوح عَن قصد مَعَ ذكر الصَّوْم فَهُوَ مفطر وَفِي الرابطة قيود.

أما قَوْلنَا كل عين جمعنَا بِهِ مَا يعْتَاد أكله ومالا يعْتَاد أكله كالحصاة وَالْبرد وَخَالف فِي ذَلِك بعض الْعلمَاء.

وَقُلْنَا وصل جمعنَا بِهِ مَا ينْفَصل عَن الظَّاهِر وَمَا يبْقى طرفه باديا كَمَا لَو وجأ بالسكين الْبَطن وإرسال خيط فِي الْحلق مَعَ الاستمساك بطرفه.

وَقَالَ أَبُو حنيفَة: لَا يحصل الْإِفْطَار بِهِ.

وَأما الْبَاطِن عنينا بِهِ كل مَوضع مجوف فِيهِ قُوَّة محيلة للدواء والغذاء كداخل القحف والخريطة وداخل الْبَطن والأمعاء والمثانة.

والسعوط والحقنة مفطران والاكتحال لَا يفْطر وَفِيمَا يصل إِلَى الإحليل وَجْهَان وَالصَّحِيح أَن تقطير الدّهن فِي الْأذن لَا يضر والاحتجام والفصد والوجاء بالسكين فِي الفخذ لَا يفْطر إِذْ لم يصل إِلَى الْجوف.

وَأما قَوْلنَا فِي منفذ مَفْتُوح احترزنا بِهِ عَمَّا يصل إِلَى الدِّمَاغ أَو الْبَطن إِذا طلي بالدهن فَإِن ذَلِك يشرب بالمسام فَلَا يفْطر إِلَّا أَن يكون جِرَاحَة شاقة فَإِذا نزل عين الدَّوَاء إِلَى الْجوف أفطر.

أما قَوْلنَا عَن قصد المعني بِهِ أَن من طارت ذُبَابَة إِلَى جَوْفه أَو وجئ بالسكين دون رِضَاهُ أَو ضبطت الْمَرْأَة وجومعت أَو وصل غُبَار الطَّرِيق وغربلة الدَّقِيق إِلَى بَاطِنه أَو أوجر وَهُوَ مكره أَو نَائِم أَو مغمى عَلَيْهِ فَلَا يفْطر إِلَّا أَن يقْصد معالجة الْمغمى عَلَيْهِ فِي إيجاره فَفِيهِ وَجْهَان من حَيْثُ إِنَّه روعي مصلحَة فَنزل منزلَة تعاطيه وَيخرج عَن رِعَايَة الْقَصْد» اهـ.

قال أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام (المتوفى ٩٧٤هـ) في تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (٣/٣٩٩):

«(قَوْلُهُ وَهُوَ) أَيْ: حَدُّ الظَّاهِرِ مَخْرَجُ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ هَذَا يُشْكِلُ مَعَ قَوْلِهِ مِنْ الْفَمِ سَوَاءٌ جُعِلَتْ مِنْ بَيَانِيَّةً أَوْ تَبْعِيضِيَّةً؛ إذْ مَخْرَجُ الْحَاءِ خَارِجٌ عَنْ الْفَمِ كُلًّا وَبَعْضًا إلَّا أَنْ تُجْعَلَ ابْتِدَائِيَّةً وَالْمَعْنَى أَنَّ الظَّاهِرَ الْمُبْتَدَأَ مِنْ الْفَمِ أَيْ: الَّذِي ابْتِدَاؤُهُ الْفَمُ حَدُّهُ أَيْ آخِرُهُ مِنْ جِهَةِ الْجَوْفِ مَخْرَجُ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ» اهـ.

هنا أوضح أن مخرج الحاء هو أول الفم الظهر الذي يحدد الجوف.

مما سبق يتَّضح أن الجوف يقصد به عندهم كل مجوف كباطن الأذن، وداخل قحف الرأس، وباطن الإحليل، وإن لم يصل الداخل إليها إلى المعدة.

و أن وصول الداخل إلى الحلق يبطل الصوم وإن لم يصل إلى المعدة.

أما مذهب الحنابلة: فالجوف عندهم جوفين البدن والدماغ.

قال مصطفى بن سعد السيوطي الرحيباني (المتوفى: ١٢٤٣هـ) في مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٥/٣٧٥):

«(وَكَذَا) يَفْسُدُ صَوْمٌ بِـ(كُلِّ مَا يَصِلُ لِمُسَمَّى جَوْفٍ) كَالدِّمَاغِ وَالْحَلْقِ وَالدُّبُرِ، وَبَاطِنِ الْفَرْجِ».

قال أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) في المغني - ابن قدامة (٦/٦٧):

«أَنَّهُ يُفْطِرُ بِكُلِّ مَا أَدْخَلَهُ إلَى جَوْفِهِ، أَوْ مُجَوَّفٍ فِي جَسَدِهِ كَدِمَاغِهِ وَحَلْقِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ

مِمَّا يَنْفُذُ إِلَى مَعِدَتِه، إِذَا وَصَلَ بِاخْتِيَارِهِ، وَكَانَ مِمَّا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ مِنْهُ، سَوَاءٌ وَصَلَ مِنَ الْفَمِ عَلَى الْعَادَةِ، أَوْ غَيْرِ الْعَادَةِ كَالْوَجُورِ وَاللَّدُودِ، أَوْ مِنَ الْأَنْفِ كَالسَّعُوطِ، أَوْ مَا يَدْخُلُ مِنَ الْأُذُنِ إِلَى الدِّمَاغِ، أَوْ مَا يَدْخُلُ مِنَ الْعَيْنِ إِلَى الْحَلْقِ كَالْكُحْلِ، أَوْ مَا يَدْخُلُ إِلَى الْجَوْفِ مِنَ الدُّبُرِ بِالْحُقْنَةِ، أَوْ مَا يَصِلُ مِنْ مُدَاوَاةِ الْجَائِفَةِ إِلَى جَوْفِهِ، أَوْ مِنْ دَوَاءِ الْمَأْمُومَةِ إِلَى دِمَاغِهِ، فَهَذَا كُلُّهُ يُفْطِرُهُ؛ لِأَنَّهُ وَاصِلٌ إِلَى جَوْفِهِ بِاخْتِيَارِهِ، فَأَشْبَهَ الْأَكْلَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَرَحَ نَفْسَهُ، أَوْ جَرَحَهُ غَيْرُهُ بِاخْتِيَارِهِ، فَوَصَلَ إِلَى جَوْفِهِ، سَوَاءٌ اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهِ، أَوْ عَادَ فَخَرَجَ مِنْهُ، وَبِهَذَا كُلِّهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ.

وَقَالَ مَالِكٌ: لَا يُفْطِرُ بِالسَّعُوطِ، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ إِلَى حَلْقِهِ، وَلَا يُفْطِرُ إِذَا دَاوَى الْمَأْمُومَةَ وَالْجَائِفَةَ.

وَاخْتَلَفَ عَنْهُ فِي الْحُقْنَةِ، وَاحْتَجَّ لَهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْحَلْقِ مِنْهُ شَيْءٌ، أَشْبَهَ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَى الدِّمَاغِ وَلَا الْجَوْفِ» اهـ.

ويتضح من قوله رحمه الله: «وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْفُذُ إِلَى مَعِدَتِهِ، إِذَا وَصَلَ بِاخْتِيَارِهِ»: أن كل منفذ إلى المعدة جوف يفطر إذا نفذ منه باختياره.

قال شيخ الإسلام في شرح العمدة (١/٣٨٥):

«ولابد عند أصحابنا أن يصل إلى البطن، أو ما بينه وبين البطن مجرى نافذ».

وفي تعريف الجائفة قالوا: «هي ما تصل باطن جوف، كبطن ولو لم يخرق الأمعاء، وظهر وصدر وحلق ومثانة وبين خصيتين ودبر»[1].

فهذا كله يدل على أن الحنابلة يريدون بالجوف المعدة، فالجوفان (المعدة، والدماغ).

---

(١) الفروع (٦/٣٥).

وأما الدماغ فقد اختلف الحنابلة هل هو جوف مستقل فما يدخل فيه يفطر ولو لم يصل إلى التجويف البطني، أو هو مفطر بشرط وجود منفذ بين الدماغ والتجويف البطني، وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية المراد به فقال -بعد أن ذكر أن ما يصل إلى الدماغ يفطر-: «بناءً على أن بين الدماغ والجوف مجرى، فما يصل إلى الدماغ لابد أن يصل إلى الحلق ويصل إلى الجوف -ثم قال- وذكر القاضي في بعض المواضع وغيره: أن نفس الوصول إلى الدماغ مفطر؛ لأنه جوف يقع الاغتذاء بالواصل إليه، فأشبه الجوف، والصواب الأول لو لم يكن بين الدماغ والجوف منفذ لم يفطر بالواصل.. لأن الغذاء الذي به البنية لابد أن يحصل في المعدة»(١).

يتضح مما سبق أن الخلاف في معنى الجوف وتحديده يتخرج عليه عند الأئمة المتقدمين مسائل مستجدة منها:

- قطرة الأذن مفطرة عند الجمهور خلافًا لوجه عند الشافعية.

- قطرة العين وعمليات الليزك لا تفطر عند الجمهور خلافًا لمذهب الشافعية والحنفية.

- اللبوس المهبلي والدش المهبلي ومنظار المهبل والحقن المجهري وتركيب اللولب للصائمة لا يفطر عند الجمهور خلافًا لأبي حنيفة والشافعي.

- الحقنة الشرجية والمنظار الشرجي ومراهم البواسير واللبوس الشرجي تفطر عند الأئمة الأربعة إلا بعض المالكية.

- أما قسطرة الذكر ومنظار المثانة عبر الذكر والدواء الداخل من الذكر ومحلول غسول المثانة والأشعة بالصبغة على المثانة لا تفطر عند المالكية والحنفية والحنابلة،

---

(١) شرح العمدة (١/٣٨٥، ٣٨٦).

وتفطر عند الشافعية وأبي يوسف.

- التبرع بالدم يتخرج على الفصد وهو لا يفطر عند الأربعة، وكذلك أخذ عينات الدم للتحليل.

* * *

بنوك الحليب الطبيعية الآدمية

هناك مسألة أخرى وهي مسألة إقامة بنوك الحليب الطبيعية الآدمية.

فكرته في جمع اللَّبن من أمهات متبرعات، أو بأجر، ويؤخذ هذا اللَّبن بطريقة معقَّمة، ويحفظ في قوارير معقَّمة بعد تعقيمه مرَّة أخرى في بنوك الحليب.

وهذا يتخرج على مسألة؛ وهي: بيع لبن الآدميات.

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩٩/٣٥):

«بَيْعُ لَبَنِ الآدَمِيِّ:

ذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَهُوَ الأَصَحُّ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ إِلَى جَوَازِ بَيْعِ لَبَنِ الآدَمِيَّةِ إِذَا حُلِبَ؛ لأَنَّهُ لَبَنٌ طَاهِرٌ مُنْتَفَعٌ بِهِ، وَلأَنَّهُ لَبَنٌ أُبِيحَ شُرْبُهُ، فَأُبِيحَ بَيْعُهُ قِيَاسًا عَلَى سَائِرِ الأَنْعَامِ، وَلأَنَّهُ يَجُوزُ أَخْذُ الْعِوَضِ عَنْهُ فِي إِجَارَةِ الظِّئْرِ، فَأَشْبَهَ الْمَنَافِعَ.

وَلاَ يَجُوزُ بَيْعُهُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْحَنَابِلَةِ، لأَنَّ اللَّبَنَ لَيْسَ بِمَالٍ فَلاَ يَجُوزُ بَيْعُهُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمَالٍ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ ﭫ وَالْمَعْقُولُ.

أَمَّا إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ فَمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُمَا حَكَمَا فِي وَلَدِ الْمَغْرُورِ بِالْقِيمَةِ، وَبِالْعُقْرِ بِمُقَابَلَةِ الْوَطْءِ، وَمَا حَكَمَا بِوُجُوبِ قِيمَةِ اللَّبَنِ بِالاسْتِهْلاَكِ، وَلَوْ كَانَ مَالاً لَحَكَمَا، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمَا أَحَدٌ فَكَانَ إِجْمَاعًا.

وَأَمَّا الْمَعْقُولُ فَلأَنَّهُ لاَ يُبَاحُ الانْتِفَاعُ بِهِ شَرْعًا عَلَى الإِطْلاَقِ، بَل لِضَرُورَةِ تَغْذِيَةِ الطِّفْلِ، وَمَا حَرُمَ الانْتِفَاعُ بِهِ شَرْعًا إِلاَّ لِضَرُورَةٍ لاَ يَكُونُ مَالاً، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ النَّاسَ لاَ يَعُدُّونَهُ مَالاً، وَلاَ يُبَاعُ فِي سُوقٍ مِنَ الأَسْوَاقِ، وَلأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الآدَمِيِّ،

وَالآدَمِيُّ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ مُحْتَرَمٌ مُكَرَّمٌ، وَلَيْسَ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالاحْتِرَامِ ابْتِذَالُهُ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ».

وَكَرِهَ بَيْعَهُ أَحْمَدُ (بدائع الصنائع ١٤٥/٥، والفروق للقرافي وتهذيبه ٢٤٠/٣-٢٤١، ونهاية المحتاج ٢٢٧/١، والمغني ٢٨٨/٤).

قال الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ﷺ في المغني (١٩٦/٤):

«فَصْلٌ: فَأَمَّا بَيْعُ لَبَنِ الْآدَمِيَّاتِ، فَقَالَ أَحْمَدُ: أَكْرَهُهُ. وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي جَوَازِهِ. فَظَاهِرُ كَلَامِ الْخِرَقِيِّ جَوَازُهُ؛ لِقَوْلِهِ: «وَكُلُّ مَا فِيهِ الْمَنْفَعَةُ». وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ حَامِدٍ، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ.

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا إلَى تَحْرِيمِ بَيْعِهِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِك؛ لِأَنَّهُ مَائِعٌ خَارِجٌ مِنْ آدَمِيَّةٍ، فَلَمْ يَجُزْ بَيْعُهُ، كَالْعَرَقِ، وَلِأَنَّهُ مِنْ آدَمِيٍّ، فَأَشْبَهَ سَائِرَ أَجْزَائِهِ.

وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّهُ لَبَنٌ طَاهِرٌ مُنْتَفَعٌ بِهِ، فَجَازَ بَيْعُهُ، كَلَبَنِ الشَّاةِ، وَلِأَنَّهُ يَجُوزُ أَخْذُ الْعِوَضِ عَنْهُ فِي إجَارَةِ الظِّئْرِ فَأَشْبَهَ الْمَنَافِعَ، وَيُفَارِقُ الْعَرَقَ، فَإِنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ، وَلِذَلِكَ لَا يُبَاعُ عَرَقُ الشَّاةِ، وَيُبَاعُ لَبَنُهَا. وَسَائِرُ أَجْزَاءِ الْآدَمِيِّ يَجُوزُ بَيْعُهَا، فَإِنَّهُ يَجُوزُ بَيْعُ الْعَبْدِ، وَالْأَمَةِ، وَإِنَّمَا حَرُمَ بَيْعُ الْحُرِّ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَمْلُوكٍ، وَحَرُمَ بَيْعُ الْعُضْوِ الْمَقْطُوعِ؛ لِأَنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ» اهـ.

انظر هنا قال الإمام الفقيه ابن قدامة أن فيه منفعة فيجوز بيعه وتعدى ذلك أيضًا بجواز بيع أجزاء الآدمي فقال (وسائر أجزاء الآدمي يجوز بيعها) بشرط ألا يكون عضوًا مقطوعًا (وَحَرُمَ بَيْعُ الْعُضْوِ الْمَقْطُوعِ؛ لِأَنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ).

قال إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ) في المبدع في شرح المقنع (١٢/٤):

«وَحَرُمَ بَيْعُ الْعُضْوِ الْمَقْطُوعِ، لِأَنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ وَقِيلَ يَجُوزُ مِنَ الْأَمَةِ، لِأَنَّ بَيْعَهَا جَائِزٌ، فَكَذَا لَبَنُهَا كَسَائِرِ أَجْزَائِهَا دُونَ الْحُرَّةِ، لَكِنْ قَالَ أَحْمَدُ: أَكْرَهُ لِلْمَرْأَةِ بَيْعَ لَبَنِهَا، وَاحْتَجَّ ابْنُ شِهَابٍ وَغَيْرُهُ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ قَضَوْا فِيمَنْ غَرَّ بِأَمَةٍ بِضَمَانِ الْأَوْلَادِ، وَلَوْ كَانَ لِلَّبَنِ قِيمَةٌ لَذَكَرُوهُ» اهـ.

ويتخرج من قوله ذلك أن العلة من تحريم بيع العضو المقطوع أنه ليس فيه منفعة أن مفهومه لو كان فيه منفعة يجوز بيعه ويُعترض عليه بعدم الملكية للأعضاء وفي المسألة بحث يطول في بيع أعضاء الآدمي، ويتخرج على كلام للمتقدمين مثل ذلك ستناوله في الرسالة إن شاء الله.

قال الإمام النووي في المجموع شرح المهذب (٢٥/٩):

«{فَرْعٌ}

بَيْعُ لَبَنِ الْآدَمِيَّاتِ جَائِزٌ عِنْدَنَا لَا كراهة فيه هذا المذهب، وقطع به الأصحاب إلا الماوردي والساشي وَالرُّويَانِيّ فَحَكَوْا وَجْهًا شَاذًّا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَنْمَاطِيّ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ نَجِسٌ لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَإِنَّمَا يُرَبَّى بِهِ الصَّغِيرُ لِلْحَاجَةِ وَهَذَا الْوَجْهُ غَلَطٌ مِنْ قَائِلِهِ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ فِي بَابِ إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ فَالصَّوَابُ جَوَازُ بَيْعِهِ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ: هَكَذَا قَالَهُ الْأَصْحَابُ قال ولا نص للشافعي في المسألة هذا مذهبنا.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ، وعن أحمد روايتان كالمذهبين.

وَاحْتَجَّ الْمَانِعُونَ بِأَنَّهُ لَا يُبَاعُ فِي الْعَادَةِ، وَبِأَنَّهُ فَضْلَةُ آدَمِيٍّ فَلَمْ يَجُزْ بَيْعُهُ كَالدَّمْعِ

وَالعَرَقِ وَالْمُخَاطِ، وَبِأَنَّ مَا لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ مُتَّصِلًا لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ مُنْفَصِلًا كَشَعْرِ الْآدَمِيِّ، ولأنه لا يؤكل لحمها فَلَا يَجُوزُ بَيْعُ لَبَنِهَا كَالْأَتَانِ

وَاحْتَجَّ أَصْحَابُنَا بأنه لبن طاهر منتفع به فجاز بَيْعُهُ كَلَبَنِ الشَّاةِ، وَلِأَنَّهُ غِذَاءٌ لِلْآدَمِيِّ فَجَازَ بَيْعُهُ كَالْخُبْزِ (فَإِنْ قِيلَ) هَذَا مُنْتَقَضٌ بِدَمِ الْحَيْضِ فَإِنَّهُ غِذَاءٌ لِلْجَنِينِ وَلَا يجوز بيعه قَالَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ فِي تَعْلِيقِهِ (فَالْجَوَابُ) أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَلَا يَتَغَذَّى الْجَنِينُ بِدَمِ الْحَيْضِ بَلْ يُولَدُ وَفَمُهُ مَسْدُودٌ لَا طريق فيه لجريان الدم وعلى وجه الْمَشِيمَةِ وَلِهَذَا أَجِنَّةُ الْبَهَائِمِ تَعِيشُ فِي الْبُطُونِ وَلَا حَيْضَ لَهَا وَلِأَنَّهُ مائع يَحِلُّ شُرْبُهُ فَجَازَ بيعه كَلَبَنِ الشَّاةِ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ (فَإِنْ قِيلَ) يُنْتَقَضُ بِالْعَرَقِ (قُلْنَا) لَا نُسَلِّمُ بَلْ يَحِلُّ شُرْبُهُ (وَأَمَّا) الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِمْ لَا يُبَاعُ فِي الْعَادَةِ فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ عدمِ بيعِهِ فِي الْعَادَةِ أَنْ لَا يَصِحَّ بيعُهُ وَلِهَذَا يجوزُ بَيْعُ بَيْضِ الْعَصَافِيرِ وَبَيْعُ الطِّحَالِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُبَاعُ فِي الْعَادَةِ (وَالْجَوَابُ) عَنْ الْقِيَاسِ عَلَى الدَّمْعِ وَالْعَرَقِ وَالْمُخَاطِ أَنَّهُ لَا مَنْفَعَةَ فِيهَا بِخِلَافِ اللَّبَنِ وَعَنْ الْبَيْضِ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الِانْتِفَاعُ بِهِ بِخِلَافِ اللَّبَنِ وَعَنْ لَبَنِ الْأَتَانِ بأنه نجس بخلاف لبن الْآدَمِيَّةِ وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ» اهـ.

قال الإمام محمد بن محمد البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ) في العناية شرح الهداية (٤٢٣/٦):

«[بَيْعُ لَبَنِ امْرَأَةٍ فِي قَدَحٍ]

قَالَ [وَلَا لَبَنِ امْرَأَةٍ فِي قَدَحٍ] قَيَّدَ بِقَوْلِهِ فِي قَدَحٍ لِدَفْعِ مَا عَسَى أَنْ يُتوهم أَنَّ بَيْعَهُ فِي الضَّرْعِ لَا يَجُوزُ كَسَائِرِ أَلْبَانِ الْحَيَوَانَاتِ، وَفِي الْقَدَحِ يَجُوزُ فَقَالَ: إنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي قَدَحٍ.

وَجَوَّزَ الشَّافِعِيُّ بَيْعَهُ لِأَنَّهُ مَشْرُوبٌ طَاهِرٌ وَبَيْعُ مِثْلِهِ جَائِزٌ كَسَائِرِ الْأَلْبَانِ، وَعَقَّبَ بِقَوْلِهِ طَاهِرًا احْتِرَازًا عَنْ الْخَمْرِ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ.

وَلَنَا أَنَّهُ جُزْءُ الْآدَمِيِّ لِأَنَّ الشَّرْعَ أَثْبَتَ حُرْمَةَ الرَّضَاعِ لِمَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ، وَجُزْءُ الْآدَمِيِّ لَيْسَ بِمَالٍ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يَتَمَوَّلُونَهُ وَمَا لَيْسَ بِمَالٍ لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ. وَعُورِضَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ جُزْءُ الْآدَمِيِّ لَكَانَ مَضْمُونًا بِالْإِتْلَافِ كَبَقِيَّةِ أَجْزَاءِ الْآدَمِيِّ. أُجِيبَ بِأَنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الْأَجْزَاءَ تُضْمَنُ بِالْإِتْلَافِ بَلْ الْمَضْمُونُ مَا انْتَقَصَ مِنْ الْأَصْلِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْجُرْحَ إذَا اتَّصَلَ بِهِ الْبُرْءُ يَسْقُطُ الضَّمَانُ وَكَذَا السِّنُّ إذَا نَبَتَتْ [قَوْلُهُ وَهُوَ] أَيْ الْآدَمِيُّ».

ملاحظة:

قرر المجمع الفقهي في حكم بنوك الحليب:

فإن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من ١٠-١٦ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ/٢٢-٢٨ ديسمبر ١٩٨٥م. بعد أن عرض على المجمع دراسة فقهية، ودراسة طبية حول بنوك الحليب، وبعد التأمل فيما جاء في الدراستين ومناقشة كل منهما مناقشة مستفيضة شملت مختلف جوانب الموضوع تبين:

١- أن بنوك الحليب تجربة قامت بها الأمم الغربية، ثم ظهرت مع التجربة بعض السلبيات الفنية والعلمية فيها فانكمشت وقل الاهتمام بها.

٢- أن الإسلام يعتبر الرضاع لحمة كلحمة النسب، يحرم به ما يحرم من النسب بإجماع المسلمين، ومن مقاصد الشريعة الكلية المحافظة على النسب، وبنوك الحليب مؤدية إلى الاختلاط أو الريبة.

٣- أن العلاقات الاجتماعية في العالم الإسلامي توفر للمولود الخداج -إلقاء المرأة ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام، وإن كان تام الخلق- أو ناقص الوزن أو المحتاج إلى اللبن البشري في الحالات الخاصة ما يحتاج إليه من الاسترضاع الطبيعي، الأمر الذي يغني عن بنوك الحليب.

وبناء على ذلك قرر:

أولًا: منع إنشاء بنوك حليب الأمهات في العالم الإسلامي.

الثاني: حرمة الرضاع منها.

والله أعلم.

* * *

السعي والطواف في الأدوار العلوية

ومن المسائل المستجدة في باب الحج والعمرة الطواف والسعي في الأدوار العلوية وهي مسألة بحثتها هيئة كبار العلماء في المملكة وقرروا فيها أنه يجوز ولكن سنجد لكلام الفقهاء المتقدمين رحمهم الله كلامًا ونصوصًا استنبطها العلماء من الأدلة من الكتاب والسنة يعتمد عليها في التخريج لمسألتنا.

فمثلًا في شرح حديث سعيد بن زيد في البخاري:

عن سعيد بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين**» صحيح البخاري المظالم والغصب (٢٣٢٠)، صحيح مسلم المساقاة (١٦١٠)، سنن الترمذي الديات (١٤١٨)، مسند أحمد بن حنبل (١/١٩٠)، سنن الدارمي البيوع (٢٦٠٦).

قال الإمام شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي (المتوفى ٨٥٢هـ) في [فتح الباري] (٥/٣٨):

«وأن من ملك أرضًا ملك أسفلها إلى منتهى الأرض، وله أن يمنع من حفر تحتها سربًا أو بئرًا بغير رضاه، وفيه أن من ملك ظاهر الأرض ملك باطنها بما فيه من حجارة ثابتة وأبنية ومعادن وغير ذلك، وأن له أن ينزل بالحفر ما شاء، ما لم يضر بمن يجاوره» اهـ.

يتضح من كلام ابن حجر رحمه الله أن المسعى أعلاه منه وأيضا أسفلها منه فعلى كلامه رحمه الله يتخرج جواز الطواف والسعي في الأدوار العلوية وكذلك في الأدوار التي هي أسفل المسعى والمطاف والصلاة فيها أيضًا.

وقال الإمام أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) [عمدة القاري] (٢٩٨/١٢) بعد ذكر كلام من نحو كلام ابن حجر:

«قاله الخطابي، وقال ابن الجوزي: لأن حكم أسفلها تبع لأعلاها، وقال القرطبي: وقد اختلف فيما إذا حفر أرضه فوجد فيها معدنًا أو شبهه فقيل: هو له، وقيل: بل للمسلمين، وعلى ذلك فله أن ينزل بالحفر ما شاء ما لم يضر بجاره، وكذلك له أن يرفع في الهواء المقابل لذلك القدر من الأرض من البناء ما شاء ما لم يضر بأحد» اهـ.

وأيضًا يتخرج على مسألة الصلاة على سطح الكعبة.

قال الإمام محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) في المبسوط للسرخسي (٧٩/٢):

«وَمَنْ صَلَّى عَلَى سَطْحِ الْكَعْبَةِ جَازَتْ صَلَاتُهُ عِنْدَنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ سُتْرَةٌ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-: لَا يَجُوزُ إلَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ سُتْرَةٌ بَنَاءً عَلَى أَصْلِهِ أَنَّ الْبِنَاءَ مُعْتَبَرٌ فِي جَوَازِ التَّوَجُّهِ إلَيْهِ لِلصَّلَاةِ وَعِنْدَنَا الْقِبْلَةُ هِيَ الْكَعْبَةُ فَسَوَاءٌ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ سُتْرَةٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ فَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ الْقِبْلَةَ.

وَبِالِاتِّفَاقِ مَنْ صَلَّى عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ جَازَتْ صَلَاتُهُ وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَدَلَّ أَنَّهُ لَا مُعْتَبَرَ لِلْبِنَاءِ وَبَعْضُ أَئِمَّةِ بَلْخِي قَالُوا بِالِاتِّفَاقِ لَوْ صَلَّى عَلَى سَطْحِ الْكَعْبَةِ وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ إكَافًا تَجُوزُ صَلَاتُهُ وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَتَعَلَّقَ جَوَازُ الصَّلَاةِ بِاسْتِقْبَالِ الْإِكَافِ فَدَلَّ أَنَّهُ لَا مُعْتَبَرَ بِالْبِنَاءِ وَاَللَّهُ ﷻ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ».

أفادنا المؤلف ﷺ أن من صلى على أبي قبيس جازت صلاته ونقل في ذلك الاتفاق، فعلى هذا يخرج أن الصلاة في الأدوار العلوية تصح أيضًا وعليه فالسعي والطواف يصح أيضًا.

يتلخص حكم الصلاة على ظهر الكعبة: فتحصل من كلام الشارح أن الفرض على ظهرها ممنوع اتفاقًا، وأما النفل ففيه أقوال ثلاثة، الجواز مطلقًا، والجواز إن كان غير مؤكد، والمنع وعدم الصحة مطلقًا.

(تنبيه): سكت المصنف عن حكم الصلاة تحت الكعبة في حفرة، وقد قدم أن الحكم بطلانها مطلقًا، فرضًا أو نفلًا، لأن ما تحت المسجد لا يعطى حكمه بحال، ألا ترى أن الجنب يجوز له الدخول تحته، ولا يجوز له الطيران فوقه، كذا قرره شيخنا.

وكتب الشيخ محمد عليش في تقريره على [حاشية الدسوقي والشرح الكبير]، للشيخ أحمد الدردير ما نصه:

«وإنما جاز على جبل أبي قبيس مع أنه أعلى من بنائها، لأن المصلى عليه مصل إليها، وأما المصلي على ظهرها فهو فيها» انتهى.

(ضوء الشموع) [حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمختصر خليل]، وما فيها من تقرير الشيخ عليش على الحاشية (١/١٢٩).

أفادنا المؤلف ﷺ أن من صلى تحت الكعبة لا يصح صلاته وذلك محل خلاف بين العلماء.

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٤/٢٦٣):

«مُقْتَضَى مَذْهَبِ الْحَنَفِيَّةِ الْجَوَازُ، قَال الْحَصْكَفِيُّ: وَالْمُعْتَبَرُ فِي الْقِبْلَةِ الْعَرْصَةُ لاَ الْبِنَاءُ

فَهِيَ مِنَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ إِلَى الْعَرْشِ» (حاشية ابن عابدين ١/ ٢٩٠).

«أَمَّا الصَّلاَةُ تَحْتَ الْكَعْبَةِ فَلا تَصِحُّ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مُطْلَقًا فَرْضًا كَانَتْ أَوْ نَفْلًا لأَنَّ مَا تَحْتَ الْمَسْجِدِ لاَ يُعْطَى حُكْمَهُ بِحَالٍ، أَلاَ تَرَى أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْجُنُبِ الدُّخُول تَحْتَهُ وَلاَ يَجُوزُ لَهُ الطَّيَرَانُ فَوْقَهُ» (حاشية الدسوقي ١/ ٢٢٩).

«وَتَجُوزُ الصَّلاَةُ فِي مَكَانٍ أَسْفَل مِنَ الْكَعْبَةِ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ وَعَلَّلُوا بِأَنَّ الْوَاجِبَ اسْتِقْبَال الْكَعْبَةِ وَمَا يُسَامِتُهَا مِنْ فَوْقِهَا أَوْ تَحْتِهَا بِدَلِيل مَا لَوْ زَالَتِ الْكَعْبَةُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - أَنَّهُ يَسْتَقْبِل مَحَلَّهَا وَهَذَا مَوْضِعُ وِفَاقٍ لاَ خِلاَفَ فِيهِ» (المغني ١/ ٤٤٠).

وأيضًا جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٦٦):

«أَمَّا صَلاَةُ النَّافِلَةِ عَلَى ظَهْرِهَا فَتَجُوزُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ، وَفِي قَوْلٍ لِلْمَالِكِيَّةِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ يَكْفِي اسْتِقْبَال الْهَوَاءِ أَوِ اسْتِقْبَال قِطْعَةٍ مِنَ الْبِنَاءِ وَلَوْ مِنْ حَائِطِ السَّطْحِ».

وكذلك الفقهاء المتقدمين رحمهم الله لم يقصروا ذلك الحكم في الصلاة فقط بل هي قاعدة شاملة لفروع متنوعة.

قال ابن قدامة في المغني (٤/ ٣٦٥):

«فَصْلٌ: إذَا حَصَلَتْ أَغْصَانُ شَجَرَتِهِ فِي هَوَاءِ مِلْكِ غَيْرِهِ، أَوْ هَوَاءِ جِدَارٍ لَهُ فِيهِ شَرِكَةٌ، أَوْ عَلَى نَفْسِ الْجِدَارِ، لَزِمَ مَالِكَ الشَّجَرَةِ إزَالَةُ تِلْكَ الْأَغْصَانِ، إمَّا بِرَدِّهَا إلَى نَاحِيَةٍ أُخْرَى، وَإِمَّا بِالْقَطْعِ؛ لِأَنَّ الْهَوَاءَ مِلْكٌ لِصَاحِبِ الْقَرَارِ، فَوَجَبَ إزَالَةُ مَا يَشْغَلُهُ مِنْ مِلْكِ غَيْرِهِ كَالْقَرَارِ» اهـ.

فبين رحمه الله أن الهواء ملك لصاحب القرار فيتخرج على ذلك مسائل مستجدة كثيرة

مثل بناء أبراج تقوية إشارة على أسطح المنازل واستعمال هواء الجار في إمرار أسلاك وأشياء إليه وغير ذلك من الفروع المستجدة.

وعلى هذا تخرج من هذا الحكم قاعدة عامة أن الهواء تابع للقرار في الحكم.

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية (٦/ ٣٠١):

«وَمِثْلُهُ الانْتِفَاعُ بِشَمْسٍ وَقَمَرٍ وَهَوَاءٍ إِذَا لَمْ يَضُرَّ بِأَحَدٍ لأَنَّ هَوَاءَ الطَّرِيقِ كَأَصْل الطَّرِيقِ حَقُّ الْمَارَّةِ جَمِيعًا. وَالنَّاسُ فِي الْمُرُورِ فِي الطَّرِيقِ شُرَكَاءُ». (ابن عابدين ٥/ ٢٨٢، والمبسوط للسرخسي ٢٧/ ٩، ونهاية المحتاج ٥/ ٣٣٩، والوجيز للغزالي ١/ ١٧٥).

* * *

هل الاستحالة مطهرة

ومن المسائل أيضًا التي ينبني عليها كثير من المسائل المستجدة وهي تكاد أن تكون ضابطًا يندرج تحته كثير من الفروع في باب النجاسات، وهي:

هل الاستحالة مطهرة؟

النجاسة صورة ورد الشرع بنجاستها فلو تغيرت الصورة وتحولت إلى شيء آخر أصله المادة النجسة هل تزول النجاسة أم تبقى كما هي؟!

اختلف الفقهاء المتقدمون فيها، وعلى اختلافهم يتخرج مسائل مستجدة كثيرة يستعملها المسلمون في مجالات كثيرة وفيه توسعة للناس.

قال أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) في المغني (٣/٢٦٢):

«فَصْلٌ: وَلَا تَطْهُرُ النَّجَاسَةُ بِالِاسْتِحَالَةِ، فَلَوْ أُحْرِقَ السِّرْجِينُ النَّجِسُ فَصَارَ رَمَادًا، أَوْ وَقَعَ كَلْبٌ فِي مَلَّاحَةٍ فَصَارَ مِلْحًا، لَمْ تَطْهُرْ. لِأَنَّهَا نَجَاسَةٌ لَمْ تَحْصُلْ بِالِاسْتِحَالَةِ. فَلَمْ تَطْهُرْ بِهَا، كَالدَّمِ إذَا صَارَ قَيْحًا أَوْ صَدِيدًا، وَخُرِّجَ عَلَيْهِ الْخَمْرُ، فَإِنَّهُ نَجِسَ بِالِاسْتِحَالَةِ، فَجَازَ أَنْ يَطْهُرَ بِهَا» اهـ.

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠/٢٧٨)

«ذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ إِلَى: أَنَّ نَجِسَ الْعَيْنِ يَطْهُرُ بِالِاسْتِحَالَةِ، فَرَمَادُ النَّجِسِ لاَ يَكُونُ نَجِسًا، وَلاَ يُعْتَبَرُ نَجِسًا مِلْحٌ كَانَ حِمَارًا أَوْ خِنْزِيرًا أَوْ غَيْرَهُمَا، وَلاَ نَجِسٌ وَقَعَ فِي بِئْرٍ فَصَارَ طِينًا، وَكَذَلِكَ الْخَمْرُ إِذَا صَارَتْ خَلًّا سَوَاءٌ بِنَفْسِهَا

أَوْ بِفِعْلِ إِنْسَانٍ أَوْ غَيْرِهِ، لانْقِلابِ الْعَيْنِ، وَلأَنَّ الشَّرْعَ رَتَّبَ وَصْفَ النَّجَاسَةِ عَلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، فَيَنْتَفِي بِانْتِفَائِهَا. فَإِذَا صَارَ الْعَظْمُ وَاللَّحْمُ مِلْحًا أَخَذَا حُكْمَ الْمِلْحِ؛ لأَنَّ الْمِلْحَ غَيْرُ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ.

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ فِي الشَّرْعِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: الْعَلَقَةُ فَإِنَّهَا نَجِسَةٌ، فَإِذَا تَحَوَّلَتْ إِلَى الْمُضْغَةِ تَطْهُرُ، وَالْعَصِيرُ طَاهِرٌ فَإِذَا تَحَوَّلَ خَمْرًا يَنْجُسُ.

فَيَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا: أَنَّ اسْتِحَالَةَ الْعَيْنِ تَسْتَتْبِعُ زَوَالَ الْوَصْفِ الْمُرَتَّبِ عَلَيْهَا».

(ابن عابدين ١/٢٠٩-٢١٧، والدسوقي ١/٥٢-٥٣، والإنصاف ١/٣١٨، والمغني ٩/٧٢).

وَالأَصْلُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ فِي ظَاهِرِ الْمَذْهَبِ: أَنَّ نَجِسَ الْعَيْنِ لا يَطْهُرُ بِالاسْتِحَالَةِ، فَالْكَلْبُ أَوْ غَيْرُهُ يُلْقَى فِي الْمَلاَّحَةِ فَيَصِيرُ مِلْحًا، وَالدُّخَانُ الْمُتَصَاعِدُ مِنْ وُقُودِ النَّجَاسَةِ، وَكَذَلِكَ الْبُخَارُ الْمُتَصَاعِدُ مِنْهَا إِذَا اجْتَمَعَتْ مِنْهُ نَدَاوَةٌ عَلَى جِسْمٍ صَقِيلٍ، ثُمَّ قَطَّرَ، نَجِسٌ.

(نهاية المحتاج ١/٢٤٧، ط مصطفى البابي الحلبي، والمغني ١/٧٢ ط مكتبة الرياض الحديثة، وروضة الطالبين ١/٢٨ ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر)

ثُمَّ اسْتَثْنَوْا مِنْ ذَلِكَ الْخَمْرَ إِذَا انْقَلَبَتْ بِنَفْسِهَا خَلًّا فَتَطْهُرُ بِالتَّخَلُّلِ؛ لأَنَّ عِلَّةَ النَّجَاسَةِ الإِسْكَارُ وَقَدْ زَالَتْ، وَلأَنَّ الْعَصِيرَ لاَ يَتَخَلَّلُ إِلاَّ بَعْدَ التَّخَمُّرِ غَالِبًا، فَلَوْ لَمْ يُحْكَمْ بِالطَّهَارَةِ تَعَذَّرَ الْحُصُولُ عَلَى الْخَلِّ، وَهُوَ حَلاَلٌ بِالإِجْمَاعِ.

وَأَمَّا إِنْ خُلِّلَتْ بِطَرْحِ شَيْءٍ فِيهَا بِفِعْلِ إِنْسَانٍ فَلاَ تَطْهُرُ عِنْدَهُمْ.

وَصَرَّحَ الشَّافِعِيَّةُ بِأَنَّهَا لَوْ تَخَلَّلَتْ بِإِلْقَاءِ الرِّيحِ فَلاَ تَطْهُرُ عِنْدَهُمْ أَيْضًا، سَوَاءٌ أَكَانَ لَهُ دَخْلٌ فِي التَّخْلِيلِ كَبَصَلٍ وَخُبْزٍ حَارٍّ، أَمْ لاَ كَحَصَاةٍ.

وَكَذَلِكَ لاَ فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ الْمُلْقَاةُ طَاهِرَةً أَوْ نَجِسَةً

ما يخرج عليها من فروع مستجدة:

- الأدوية التي بها مستخلصات الخنزير مثل الأنسولين والجيلاتين الخنزيري والهيبارين الخنزيري والانزيمات الخنزيرية مثل الببسين والتربسين وشحم الخنزير في الصابون وفي المراهم والكريمات والليستين والكوليسترول الخنزيري فمن قال تطهر أجاز استعمالها في التداوي ومن قال إنه تبقى على نجاستها منعها في غير حالات الضرورة.

- وكذلك استهلاك النجاسة في الطاهر يتفرع على المسألة لقول النبي ﷺ: **«الماء طهور لا ينجسه شيء»**.

- ويدخل فيه أيضًا الأدوية التي تحتوي على كحول مسكر كالإيثانول.

- وهناك أيضًا قضية مهمة تتفرع على هذا الفرع فهو من باب تفريع الفروع على الفروع وهو أثر الإحراق في الطهارة.

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (١١٥/٢):

«أَثَرُ الإِحْرَاقِ مِنْ حَيْثُ التَّطْهِيرُ:

ذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ فِي الْمُعْتَمَدِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَهُوَ الْمُخْتَارُ لِلْفَتْوَى وَهُوَ غَيْرُ ظَاهِرِ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ إِلَى أَنَّ الإِحْرَاقَ إِذَا تَبَدَّلَتْ بِهِ الْعَيْنُ النَّجِسَةُ بِتَبَدُّلِ أَوْصَافِهَا أَوِ انْقِلاَبِ حَقِيقَتِهَا حَتَّى صَارَتْ شَيْئًا آخَرَ، وَذَلِكَ كَالْمَيْتَةِ إِذَا احْتَرَقَتْ

فَصَارَتْ رَمَادًا أَوْ دُخَانًا، فَإِنَّ مَا يَتَخَلَّفُ مِنَ الإِحْرَاقِ يَكُونُ طَاهِرًا، وَمِنْ بَابِ أَوْلَى إِذَا كَانَتِ الْعَيْنُ طَاهِرَةً فِي الأَصْلِ وَتَنَجَّسَتْ، كَالثَّوْبِ الْمُتَنَجِّسِ.

وَدَلِيلُهُمْ قِيَاس ذَلِكَ عَلَى الْخَمْرِ إِذَا تَخَلَّلَتْ وَالإِهَابِ إِذَا دُبِغَ.

وَذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ فِي غَيْرِ الْمُعْتَمَدِ، وَأَبُو يُوسُفَ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ، إِلَى أَنَّ الإِحْرَاقَ لاَ يَجْعَل مَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُ شَيئًا آخَرَ، فَيَبْقَى عَلَى نَجَاسَتِهِ. وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الْعَيْنُ النَّجِسَةُ، أَوِ الْمُتَنَجِّسَةُ، لِقِيَامِ النَّجَاسَةِ؛ لأَنَّ الْمُتَخَلِّفَ مِنَ الإِحْرَاقِ جُزْءٌ مِنَ الْعَيْنِ النَّجِسَةِ».

وَفَصَّل بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ فَقَالُوا: إِنْ أَكَلَتِ النَّارُ النَّجَاسَةَ أَكْلاً قَوِيًّا فَرَمَادُهَا طَاهِرٌ، وَإِلاَّ فَنَجِسٌ(١).

هَذَا وَإِنَّ مَنْ قَال مِنَ الْفُقَهَاءِ بِنَجَاسَةِ الْمُتَخَلِّفِ مِنْ إِحْرَاقِ النَّجِسِ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهُ يُعْفَى عَنْ قَلِيلِهِ لِلضَّرُورَةِ؛ وَلأَنَّ الْمَشَقَّةَ تَجْلُبُ التَّيْسِيرَ

* * *

(١) فتح القدير (١/١٣٩)، وحاشية الدسوقي (١/٥٧، ٥٨)، والمغني (١/٦٠)، والبدائع (١/٨٥)، ونهاية المحتاج (١/٢٣٠)، وروضة الطالبين (١/٢٩-٣٠)، وابن عابدين (١/٣٣٢).

فصل
القواعد الفقهية التي يتخرج عليها مستجدات

وأخيرًا هناك قواعد فقهية يتخرج عليها مستجدات معاصرة، نذكر بعضها سريعًا حيث أني ذكرتها بالتفصيل في رسالة التخريج. منها:

(الجواز ينافي الضمان):

- ويتفرع عليها ضمان طبيب التخدير وغيره، حيث لم تجني يده وكان حاذقًا وأذن له في إجراء عملية التخدير فلا ضمان عليه.

والمسألة فيها تفصيلات مذكورة في الرسالة.

(الضرورات تبيح المحظورات):

- من أكبر القواعد التي يتخرج عليها مستجدات كثيرة في المجال الطبي خصوصًا وغيره أيضًا مثل عمليات الطوارئ التي تجيز للطبيب أن يعمل جراحة للمريض دون إذنه.

- ترقيع الجلد بجلد الخنزير وكشف العورة من أجل التداوي.

(الضرر يزال):

- يتفرع تحتها مستجدات وهي الحجر الصحي ويدخل أيضًا فيها قاعدة درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة وأن درء المفسدة العامة مقدم على درء المفسدة الخاصة.

- ويتخرج عليها إزالة ما يشوه الجسم من عيوب مثل عمليات التجميل لإزالة التشوهات.

- ويتخرج عليها إعادة العضو المبتور في الحوادث.

- ويتخرج عليها العلاج الوراثي للأمراض الجينية.

قال الإمام علي بن عبد الكافي السبكي في الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي (٦١/١): «ما نهى عنه شرعًا فقبيح وإلا فحسن كالواجب والمندوب والمباح وفعل غير المكلف» اهـ.

قال الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) في أنوار البروق في أنواع الفروق (٣٥٤/٢) يفرق فيه بين المسكر والمخدر والمفتر:

«فَالْمُسْكِرُ هُوَ الْمُغَيِّبُ لِلْعَقْلِ مَعَ نَشْوَةٍ وَسُرُورٍ كَالْخَمْرِ. والمرقد هُوَ المغيب للعقل والحواس. والمفتر هُوَ الْمُشَوِّشُ لِلْعَقْلِ مَعَ عَدَمِ السُّرُورِ الْغَالِبِ كَالْبَنْجِ» اهـ.

هذا التفريق أيضًا يتخرج عليه مستجدات معاصرة مثل التداوي بالمخدرات والمسكرات ويصح أن يكون ضابطًا يعتمد عليه في التفريق.

ومن القواعد المهمة أيضًا.

(الضرر يدفع بقدر الامكان):

- ويتخرج على هذه القاعدة التحصين المبكر قبل حلول المرض.

- الحجر الصحي في الأمراض المعدية.

- التطعيمات للأطفال التي تقيهم الأمراض الوبائية.

- وكذلك العلاج الجيني.

(ومنها الضرر لا يزال بمثله):

- فيتخرج عليها نقل العضو من شخص إلى آخر مماثل له.

- الجراحة التجميلية التحسينية.

- زراعة الوجه.

(ومنها الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف):

- شق بطن الميتة الحامل لإنقاذ الجنين.

- جراحة التجميل للجسم المصاب بالحروق.

- الجراحة التجميلية للأنف المشوه.

(ومنها درء المفاسد مقدم على جلب المصالح):

وهي قاعدة تدخل في كثير من المستجدات المعاصرة، مثل:

- المستجدات السياسية والطبية مثل قطع اليد المتآكلة.

- الاستنساخ.

(منها ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها):

- يتخرج عليه استعمال التخدير للجراحة.

- استعمال الأشعة.

(ومنها قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة):

- ويتخرج عليها التلقيح الصناعي.

- والجراحات العلاجية الحاجية.

* * *

وهذه أمثلة يسيرة في هذا الباب من الفقه ولعله يتيسر لي إن شاء الله أن أوفي بأمثلة أكثر في الرسالة التي هذا البحث طليعتها.

ومن المعلوم أن المستجدات المعاصرة كثيرة الأبواب وأفتى فيها كثير من المعاصرين سواء كان مجامع أو علماء وكل منهم يستند إلى أدلة وترجيح وقد التزمت في هذه الطليعة ألا أناقش الأدلة وأفند الترجيح ولكن أعرض التخريج فقط.

وختامًا، أسأل الله أن يمن على شيخي أبي إسحق الحويني بالعافية في الدين والدنيا وأن يرزقه حسن العمل وحسن الخاتمة وأن يبارك في سعيه وجهده ويدخره له في الآخرة إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

* * *